صفة الصفوة

للإمام ابن الجوزي

(ت : ٥٩٧ هـ)

تحقيق

أبي علي مسلم الحسيني

المجلد الثاني

مكتبة الإيمان بالمنصورة

الطبعة الأولى
١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

مكتبة الإيمان بالمنصورة
أمام جامعة الأزهر
ت ٣٥٧٨٨٢

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذكر من اصطفى من أهل المدائن

٣٧٢ ـ شعيب بن حرب [(١)]

ويكنى : « أبا صالح » نزل المدائن واعتزل بها ثم خرج إلى مكة فنزلها إلى أن مات بها.

ابن إسماعيل قال : ذهبنا إلى المدائن ، إلى شعيب بن حرب ، وكان قاعداً على شط دجلة ، وكان قد بنى كوخاً ، وخُبْزٌ له معلّق في شريط ، ومِطْهَرة ، يأخذ كل ليلة رغيفاً يبلّه في المطهرة ويأكله . فقال بيده هكذا ، وإنما كان جِلداً وعظماً . قال : فقال : أترى ههنا بعد لحماً ، والله لأعملنَّ في ذوبانه حتى أدخل القبر وأنا عظام تقعقع أريد السِّمَن للدود والحيات ؟ قال : فبلغ أحمد بن حنبل قوله فقال : شعيب بن حرب حمل على نفسه في الورع .

السريّ بن المغلس السَّقطيّ قال : أربعة كانوا في الدنيا أعملوا أنفسهم في طلب الحلال، ولم يُدخلوا أجوافهم إلا الحلال . فقيل له : من هم ؟ قال : وهيب بن الورد[(٢)]، وشعيب بن حرب ، ويوسف بن أسباط ، وسليمان بن الخوّاص .

عبد الله بن خبيق قال : سمعت شعيب بن حرب يقول : أكلت فى عشرة أيام أكْلَةَ وشربت شَرْبة .

ابن عبد العزيز : عن شعيب بن حرب قال : رأيت النبى ﷺ في النوم ، ومعه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما ، فجئت فقال : أوسعوا له فإنه حافظ لكتاب الله عز وجل.

إبراهيم بن عبد الملك قال : جاء رجل إلى شعيب بن حرب وهو بمكة فقال : ما جاء بك؟ قال : جئت أؤنسك . قال : جئت تؤنسني وأنا أعالج الوحدة منذ أربعين سنة .

الحسن بن صالح قال : سمعت شعيب بن حرب يقول : لا تجلس إلا مع أحد رجلين: رجل جلست إليه يعلّمك خيراً فتقبل منه ، أو رجل تعلّمه خيراً فيقبل منك ، والثالث: اهرُبْ منه

---

(١) انظر : سير الأعلام (٩/١٨٨) .

(٢) وكان لا يأكل مما فى الحجاز تورعاً عما اصطفاه الولاة لأنفسهم ومواشيهم توفى سنة (١٥٣ هـ). انظر : شذرات الذهب (١/٢٣٦) .

أحمد بن الحواري قال : سمعت شعيب بن حرب يقول لرجل : إن دخلت القبر ومعك الإسلام فأبشر .

أحمد بن الفضل قال : رأيت شعيب بن حرب بمكة وعليه جبة صوف رقيقة نظيفة ، وعليه إزار خفيف إلى الصفرة ، وعمامة ، وهو حاف وقد صفَّر لحيته على لون ، ووجهُه مصفر ، وفي كمّه دريهمات تكون مقدار ثلاثين درهماً ، وقال : ما أصبحت أملك شيئاً من الدنيا استطيب إلا هذه ، ورأيته بكى حتى رأيت دموعه تسيل على لحيته .

وقال لي شعيب : أهدى لي رجل صديق سكّرة واحدة فأنا أتحلّى بها بعد عشائي منذ ثمان ليالٍ

بشر بن الحارث قال : نزل على شعيب بن حرب أخ له يقال له عبدة . فلما نادوا بالنفير خرج عبدة فتبعه شعيب . فلما أراد مفارقته قال له شعيب : اجعلني في حل . قال : من أي شئ ؟ قال : من أجل الأخوّة فإني لم أقم بأخوّتك .

محمد بن عيسى قال : سمعت شعيب بن حرب يقول : من أراد الدنيا فليتهيَّأ للذل .

عبد الوهاب قال : كان ههنا قوم خرجوا إلى المدائن ، إلى شعيب بن حرب ، فما رجعوا إلى دورهم ولقد أقام بعضهم يستقي الماء ، وكان شعيب يقول لبعضهم الدي يستقي الماء : لو رآك سفيان لقرتّ عينه .

قال المروزي : وقلت لأبي عبد الله [1] : أرويه عنك ؟ فأجازه .

أبو جعفر الحداد ، عن شعيب بن حرب ، أنه قال : لا تحقرنّ فلساً تطيع الله في كسبه ، ليس الفلس يُراد إنما الطاعة تُراد ، عسى أن تشتري به بقلاً فلا يستقرّ في جوفك حتى يُغفر لك .

محمد بن عبد الله البزاز قال : سمعت شعيب بن حرب قال : لك أن تطيّن الحائط من خارج ، وليس لك أن تجصّصه ، لعلّه يخرج في الطريق .

وسمعت أبا عبد الله يقول : بلغني عن شعيب بن حرب أنه قال : لا تطيّن الحائط مما يلي السكّة لعله أن يخرج في الطريق ، ثم قال أبو عبد الله : لقد دقّق شعيب رحمه الله .

عبد الله بن أيوب المخزومي قال : قال شعيب بن الحرب : من طلب الرياسة ناطحتْه الكِبَاش ، ومن رضي أن يكون ذنباً أبى الله إلا أن يجعله رأساً [2] .

---

(١) هو الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه .

(٢) وقيل : آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة ، وفسرها الإمام أبو حامد الغزالى =

سمع شعيب بن حرب من شُعْبة ، وسفيان الثوريّ ، وزهير بن معاوية ، في خَلْق كثير . وكان أحد المفْردين بالزهد والتعبد وتوفيّ بمكة سنة سبع وتسعين ومائة .

ذكر المصطفين من أهل واسط

٣٧٣ ـ منصور بن زاذان مولى عبد الله بن أبى عقيل الثقفى

عن هشام بن حسان قال : كان منصور يأتي المسجد فيصلي ركعتين ، ما بين المغرب والعشاء ، يختم فيهما القرآن مرّتين ، ويبلغ من الثالثة إلى الطواسين وكانت عليه عمامة يجعلها كَوْراً كَوْراً يمسح بها دموعه ، وإذا ابتلّت وضعها بين يديه .

قال المؤلف : قلت : هذه الرواية ليست بمحققة وإنما كان هذا الرجل يختم القرآن في الليل والنهار مرتين ، مرة بعد المغرب والعشاء ومرة بالنهار . يدل على صحة هذا : عن هشام بن حسان قال : كنت أصلى أنا ومنصور بن زاذان جميعاً وكان يختم القرآن ما بين الظهر والعصر ، ويختم ما بين المغرب والعشاء ، وكان يقوم إلى عمود فيصلي فيختم القرآن ، وكان يبكي ويمسح بعمامته عينه فلا يزال يبلها كلها بدموعه ثم يلفها ويضعها بين يديه .

= «بالشهوة الخفية » وروى فيها أثراً مرفوعاً : « إن أخوف ما أخاف على أمتى : الرياء ، والشهوة الخفية» .

وقال : وهذه الشهوة الخفية يعجز عن الوقوف على غوائلها كبار العلماء ، فضلاً عن عامة العباد ، وإنما يبتلى بها العلماء والعباد المشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الآخرة، فإنهم لما قهروا نفوسهم وفطموها عن الشهوات ، وحملوها بالقهر على أسباب العبادات ، لم تطمع فى المعاصى الظاهرة ، الواقعة على الجوارح ، فاستراحت إلى التظاهر بالعلم والعمل ، ووجدت مخلصاً من شدة المجاهدة فى لذة القبول عند الخلق ، ونظرهم إليها بعين الوقار والتعظيم ، فأصابت النفس فى ذلك لذة عظيمة ، فاحتقرت فيها ترك المعاصى ، فأحدهم يظن أنه مخلص لله عز وجل وقد أثبت فى ديوان المنافقين ، وهذه مكيدة عظيمة لا يسلم منها إلا المقربون .

ثم قال : وإذا كا ذلك هو الداء الدفين ؛ الذى هو أعظم شبكة للشياطين ، وجب شرح القول فى سببه وحقيقته وأقسامه . . . ثم شرع فى بيان ذلك فانظره كما جاء فى « مختصر منهاج القاصدين » لابن قدامة (ص / ٣١٢ - وما بعدها) .

والجاه وسيلة إلى الأغراض كالأموال فليس كله بمذموم ، فكما أنه لابد للإنسان من مال لضرورة المطعم والملبس ونحوهما ، فكذلك لابد له من جاه لضرورة المعيشة مع الخلق ، لأن الإنسان لا يخلو من الحاجة إلى سلطان يحرسه ، ورفيق يعينه ، وخادم يخدمه ، فحبه ذلك ليس بمذموم .

وانظر التحقيق فى هذه المسألة (المصدر السابق : ص/ ٣١٥) .

صالح بن عمر قال : كان الحسن يقعد مع أصحابه ولا يقوم حتى يختم منصور بن زاذان القرآن .

شيخ من أهل واسط يُكنى أبا سعيد – وكان جاراً لمنصور بن زاذان – قال : رأيت منصوراً توضأ يوماً فلما فرغ دمعت عيناه ثم جعل يبكي حتى ارتفع صوته ، قلت : رحمك الله ما شأنك ؟ فقال : وأيُّ شيء أعظم من شأني ؟ إني أريد أن أقوم بين يديْ من لا تأخذه سنة ولا نوم ، فلعله أن يُعرض عني ! قال : فأبكاني والله بقوله .

عمرو بن عون قال : سمعت هُشيماً يقول : مكث منصور بن زاذان يصلى الفجر بوضوء عشاء الآخرة عشرين سنة .

عن أبي عوانة قال : لو قيل لمنصور بن زاذان : إنك ميت اليوم أو غداً ، ما كان عنده مزيد [1] .

قال هُشيم : لو قيل لمنصور بن زاذان إن ملك الموت على الباب ، ما كان عنده زيادة فى العمل – وذلك أنه كان يخرج فيصلى الغداة في جماعة . ثم يجلس فيسبّح حتى تطلع الشمس ، ثم يصلّى إلى الزوال ، ثم يصلي الظهر ، ثم يصلي إلى العصر ، ثم يصلى العصر ، ثم يجلس فيسبّح إلى المغرب ، ثم يصلي المغرب ، ثم يصلي العشاء ثم ينصرف إلى بيته فيُكتب عنه في ذلك الوقت .

عن أبي حمزة قال : رأيت جنازة منصور بن زاذان ورأيت الرجال على حدة والنساء على حدة ، واليهود على حدة ، والنصارى على حدة .

قال المؤلف : أرسل منصور الحديث عن أنس ، وروى عن الحسن ، وابن سيرين ، وعطاء ونظرائهم ، وكان قد تحول عن واسط فنزل المبارك على تسعة فراسخ من واسط وتوفي في الطاعون سنة إحدى وثلاثين ومائة . وقيل سنة تسع وعشرين .

٣٧٤ ـ سيار بن دينار – وقيل ابن وردان أبو الحكم العنبرىّ [2]

عن هشيم قال : دخلنا على سيار أبي الحكم وهو يبكي ، فقلنا : ما يبكيك ؟ قال : ما أبكى العابدين قبلي .

أبو جعفر الآدمي قال : قال سيار أبو الحكم : الفرح بالدنيا والحزن بالآخرة لا يجتمعان في قلب عبد ، إذا سكن أحدهما القلب خرج الآخر .

حسين بن زياد قال : بعث بعض القضاة إلى سيّار بواسط فآتاه فقال له : لم لا تجيء

(١) يعنى فى العبادة لشدة اجتهاده فيها .
(٢) انظر : سير الأعلام (٥/ ٣٩١) .

إلينا ؟ فقال له : إن أنت أدنيتني فتنتني ، وإن باعدتني غممتني ، وليس عندك ما أرجوه ولا عندي ما أخافك عليه . ثم قام .

عبد الحميد بن بيان قال : سمعت أبي يقول : خرج سيار إلى البصرة ، فقام يصلي إلى سارية في المسجد الجامع ، وكان حسن الصلاة ، عليه ثياب جياد . فرآه مالك بن دينار فجلس إليه فسلّم سيار ، فقال له مالك : هذه الصلاة وهذه الثياب ؟ فقال له سيار : هذه ترفعني عندك أو تضعني ؟ فقال : تضعك . قال : هذا أردت . ثم قال له : يا مالكُ إني لأحسب ثوبيك هذين قد أنزلاك من نفسك ما لم ينزلك من الله . فبكى مالك وقال له : أنت سيار ؟ قال : نعم . فعانقه وفي رواية أخرى : فجاء مالك فقعد بين يديه .

قال المصنف : يُسند سيار عن : طارق بن شهاب ، ويقال إن طارقاً من أصحابه وروى عن الشعبي ، وأبي وائل ، وأبي حازم ، في نظرائهم .

٣٧٥ ـ المستسلم بن سعيد ، أبو سعيد الثقفي الواسطي

ابن أخت منصور مولى يزيد بن هارون قال : مكث المستسلم بن سعيد أربعين سنة لا يضع جنبه إلى الأرض ، قال : وسمعته يقول : لم أشرب الماء منذ خمسة وأربعين يوماً .

وفي رواية أخرى ، قال يزيد بن هارون : بتُّ عند المستسلم بن سعيد ، وكان لا يكاد ينام ، إنما هو قائم وقاعد ، وذكر أنه لم يضع جنبه منذ أربعين عاماً ، فظننت أنه يعني بالليل ، فقيل : ولا بالنهار .

٣٧٦ ـ هُشَيْم بن بشير بن أبي خازم [١]

واسم أبي خازم : القاسم بن دينار . ويكنى هُشيم « أبا معاوية السُلمي » ، مولى لبني سُليم .

قال أبو إسحاق الحربي : كان هشيم رجلاً كان أبوه صاحب صحناة وكواميخ [٢] ، يقال له بشير . وطلب ابنه هشيم الحديث فاشتهاه ، وكان أبوه يمنعه فكتب الحديث حتى

---

(١) قال في شذرات الذهب : هو أبو معاوية هشيم بن بشير السلمى الواسطى محدث بغداد روى عن : الزهرى وطبقته .

وفى « شرح بديعة الزمان » لابن ناصر الدين : قال وهب بن جرير : قلنا لشعبة : نكتب عن هشيم ؟ قال : نعم ، ولو حدثكم عن ابن عمر فصدقوه .

وانظر : سير الأعلام (٨/ ٢٨٧) ، وتهذيب الكمال (٣٠/ ٢٧٢) .

(٢) الصحناة - بالكسر : طعام يتخذ من السمك ، والكامخ : نوع من أنواع المخللات .

جالس أبا شيبة القاضي ، وكان يناظر أبا شيبة في الفقه ، فمرض هشيم ، فقال أبو شيبة : ما فعل ذلك الفتى الذي كان يجيء إلينا ؟ قالوا : عليل . فقال : قوموا بنا حتى نعوده . فقام أهل المجلس جميعاً يعودونه حتى صاروا إلى منزل بشير ، فدخلوا إلى هشيم فجاء رجل إلى بشير ويده في الصحناة فقال : الحقْ ابنك قد جاء القاضي يعوده . فجاء بشير والقاضي في داره . فلما خرج قال لابنه : يا بنيّ قد كنت أمنعك من طلب الحديث فأما اليوم فلا ، صار القاضي يجيء إلى بابي ، متى أملتُ هذا .

قال الحربى : وكان حفاظ الحديث أربعة – هشيم شيخهم – يزعمون أنه ما رُئي له إلا دفتر واحد .

عبد الله بن أحمد قال : سمعت أبي يقول : لزمت هشيماً أربع سنين ، أو خمس سنين، ما سألته عن شيء هيبةً إلا مرتين . قال لي : وكان هشيم كثير التسبيح بين الحديث، يقول بين ذلك : لا إله إلا الله ، يمدّ بها صوته .

محمد بن حاتم المؤدب قال : قيل لهشيم ، كم كنت تحفظ يا أبا معاوية ؟ قال : كنت أحفظ في مجلس مائة ولو سئلتُ عنها بعد شهر لأجبت .

نصر بن بسام وغيره من أصحابنا قالوا : أتينا أبا محفوظ معروفاً الكرخي فقال لنا : رأيت النبي ﷺ في النوم وهو يقول لهشيم : يا هشيم : جزاك الله عن أمتي خيراً . قال ابن بسام : فقلت : يا أبا محفوظ أنت رأيته ؟ قال : نعم ، هشيم خيرٌ مما نظن ، هشيم خير مما نظن ، رضي الله عن هشيم .

عمرو بن عون قال : مكث هشيم يصلي الفجر بوضوء العشاء الآخرة ، قبل أن يموت، عشر سنين .

قال المؤلف : سمع هشيم من عمرو بن دينار ، والزهرى ، ويونس بن عبيد ، وأيوب السختياني ، وابن عون ، وخالد الحذّاء ، و منصور بن زاذان ، في خلْق كثير .

وروى عنه : مالك بن أنس ، وسفيان الثورى ، وشعبة ، وابن المبارك ، ويزيد بن هارون ، في جماعة من الكبار . وانتقل عن واسط إلى بغداد فسكنها إلى أن مات بها ، وكان أبوه « بشير » طباخ الحجاج بن يوسف ، كان يعمل الكواميخ والصحناة .

ومات هشيم في يوم الأربعاء ، لعشرٍ مضين من شعبان من سنة ثلاث وثمانين ومائة .

٣٧٧ ـ يزيد بن هارون

يكنى : « أبا خالد »

مولى لبني سليم، وقيل أصله من « بخارى » .

علي بن المديني قال : ما رأيت رجلاً قط أحفظ من يزيد بن هارون .

قال أبو جعفر أحمد بن سنان : ما رأيت عالماً قطّ أحسن صلاة من يزيد بن هارون يقوم كأنه أسطوانة ، وكان يصلي بين المغرب والعشاء والظهر والعصر لم يكن يفْتر من صلاة الليل والنهار ، هو وهشيم جميعاً معروفان بطول الصلاة بالليل والنهار .

عاصم بن علي قال : كان يزيد بن هارون إذا صلّى العتمة لا يزال قائماً حتى يصلي الغداة بذلك الوضوء نيّفاً وأربعين سنة .

أبو جعفر محمد بن إسماعيل الصائغ بمكة قال : قال رجل ليزيد بن هارون : كم حزْبك؟ فقال : وأنام من الليل شيئاً ؟ إذاً لا أنام الله عيني .

محمد بن الربيع بن الحكم قال : سمعت يزيد بن هارون يقول : من طلب الرئاسة في غير أوانها حرمه الله إياها في أوانها [1] .

الحسن بن عرفة قال : رأيت يزيد بن هارون بواسط وهو أحسن الناس عينين ، ثم رأيته بعين واحدة ، ثم رأيته وقد ذهبت عيناه فقلت : يا أبا خالد ما فعلت العينان الجميلتان ؟ فقال : ذهب بهما بكاء الأسحار .

أبو نافع ابن بنت يزيد بن هارون قال : كنت عند أحمد بن حنبل وعنده رجلان ، فقال أحدهما : يا أبا عبد الله رأيت يزيد بن هارون في المنام فقلت له : يا أبا خالد ما فعل الله بك ، قال : غفر لي وشفعّني وعاتبني . قال : قلت غفر لك وشفعك قد عرفت ، ففيم عاتبك ؟ قال : قال لي يا يزيد أتحدث عن حريز بن عثمان ؟ قال: قلت يا رب ما علمتُ إلا خيراً. قال: يا يزيد إنه كان يبغض أبا الحسن على بن أبي طالب.

قال : وقال الآخر : وأنا رأيت يزيد بن هارون في المنام ؟ فقلت له : هل أتاك منكر ونكير ؟ قال : إي والله ، وسألاني من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ قال : قلت : ألمثلي يقال هذا ؟! وأنا أُعلِّم الناس هذا في دار الدنيا ؟ فقالا لي : صدقت . فنَمْ نومة العروس لا بؤس عليك .

حوثرة بن محمد المقْري قال : رأيت يزيد بن هارون في المنام بعد موته بأربع ليال فقلت: ما فعل الله بك ؟ قال : تقبّل مني الحسنات ، وتجاوز عن السيئات ، ووهب لي التبعات . قلت : وما كان بعد ذلك ؟ قال : هل يكون من الكريم إلا الكرم ؟ غفر لي ذنوبي وأدخلني الجنة . قلت : بِمَ نلت ؟ قال : بمجالس الذكر وقول الحق وصدْقي في الحديث وطول قيامي في الصلاة وصبري على الفقر .

---

(١) إذ لابد لكل إنسان من وقت يتحمل فيه المسئولية ، ويكون رأسا فيما يعلمه فلا يتعجل الرئاسة قبل النضج ولا يهرب منها إذا صارت واجبة عليه .

قلت : منكرٌ ونكير حق ؟ قال : إي والله ، والله الذي لا إله إلا هو . لقد أقعداني وسألاني : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ فجعلت أنفض لحيتي البيضاء من التراب . فقلت : مثلي يُسأل ؟ أنا يزيد بن هارون الواسطي ، وكنت في دار الدنيا ستين سنة أعلّم الناس . فقال أحدهما : صدق ، هو يزيد بن هارون ، نم نومة العروس ولا روعة عليك بعد اليوم . قال أحدهما : أكنت تكتب عن حريز بن عثمان ؟ قلت : نعم وكان ثقةً في الحديث . قال : ثقة ولكنه كان يبغض علياً ، أبغضه الله تعالى .

قال المؤلف : أسند يزيد بن هارون عن : يحيى بن سعيد الأنصارى ، وسليمان التيمي ، وعاصم الأحول ، وحميد الطويل ، وداود بن أبي هند ، وعبد الله بن عون ، وحسين المعلّم في خلق كثير .

وكان مولده ثمان عشرة ومائة . وتوفي في سنة ست ومائتين وهو ابن سبع أو ثمانٍ وثمانين سنة .

انتهى ذكر أهل واسط

ذكر المصطفين من أهل الكوفة من التابعين ومن بعدهم

فمن الطبقة الأولى

٣٧٨ ـ سُوَيد بن غفلة بن عوسجة بن عامر(١)

يكنى : « أبا أمية »

رحل إلى رسول الله ﷺ فوصل إلى المدينة ، وقد قُبض رسول الله ﷺ فصحب أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً .

وروى عنه الشعبي أنه قال : أنا أصغر من رسول الله ﷺ بسنة .

عن عمران بن مسلم قال : كان سويد بن غفلة إذا قيل له أُعطي فلان وَوُلّي فلان ، قال: حسبي كِسْرتي ومِلْحي .

عن عثمان بن عمران قال : قال سويد بن غفلة : لو استطعت أن أكون مؤذن الحيّ لفعلت .

عن خيثمة عن سويد بن غفلة قال : إذا أراد الله أن ينسى أهل النار جعل لكل واحد

(١) انظر : سير الأعلام (٤/ ٦٩) ، والحلية (٤/ ١٧٤) .

منهم تابوتاً من نار على قَدْره ثم أقفل عليهم بأقفال من نار فلا يضرب فيهم عِرْق إلا وفيه مسمار من نار . ثم يُجعل ذلك التابوت في تابوت آخر من نار ، ثم يُقفل عليه بأقفال من نار ثم تُضرم بينهم نار ثم يُجعل ذلك في تابوت آخر من نار ثم يُقفل بأقفال من نار ثم تُضْرم نارٌ فلا يرى أحد منهم أن في النار غيره .

عن سويد بن غفلة قال : إن الملائكة تمشى أمام الجنازة وتقول : ما قدّم ؟ ويقول الناس : ما ترك ؟ .

عن الوليد بن علي عن أبيه قال : كان سويد بن غفلة يؤمنّا في شهر رمضان في القيام، وقد أتى عليه عشرون ومائة سنة .

عن عاصم قال : تزوج سويد بن غفلة وهو ابن ست عشرة ومائة سنة ، وكان يمشي، يأتي الجمعة ماشياً .

حنش بن الحارث قال : رأيت سويد بن غفلة يمرّ بنا في المسجد إلى امرأة له من بني أسد وهو ابن سبع وعشرين ومائة سنة .

عن عاصم بن كليب قال : تزوج سويد بن غفلة بكْراً وهو ابن ست عشرة ومائة سنة وكان يمرّ بنا إلى الجمعة يمشي وهو ابن ست عشرة ومائة .

قال المؤلف : أسند سويد عن : أبي بكر ، وعُمر ، وابن مسعود ، وبلال وغيرهم .

قال محمد بن سعد : مات سويد ابن ثمان وعشرين ومائة سنة في إحدي أو ثنتين وثمانين .

٣٧٩ - الأسود بن يزيد بن قيس بن عبد الله (١)

يكنى : « أبا عمرو » ، وهو ابن أخي علقمة بن قيس ، وهو أكبر من علقمة .

عن منصور عن إبراهيم قال : كان الأسود يختم القرآن في رمضان في كل ليلتين ، وكان ينام بين المغرب والعشاء ، وكان يختم القرآن في غير رمضان ، في كل ست ليال.

عن أبي إسحاق قال : حجّ الأسود ثمانين من بين حجّ وعُمرة .

عن عبد الرحمن بن ثروان الأودي قال : كان الأسود بن يزيد يجهد نفسه في الصوم والعبادة حتى يخضرّ جسده ويصفّر : وكان علقمة يقول له : ويحك لِم تعذّب هذا الجسد؟ فيقول : إن الأمر جدّ ، إن الأمر جدّ .

عن علقمة بن مرثد قال : انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين ، منهم الأسود بن زيد.

(١) انظر : سير الأعلام (٤/ ٥٠) .

وكان يجتهد في العبادة ، ويصوم حتى يصفّر ويخضّر . فلما احتضر بكى . فقيل له : ما هذا الجزع ؟ فقال : لا أجزع ؟ ومن أحق بذلك مني ؟ والله لو أُتيت بالمغفرة من الله عز وجل لأهمّني الحياء منه بما قد صنعت ، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنْب الصغير فيعفو عنه ولا يزال مستحياً منه قال: لقد حج الأسود ثمانين حجة .

حنش بن الحارث قال : رأيت الأسود وقد ذهبت إحدى عينيه من الصوم .

عمارة قال : ما كان الأسود إلا راهباً من الرهبان .

عن الحكم قال : كان الأسود يصوم الدهر .

أسند الأسود عن : أبي بكر ، وعلي ، وابن مسعود ، ومعاذ ، وأبي موسى ، وسلمان ، وعائشة ولم يورد عن عثمان شيئا . وتوفي بالكوفة في سنة خمس وسبعين .

- مَسْروق بن الأجدع بن مالك أبو عائشة الهمداني ١١ ٣٨٠ (١)

سُرِق وهو صغير ثم وُجد فسمي مسروقاً . وأسلم أبوه « الأجدع » ولقي مسروقاً «عمر ابن الخطاب » فقال له : ما اسمك ؟ فقال مسروق بن الأجدع . فقال : الأجدع شيطان، أنت مسروق بن عبد الرحمن . فثبت ذلك عليه .

عن مسروق قال : بحسْب المؤمن من الجهل أن يُعجب بعمله ، وبحسب المؤمن من العلم أن يخشى الله .

عن مسروق قال : إذا بلغ أحدكم أربعين سنة فليأخذ حِذْره من الله عز وجل (٢) .

عن إسماعيل بن أمية قال : قيل لمسروق : لو أنك قصرت عن بعض ما تصنع - أي من العبادة - فقال : والله لو أتاني آت فأخبرني أن الله لا يعذبني لاجتهدتُ في العبادة.

قيل : وكيف ذلك ؟ قال : حتى تعذرني نفسي إن دخلت جهنم لا ألومها ، أما بلغك في قوله عز وجل : ﴿ **ولا أُقسمُ بالنّفس اللوّامة** ﴾ (٣) إنما لاموا أنفسهم حين صاروا إلى جهنم ، واعتقبتهم الزبانية ، وحيل بينهم وبين ما يشتهون ، وانقطعت عنهم الأماني ، ورُفعت عنهم الرحمة ، وأقبل كل امرئ منهم يلوم نفسه .

عن أبي إسحاق قال : حج مسروق فلم ينم إلا ساجداً على وجهه حتى رجع .

عن أنس وابن سيرين : إن امرأة مسروق قالت : كان يصلّي حتى تورَّم قدماه ، فربما جلست خلفه أبكي مما أراه يصنع بنفسه .

---

(١) انظر : المصدر السابق (٤/ ٦٣) ، والحلية (٢/ ٩٥) .

(٢) انظر : فتح الباري (١٢/ ٢٣٤) .

(٣) سورة القيامة آية : ٢ .

عن إبراهيم قال : كان مسروق يُرخي الستر بينه وبين أهله ثم يقبل على صلاته ويخليهم ودنياهم .

عن مسلم وغيره ، عن مسروق قال : إني أحسن ما أكون ظنّا حين يقول الخادم ليس في البيت قفيز ولا درهم (١) .

عن مسلم عن مسروق قال : إن المرء لحقيق أن يكون له مجالس يخلو فيها يتذكر ذنوبه يستغفر منها .

عن علقمة بن مرثد قال: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين - منهم مسروق بن الأجدع - فإن امرأته قالت : ما كان إلا وساقاه قد انتفخنا من طول الصلاة فلما احتضر بكى ، فقيل له : ما هدا الجزع ؟ قال : ما لي لا أجزع وإنما هي ساعة ولا أدري أين يُسلك بي؟ بين يديّ طريقان لا أدري إلى الجنة أم إلى النار ؟

عن الشعبي قال : غُشي على مسروق في يوم صائف وهو صائم ، فقالت له ابنته : أفطر . قال : ما أردت بي ؟ قالت : الرفْقَ . قال : يا بنيّة إنما أطلب الرفق لنفسي في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة .

أسند مسروق عن: عمر ، وعليّ ، وابن مسعود ، وخبّاب ، وزيد بن ثابت ، والمغيرة، وعبد الله بن عمرو، وعائشة ، ولم يسند عن عثمان شيئاً ولكنه قد رآه ورأى أبا بكر أيضًا.

وكان علي بن المديني يقول : لا أقدم على مسروق أحدا من أصحاب ابن مسعود ومات مسروق بالكوفة في سنة ثلاث وستين .

٣٨١ ـ علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك النخعي (٢)

يكنى : « أبا شبل » ، وهو عم الأسود بن يزيد ، وخال إبراهيم التيمي .

قال أبو ظبيان : أدركت ما شاء الله من أصحاب النبي ﷺ يسألون علقمة ويستفتونه.

عن إبراهيم بن علقمة قال : كان عبد الله يشبه النبي ﷺ في هديه ودله وسمته وكان علقمة يشبّه بعبد الله .

قال مرّة بن شراحيل : كان علقمة من الربانيين .

عن إبراهيم قال : كان علقمة يختم القرآن في كل خمس .

---

(١) وقال الإمام على بن أبى طالب : لا يصل العبد حقيقة اليقين بالله حتى يكون مما فى يد الله أوثق مما فى يديه . ا هـ . أو نحو ذلك .

(٢) انظر : الحلية (٢/ ٩٨) ، وسير الأعلام (٤/ ٥٣) .

عن المسيب بن رافع قال : قيل لعلقمة : لو جلست فأقرأت الناس القرآن وحدّثتهم قال : أكره أن تُوطأ عقبى وأن يقال : هذا علقمة ، وكان يكون في بيته يعلف غنمه ويقتُّ لهن .

عن مالك بن الحارث قال : قيل لعلقمة : ألا تخرج فتحدث الناس ؟ قال : أخرج؟! يتبعون عقبي ويقولون : هذا علقمة . قالوا : أفلا تدخل على السلطان فتنتفع ؟ قال : إني لا أصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من ديني مثْله .

عن إبراهيم عن علقمة قال : لا تنعونى كنعى أهل الجاهلية ولا تؤذنوا بى أحدا وأغلقوا الباب ولا تتبعنى امرأة ولا تتبعوني بنار ، وإن استطعتم أن يكون آخر كلامي لا إله إلا الله .

قال المؤلف :أسند علقمة عن : عُمر ، وعثمان ، وعلي ، وابن مسعود ، وحذيفة ، وأبي موسى ، وخباب بن الأرتّ ، وسلمان وأبي مسعود ، وعائشة . وتوفي بالكوفة سنة إحدى وستين ، وقيل سنة اثنتين وستين ، . وقيل ثلاث وستين ، وقيل اثنتين وسبعين ، وقيل ثلاثٍ وسبعين ، وله تسعون سنة ، رحمه الله .

٣٨٢ ـ شقَيق بن سلمة الأسدى

يكنى : « أبا وائل » (١)

عن عاصم : أن أبا وائل كان له خصٌّ من قصب ، وكان يكون فيه هو وفرسه فإذا غزا نقضه وتصدّق به وإذا رجع أنشأ بناءه .

عن عاصم قال : ما رأيت أبا وائل يلتفت في صلاة ولا في غيرها قط .

عن إبراهيم قال : ما من قرية إلا وفيها من يدفع عن أهلها به ، وإني لأرجو أن يكون أبو وائل منهم .

سعيد بن صالح قال : رأيت أبا وائل يسمع النّوح ويبكى .

عن الأعمش ، عن أبي وائل قال : إن أهل بيت يضعون على مائدتهم رغيفاً حلالاً لأهلُ بيتٍ غُرباءُ .

عن مغيرة قال : كان إبراهيم التيمي يُذكر في منزل أبي وائل ، فكان أبو وائل ينتفض انتفاض الطير .

عن عاصم قال : كان أبو وائل إذا خلا يسبّح ، ولو جعلت له الدنيا على أن يفعل ذلك وأحدٌ يراه لم يفعل .

---

(١) انظر : سير الأعلام (٤/ ١٦١) ، والحلية (٤/ ١٠١) .

عمرو بن قيس قال : كان شقيق بن سلمة يدخل المسجد يصلّي ثم ينشج كما تنشج المرأة .

عن عاصم بن أبي النجود قال : كان عطاء أبي وائل ألفين فإذا خرج أمسك ما يكفي أهله سنة وتصدّق بما سوى ذلك .

عن عاصم قال : سمعت شقيق بن سلمة يقول وهو ساجد : ربّ اغفر لي ربِّ اعفُ عني ، إن تعف عني تطولاً من فضلك ، وإن تعذّبني تعذبني غير ظالم لي . قال : ثم يبكي حتى أسمع نحيبه من وراء المسجد .

قال المؤلف : أدرك أبو وائل زمان رسول الله ﷺ ولم يَلْقه ، وسمع عن : عمر ، وعثمان ، وعلي ، وعبد الله بن مسعود ، وعمارة ، وخبّاب ، وأبي موسى ، وأسامة بن زيد ، وحذيفة ، وابن عمر ، وأبي مسعود ، وسلمان ، وأبي الدرداء ، والبراء ، والمغيرة ابن شعبة ، وأبي هريرة ، وجرير ، وكعب بن عجرة ، وسهل بن حنيف ، وقيس بن أبي غرزة ، وابن عباس ، وابن الزبير ، وعائشة ، وأم سلمة .

قال سعيد بن صالح : كان أبو وائل يؤمّ جنائزنا وهو ابن مائة وخمسين سنة ، قال الفضل بن دكين : توفي أبو وائل في زمن الحجاج بعد الجماجم [1] .

٣٨٣ ـ زيد بن وهب الجهني – أحد بني حسْل بن نصر بن مالك يكنى : « أبا سليمان » [2]

عبد الله بن داود قال : خبّرتنا مولاة لزيد بن وهب قالت : كان زيد قد أثرّ الرَّحلُ بوجهه من الحجّ العمرة .

قال المصنف : رحل زيد إلى رسول الله ﷺ فقُبض رسول الله ، وزيد في الطريق .

وروى عن عمر وعليّ وابن مسعود وكبار الصحابة وتوفي بعد الجماجم .

٣٨٤ ـ يزيد بن شريك التميمي ١٤ وهو : « أبو إبراهيم »

عن ليث بن أبي سليم ، عن إبراهيم التميمي عن أبيه قال : قدْمتُ البصرة فربحت فيها عشرين ألفاً فما أكثرت بها فرحاً ، وما أريد أن أعود إليها لأني سمعت أبا ذر يقول: إن صاحب الدرهم يوم القيامة أخفّ من صاحب الدرهمين .

---

(١) دير الجماجم : معركة جرت بين أصحاب الحجاج ، وعبد الرحمن بن الأشعث بسجستان سنة (٨٤ هـ) .

(٢) الحلية (٤/ ١٧١) ، وسير الأعلام (٤/ ١٩٦) .

عن الأعمش ، عن إبراهيم التميمي ، عن أبيه أنه خرج إلى البصرة فاشترى رفيقاً بأربعة آلاف ، ثم باعها فربح أربعة آلاف . فقلت : يا أبت لو أنك عدت إلى البصرة فاشتريت مثل هؤلاء فربحت فيهم . فقال : يا بني لم تقول هذا ؟ فوالله ما فرحت بها حين أصبتها ولا أحدث نفسي أن أرجع فأصيب مثلها .

روى يزيد عن : عمر ، وعليّ ، وسعد بن أبي وقاص ، وابن مسعود ، في خلقْ كثير .

٣٨٥ ـ زرّ بن حبيش الأسدي
يكنى : « أبا مريم »

عن عاصم بن أبي النجود قال : أدركت أقواماً كانوا يتخذون هذا الليل جملاً [١] منهم : زرِّ ، وأبو وائل .

عن سويد الكلبي : أن زر بن حبيش كتب إلى عبد الملك بن مروان كتاباً يعظه فيه ، فكان في آخر كتابه : ولا يُطمعنّك يا أمير المؤمنين في طول الحياة ما يظهر من صحة بدنك ، فأنت أعلم بنفسك ، واذكر ما تكلّم به الأولون :

إذا الرجال ولـــدت أولادهـــا   وليتْ منْ كبـــرٍ أسـجادُها
وجعلـــت أسقامـــها تعتادها   فذلك زُروع قد دنا حصادها

فلما قرأ الكتاب بكى حتى بلّ طرف ثوبه ، ثم قال : صدق زرّ ولو كتب إلينا بغير هذ كان أرفق .

عن إسماعيل بن أبي خالد قال : افتضّ زر بن حبيش جارية وهو ابن عشرين ومائة سنة .

قال المؤلف : أسند زرّ عن : عمر ، وعلي ، وابن عوف ، وابن مسعود ، وأبيّ بن كعب ، وحذيفة ، وصفوان بن عسال . وتوفي وهو ابن اثنتين وعشرين ومائة .

٣٨٦ ـ عمرو بن شرحبيل ، أبو ميسرة [٢]

عن زبيد سمعت أبا وائل يقول : ما رأيت همدانياً أحبّ إليّ أن أكون في مسلاخه من أبي ميسرة قيل : ولا مسروق ؟ قال : ولا مسروق .

---

(١) شبه الليل بالجمل الذى يحمل المسافر ، فالليل مطية العابد بعبادته فى سفره إلى الله . وانظر : سير الأعلام (٤/ ١٧٠) ، والحلية (٤/ ٣٥٨) .
(٢) انظر : الحلية (٤/ ١٤١) ، وسير الأعلام (٤/ ١٣٥) .

عن فُضيل بن غزوان ، عن امرأة عمرو بن شرحبيل قالت : كان عمرو إذا آوى إلى فراشه قال : وددتُ أني لم أكُ شيئاً قطّ .

قال المؤلف : أسند عن : عُمر بن الخطاب ، وابن مسعود ، وخبّاب بن الأرتّ ، وغيرهم .

٣٨٧ ـ عبد الله بن أبي الهذيل(١)

يكنى : « أبا المغيرة »

عن أبي فروة : كنا نجالس عبد الله بن أبي الهذيل ، فإذا جاء إنسان فألقى حديثا من حديث الناس قال : يا عبد الله ليس لهذا جلسنا .

عن خالد أبي سنان قال : شكا عبد الله بن أبي الهذيل يوماً من ذنوبه ، فقال له رجل: يا أبا المغيرة أو لست التقيّ النقيّ ؟ فقال : اللهم إن عبدك هذا أراد أن يتقرّب إليّ وإني أشهدك على مقْته .

عن العوام بن حوشب عن ابن أبي الهذيل قال : لقد شغلت النار من يعقل عن ذكر الجنة .

عن العوام بن حوشب قال : ما رأيت ابن أبي الهذيل إلا وكأنه مذعور .

قال المؤلف : أسند عبد الله بن أبي الهذيل عن : أبي بكر ، وعمر ، وعلي ، وعبد الله بن مسعود ، إلا أنه أرسل الحديث عنهم وسمع من : عمار ، وخبّاب بن الأرتّ ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وأبي هريرة ، وجرير ، وابن عباس ، وعبد الرحمن ابن أبزي .

٣٨٨ – مرُة بن شراحيل الهمداني(٢)

ويقال له مُرَّة الطيب ، سُمّي بذلك لعبادته .

حصين قال : أتينا مرة بن شراحيل الطيب نسأل عنه فقالوا : إنه في غُرفة له قد تعبّد اثنتي عشرة سنة . فدخلنا عليه .

عن زبيد اليامي قال : كان مُرّة الهمداني يصلّي في اليوم والليلة ستمائة ركعة .

عن عطاء بن السائب قال : كان مُرة يصلي كل يوم وليلة ألف ركعة فلما ثَقُل وبدُن صلى أربعمائة ركعة وكنت أنظر إلى مباركه كأنها مبارك الإبل .

---

(١) انظر : الحلية (٤/ ٣٥٨) ، وسير الأعلام (٤/ ١٧٠) .

(٢) انظر : الحلية (٤/ ١٦١) ، وسير الأعلام (٤/ ٧٤) .

العلاء بن عبد الكريم الأيامي قال : كنا نأتي مُرّة الهمداني فيخرج إلينا فنرى أثر السجود في جبهته وكفيه وركبتيه وقدميه ، فيجلس معنا هُنَيّة ثم يقوم قائماً فإنما هو ركوع وسجود .

قال المؤلف : أسند مُرّة عن : أبي بكر ، وعمر ، وعليّ ، وابن مسعود ، وغيرهم .

الحارث الغنوى قال : سجد مُرّة الهمداني ، حتى أكل الترابُ جبهته ، فلما مات رآه رجل من أهله في منامه كأن موضع سجوده كهيئة الكوكب الدُرّي يلمع قال : فقلت له : ما هذا الذي أرى بوجهك ؟ قال : كُسِي موضع السجود ، بأكل التراب له نوراً . قال : فما منزلتك في الآخرة ؟ قال :خير منزلة . دار لا ينقل عنها أهلها ولا يموتون .

٣٨٩ ـ عمرو بن ميمون الأودي[١]

عن إسحاق قال : كان عمرو بن مبمون إذا دخل المسجد فرُئي ذكر الله عزّ وجل .

عن أبي إسحاق : أن عمرو بن ميمون حج مائة حجة وعمرة ، كذا رواه إسرائيل ، ورواه شعبة عن أبي إسحاق : أنه حج ستين حجة وعمرة .

قال أبو المليح : قال عمرو بن ميمون : ما يسرني أن أمري يوم القيامة إلى أبوي .

قال المصنف : أسند عمرو عن : عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وابن مسعود، ومعاذ بن جبل ، وأبي أيوب ، وأبي مسعود عقبة بن عمرو ، وعبد الله بن عمرو، وأبي هريرة ، وابن عباس ، وآخرين .

توفي سنة أربع - أو خمس - وسبعين ، في أول خلافة عبد الملك .

٣٩٠ ـ همام بن الحارث النخعي[٢]

عن إبراهيم عن همام بن الحارث أنه كان يدعو : اللهم اشْفني من النوم باليسير ، وارزقني سهراً في طاعتك . وكان لا ينام إلا هنيّةً وهو قاعد .

عن إبراهيم قال : أصبح همام مترجّلاً [٣] فقال بعض القوم : إن جمّة [٤] همام لتخبركم أنه لم يتوسدها الليلة .

عن الأعمش قال : كانوا يأتون همام بن الحارث يتعلمون في هدْيه وسمْته .

---

(١) انظر : الحلية (٤/١٤٨) ، وسير الأعلام (٤/١٥٨) .
(٢) انظر : الحلية (٤/١٧٨) ، وسير الأعلام (٤/ ٢٨٣) .
(٣) رجل الشعر : سواه وزينه .
(٤) الجمة : مجتمع شعر الناصية ، وما ترامى من شعر الرأس على المنكبين ، واللمة : هو شعر الرأس يصل إلى ما تحت الأذنين ، ودون المنكبين .

قال المؤلف : أسند همام عن : عمر ، وابن مسعود ، وحذيفة ، وأبي مسعود ، وأبي الدرداء ، وعدي بن حاتم ، وجرير ، وعائشة . وتوفي بالكوفة في ولاية الحجاج .

٣٩١ ـ ربعى بن حراش بن جحش الغطفانى[١]

عبد الله العجلي قال : حدثني أبي قال : إن ربعيّ بن حراش لم يكذب كذبةً قطّ وكان له ابنان عاصيان على الحجّاج ، فقيل للحجّاج : إن أباهما لم يكذب كذبة قطّ ، لو أرسلت إليه فسألته عنهما . قال : أين ابناك ؟ قال : هما في البيت . قال : قد عفونا عنهما بصدْقك .

عن الحارث الغنوى قال : آلى ربعيّ بن حراش أن لا يضحك حتى يعلم في الجنة هو أو في النار ؟

قال الحارث الغنوى : فلقد أخبرني غاسله أنه لم يزل متبسماً على سريره ونحن نغسله حتى فرغنا من غسله .

قال المؤلف : أسند ربعي عن : عمر ، وعلي ، وحذيفة ، وأبي بكر ، وعمران بن حصين .

قال أبو نعيم - الفضل بن دكين [٢] : وتوفي سنة إحدى ومائة ، وقال المدائني : سنة أربعٍ ومائة ، وكذلك قال يحيى بن معين .

٣٩٢ ـ أخو ربعيّ بن حراش ولم يُسَمَّ لنا

عن عبد الملك بن عمير ، عن ربعي بن حراش قال : كنا إخوةً ثلاثة ، وكان أعبدنا وأصْومنا وأفضلنا الأوسط منا . فغبتُ غيبةً إلى السواد . ثم قدمتُ على أهلي فقالوا : أدركْ أخاك فإنه في الموت . فخرجت أسعى إليه فانتهيت إليه وقد قضى وسُجّيَ بثوبٍ ، فقعدت عند رأسه أبكيه ، فرفع يده فكشف الثوب عن وجهه وقال : السلام عليكم .

قلت : أي أخي أحياة بعد موت ؟ قال : نعم . إني لقيت ربي فلقيني بِرَوْح وريحان ، وربّ غير غضبان ، وأنه كساني ثيابًا خُضْراً من سندس واستبرق ، وإني وجدت الأمر أيسر مما تحسبون ، ثلاثاً ، وإني لقيت رسول الله ﷺ فأقسم أن لا أبرح حتى آتيه . فعجلّوا جهازي . ثم طَفِيء [٣] ، فكأنه أسرعُ من حصاة لو أُلقيتْ في ماء .

---

(١) انظر : الحلية (٤/٣٦٧) ، وسير الأعلام (٤/٣٥٩) .
(٢) أبو نعيم فى الحلية (٤/٣٦٨) .
(٣) بمعنى : أنه قد مات .

٣٩٣ - زياد بن حدير الأسدي
يكنى : « أبا المغيرة » - وقيل : « أبا عبد الرحمن »

عن حفص بن حميد قال : كان الرجل يأتي زياد بن حدير فيقول له: إني أريد رستاق كذا وكذا . فيقول له : اقطع طريقك بذكر الله .

عن أبي صخرة عن زياد بن حدير قال : وددت أني في حيّز من حديد معي فيه مايصلحني لا أكلم الناس ولا يكلموني حتى ألقى الله .

روى زياد عن : علي ، وعمر ، وابن مسعود .

٣٩٤ - شريح بن الحارث بن قيس القاضي
يكنى : « أبا أمية » ، ولاّه عُمر الكوفة

عن ابن عون ، عن إبراهيم عن شريح ، قال : سيعلم الظالمون حظ من نقصوا ، إن الظالم ينتظر العقاب ، والمظلوم ينتظر النصر (١) .

عن ابن سيرين قال : سمعت شريحاً يحلف بالله ما ترك عبد شيئاً لله فوجد فقْدَه .

قال ابن سيرين : ولا أرى شُريحاً حلف إلا على علْم .

عن الأعمش قال : اشتكى شريح رجْله فطلاها بالعسل وجلس في الشمس ، فدخل عليه عُوّاده فقالوا : كيف تجدك ؟ قال : صالحاً . فقالوا : ألا أريتها الطبيب ؟ فقال : قد فعلت . فقالوا : فما قال لك ؟ قال : وعد خيراً .

عن إبراهيم عن شريح : أنه قضىَ على رجل باعترافه ، فقال : يا أبا أمية قضيت عليّ بغير بيّنة ؟! فقال : أخبرني ابن أخت خالك .

عن ميسرة عن شريح أنه افتقد ابناً له ، فبعث في طلبه فقال لطالبه : أين أصبته ؟ فقال: كان يهارش بالكلاب ، فقال : صلّيت ؟ قال : لا . فقال للرسول : اذهب به إلى المؤدّب وقال :

تـرك الصلاة لأكْلُب يسعى لها ... طَلَبَ الهِراش مع الغواة النُّجْس
فـإذا أتاك فعضّـه بمـلامة ... وعظْنـه موعظة الأديـب الكيّس
وإذا همـمت بضـربه فبـدرّةٍ ... وإذا ضـربت بها ثلاثاً فاحبـس
واعـلم بأنـك مـا أتيت فنفسه ... مع ما يجـرّعني ، أعز الأنفُس

---

(١) فى الحديث القدسى يقول الله تعالى للمظلوم إذا دعاه : « وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين » .

عن عامر : أن ابناً لشريح قال لأبيه : بيني وبين قوم خصومة فانظر فإن كان الحقّ لي خاصمتُهم وإن لم يكن لي الحق لم أخاصمهم ، فقص قصته عليه فقال : انطلق فخاصمْهم فانطلق فخاصمهم إليه فقضى على ابنه . فقال له لما رجع إلى أهله : والله لو لم أتقدم إليك لم أَلُمْكَ ، فضحتني . فقال : والله يا بني لأنت أحبّ إليّ من ملء الأرض مثلهم ، ولكن الله هو أعز عليّ منك ، أن أخبرك أن القضاء عليك فتصالحهم فتذهب ببعض حقّهم .

عن الشعبي قال : شهدتُ شُريحاً وجاءته امرأة تخاصم رجلاً فأرسلت عينيها وبكت فقلت : يا أبا أمية ما أظنها إلا مظلومة . فقال : يا شعبي إن إخوة يوسف جَاءُوا أباهم عِشاءً يبكون .

عن الأعمش قال : سمعتهم يذكرون عن شريح أنه رأى جيراناً له يجولون فقال : ما لكم؟ قالوا : فرغنا اليوم . فقال : ما بهذا أُمر الفارغ (١) .

عن أبي حيان التيميّ قال : أن أبي قال : كان شريح إذا مات لأهله سِنّور أمر بها فألقيت في جوف داره ولم يكن لها مَثْقَب شارع إلا في جوف داره اتقاءً لأذى المسلمين .

قال أبو نعيم : خرج شريح من عند زياد فلقيه رجل فقال : كبرت سنّك ورَقّ عظمك وارتشى ابنك . قال : فرجع إليه فأخبره فقال : من قال لك ؟ قال : لا أعرفه فاعفني . قال : لا أعفيك حتى تشير عليّ برجل . فأشار عليه بأبي بردة فولاّه القضاء .

قال المؤلف : أسند شريح عن : عمر بن الخطاب ، وعليّ بن أبي طالب ، وغيرهما ، وتوفي سنة ست وسبعين - وقيل ثمانٍ وسبعين ، وقد بلغ مائة وثمان سنين .

٣٩٥ ـ شبيل بن عوف بن أبي حية (٢)

« أبو الطفيل الأحمسى » - من بجيلة - أدرك الجاهلية

عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن شبيل بن عوف قال : ما اغبرّت رجلاي في طلب دنيا قطّ .

قال المؤلف : أسند شبيل عن : عمر بن الخطاب ، وزيد بن أرقم ، وغيرهما .

٣٩٦ ـ سويد بن شُعبة اليربوعى

من بني تميم وكان من الذين اختطوا الكوفة أيام عمر بن الخطاب .

---

(١) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ فإذا فرغت فانصب ﴾ رجليك للعبادة والقيام فى الصلاة .
(٢) انظر : الحلية (٤/ ١٦٠) .

عن أبي حيان التيميّ عن أبيه قال : دخلت على سويد بن شعبة ، وكان من أصحاب الخطط الذين خطّ لهم عمر بن الخطاب بالكوفة فإذا هو منكبّ على وجهه مسجّى بثوب، فلولا أن امرأته قالت : أهلي فداؤك ، ما نُطعمك ؟ ما نسقيك ؟ ما ظننت أن تحت الثوب شيئا ، فلما رآني قال : يا ابن أخي دبرت الحراقف والصلب فما من ضجعة غير ما ترى ، والله ما أحب أني نقصت منه قُلامة ظُفْر .

قال الأصمعي : الحَرْقفة : مجتمع رأس الورك ورأس الفخذين .

٣٩٧ ـ معضد بن يزيد العجليّ (١)

يُكنى : « أبا ذر»

عن بلال بن سعد عن معضد قال : لولا ثلاثٌ : ظمأ الهواجر ، وطول ليل الشتاء ، ولذاذة التهجّد بكتاب الله عز وجل ، ما باليت أن أكون يعسوباً (٢) .

عن إبراهيم ، عن همام قال : انتهيت إلى معضد وهو ساجد ، فأتيته وهو يقول اللهم اشْفني من النوم باليسير . ثم مضى في صلاته .

قال المؤلف : لم يُحفظ لمعضد حديث مسند ، وإنما كان مشغولاً بالتعبّد .

٣٩٨ ـ أُوَيْس بن عامر بن جرير بن مالك القرني (٣)

وقال علقمة بن مرثد : أويس بن أنيس : وقيل أويس بن الحليس .

عن أُسَيْر بن جابر قال : كان عمر بن الخطاب إذا أتت عليه أمداد أهل اليمن سألهم: هل فيكم أويس بن عامر ؟ حتى أتى على أويس فقال : أنت أويس بن عامر ؟

قال : نعم .

قال : من مراد ثم قَرَن ؟ قال : نعم . قال : كان بك (٤) برص فبرأت منه إلا موضع درهم ؟ قال نعم قال : لك والدة ؟ قال نعم . قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «يأت عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن (٥) من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم ، وله والدة هو بها بارٌ لو أقسم على الله عز وجل لأبرّه، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعـل » . فاستغفرْ لي . فاستغفر له . فقال عمر رضي الله عنه: أين تريد؟ قال : الكوفة . فقال : ألا أكتب لك إلى عاملها فيستوصى بك قال :

---

(١) انظر : الحلية (٤/١٥٩) . (٢) اليعسوب : أمير النحل وذكرها .
(٣) انظر : الحلية (٢/٩٧) ، وسير الأعلام (٤/١٩) .
(٤) فى نسخة « كان فيك » .
(٥) الأمداد : هم الجماعة الغزاة الذين يمدون الجيش فى الغزو واحدهم « مدد » .

لأن أكون في غُبْر الناس أحبّ إليّ . قال : فلما كان من العام المقبل حجّ رجل من أشرافهم فوافق عمر فسأله عن أويس : كيف تركته ؟ قال : تركته رثّ الهيئة قليل المتاع. فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « يأتي عليك أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن ، كان به برص فبرأ إلا موضع درهم ، له والدة هو بها بارٌ لو أقسم على الله عز وجل لأبرّه ، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعلْ » . فلما قدم الكوفة أتى أويساً فقال : استغفر لي . فقال : أنت أحدث عهداً بسفر صالح، فاستغفر لي ، لقيت عمر ؟ قال : نعم . فاستغفر له . ففطن له الناس فانطلق على وجهه . قال أُسَيْر: وكسوتُه برداً فكان إذا رآه إنسان عليه قال : من أين لأويس هذا البُرد ؟

انفرد بإخراج هذا الحديث مسلم [1] .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل يحبّ من خلْقه الأصفياء الأخفياء الأبرياء الشعثة رؤوسهم المغْبرة وجوههم ، الخمصة بطونهم ، الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم ، وإن خطبوا المتنعّمات لم يُنكحوا ، وإن غابوا لم يُفتقدوا ، وإن طلعوا لم يفرح بطلعتهم ، وإن مرضوا لم يُعادوا ، وإن ماتوا لم يُشهدوا». قالوا : يارسول الله كيف لنا برجل منهم ؟ قال : « ذاك أويس القرني » . قالوا : وما أويس القرني؟ قال : « أشهل ذو صُهوبة ، بعيد ما بين المنكبين معتدل القامة آدم شديد الأدمة ضارب بذقنه إلى صدره ، رام ببصره إلى موضع سجوده ، واضعٌ يمينه على شماله يتلو القرآن ، يبكي على نفسه ، ذو طِمْرين لا يؤبَهُ له متّزرٌ بإزار صوف ورداء صوف ، مجهولٌ في أهل الأرض ، معروف في السماء ، لو أقسم على الله لأبرّ قسمه ، ألا وإن تحت منكبه الأيسر لمعةً بيضاء ، ألا وإنه إذا كان يوم القيامة قيل للعباد: ادخلوا الجنة ، ويقال لأويس: قف فاشفع ، فيشفعه الله عز وجل في مثل ربيعة ومضر. يا عمر ، يا عليّ إذا أنتما لقيتماه فاطلبا إليه أن يستغفر لكما يغفر الله لكما » . قال : فمكثا يطلبانه عشر سنين لا يقدران عليه . فلما كان في آخر السنة التي هلك فيها عمر قام على أبي قُبيس فنادى بأعلى صوته : يا أهل الحجيج من اليمن أفيكم أويس؟ فقام شيخ كبير طويل اللحية فقال : إنا لا ندري ما أويس ؟ ولكن ابن أخ لي يقال له أويس وهو أخمل ذكراً وأقل مالاً وأهون أمراً من أن نرفعه إليك ، وإنه ليرعى إبلنا ، حقيرٌ بين أظهرنا ، فعمّى عليه عمر كأنه لا يريده وقال : ابن أخيك هذا أيحرمنا هو ! قال نعم . قال : أين يُصاب ؟ قال : أراك عرفات .

---

(١) رواه مسلم فى كتاب « فضائل الصحابة » ، باب : من فضائل أويس القرنى رضى الله عنه حديث (٢٢٣ - ٢٢٥/٢٥٤٢) .

قال : فركب عمر وعليّ سراعاً إلى عرفات فإذا هو قائم يصلّي إلى شجرة والإبل حوله ترعى . فشدا خماريهما ثم أقبلا إليه فقالا : السلام عليك ورحمة الله فخفّف أويس الصلاة ثم قال : السلام عليكم ورحمة الله . قالا : من الرجل ؟ قال : راعي إبل وأجير قوم . قالا : لسنا نسألك عن الرعاية ولا عن الإجارة ما اسمك ؟ قال : عبد الله قالا قد علمنا أن أهل السماوات كلهم عبيد الله ما اسمك الذي سمّتك أمك ؟ قال : يا هذان ما تريدان إلى ؟ قالا : وصف لنا محمد ﷺ أويساً القرني فقد عرفنا الصهوبة والشهولة وأخبرنا أن تحت منكبك الأيسر لمعة بيضاء فأوضحْها لنا ، فإن كانت بك فأنت هو . فأوضح منكبه فإذا اللمعة فابتدراه يقبّلانه وقالا : نشهد أنك أويس القرني . فاستغفر لنا يغفر الله لك . قال : ما أخصّ باستغفاري نفسي ولا أحداً من ولد آدم ولكنه في البر والبحر من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات . يا هذان قد شهر الله لكما حالي وعرفكما أمري فمن أنتما ؟ قال علي عليه السلام : أما هذا فعمر أمير المؤمنين، وأما أنا فعليّ بن أبي طالب فاستوى أويس قائماً وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، وأنت يا عليّ بن أبي طالب ، فجزاكما الله عن هذه الأمة خيراً . قالا : وأنت فجزاك الله عن نفسك خيراً . فقال له عمر : مكانك يرحمك الله حتى أدخل مكة فآتيك بنفقة من عطائى وفضْل كسوةٍ من ثيابي ، هذا المكان ميعادٌ بيني وبينك . قال ميعاد بينى وبينك لا أراك بعد اليوم ، فعرّفني ما أصنع بالنفقة وما أصنع بالكسوة ؟ أما ترى عليّ إزاراً من صوف ورداء من صوف ؟ متى تراني أخرقهما ؟ أما ترى أن نعليّ مخصوفتان ؟ متى تراني أبليهما ؟ إني قد أخذت من رعايتي أربعة دراهم متى تراني آكلها؟ يا أمير المؤمنين إن بين يدي ويديك عقبة كؤوداً لا يجاوزها إلا ضامر مخفّ مهزول فأخفف رحمك الله . فلما سمع عمر ذلك ضرب بدرته الأرض ثم نادى بأعلى صوته : ألا ليت عمر لم تلده أمه ، يا ليتها كانت عاقراً لم تعالج حملها ، ألا من يأخذها بما فيها ولها ؟ ثم قال: يا أمير المؤمنين خذ أنت هاهنا حتى آخذ أنا هاهنا . فولّى عمر ناحية مكة وساق أويس إبله فوافى القوم بإبلهم وخلّى عن الرعاية وأقبل على العبادة حتى لحق بالله عز وجل .

عن علقمة بن مرثد قال : انتهى الزهد إلى ثمانية منهم أويس القرنى ، ظن أهله أنه مجنون فبنوا له بيتاً على باب دارهم، فكانت تأتي عليه السنة والسنون لا يرون له وجهاً، وكان طعامه مما يلتقط من النّوى فإذا أمسى باعه لإفطاره فإن أصاب حشفة حبسها لإفطاره .

فلما ولى عمر بن الخطاب قال بالموسم : أيها الناس قوموا . فقاموا . فقال : اجلسوا، إلاّ من كان من اليمن . فجلسوا فقال : اجلسوا إلا من كان من مُراد . فجلسوا. فقال اجلسوا إلا من كان من قرن . فجلسوا إلا رجلاً ، وكان عمّ أويس القرني . فقال له عمر:

أقرنّي أنت ؟ قال : نعم ، قال أتعرف أويساً ؟ قال : وما تسأل عن ذلك يا أمير المؤمنين ؟ فوالله ما فينا أحمقُ ولا أجنُّ ولا أحْوجُ منه . فبكى عمر ثم قال: بك لا به ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يدخل الجنة بشفاعته مثلُ ربيعة ومُضَر » .

قال هَرِم بن حيّان : فلما بلغني ذلك قدمت الكوفة فلم يكن لي هم إلا طلبه ، حتى سقطت عليه جالساً على شاطئ الفرات نصف النهار ، يتوضأ . فعرفته بالنعت الذي نُعت لي : فإذا رجل نحيل آدم شديد الأدمة أشعث محلوق الرأس مهيب المنظر ، فسلّمت عليه فردّ علي ونظر إليّ ، ومددت يدي لأصافحه فأبى أن يصافحني ، فقلت رحمك الله يا أويس وغفر لك ، كيف أنت ؟وحنقتني العبرة من حبي إياه ورقّتي عليه ، لما رأيت من حاله ، حتى بكيت وبكى .

قال : وأنت ، فحياك الله يا هرم بن حيان ، كيف أنت يا أخي ؟ من دلّك عليّ ؟ قلت : الله . قال : لا إله إلا الله ﴿ **سبحان ربّنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً** ﴾ (١) فقلت : ومن أين عرفت اسمي واسم أبي وما رأيتك قبل اليوم ولا رأيتني ؟ قال : نبأني العليم الخبير ، عرفت روحي روحك حين كلّمت نفسي نفسك ، إن المؤمنين يعرف بعضهم بعضاً ويتحابون بروح الله عز وجل ، وإن لم يلتقوا ، إن نأت بهم الدار وتفرّقت بهم المنازل .

قلت : حدثنى رحمك الله عن رسول الله ﷺ ؟ قال : إني لم أدرك رسول الله ﷺ ولم يكن لي معه صحبة بأبي وأمى رسول الله ، ولكنى قد رأيت رجالاً قد رأوه ولست أحب أن أفتح على نفسي هذ الباب ، أن أكون محدّثاً أو قاضياً أو مفتياً ، في نفسي شغلٌ عن الناس . فقلت : أيْ أخي اقرأ علي آيات من كتاب الله عز وجل أسمعها منك، وأوصني وصية أحفظها عنك ، فإني أحبك في الله . فأخذ بيدي فقال : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم قال ربي – وأحقُّ القول قولُ ربّي عز وجل ، وأصدق الحديث حديثُ ربيّ عز وجل – ثم قرأ : ﴿ **وما خلقنا السموات والأرض ومابينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحقّ** ﴾ إلى قوله ﴿ **العزيز الرّحيم** ﴾ (٢) فشهق شهقة فنظرت إليه وأنا أحسبه قد غُشي عليه . ثم قال : يا هرم بن حيان مات أبوك حيّان ويوشك أن تموت أنت فإمّا إلى الجنة وإما إلى النار ، ومات أبوك آدم وماتت أمك حواء يا ابن حيّان ، ومات نوح نبيّ الله ، ومات إبراهيم خليل الله ، ومات موسى نجيُّ الله ، ومات داود خليفة الرحمن ، ومات محمد ﷺ وعلى جميع الأنبياء ، ومات أبو بكر

---

(١) سورة الإسراء آية : ١٠٨ .

(٢) سورة الدخان آية : ٣٨ – ٤٢ .

خليفة رسول الله ، ومات أخي وصديقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه . فقلت له : يرحمك الله إن عمر لم يمت !

قال : بلى قد نعاه إلي ربي عز وجل ونعى إلي نفسي ، وأنا وأنت في الموتى . ثم صلى على النبي ﷺ ودعا بدعوات خفاف ثم قال : هذه وصيتي إياك : كتاب الله ونعي المرسلين ونعْي صالح المؤمنين ، فعليك بذكر الموت ولا يفارقنّ قلبك طرفة عين ما بقيت، وأنذر قومك إذا رجعت إليهم وانصح للأمة جميعاً ، وإياك أن تفارق الجماعة فتفارق دينك وأنت لا تعلم ، فتدخل النار ، وادع لي ولنفسك . ثم قال : اللهم إن هذا زعم أنه يحبّني فيك وزارني من أجلك فعرّفني وجهه في الجنة وأدخلْه علي دارك ، دار السلام، واحفظه ما دام حيّا ، وأرضه من الدنيا باليسير ، واجعله لما أعطيته من نعمك من الشاكرين واجْزه عني خيراً . ثم قال : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، لا أراك بعد اليوم إن شاء الله تعالى رحمك الله فإني أكره الشهرة ، والوحدة أحب إلي لأني كثيرُ الغمّ ما دمت مع هؤلاء الناس ، فلا تسأل عني ولا تطلبني ، واعلم أنك مني على بال وإن لم أرك وتراني، واذكرني وادعُ لي فإني سأدعو لك وأذكرك إن شاء الله ، فانطلق أنت هاهنا حتى آخذ أنا هاهنا . فحرصت على أن أمشي معه ساعة فأبى علي ففارقته أبكي ويبكي ، فجعلت أنظر إليه حتى دخل بعض السكك ، ثم سألت بعد ذلك وطلبته فلم أجد أحداً يخبرني عنه بشيء، وما أتت عليَّ جُمعة إلا وأراه في منامي مرة أو مرّتيْن .

عن أسير بن جابر أن أويساً القرني كان إذا حدّث يقع حديثُه في قلوبنا موقعاً ما يقع حديث غيره .

عن أسير بن جابر قال : كان محدّث بالكوفة يحدثنا ، فإذا فرغ من حديثه يقول : تفرّقوا . ويبقي رهط فيهم رجل يتكلم بكلام لا أسمع أحد يتكلم بكلامه فأحببته . ففقدتُه ، فقلت لأصحابي : هل تعرفون رجلاً كان يجالسنا ؟ فقال رجل من القوم : نعم أنا أعرفه وذاك أويس القرني . قلت : وتعرف منزله ؟ قال : نعم .

قال : انطلقت معه حتى جئت حُجرته فخرج إليّ فقلت : يا أخي ما حبسك عنا ؟ قال: العُرْي - وكان أصحابه يسخرون به ويؤذونه - قال : قلت : خذ هذا البُرْد فالبسْه. قال : لا تفعل فإنهم يؤذونني إذا رأوه . قال : فلم أزل به حتى لبسه . فخرج عليهم فقالوا: من ترون خدع عن بُرد هذا فجاء فوضعه ؟ فقال : أترى ؟ قال : فأتيت المجلس فقلت : ما تريدون من هذا الرجل ؟ قد آذيتموه ، الرجل يعرى مرة ويكتسي مرَّة. فأخذتُهم بلساني أخذاً شديداً . قال : فقُضي أن أهل الكوفة وفدوا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،

فوفد رجل ممن كان يسخر به ، فقال عمر : قدم علينا أويس فقلت : أنت أخي لا تفارقْني . فانملس منّي فأنبئت أنه قدم عليكم الكوفة . فأقبل ذلك الرجل حتى دخل عليه فقال : سمعت عمر يقول فيك كذا وكذا فاستغفر لي يا أويس . قال لا أفعل حتى تجعل لي عليك ألاّ تسخر بي فيما بعد ، وألا تذكر الذي سمعته عن عمر لأحد . قال أُسير : فما لبثنا أن فشا أمره بالكوفة فانملس [1] منهم فذهب .

عمرو بن مرّة قال : لمّا لقي عُمر أويساً وظهر عليه هرب فما رُئي حتى مات .

عن الشعبي قال : مرّ رجل من مُراد على أويس القرني فقال : كيف أصبحت ؟ قال: أصبحت أحمد الله عز وجل . قال : كيف الزمان عليك ؟ قال : كيف الزمان على رجل إن أصبح ظن أنه لا يُمسي ، وإن أمسى ظن أنه لا يصبح ؟ فمبشَّر بالجنة أو مبشَّر بالنار. يا أخا مُراد إن الموت وذكرُه لم يترك لمؤمن فرحاً ، وإن علْمه بحقوق الله لم يترك له فضة ولا ذهباً ، وإن قيامه لله بالحق لم يترك له صديقاً .

عمّار بن سيف الضبيّ قال : لحق رجل بأويس القرني فسمعه يقول : اللهم إني أعتذر إليك اليوم من كل كبد جائعة ، فإنه ليس في بيتي من الطعام إلا ما في بطني ، وليس في بيتي شي من الرياش إلاّ ما على ظهري . قال : وعلى ظهره خرْقة قد تردى بها وقال: فأتاه رجل فقال له : كيف أصبحت ؟ أو كيف أمسيت ؟ فقال : أصبحت أحب الله، وأمسيت أحمد الله ، وما تسأل عن حال رجل إذا هو أصبح ظن ألا يُمسي ، وإذا أمسى ظن أنه لا يُصبح ؟ إن الموت وذكره لم يدع لمؤمن فرحاً ، وإن حق الله في مال المسلم ، لم يدع له من ماله فضةً ولا ذهباً ، وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يدع للمؤمن صديقاً، نأمرهم بالمعروف فيشتمون أعراضنا ، ويجدون على ذلك أعواناً من الفاسقين ، حتى والله لقد رموني بالعظائم ، وأيْم الله لا أدع أن أقوم لله فيهم بحقّه، ثم أخذ الطريق.

عن قيس بن بشر بن عمرو ، عن أبيه قال : كسوت أويساً القرني ثوبين ، من العُرْي.

عن مغيرة قال : إن كان أويس القرني ليتصدق بثيابه حتى يجلس عُرياناً لا يجد ما يروح فيه إلى الجمعة .

عن أصبغ بن زيد قال : إنما منع أويساً أن يقدم على النبي ﷺ بره بأمّه .

عن أصبغ بن زيد قال : كان أويس القرني إذا أمسى يقول : هذه ليلة السجود فيسجد

---

(١) انملس : تخلص وأفلت .

حتى يصبح ، وكان إذا أمسى تصدق بما في بيته من الفضل من الطعام والثياب ، ثم يقول : اللهم من مات جوعاً فلا تؤاخذني به ، ومن مات عُريانا فلا تؤاخذني به .

الحسين بن عمرو قال : سمعت بِشْرًا يقول : بلغ من عُرْي أويس أنه جلس في قوصرة .

النضر بن إسماعيل قال : كان أويس القرني يلتقط الكسر من المزابل فيغسلها ويتصدق ببعضها ويأكل بعضها ، ويقول : اللّهم أني أبرأ إليك من كبدٍ جائع .

قال هرم بن حيان لأويس القرني : أوصني ؟! قال : توسدّ الموت إذا نمت ، واجعله نصب عينيك ، وإذا قمت فادع الله أن يصلح لك قلبك ونيّتك، فلن تعالج شيئاً أشدّ عليك منهما ، بيْنا قلبك معك ونيّتك إذا هو مُدبر ، وبيْنا هو مدْبر إذا هو مُقْبل ، ولا تنظر في صغر الخطيئة ولكن انظر إلى عظم من عصيت .

أبو عبد الله البناجي قال : زار هرمُ بن حيان أويسا ، فقال له هرم : يا أويس واصلنا بالزيارة . فقال أويس : قد وصلتك بما هو أنفع لك من الزيارة واللقاء : الدعاء بظهر الغيب ، لأن الزيارة واللقاء قد يعرض فيهما التزين والرِّياء .

قلت : كان أويس مشغولاً بالعبادة عن الرواية ، غير أنه قد أرسل الحديث عن النبي ﷺ .

حميد بن صالح قال : سمعت أويساً القرني يقول : قال رسول الله ﷺ « احفظوني في أصحابي ، فإن من أشراط الساعة أن يلعن آخر هذه الأمة أولها ، وعند ذلك يقع المقْت على الأرض وأهلها ، فمن أدرك ذلك فليضع سيفه على عاتقه ثم ليلْق ربه عز وجل شهيداً فإن لم يفعل فلا يلومنّ إلا نفسه » (١) .

قال المصنف : قد اختلف في وقت موته :

عن عبد الله بن سالم قال : غزونا أذربيجان زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعنا أويس القرني . فلما رجعنا مرض علينا فحملناه فلم يستمسك فمات ، فنزلنا فإذا قبر محفور وماء مسكوب وكفن وحنوط . فغسلناه وكفّناه وصلينا عليه . فقال بعضنا لبعض: لو رجعنا فعلّمنا قبره ، فرُحنا فإذا لا قبر ولا أثر .

قال المؤلف : وقد روي أنه عاش بعد ذلك طويلاً .

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : نادى رجل من أهل الشام يوم صفين : أفيكم أويس القرني ؟ قال : قلنا نعم ، وما تريد منه ؟ قال إني سمعت رسول الله ، يقول :

---

(١) رواه أبو نعيم فى الحلية (٢/ ٨٧) ، وانظر : المجمع (١٠/ ١٦) .

«أويس القرني خير التابعين بإحسان »[1] وعطف دابته فدخل مع أصحاب علي عليه السلام.

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : نادى منادٍ يوم صفين ، أفي القوم أويس القرني؟ فوجد في قتلى علي عليه السلام .

قال المؤلف : هذا هو الصحيح .

٣٩٩ ـ عبدة بن هلال الثقفي

عن عطاء بن السائب قال : قال عبدة بن هلال الثقفي : لله علي أن لا يشهد عليَّ ليلٌ بنومٍ ولا شمس بأكلٍ . قال : فأقسم عليه عمر بن الخطاب أن يُفطر العيدين .

٤٠٠ ـ الحارث بن سويد التيمي[2]

عن إبراهيم قال : كان الرجل يأتي الحارث بن سويد فيشتمه ، فإذا فرغ قال الحارث: ﴿فمنْ يعملْ مثقال ذرَّة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يرهْ ﴾[3] كفى هذا إحصاء .

عن أبي حيّان التيمي عن أبيه قال : صحب عبد الله بن مسعود من التيم سبعين رجلاً، وكان الحارث بن سويد من أعلاهم نفساً.

قال المؤلف : أسند الحارث عن : علي بن أبي طالب ، وابن مسعود ، وتوفي بالكوفة في آخر أيام ابن الزبير .

٤٠١ ـ أبو عبد الرحمن السلمي[4]

واسمه : عبد الله بن حبيب .

أبو إسحاق السبعي قال : أقرأ أبو عبد الرحمن السلمي القرآن في المسجد أربعين سنة.

عن شمر قال : أخذ بيدي أبو عبد الرحمن السلمي فقال : كيف قوّتك على الصلاة؟ فذكرت ما شاء الله أن أذكره ، فقال أبو عبد الرحمن : كنت مثلك أصلّي العشاء ، ثم أقوم أصلّي ، فأنا حين أصلي الفجر أنشط مني أوّل ما بدأت به .

عن أبي عبد الرحمن أنه كان يؤتى بالطعام إلى المسجد . ربما استقبلوه به في الطريق فيطعمه المساكين ، فيقولون : بارك الله فيكم . فيقول : وبارك الله فيكم . ويقول : قالت عائشة : إذا تصدّقتم فردّوا حتى يبقى لكم أجر ما تصدقتم .

---

(١) رواه الحاكم (٣/٤٠٢) ، وعند أحمد بلفظ « من خير التابعين » .
(٢) انظر : الحلية (٤/١٢٦) ، وسير الأعلام (٤/١٥٦) .
(٣) سورة الزلزلة آية : ٧ ، ٨ .
(٤) انظر : الحلية (٤/١٩١) ، وسير الأعلام (٤/٢٦٧) .

عن عطاء بن السائب قال : دخلنا على أبي عبد الرحمن في مرضه الذي مات فيه . قال : فذهب بعض القوم يرجيّه . فقال : أنا لا أرجو ربي وقد صمت له ثمانين رمضان.

قال المؤلف : أسند أبو عبد الرحمن عن : عمر ، وعثمان ، وعليّ ، وابن مسعود ، وأبي الدرداء وغيرهم ، وكان يُقرىء القرآن بالكوفة من خلافة عثمان إلى إمرة الحجاج ، وقدم المدائن في حياة حذيفة . وتوفي في سنة خمس ومائة وله تسعون سنة .

٤٠٢ ـ زاذان ، أبو عمرو مولى كندة [١]

سالم بن أبي حفصة ، عن زاذان ، أنه كان يبيع الثياب ، فإذا عرض الثوب ناول شر الطرفين .

عن زبيد قال : رأيت زاذان يصلي كأنه جذع قد حفر له . ابن نمير قال : قال زاذان يا رب إني جائع فسقط عليه من الرَوْزَنة رغيف مثل الرَّحا .

قال المصنف : أسند زاذان عن: علي عليه السلام ، وابن مسعود ، وابن عمر ، وجرير ، وسلمان ، والبراء بن عازب في آخرين . وتوفي بالكوفة أيام الحجاج بعد الجماجم .

٤٠٣ ـ الربيع بن خثيم الثوري[٢]

يكنى : « أبا يزيد » عن سعيد بن مسروق قال : قال عبد الله [٣] للربيع بن خثيم : لو رآك رسول الله ﷺ لأحبّك .

عن أبي عبيدة قال : كان عبد الله يقول للربيع : ما رأيتك إلا ذكرت المُخْبِتين .

وكان الربيع إذا أتى عبد الله لم يكن عليه إذن حتى يفرغ كل واحد منهما من صاحبه. وكان الربيع إذا جاء إلى باب عبد الله يقول للجارية من بالباب فتقول الجارية : ذاك الشيخ الأعمى .

عن حماد بن أبى سليمان قال : كان عبد الله بن مسعود إذا نظر إلى الربيع بن خثيم قال : مرحباً ثم قال : أبا يزيد لو رآك رسول الله لأحبك ولأوسع لك إلى جنبه . ثم يقول: ﴿ **وبشر المخْبتين** ﴾ [٤] .

عن علقمة بن مرثد قال : انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين ، منهم الربيع بن خثيم.

---

(١) انظر : الحلية (٤/ ١٩٩) ، وسير الأعلام (٤/ ٢٨٠) .
(٢) انظر : الحلية (٢/ ١٠٥) ، وسير الأعلام (٤/ ٢٥٨) .
(٣) يعنى : عبد الله بن مسعود – الصحابى الجليل رضى الله عنه .
(٤) سورة الحج آية : ٣٤ ، والإخبات : الخشوع .

وكان يقول : أما بعد فأعدّ زادك وخُذ في جهازك ، وكن وصيَّ نفسك .

وقيل له : ألا تذكر الناس ؟ فقال : ما أنا عن نفسي براضٍ فأتفرّغ من ذمها إلى أن أذّم الناس ، إن الناس خافوا الله في ذنوب الناس وأمنوه على ذنوبهم .

وقيل له - حين أصابه الفالج : لو تداويت . فقال : لقد عرفتُ أن الدواء حقٌ ولكني ذكرت عاداً وثمود وقروناً بين ذلك كثيراً كانت فيهم الأوجاع وكان لهم الأطباء ، فما بقي المداوي ولا المداوى .

أبو حيان ، عن أبيه قال : ما سمعت الربيع بن خثيم يذكر شيئاً من أمر الدنيا ، إلا أني سمعته يقول : كم للتيم مسجد .

عن إبراهيم التيمي قال : أخبرني من صحب الربيع بن خثيم عشرين عاماً ما سمع منه كلمةً تُعاب .

عن بكر بن ماعز قال : ما رُئي الربيع متطوعاً في مسجد قومه قطّ إلا مرةً واحدة .

سفيان قال : أخبرتني سُرّيّة الربيع بن خثيم قالت : كان عمل الربيع كلَّه سراً إن كان ليجيءُ الرجل وقد نشر المصحف فيغطّيه بثوبه .

عن منذر ، عن الربيع بن خثيم قال: كلّ ما لا يُبتغى به وجْهُ الله عز وجل يضمحلّ.

أبو حيان التيمي عن أبيه ، قال : ما سمعت الربيع بن خثيم يذكر شيئاً من أمر الدنيا قطّ.

أحمد بن عبد الله بن مسروق ، عن الربيع بن خثيم أنه سُرق له فرس أُعطي به عشرين ألفاً فقالوا له : ادْعُ الله عليه . فقال : اللهم إن كان غنياً فاغفر له ، وإن كان فقيراً فأغْنه.

عن سعيد بن مسروق قال : أصاب الربيع بن خثيم حجرٌ في رأسه فشجه ، فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول : اللهم اغفر له فإنه لم يتعمدني .

عن عيسى بن فروخ قال : كان الربيع بن خثيم إذا كان الليل ووجد غفلة الناس خرج إلى المقابر فيقول : يا أهل المقابر كنا وكنتم . فإذا أصبح فكأنه نُشر من قبر .

عن منذر الثوري قال : كان الربيع بن خثيم يقول السرائر التي تختفي على الناس وهي لله بوادٍ التمسوا دواءهنّ التمسوا دواءهن ثم يقول : وما دواءهن ؟ دواءهن أن تتوب فلا تعود .

روى عبد الملك ابن الأصبهاني ، عمّن حدثه عن الربيع بن خثيم أنه قال لأصحابه : تدرون ما الداء والدواء والشفاء ؟ قالوا : لا . قال : الدّاءُ الذّنوبُ ، والدواءُ الاستغفارُ ، والشفاءُ أن تتوب فلا تعود .

عن نُسَيْر قال : بتّ بالربيع ذات ليلة فقام يصلي فمر بهذه الآية ﴿ **أَمْ حسب الذين اجترحُوا السيئات** ﴾ [1] الآية فمكث ليلته حتى أصبح ، ما يجوز هذه الآية إلى غيرها ، ببكاء شديد .

حماد الأصم ، عمن حدثه عن بعض أصحاب الربيع قال : ربما علّمنا شعره عند المساء وكان ذا وفرة ثم يصبح والعلامة كما هي ، فنعلم أن الربيع لم يضع جنبه ليلته على فراشه .

أبو حيان قال : حدثني أبي قال : كان الربيع بعد ما سقط شقُّه يُهادي بين رجلين إلى مسجد قومه ، وكان أصحاب عبد الله يقولون أبا يزيد لقد رخَّص الله لك لو صليت في بيتك فيقول : إنه كما تقولون ، ولكنى سمعته ينادي حيَّ على الفلاح فمن سمع منكم فليجبه ولو زحفاً ، ولو حبواً .

عن محمد ، عن رجل من أسلم من المبكرين إلى المسجد ، قال : كان الربيع ابن خثيم إذا سجد كأنه ثوب مطروح فتجيء العصافير فتقع عليه .

عن بلال بن المنذر قال : قال رجل للربيع : قُتل ابن فاطمة فاسترج ثم تلا هذه الآية : ﴿ **قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكمُ بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون** ﴾ [2] قال ما تقول ؟ قال : ما أقول ؟ إلى الله إيابهم وعليه حسابهم .

عن سفيان قال : بلغنا أن أم الربيع كانت تنادي فتقول : يا بني ، يا ربيع ، ألا تنام؟! ، فيقول : يا أماه من جنّ عليه الليل وهو يخاف البيات حقُ له أن لا ينام .

قال : فلما بلغ ورأت ما يلقى من البكاء والسهر نادتْه فقالت : يا بني لعلك قتلت قتيلاً ؟ فقال : نعم يا والدة ، قتلت قتيلاً . فقالت : ومن هذا القتيل يا بني نتحمل على أهله فيعفُوك والله لو علموا ما تلقى من البكاء والسهر لقد رحموك . فيقول : يا والدتي هي نفسي .

مالك بن دينار قال : قالت ابنة الربيع بن خثيم : يا أبتاه ما لي أرى الناس ينامون ولا تنام ؟ قال : إن جهنم لا تدعني أنام .

مالك قال : قالت ابنة الربيع بن خثيم : يا أبتاه إني أرى الناس ينامون وأنت لا تنام؟ قال : يا بنيّة إن أباك يخاف البيات [3] .

---

(١) سورة الجاثية آية : ٢١ . (٢) سورة الزمر آية : ٤٦ .

(٣) البيات : يقال « أتاهم الأمر بياتاً » : فجأة فى جوف الليل ، وبيّت القوم : بغتهم فأوقع بهم ليلاً .

الربيع بن منذر قال : سمعت أبي يقول : كان عند الربيع بن خثيم رهط فجاءته ابنته فقالت : يا أبتاه أذهبُ ألعبُ ؟ فقال : اذهبي فقولي خيراً ، غير مرة ، قال : فقال القوم: أصلحك الله وما عليك أن تقول لها ؟ قال : وما عليّ أن لا يُكتب هذا في صحيفتي .

عن أبي حيان ، عن أم الأسود قالت : كانت ابنة الربيع بن خثيم تأتيه فتقول : يا أبتاه ئذن لي ألْعبُ . فيقول : يا بنيةُ ، قولي خيراً ، قال فتلقنها أمها : قُولي : أتحدّث فيقول : إني لم أسمع أن الله رضي لأحد اللعب .

عن سفيان ، عن رجل من بني تيم الله ، عن أبيه قال : جالست الربيع بن خثيم سنين فما سألني عن شيء مما فيه الناس إلا أنه قال لي مرّة : أمك حيّة ؟ كم لكم مسجد؟ .

عن سعيد الحارثي قال : ضرب الربيع بن خثيم الفالج فطال وجعه فاشتهي لحم دجاج، فكفّ نفسه أربعين يوماً . ثم قال لامرأته : اشتهيت لحم دجاج منذ أربعين يوماً فكففتُ نفسي رجاء أن تكف فأبتْ فقالت له امرأته: سبحان الله وأيُّ شيء هذا حتى تكُفّ نفسك عنه ؟ قد أحله الله لك . فأرسلت امرأته إلى السوق فاشترت له دجاجة بدرهم ودانقيْن فذبحتْها وشوتها واختبزت له خبزاً له أصباغ ، ثم جاءت بالخوان حتى وضعته بين يديه ، فلما ذهب ليأكل قام سائل على الباب فقال : تصدقوا علي بارك الله فيكم ، فكفَّ عن الأكل وقال لامرأته : خذي هذا فلُفِّيه وادفعيه إلى السائل ، فقالت امرأته : سبحان الله . فقال : افعلي ما آمرك ، قالت : فأنا أصنع ما هو خير له وأحب إليه من هذا . قال : وما هو ؟ قالت : نعطيه ثمن هذا وتأكل أنت شهوتك . قال : قد أحسنت ائتني بثمنه . قال : فجاءت بثمن الدجاجة والخبز والأصباغ فقال : ضعيه على هذا وادفعيه جميعاً إلى السائل .

عن منذر أن الربيع قال لأهله : اصنعوا لي خبيصاً . قال : وكان يكاد لا يشتهي عليهم شيئاً . قال : فصنعوه . قال : فأرسل إليه جار له مُصاب ، قال : فجعل يأكل ولعابه يسيل قال : فقال أهله : ما يدري هذا ما يأكل . فقال الربيع : لكن الله عز وجل يدري .

عن خوّات بن عبيد الله قال : كان السائل إذا أتى الربيع بن خثيم قال: أطعموه مُسكَّراً فإني أحب السكَّر .

عن سعيد بن مسروق ، عن ربيع بن خثيم أنه كان يلبس قميصاً سُنْبُلانياً - أراه ثمن ثلاثة دراهم أو أربعة دراهم - قال : فإذا مَدَّ كمَّه يبلغ ظُفره ، وإذا أرسله بلغ ساعده ،

وإذا رأى بياض القميص قال : أي عُبيد تواضع لربك ثم يقول : أي لحميه وأيْ دميهْ كيف تصنعان إذا سيّرت الجبال ودُكّت الأرض دكّا وجاء ربك والملكُ صفاً صفاً .

عن بكر بن ماعز قال : كان بالربيع بن خثيم خبل من الفالج ، فكان يسيل من فيه لعاب، قال : فمسحته يوماً . فرآني كرهت ذلك فقال : والله ما أحب أنه بأعتى الديلم على الله عز وجل .

عن حسين - يعني ابن صالح - قال : قيل للربيع بن خثيم : لو جالستنا ؟ فقال : لو فارق قلبي ذِكْرُ الموت ساعة فسد عليَّ .

بشر بن الحارث قال : قال الربيع بن خثيم : أنا بعصافير المسجد آنسُ منّي بأهلي .

عن منذر قال : كان الربيع يكنس الحشّ بنفسه . فقيل له : إنك تُكْفَى هذا . فقال : إني أحب أن آخذ نصيبي من المهنة .

عن أبي وائل قال : خرجنا مع عبد الله بن مسعود ، ومعنا الربيع بن خثيم ، فمررنا على حدّاد ، فقام عبد الله ينظر حديدة في النار ، فنظر الربيع إليها فتمايل ليسقط ، فمضى عبد الله حتى أتينا على أتُّون على شاطىء الفرات فلما رآه عبد الله والنار تلتهب في جوفه قرأ هذه الآية : ﴿ **إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً** ﴾ إلى قوله ﴿**ثُبوراً**﴾[1] فصعِق الربيع فاحتملناه فجئنا به إلى أهله قال : ثم رابطه عبد الله إلى الظهر فلم يفق ، ثم رابطه إلى العصر فلم يُفق ، ثم رابطه إلى المغرب فلم يُفق ، ثم إنه أفاق ، فرجع عبد الله إلى أهله .

الأعمش قال : مرّ الربيع بن خثيم في الحدّادين فنظر إلى كيرٍ فصعق . قال الأعمش: فمررت بالحدّادين لأتشبّه به فلم يكن عندي خير .

عن أبي يعلي قال : كان الربيع إذا قيل له : كيف أصبحت يا أبا يزيد ؟ قال : أصبحنا ضُعفاء مُذْنبين نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا .

حفص بن عمر قال : كان الربيع بن خثيم لا يعطي السائل أقل من رغيف ، ويقول: إني لأستحي أن يُرى في ميزاني أقلّ من رغيف .

سلام بن أبي مطيع قال : كان الربيع بن خثيم إذا أصبح قال : مرحباً بملائكة الله ، اكتبوا ،بسم الله الرحمن الرحيم ، سبحان الله ، والحمد لله،ولا إله إلا الله ، والله أكبر .

---

(١) سورة الفرقان آية : ١٢ - ١٣ .

صالح بن موسى ، عن أبيه قال : قال الربيع بن خثيم لرجل لا تلفظ إلاّ بخير فإن العبد مسئول عن لفظه يُحصى ذلك عليه كلّه ﴿ **أحصاه الله ونسوه** ﴾ (١) .

الفضيل بن عياض قال : كان الربيع بن خثيم يقول في دعائه : أشكو إليك حاجة لا يحسنُ بثُّها إلا إليك .

أبو سليمان قال : بينما الربيع بن خثيم جالس على باب داره إذ جاءه حجر فصكّ وجهه، فقال : لقد وُعظت يا ربيع . فقام ودخل الدار وأغلق الباب وما رُئِيَ في ذلك المجلس حتى مات .

حفص بن عمر قال : قال الربيع بن خثيم : إذا تكلمت فاذكر سمع الله إليك ، وإذا هممت فاذكر علمه بك ، وإذا نظرت فاذكر نظره إليك ، وإذا تفكرت فاذكر اطلاعه عليك، فإنه يقول تعالى : ﴿ **إنّ السمع والبصرَ والفُؤادَ كلٌّ أولئك كان عنه مسئولا** ﴾(٢) .

عن نُسير بن ذُعلوق ، عن الربيع بن خثيم أنه كان يبكي حتى تُبلَّ لحيته من دموعه ، ثم يقول : أدركنا أقواماً كنا في جُنوبهم لصوصا .

أسند الربيع بن خثيم عن : ابن مسعود وغيره ، وتوفي بالكوفة في ولاية عبيد الله بن زياد عليها .

٤٠٤ ـ عمرو بن عتبة بن فرقد السلمي(٣)

عن عبد الله بن ربيعة قال : كنت جالساً مع عتبة بن فرقد ومعضد العجْلي وعمرو بن عتبة فقال عتبة بن فرقد : يا عبد الله بن ربيعة ألا تعينني على ابن أخيك ، يُعينني على ما أنا فيه من عملي ؟ قال : فقال عبد الله : يا عمرو أطع أباك . قال : فنظر عمرو إلى معضد العجلي ، فقال له معضد : لا تُطِعْهُم واسْجُدْ واقْتَرِبْ .

قال عمرو : يا أبتاه إنما أنا رجل أعمل في فكاك رقبتي فبكى عتبة ثم قال : يا بنيّ إني أحبك حُبّيْن حباً لله وحب الوالد ولده ، فقال عمرو : يا أبت إنك قد كنت أتيتني بمالٍ بلغ سبعين ألفاً فإن كنت سائلي عنه فهو هذا فخذه ، أو فدعنْي فأمضيه . قال يا بنيّ فأمضه . فأمضاه حتى ما بقي منه درهم .

عن الأعمش قال : قال عمرو بن عتبة بن فرقد : سألت الله ثلاثاً فأعطاني اثنتين ، وأنا أنتظر الثالثة ؛ سألته أن يزهدني في الدنيا فما أبالي ما أقبل وما أدبر ، وسألته أن يُقَوّيَني على الصلاة فرزقني منها ، وسألته الشهادة فأنا أرجوها (٤) .

---

(١) سورة المجادلة آية : ٦ .
(٢) سورة الإسراء آية : ٣٦ .
(٣) انظر : الحلية (٤/ ١٥٥) .
(٤) وسيأتي : أنه مات شهيداً – رحمه الله تعالى .

عن السدي قال : اشترى عمرو بن عتبة فرساً بأربعة آلاف درهم فعنفوه يَسْتَغْلُونه ، فقال: ما خطوة يخطوها ، يقدّمها إلى الغزو ، إلا وهي أحب إليّ من أربعة آلاف .

عن عبد الحميد بن لاحق ، عمن ذكره ، قال : كان له - يعني عمرو بن عتبة - كل يوم رغيفان يتسحّر بأحدهما ويُفطر بالآخر .

بشْر بن الحارث قال : كان عمرو بن عتبة يصلي والحمام فوق رأسه ، والسباع حوله، تحرُك أذنابها .

عن شيخ من قريش قال : قال مولى لعمرو بن عتبة : رآني عمرو بن عتبة وأنا مع رجل وهو يقع في آخر ، فقال لي: ويلك ـ ولم يقلْها لي قبلها ولابعدها ـ نزِّه سمعك عن استماع الخَنا، كما تُنزِّه لسانك عن القول به ، فإن المستمع شريك القائل ، وإنما نظر إلى شرّ ما في وعائه فأفرغها في وعائك،ولو رُدَّت كلمة سفيه في فيه لسعد بها رادُّها كما شقيَ بها قائلُها.

الحسن بن عمرو الفزاري قال : حدثني مولى عمرو بن عتبة قال : استيقظنا يوماً حاراً في ساعة حارّة ، فطلبنا عمرو بن عتبة فوجدناه في جبل وهُو ساجد ، وغمامة تُظلّه وكنا نخرج إلى العدو فلا نتحارس ، لكثرة صلاته ، ورأيته ليلةً يصلّي فسمعنا زئير الأسد فهربنا وهو قائم يصلّي لم ينصرف . فقلنا له : أما خفْت الأسد ؟ فقال : إني لأستحي من الله أن أخاف شيئاً سواه .

عن عيسى بن عمرو قال : كان عمرو بن عتبة بن فرقد يخرج على فرسه ليلاً فيقف على القبور فيقول : يا أهل القبور ، طُويت الصحف ، ورُفِعَت الأعمال . ثم يبكي . ثم يصفّ بين قدميه حتى يصبح فيرجع فيشهد صلاة الصبح .

عن علقمة قال : خرجنا ومعنا مسروق وعمرو بن عتبة ومعضد غازين ، فلما بلغنا ماسَبَذَان ، وأميرها عتبة بن فرقد . قال لنا ابنه عمرو بن عتبة : إنكم إن نزلتم عليه صنع لكم نُزلاً ولعله أن يظلم فيه أحداً ، ولكن إن شئتم قلْنا في ظل هذه الشجرة وأكلنا من كسرنا ثم رحنا . ففعلنا وقطع عمرو بن عتبة جبّة بيضاء فلبسها وقال : والله إن تحدُّر الدم على هذه حسن فرُمي ، فرأيت الدم يتحدّر على المكان الذي وضع يده عليه فمات .

عن عبد الرحمن بن يزيد قال : خرجنا في جيش فيهم علقمة ويزيد بن معاوية النخعي وعمرو بن عتبة ومعضد . قال : فخرج عمرو بن عتبة وعليه جُبَّةٌ جديدة بيضاء، فقال : ما أحسن الدم يتحدّر على هذه . فخرج فتعرض للقصر فأصابه حجر فشجّه . قال: فتحدَر عليها الدم ثم مات منها فدفناه . ولما أصابه الحجر فشجه جعل يلمسها بيده ويقول إنها صغيرة ، إن الله ليبارك في الصغير .

عن السدي قال : حدثني ابن عم لعمرو بن عتبة قال : نزلنا في مرج حسن فقال عمرو ابن عتبة : ما أحسن هذ المرْج ، ما أحسن الآن لو أن مناديا ينادى : يا خيل الله اركبي فخرج رجل ، وكان أول من لقى فأصيب ثم جئ به فدفن فى هذا المرج . قال : فما كان بأسرع من أن نادى مناد يا خيل الله اركبي . فخرج عمرو في سرعان الناس في أول من خرج ، فأتي عتبة فأخبِّر بذلك فقال : عليّ عمراً عليّ عمراً . فأرسل في طلبه فما أدرك حتى أصيب ، قال : فما أراه دُفن إلا في مركز رمحه وعُتبةُ يومئذ على الناس.

هشام صاحب الدستوائي قال : لما مات عمرو بن عتبة دخل بعض أصحابه على أخته فقال : أخبرينا عنه فقالت : قام ليلة فاستفتح ﴿ **حم** ﴾ فأتى على هذه الآية ﴿ **وأَنْذِرْهُمْ يوم الآزفة** ﴾ (١) فما جاوزها حتى أصبح .

لا يُعرف لعمرو بن عتبة مسند شغلته العبادة عن الرواية ، وهذه الغزاة التي استشهد فيها هي غزاة آذربيجان ، وذلك في خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه .

٤٠٥ ـ عنبس بن عقبة الحضرمى

روى عن ابن مسعود . أنبأنا أبو بكر بن أبي طاهر ، عن يزيد بن حيان قال : إنْ كان عنبس ليسجُد حتى إن العصافير ليقعن على ظهره وينزلن ، ما يحسبنْه إلا جذْم حائط .

٤٠٦ ـ كردوس بن عباس الثعلبى

من غطفان . وقيل : كُرْدُوس بن هانئ . وقيل : ابن عمرو ، ويعرف بالقاصّ ، كان يقصّ على التابعين .

عبد الله بن إدريس قال : سمعت عمّي يذكر ، قال : كان كردوس يقول : ويقصّ علينا زمن الحجاج أن الجنة لا تُنال إلا بعمل ، اخلطوا الرغبة بالرهبة ، ودُوموا على صالح الأعمال ، والقوا الله بقلوب سليمة وأعمال صادقة ، وكان يُكثر من أن يقول من خاف أدلج من خاف أدلج (٢) .

عن أبي وائل كُرْدوس بن عمرو ، وقال : فيما أنزل الله عز وجل : إن الله ليبتلي العبد وهو يحبّه ليسمع صوته .

أسند كردوس عن : ابن مسعود ، وحذيفة .

---

(١) سورة غافر آية : ١٨ .

(٢) الدلجة : السير من أول الليل ، وقيل : سير الليل كله . وفى الحديث الصحيح : « عليكم بالدلجة وشىء من الروحة » وفى الحديث الآخر : « فإن الأرض تطوى بالليل » .

٤٠٧ ـ الفضل بن بزوان

عن النعمان بن المنذر قال : قال رجل للفضل بن بزوان : إن فلاناً يقع فيك . قال لأغيظَنَّ من أمرَهُ ، غفر الله له . قيل له : من أمرهُ ؟ قال : الشيطان .

٤٠٨ ـ الحارث بن قيس الجعفي (١)

عن خيثمة ، عن الحارث بن قيس الجعفي ، قال : إذا كنت في أمر الآخرة فتمكَّثْ، وإذا كنت في أمر الدنيا فتوخّ ، وإذا هممت بخيرٍ فلا تؤخره ، وإذا أتاك الشيطان وأنت تصلّي فقال : إنك تُرائي فزدْها طُولاً .

عن الأعمش قال : قال لي خيثمة : لقد رأيت الحارث بن قيس اجتمع عنده رجلان ، قام وتركهما .

٤٠٩ ـ أبو صالح – ماهان الحنفى(٢)

واسمه : عبد الرحمن بن قيس – أخو طليق ، كذا ذكره ابن سعد ، وقال البخاري : يكنى : « أبا سالم » .

إبراهيم – مؤذّن بني حنيفة – قال أمر الحجاج بماهان أن يُصلب على بابه ، فرأيته حين رُفع على خشبته يسبّح ويهلّل ويكبِّر ، و يعقد بيده حتى بلغ تسعاً وعشرين . قال: فطعنه الرجل على تلك الحال . قال : فلقد رأيته بعد شهرٍ معقوداً بيده تسعة وعشرين قال: كنا نرى عنده الضّوء بالليل شِبْهَ السّراج .

عن أبي إسحاق – يعني الشيباني – قال : دنوت من ماهان لما أراد أن يُصلب فقال : تنحَّ يا بن أخي لا تسأل عن هذا المقام .

سفيان بن دينار التّمار قال : سألت ماهان الحنفي : ما كانت أعمال القوم ؟ قال : كانت أعمالهم قليلة ، وكانت قلوبهم سليمة .

أسند ماهان عن : عليّ ، وابن مسعود ، وحذيفة ، في آخرين .

ومن الطبقة الثانية

٤١٠ ـ عامر بن شراحيل الشعبي(٣)

يكنى : « أبا عمرو » ، عن ابن سيرين قال : قدمتُ الكوفة وللشعبي حلقة عظيمة ، وأصحاب رسول الله ﷺ يومئذ كثير .

---

(١) انظر : الحلية (٤/ ١٣٢) ، وسير الأعلام (٤/ ٧٥) . (٢) انظر : الحلية (٤/ ٣٦٤) .
(٣) انظر : الحلية (٤/ ٣١٠) ، وسير الأعلام (٤/ ٢٩٤) .

عن أبي مجلز قال : ما رأيت أحداً أفقه من الشعبي .

عن ابن شبرمة قال : سمعت الشعبي يقول : ما كتبتُ سوداء في بيضاء إلى يومي هذا، ولا حدّثني رجل بحديثٍ قط إلا حفظته ، ولا أحببت أن يُعيده عليّ .

عن وادع بن الأسود ، عن الشعبي قال : ما أروي شيئاً أقلُّ من الشِّعْرِ ، ولو شئتُ لأنشدتكم شهراً لا أُعيده .

مَكْحول قال : ما لقيت أحداً أعلم بسنةٍ ماضيةٍ من الشعبيّ .

ابن شبرمة قال : كنت أمشي مع الشعبي إلى أهله فقال لي : احملني أو أحملك ، يعني حدّثني أو أحدّثك .

عن داود بن يزيد الأودي قال : قال لي الشعبي : يا أبا يزيد قم معي حتى أفيدك فمشيت معه وقلت : أيَّ شيءٍ تفيدني ؟ قال : إذا سئلت عما لا تعلم فقل : الله أعلم به، فإنه عِلْمٌ حسنٌ .

عن عيسى الخياط ، عن الشعبي قال : لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن ، فحفظ كلمة تنفعه فيما يستقبل من عمره رأيت أن سفره لم يَضِع .

مجالد قال : سمعت الشعبي يقول : العلم أكثر من عدد القَطْر ، فخُذ من كلّ شيءٍ أحسنه .

أدرك الشعبيُّ خلْقاً كثيراً من الصحابة .

عن منصور بن عبد الرحمن ، عن الشعبي قال : أدركت خمس مائة من أصحاب رسول الله ﷺ .

قال الشيخ رحمه الله : وإنما أشار بهذا إلى معاصرتهم لا إلى الأخذ عنهم .

وقال إبراهيم الحربي : لقي الشعبيُّ أربعة وثلاثين رجلاً من الصحابة . قال الشيخ رحمه الله : ومن أعلام القوم الذين أدركهم : علي بن أبى طالب عليه السلام ، وسعد ابن أبى وقاص ، وسعيد بن زيد ، وابن عُمر ، وابن عباس ، وعمرو بن العاص، وابنه عبد الله ، وأسامة بن زيد ، وجابر بن عبد الله ، وجابر بن سمُرة ، والبراء بن عازب، وأبو سعيد الخدْري ، والمغيرة بن شعبة ، وأنس بن مالك ، وأبو هريرة ، والنّعمان بن بشير.

وأدرك : عائشة ، وأمّ سلمة ، وميمونة ، أمّهات المؤمنين .

وتوفي بالكوفة فُجاءةً سنة أربع ومائة ، وقيل : خمس ومائة ، وهو ابن سبعٍ وسبعين سنة ، وقيل اثنتين وثمانين .

٤١١ ـ سعيد بن جبير

مولى لبني والبة . يكنى : « أبا عبد الله » ابن الحارثية ، من بني أسد بن خزيمة .

عن عبد الله بن مسلم قال : كان سعيد بن جبير إذا قام إلى الصلاة كأنه وَتدٌ .

عن القاسم بن أبي أيوب الأعرج قال : كان سعيد بن جبير يبكي بالليل حتى عَمِش .

القاسم بن أبي أيوب قال : سمعت سعيد بن جبير يردّد هذه الآية في الصلاة بضعاً وعشرين مرة : ﴿ **واتّقوا يوماً تُرجعون فيه إلى الله** ﴾ (١) الآية .

قال يزيد بن هارون : وأنبأنا عبد الملك بن أبي سليمان ، عن سعيد بن جبير ، أنه كان يختم القرآن في كل ليلتين .

عن هلال بن خبّاب قال : خرجت مع سعيد بن جبير في أيام مضيْن من رجب فأحرم من الكوفة بعمرة ، ثم رجع من عمرته ، ثم أحرم بالحج في النصف من ذي القعدة .

وكان يخرج في كل سنةٍ مرّتين مرّةً للحج ومرّة للعمرة .

عن أبي سنان ، عن سعيد بن جبير ، قال : لدغَتْني عقرب فأقسمت علي أمّي أن أسترقي ، فأعطيت الراقي يدي التي لم تُلدغ ، وكرهت أن أحنثها .

أصبغ بن زيد الواسطي قال : كان لسعيد بن جبير ديكٌ كان يقوم الليل بصياحه ، قال : فلم يصحْ ليلةً من الليالي حتى أصبح ، فلم يُصلِّ سعيد تلك الليلة ، فشقّ عليه فقال : ما له قطعَ الله صوته ؟ قال : فما سُمع له صوت بعدها . فقالت أمّه : يا بنيّ لا تَدْعُ على شيء بعدها .

عن عطاء بن دينار ، عن سعيد بن جبير ، قال : إن « الخشية » : أن تخشى الله حتى تَحُول خشيته بينك وبين معصيتك ، فتلك الخشية ، و« الذكر » طاعة الله ، فمن أطاع الله فقد ذكره ، ومن لم يُطعه فليس بذاكرٍ وإن أكثر التسبيح وتلاوة القرآن .

عن خصيف قال : رأيت سعيد بن جبير صلّى ركعتين خلف المقام قبل صلاة الصبح . قال : فأتيته فصلّيت إلى جنبه وسألته عن آية من كتاب الله فلم يُجبني فلما صلّى الصبح قال : إذا طلع الفجر فلا تتكلم إلا بذكْر الله حتى تصلِّي الصبح .

عن يحيى بن عبد الرحمن قال : سمعت سعيد بن جبير يردّد هذه الآية : ﴿ **وامْتَازُوا اليوم أيّها المُجْرِمُونَ** ﴾ (٢) حتى يُصبح .

عن معاوية بن إسحاق قال : لقيت سعيد بن جبير عند الميضأة فرأيته ثقيل اللسان ؟ قال : قرأت القرآن البارحة مرّتين ونصفاً .

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٨١ . (٢) سورة يس آية : ٥٩ .

عن حمّاد : أن سعيد بن جبير قرأ القرآن في ركعة في الكعبة ، وقرأ في الركعة الثانية بِقُل هو الله أحد .

كثير بن تميم الداري قال : كنت جالساً مع سعيد بن جبير فطلع عليه ابنه عبد الله ، وكان به من الفقه فقال : إني لأعلم خير حالاته قالوا : وما هو ؟ قال : أن يموت فأحتَسِبْه .

عن جعفر قال : قيل لسعيد : من أعبدُ الناس ؟ قال : رجل اجترح من الذنوب ، فكلما ذكر ذنوبه احتقر عمله .

قال المصنف : كان سعيد بن جبير فيمن خرج على الحجاج من القُرّاء ، وشهد دير الجماجم . فلما انهزم أصحاب الأشعث هرب فلحق بمكة فأخذه بعد مدَّة طويلة خالدُ بن عبد الله القَسْري ، وكان والي الوليد بن عبد الملك على مكة فبعث به إلى الحجاج .

عن أبي حصين قال : أتيت سعيد بن جبير بمكة فقلت : إن هذا الرجل قادم – يعني خالد بن عبد الله – ولا آمنه عليك ، فأطعني وأخرج فقال : والله لقد فررت حتى استحيْيت من الله ، قلت : والله إني لأراك – كما سمّتك أمّك – سعيداً .

قال : فقدم مكة فأرسل إليه فأخذه فأخبرني يزيد بن عبد الله قال : أتينا سعيد بن جبير حين جيء به فإذا هو طيّب النفس ، وبُنَيّة له في حُجْره ، فنظرتْ إلى القيد فبكتْ فشيّعناه إلى باب الجسر ، فقال له الحرس : أعطنا كُفلاء فإنا نخاف أن تُغرق نفسك . قال يزيد : فكنت فيمن كُفّلَ به .

عن داود بن أبي هند قال : لما أخذ الحجاج سعيد بن جبير قال : ما أراني إلا مقتولا ، وسأخبركم أني كنت أنا وصاحبان لي دعونا حين وجدنا حلاوة الدعاء ، ثم سألْنا الشهادة فكلا صاحبيّ رُزقها وأنا أنتظرها . فكأنه رأى أن الإجابة عند حلاوة الدعاء .

عن عمر بن سعيد قال : دعا سعيد بن جبير ابنه حين دُعيَ ليُقْتَل فجعل ابنه يبكي ، فقال : ما يبكيك ؟ ما بقاء أبيك بعد سبعٍ وخمسين سنة .

(موقف عالم أمام حاكم ظالم)

عن الحسن قال : لما أُتي الحجاج بسعيد بن جبير قال : أنت الشقّي ابن كُسَير ؟ قال: بل أنا سعيد بن جبير . قال : بل أنت الشقّي ابن كسير قال : كانت أمّي أعْرف باسمي منك قال : ما تقول في محمد ؟ قال : تعني النبي ﷺ ؟ قال : نعم . قال : سيد ولد آدم، المصطفى ، خير من بقي وخير من مضى .

قال : فما تقول في أبي بكر الصديق ؟ قال : الصديق خليفة رسول الله ﷺ ، مضى حميداً وعاش سعيداً ، ومضى على منهاج نبيه ﷺ لم يغيّر ولم يبدّل .

قال : فما تقول في عمر ؟ قال : عمر الفاروق خيرة الله وخيرة رسوله ﷺ ، مضى حميداً على منهاج صاحبيه لم يغير ولم يبدّل .

قال : فما تقول في عثمان ؟ قال: المقتول ظُلماً ، المجهّز جيش العُسرة ، الحافر بئر رومة، المشتري بيته في الجنة ، صهْر رسول الله ﷺ على ابنتيه ، زوّجه النّبي ﷺ بوحْي من السماء .

قال : فما تقول في عليّ ؟ قال : ابن عم رسول الله ﷺ وأول من أسلم ، وزوج فاطمة ، وأبو الحسن والحسين .

قال : فما تقول فيَّ ؟ قال : أنت أعلم بنفسك . قال : بُثَّ بعلمك قال : إذاً نسوءك ولا نسرَّك . قال : بثَّ بعلمك . قال : أعفني . قال : لا عفا الله عنّي إن أعفيتك . قال: إنى لأعلم أنك مخالفٌ لكتاب الله ، ترى من نفسك أموراً تريد بها الهيبة وهي التي تُقحمك الهلاك ، وستردُ غداً فتعلم . قال : أما والله لأقتلنّك قتلةً لم أقتلها أحداً قبلك ولا أقتلها أحداً بعدك . قال : إذاً تُفسد عليّ دُنياي وأفسد عليك آخرتك . قال : يا غلام السيف والنّطْع . فلما ولّى ضحك . قال : قد بلغني أنك تضحك . قال : قد كان ذلك ، قال : فما أضحكك عند القتل ؟ قال : من جُرأتك على الله عز وجل ومن حلْم الله عنك. قال : يا غلام اقتله . فاستقبل القبلة فقال : وجهتُ وجهي للذي فطَر السّموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المُشْركين ، فصرف وجهه عن القبلة فقال : ﴿**فأينما تُوَلُّوا فثمَّ وجهُ الله**﴾ [1] . قال : اضربْ به الأرض . قال : ﴿**منْها خلقْناكم وفيها نعيدُكم ومنها نُخْرجكم تارة أخرى**﴾ [2] . قال : اذبح عدوّ الله فما أنزعه لآيات القرآن منذ اليوم .

قال ابن ذكوان : إن الحجاج بن يوسف بعث إلى سعيد بن جُبَير فأصابه الرسول بمكة فلما سار به ثلاثة أيام رآه يصوم نهاره ويقوم ليله ، فقال الرسول : والله إني لأعلم أني أذهب بك إلى من يقتلك فاذهب إلى أيّ طريق شئت . فقال له سعيد : إنه سيبلغ الحجاج أنك قد أخذتني فإن خلّيت عني خفت أن يقتلك ، ولكن اذهبْ بى إليه .

قال : فذهب به ، فلما دخل عليه قال له الحجاج : ما اسمك ؟ قال : سعيد بن جبير. فقال : بل شقي ابن كسير . فقال : أميّ سمّتني . قال : شقيت . قال : الغيب يعلمه غيرك . قال له الحجاجُ : أما والله لأبدلنّك من دنياك ناراً تلظّى . قال سعيد : لو علمتُ أن ذلك إليك ما اتّخذت إلهاً غيرك .

---

(١) سورة البقرة آية : ١١٥ .

(٢) سورة طه آية : ٥٥ .

ثم قال له الحجاج : ما تقول في رسول الله ﷺ ؟ قال : نبيٌّ مصطفى ، خير الباقين وخير الماضين . قال : فما تقول في أبى بكر الصديق ؟ قال : ثاني اثنين إذ هما في الغار أعزّ الله به الدين ، وجمع به بعد الفُرقة . قال : فما هو قولك فى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؟ قال : فاروق وخيرة الله من خلْقه ، أحبَّ الله أن يعزّ الدين بأحد الرجلين ، فكان أحقُّهما بالخيرة والفضيلة ، قال : فما تقول في عثمان بن عفان ، قال : مجهّز جيش العُسرة ، والمشترى بيتاً في الجنة والمقتول ظلماً . قال: فما تقول في علي ؟ قال: أولهم إسلاماً وأكثرهم هجرة ، تزوج بنت رسول الله ﷺ التي هي أحب بناته إليه .

قال : فما تقول في معاوية ؟ قال : كاتب رسول الله ﷺ . قال : فما تقول في الخلفاء منذ كان رسول الله ﷺ إلى الآن ؟ قال : سيُجزون بأعمالهم ، فمسرورٌ ومثبور ولستُ عليهم بوكيل . قال : فما تقول في عبد الملك بن مروان ؟ قال : إن يكن محسناً فعند الله ثوابُ إحسانه وإن يكن مسيئاً فلن يُعجز الله .

قال : فما تقول فيّ ؟ قال : أنت بنفسك أعلم . قال : بُثَّ فيَّ علْمك . قال : إذاً أسوءك ولا أسرّك . قال : بثَّ . قال : نعم ، ظهر منك جور في حد الله ، وجرأة على معاصيه بقتلك أولياء الله . قال : والله لأقطعنّك قطعاً وأفرّقن أعضاءك عضواً عضواً . قال: إذا تفْسد عليّ دنياي وأفسد عليك آخرتك ، والقصاص أمامك . قال : الويل لك من الله . قال : لمن زُحْزح عن الجنة وأُدخل النار ، قال : اذهبوا به فاضربوا عنقه ، قال سعيد : إني أُشهدك إني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أستحفظك بها حتى ألقاك يوم القيامة .

فلما ذهبوا به ليُقتل تبسّم فقال له الحجاج : مِمّ ضحكت ؟ قال : من جُرأتك على الله عز وجل . فقال الحجاج : أضجعوه للذبح فأضجع فقال : ﴿ **وجّهتُ وجهي للذي فطرَ السموات والأرض** ﴾ (١) . فقال الحجاج : اقلبوا ظهره إلى القبلة ، فقرأ سعيد : ﴿**فأينما تولوا فثمَ وجه الله** ﴾ (٢) فقال : كبُّوه على وجهه ، فقرأ سعيد : ﴿ **منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نُخْرِجُمْ** ﴾ (٣) : فذُبح من قفاه .

قال : فبلغ ذلك الحسن بن أبي الحسن البصريّ فقال : اللهم يا قاصم الجبابرة اقصم الحجاج ، فما بقي إلا ثلاثاً حتى وقع في جوفه الدّود فمات .

عن خلف بن خليفة ، عن أبيه . قال : شهدتُ مقتل سعيد بن جبير ، فلما بان رأسه قال : لا إله إلا الله ، لا إله إلا الله . ثم قالها الثالثة فلم يُتمّها .

---

(١) سورة الأنعام آية : ٧٩ . (٢) سورة البقرة آية : ١١٥ . (٣) سورة طه آية : ٥٥ .

عن يحيى بن سعيد ، عن كاتب الحجّاج - يقال له يعلى - قال : كنت أكتب للحجاج وأنا يومئذ غلام حديث السن ، فدخلت عليه يوماً بعد ما قتل سعيد بن جبير ، وهو في قبة لها أربعة أبواب ، فدخلت مما يلي ظهره فسمعته يقول : ما لي ولسعيد بن جبير ؟ فخرجت رويداً ، وعلمت أنه إن علم بي قتلني ، فلم ينشب الحجاج بعد ذلك إلا يسيراً .

وفي رواية أخرى : عاش بعده خمسة عشر يوماً ، وفي رواية : ثلاثة أيام وكان يقول: ما لي ولسعيد بن جبير ؟ كلما أردت النوم أخذ برجْلي .

عن عمرو بن ميمون ، عن أبيه قال : لقد مات سعيد بن جبير وما على الأرض أحد إلا وهو يحتاج إلى علمه .

قال المؤلف : أسند سعيد بن جبير عن : عليّ عليه السلام ، وابن عُمر ، وابن عمرو، وأبي موسى ، وابن المغفل ، وعديّ بن حاتم ، وأبي هريرة ، وغيرهم . وأكثر رواياته عن ابن عباس .

وقتل في سنة أربع وتسعين ، وقيل سنة خمس وتسعين ، وفي مدة عمره ثلاثة أقوال: أحدها سبع وخمسون سنة - وقد رويناها آنفاً - والثاني : تسع وأربعون سنة .

قاله أبو نعيم الفضل بن دكين في جماعة ، والثالث : اثنتان وأربعون سنة . قاله علي ابن المديني .

٤١٢ - إبراهيم بن يزيد بن الأسود النخعي(١)

يكنى : « أبا عمران » عن الأعمش قال : كان إبراهيم يتوقى الشهرة فكان لا يجلس إلى الأسطوان ، وكان صيرفي (٢) الحديث فكنت إذا سمعت الحديث من بعض أصحابنا عرضته عليه .

عن سفيان ، عن أبيه ، عن إبراهيم قال : سألته عن شيء فجعل يتعجب ويقول احتيج إليَّ ، احتيج إليَّ .

عن منصور قال : ما سألت إبراهيم قطُّ عن مسألة إلا رأيت الكراهية في وجهه ، ويقول : أرجو أن تكون ، وعسى .

عن ميمون أبي حمزة عن إبراهيم ، أنه قال : تكلمت ولو وجدت بدأ ما تكلمت ،

---

(١) انظر : الحلية (٤/ ٢١٩) ، وسير الأعلام (٤/ ٥٢٠) .

(٢) يعنى ناقد جيد للحديث يعلم صحيحه من رديئه كالصيرفى يعلم صحيح العملة من رديئها .

فإن زمانا أكون فيه فقيه الكوفة لزمان سوء ، عن الأعمش عن إبراهيم ، أنه قال : لقد أدركت أقواماً لو بلغني أن أحدهم توضأ على ظفره لم أعُدّه .

عن محمد بن سوقة قال : زعموا أن إبراهيم النخعي كان يقول : كنا إذا حضرنا جنازة أو سمعنا بميت عرف فينا أياماً لأنا قد عرفنا أنه قد نزل به أمر صيّره إلى الجنة أو النار قال : وإنكم في جنائزكم تحدّثون بأحاديث دنياكم .

عن الأعمش قال : كنت عند إبراهيم وهو يقرأ في المصحف واستأذن عليه رجل فغطّى المصحف وقال : لا يرى هذا أنني أقرأ فيه كلّ ساعة.

عن مغيرة ، عن إبراهيم ، أنه كان يلبس الثوب المصبوغ بالزعفران أو بالعصفر ، وكان من يراه لا يدري أمن القرّاء هو أم من الفتيان .

عن شعيب بن الحبحاب ، عن هنيدة امرأة إبراهيم النخعي : أن إبراهيم كان يصوم يوماً ويفطر يوماً .

عن الأعمش ، عن إبراهيم قال : كانوا يجلسون فأطولهم سكوتاً أفضلهم في أنفسهم.

ابن عون ، عن إبراهيم قال : إنْ كانوا ليكْرهون إذا اجتمعوا أن يُخرج الرجل أحسن حديثه ، أو قال أحسن ما عنده .

عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى صلاته ، وإلى هدْيه ، وإلى سمْته .

عن أبي هاشم الرمّاني ، عن إبراهيم قال : لا يستقيم رأيٌ إلا برواية ، ولا رواية إلا برأي .

عن منصور ، عن إبراهيم قال : إذا رأيت الرجل يتهاون بالتكبيرة الأولى فاغسلْ يدك منه .

سفيان ، عن الأعمش قال : جهدنا بإبراهيم أن يستند إلى سارية فأبى علينا .

عن الأعمش قال : كان إبراهيم يتوقى الشهرة ، وكان لا يجلس إلى أسطوانة وكان يجلس مع القوم فيجيء الرجل فيوسع له فإذا اضطرّه المجلس إلى أسطوانة قام .

عن مغيرة قال : كنا نهاب إبراهيم كما نهاب الأمير .

عن زبيد قال : ما سألت إبراهيم عن شيء إلا عرفت منه الكراهية .

عن أبي الحصين قال : سألت إبراهيم عن شيء فقال : ما وجدت أحداً تسألُه فيما بيني وبينك غيرى ؟ .

أبو بكر قال : سألت الأعمش : أخبْرني عن أكثر من رأيت عند إبراهيم قط قال : أربعة أو خمسة .

عن مغيرة قال : كان رجلٌ على حال حسنة فأحدث حدثاً أو أذنب ذنْباً فرفضه أصحابه ونبذوه . فبلغ إبراهيم فقال : مَهْ تداركُوه وعِظُوه ولا تدعوه .

عن الأعمش ، عن إبراهيم قال : إني لأرى الشيء مما يُعاب فما يمنعني من عيبه إلا مخافة أن أُبتلى به .

عن إبراهيم بن مهاجر ، عن إبراهيم قال : كانوا يستحبّون المريض أن يجهد عند الموت .

عن منصور ، عن إبراهيم أنه قال : كانوا يستحبّون شدّة النَّزْع .

عن عمران الخياط قال : دخلنا على إبراهيم النخعي نعوده وهو يبكي فقلنا له : ما يبكيك أبا عمران ؟ قال : أنتظر ملك الموت لا أدري يبشّرني بالجنة أم بالنار .

عن شعيب بن الحبحاب قال : كنتِ ممّن صلى على إبراهيم النخعي ليلاً ودُفن في زمان الحجاج ، ثم أصبحت فغدوت فقال : دفنتم ذلك الرجل الليلة ؟ قلت : نعم . قال : دفنتم أفقه الناس ، قلت : ومن الحسن ؟ فقال : أفقه من الحسن ، ومن أهل البصرة، وأهل الكوفة ، وأهل الشام ، وأهل الحجاز .

أدرك إبراهيم النخعي جماعة من الصحابة منهم : أبو سعيد الخدري ، وعائشة ، وعامة ما يروى عن التابعين : كعلقمة ، ومسروق ، والأسود .

وتوفي سنة خمس وتسعين . وقيل : ست وتسعين ، بالكوفة ، وهو ابن تسعٍ وأربعين سنة ، وقيل : ابن نيف وخمسين سنه .

ابن عون قال : مات إبراهيم وهو ما بين الخمسين إلى الستين .

٤١٣ ـ إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمى(١)

يكنى : « أبا أسماء » الأعمش قال : كان إبراهيم التيمي إذا سجد تجئ العصافير فتنقُر على ظهره كأنه جِذْم حائط .

الأعمش قال لإبراهيم التيمي : بلغني أنك تمكث شهراً لا تأكل شيئاً ، قال : نعم وشهرين ، ما أكلت منذ أربعين ليلة إلا حبة عنب ناولنيها أهلي فأكلتها ثم لفظتها . فقلت للأعمش : أصدّقته ؟ فقال : إبراهيم بن يزيد التيمى – يريد أنه صدق .

عن أبي حيان ، عن إبراهيم التيمي قال : ما عرضتُ عملي على قولي إلا خشيت أن أكون مكذِّباً (٢) .

---

(١) انظر : سير الأعلام (٥/ ٦٠) .

(٢) ذكره البخارى – معلقاً باب : خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر من كتاب الإيمان =

سفيان قال : قال التيمي : كم بينكم وبين القوم ؟ أقبلت عليهم الدنيا فهربوا ، وأدبرت عنكم فاتبعتوها .٤٦٤٦

العوام بن حوشب قال : ما رأيت رجلاً قطّ خيراً من إبراهيم التيمي رافعاً بصره إلى السماء في صلاة ولا في غيرها ، وسمعته يقول : إن الرجل ليظلمني فارحمه .

عن العوام بن حوشب قال : ما رأيت إبراهيم التيمي رافعاً رأسه في الصلاة ولا في غيرها ، ولا سمعته يخوض في شيء من أمر الدنيا قط .

عن بكير - أو أبي بكير - عن أبي إبراهيم التيمي قال : ينبغي لمن لا يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار لأن أهل الجنة قالوا : ﴿ **الحمد لله الذي أذهب عنَّا الحزنَ**﴾[1] وينبغي لمن لا يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهـل الجنة لأنهم قالوا: إنا كُنّا في أهلنا مُشفقين [2].

العوام بن حوشب ، عن أبيه ، عن إبراهيم التيمي قال : أعظم الذنب عند الله عز وجل أن يحدّث العبد بما ستر الله عليه .

سفيان بن عيينة قال : قال إبراهيم التيمي : مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأعانق أبكارها ، ثم مثلتُ نفسي في النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها ، وأعالج سلاسلها وأغلالها ، فقلت لنفسي : أيَّ شيء تريدين ؟ قالت : أريد أن أُرَدَّ إلى الدنيا فأعمل صالحاً . قال : قلت : فأنت في الأمنية فاعملي [3] .

= قال الحافظ ابن حجر : وقوله « مكذبا » - يروى بفتح الذال : يعنى خشيت أن يكذبنى من رأى عملى مخالفاً لقولى فيقول : لو كنت صادقاً ما فعلت خلاف ما تقول ، قال الحافظ : وإنما قال ذلك لأنه كان يعظ الناس .

ويروى بكسر الذال - وهى رواية الأكثر ، ومعناه : أنه مع وعظه الناس لم يبلغ غاية العمل .

وقد ذم الله من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وقصر فى العمل فقال : ﴿ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون ﴾ فخشى أن يكون مكذباً أى مشابهاً للمكذبين .

قال : وهذا التعليق وصله المصنف - يعنى البخاري - فى « تاريخه » عن أبى نعيم وأحمد بن حنبل فى « الزهد » عن ابن مهدى كلاهما عن سفيان الثورى عن أبى حيان التيمى عن إبراهيم المذكور . اهـ . وانظر : فتح البارى (١/ ١٣٥ - وما بعدها) .

(١) سورة فاطر آية : ٣٤ .

(٢) تأويل جيد للآية ، فتأمله ، وهو يشير إلى قوله تعالى : ﴿ قالوا إنّا كنا قبلِ فى أهلنا مشفقين﴾ [الطور : ٢٦] .

(٣) أسلوب قوى فى التفكر وتذكير النفس بالآخرة والمعايشة فيها .

قال المؤلف : أسند إبراهيم التيمي عن أبيه ، والحارث بن سويد ، في آخرين . وتوفي في حبس الحجاج في سنة اثنتين وتسعين .

علي بن محمد قال : كان سبب حبْس إبراهيم التيمي أن الحجاج طلب إبراهيم النخعي . فجاء الذي طلبه فقال : أريد إبراهيم . فقال إبراهيم التيمي : أنا إبراهيم ، فأخذه وهو يعلم أنه إبراهيم النخعي . فلم يستحل أن يدله عليه ، فجاء به الحجاج فأمر بحبسه في الديّماس (١) ولم يكن لهم ظل من الشمس ولاكنٌّ من البَرْد ، وكان كل اثنين في سلسلة . فتغير إبراهيم فجاءته أمه في الحبس فلم تعرفه حتى كلمها . فمات في السجن . فرأى الحجاج في منامه قائلاً يقول : مات في هذه الليلة رجل من أهل الجنة ، فلما أصبح قال : هل مات الليلة أحد بواسط ؟ قالوا : نعم ، إبراهيم التيمي مات في السجن فقال : حُلُمٌ نَزْغَةٌ من نزغات الشيطان ؟ فأمر به فألقي على الكُناسة .

٤١٤ ـ خيثمة بن عبد الرحمن ابن أبي سبرة

واسمه يزيد بن مالك الجعفي ، عن الأعمش قال : ورث خيثمة بن عبد الرحمن مائتي ألف درهم فأنفقها على القرّاء والفقهاء .

الأعمش قال : كان خيثمة يصنع الخبيص والطعام الطيب ثم يدعو إبراهيم - يعني النخعي - ويدعونا معه فيقول : كلوا ما أشتهيه ما أصنعه إلا من أجلكم .

الأعمش قال : ربما دخلنا على خيثمة فيخرج السلة من تحت السرير ، فيها الخبيص والفالوذج ، فيقول : ما أشتهيه كلوا ، أما إني ما جعلته إلا لكم . وكان موسراً ، وكان يصرّ الدراهم ، فإذا الرجل من أصحابه مخرَّق القميص أو الرداء أو به خلّة تحيَّنهُ فإذا خرج من الباب خرج هو من باب آخر حتى يلقاه فيعطيه فيقول : اشتر قميصاً ، اشتر رداء ، اشتر حاجة كذا .

عن طلحة : قال خيثمة : كان يعجبهم أن يموت الرجل عند خير يعمله ، إما حج ، وإما عمرة ، وإما غزاة ، وإما صيام رمضان .

عن الأعمش قال : نفست امرأة المسيب بن رافع وهو غائب ، فاشترى لها خيثمة خادماً بستمائة .

عن الحكم عن خيثمة قال : إذا طلبت شيئاً فوجدته ، فاسأل الله الجنة فلعله يكون يومك الذي يستجاب فيه .

عن الأعمش ، عن خيثمة قال : تقول الملائكة : يا ربّ عبدُك المؤمن تزْوي عنه الدنيا

(١) الديماس : كالسرداب .

وتعرضه للبلاء ؟ قال : فيقول للملائكة : اكشفوا لهم عن ثوابه فإذا رأوا ثوابه قالوا : يا ربّ لا يضره ما أصابه في الدنيا . قال : ويقولون : عبدك الكافر تزوي عنه البلاء وتبسط له الدنيا ؟ قال: فيقول للملائكة : اكشفوا لهم عن عقابه . قال : فإذا رأوا عقابه قالوا : يا ربّ لا ينفعه ما أصابه من الدنيا .

قال المؤلف : وقد رُوي هذا الكلام عن خيثمة ، عن عبد الله بن العاص ، عن النبي ﷺ: إلا أن الصحيح أنه من قول خيثمة .

عن محمد بن خالد الضّبي قال : لم نكن ندري كيف يقرأ خيثمة القرآن ، حتى مرض فثقُل ، فجاءته امرأة فجلست بين يديه فبكت . فقال لها : ما يُبْكيك ؟ الموت لابد منه . فقالت له المرأة : الرجال بعدك عليّ حرام . فقال لها خيثمة : ما كلّ هذا أردت منك ، إنما كنت أخاف رجلاً واحداً وهو أخي محمد بن عبد الرحمن ، وهو رجل فاسق يتناول الشراب فكرهت أن يشرب في بيتي الشراب بعد ، إذ القرآن يُتْلى فيه كل ثلاث.

عن سفيان ، عن رجل ، عن خيثمة : أنه أوصى أن يُدفن في مقبرة فُقراء قومه .

قال المصنف : أدرك خيثمة عليّ بن أبي طالب عليه السلام . وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمرو ، وعديّ بن حاتم ، والنعمان بن بشير ، في جماعة من الصحابة . ومات قبل أبي وائل .

٤١٥ ـ عبد الرحمن بن الأسود بن يزيد[(١)]

أبو جعفر النخعي ، كان يدخل على عائشة . محمد بن إسحاق قال : قدم علينا عبدالرحمن بن الأسود بن يزيد حاجاً فاعتلت إحدى قدميه فقام يصلي حتى أصبح على قدم واحدة قال : وصلى الفجر بوضوء العشاء .

قال : وقدم علينا ليث بن أبي سليم فصنع مثلها.

٤١٦ ـ القاسم بن مخيمرة الهمدانى[(٢)]

كوفي الأصل ثم نزل الشام . سعيد بن عبد الملك قال : قال القاسم بن مخيمرة : ما اجتمع على مائدتي لونان من طعام واحد ، ولا أغلقت بابي ولي خلفه همّ .

قال القاسم : وأتيت عمر بن عبد العزيز فقضى عني سبعين ديناراً وحملني على بغلة وفرض لي في كل سنة خمسين . فقلت : أغنني عن التجارة . فسألني عن حديث ، فقلت هيبتني يا أمير المؤمنين . كأنه كره أن يحدّثه به على هذا الوجه .

(١) انظر : سير الأعلام (٥/ ١١) .
(٢) المصدر السابق (٥/ ٢٠١) .

عن الأوزاعي ، عن القاسم : أنه كره صيد الطير أيام فراخه .

روى القاسم عن : عبد الله بن عمرو بن العاص . وأسند عن خَلْقٍ من التابعين توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز .

ومن الطبقة الثالثة

٤١٧ ـ طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب [١]

يكنى : « أبا عبد الله » وقيل : « أبا محمد » وكان قارئ أهل الكوفة يقرءون عليه القرآن فلما رأى كثرتهم عليه كره ذلك فمشى إلى الأعمش وقرأ عليه ، فمال الناس إلى الأعمش وتركوا طلحة .

سفيان قال : قال الأعمش: ما رأيت مثل طلحة ، وإن كنتُ قائماً فقعدتُ قطع القراءة، وإن كنت محتبياً فحللت حبوتي قطع القراءة مخافة أن يكون أملّني .

ابن أبي غنية قال : حدثني شيخ عمن حدّثته قالت : أرسل إليّ طلحة بن مصرف : إني أريد أن أوتد في حائطك وتداً . فأرسلت إليه نعم ، قالت : ودخلت خادمتنا منزل طلحة تقتبس ناراً وطلحة يصلّي . فقالت لها امرأته : مكانك يا فلانة حتى نشوى لأبي محمد هذا القديد على قصبتك يفطر عليه . فلما قضي صلاته قال : ما صنعت لا أذوقه حتى ترسل إلى سيدتها لحبسك إياها وشوائك على قصبتها .

عن حريش بن سليم قال : كان طلحة بن مصرف يقول في دعائه : اللهم اغفر لي ريائي وسمعتي .

عبد الصمد بن يزيد قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : بلغني عن طلحة أنه ضحك يوماً ، فوثب على نفسه فقال : فيم الضحك ؟ إنما يضحك من قطع الأهوال وجاز الصراط . ثم قال : آليت أن لا أفتر ضاحكاً حتى أعلم بم تقع الواقعة . فما رُئِيَ ضاحكاً حتى صار إلى الله عز وجل .

عن ليث قال : كنت أمشي مع طلحة فقال : لو علمت أنك أسنّ مني بليلة ما تقدّمتك .

عن عبد الملك بن هانئ قال : خطب زبيد إلى طلحة ابنته . فقال : إنها قبيحة . قال: قد رضيت . قال : إن بعقبها أثراً ، قال : قد رضيت .

---

(١) انظر : سير الأعلام (٥/ ١٩١) ، والحلية (٥/ ١٤) .

عبد الرحمن بن عبد الملك بن الحر عن أبيه قال : ما رأيت طلحة بن مصرف في ملأ إلا رأيت له الفضل عليهم .

الصلت بن بسطام قال : حدثني رجل من تيم الله ، وكان قد جالس الشعبي وإبراهيم، قال : ما رأيت أحداً أملك للسانه من طلحة بن مصرف .

حريش بن سليم قال : سألت زبيداً : من أعجب من أدركت إليك ؟ قال : ما أدركت أحداً أعجب إليَّ من طلحة .

عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : يعجبني أخلاق طلحة بن مصرف وزيد وقد جرحتهما

عن محمد بن فضيل ، عن أبيه قال : دخلنا على طلحة بن مصرف نعوده ، فقال له أبو كعب : شفاك الله . فقال : أستخير الله .

عن ليث قال : حدثني طلحة في مرضه الذي مات فيه أن طاووساً كان يكره الأنين فما سمع طلحة يئن حتى مات رحمه الله .

قال المؤلف : أدرك طلحة جماعة من الصحابة ، وسمع من أنس ، وعبد الله بن أبي أوفى ، وعبد الله بن الزبير ، وكان قد خرج مع قرّاء الكوفة إلى الجماجم أيام الحج ، وتوفي بعد ذلك سنة اثنتي عشرة ومائة .

٤١٨ ـ زبيد بن الحارث اليامي[١]

يكنى : « أبا عبد الرحمن » ، ويقال : « أبا عبد الله » ، الأشعث بن عبد الرحمن ابن زبيد عن أبيه قال : كان زبيد قد قسم علينا الليل أثلاثاً . ثلثاً عليه وثلثاً عليَّ وثُلثاً على أخي ، فكان زبيد يقوم ثلثه ثم يضربني برجله فإذا رأى مني كسلاً قال : نم يا بنيّ فأنا أقوم عنك . ثم يجيء إلى أخي فيضربه برجله فإذا رأى منه كسلاً قال: نم يا بنى فأنا أقوم عنك قال : فيقوم حتى يُصبح .

قال الأشج : وحدثني المحاربي عن سفيان قال : دخلنا على زبيد نعوده فقلنا : شفاك الله . فقال : أستخير الله .

سفيان قال : كان زبيد إذا كانت الليلة مطيرة أخذ شعلة من النار فطاف على عجائز الحيّ فقال : أو كف عليكم بيت ؟ أتريدون ناراً ؟ فإذا أصبح طاف على عجائز الحيّ فقال: ألكم في السوق حاجة ؟ أتريدون شيئاً ؟ .

---

(١) انظر : سير الأعلام (٥/ ٢٩٦) .

قال وكيع : وحدثني أبي قال : كنت جالساً مع زبيد فأتاه رجل ضرير يريد أن يسأله. فقال له زبيد : إن كنت تريد أن تسأل عن شيء فإنّ معي غيري .

محمد بن الحسين قال : حدثني سليمان بن أيوب عن بعض أشياخه قال : قام زبيد اليامي ذات ليلة ليتهجد قال : فعمد إلى مطْهرة له قد كان يتوضأ منها فغمس يده في المطهرة فوجد الماء بارداً شديداً كاد يجمد من شدة برده ، فذكر الزمهرير ويده في المطهرة. فلم يخرجها منها حتى أصبح . فجاءت الجارية وهي على تلك الحال فقالت : ما شأنك يا سيدى لم تُصَلِّ الليلة كما كنت تُصلّي وأنت قاعد هاهنا على هذه الحال ؟ ، قال : ويحك أدخلتُ يدي في هذه المطهرة فاشتد عليّ برد الماء فذكرت به الزمهرير ، فوالله ما شعرت بشدّ برد يدي حتى وقفت عليّ ، فانظري لا تحدّثي بها أحداً ما دمت حياً . قال: فما علم بذلك أحد حتى مات .

أنبأ سفيان عن زبيد قال : يسرني أن يكون لي في كل شيء نيّة حتى في الأكل والنوم.

قال سعيد بن جبير : لو خُيِّرْتُ عبداً ألقى الله في مسلاخه اخترت زبيداً اليامي .

المنذر أبو عبد الله من أهل الكوفة قال : قال لي محمد بن سوقة : لو رأيت طلحة وزبيداً لعلمت أن وجوههما قد أخلقها سهر الليل وطول القيام ، وكانا والله ممن لا يتوسد الفراش .

قال المؤلف : أدرك زبيد اليامي جماعة من الصحابة منهم : ابن عُمر ، وأنس . وتوفي في سنة اثنتين وعشرين ومائة . وقيل : في سنة ثلاث وعشرين ، في أولها .

حنبل قال : سمعت أبا نعيم يقول : مات زبيد سنة اثنتين وعشرين ومائة . وكان طلحة أكبر من زبيد بعشر سنين ، واستوفى زبيد عشر سنين قبل أن يموت .

٤١٩ ـ عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي (١)

مطرف بن معقل الشقري قال : سمعت عون بن عبد الله يقول : ذاكر الله في غفلة الناس ، كمثل الفئة المنهزمة يحميها الرجل ، لولا ذلك الرجل هُزمت الفئة ، ولولا من يذكر الله في غفلة الناس هلك الناس .

سفيان قال : قال عون بن عبد الله : صحبت الأغنياء فلم يكن أحد أطول غماً مني إن رأيت أحداً أحسن ثياباً مني وأطيب ريحاً مني ، فصحبت الفقراء فاسترحت (٢) .

---

(١) المصدر السابق (٥/١٠٣) ، والحلية (٤/ ٢٤٠) .

(٢) قال رسول الله ﷺ : « انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من فوقكم فإنه أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم » .

عن مسعود قال : قال عون بن عبد الله : كفى بك من الكِبْر أن ترى لك فضلاً على من هو دونك .

عن أبي هارون قال : كان يحدّثنا وللحيته رشٌّ بالدموع .

عن المسعودى قال : قال عون بن عبد الله : ما أحسب أحداً تفرّغ لعيب الناس إلا من غفلة غفلها عن نفسه .

وقال عون : جالسوا التوابين فإنهم أرقّ الناس قلوباً .

مطرف بن معقل الشقري قال : حدثني عون بن عبد الله قال : الدنيا والآخرة في قلب ابن آدم ككفتي الميزان ترجح إحداهما بالأخرى وما تحابّ رجلان في الله إلا كان أفضلهما أشدهما حباً لصاحبه .

المسعودى قال : قال عون بن عبد الله : إنّ من كان قبلنا كانوا يجعلون للدنيا ما فضل عن آخرتهم ، وإنكم تجعلون لآخرتكم ما فضل عن دنياكم .

عن عون قال: إن الله ليُكره عبده على البلاء كما يكره أهلُ المريض مريضهم ، وأهل الصبي صبيهم على الدواء ويقولون : اشرب هذا ، فإن لك في عاقبته خيراً .

عن المسعودى ، عن عون قال : كان رجل يجالس قوماً فترك مجالستهم فأتي في منامه، فقيل له : تركت مجالستهم ؟ لقد غفر لهم بعدك سبعين مرة .

عن عون بن عبد الله أنه كان يقول في بكائه وذكر خطيئته : ويح نفسي ، بأىّ شيء لم أعص ربي ؟ ويحي إنما عصيته بنعمته عندى ، ويحي من خطيئة ذهبت شهوتها وبقيت تبعتها عندي ، ويحي كيف أنسى الموت ولا ينساني ؟ ويحي إن حُجبت يوم القيامة عن ربي، ويحي كيف أغفل ولا يُغفل عني ؟ أم كيف تُهنئني معيشتي واليوم الثقيل ورائي ؟ أم كيف لا تطول حسرتي ولا أدري ما يفعل بي ؟ أم كيف يشتد حبّي لدارٍ ليست بداري ؟ أم كيف أجمع بها وفى غيرها قراري ؟ أم كيف تعظم فيها رغبتي والقليلُ فيها يكفيني ؟ أم كيف أوثرها وقد أضرّت بمن آثرها قبلي ؟ أم كيف لا أبادر بعملي قبل أن يُغلق باب توبتي ؟ أم كيف يشتد إعجابي بما يزايلني وينقطع عني ؟ أم كيف لا يكثر بكائي ولا أدري ما يُراد بي؟ أم كيف تقرّ عيني مع ذكر ما سلف مني ؟ أم كيف تطيب نفسي مع ذكر ما هو أمامي ؟ ويحي هل ضرّت غفلتي أحداً سواي ؟ أم هل يعمل لى غيري إن ضيّعت حظي ؟ ويحي كأنه قد تصرّم أجلي ثم أعاد ربّي خلقي كما بدأني ، ثم وقفني وسألني ، ثم أشهدت الأمر الذي أذهلني وشغلت بنفسي من غيري، وسارت الجبال وليس لها مثل خطيئتي ، وجمع الشمس والقمر وليس عليهما مثل حسابي، وانكدرت النجوم وليست تُطلب بما عندي ، وحُشرت الوحوش ولم تعمل مثل عملي ، وشاب الوليد وهو أقل ذنباً منّي ، ويحي ما

أشد حالي وأعظم خطري ، فاغفر لي واجعل طاعتك همتي ، لا تُعرض عني يوم تعرض ، ولا تفضحني بسرائري ولا تخذلني بكثرة فضائحي ، بأى عين أنظر إليك وقد علمت سرائري ؟ وكيف أعتذر إليك إذا ختمت على لساني ونطقت جوارحي بكل الذي كان مني ، إلهي أنا الذي ذكرت ذنوبي لم تقر عيني ، أنا تائب إليك فاقبل ذلك مني ، ولا تجعلني لنار جهنّم وقوداً بعد توحيدي وإيماني برحمتك .

عن المسعودي ، عن عون بن عبد الله قال : ما أحد يُنزل الموت حق منزلته إلا عدّ غداً ليس من أجله ، كم من مستقبل يوماً لا يستكمله ، وراج غداً لا يبلغه ، لو تنظرون إلى الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره.

عن ابن عجلان ، عن عون بن عبد الله قال : إنّ من تمام التقوى أن تبتغي إلى ما قد علمت منها عِلْمَ ما لم تعلم ، وإن النقص فيما قد علمت تَرْكَ ابتغاء الزيادة فيه ، وإنما يحمل الرجل على ترك ابتغاء الزيادة قلّةُ الانتفاع بما قد علم .

عن زيد العمى ، عن عون بن عبد الله قال : كان أهل الخير يكتب بعضهم إلى بعض بهؤلاء الكلمات الثلاث ويلقى بها بعضهم بعضاً : من عمل لآخرته كفاه الله عز وجل دنياه، ومن أصلح ما بينه وبين ربه ، أصلح الله ما بينه وبين الناس ، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته .

عن أبي المحجل الأسدي قال : قال عون بن عبد الله : قلب التائب بمنزلة الزجاجة يؤثر فيها جميع ما أصابها ، فالموعظة إلى قلوبهم سريعة ، وهم إلى الرقة أقرب ، فداوا القلوب بالتوبة ، فربّ تائب دعته توبته إلى الجنة حتى أوفدته عليها ، وجالسوا التوابين، فإن رحمة الله إلى التوابين أقرّب .

عن أبي معشر قال : رأيت عون بن عبد الله في مجلس أبي حازم يبكى ويمسح وجهه بدموعه . فقيل له : لِمَ تمسح وجهك بدموعك ؟ قال : بلغني أنه لا تصيب دموع الإنسان مكانا من جسده إلا حرم الله عز وجل ذلك المكان على النار .

قال المؤلف : أدرك عون بن عبد الله جماعة من الصحابة . وسمع من: ابن عمر ، وابن عباس ، وأبي هريرة . وجمهورُ روايته عن أبيه .

٤٢٠ ـ أبو إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعى[١]

ولد في ولاية عثمان ، عن مغيرة قال : كنت إذا رأيت أبا إسحاق ذكرتُ به الصدر الأول.

---

(١) انظر : سير الأعلام (٥/ ٣٩٢) .

أبو بكر بن عياش قال : سمعت أبا إسحاق السبيعي يقول : ذهبت الصلاة منى وضعفتُ ورقّ عظمى ، إنى اليوم أقوم فى الصلاة فما أقرأ إلا البقرة وآل عمران .

العلاء بن سام العبدى قال : ضعف أبو إسحاق عن القيام فكان لا يقدر أن يقوم إلى الصلاة حتى يقام ، فإذا أقاموه فاستتم قائماً قرأ ألف آية وهو قائم .

سفيان قال : كان أبو إسحاق يقوم ليل الصيف كله ، وأما الشتاء فأوله وآخره ، وبين ذلك هجعة .

عن سفيان قال : قال أبو إسحاق : أما أنا فإذا استيقظت لم أقلها .

قال المؤلف : أدرك أبو إسحاق خلقاً كثيراً من الصحابة ، وأسند عن ثلاثة وعشرين منهم ، وسمع من : علي بن أبى طالب ، وسعيد بن زيد ، وابن عمر ، وأسامة ، وابن الزبير . وانفرد بالرواية عن ثلاثة من الصحابة لم يرو عنهم غيره ، أحدهم عبدة ابن حزن ويقال: عبيدة ، ويقال : بشر ، ويقال : نصر . والثاني : كدير الضبى ، والثالث : مطر ابن عُكامس . فهؤلاء الثلاثة عدّهم جماعة من أهل العلم في الصحابة ، وأبى قوم أن يكون لهم صحبة .

وتوفى أبو إسحاق فى سنة ثمان وعشرين ومائة ، وقيل : تسع وعشرين ، وهو ابن ثمان ، أو تسعٍ وتسعين سنة .

٤٢١ ـ عمرو بن مرة الجملى – من مراد(١)

قراد قال : سمعت شعبة يقول : ما رأيت بالكوفة شيخاً خيراً من زبيد الأيامى ، وما رأيت عمرو بن مرة في صلاته إلا ظننت أنه لا ينصرف حتى يُستجاب له .

سفيان قال : قلت لمِعْمَر : من أفضل من رأيت ؟ قال : ما يخيّل إلىّ أنى رأيت أحداً أفضله على عمرو بن مرة ، ما رأيته قطّ يدعو إلا قلت : يُستجاب له .

عن العلاء بن المسيّب ، عن عمرو بن مرة قال : من طلب الآخرة أضرّ بالدنيا ، ومن طلب الدنيا أضرّ بالآخرة ، فأضرّوا بالفاني للباقي .

سعيد بن سنان قال : قال عمرو بن مرة ما أحب أنى بصير ، إنى أذكر أنى نظرت نظرةً وأنا شاب .

عن أبي سنان ، عن عمرو بن مرة قال : نظرت إلى امرأة فأعجبتنى فكف بصرى فأرجو أن يكون ذلك كفارة .

---

(١) انظر : سير الأعلام (٥/ ١٩٦) .

سلام بن سليم قال : كنت أقرأ على عمرو بن مرة ، فكنت أسمعه كثيراً يقول : اللهم اجعلنى ممن يعقل عنك .

مسعر قال : سمعت عبد الملك بن ميسرة يقول ونحن فى جنازة عمرو بن مرة : إنى لأحسبه خير أهل الأرض .

قال المصنف : أسند عمرو عن : عبد الله بن أبى أوْفى ، وعن خلق من كبار التابعين. وتوفى سنة ست عشرة ومائة ، وقيل : سنة ثمان عشرة .

٤٢٢ـ حبيب بن أبى ثابت الأسدى[1]

مولى لبنى كاهل ، واسم أبى ثابت : قيس بن دينار .

أبو بكر بن عياش قال : رأيت حبيب بن أبى ثابت ساجداً ، فلو رأيته قلت ميّتٌ ، يعني من طول السجود .

عن كامل أبى العلاء قال : أنفق حبيب بن أبى ثابت على القرّاء مائة ألف .

سفيان قال : قال حبيب بن أبي ثابت ما استقْرضتُ من أحدٍ شيئاً أحبّ إلىّ من نفسى ، أقول لها أمهلى حتى تجيء من حيث أحب .

قال المؤلف : أسند حبيب عن : ابن عمر ، وابن عباس ، وجابر ، وحكيم بن حزام، وأنس بن مالك ، وابن أبى أوفى ، فى آخرين وتوفى سنة تسع عشرة ومائة.

٤٢٣ ـ مجُمّع بن يسار – أبو حمزة التيمى

أبو الربيع الواسطى قال : سمعت حفص بن غياث يقول : دخل سفيان الثورى على ١
مُجمّع التيمى فإذا في إزار سفيان خرقٌ . قال : فأخذ أربعة دراهم فناول سفيان فقال : اشتر به إزاراً . فقال سفيان : لا أحتاج إليها . قال مجمع : صدقت ، أنت لا تحتاج ولكني أحتاج . قال : فأخذها فاشترى بها إزاراً فكان سفيان يقول : كساني مُجَمّعُ جزاه الله خيراً .

وقال سفيان : ليس شيء من عمل أرجو أن يشُوبه شيء كحبّى مُجمّعاً التيميّ .

سفيان قال : خلف لنا أبو حيان التيمى وما مرّ من عمله شيء أوثق فى نفسه من حبه مُجمّعاً التيمى .

أبو بكر بن عياش قال : رأيت مُجمّعًا التيمي في سوق الغنم فقالوا له : كيف شاتُك هذه ؟ قال : ما أرضاها . قال أبو بكر: ومن كان أورع من مجمّع ؟ .

---

(١) المصدر السابق (٥/ ٢٢٨) ، والحلية (٥/ ٦٠) .

سفيان قال : قال مِسعر : جاء مجمع بشاةٍ إلى السوق يبيعها فقال : يخيّل إليَّ أن في لبنها ملوحة .

عن الأعمش ، عن مجمع ، أنه نزل عليه ضيف فما سأله من أين جئت ؟ وما جاء بك؟ حتى خرج من عنده .

قال المؤلف : لا نعلم مجمعاً أسند شيئاً إلا أنه قد روي عن ماهان الزاهد ، وروى عنه: أبو حيان التيمى ، وسفيان الثورى .

وقال أبو حاتم الرازى : دعا مُجمّع ربه عز وجل أن يميته قبل الفتنة . فمات من ليلته، وخرج زيد بن عليّ من الغد .

٤٢٤ ـ الربيع بن أبى راشد[١]

ويكنى : « أبا عبد الله » . عمر بن ذر قال : كنت إذا رأيت الربيع بن أبى راشد كأنه مخمار من غير شراب .

عن خلف بن حوشب قال : كنت مع الربيع بن أبى راشد في الجبّانة قرأ رجل ﴿ **يا أيُّها الناسُ إن كنتم في رَيْب من البعث** ﴾ الآية [٢] فقال الربيع : حال ذكر الموت بينى وبين كثير مما أريد من التجارة ، فلو فارق ذكْر الموت قلبى ساعة لخشيت أن يُفسد عليّ قلبى ، ولولا أن أخالف من كان قبلى لكانت الجبّانة مسكنى إلى أن أموت .

عن خلف بن حوشب قال : قال الربيع بن أبى راشد : اقرأ عليَّ ﴿ **يا أيُّها الناسُ إن كنتمُ في ريب من البعث** ﴾ فقرأتها عليه فبكى ثم قال : والله لولا أن تكون بدعة لسحتُ أو قال لهمتُ في الجبال .

عمر بن ذر قال : قال الربيع بن أبى راشد ، ورأى رجلاً مريضاً يتصدق بصدقة فقسمها بين جيرانه ، فقال : الهدايا إمام الزيارة . فلم يلبث الرجل إلا أياماً حى مات . فبكى عند ذلك الربيع وقال : أحسن والله بالموت وعلم أنه لا ينفعه من ماله إلا ما قدّم بين يديه .

عن مالك بن مغول قال : قال الربيع بن أبى راشد : لولا ما يأمل المؤمنون من كرامة الله عز وجل لهم بعد الموت لانشقت في الدنيا مرائرهم ، ولتقطّعت أجوافهم .

عن سفيان قال : لم يكن بالكوفة رجل أكثر ذكراً للموت من الربيع بن أبى راشد إنْ كان الربيع من الموت لعلى حذر .

أسند الربيع عن : منذر الثوري ، وسمع من : سعيد بن جبير ، وفي حديثه قلّة .

---

(١) المصدر السابق (٥/ ٧٥) .

(٢) سورة الحج آية : ٥ .

٤٢٥ ـ عبدة بن أبى لبابة [١]

مولى قريش . يكنى : « أبا القاسم » .

عن الأوزاعي عن عبدة قال : إنّ أقرب الناس من الرياء آمنهُم له .

وعن عبيدة قال : إذا ختم الرجل القرآن نهاراً صلّت عليه الملائكة حتى يُمْسي . وإذا ختم القرآن ليلاً صلّت عليه الملائكة حتى يُصبح .

عقبة بن علقمة قال : سمعت الأوزاعي يقول : كان عبدة إذا كان في المسجد لم يذكر شيئاً من أمر الدنيا .

قال المؤلف : أدرك عبدة عبد الله بن عمر وسمع منه .

٤٢٦ ـ محمد بن جحادة الأودى [٢] - مولى لبني أود

عن سفيان قال : كان محمد بن جحادة من العابدين ، وكان يقال إنه لا ينام من الليل إلا أيسره .

قال : فرأت امرأة من جيرانه كأن حُللاً فُرِّقت على أهل مسجدهم فلما انتهى الذي يفرّقها إلى محمد بن جحادة دعا بسفط [٣] مختوم فأخرج منه حلّة صفراء . قالت : فلم يقم لها بصري فكساه إياها وقال له : هذه لك بطول السهر . قالت تلك المرأة : فوالله لقد كنت أراه بعد ذلك فأخالها عليه .

روى محمد بن جحادة عن : أبي صالح ، وروى عنه : الثوريّ .

* * *

ومن الطبقة الرابعة

٤٢٧ ـ منصور بن المعتمر السلمي [٤]

يكنى : « أبا عتّاب » ، عن زائدة بن قدامة قال : صام منصور بن المعتمر أربعين سنة قام ليلها وصام نهارها ، وكان الليل يبكي فتقول له أمه : يا بنيّ أقتلت قتيلاً ؟ فيقول : أنا أعلم بما صنعت بنفسي قال : فإذا أصبح كحّل عينيه ودهن رأسه وبرق شفتيه وخرج إلى الناس . فأخذه يوسف بن عمر عامل الكوفة يريده على القضاء فامتنع . قال : فجاءه خصمان فقعدا بين يديه فلم يسألهما ولم يكلمهما . وقيل ليوسف بن عمر : إنك لو نثرت لحمه لم يل لك قضاءً فخلى عنه .

---

(١) انظر : سير الأعلام (٥/ ٢٢٩) .
(٢) المصدر السابق (٦/ ١٧٤) .
(٣) السفط : ما يوضع فيه الطيب ونحوه .
(٤) المصدر السابق (٥/ ٤٠٢) ، والحلية (٥/ ٤٠) .

قال المؤلف : هكذا في هذه الرواية صام أربعين سنة ـ وفي رواية أخرى عن زائدة : صام سنة ـ وفي رواية : صام ستين سنة .

أبو عوانة قال: لما أجلس منصور بن المعتمر في القضاء كان يأتيه الرجل فيقص عليه، فيقول : قد فهمت ما قلت ولا أدرى ما الجواب فيه فكان يفعل ذلك فذكروا ذلك لابن هبيرة ، وكان هو الذي ولاّه . فقال : هذا أمر لا يصلح إلا أن يعين عليه صاحبه بشهوة فتركه .

أبو بكر بن عياش قال : ربما كنت مع منصور في منزله جالساً فتصيح به أمه ، وكانت فظّة غليظة . فتقول : يا منصور يريدك ابن هبيرة على القضاء فتأبى عليه ؟ وهو واضعٌ لحيته على صدره ما يرفع طرفه إليها .

حسن بن صالح قال : كان منصور في الديوان قال له إنسان : ناولْني الطين أختم به. قال : أرني كتابك حتى أنظر أيّ شيء فيه .

العلاء بن سالم العبدي قال : كان منصور – يعني ابن المعتمر – يصلي في سطحه . فلما مات قال غلام لأمه : يا أماه الجذْع الذي كان في سطح آل فلان ليس أراه . قالت : يا بني ليس ذاك بجذع ، ذاك منصور قد مات .

أبو بشر قال : كانت جارة لمنصور بن المعتمر ، وكان لها ابنتان لا تصعدان السطح إلا بعد ما ينام الناس ، فقالت إحداهما ذات ليلة : يا أمتّاه ، ما فعلت القائمة التي كنت أراها في سطح فلان ؟ فقالت : يا بنيّة لم تكن تلك قائمة إنما كان منصور يُحيي الليل كله في ركعة لا يسجد فيها ولا يركع .

قال أبو الأحوص : إن منصور بن المعتمر كان إذا جاء الليل اتّزَرَ وارتدى إن كان صيفاً ، وإن كان شتاء الْتَحف فوق ثيابه ثم قام إلى محرابه كأنه خشبة منصوبة حتى يُصبح.

زائدة بن قدامة قال : كان منصور بن المعتمر إذا رأيته قلت : رجلٌ قد أصيب بمصيبة منكّس الطرف ، منخفض الصوت ، رَطْب العينين ، إن حركته جاءت عيناه بأربع . ولقد قالت له أمه يوماً: ما هذا الذي تصنع بنفسك ؟ تبكي الليل عامّته لا تكاد تسكت . لعلك يا بني أصبت نفساً لعلك قتلت قتيلاً . قال : فيقول : يا أماه أنا أعلم ما صنعت بنفسى .

عن سفيان قال : كانوا يقولون في ذلك الزمان : إن أطول أهل الكوفة تهجّداً : طلحة وزبيد ، وعبد الجبار بن وائل .

قال الحميدي : فقلت : فمنصور ؟ قال : نعم إنما كان الليلُ عنده مطيّة من المطايا متى شئت أصبته قد ارتحله .

سفيان بن عيينة - وذكر منصور بن المعتمر - فقال : قد كان عمش من البكاء .

عن الثوري قال : لو رأيت منصوراً يصلّي لقلت يموت الساعة .

خلف بن تميم قال : سمعت أبى تميم بن مالك يقول : كان منصور بن المعتمر إذا صلّى الغداة أظهر النشاط لأصحابه فيحدثهم ويكثر إليهم ، ولعله إنما بات قائماً على أطرافه ، كلّ ذلك ليخفي عليهم العمل .

عن أبي عمار قال : سمعت عطاء بن جبلة يقول : سألوا أم منصور بن المعتمر عن عمله ، فقالت : كان ثُلث الليل يقرأ ، وثُلثَه يبكي ، وثلثه يدعو .

جرير قال : صام منصور وقام فكان يأكل فيرى الطعام في مجراه .

ابن عيينة قال : رأيت منصور بن المعتمر في المنام فقلت : ما فعل الله بك قال : كدت ألقى بعمل نبيٍّ .

قال سفيان : إن منصوراً صام ستين سنة ، يقوم ليلها ويصوم نهارها .

قال المؤلف : أدرك منصور بن المعتمر : أنس بن مالك ، وروى عنه ، ورأى ابن أبى أوفى ، وروى عن جماعة من التابعين ، كالأعمش ، وسليمان التيمى ، وأيوب السختيانى. وتوفي فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة .

٤٢٨ ـ ضرارَ بن مرة الشيباني[١]

يكنى : « أبا سنان » شهاب الدين بن عباد قال : قال أصحابنا : كان البكّاؤون بالكوفة أربعة : ضرار بن مرة ، وعبد الملك بن أبجر ، ومحمد بن سوقه ، ومطرف بن طريف. وكان ضرار قد حفر قبره قبل موته بخمس عشرة سنة ، فكان يأتيه فيختم فيه القرآن.

محمد بن فضيل قال : كان ضرار حفر في بيته قبراً كان يتعبد فيه .

المحاربي قال : كان ضرار بن مرة ومحمد بن سوقة إذا كان يوم الجمعة طلب كل واحد منهما صاحبه ، فإذا اجتمعا جلسا يبكيان .

عبد الله بن الأجلح قال : كان ضرار بن مرة يقول لنا : لا تجيئونى جماعة ولكن ليجيءْ الرجل وحده فإنكم إذا اجتمعتم تحدّثتم ، وإذا كان الرجل وحده لم يخلُ من أن يدرس جُزأه أو يذكر ربه .

أبو سنان قال : قال إبليس : إذا استمكنتُ من ابن آدم ثلاثاً أصبتُ منه حاجتى إذا نسي ذنوبه ، واستكثر عمله ، وأعجب برأيه .

---

(١) المصدر السابق (٥/ ٩١) .

قال المصنف : أسند ضرار عن سعيد بن جبير وغيره .

٤٢٩ ـ محمد بن سوقة

مولى بجيلة ، يكنى : « أبا بكر » وكان سوقة بزّازاً .

قال سفيان : ما بقي أحدُ يدفع به عن أهل الكوفة إلا ابن سوقة ، كانت عنده عشرون ومائة ألف فقدّمها .

قال العباس : وسمعت شهاب بن عباد قال : دخل رجل بيت محمد بن سوقة فرأى على الباب ستر مسح ، فجعل ينظر إليه ، ففطن ابن سوقة فقال : لعلك ترى أني ندمت، لا ما ندمت .

سفيان بن عيينة قال : نزل محمد بن المنكدر على محمد بن سوقة بالكوفة فحمله على حمار ، فسألوه فقالوا : يا عبد الله أيّ العمل أحب إليك ؟ قال : إدخال السرور على المؤمن . قالوا : فما بقى مما يستلذ ؟ قال : الإفضال على الإخوان .

عن مهدى بن سابق قال : طلب ابن أخي محمد بن سوقة منه شيئاً فبكى فقال له : والله يا عمّ لو علمت أن مسألتى تبلغ منك هذا ما سألتك قال : ما بكيت لسؤالك إنما بكيت لأنى لم أبتدئك قبل سؤالك .

عن فضيل بن عياض ، عن محمد بن سوقة قال : أمران لو لم نعذَّب إلا بهما لكنا مستحقّين بهما لعذاب الله : أحدنا يُزاد الشيء من الدنيا فيفرح فرحاً ما علم الله أنه فرحه بشيء زاده قط في دينه ، ويُنْقَصُ الشيْءَ من الدنيا فيحزن عليه حزناً ما علم أنه حزنه على شيء نُقصَه قطُّ فى دينه .

قال المؤلف : أدرك محمد بن سوقة عن أنس بن مالك ، وأبا الطفيل ، وعامّة روايته عن كبار التابعين .

٤٣٠ ـ سليمان بن مهران الأعمش الأسدى

يكنى : أبا محمد – مولى لبني كاهل ، عن عيسى بن يونس قال : ما رأينا في زماننا مثل الأعمش ، ما رأيت الأغنياء والسلاطين في مجلس أحد أحقر منهم في مجلس الأعمش وهو محتاج إلى درهم .

وكيع قال : كان الأعمش قريباً من سبعين سنة لم يَفُتْه التكبيرةُ الأولى ، واختلفْت إليه قريباً من سبعين فما رأيته يقضي ركعة .

إبراهيم بن عرعرة قال : سمعت يحيى القطان إذا ذكر الأعمش قال : كان من النساك، وكان محافظاً على الصلاة في الجماعة وعلى الصف الأول . قال يحيى : وهو علامة الإسلام .

الوليد بن صالح الطائى قال : قال الأعمش : إني لأحب أن أعافى فى إخوانى لأنهم إن بُلوا بُليت معهم إما بالمواساة وفيها مؤونة ، وإما بالخذلان وفيه عار .

سفيان قال : لو رأيت الأعمش لقلت : مسكين .

أبو بكر بن عياش قال : دخلت على الأعمش في مرضه الذي تُوفي فيه فقلت : ادعوا لك طبيباً ؟ فقال : ما أصنع به ؟ فوالله لو كانت نفسي في يدي لطرحتها في الحشّ [1]، إذا أنا مُتُّ فلا تؤذِننّ بي أحداً واذهب بي فاطرحنى فى لحدى .

قال المؤلف : أدرك الأعمش جماعة من الصحابة وعاصرهم ، ورأى أنس بن مالك ، وسمعه يقرأ ، ولم يحمل عنه شيئاً مرفوعاً ، وأرسل عن ابن أبى أوفى .

الفضل بن دكين ووكيع قالا : ولد الأعمش يوم قُتل الحسين ، وذلك يوم عاشوراء سنة ستين ، وتوفي سنة ثمان وأربعين ومائة ، وهو ابن ثمان وثمانين سنة .

وقد قال يحيى بن عيسى الرملى : ولد سنة ثمان وخمسين . وقال الهيثم بن عدى : مات سنة سبع وأربعين ومائة .

٤٣١ ـ أبو حيان بن سعيد التيمي

سمع من الشعبي وكان ثقة صالحاً . عبد الله بن إدريس قال : ما رأيت الليل على أحدٍ من الناس أخفَّ منه على أبي حيان التيمي ، صحبناه مرة إلى مكة ، فكان إذا أظلم الليلُ فكأنه مثل هذه الزنابير إذا هِيجَتْ من عُشّها .

٤٣٢ ـ معروف بن واصل التيمي

أحمد بن عبد الله بن يونس قال : كان معروف إمام مسجد بنى عمرو بن سعد ، وكان يختم القرآن فى كل ثلاثٍ سفراً وحضراً . أمّ قومه ستين سنة لم يَسْهَ فى صلاةٍ قطّ لأنها كانت تهمّه .

٤٣٣ ـ موسى بن أبى عائشة

يكنى : « أبا بكر » - مولى آل جعدة بن هبيرة الكوفي ، جرير بن عبد الحميد قال : رأيت موسى بن أبى عائشة - وإذا رأيته ذكرت الله لرؤيته -وكان بين عينيه أثر السجود.

أبو بكر القرشي قال : أخبرنى إسحاق بن إسماعيل قال : أخبرنا سفيان قال : أخبرونى عن عمرو بن قيس قال : ما رفعت رأسى بليلٍ قط إلا رأيت موسى بن أبى عائشة قائماً يصلّى . قال القرشى : وقال غير إسحاق : وكانَ يُدعى المتهجِّد ، من شدة تغيّر لونه .

---

(١) الحش : البستان .

قال المؤلف : رأى عمرو بن حريث ، وسعيد بن جبير ، وعبد الله بن شداد ، وعبيد الله بن عبد الله ، في آخرين ، وروى عنه الثوري ، وكان يُثني عليه .

٤٣٤ ـ خلف بن حوشب

عن عبد السلام بن حرب قال : ما رأيت أصبرَ على السّهر من خلف بن حوشب ، سافرت معه إلى مكة فما رأيته نائماً بليلٍ حتى رجعنا إلى الكوفة .

٤٣٥ ـ كرز بن وبرة

كوفي الأصل ، إلا أنه سكن جُرجان ، محمد بن فضيل بن غزوان عن أبيه قال : دخلت على كُرز بن وبرة بيته فإذا عند مصلاّه حُفيرة وقد ملأها تبناً وبسط عليها كساء من طُول القيام ، وكان يقرأ القرآن في اليوم والليلة ثلاث مرات .

قال : أنبأ محمد بن فضيل ، عن أبيه ، أو عن نفسه قال : كان كُرز ، إذا خرج ، يأمر بالمعروف فيضربونه حتى يُغشى عليه .

عن شبرمة قال : صحبنا كُرْزاً الحارثيّ فكنا إذا نزلنا إلى الأرض فإنما هو قائل ببصره هكذا ، ينظر ، فإذا رأى بقعة تعجبه ذهب فصلّى فيها حتى يرتحل .

قال ابن شبرمة : سأل كرز بن وبرة ربه عز وجل أن يعطيه اسمه الأعظم على أن لا يسأل به شيئاً من الدنيا . فأعطاه ذلك فسأل الله عز وجل أن يقوى حتى يختم القرآن في اليوم والليلة ثلاث مرات .

خلف بن تميم قال : سمعت أبي يذكر قال : قدم علينا كُرز بن وبرة الحارثي من جرجان، فانجفل إليه قراء أهل الكوفة فكنت فيمن أتاه وما سمعت منه إلا كلمتين قال : صلّوا على نبيكم ﷺ فإن صلاتكم تُعرض عليه . وقال : اللهم اختم لنا بخير ، وما رأيت في هذه الأمة أعْبد من كرز ، كان لا يفتُر ، وكان يصلّى فى المحمل فإذا أنزل من المحمل افتتح الصلاة .

عن صبيح مولى كرز بن وبرة قال : أخبرني أبو سليمان المكتب قال : صحبت كرزاً إلى مكة فكان إذا نزل أدرج ثيابه فألقاها في الرحل ثم تنحى للصلاة ، فإذا سمع رغاء[1] الإبل أقبل . قال : فاحتبس يوماً عن الوقت وانبثّ أصحابه في طلبه ، فكنت فيمن طلبه، قال : فأصبتُه في وهْدة [2] يصلّى في ساعة حارة ، وإذا سحابة تظلّه ، فلما رآني أقبل نحوي فقال : يا أبا سليمان لي إليك حاجة قلت : وما حاجتك ؟ قال :

---

(١) رغا البعير يرغو رغاءً : ضج .

(٢) وهدة : بوزن « وردة » : الأرض المنخفضة .

أحب أن تكتم ما رأيت . قال : قلت : ذلك لك . قال : أوثق لي ، فحلفت أن لا أخبر به أحداً حتى يموت .

محمد بن فضيل قال : سمعت أبي يقول : لم يرفع كرز بن وبرة رأسه إلى السماء منذ أربعين سنة .

عمرو بن حميد قال : أخبرني رجل من أهل جرجان قال : لما مات كرز رأى رجل فيما يرى النائم كأن أهل القبور جلوسٌ على قبورهم ، وعليهم ثيابٌ جُدُدٌ ، فقيل لهم : ما هذا؟ فقالوا ، إن أهل القبور كُسوا ثياباً جدداً لقدوم كرزٍ عليهم .

أبو داود الحفْري قال : دخلت على كرز بن وبرة بيته فإذا هو يبكي فقيل له : ما يبكيك؟ قال : إن بابي لمغلق ، وإن ستري لمسْبَل ، ومنعت جزئي أن أقرأه البارحة وما هو إلا من ذنبٍ أذنبته .

أسند كرز عن : طاووس ، وعطاء ، والربيع بن خثيم ، والقُرظي في آخرين .

٤٣٦ ـ أبو يونس القوى

واسمه : الحسن بن يزيد العجلي . إسماعيل بن زبان قال : إنما سمي أبو يونس العجلي القويّ لقوته على العبادة ، صلى حتى أقعد ، وبكى حتى عمي ، وصام حتى صار كالحشفة .

وقال البخاري : قال أبو عاصم : قدم علينا أبو يونس فطاف في يوم واحد سبعين طوافاً .

وسمع أبو يونس من : أبي سلمة ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد .

٤٣٧ ـ عبد الملك بن سعيد بن أبجر المتطيب

الوليد بن شجاع قال : حدثني أبي قال : كان ابن أبجر ، من شدة التوقى يقول من لا يعرفه إنه عَيَي ، وما به إلا شدة التوقّى .

الوليد بن شجاع قال : حدثنى أبى قال : كان ابن أبجر من شدة التوقّى إنما يتكلم بالمعاريض [1] .

عن السليط بن بسطام التميمي . قال : قال لي أبى : الزم عبد الملك بن أبجر فتعلم من توقيه فى الكلام ، فما أعلم بالكوفة أشدَّ حفظاً للسانه منه .

---

(١) المعراض : التورية والفحوى ، وأصله الستر ، وفى الأثر : « إن فى المعاريض لمندوحة عن الكذب » .

عن جعفر الأحمر قال : كان أصحابنا البكاءون أربعة : عبد الملك بن أبجر ، ومحمد ابن سوقة ، ومطرف بن طريف ، وضرار بن مُرّة .

سفيان قال : قال سلمة بن كهيل : ما بالكوفة أحد أحب أن أكون في مسلاخه أحبّ إليّ من ابن أبجر .

سفيان الثوري قال : خمسة من أهل الكوفة يزدادون في كل يوم خيراً ، منهم : ابن أبجر .

عن عبد الملك بن أبجر قال : ما من الناس إلا مُبتلى بعافيةٍ لينظر كيف شُكره أو مُبتلى ببلية لينظر كيف صَبْرُه .

قال المؤلف : أسند ابن أبجر عن : أبي الطفيل عامر بن واثلة ، وعن : زر بن حبيش والشعبى ، في جماعة من نظرائهم .

٤٣٨ ـ عمرو بن قيس الملائي (١)

إسحاق بن خف قال : أقام عمرو بن قيس الملائي عشرين سنة صائماً ما يعلم به أهله يأخذ غذاءه ويغدو إلى الحانوت فيتصدق بغذائه ويصوم ، وأهله لا يدرون .

قال : وكان إذا حضرته الرِّقَّة يحول وجهه إلى الحائط ويقول لجلسائه : هذا الزكام ، وإذا نظر إلى أهل السوق قال : ما أغفل هؤلاء عما أُعدَّ لهم .

مفضل بن غسان قال : قال عمرو : حديث أرقّق به قلبي وأتبلّغ به إلى ربي عز وجل أحبّ إليّ من خمسين قضية من قضايا شُريح .

أبو خالد الأحمر قال : سمعت عمرو بن قيس الملائى يقول : إذا بلغك شيء من الخير فاعمل به ولو مرةً تكن من أهله (٢) .

عبد الرحمن بن الحكم بن بشير بن سليمان قال : أنبأ أبي قال : رأيت سفيان يجيء إلى عمرو بن قيس يجلس بين يديه ينظر إليه لا يكاد يصرف بصره عنه . أظنه يحتسب في ذلك .

صالح بن أحمد بن عبد الله العجلي قال : حدثني أبي عن أبيه عبد الله قال : جاءت امرأة إلى عمرو بن قيس بثوب فقالت : يا أبا عبد الله اشتَرِ هذا الثوب واعلم أن غزْله

---

(١) انظر : سير الأعلام (٦/ ٢٥٠) .

(٢) ومثله ما جاء عن الإمام أحمد أنه كلما سمع بخصلة من خصال الخير ورد بها حديث عمل بها ولو مرة ليكتب من أهلها .

ضعيف. قال : فكان إذا جاءه إنسان يعرضه عليه ، قال : إن صاحبته أخبرتني أنه كان في غزْله ضعف حتى جاء رجل فاشتراه وقال : هذا برأناك منه .

عمر بن حفص بن غياث قال : لما احتُضر عمرو بن قيس الملائي بكى ، فقال له أصحابه: على ما تبكي من الدنيا ؟ فوالله لقد كنت تبغض العيش أيام حياتك ، فقال : والله ما أبكي على الدنيا إنما أبكي خوفاً أن أحرم خوف الآخرة .

المحاربي قال : قال لى سفيان : عمرو بن قيس هو الذي أدبني ، علّمني قراءة القرآن وعلّمني الفرائض ، وكنت أطلبه في سوقه فإن لم أجده في سوقه وجدته في بيته إما يصلّي وإما يقرأ في المصحف . كأنه يبادر أموراً تفوتُه . فإن لم أجده في بيته وجدته في بعض مساجد الكوفة في زاوية من زوايا المسجد كأنه سارق قاعداً يبكي . فإن لم أجده وجدته في المقبرة قاعداً ينوح على نفسه . فلما مات عمرو بن قيس أغلق أهل الكوفة أبوابهم وخرجوا لجنازته فلما خرجوا إلى الجبان وبرزوا بسريره وكان أوصى أن يصلّي عليه أبو حيان التيمى، تقدّم أبو حيان وكبّر عليه أربعاً وسمعوا صائحاً يصيح : قد جاء المحسن . وإذا البّرية مملوءة من طير أبيض لم يُر على خلقتها وحسنها ، فجعل الناس يعجبون من حُسنها وكثرتها . فقال أبو حيان : من أيّ شيء تعجبون ؟ هذه الملائكة جاءت فشهدت عمراً .

عن عبد الله بن سعيد الجعفي قال : حضرنا جنازة عمرو بن قيس فحضره قوم كثير عليهم ثياب بيض ، فلما صُلِّي عليه ذهبوا فلم نرهم .

محمد بن يزيد الرفاعي قال: سمعت من لا أحصى كثرةً يقول : مات عمرو بن قيس بناحية فارس ، فاجتمع على جنازته ما لا يحصى ، فلما دُفن نظروا فلم يجدوا أحداً.

أبو خالد ، وهو الأحمر ، قال : لما مات عمرو بن قيس الملائي رأوا الصحراء مملوءة رجالاً عليهم ثياب بيض فلما صُلِّي عليه ودفن لم نر في الصحراء أحدًا فبلغ ذلك أبا جعفر فقال لابن شبرمة وابن أبى ليلى : ما منعكما أن تذكرا هذا الرجل فقالا : كان يسألنا أن لا نذكره لك .

قال المؤلف : سمع عمرو من : عكرمة ، وعطاء ، والمنهال بن عمرو ، وأبى إسحاق السبيعي ، وابن المنكدر ، في خلق كثير من التابعين . وتوفي بسجستان ، ويقال : بالكوفة، ويقال بالشام ، ويقال : ببغداد . والله أعلم .

٤٣٩ ـ عطوان بن عمرو التميمي

عن سليمان بن حيان ، أبو خالد الأحمر ، قال . كان عطوان بن عمرو التميمي رجلا منقطعاً ، وكان يلزم الجبّان بظهر الكوفة فأتاه قوم يسلّمون عليه فوجدوه مغشياً عليه بين

القبور ، فلم يزالوا عنده حتى أفاق فاستحيا منهم فجعل يقول لهم كهيئة المعتذر : ربما غلب عليّ النوم ، وربما أصابني الإعياء فألقى نفسي هكذا .

محمد بن السماك قال : ما رأيت أحداً أشدّ حذراً للموت من عطوان بن عمرو .

داود الطائي قال : سألت عطوان بن عمرو التميمي قلت : ما قصر الأمل ؟ قال : ما بين تردّد النفس .

قال رستم : فحدّثت به الفضيل بن عياض فبكى وقال : يقول : يتنفس فيخاف أن يموت قبل آن ينقطع نفسه ، لقد كان عطوان من الموت على حذر .

٤٤٠ ـ قيس بن مسلم الجدلي (١)

سفيان قال : كان قيس بن مسلم يصلي حتى السحر ، ثم يجلس فيمسح البكاء ساعة بعد ساعة ، وهو يقول : لأمر ما خُلقنا ، لئن لم نعن الآخرة بخير لنهْلكَنّ .

قال : وزار قيس بن مسلم محمد بن جحادة ذات ليلة فأتاه وهو في المسجد بعد صلاة العشاء ، قال : ومحمد قائم يصلي ، فقام قيس بن مسلم في الناحية الأخرى يصلّي . فلم يزالا على ذلك حتى طلع الفجر . وكان قيس بن مسلم إمام مسجده . قال فرجع إلى الحيّ فأمّهم ولم يلتقيا . ولم يعلم محمد مكانه . قال : فقال له بعض أهل المسجد : زارك أخوك قيس بن مسلم البارحة فلم تنفتِل إليه . قال : ما علمت بمكانه . قال : فغدا عليه فلما رآه قيس بن مسلم مقبلاً قام إليه فاعتنقه ثم خلوا جميعاً فجعلا يبكيان .

روى قيس بن مسلم عن : طارق بن شهاب ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، وسعيد ابن جبير . ومات سنة عشرين ومائة .

* * *

ومن الطبقة الخامسة

٤٤١ ـ مسعْرَ بن كدام بن ظهير (٢)

يكنى : « أبا سلمة » سفيان بن عيينَة قال : ما لقيت أحداً أفضّله على مِسعَر .

قال سفيان الثوري : لم يكن في زماننا مثلُه يعني مسعراً .

أبو خالد الأحمر قال : لم يكن في أترابه أطولُ صمتاً منه - يعني مسعراً .

محمد بن مسعر قال : كان أبي لا ينام حتى يقرأ نصف القرآن ، فإذا فرغ من وِرْدِهِ

---

(١) انظر : سير الأعلام (٥/ ١٦٤) .

(٢) المصدر السابق (٧/ ١٦٣) ، والحلية (٧/ ٢٠٩) .

لفَّ رداءه ثم هجع هجعة خفيفة ، ثم يثبُ كالرجل الذي قد ضلَّ منه شيء فهو يطلبه ، فإنما هو السواك والطّهور ، ثم يستقبل المحراب كذلك إلى الفجر ، وكان يجهد على إخفاء ذلك جداً .

عن أبي أسامة قال : سمعت مسعراً يقول : أشتهي أن أسمع صوت باكية حزينة .

محمد بن كناسه قال : سمعت مسعراً يقول : من أهمَّته نفسه تبيّن ذلك عليه .

سفيان قال : قال رجل لمسعر : أتحب أن يخبرك الرجل بعيوبك ؟ قال : إن كان ناصحاً فَنَعْم ، وإن كان يريد أن يؤنّبني فلا .

عبد الله بن المغيرة قال : سمعت مسعر بن كدام ينشد :

ألا قـــد فســـد الدهـــــــرُ ... فأضحـــــى حُلْـــوُهُ مُـرّا
وقـــد جـــرّبت مـــن أهـْوى ... فقـــد أنكـــرتُهم طــــــرّا
فالـــزم نفســك اليـــــــأس ... مـــن الناس تعـــــشْ حُرّا

عبد الرحمن بن صالح يقول : قال مسعر بن كدام :

تفنَى اللذاذة ممن نال صفـوتها ... من الحرامِ ويبقى الإثْم والعارُ
تبقـى عواقبُ سوءٍ من مغبتها ... لا خير في لذةٍ من بَعْدها النارُ

الفيض بن الفضل العجّلي قال : حدثني جارٌ لمسعر قال : بكّى مسعر فبكت أمه فقال لها مسعر : ما أبكاك يا أماه ؟ فقالت : يا بني رأيتك تبكي فبكيت فقال : يا أمّاه لمثل ما نهجُم عليه غداً فلنُطِل البكاء . قالت : وما ذاك ؟ فانتحب فقال : القيامة وما فيها . قال : ثم غلبه البكاء فقام .

قال : وكان مسعر يقول : لولا أمّي لما فارقت المسجد إلا لما لابدّ منه ، وكان إن دخل بكى ، وإن خرج بكى ، وإن صلّى بكى ، وإن جلس بكى .

حسين بن يحيى بن آدم ، عن أبيه قال : لما حضرت مسعراً الوفاة دخل عليه سفيان الثوري فوجده جزعاً فقال له : تجزع ؟ فوالله لوددتُ أني مُتّ الساعة ! فقال مسعر : أقعدُوني . فأعاد سفيان الكلام عليه ، فقال : إنك إذاً لواثقٌ بعملك يا سفيان ، لكني والله على شاهقة جبلٍ لا أدري أين أهبط . فبكى سفيان وقال : أنت أخْوفُ لله منّي .

أحمد بن داود الحرّاني قال : مصعب بن المقدام يقول : رأيت النبي ﷺ في المنام ، وسفيان الثوري آخذٌ بيده ، وهما يطوفان ، فقال الثوري : يا رسول الله مات مسعر بن كدام ؟ قال : نعم ، واستبشَرَ به أهلُ السماء .

قال المؤلف : أسند مسعر عن أعلام التابعين ، وتوفي بالكوفة سنة اثنتين ، وقيل سنة خمس وخمسين ومائة .

٤٤٢ ـ داود بن نصير الطائي [1]

يكنى : « أبا سليمان » . سمع الحديث وتفقه ، ثم اشتغل بالتعبّد .

أحمد بن أبي الحواري قال : حدثني بعض أصحابنا قال : كان داود الطائى يجالس أبا حنيفة فقال له أبو حنيفة : يا أبا سليمان أما الأداة فقد أحكمناها . قال داود : فأيّ شيء بقي ؟ قال : بقي العمل به . قال : فنازعتني نفسي إلى العزلة والوحدة ، فقلت لها : حتى تجلسي معهم فلا تُجيبي في مسألة . قال : فكان يجالسهم سنةً قبل أن يعتزل. قال : فكانت المسألة تجئ وأنا أشدّ شهوة للجواب فيها من العطشان إلى الماء فلا أجيب فيها . قال: فاعتزلتُهم بعد .

أبو أسامة قال : جئت أنا وابن عيينة داود الطائى فقال : قد جئتماني مرةً فلا تعودا إليَّ .

ابن عائشة قال : مرّ داود الطائى بمقبرة فسمع امرأة وهي تقول : يا حبّي ليت شعري بأي خديك بدأ البلى ؟ باليمنى أم باليسرى ؟ قال : فصعق .

قال : وكان الثوري إذا ذكرهُ قال : أبصر الطائي أمره .

محمد بن حاتم البغدادى قال : سمعت الجماني يقول : كان بَدْو توبة الطائي أنه دخل المقبرة فسمع امرأة عند قبر وهي تقول :

مقيم إلى أن يبعث الله خلقه ... لقاؤك لا يُرْجَى وأنت قريب
تَزيدُ بلى في كلّ يومٍ وليلة ... وتسْلى كما تبلى وأنت حبيبُ

أحمد بن أبي الحواري قال : حدثني محمد بن يحيى عن داود الطائي قال : ما أخرج عبداً من ذل المعاصي إلى عزّ التقوى إلا أغناه بلا مالٍ ، وأعزّه بلا عشيرة ، وآنسه بلا بشر .

عن بكر بن محمد قال : قال لي داود الطائي : فرّ من الناس كما تفرّ من الأسد .

محمد بن عثمان الصّيرفي قال : جاء أبو الربيع الأعرج إلى داود الطائي من واسط ليسمع منه شيئاً ويراه . فأقام على بابه ثلاثة أيام لا يصل إليه . قال : وكان إذا سمع الإقامة خرج فإذا سلّم الإمام وثب فدخل منزله [2] .

---

(١) المصدر السابق (٧/ ٣٣٥) ، وسير الأعلام (٧/ ٤٢٢) .

(٢) وبهذا يكون قد أتى بشروط العزلة وهو ألا يترك الجمعة والجماعات – أى الصلوات فى جماعة. وانظر لقوله التالى : « فر من الناس غير طاعن عليهم ولا تارك لجماعتهم » ، وقال الإمام النووى : اعلم أن الاختلاط بالناس بحضور جمعهم وجماعتهم ، ومشاهد الخير ، ومجالس الذكر =

قال : فصلّيت في مسجد آخر ثم جئت فجلست على بابه فلما جاء ليدخل الدار قلت : ضيف رحمك الله . قال : إن كنت ضيفا فادخل ، فدخلت فأقمت عنده ثلاثة أيام لا يكلّمني . فلما كان بعد ثلاث قلت : رحمك الله أتيتك من واسط وإني أحببت أن تزوّدني شيئا . قال : صُم الدنيا واجعل فطرك الموت . قلت : زِدْني رحمك الله . قال: فرّ من الناس فرارك من الأسد ، غير طاعن عليهم ، ولا تاركٍ لجماعتهم . قال : فذهبت أستزيده فوثب إلى المحراب وقال : الله أكبر .

عن أبي الربيع الأعرج قال : أتيت داود الطائي وكان لا يخرج من منزله حتى يقول: قد قامت الصلاة فيخرج فيصلى فإذا سلّم الإمام أخذ نعله ودخل منزله فلما طال ذلك عليَّ أدركته يوماً فقلت : يا أبا سليمان على رسْلك . فوقف علي فقلت له : أبا سليمان أوصنى . قال : اتق الله ، وإن كان لك والدان فبرَّهما . ثم قال ويحك صُمِ الدنيا واجعل الفطْر موتك ، واجتنب الناس غير تاركٍ لجماعتهم .

عبد الله بن إدريس قال : قلت لداود الطائي : أوصني . قال : أقلل من معرفة الناس. قلت : زِدْني . قال : ارض باليسير من الدنيا مع سلامة الدين كما رضي أهل الدنيا مع فساد الدين . قلت زدني . قال : اجعل الدنيا كيومٍ صُمته ثم أفطرت على الموت .

إسحاق بن منصور السلولي قال : دخلت أنا وصاحب لي على داود الطائي وهو على التراب ، فقلت لصاحبي : هذا رجل زاهد . فقال داود : إنما الزاهد من قدر فترك.

= معهم ، وعيادة مريضهم ، وحضور جنائزهم ، ومواساة محتاجهم ، وإرشاد جاهلهم . . . وغير ذلك من مصالحهم لمن قدر على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وقمع نفسه عن الإيذاء ، وصبر على الأذى. فهذا هو الوجه المختار الذى كان عليه رسول الله ﷺ وسائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وكذلك الخلفاء الراشدون ، ومن بعدهم من الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم من علماء المسلمين وأخيارهم .

وهو مذهب أكثر التابعين ومن بعدهم ، وبه قال الشافعى وأحمد ، وأكثر الفقهاء رضى الله عنهم أجمعين ، قال تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ .

وقال : استحباب العزلة عند فساد الزمان أو الخوف من فتنة فى الدين أو وقوع فى حرام وشبهات ونحوها .

قال الله تعالى : ﴿ ففروا إلى الله إنى لكم منه نذير مبين ﴾ ، وعن أبى سعيد الخدرى قال : قال رجل: أى الناس أفضل يا رسول الله ؟ قال : « مؤمن مجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله » . قال : ثم من ؟ قال : « ثم رجل معتزل فى شعب من الشعاب يعبد ربه » .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن » . اهـ . (رياض الصالحين : باب : ٦٩ ، ٧٠) بتصرف .

الوليد بن عقبة قال : كان يُخبز لداود الطائي ستون رغيفاً يعلّقها بشريط ، يُفطر كل ليلةٍ على رغيفين بملح وماء . فأخذ ليلة فطْره فجعل ينظر إليه . قال : ومولاة له سوداء تنظرُ إليه ، فقامت فجاءته بشيء من تمر على طبق فأفطر ثم أحيا ليلته وأصبح صائماً . فلما جاء وقت الإفطار أخذ رغيفيه وملحاً وماء .

قال الوليد بن عقبة : فحدثني جارٌ له قال : جعلت أسمعه يعاتب نفسه ويقول اشتهيْت البارحة تمراً فأطعمتك ، واشتهيت الليلة تمراً ؟ لا ذاق داود تمراً ما دام في الدنيا .

عن حماد بن أبي حنيفة قال : قالت مولاة لداود الطائي : يا داود لو طبختُ لك دسماً . قال : فافعلي . فطبختْ له شحماً ثم جاءته به . فقال لها : ما فعل أيتام بني فلان ؟ قالت : على حالهم ، قال : اذهبي به إليهم . فقالت له : فديتك ، إنما تأكل هذا الخبز بالماء ؟ قال : إني إذا أكلته كان في الحُشّ وإذا أكله هؤلاء الأيتام كان عند الله مذخوراً .

صدقة الزاهد قال : خرجنا مع داود الطائي في جنازة بالكوفة ، فقعد داود ناحية وهي تُدفن فجاء الناس فقعدوا قريباً منه فتكلم فقال : من خاف الوعيد قصُر عليه البعيد ، ومن طال أمله ضعف عمله ، وكل ما هو آتٍ قريبٌ ، واعلم يا أخي أن كل ما يشغلك عن ربك فهو عليك مشؤوم ، واعلم أن أهلَ القبور إنما يفرحون بما يقدّمون ويندمون على ما يُخلفون ، وأهل الدنيا يقتتلون ويتنافسون فيما عليه أهل القبور يندمون .

أبو حفص قال : سمعت ابن أبي عديّ يقول : صام داود الطائي أربعين سنة ما علم به أهله ، وكان خزّازاً ، وكان يحمل غداءَه معه ويتصدق به في الطريق ويرجع إلى أهله يفطر عشاء لا يعلمون أنه صائم .

قال الشيخ : وقد رويت لنا هذه الحكاية من طريق أبي حفص الفلاس أيضاً .

عن ابن أبي عديّ أن هذا جرى لداود بن أبي هند ، وسنذكرها في أخبار البصريين ، وهي بذاك أليق من داود الطائي . وكان متشاغلاً بالعلم ثم انقطع إلى التعبد ، ولم يُنقل عنه أنه تشاغل بالمعاش ، فلعل بعض الرواة قال الطائي . والله أعلم .

محمد بن بشر العبدي قال : قال داود يوماً لمولاة له في الدار : أشتهي لبناً فخذي رغيفاً فائتي به البقال فاشترى به لبناً ولا تُعلمي البقال لمن هو ؟ فذهبت فجاءت به فأكل وفطن البقال بعدُ أنها تريد اللبن لداود ، فطيّبه له . فقال لها : عَلِمَ البَقّالُ لمن تريدين اللبن ؟ فقالت : نعم . قال : ارفعيه . فما عاد فيه [1] .

---

(١) وذلك خوفاً من أن يأكل بدينه وأن يكرمه الناس له من أجل تدينه .

قال : وجاءه فضيل يوماً فلم يفتح له ، فجلس فضيل خارج الباب وهو داخل فبكى داود من داخل وفضيل من خارج ، ولم يفتح له . قلت لمحمد بن بشر : كيف لم يفتح له الباب ؟ قال : قد كان يفتح لهم وكثروا عليه فغمّوه فحجبهم كلهم ، فمن جاءه كلّمه من وراء الباب .

وقالت له أمه : لو اشتهيت شيئاً اتّخذته لك . فقال : أجيدي يا أماه فإني أريد أن أدعوا إخواناً لي . قال : فاتّخذت وأجادتْ . قال : فقعد على الباب لا يمرّ سائل إلا أدخله . قال : فقدم إليهم فقالت له أمه : لو أكلت . قال : فمن أكله غيري .

قال : وإنما جدّ واجتهد حين ماتت أمه قسم كل شيء تركتْ حتى لزق بالأرض ، وكانت موسرة .

إسحاق بن منصور قال : حدثني جنيد - يعني الحجّام - قال : أتيت داود الطائي فإذا قرحة قد خرجت على لسانه فبَطَطْتُهَا ،أخرجت قليل دواء فوضعته في خرقة فقلت : إذا كان الليل فضعه عليها . فقال : ارفع ذلك اللبد . فرفعته فإذا دينار فقال : خذه . قلت : يا أبا سليمان ليس هذا ثمن هذا ، ثمن هذا دانق فوضعت الدواء في كوّة وخرجت ثم غدوت بعد يومين فإذا الدواء على حاله . قلت : يا أبا سليمان سبحان الله ، لِمَ لمْ تعالج بهذا الدواء ؟ فقال لي : إن أنت لم تأخذ الدينار لم أمسّه .

إسماعيل بن زيان قال : حجم حجّام داود الطائي فأعطاه ديناراً لا يملك غيره .

حدثنا أبو سعيد السكري قال : احتجم داود الطائي فدفع ديناراً إلى الحجام ، فقيل له : هذا إسراف . فقال : لا عبادة لمن لا مروءة له .

عبادة بن كليب قال : قال رجل لداود الطائي : لو أمرت بما في سقف البيت من نسج العنكبوت فينظف . فقال له : أما علمت أنه كان يكره فضول النظر .

الحسن بن عيسى قال : سمعت عبد الله بن المبارك يقول : وهل الأمر إلا ما كان عليه داود الطائي .

عبيد الله بن محمود بن سلمة بن معبد قال : لقي داود الطائي رجلاً فسأله عن حديث ، فقال : دعني إني أبادر خروج نفسي .

وكان الثوري إذا ذكره قال : أبصر الطائي أمره .

أبو خالد الأحمر قال : مررت أنا وسفيان الثوري بمنزل داود الطائي فقال لي سفيان : ادخل بنا نسلّم عليه . فدخلنا إليه فما احتفل بسفيان ولا انبسط إليه . فلما خرجنا قلت له : يا أبا عبد الله غاظني ما صنع بك . قال : وأيّ شيء صنع بي ؟ قلت : لم يحفل بك

ولم ينبسط إليك . قال : إن أبا سليمان لا يُتّهم في مودة ، أما رأيت عينيه ؟ هذا في شيء غير ما نحن فيه .

أبو عمران قال : حدثني أسود بن سالم أن داود الطائي كان يقول : سبقني العابدون وقُطع بي ، وا لهفاه .

محمد بن أشكاب قال : حدثني رجل من أهل داود الطائي قال : قلت له يوماً : يا أبا سليمان قد عرفت الرَّحم التي بيننا فأوصني قال : فدمعت عيناه . ثم قال : يا أخي إنما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلة مرحلة حتى ينتهي بهم ذلك إلى آخر سفرهم ، فإن استطعت أن تقدم في كل مرحلة زاداً لما بين يديها فافعل ، فإن انقطاع السفر عن قريب والأمر أعجل من ذلك ، فتزود لسفرك واقض ما أنت قاضٍ من أمرك ، فكأنك بالأمر قد بغتك ، إني لأقول لك هذا وما أعلم أحداً أشد تضييعاً مني لذلك . ثم قام وتركني .

أبو المهنا الطائي قال : خرج داود الطائي إلى السوق فرأى الرطب فاشتهته نفسه فجاء إلى البائع فقال له : أعطني بدرهم إلى غد . فقال له : اذهب إلى عملك . فرآه بعض من يعرفه فأخرج له صرة فيها مائة درهم وقال : اذهب فإنْ أخذ منك بدرهم فالمائة لك: فلحقه البائع وقال له : ارجع خُذ حاجتك . فقال : لا حاجة لي فيه إنما جرّبت هذه النفْس فلم أرها تساوي في هذه الدنيا درهماً وهي تريد الجنة غداً .

حفص بن عمر الجعفي قال : كان داود الطائي قد ورث عن أمه أربعمائة درهم ، فمكث يتقوتها ثلاثين عاماً ، فلما نفدت جعل ينقض سقوف الدويرة فيبيعها حتى باع الخشب والبواريّ (١) واللبن ، حتى بقي في نصف سقف . وجاء صديق له فقال : يا أبا سليمان لو أعطيتني هذه فأبضعتها لك لعلنا نستفضل لك فيها شيئاً يُنتفع به . فما زال به حتى دفعها إليه ، ثم فكّر فيها فلقيه بعد العشاء الآخرة فقال : اردُدها عليّ . فقال: ولم ذاك يا أخي؟ قال : أخاف أن يدخل فيها شيء غير طيّب . فأخذها .

عثمان بن زُفر قال : أخبرني ابن عم لداود الطائي قال : ورث داود الطائي من أبيه عشرين ديناراً فأكلها في عشرين سنة ، كل سنة ديناراً منه يصل ومنه يتصدق ، وورث بيتاً فكان يكون فيه لا يَعْمُرُهُ ، كلما خربتْ ناحية تركها وتحول إلى ناحية أخرى فخرب كلّه إلا زاوية منه كان يكون فيها .

---

(١) البوارى : الحصير المنسوج من القصب .

محمد بن إسحاق قال : سمعت محمد بن زكريا يقول : سمعت بعض أصحابنا قال : ورث داود الطائي من مولاة له عشرين ديناراً كفته عشرين سنة .

عن عبد الله بن صالح قال : قال داود الطائي : يا بن آدم فرحت ببلوغ أملك وإنما بلغته بانقضاء مدة أجلك ثم سوّفت بعملك كأن منفعته لغيرك .

عن قُبيصة قال : حدثني صاحب لنا أن امرأة من أهل داود الطائي صنعت ثريدة بسمن ثم بعثت بها إلى داود حين إفطاره مع جارية لها ، قالت الجارية : فأتيته بالقصعة فوضعتها بين يديه فسعى ليأكل منها ، فجاء سائل فقام إليه فدفعها إليه وجلس معه على الباب حتى أكلها . ثم دخل فغسل القصعة ثم عمد إلى تمر كان بين يديه - قالت الجارية : ظننت أنه كان أعدّه لعَشائه - ودفعه إليّ وقال : أقرئيها السلام ، قالت الجارية : دفع إلى السائل ما جئناه به ، ودفع إلينا ما أراد أن يفطر عليه . قالت : وأظنه ما بات إلا طاوياً . قال قبيصة : فكنت أراه قد نحل جداً .

ابن زبان قال : قالت داية داود الطائي : يا أبا سليمان أما تشتهي الخبز ؟ قال : يا داية بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية .

عبد الله بن صالح بن مسلم العجلي قال : دخلتُ على داود الطائي في مرضه الذي مات فيه ليس في بيته إلا دَنٌّ مقيَّر يكون فيه خبز يابس ومطهرة ولبنة كبيرة على التراب يجعلها وسادة وهي مخدّته ليس في بيته بوري ولا قليل ولا كثير .

محمد بن بشير قال : قال حماد لداود الطائي : يا أبا سليمان لقد رضيت من الدنيا باليسير . قال : أفلا أدلّك على من رضي بأقل من ذلك ؟! من رضي بالدنيا كلّها عوضاً عن الآخرة .

أبو محمد العابد قال : دخل أبو يوسف على داود الطائي فقال له : ما رأيت أحداً رضي من الدنيا بمثل ما رضيت به . فقال : يا يعقوب من رضي الدنيا كلها عوضاً عن الآخرة فذاك الذى رضي بأقل مما رضيت.

الحارث بن إدريس قال : قلت لداود الطائي : أوصني ؟ فقال : عسكرُ الموتى ينتظرونك .

إسحاق بن منصور السلولي قال : حدّثتني أم سعيد بن علقمة النخعيّ- وكانت طائية-

قالت : كان بيننا وبين داود الطائي حائط قصير فكنت أسمع حسّه عامة الليل لا يهدأ .

قالت : وربما سمعته في جوف الليل يقول : اللهم همُّك عطل عليّ الهموم ، وحالف بيني وبين السّهاد ، وشَوْقي إلى النظر إليك ، أوثق منّي وحال بيني وبين اللذات ، فأنا في سجنك أيها الكريم مطلوب .

قالت : وربما ترنم بالآية فأرى أن جميع نعيم الدنيا جُمع في ترنّمه .

ابن السماك قال : أوصاني أخي داود الطائي بوصية : انظر لا يراك الله حيث نهاك وأن لا يفقدك من حيث أمرك ، واستَحْيِه في قربه منك وقدرته عليك .

محمد بن أشكاب قال : قال داود الطائي : اليأس سبيل أعمالنا هذه ، لكن القلوب تجر إلى الرجاء .

عن الحماني قال : قلت لداود الطائي : ما ترى في الرّمي فإني أحب أن أتعلمه ؟ فقال : إن الرميَ لحسن ، ولكن إنما هي أيامك فانظر بما تقطعها .

أبو بكر محمد بن أبي داود قال : سمعت شيدويه يقول لداود الطائي : أرأيت رجلاً دخل على هؤلاء الأمراء بالمعروف ونهاهم عن المنكر ؟ قال : أخاف عليه السوط قال : إنه يقوى ؟ قال : أخاف عليه السيف . قال إنه يقوى ؟ قال : أخاف عليه الداء الدفين العُجْب .

عن أبي نعيم قال : رأيت داود الطائي تدور في وجهه نملة عرضاً وطولاً لا يفطن بها . يعني من الهمّ .

أبو سعيد قال : حدثني سهل بن بكار قال : قالت أخت لداود الطائي : لو تنحّيت من الشمس إلى الظل . فقال : هذه خُطى لا أدري كيف تُكتب .

عباس التَّرْقُفي قال : سمعت معاوية بن عمرو يقول : كنا عند داود الطائي يوماً ، فدخلت الشمس من الكوة فقال له بعض من حضر : لو أذنت لي سددتُ هذه الكوّة ؟ فقال : كانوا يكرهون فضول النظر . وكنا عنده يوماً آخر فإذا بِفَرْوِه قد تخرق وخرج خمله . فقال له بعض من حضر : لو أذنت لي خيّطته ؟ فقال : كانوا يكرهون فضول الكلام .

أبو سعيد السكرى قال : احتجم داود الطائي فدفع إلى الحجّام ديناراً ، فقيل له هذا إسراف ، فقال : لا عبادة لمن لا مروءة له .

أبو داود الطيالسي قال : حضرت داود عند الموت فما رأيت أشدّ نزعاً منه ، أتيناه من العشيَ ونحن نسمع نزعه قبل أن ندخل، ثم غدونا إليه وهو في النزع فلم نبرح حتى مات .

حفص بن عمر الجعفي قال : اشتكى داود الطائي أياماً وكان سبب علته أنه مرّ بآية فيها ذكر النار فكررها مراراً في ليلته فأصبح مريضاً . فوجده قد مات ورأسه على لبنة .

قال ابن السماك – حين مات داود الطائي : يا أيها الناس إن أهل الدنيا تعجّلوا غموم القلب وهموم النفس وتعب الأبدان مع شدّة الحساب ، فالرغبة متعبة لأهلها في الدنيا

والآخرة ، والزهادة راحة لأهلها في الدنيا والآخرة ، وإن داود الطائي نظر بقلبه إلى ما بين يديه فأعشى بصرُ قلبه بصر العيون فكأنه لم يبصر ما إليه تنظرون ، وكأنكم لا تبصرون ما إليه ينظر . فإنكم منه تعجبون وهو منكم يتعجب ، فلما نظر إليكم راغبين مغرورين قد ذهبت على الدنيا عقولُكم وماتت من حبها قلوبُكم وعشقتْها أنفسكم وامتدّت إليها أبصاركم استوحش الزاهد منكم لأنه كان حياً وسط موتى ، يا داوُد ما أعجب شأنك ألزمت نفسك الصمت حتى قوّمتها على العدل ، أهنتها وإنما تريد كرامتها، أذْللتها وإنما تريد إعزازها ، ووضعتها وإنما تريد تشريفها وأتْعبتها وإنما تريد راحتها ، وأجعتَها وإنما تريد شبعها ، وأظمأْتها وإنما تريد ريّها ، وخشنت الملبس وإنما تريد ليّنه وجشبتَ المطعم (١) وإنما تريد طيّبه ، وأمتّ نفسك قبل أن تموت ، وقبرتها قبل أن تُقبر، وعذّبتها قبل أن تعذَّب ، وغيبتها عن الناس كي لا تذكر ، وغبت بنفسك عن الدنيا إلى الآخرة ، فما أظنك إلا قد ظفرت بما طلبت . كأنّ سيماك في عملك وسرّك ولم يكن سيماك في وجهك فقهْتَ في دينك ثم الناس يُفْتُون ، وسمعت الأحاديث ثم تركت الناس يحدّثون ويروون ، وخرست عن القول وتركت الناس ينطقون ، لا تحسدُ الأخيار ولا تعيبُ الأشرار ولا تقبل من السلطان عطيّة ولا من الأخوان هدية . آنس ما يكون إذا كنت بالله خالياً وأوحش ما تكون إذا كنت مع الناس جالساً فأوْحش ما تكون آنس ما يكون الناس ، وآنس ما تكون أوْحش ما يكون الناس جاوزت حد المسافرين في أسفارهم، وجاوزت حدّ المسجونين في سجونهم ، فأما المسافرون فيحملون من الطعام والحلاوة ما يأكلون ، فأما أنت فإنما هي خبزتك أو خبزتان في شهرك ، ترمي بها في دَنّ عندك فإذا أفطرت أخذت منه حاجتك فجعلته في مطهرتك ثم صببت عليه من الماء ما يكفيك ، ثم اصطنعت به ملْحاً فهذا إدامك وحلواك ، فمن سمع بمثلك صبرَ صبْرك أو عزم عزمك ، وما أظنك إلا قد لحقت بالماضين ، وما أظنك إلا قد فضلت الآخرين ولا أحسبك إلا قد أتعبت العابدين، وأما المسجون فيكون مع الناس محبوساً فيأنس بهم وأما أنت فسجنت نفسك في بيتك وحدك فلا محدّث وجليس معك ، ولا أدري أيّ الأمور أشدّ عليك ، الخلوة في بيتك تمرّ بك الشهور والسنون أم تركك المطاعم والمشارب، لا ستْر على بابك ، ولا فراش تحتك ، ولا قلّة يبردّ فيها ماؤك ، ولا قصعة يكون فيها غداؤك وعشاؤك؟ مطهرتك قلّتك وقصعتك تَوْرُك وكلّ أمرك يا داود عجب . أما كنت تشتهي من الماء بارده ولا من الطعام طيبه ولا من اللباس لينه ؟ بـلى ، ولكنك زهدت فيه لما بين يديك. فما أصغر ما بذلت ، وما أحقر ما تركت ، وما أيسر ما فعلت في جنب

---

(١) أى جعلت طعامك خشن .

ما أملت ، أما أنت فقد ظفرت بروح العاجل وسعدت إن شاء الله في الآجل، عزلت الشهرة عنك في حياتك لكي لا يدخلك عُجْبُها ولا يلحقك فتنتُها فلما مُتَّ شهرك ربُّك بموتك وألبسك رداء عملك ، فلو رأيت اليوم كثرة تعبك عرفت أن ربك قد أكرمك.

إسحاق بن منصور قال : لما مات داود الطائي شيع الناس جنازته . فلما دفن قام ابن السماك على قبره فقال : يا داود كنت تسهر ليلك إذ الناس نائمون ، قال : وكنت تسلم إذ الناس يخوضون ، وكنت تربح إذ الناس يخسرون . فقال الناس جميعاً : صدقت حتى عدَّد فضائله كلها . فلما فرغ ، قام أبو بكر النهشلي فحمد الله ثم قال : يا رب إن الناس قد قالوا ما عندهم ومبلغ ما علموا ، اللهم اغفر له برحمتك . ولا تكله إلى عمله.

قال المؤلف : أسند داود عن جماعة من التابعين منهم : عبد الملك بن عمير ، وحبيب ابن أبي عمرة ، والأعمش ، وحميد الطويل ، وإسماعيل بن أبي خالد وتوفي في سنة خمس وستين ومائة في خلافة المهدي .

ومن الطبقة السادسة

٤٤٣ ـ سفيان بن سعيد الثوري[١]

عبد الله بن محمد بن أيوب المخرمي قال : سمعت يزيد بن هارون يقول : أُخِذَ العلم عن سفيان الثوري وهو ابن ثلاثين سنة .

يزيد بن عبد الرحمن بن مصعب قال : سمعت أبى يقول : سمعت سفيان الثورى يقول: لو لم أعلم لكان أقل لحزني .

عن محمد بن يوسف الفريابى قال : قلت لسفيان الثورى : أرى الناس يقولون سفيان الثورى ، وأنت تنام الليل ؟ فقال لي : اسكت ، ملاكُ هذا الأمر التقوى .

يحيى بن أيوب المقابري قال : سمعت علي بن ثابت يقول : رأيت الثوري في طريق مكة فقوّمت كل شيء عليه ، حتى نعليه : درهماً وأربعة دوانيق [٢] .

يحيى بن أيوب قال : سمعت علي بن ثابت قال : لو لقيت سفيان في طريق مكة ومعك فلسان تريد أن تتصدق بهما وأنت لا تعرف سفيان ظننت إنَك ستضعهما في يده. وما رأيت سفيان في صدر المجلس قط ، إنما كان يقعد إلى جانب الحائط ويستند إلى الحائط ويجمع بين ركبتيه .

---

(١) انظر : الحلية (٦/ ٣٥٦) ، وسير الأعلام (٧/ ٢٢٩) .

(٢) الدرهم : جزء من أثنى عشر جزءاً من الأوقية : وقطعة من فضة ، والدانق : سدس الدرهم .

عن علي بن عثّام بن علي قال : سمعت أبي قال : سمعت سفيان الثوري يقول : لقد خفتُ الله خوفاً عجباً لي ، كيف لا أموت لكنْ لي أجل أنا بالغه ، ولقد خفت الله خوفاً وددت أنه خفف عني منه ما أخاف أن يذهب عقلي .

عبد الرحمن بن عبد الله قال : قال سفيان : إني لأضع يدي على رأسي من الليل إذا سمعتُ صيحة فأقول : قد جاءنا العذاب .

عن عبثر قال : قام سفيان يصلّي قبل الزوال فمرّ بهذه الآية ﴿ **فإذا نُقِرَ في النَّاقُورِ فذلك يومئذٍ يومٌ عسيرٌ** ﴾ (١) فخرج نادّاً فما لحقوه إلا في الحمراء فردّوه .

قال السني : وقال عمرو العتابي ، عن سفيان : ما من موطن من المواطن أشدّ عليَّ من سكرة الموت أخاف أن يشدّد عليّ ، فاسأل التخفيف فلا أجاب فأفتتن .

يوسف بن أسباط قال : قال لي سفيان ، وقد صلينا العشاء الآخرة ناولني المطهرة فناولْته فأخذها بيمينه ووضع يساره على خده ، ونمتُ فاستيقظت وقد طلع الفجر فنظرت فإذا المطهرة بيمينه ويساره على خده ، فقلت: يا أبا عبد الله هذا الفجر قد طلع . قال : لم أزل منذ ناولْتَني هذه المطهرة أتفكّر في أمر الآخرة حتى الساعة .

قال يوسف بن أسباط : كان سفيان الثوري إذا أخذ في الفكر بال الدمَ .

أبو يزيد محمد بن حسان قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول : ما عاشرت في الناس رجلاً أرقّ من سفيان ، وكنت أرمقه الليلة بعد الليلة فما كان ينام إلا أول الليل ثم ينتفض فزعاً مرعوباً ينادي : النار النار ، شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات ، ثم يتوضأ ويقول على إثر وضوئه : اللهم إنك عالم بحاجتي غيرُ معلّم ، وما أطلب إلا فكاك رقبتي من النار ، إلهي : إن الجزع قد أرّقني وذلك من نعَمك السابغة عليّ ، إلهي: لو كان لي عذر في التخلي ما أقمت مع الناس طَرْفة عين – ثم يقبل على صلاته . وكان البكاء يمنعه من القراءة حتى إن كنت لا أستطيع سماع قراءته من كثرة بكائه . وما كنت أقدر أن أنظر إليه استحياءَ وهيبة منه .

إسحاق بن إبراهيم الحنينى قال : كنا في مجلس الثوري وهو يسأل رجلاً عما يصنع في ليله فيخبره ، حتى دار على القوم . فقالوا : يا أبا عبد الله . قد سألتنا فأخبرناك ، فأخبرنا أنت كيف تصنع في ليلك ؟ فقال : لها عندي أول الليل نومة تنام ما شاءت لا أمنعها إذا استيقظت فلا أقيلها والله .

صالح بن خليفة الكوفي قال : سمعت سفيان الثوري يقول : إن فُجّار القرّاء اتخذوا

---

(١) سورة المدثر آية : ٨ ، ٩ .

القرآن إلى الدنيا سلّماً قالوا : ندخل على الأمراء نفرّج عن المكروب ونتكلم في محبوس .

علي بن حمزة ابن أخت سفيان قال : ذهبت ببول سفيان إلى الديراني وكان لا يخرج من باب الدير فأريته فقال : ليس هذا بول حنيفي . قلت : بلى والله من أفضلهم . فقال : أنا أجيء معك . فقلت لسفيان : قد جاء بنفسه . فقال : أَدخله . فأدخلتُه فمسّ وجسّ عِرْقه ثم خرج . فقلت : أيَّ شيء رأيت ؟ قال : ما ظننت أن في الحنيفية مثل هذا ، هذا رجل قد قطع الحزنُ كبده .

عبد الرحمن بن مهدي قال : بات سفيان عندي فلما اشتدَّ به الأمر جعل يبكي ، فقال له رجل : يا أبا عبد الله أراك كثير الذنوب . فرفع شيئاً من الأرض فقال : والله لَذُنوبي أهْون عندي من ذا ، إني أخاف أن أُسلب الإيمان قبل أن أموت .

عن عبد الرحمن بن مهدي قال ليلة مات سفيان : توضأ تلك الليلة للصلاة ستين مرة فلما كان وجه السحر قال لي : يا ابن مهدي ضع خدّي بالأرض فإني ميّت يا ابن مهدي ما أشد الموت ما أشد كرب الموت . قال : فخرجت لأعلم حماد بن زيد وأصحابه فإذا هم قد استقبلوني فقالوا : آجرك الله . فقلت : من أين علمتم ذلك ؟ فقالوا : إنه ما منّا أحد إلا أُتِيَ البارحة في منامه فقيل له : ألا إن سفيان الثوري قد مات ، رحمه الله .

عن ابن أبجر قال : لما حضرت سفيان الوفاةُ قال : يا ابن أبجر قد نزل بي ما قد ترى فانظر من يحضرني . فأتيتهم بقومٍ فيهم حماد بن سلمة ، وكان حماد من أقربهم إلى رأسه . قال : فتنفس سفيان . فقال له حماد : أبشر فقد نجوت مما كنت تخاف ، وتقدم على رب كريم . قال : فقال : يا أبا سلمة أترى الله أن يغفر لمثلي ؟ قال : إي والله الذي لا إله إلا هو . قال : فكأنما سُرِّيَ عنه .

عن عبد الرحمن بن مهدي قال : رأيت سفيان الثوري في المنام فقلت : ما فعل الله بك؟ قال : لم يكن إلا أن وُضعت في اللحد حتى وقفت بين يدي الله عز وجل فحاسبني حساباً يسيراً ثم أمر بي إلى الجنة ، فبينا أنا أدورُ بين أشجارها وأنهارها ولا أسمع حساً ولا حركة ، إذ سمعت قائلاً يقول : سفيان بن سعيد . قال : تحفظ أنك آثرت الله على هواك يوماً ، قلت : أي والله . فأخذتْني صواني النِّثار من جميع الجنة .

قال المؤلف : أدرك سفيان الثوري جماعة من كبار التابعين ، وروى عن الأعمش ، ومنصور ، ومحمد بن المنكدر ، وعبد الله بن دينار ، وعمرو بن دينار ، في خَلْق لا يُحْصَوْن . ومسانيده أكثر من أن تُعَدّ .

وكان مولده في سنة سبع وتسعين في خلافة سليمان بن عبد الملك . وتوفي في سنة

إحدى وستين ومائة . وكان مستخفياً بالبصرة في خلافة المهدي . وكلامه وأخباره كثيرة وإنما اقتصرنا هاهنا على ما ذكرنا منها لأننا قد جمعناها في كتاب يزيد على ثلاثين جزءاً، فكرهنا الإعادة في التصانيف. والله الموفق .

٤٤٤ ـ أسيد بن صلهب

عن الحسن بن صالح قال : قال أسيد بن صلهب : إن كنتُ لأدعو فتُصرع الطير حولي . قال الحسن : لولا أنه قد مات ما حدَّثت به عنه .

٤٤٥ ، ٤٤٦ ـ علي والحسن – ابنا صالح بن حي

قال محمد بن سعد : اسم صالح : « حيَ » ، وهو صالح بن صالح ، والد علي والحسن توأما في بطن واحد ، وكان عليّ تقدَّمه بساعة . فكان الحسن يعظّمه ويقول : قال أبو محمد .

عبد الله بن هاشم الطوسى قال : سمعت وكيع بن الجراح يقول : كان عليّ والحسن ـ ابنا صالح بن حيّ ـ وأمهم قد جزؤوا الليل ثلاثة أجزاء ، فكان عليّ يقوم الثلث ثم ينام، ويقوم الحسن الثلث ثم ينام ، وتقوم أمهما الثلث . فماتت أمهما فجزآ الليل بينهما فكانا يقومان به حتى الصباح ثم مات علي فقام الحسن به كله .

وقد رُوي لنا عن محمد بن صالح العجلي عن أبيه قال : كان يُختم القرآن في بيتهم كل ليلة : أمهم ثلث وعلي ثلث وحسن ثلث ، فماتت أمهما فكانا يختمانه . ثم مات عليّ فكان حسن يختم كل ليلة .

يحيى بن آدم قال : قال الحسن بن حي : قال لي أخي عليّ في الليلة التي توفي فيها: أخي اسقني ماء . وكنت قائماً أصلي . فلما قضيت صلاتي أتيته بماء فقلت : يا أخي . فقال : لبيك . فقلت : هذا ماء . قال : قد شربت الساعة . قلت : ومن سقاك وليس في الغرفة غيري وغيرك ؟ قال : أتاني جبريل الساعة بماء فسقاني وقال لي : أنت وأخوك وأبوك من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين – وخرجت روحه .

عن عبد الرحمن بن مطرف قال : كان الحسن بن حي إذا أراد أن يعظ أخا له كتبه في لوح وناوله .

عبد القدوس بن بكر بن خنيس قال : كان الحسن بن صالح وأخوه علي ، وكان عليّ يفضل عليه ، وكانا وأمهما يتعاونون على العبادة بالليل لا ينامون وبالنهار لا يفطرون . فلما ماتت أمهما تعاونا على القيام والصيام عنهما وعن أمهما . فلما مات عليّ قام الحسن

عن نفسه وعنهما . وكان يقال للحسن : حية الوادي ، يعني أنه لا ينام بالليل . وكان يقول : إني لأستَحْي من الله تعالى أن أنام تكلفاً حتى يكون النوم هو الذي يصرعني وإذا نمت ثم استيقظت ثم عدت نائماً فلا أرقد الله عيني . وكان لا يقبل من أحد شيئاً فيجيء إليه صبيّه وهو في المسجد فيقول : أنا جائع فيعلّله بشيء حتى تذهب الخادم إلى السوق فتبيع ما غزلتْ هي ومولاتها من الليل ، ثم تشترى قطناً وتشترى شيئاً من الشعير فتجيء به فتطحنه ثم تعجنه فتخبز ما يأكل الصبيان والخادم وترفع له ولأهله لإفطارهما . فلم يزل على ذلك حتى مات رحمه الله .

أحمد بن أبي الحواري قال : سمعت أبا سليمان الداراني يقول : ما رأيت أحداً الخوف أظهر على وجهه والخشوع من الحسن بن حي قام ليلة حتى الصباح بِعَمَّ يتساءلون بآية فيها ثم غشي عليه ثم عاد إليها فغشى عليه فلم يختمها حتى طلع الفجر .

عباد أبو عقبة قال : بعنا جارية للحسن بن صالح فقال : أخبروهم أنها تنخّمت عندنا مرّة دماً .

قال الحجاج : وسمعت أبا نعيم يقول : قال الحسن بن صالح : فتشنا الورع فلم نجده في شيء أقل منه في اللسان .

سليمان بن إدريس المنقري قال : اشتهي الحسن بن حيّ سمكاً فلما أُتِيَ به ضرب بيده إلى سُرّة السمكة فاضطربت يده وأمر به فرفع ولم يأكل منه شيئاً . فقيل له في ذلك فقال: إني ذكرت لما ضربت بيدي إلى بطنها أن أول ما يُنتن من الإنسان بطنه فلم أقدر أن أذوقه .

عبد الله بن صالح قال : حدّثني خلف بن تيم بأن حسن بن صالح كان يصلّي إلى السَّحر ثم يجلس فيبكي في مُصلاّه ويجلس عليّ فيبكي معه في حجرته . قال : وكانت أمهما تبكي الليل والنهار . قال : فماتت . ثم مات عليّ . ثم مات حسن قال : فرأيت حسناً في منامي فقلت : ما فعلت الوالدة ؟ قال : بُدّلت بطول ذلك البكاء سرور الأبد . قلت : وعليّ ؟ قال : وعليٌّ على خير . قلت : فأنت فمضى وهو يقول : وهل نتكل إلا على عفوه ؟ .

عبيد الله بن موسى قال : كان حسن بن صالح إذا صعد إلى المنارة أشرف على المقابر فإذا نظر إلى الشمس تَحوم على القبور صرخ حتى يُحمل مغشياً عليه فينزل به .

قال أبو محمد : ورأيت الحسن ذات يوم شهد جنازة فلما قرب الميت ليُدفن نظر إلى اللحد فارفضّ عرقاً . ثم قال : فغُشي عليه فحُمل على السرير الذي كان عليه الميت فرُدّ إلى منزله .

إسحاق بن منصور السلولي قال : نظر حسن إلى المقابر وهو قائم يؤذّن فصرخ وقطع أذانه وسقط مغشياً عليه .

قال : حدثني رجل من جيرانه أنه قال : كنا نسمع صراخه ونحيبه إذا صعد إلى الأذان كما نسمع صراخ أهل المصيبة. وقال : وكثيراً ما كان يُغشى عليه حتى يؤذّن غيره.

قال المؤلف أسند عليّ وحسن عن جماعة من التابعين ، وحديث الحسن أكثر .

حنبل قال : سمعت أبا نعيم يقول : مات علي بن صالح سنة أربع وخمسين . ومات أخوه الحسن بعده بثلاث عشرة سنة .

قال حنبل : وقال يحيى بن معين : سمعت يحيى بن سعيد يقول : ولد الحسن بن صالح سنة مائة ، وقال : مات سنة تسع وستين ومائة .

٤٤٧ ـ حمزة بن عمارة الزيات

يكنى : « أبا عمارة » مولى آل عكرمة بن ربعي التميمي . وكان يجلب الزيت من الكوفة إلى حُلوان . ويجلب من حلوان الجبن والجوز إلى الكوفة . وكان صاحب قرآنٍ وسنة وفرائض .

أبو المنذر يعلى بن عقيل قال : كان الأعمش إذا رأى حمزة قد أقبل قال : هذا حبر القرآن .

جرير بن عبد الحميد قال : مرّ بنا حمزة الزيات فاستسقى فأتيته بماء . فقال : أنت ممن يحضرنا في القراءة ؟ قلت : نعم . فقال : لا حاجة لي في مائك .

خلف بن هشام البزاز قال : قال لي سليم بن عيسى : دخلت على حمزة بن حبيب الزيات فوجدته يمرّغ خديه في الأرض ويبكي . فقلت : أعيذك بالله . فقال : لماذا استعذت ؟ رأيت البارحة في منامي كأن القيامة قد قامت وقد دُعي بقرّاء القرآن ، فكنت فيمن حضر فسمعت قائلاً يقول بكلام عذب : لا يدخل عليّ إلا من عمل بالقرآن . فرجعت القهقهرى فهتف باسمي : أين حمزة بن حبيب الزيات ؟ فقلت : لبيك داعي الله . فبدرني ملك فقال : قل : لبيك اللهم ، فقلت : لبيك ، كما قال لي : فأدخلني داراً فسمعت فيها ضجيج القرآن فوقفت أرعد فسمعت قائلاً يقول : لا بأس عليك ارْق واقرأ فأدرت وجهي فإذا أنا بمنبر من دُرّ أبيض ، دفّتاه من ياقوت أصفر ، مراقيه من زبرجد أخضر . فقال لي: ارق واقرأ فرقيت فقال لي : اقرأ سورة الأنعام ، فقرأت وأنا لا أدري على من أقرأ. حتى بلغت الستين آية فلما بلغت ﴿ **وهو القاهر فوق عباده** ﴾ (١)

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٨ .

قال لي : يا حمزة ألست القاهر فوق عبادي ؟ فقلت : بلى . قال: صدقت ، اقرأ . فقرأت حتى ختمتها ثم قال لي : اقرأ ، فقرأت الأعراف حتى بلغت آخرها فأومأت إلى الأرض بالسجود فقال لي : حسبك ما مضى ، لا تسجد يا حمزة . من أقرأك هذه القراءة؟ فقلت : سليمان . قال : صدقت من أقرأ سليمان ؟ قلت : يحيى . قال : صدق يحيى على من قرأ يحيى ؟ فقلت : على أبي عبد الرحمن السلمي. قال : صدق أبو عبد الرحمن السلمي ، من أقرأ أبا عبد الرحمن ؟ فقلت : ابن عم نبيك عليّ . فقال: صدق عليّ . فمن أقرأ علياً ؟ قلت : نبيك محمد ﷺ . قال : ومن أقرأ نبيّي ؟ قال : قلت : جبريل عليه السلام . قال : ومن أقرأ جبريل ؟ .

قال : فسكت . فقال لي : يا حمزة قل أنت . قال : فقلت : ما أجسر أن أقول . فقال : فقلتُ : أنت . قال : صدقت يا حمزة وحقّ القرآن لأكرمنّ أهل القرآن لا سيما إذا عملوا بالقرآن ، يا حمزة القرآن كلامي وما أحبّ أحداً كحبّي أهل القرآن . أدنُ يا حمزة فدنوت فضمّخني بالغالية (١) . وقال : ليس أفعل بك وحدك ، قد فعلت ذاك بنظرائك ممن فوقك ومن دونك . ومن أقرأ القرآن كما أقرأته لم يُرد بذلك غيري وما خبأت لك يا حمزة عندي أكثر فاعْلَمْ أصحابك بمكاني من حبي لأهل القرآن وفعلي بهم فهم المصطَفَوْن الأخيار ، يا حمزة وعزّتي وجلالي لا أعذب لساناً تلا القرآن بالنار ، ولا قلباً وعاه ، ولا أذناً سمعته ولا عيناً نظرتْه .

فقلت : سبحانك سبحانك وأنّى ترى ؟ فقال : يا حمزة أين نظّار المصاحف ؟ فقلت: يا رب أفحُفّاظ هم ؟ قال : لا ولكني أحفظه لهم حتى يوم القيامة فإذا لقوني رفعت لهم بكل آية درجة أفتلومني أن أبكي وأتمرغ في التراب .

قال المؤلف : أسند حمزة عن : الأعمش ، وحمران بن أعين ، وسمع منه : وكيع وتوفي بحلوان سنة ست وخمسين ومائة .

أبو مسحل قال : رأيت الكسائي في النوم كأن وجهه البدر فقلت : ما فعل الله بك؟ قال : غفر لي بالقرآن . فقلت : ما فعل بحمزة الزيات ؟ قال : ذاك في عليين ، ما نراه إلا كما يُرى الكوكب الدرّيّ .

٤٤٨ ـ محمد بن النضر الحارثي (٢)

يكنى : « أبا عبد الرحمن » . أبو أسامة قال : كان محمد بن النضر من أعبد أهل الكوفة .

---

(١) ضمخني : لطخه ، والغالية : من أجود أنواع الطيب . (٢) انظر : سير الأعلام (٨/ ١٧٥).

الحسن بن الربيع قال : سمعت عبثرا أبا زيد يقول : اختفى عندي محمد بن النضر من يعقوب بن داود في هذه العلّيّة - لعلّيّة على باب داره - أربعين ليلة فما رأيته نائماً ليلاً ولا نهاراً .

الحسن بن الربيع قال : سمعت ابن المبارك يقول : كنت مع محمد بن النضر في سفينة فقلت : بأي شيء أستخرج منه الكلام ؟ فقلت : ما تقول في الصوم في السفينة ؟ فقال : إنما هي المبادرة . قال : فجاء بفتوى غيره ، فتوى النخعيّ والشعبي .

عن أبي أسامة قال : قلت لمحمد بن النضر : كأنك تكره أن تُزار ؟ فقال : أجل . قلت: أما تستوحش ؟ قال : كيف أستوحش وهو يقول : أنا جليس من ذكرني .

خالد بن يزيد قال : سمعت محمد بن النضر يقول : شغل الموت قلوب المتقين عن الدنيا والله ما رجعوا منها إلى سرور بعد معرفتهم بكرْبه وغُصصه .

المبارك قال : كان محمد بن النضر إذا ذكر الموت اضطربت مفاصله حتى تبين الرعدةُ فيها.

الحسن بن الربيع قال : حدثني رجل من ولد الزبير بن العوام قال : صحبت محمد ابن النضر من عبّادان إلى الكوفة فما سمعته يتكلم بكلمة حتى افترقنا .

جرير بن زياد الحارثي قال : كنت مسافراً مع محمد بن النضر إلى مكة ، وكان إذا قيل له : الرحيل ، تقدّم على رأس ميلين فلا يزال يصلّي حتى إذا سمع حسّ الإبل تقدم أيضاً فلا يزال كذلك حتى يصلّي العصر ثم يركب .

أبو مريم قال : سمعت محمد بن صبيح يقول : قال محمد بن النضر الحارثي : كان يقال : الجوع يبعث على البرّ كما تبعث البِطْنة على الأشر .

• قال المصنف : كان محمد بن النضر مشغولاً بالعبادة عن الرواية وقد أرسل الأحاديث عن النبي ﷺ ولم يَصلْها .

٤٤٩ ـ ورّاد العجلي

عمرو بن حفص بن غياث ، عن أبيه قال : كنا ذات يوم عند ابن ذرّ وهو يتكلم فذكر رواجف القيامة وزَلْزالها . فوثب رجل من بني عجل ، يقال له ورّاد ، فجعل يبكي ويصرخ ويضطرب فحُمل من بين القوم صريعاً : فقال ابن ذرّ : ما الذي قصّر بنا وكلم قلبه حتى أبكاه ؟ والله إنْ هذا يا أخا بني عجل إلا من صفاء قلبك وتراكم الذنوب على قلوبنا.

قال عمر : قال أبي : وكنت أرى ورّاداً هذا العجلي يأتي إلى المسجد مقنّع الرأس فيعتزل ناحية فلا يزال مصلياً وباكياً وداعياً ما شاء الله من النهار ثم يخرج فيعود فيصلّى الظهر ، فهو كذلك بين صلاة وبكاء حتى يصلّي العشاء ثم يخرج لا يكلم أحداً ولا يجلس إلى أحد، فسألت عنه رجلاً من حيّه ووصفته له قلت : شاب من صفاته ، من هيئته . فقال : بخٍ يا أبا عمر ، أتدري عمن تسأل ؟ ذاك ورّاد العجلي ، ذاك الذي عاهد الله ألا يضحك حتى ينظر إلى وجه رب العالمين . قال أبي : وكنت إذا رأيته بعدُ هبْتُه.

قال عمر : وحدّثني سُكَيْن بن مسكين - رجل من بني عجل - قال : كانت بيننا وبين ورّاد قرابة ، فسألت أختاً كانت له أصغر منه فقلت: كيف كان ليله ؟ قالت: يبكي عامة الليل ويصرخ . قلت : فما كان طُعْمُه ؟ قالت : قرصاً في أول الليل وقرصاً في آخره عند السحر قلت : فتحفظين من دعائه شيئاً ؟ قالت : نعم ، كان إذا كان السحرُ أو قريب من طلوع الفجر سجد ثم بكى ثم قال : مولاي عبدُك يحبّ الاتصال بطاعتك فأعِنْه عليها بتوفيقك يا أيها المنان ، مولاى عبدك يحب اجتناب سخطك فأعِنْه على ذلك بمنّك أيها المنان، مولاي عبدك عظيم الرجاء لخيرك فلا تقطع رجاءه يوم يفرح الفائزون.

قالت : فلا يزال على هذا ونحوه حتّى يصبح .

قال : وكان قد كَلّ من الاجتهاد جداً وتغيّر لونه .

قال سُكين : فلما مات ورّاد فحمل إلى حفرته نزلوا إليه ليدفنوه في حفرته فإذا اللحد مفروش بالريحان ، فأخذ بعض القوم الذين نزلوا إلى القبر من ذلك الريحان شيئاً فمكث سبعين يوماً طرياً لا يتغيّر . يغدو الناس ويروحون وينظرون إليه قال : فكثر الناس في ذلك حتى خاف الأمير أن يَفتتن الناس ، فأرسل إلى الرجل فأخذ ذلك الريحان وفرق الناس .

قال : وفقده الأميرُ من منزله لا يدري كيف ذهب ؟ .

٤٥٠ ـ أسيد الضبيّ

عبد الرحمن بن مالك بن مغول قال : بكى أسيد الضبى حتى عمي ، وكان إذا عُوتب على البكاء قال : الآن حين لا أهدأ وأنا أموت غداً ؟ والله لأبكيّن ثم لأبكينّ ، فإن أدركت بالبكاء خيراً فبمنّ الله وفضله عليَّ ، وإن تكن الأخرى فما بكائى في جنب ما ألقى غداً ؟ قال : فكان ربما بكى حتى يتأذّى به جيرانه من كثرة بكائه .

ومن الطبقة السابعة (من أهل الكوفة)

٤٥١ ـ أبو بكر بن عياش[1]

مولى واصل بن حيان الأحدب الأسدى ، وقد اختلفوا في اسمه : فقيل شُعبة . وقيل محمد . وقيل مطرف . والصحيح أنه لا يعرف إلاّ بكُنْيَتِه .

رستم بن أسامة قال : حدثني إبراهيم بن رستم الخياط ، عن أبي بكر بن عياش قال: قال لي رجل مرة وأنا شابّ : خلص رقبتك ما استطعت في الدنيا من رقّ الآخرة، فإن أسير الآخرة غير مفكوك أبداً . قال أبو بكر : فما نسيتها أبداً .

يحيى الحماني قال : سمعت أبا بكر بن عياش يقول : أتيت زمزم فاستسقيت منها عسلاً وأتيتها ، فاستسقيت منها لبناً ، وأتيتها فاستسقيت منها ماء .

دلويه قال : سمعت علياً ، يعني ابن محمد ابن أخت يعلى بن عبيد ، يقول مكث أبو بكر بن عياش عشرين سنة قد نزل الماء في إحدى عينيه ما يعلم به أهله .

محمد بن الحجاج بن جعفر بن إياس بن نذير الضبي قال : كان أبو بكر بن عياش يقوم الليل في قباءِ صوف وسراويل وعكازة يضعها في صدره فيتكئ عليها حين كَبِرَ فيُحْيي ليلته.

الحسين بن إدريس قال : قال ابن عمار : سمعت أبا بكر بن عياش يقول : صمت ثمانين رمضانَ .

إسحاق بن الحسين قال : كان أبو بكر بن عياش لمّا كبر يأخذ إفطاره ثم يغمسه في الماء في جرّ كان له في بيت مظلم ، ثم يقول : يا ملائكتي طالت صحبتي لكما ، فإن كان لكما عند الله شفاعة فاشفعا لي .

عن أبي هشام الرفاعي قال : سمعت أبا بكر بن عياش يقول لي : غرفة قد عجزتُ عن الصعود إليها وما يمنعني من النزول منها إلا أني أختم فيها القرآن كل يوم وليلة منذ ستون سنة .

أحمد بن نصر قال : سمعت إبراهيم بن رستم يقول : سمعت أبا بكر بن عياش يقول : من لم يطلب العلم لم يُرزق عقلا .

يزيد بن هارون – وذُكر عنده أبو بكر بن عياش – فقال : كان أبو بكر بن عياش خيراً فاضلاً لم يضع جنبه إلى الأرض أربعين سنة .

---

(١) المصدر السابق (٨/ ٤٩٥) ، والحلية (٧/ ٣٠٣) .

أبو عيسى النخعي قال : لم يُفرش لأبي بكر بن عياش فراش خمسين سنة .

أحمد بن محمد بن مسرورق قال : سمعت الحمّاني يقول : لما حضرت أبا بكر بن عياش الوفاة بكت أخته فقال لها : ما يبكيك ؟ انظري إلى تلك الزاوية التي في البيت قد ختم أخوك في هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة .

إبراهيم بن أبي بكر بن عياش قال : بكيت عند أبي حين حضرته الوفاة فقال : ما يبكيك؟ أترى الله يضيع لأبيك أربعين سنة ، يختم القرآن كل ليلة ؟ .

الهيثم بن خارجة قال : رأيت أبا بكر بن عياش في النوم ، قُدّامه طبقُ رُطَبٍ مسكّر . فقلت له : يا أبا بكر ألا تدعونا وقد كنت سخياً على الطعام ؟ فقال لي : يا هيثم هذا طعام أهل الجنة لا يأكله أهل الدنيا . قال قلت : وبم نلت ؟ قال تسألني عن هذا وقد مضت عليّ ست وثمانون سنة أختم في كل ليلة منها القرآن ؟ .

أسند أبو بكر بن عياش عن : الأعمش ومن في طبقته . وتوفي بالكوفة في جُمادي الأولى سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وقد جاوز التسعين بثلاث سنين ، وقيل بست .

٤٥٢ ـ عبد الله بن إدريس [(١)]

عن ابن يزيد بن عبد الرحمن أبو محمد الأودي . عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : سمعت أبي يذكر ابن إدريس فقال : كان نسيجًا وحده .

وفي رواية أخرى عن أحمد أنه قال : رأيت عبد الله بن إدريس وعليه جبة لبُود [(٢)] وقد أتى عليها الدهور والسنون .

الحسن بن الربيع قال : كنت عند عبد الله بن إدريس فلما قمت قال لي : سل عن سعر الأشنان . فلما مشيت ردّني وقال لي : لا تسأل فإنك تكتب عني الحديث وأنا أكره أن أسأل من يسمع عني الحديث حاجة .

حماد بن المؤمّل قال : حدثني شيخ على باب بعض المحدّثين قال : سألت وكيعاً عن مقْدمه هو وابن إدريس وحفص على هارون الرشيد فقال : كان أول من دعا به أنا . فقال لي هارون : يا وكيع إن أهل بلدك طلبوا مني قاضياً وسمّوك لي فيمن سمّوا ، وقد رأيت أن أشركك في أمانتي فقلت : يا أمير المؤمنين أنا شيخ كبير وإحدى عينيّ ذاهبة والأخرى ضعيفة . فقال هارون : اللهم غفراً . خُذْ عهدك أيها الرجل وامض .

فقلت : يا أمير المؤمنين . والله لئن كنت صادقاً إنه لينبغي أن يُقبل مني . ولئن كنت كاذباً فما كان ينبغي أن تولّي القضاء كذّاباً . فقال : أخرج . فخرجت .

---

(١) انظر : سير الأعلام (٩/ ٤٢) .

(٢) الجبة اللبود : هى المصنوعة من الصوف الغليظ أو من الشعر .

ودخل ابن إدريس فسمعنا وقع ركبتيه على الأرض حين برك ، وما سمعناه يسلّم إلا سلاماً خفياً . فقال له هارون : أتدري لم دعوتك ؟ قال : لا . قال : إن أهل بلدك طلبوا مني قاضياً ، وإنهم سمّوك لي فيمن سمّوا . وقد رأيت أن أشركك في أمانتي وأدخلك في صالح ما أَدخُل فيه من أمر هذه الأمة ، فخذ عهدك وامض ، فقال له ابن إدريس . وأنا وددت أني لم أكن رأيتك فخرج .

ثم دخل حفص فقبل عهده ، فأتي خادم معه ثلاث أكياس في كل كيس خمسة آلاف فقال لي : إن أمير المؤمنين يقْرئك السلام ويقول لكم : قد لزمتكم في شخوصكم مؤونةٌ فاستيعنوا بهذه في سفركم .

قال وكيع : فقلت له أقرىء أمير المؤمنين السلام وقل له : قد وقعت مني بحيث يحب أمير المؤمنين وأنا مستغـن عنها . وأما ابن إدريس فصاح به : مرّ من هاهنا . وقبلها حفص .

وخرجت الرقعة إلى ابن إدريس من بيننا : عافانا الله وإياك سألناك أن تدخل في أعمالنا فلم تفعل ، ووصلناك من أموالنا فلم تقبل ، . فإذا جاءك ابني المأمون فحدّثه إن شاء الله . فقال للرسول : إذا جاءنا مع الجماعة حدّثناه إن شاء الله .

ثم مضينا فلما صرنا إلى الياسِريّة التفت ابن إدريس إلى حفص فقال : قد علمت أنك ستبلى ، والله لا أكلمّك حتى تموت فما كلمه حتى مات .

أبو بكر المروزى قال : سمعت عليّ بن شعيب يقول : لما قدم شعيب بن حرب على يوسف بن أسباط رأى عنده شاباً يكلّم يوسف ويُغلظ له ، أو قال : رفع صوته ، فقال له شعيب: ترفع صوتك؟ فقال له يوسف: يا أبا صالح إنه ابن إدريس، إنه يدرى من أين يأكل ؟ .

أحمد بن إبراهيم قال : حدثني سهل بن محمود ، عن عبد الله بن إدريس قال : لو أن رجلاً انقطع إلى رجل لعُرف ذلك له ، فكيف بمن له السماوات والأرض .

محمد بن المنذر قال : حج الرشيد ومعه الأمين والمأمون ، فدخل الكوفة فقال لأبي يوسف : قل للمحدّثين يأتونا يحدّثونا . فلم يتخلف عنه من شيوخ الكوفة إلا اثنان : عبد الله بن إدريس ، وعيسى بن يونس .

فركب الأمين والمأمون إلى عبد الله بن إدريس فحدّثهما بمائة حديث . فقال المأمون لعبد الله بن إدريس : يا عمّ أتأذن لي أن أعيدها عليك من حفْظي ؟ قال : افعل فأعادها عليه . فعجب عبد الله . فقال المأمون : يا عمّ : إلى جانب مسجدك دارٌ إن أذنت لنا اشتريْناها ووسّعنا بها المسجد . فقال : ما لى إلى هذا حاجة ، قد أجزأ من كان قبلي وهو يُجزئني

فنظر إلى قَرْح في ذراع الشيخ ، فقال : إن معنا متطبّبين وأدوية ، أتأذن أن يجيئك من يعالجك ؟ قال : لا قد ظهر بي مثل هذا وبرأ . فأمر له بمال فأبى أن يقبله .

حسين بن عمرو العنقزى قال : لما نزل بابن إدريس الموت بكتْ ابنته فقال : لا تبكى فقد ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة .

سمع عبد الله بن إدريس من : الأعمش ، وأبي إسحاق الشيبانى ، وخلق كثير ، وجمع بين العلم والزهد ، ومولده سنة خمس عشرة ومائة . وتوفى فى سنة اثنتين وتسعين ومائة .

٤٥٣ ـ وكيع بن الجرّاح بن مليح(١)

يكنى : « أبا سفيان الرّواسى » عبيد الله بن ثابت الجزري قال : سمعت عباساً الدّوريّ يقول : قال لي أحمد بن حنبل : لو رأيت وكيعاً لعلمت أنك ما رأيت مثله .

محمد بن أيوب بن المعافى قال : سمعت إبراهيم الحربي يقول : سمعت أحمد بن حنبل ذكر يوماً وكيعاً فقال : ما رأت عيناي مثله قطّ ، يحفظ الحديث جيداً ويذاكر بالفقه فيُحسِن، مع ورع واجتهاد ، ولا يتكلم في أحد .

بشر بن موسى قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول : ما رأيت رجلاً مثل وكيع في العلم والحفظ والحلم مع خشوع وورع .

يحيى بن أكثم قال : صحبت وكيعاً في السفر والحضر ، وكان يصوم الدهر ويختم القرآن كلّ ليلة .

يحيى بن معين قال : ما رأيت أفضل من وكيع بن الجراح ، كان يستقبل القبلة ، ويحفظ حديثه ، ويقوم الليل ، ويسرد الصوم .

يحيى بن أيوب قال : حدثني بعض أصحاب وكيع الذين كانوا يلزمونه قالوا : كان وكيع لا ينام حتى يقرأ ثلث القرآن ، ثم يقوم في آخر الليل فيقرأ المفصّل ، ثم يجلس فيأخذ في الاستغفار حتى يطلع الفجر فيصلّي ركعتين .

إبراهيم بن وكيع قال : كان أبي يصلّي الليل فلا يبقى في دارنا أحد إلا صلّى حتى إن جارية لنا سوداء لتصلّي .

أحمد بن محمد قال : أخبرني بعض أصحابنا عن وكيع قال : أغلظ رجل لوكيع بن الجرّاح ، فدخل وكيع بيتاً فعفّر وجهه في التراب ثم خرج إلى الرجل فقال : زِد وكيعاً بذَنْبه فلولاه ما سُلّطتَ عليه .

---

(١) انظر : الحلية (٨/٣٦٨) ، وسير الأعلام (٩/ ١٤٠) .

سلم بن جنادة قال : جالست وكيع بن الجرّاح سبع سنين فما رأيته بزق ولا رأيته مسّ حصاةً بيده ، وما رأيته جلس مجلسه فتحرّك ، وما رأيته إلا مستقبل القبلة ، وما رأيته يحلف بالله .

الحسين بن أبي زيد قال : صاحبتُ وكيع بن الجراح إلى مكة فما رأيته متّكئاً ولا رأيته نائماً في محمله .

عليّ بن خشرم قال : سمعت وكيع بن الجراح يقول: زكاة الفطر لشهر رمضان كسجدتي السهو للصلاة تجبر نقصان الصوم كما يجبر السهو نقصان الصلاة .

أسند وكيع عن الأئمة الأعلام : كإسماعيل بن أبي خالد ، وهشام بن عروة والأعمش، وابن عون ، وابن جريج ، والأوزاعي ، وشعبة ، وسفيان .

وحدّث وكيع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، وجلس بعد موت الثوري في مكانه . وصنف التصانيف الكثيرة . وكان مولده في سنة تسع وعشرين وقيل ثمان وعشرين ومائة، وحج سنة ست وتسعين ، فلما رجع توفي بِفَيْد في محرم سنة سبع وتسعين ، وهو ابن ست وستين سنة .

٤٥٤ ـ حسين بن علي الجعفي

يكنى : « أبا عبد الله » كان من العلماء العباد . وكان سفيان الثوري إذا رآه عانقه وقال: هذا راهب جعفي . وكان سفيان بن عيينة يعظمه .

وقال أحمد بن حنبل : ما رأيت بالكوفة أفضل من حسين الجعفي كان يشبه بالراهب.

محمد بن عبيد الرحبي قال : سمعت أبا بكر بن سماعة قال : كنا عند ابن أبي عمر العدني بمكة فسمعناه يقول : قدم علينا هارون قدْمةً إلى هذا المسجد فأخبرني الخادم الذي كان معه قال : كنت معه ومعه جعفر بن يحيى فخرجنا جميعاً حتى صِرنا إلى الثنّية ، فقال لي : سل عن حسين بن علي الجعفي . فلقيت رجلاً فقلت : حسين بن علي الجعفي ؟ فقال : ها هو ذا يطلع عليك راكباً حماراً وخلْفه أسود يقودُ أجمالاً له ، فإذا هو قد طلع فقلت : هذا هو يا أمير المؤمنين . فلما حاذاه قام إليه فقبّل يده ، أو قال : رجله، فقال له جعفر بن يحيى : يا شيخ تدري من المسلّم عليك ؟ أمير المؤمنين هارون. فالتفت إليه حسين فقال له : أنت يا حسن الوجه ، أنت مسئول عن هذا الخلق كلّهم فقعد يبكي .

وأتانا آتٍ ونحن عند ابن عيينة فقال لسفيان : قدم حسين بن علي الجعفي فقام إليه يتلقاه وخرجنا معه ، فلما صار في الطريق إلى باب بني لقيه فضيل بن عياض فقال له : أين تريد

يا أبا محمد ؟ . فقال : قدم حسين الجعفي فأردت لقاءه . فقال : أنا معك . فخرجا يمشيان جميعاً ونحن خلفهما . فلما صرنا في أصحاب اللواء وإذا حسين راكب حماراً فتقدّم إليه فضيل، فقبّل رجله وتقدّم سفيان فقبّل يده - أو قبل سفيان رجله ، وقبّل فضيل يده - فقال له فضيل : بأبي رجل تعلمتُ القرآن على يديه ، أو علمني الله القرآن على يده، ثم دخل المسجد فطاف بالكنية وجاء إلى الاسطوانة الحمراء فقعد عندها فأكبّ الناس عليه .

سمع حسين الجعفي من : القاسم بن الوليد ، وزائدة ، وغيرهما . وتوفي في ذي القعدة سنة ثلاث ومائتين .

٤٥٥ ـ محمد بن صبيح بن السماك[١]

يكنى : « أبا العباس » أحمد بن حماد قال : كان ابن السماك يقول : يا ابن آدم إنما تغْدو في كسْب الأرباح فاجعل نفسك فيما تكسبه فإنك لم تكسب مثلها .

أبو المغيرة بن شعيب قال : حضرتُ يحيى بن خالد البرمكي يقول لابن السماك : إذا دخلت على هارون أمير المؤمنين فأوجز ولا تكثر عليه . قال : فلما دخل عليه وقام بين يديه قال : يا أمير المؤمنين إن لك بين يدي الله تعالى مقاماً وإن لك من مقامك منصرفاً، فانظر إلى أين منصرفك ، إلى الجنة أم إلى النار ؟ قال : فبكى هارون حتى كاد يموت .

إبراهيم بن سلمة الشعبي قال : سمعت ابن السماك يقول : من امتطى الصبر قوي على العبادة ، ومن أجمع اليأس استغنى عن الناس ، ومن أهمّته نفسه لم يُولَ مَرَمَّتها غيرهُ ومن أحب الخير وُفِّق له ، ومن كره الشرّ جُنبه ، ومن رضي الدنيا من الآخرة حظاً فقد أخطأ حظّ نفسه .

عبد الله بن صالح قال : سمعت ابن السماك . وكتب إلى أخٍ له :

« أما بعد ، أوصيك بتقوى الله الذي هو نجيّك في سريرتك ورقيبك في علانيتك ، فاجعله من بالك على حالك ، وخَفْهُ بقدْرِ قُربه وقدرته عليك ، واعلم أنك بعينه ليس تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره فليعظم منه حذرك وليكثر منه وجلك ، واعلم أن الذنب من العاقل أعظم منه من الأحمق (ومن العالم أعظم من الجاهل) ،وقد أصبحنا أدلاّء بزعمنا والدليل لا ينام في البحر ، وقد كان عيسى - عليه السلام - يقول : حتى متى تصفون الطريق للدالجين وأنتم مقيمون في محلة المتحيّرين ؟ تصفّون البعوض من

---

(١) المصدر السابق (٨/٣٢٨) ، والحلية (٨/٢٠٣) .

شرابكم وتسترطون الجمال بأجمالها . أيْ أخي كم من مذكِّر بالله ناسٍ لله ، وكم من مخوِّف بالله جريء على الله وكم من داعٍ إلى الله فارٌّ من الله . وكم تالٍ لكتاب الله منسلخٌ من آيات الله . والسلام » .

عباية بن كليب قال : سمعت ابن السماك يقول : سبعك بين لحْييك تأكل به كل من مرّ عليك ، قد آذيت أهل الدور في الدّور حتى تعاطيت أهل القبور ، فما ترثي لهم وقد جرى البلى عليهم ، وأنت هاهنا تنبشهم ، إنما نرى أن نبشهم أخْذُ الخِرَق عنهم ، إذا ذكرت مساويهم فقد نبشتهم ، إنه ينبغي لك أن يدلّك على ترك القول في أخيك ثلاث خلال : أما واحدة : فلعلك أن تذكره بأمر هو فيك فما ظنك بربك إذا ذكرت أخاك بأمر هو فيك ؟ ولعلك تذكّره بأمرٍ فيك أعْظم منه ، فذلك أشدّ استْحكاماً لمقته إياك ، ولعلك تذكره بأمرٍ قد عافاك الله منه فهذا جزاؤه إذ عافاك . أما سمعت : ارحم أخاك واحمد الذي عافاك ؟ .

الحسين بن عبد الرحمن قال : كان ابن السماك يقول : من أذاقته الدنيا حلاوتها لمَيْله إليها جرّعته الآخرة مرارتها لتجافيه عنها .

أبو الحسين علي بن الحسين الفقيه قال : سمعت عبد الله بن محمد بن السماك يقول : سمعت أبي يقول : إن استطعت أن تكون كرجل ذاق الموت وعاش ما بعده فسأل الرجعة فأسعف بطلبه وأُعطي حاجته فهو متأهب مبادر ، فافعل فإن المغبون من لم يقدّم من ماله شيئاً ومن نفسه لنفسه .

أبو جعفر الربعي قال : لما حضرت ابن السماك الوفاة قال : اللهم إني وإن كنت أعصيك لقد كنت أحب فيك من يطيعك .

أسند بن السماك عن عدة من التابعين منهم : إسماعيل بن أبي خالد ، والأعمش ، وهشام بن عروة .

وروى عنه من الأئمة : حسين الجعفي ، ويحيى بن يحيى النيسابوري ، وأحمد بن حنبل .

وهو كوفي لكنه قدم بغداد فمكث بها مدةً ثم عاد إلى الكوفة فتوفي فيها سنة ثلاث وثمانين ومائة .

ومن الطبقة الثامنة (من أهل الكوفة)

٤٥٦ ـ أبو داود الحفري

واسمه : عمر بن سعد . أبو بكر المروزي قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول : رأيت

أبا داود الْحَفَرِيّ وعليه جبّة مخرقة وقد خرج القطن منها يصلّي بين المغرب والعشاء وهو يترجح من الجوع .

الحسين بن علي الصدائي قال : جئت إلى أبي داود الحفريّ فدققت الباب عليه فقال : من هذا ؟ فقلت : رجل من أصحاب الحديث . فقال لي : اصبر عليّ . فاطّلعت من كوّة في الباب فإذا هو متزّر بمئزر وهو يغزل صوفاً يتعيّش منه . فأخذ الصوف فوضعه في كوّة وأخذ عليه ثوباً وأدخلني الدار إلى مسجد له فقعد معي ولم يكن في الدار سقف غير سقف رأيته على الدهليز فأملى عليّ حتى فَنِيَ ورَقي . وقال لي : ألك حاجة ؟ أو تكتب شيئاً اخر ؟ فما رأيت رجلاً يحدث لله عز وجل مثله .

قال ابن عبدويه : وسمعت عباساً الدوري يقول : حدثنا أبو داود الْحفرِيّ ، ولو رأيت أبا داود لرأيت رجلاً كأنه اطلع إلى النار فرأى ما فيها .

أسند أبو داود الحفري عن الثوري وغيره . وتوفي سنة ثلاث ومائتين .

٤٥٧ ـ بهيم العجلي

يكنى : أبا بكر . روى عن أبي إسحاق الفزاري .

داود بن يحيى بن يمان عن أبيه قال : قال بهيم : إنما أخاف أن تدفق عليَّ الدنيا دفقة فتُعريني .

معاوية بن عمرو قال: كان بهيم رجلاً طوالاً شديد الأدمة إذا رأيته رأيت رجلاً حزيناً .

شهاب بن عباد قال : رأيت بهيماً العجلي وكان قد بكى حتى سقطت أشفاره ، وكان رطب العينين جداً . فقلت لابن أخٍ له ، ما شأنه يمس عينيه كثيراً ؟ قال : قد فسدت من كثرة ما يبكي ، فهي تحكه وتضرب عليه .

معاذ بن زياد قال : لما اتخذت عبّادان سكنها قوم نُسّاك فيهم رجل يقال له « بهيم » وكان رجلاً حزيناً يزفر الزفرة فتسمع زفيره .

مخوَّل قال : جاءني بهيم يوماً فقال لي : تعلم لي رجلاً من جيرانك أو إخوانك يريد الحج ترضاهُ يُرافقني ؟ قلت : نعم . فذهبت إلى رجل من الحيّ له صلاح ودين فجمعت بينهما وتواطيا على المرافقة . ثم انطلق بهيم إلى أهله ، فلما كان بعد أتاني الرجل فقال : يا هذا أحب أن تزوي عني صاحبك وتطلب رفيقاً غيري . فقلت : ويحك فَلِمَ ؟ فوالله ما أعلم في الكوفة له نظيراً في حُسن الخُلق والاحتمال ، ولقد ركبت معه البحر فلم أر إلا خيراً . قال : ويحك حُدّثت أنه طويل البكاء لا يكاد يفتر ، فهذا ينغّص علينا العيش سفرنا كلّه . قال : قلت : ويحك إنما يكون البكاء أحياناً عند التذكرة يَرِقّ القلبُ فيبكي الرجل ،

أو ما تبكي أنت أحياناً ؟ قال : بلى ولكنه قد بلغني عنه أمر عظيم جداً من كثرة بكائه . قال : قلت : اصحبْه فلعلك أن تنتفع به . قال : أستخير الله .

فلما كان اليوم الذي أراد أن يخرجا فيه جيء بالإبل ووُطِّئ لهما فجلس بهيم في ظل حائط فوضع يده تحت لحيته وجعلت دموعه تسيل على خدّيه ، ثم على لحيته ثم على صدره حتى والله رأيت دموعه على الأرض .

قال : فقال لي صاحبي : يا مخوَّل قد ابتدأ صاحبك ، ليس هذا لي برفيق . قال : قلت : ارفقْ ، لعله ذكر عياله ومفارقته إياهم فرقّ ، سمعها بهيم فقال : يا أخي والله ما هو بذاك وما هو إلا أنّي ذكرت بها الرحلة إلى الآخرة . قال : وعلا صوته بالنحيب .

قال : يقول لي صاحبي : والله ما هي بأول عداوتك لي وبُغضك إياي ، ما لي ولبهيم؟ إنما كان ينبغي أن ترافق بين بهيم وبين داود الطائي وسلام بن الأحوص ، حتى يبكي بعضهم إلى بعض حتى يشتفوا أو يموتوا جميعاً .

قال : فلم أزل أرفق به وأقول : ويحك لعلّها خير سفرة سافرتها .

قال : وكان طويل الحج رجلا صالحاً إلا أنه كان رجلاً تاجرا موسراً مقبلاً على شأنه ، لم يكن صاحب حزن ولا بكاء ، قال : فقال لي : قد وقعت مرّتي هذه ولعلها أن تكون خيرة .

قال : وكل هذا الكلام لا يعلم به بهيم ولو علم بشيء منه ما صاحبه .

قال : فخرجا جميعاً حتى حجّا ورجعا . ما يرى كل واحد منهما أن له أخاً غير صاحبه . فلما جئت أسلّم على جاري قال لي : جزاك الله يا أخي عنّي خيراً ما ظننت أن في هذا الخلق مثل أبى بكر ، كان والله يتفضل عليَّ في النفقة وهو مُعدِم وأنا موسر، ويتفضل عليَّ في الخدمة وأنا شابّ قوي وهو شيخ ضعيف ، ويطبخ لي وأنا مُفطر وهو صائم .

قال : فقلت : فكيف كان أمرك معه في الذي كنت تكرهه من طويل بكائه ؟ قال : أَلِفْتُ والله ذاك البكاء وسرّ قلبي حتى كنت أساعده عليه ، حتى تأذى بنا أهل الرّفقة . قال: ثم والله ألفوا ذلك فجعلوا إذا سمعونا نبكي بكوا وجعل بعضهم يقول لبعض : ما الذي جعلهم أولى بالبكاء منا والمصير واحد ؟ قال : فجعلوا والله يبكون ونبكي .

قال : ثم خرجت من عنده فأتيت بهيماً فسلمت عليه وقلت : كيف رأيت صاحبَك ؟ قال : كخير صاحب ، كثير الذكر لله عز وجل طويل التلاوة للقرآن ، سريع الدمعة محتمل الهفوات للرفيق ، جزاك الله عني خيراً .

٤٥٨ ـ عرفجة

عن خلف بن تميم قال : كان فتى من أهل الكوفة متعبّد يقال له عرفجة ، وكان يحيى الليل صلاة . فاستزاره بعض إخوانه ليلة فاستـأذن أمه في زيارته فأذنت له . قالت العجوز : فلما كان الليل إذا أنا في منامي برجال قد وقفوا : يا أم عرفجة . لِمَ أذنتِ لإمامنا الليلة .

ذكر المصطفين من عباد الكوفة (مجهولى الأسماء)

٤٥٩ ـ عابد

أبو سعيد البقال قال : رأيت رجلاً بالكوفة قد استعد للموت منذ ثلاثين سنة قال : ما لي على أحد شيء ولا لأحد عندي شيء ، وما أريد أن أكلم أحداً ولا يكلمني أحد من الناس إلا بذكر الله تعالى . وكان يأوي الجبّان والمقابر .

أيوب بن موسى قال : سمعت شيخاً في المسجد يكنى أبا سهل الترمذي قال : سمعت سفيان الثوري يقول : رأيت شيخاً في مسجد الكوفة يقول : أنا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة أنتظر الموت أن ينزل بي لو أتاني ما أمرته بشيء ولا نهيته عن شيء ولا لي على أحد شيء ولا لأحد عندي شيء .

٤٦٠ ـ عابدان كوفيان

عن الشعبي قال : جاء رجلان إلى شريح فقال أحدهما : اشتريت من هذا داراً فوجدت فيها عشرة آلاف درهم فقال : خذها . فقال له : إنما اشتريت الدار . فقال للبائع : فخذها أنت . فقال : ولمَ ؟ وقد بعتُه الدار بما فيها . فأدار الأمر بينهما فأبيا فأتى زياداً فأخبره فقال : ما كنت أرى أنَّ أحداً هكذا بقي . وقال لشريح : ادخل بيت المال فألقِ في كل جراب قبضة حتى تكون للمسلمين .

٤٦١ ـ عابد آخر

منصور بن عمار قال : خرجت ذات ليلة ظننت إني قد أصبحت فإذا عليَّ ليل ، فقعدت عند باب صغير فإذا بصوت شاب يبكي ويقول : وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتك مخالفتك ، وقد عصيتك حين عصيتك وما أنا بنكالك جاهل ولا لعقوبتك متعرّض ، ولا بنظرك مستخفّ ، ولكن سولت لي نفسي وغلبتني شقوتي ، وغرني سترك المرخى عليّ ، عصيتك بجهلي وخالفتُك بجهدي ، فالآن منْ عذابكَ مَنْ يستنقذني؟ وبحبل من أتصل إن قطعت حبلك عني ؟ واسوأتاه على ما مضى من أيامي في معصية ربي ، يا ويلي كم أتوب وكم أعود ، قد حان لي أستحي من ربي عز وجل .

قال منصور : فلما سمعت كلامه قلت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **يا أيُّها الذين آمنوُا قُوا أَنفُسكُمْ وأَهْليكُم ناراً وقُودها الناسُ والحجارة ، عليها ملائكة غلاظٌ شدادٌ** ﴾ (١) الآية . فسمعت صوتاً واضطراباً شديداً فمضيت لحاجتي . فلما أصبحت رجعت وأنا بجنازة على الباب ، وعجوز تذهب وتجيء . فقلت لها : من الميت ؟ فقالت : إليك عنّي لا تجدّد علي أحزاني . فقلت : إني رجل غريب . فقالت: هذا ولدي مرّ بنا البارحة رجل لا جزاه الله خيراً فقرأ آية فيها ذكر النار ، فلم يزل ولدي يضطرب ويبكي حتى مات .

قال منصور : هكذا والله صفةُ الخائفين .

٤٦٢ ـ عابد آخر

عبد الله بن عمر الكُوفي قال : كان عندنا بالكوفة رجل قد خرج عن دنيا واسعة وتعبّد. قال : وكان الفضيل بالكوفة في أيامه . قال : فقدم ابن المبارك فقال له الفضيل: إن هاهنا رجلاً من المتعبدين قد خرج عن دنيا فامض بنا إليه ننظر عقله .

قال : فجاؤوا إليه وهو عليل وعليه عباء وتحت رأسه قطعةُ لبنة ، قال : فسلّم ابن المبارك عليه ثم قال : يا أخي بلغنا أنه ما ترك عبدٌ شيئاً لله إلا عوّضه الله ما هو أكثر منه، فما عوّضك ؟ قال : الرضا بما أنا فيه . فقال ابن المبارك : حسبك . وقاما على ذلك.

٤٦٣ ـ عابد آخر

محمد بن منصور قال : كان بالكوفة رجل متعبّد يأكل في يوم نصف رغيف وكان قاعداً لا يضطجع ويضع جبهته على ركبته من صلاة إلى صلاة لا يتطوّع بشيء غير الفرائض، ولا يتكلم البتة . فقلت له : لو تطوعت فقال : افهمْ ما ألقيه إليك ، إني لست أعصيه.

ومن عقلاء المجانين بالكوفة

٤٦٤ ـ نمير المجنون

العباس بن محمد بن عبد الرحمن الأشهلي قال : حدثني أبي عن ابن نمير قال : كان لي ابن أخت سمّته أختي باسم أبي نمير ، وكان من نُسّاك أهل الكوفة . وقد سمع سماعاً حسناً ، وكان حسن الطّهور حسن الصلاة ، يراعي الشمس للزوال قال : فعرض

---

(١) سورة التحريم آية : ٦ .

له فذهب عقله فكان لا يزويه سقف بيت : إذا كان بالنهار فهو بالجبّانة وإذا كان بالليل ففي السطح قائماً على رجليه في البَرْد والمطر والريح .

فنزل يوماً مبكراً يريد المقابر فقلت : يا نمير تنام ؟ قال : لا . قلت : أيُّ شيءٍ العلّةُ التي تمنعك من النوم ؟ قال : هذا البلاء الذي تراه . فقلت : يا نمير أما تخاف الله عز وجل ؟ قال : بلى . وقال : أليس يقال : أشد الناس بلاءً الأنبياءُ ثم الأمثل فالأمثل ؟ قال : قلت له : أنت أعلم مني . قال : كلا ومضى .

قال : وصعدت إليه ليلةً باردة وهو قائم في السطح وأمه قائمة تبكي فقلت : يا نمير بقيَ منك شيء لم تُنكره ؟ قال : نعم . قلت ما هو ؟ قال : حبّ الله عز وجل وحب رسوله ﷺ .

قال : وصعدت إليه ليلة في رمضان فقلت له : يا نمير لم أفطر . قال : ولم ؟ قلت: أحب أن تراك أختي تأكل معي . قال : أفعل . قال : فأصعد إلينا طعام ، فجعل يأكل معي حتى فرغتُ وفرغ . فلما أردت أن أقوم رحمته من أن يراني مولياً وهو في الظلمة والريح فبكيت فقال : ما يبكيك رحمك الله ؟ قلت : أنزل إلى الكنّ والضوء وأدعك في الظلمة والبرد ؟ فغضب وقال لي : إن لي ربّا هو أرحم بي منك وأعلم بما يُصلحني فدعه يصرفني كيف يشاء ، فأني لا أتّهمه في قضائه . فقلت له : لئن كنت في ظلمة الليل إن جدّك في ظلمة اللحد – أريد أن أعزيه وأطيب نفسه . فقال لي : ما جُعل روح رجل صالح مثل رُوح رجلٍ منوّث . ثم قال لي : أتاني البارحة أبي وأبوك عبد الله بن نمير فوقف ثم أشار إلى موضع كان أبي يصلّي فيه فقال لي: يا نمير أما إنك ستأتينا يوم الجمعة شهيداً .

قال : فدعوت أمه فصعدت إليَّ فأخبرتها بما قال . فقالت : والله ما جرّبت عليه كذباً وما هذا مما كان يتكلم به وما قال إلا حقاً . قال : وقال هذه المقالة عشية الأربعاء . فجعلنا نتعجب ونقول غداً الخميس وبعد غد الجمعة ، فهبْه مَرِض غداً ومات بعد غد فأين الشهادة؟ .

فلما كانت ليلة الجمعة في وسط الليل سمعنا هدّة فإذا هو قد هاج به ما كان يهيج فبادر الدرجة فزلّت قدمه فسقط منها فاندقّت عنقه فحفرتُ له إلى جنب أبي ودفنته ، وانكببت على قبر أبي فقلت : يا أبت قد أتاك نمير وجاورك . والله ما قلت هذه المقالة إلا لما كان في قلبي من الغم . ثم انصرفت فلما كان الليل رأيت أبي في النوم كأنه قد دخل عليَّ من باب البيت فقال لي: يا بني جزاك الله خيراً لقد آنستني بنمير ، اعلم أنه منذ أتيتمونا به إلى أن جئتك يزوّج بالحور .

ذكر المصطفيات من العابدات الكوفيات
ذكر المسميات منهن والمنسوبات
٤٦٥ ـ أم حسان الكوفية

كان سفيان وابن المبارك وغيرهما يزورونها .

عبد الله بن المبارك قال : ذكر سفيان الثوري امرأةً بالكوفة يقال لها أمُّ حسان ذات اجتهاد وعبادة . فدخلنا بيتها فلم نرَ فيه شيئاً غير مقطعة حصيرٍ خَلَقٍ . فقال لها الثورى: لو كتبت رقعة إلى بعض بني أعمامك لغيّروا من سوء حالك . فقالت : يا سفيان قد كنت في عيني أعظم وفي قلبي أكبر من ساعتك هذه ، إني ما أسأل الدنيا من يقدر عليها ويملكها ويحكم فيها ، فكيف أسأل من لا يقدر عليها ولا يقضي ولا يحكم فيها ؟ يا سفيان والله ما أحب أن يأتي عليَّ وقت وأنا متشاغلة فيه عن الله تعالى بغير الله . فأبكت سفيان .

قال عبد الله : فبلغني أن سفيان تزوّج بها .

٤٦٦ ـ أم الأسود بن يزيد

وكيع قال : حدثنا أبي عن منصور عن إبراهيم أن أم الأسود أقعدت من رجليها فجزعت ابنة لها فقالت : اللهم إن كان خيراً فزد .

٤٦٧ ـ أم مسعر بن كدام

محمد بن سعد قال : كانت لمسعر أم عابدة فكان يحمل لها لبدا ويمشي معها حتى يدخلها المسجد فيبسط لها اللبد فتقوم فتصلى ويتقدم هو إلى مقدم المسجد فيصلي ثم يقعد ويجتمع إليه من يريد فيحدثهم ثم ينصرف إليها فيحمل لبدها وينصرف معها .

٤٦٨ ـ أم سفيان الثورى

قال وكيع : قالت أم سفيان الثوري لسفيان : يا بني اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي، وقالت له : يا بني إذا كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى نفسك زيادة في مشيك وحلمك ووقارك فإن لم يزدك فاعلم أنه لا يضرك ولا ينفعك

٤٦٩ ـ أم الحسن وعلى ، ابنى صالح بن حى

عبد الله بن هاشم قال : سمعت وكيع بن الجراح يقول : كانت أم على والحسن بن صالح تقوم ثُلث الليل .

عبد الله بن صالح قال . حدثني رجل من بني تميم أن أم الحسن وعلي ابني صالح كانت

تبكي بالليل والنهار . قال : فرأيت حسناً بعد موته في المنام فقلت : ما فعلت الوالدة ؟ قال : بُدِّلَت بطول ذلك البكاء سرور الأبد .

٤٧٠ ـ أخت فضيل بن عبد الوهاب

قال محمد بن الحسين : حدثني فضيل بن عبد الوهاب قال : سمعت أختي يوماً تقول : الآخرة أقرب من الدنيا ، وذلك أن الرجل يهمّ بطلب الدنيا فلعله أن ينشئ لذلك سفراً يكون فيه تعَبُ بدنه وإنفاق ماله ، ثم لعله أن لا ينال بغيته . والرجل يطلب الآخرة فمنتهى طلبته في حُسن نيته حيث ما كان من غير أن ينشيء سفراً أو ينفق مالاً أو يتعب بدناً ، ما هو إلا أن يُجمع على طاعة الله فإذا هو قد أدرك ما عند الله .

قال : وسمعتها تقول : ما بيننا وبين أن نرى السرور أن نادى بالويل والثّبور إلا خروج هذه الأرواح من الأبدان ، فانظروا أيَّ عبيدٍ تكونون حينئذٍ ؟ قال : ثم صرخت وغشي عليها .

قال فضيل : ما رأيت أحداً قط ، رجلاً ولا امرأةً ، أطول حزناً منها .

ذكر المصطفيات من العابدات الكوفيات مجهولات الأسماء

٤٧١ ـ عابدة

مجرز أبو القاسم الجلاّب قال : حدثني سعدان قال : أمر قوم امرأة ذات جمال بارع أن تتعرض للربيع بن خُثَيْم فلعلها تفتنه ، وجعلوا لها إن فعلت ذلك ألف درهم . فلبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب ، وتطيَّبت بأطيب ما قدرت عليه ثم تعرّضت له حين خرج من مسجده ، فنظر إليها فراعه أمرها فأقبلت عليه وهي سافرة . فقال لها الربيع : كيف بك و قد نزلت الحمى بجسمك فغيرت ما أرى من لونك وبهجتك ؟ أم كيف بك لو قد نزل بك ملك الموت فقطع منك حبل الوتين ؟ أم كيف بك لو قد ساءَلكِ مُنكر ونكير ؟ .

فصرخت صرخةً فسقطت مغشياً عليها . فوالله لقد أفاقت وبلغت من عبادة ربها أنها كانت يوم ماتت كأنها جِذْع محترق .

٤٧٢ ـ عابدة أخرى

عبد الله بن نافع قال : أُتيَ الربيع بن خُثَيْم في منامه فقيل : إن فلانة السوداء زوجتُك في الجنة فلما أصبح سأل عنها فدُلّ عليها فإذا هي ترعى أعنُزًا لها . فقال : لأقيمنّ عندها فأنظر ما عملها ؟ فأقام عندها ثلاثا لا يراها تزيد على الفريضة ، فإذا أمست جاءت إلى عُنيزةٍ لها فحلبت ثم شربت ، ثم حلبت فسقته . فقال لها في اليوم الثالث : يا هذه لم لا

تسقيني من غير هذه العنز ؟ قالت : يا عبد الله إنها ليست لي ، قال : فلم تسقيني من هذه؟ قالت : إن هذه مُنحتُها أشرب من لبنها وأسقىَ من شئتُ . قال : يا هذه فليس لك من العمل أكثر مما أرى ؟ قالت : لا ، إلا إني ما أصبحت على حال قطّ فتمنيت أني على حال سواها ، رضاً بما قسم الله لي ، فقال : يا هذه علمت إني رأيت في المنام أنك زوجتي في الجنة . قالت له : أنت الربيع بن خُثَيْم ؟ .

قلت لعبد الله بن نافع : كيف علمتْ هذا ؟ قال : لعلها أن تكون رأت في منامها مثل ما رأى .

٤٧٣ ـ عابدة أخرى

محمد بن يحيى بن أبي حاتم قال : حدّثني عبد الملك بن شبيب عن رجل من ولد ابن أبي ليلى قال : دخلت عليَّ امرأة وأنا أقرأ سورة هود . فقالت لي : يا عبد الرحمن هكذا تقرأ سورة هود ؟ والله إني لفيها منذ ستة أشهر ما فرغت من قراءتها .

٤٧٤ – عابدة أخرى

الوّضاح بن حسان الأنباري قال : حدثني رجل من أهل الكوفة قال : كانت امرأة من التَّيم مجتهدة فى العبادة ، فكانت تُفطر فى كل ثلاث مرّة ، ولا تخرج من مسجد الحيّ إلا لحاجة فقال لها إبراهيم التَّيميّ : صلاتك في بيتك أفضل من صلاتك في مسجد الحيّ ، ففعلت ، فلزمت بيتها فلم تزدَد إلا خيراً .

٤٧٥ ـ عابدتان أختان

محمد بن قدامة قال : سمعت أبا بشر يقول : كانت جارة لمنصور بن المعتمر ، وكان لها ابنتان لا تصعدان إلى السطح إلا بعد ما ينام الناس . فقالت إحداهما ذات ليلة : يا أمّتاه ما فعلت القائمة التي كنتُ أراها في سطح فلان ؟ فقالت : يا بنية لم تكن تلك قائمة إنما كان ذاك منصور يحيى الليل كلّه في ركعة لا يسجد فيها ولا يركع . فقالت يا أمّتاه : بلغ به العبادةُ والفرقُ من النار هذا ؟ فما فعل ؟ قالت : مات ودفنوه . قالت : يا أمّتاه انطلقي فاشتري لي مدْرعةً أتعبّد فيها فوالله لا يجمع رأسي ورأس رجلٍ أبداً رجلٌ لا ينام عشرين سنة فرقاً من النار (١) .

قال : فاشتريت لها مدرعة من شعر فدخلت البنت الأخرى معها في العبادة فتعبّدتا بعد ذلك عشرين سنة لا تنامان الليل ولا تفطران النهار .

---

(١) أي خوفاً من النار .

٤٧٦ ـ عابدة أخرى

عن سفيان أنه ذكر يوماً امرأة من أهل الكوفة كانت تتعبد ، فذكر عنها فضلا فقلت : أيَّ شيء تحفظ من كلامها ؟ قال : قالوا إنها كانت تقول : لو نادى منادٍ من السماء ليَمَتْ أعظم الناس جُرماً لرأيت أن نفسي أول نفس ذائقة للموت .

وكانت تقول : طول الأمل بطأ بي عن سبيل النجاة .

٤٧٧ ـ عابدة أخرى

عن ابن السماك قال : أذنب غلام امرأة من قريش ذنْباً فسعت إليه بالسوط فلما قربت منه رمت بالسوط وقالت : ما تركَتِ التّقوى أحداً يَشفِي غيظَه .

٤٧٨ ـ عابدة أخرى

أبو بكر بن عبيد قال : حدثني محمد بن الحسين قال : أخبرنا شهاب بن عباد قال : أخبرنا سويد بن عمرو الكلبي قال : كانت امرأة عابدة في غنى ، فكانت لا تنام من الليل إلا يسيراً . فعوتبت في ذلك فقالت : كفى بالموت وطول الرّقْدة في القبور للمؤمنين رُقاداً .

قال أبو بكر : وزادني في هذا الحديث عن محمد بن الحسين بإسناده هذا : وكانت تصوم في شدّة الحر حتى يسودّ لونها ويتغير وجهها . فيقال لها في ذلك ، فتقول : إنما أدور على طول الريّ والشبع في الآخرة .

وكانت قد بكت حتى اسودّ مجاري دموعها من وجهها فكان يأتيها محمد بن النضر وأصحابه فيحادثها ساعة ثم تقول : قوموا فالحديث هناك يطيب ، في دارٍ لا همّ فيها ولا موت ولا تعب .

ذكر المصطفيات من عقلاء المجانين المتعبدات الكوفيات

٤٧٩ ـ ميمونة السوداء (١)

الفضيل بن عياض قال : قال عبد الواحد بن زيد : سألت الله عز وجل ثلاث ليالٍ أن يريني رفيقي في الجنة . فرأيت كأن قائلاً يقول : يا عبد الواحد رفيقك في الجنة ميمونة السوداء . فقلت : وأين هي ؟ فقال : في آل بني فلان بالكوفة .

قال : فخرجت إلى الكوفة وسألت عنها فقيل : هي مجنونة بين ظهرانينا ترعى غُنيمات لنا ، فقلت : أريد أن أراها . قالوا : اخرج إلى الجبّان ، فخرجت فإذا بها

(٢) انظر : الحلية (٧/٣١٦) .

قائمة تصلّي ، وإذ بين يديها عُكّاز لها وعليها جبة من صوف ، عليها مكتوب : لا تباع ولا تشترى . وإذا الغنم مع الذئاب ، فلا الذئاب تأكل الغنم ولا الغنم تخاف الذئاب . فلما رأتني أوجزت في صلاتها ثم قالت : ارجع يا ابن زيد ليس الموعد هاهنا إنما الموعد ثمّ . فقلت : رحمك الله ومن أعلمك أني ابن زيد ؟ فقالت : أما علمت أن الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ؟ فقلت لها : عظيني ؟ فقالت: واعجباً لواعظٍ يوعظ ثم قالت : يا ابن زيد إنك وضعت معايير القسط على جوارحك لخبرتك بمكتومٍ مكنون ما فيها ، يا ابن زيد إنه بلغني أنه ما من عبد أُعطي من الدنيا شيئاً فابتغى إليه ثانياً إلا سلبه الله حب الخلوة معه ، وبدله بعد القرب الْبُعْدَ وبعد الأنس الوحشة . ثم أنشأت تقول:

يا واعظـاً قام لاحتســـاب يزجر قومـاً عـن الذّنـوب
تنهـــى وأنت السقيم حقاً هذا مـــن المنكر العجيب
لو كنت أصلحت قبلَ هذا عَيبك أو تبتَ من قـريبِ
كان لما قلـت يا حبيـــبى موقــعُ صدقٍ من القُـلوبِ
تنــهى عن الغيّ والتّمادي وأنت في النَّــهْي كالمُريب

فقلت لها : إني أرى هذه الذئاب مع الغنم ، فلا الغنم تفزع من الذئاب ، ولا الذئاب تأكل الغنم ، فأيّ شيء هذا ؟ فقالت : إليك عني فإني أصلحت ما بيني وبين سيّدي فأصلح بين الذئاب والغنم .

٤٨٠ ـ بُخَّة

عن يحيى بن إسماعيل بن سلمة بن كُهيل قال : كانت لي أخت أسنّ مني فاختَلَطَتْ وذهب عقلها فتوحّشت فكانت في غرفة في أقصى سُطوحنا . فمكثْت بذلك بضْع عشرة سنةً وكانت مع ذهاب عقلها تحرص على الطّهور وتفقد الصلوات [1] وربما غُلبت على عقلها الأيام فتحفظ ذلك حتى تقضيه .

قال : فبينما أنا نائم ذات ليلة إذا باب بيتي يُدّق في نصف الليل . فقلت : من هذا ؟ قالت : بُخَّة ، قلت ، أختي ؟ قالت : أختك . قلت : لبيك . وقمت ففتحت الباب فدخلتْ ولا عهد لها بالبـيت منذ أكثر من عشر سنين ، فقـلت لها : يا أختاه خيْر. قالت: خَيْر ، أُتيت الليلة في منامي فقيل لي : السلام عليك يا بُخَّة. فقلت : وعليك السلام . فقيل لي : أن الله قد حفظ أباك إسماعيل لسلمة بن كهيل جدِّك ، وحفظك لأبيك إسماعيل . فإن شئت دعوتُ الله لك فأذهب ما بِك ، وإن شئِت صبرت ولك

---

(١) في نسخة : وتفتقد الصلاة . ولعلها « وتتفقد » .

الجنة ، فإن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قد شفعا لك إلى الله عز وجل بحبّ أبيك وجدّك أياهما . فقلت: إن كان لا بد من أن أختار أحدهما فالصبر على ما أنا فيه والجنة، والله واسع لا يتعاظمه شيء ، إن شاء أن يجمعهما لي فعل . قالت : فقيل لي: قد جمعهما الله لك ورضي عن أبيك وجدّك بحبهما أبا بكر وعُمَر ، قُومي فانزلي. فأذهبَ الله ما كان بها .

انتهى ذكر أهل الكوفة ولله الحمد

* * *

ذكر المصطفين من أهل البصرة من التابعين ومن بعدهم

الطبقة الأولى

٤٨١ ـ الأحنف بن قيس

يكنى : أبا بحر وإنما عُرف بالأحنف لأنه وُلد أحنف .

عن الحسن ، عن الأحنف قال : بينا أنا أطوف بالبيت إذ لقيني رجل من بني سليم فقال: أبشّرك ؟ فقلت : بلى . قال : أتذكر إذ بعثني رسول الله ﷺ إلى قومك بني سعد أدعوهم إلى الإسلام ، فقلت أنت : ما قال إلا خيراً ولا أسمع إلا حسناً ؟ فإنّي رجعتُ وأخبرت النبيّ ﷺ بمقالتك فقال : « اللهم اغفر للأحنف » (١) . قال : فما أنا لشيء أرجى منّي لها .

قال أبو معاوية بن هشام لخالد بن صفوان : بم بلغ فيكم الأحنف بن قيس ما بلغ ؟ قال: إن شئت حدثتك ألفاً وإن شئت حذفت لك الحديث حذفا . قال : احذفه لي حذْفاً . قال : فإن شئت فثلاثاً ، وإن شئت فاثنتين ، وإن شئت فواحدة . قال : ما الثلاث ؟ قال: كان لا يشْرَهُ ولا يحسد ولا يمنع حقاً . قال : فما الثنتان ؟ قال : كان موفقاً للخير ، معصوماً من الشرّ . قال : فما الواحدة ؟ قال : كان أشد الناس على نفسه سلطاناً .

عن الحسن قال : كانوا يتكلمون عند معاوية والأحنف ساكت . فقالوا : ما لك لا تتكلمَ يا أبا بحر ؟ قال أخشى الله إن كذبتُ وأخشاكم إن صدقت .

عن سليمان التيمي قال : قال الأحنف بن قيس : ما ذكرت أحداً بسوء بعد أن يقوم من عندي .

---

(١) أخرجه أحمد والحاكم (٣/ ٦١٤) ، وانظر : سير الأعلام (٤/ ٨٦) .

عن سلمة بن منصور . عن مولي لهم كان يصحب الأحنف بن قيس ، قال : كنت أصحبه فكان عامّة صلاته بالليل الدعاء . وكان يجيئ إلى المصباح فيضع أصبعه فيه ثم يقول: حسّ . ثم يقول : يا حُنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا ؟ ما حملك على ما صنعت يوم كذا ؟ .

عن الحسن قال : قال الأحنف بن قيس : والله ما سمعت كلمة إلا طأطأت لها رأسي لما هو أعظم منها .

الغلابي قال : حدثني رجل من بني تميم قال : قال الأحنف بن قيس : لا مروءة لكذوب ، ولا راحة لحسود ، ولا حيلة لبخيل ، ولا سُؤدَد لسيء الخلق ، ولا إخاء لِمَلول .

عن مغيرة قال : اشتكى ابن أخي الأحنف إلى الأحنف بن قيس وجع ضرسه فقال له الأحنف : لقد ذهبت عيني منذ أربعين سنة ما ذكرتُها لأحد .

قبيصة قال : قيل للأحنف بن قيس: ألا تأتي الأمراء ؟ قال : فأخرج جرّةً مكسورة فكبّها فإذا كسرٌ . فقال : من كان يُجزئه مثلُ هذا ما يصنع بإتيانهم ؟ .

وقال محمد بن سعد : كان الأحنف صديقاً لمصعب بن الزبير ، فوفد عليه الكوفة ومصعب واليها يومئذ ، فتوفي الأحنف عنده فرُئي مصعب في جنازته يمشي بغير رداء .

أسند الأحنف عن : عمر وعلي وأبي ذر وغيرهم .

٤٨٢ ـ أبو عثمان النهدى
واسمه : عبد الرحمن بن مل

معتمر بن سليمان ، عن أبيه قال : إني لأحسب أبا عثمان كان لا يصيب ذنباً . كان ليله قائماً ونهاره صائماً . وإنْ كان ليصلي حتى يُغشى عليه .

حماد بن سلمة عن ثابت قال : كان أبو عثمان إذا دعا ودعونْا يقول : والله لقد استجاب الله عز وجل ، قال الله : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (١) .

أدرك أبو عثمان رسول الله ﷺ ولم يلقه . أسند عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وأبي موسى وسلمان وأسامة وأبي هريرة في آخرين .

وكان من ساكني الكوفة فلما قُتل الحسين عليه السلام تحوّل إلى البصرة وقال : لا أسكن بلداً قُتل فيه ابن بنت رسول الله .

---

(١) سورة غافر آية : ٦٠ .

وتوفي بالبصرة في أول ولاية الحجاج العراق وهو ابن ثلاثين ومائة سنة .

حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن أبي عثمان قال : بلغت نحواً من ثلاثين ومائة سنة ما من شيء إلا قد عرفت النقص فيه إلا أملي كما هو .

٤٨٣ ـ حجير بن الربيع العدوي

روى عن عمر بن الخطاب عبد الرحمن عن هلال بن حق قال : كان حجير بن الربيع يصليَ حتى ما يأتي فراشه إلا زحفاً ، وما يعدّونه من أعبدهم .

٤٨٤ ـ عامر بن عبد الله وهو الذي يقال له ابن عبد قيس

يكنى : أبا عمرو . وقيل أبا عبد الله ، من بني تميم .

جعفر قال : سمعت مالك بن دينار يقول : بلغنا أن كعباً رأى عامر بن عبد قيس فقال: من هذا ؟ فقالوا : هذا عامر . فقال : هذا راهب هذه الأمة .

عن علقمة بن مرثد قال : انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين ، منهم : عامر بن عبد الله ، إنْ كان ليصلّي فيتمثل إبليس في صورة الحية فيدخل تحت قميصه حتى يخرج من جيبه فما يمسّه . فقيل له : ألا تُنحِّي الحية عنك ؟ فقال : إني لأسْتحْيي من الله عزّ وجلّ أن أخاف سواه . فقيل له : إن الجنة لتُدرَك بدون ما تصنع ، وإن النار لَتُتَّقَى بدون ما تصنع . فقال : والله لأجتهدنّ ، ثم والله لأجتهدنّ ، فإن نجوت فبرحمة الله ، وإن دخلتُ النار فبعد جهدي .

فلما احتضر بكى فقيل له : أتجزع من الموت وتبكي ؟ فقال : ما لي لا أبكي ومن أحق بذلك مني ؟ والله ما أبكي جزعاً من الموت ولا حِرْصاً على دنياكم ، ولكني أبكي على ظمأ الهواجر وقيام ليل الشتاء .

وكان يقول: اللهم في الدنيا الهمومُ والأحزان ، وفي الآخرة العذابُ والحساب ، فأين الرَّوْح والفرح .

عن عبد الله بن غالب عن عامر بن يساف . قال : سمعت المعلّى بن زياد يقول : كان عامر بن عبد الله قد فرض على نفسه في كل يوم ألف ركعة وكان إذا صلّى العصر جلس وقد انتفخت ساقاه من طول القيام فيقول : يا نفس ، بهذا أمرت ولهذا خُلقت ، يوشك أن يذهب العناء . وكان يقول لنفسه : قُومي يا مأوى كلِّ سوء فوعزّة ربك لأزحفنّ بك زحوف البعير ولئن استطعتُ أن لا يمس الأرض من زُهْمك (١) . لأفعلن .

(١) الزهمة : الريح المنتنة .

ثم يتلوى كما تتلوى الحيّة على المِقْلَى . ثم يقوم فينادي : اللهم إن النار قد منعتْني من النوم فاغفرْ لي .

روى ابن وهب وغيره ، يزيد بعضهم على بعض في الحديث . أن عامر بن عبد قيس كان من أفضل العابدين . ففرض على نفسه كل يوم ألف ركعة يقوم عند طلوع الشمس فلا يزال قائما إلى العصر . ثم ينصرف وقد انتفخت ساقاه وقدماه فيقول : يا نفس إنما خُلقت للعبادة يا أمّارةً بالسوء والله لأعملنّ بك عملاً ، لا يأخذ الفراشُ منك نصيبا .

قال : وهبط وادياً يقال له وادي السباع وفي الوادي عابد حبشي يقال له حُمَمَة . فانفرد عامر في ناحية وحُمَمَة في ناحية يصليان ، لا هذا ينصرف إلى هذا ، ولا هذا ينصرف إلى هذا ، أربعين يوماً وأربعين ليلة . إذا جاء وقت الفريضة صلّيا ثم أقبلا يتطوعان . ثم انصرف عامر بعد أربعين يوماً إلى حُممة فقال : من أنت يرحمك الله ؟ فقال : دعني وهمي . قال : أقسمت عليك . قال : أنا حُممة . قال عامر : لئن كنت أنت حُممة الذى ذُكر لي لأنت أعبد من في الأرض ، فأخبرني عن أفضل خصلة . قال: إني لمقصّر ولولا مواقيت الصلاة تقطع عليّ القيام والسجود لأحببت أن أجعلَ عمري راكعا ، ووجهى مفترشا حتى ألقاه ، ولكن الفرائض لا تدعني أفعل ذلك فمن أنت يرحمك الله ؟ قال : أنا عامر بن عبد قيس . قال : إن كنت عامراً الذي ذُكر لي فأنت أعبد الناس . فأخبرني بأفضل خصلة قال : إني لمقصّر ولكن واحدة عظمت هيبة الله في صدري حتى ما أهاب شيئا غيره .

واكتنفتْه السباع فأتاه سبع منها فوثب عليه من خلفه فوضع يديه على منكبيه وعامر يتلو هذه الآية ﴿ **ذلك يومٌ مجموعٌ له الناسُ وذلك يومٌ مشهود**﴾ (١) فلما رأى السبعُ أنه لا يكترث له ذهب . فقال حُممة : وبالله يا عامر ما هالك ما رأيت ؟ قال: إني لأستحيي من الله عز وجل أن أهاب شيئاً غيره .

قال حُممة : لولا أن الله تعالى ابتلانا بالبطن فإذا أكلنا لابدّ لنا من الحدث ما رآني ربي إلا راكعاً أو ساجداً .

وكان يصلّي في اليوم والليلة ثمان مائة ركعة . وكان يقول : إني لمقصّر في العبادة وكان يعاتب نفسه .

المعلّى بن إياد (٢) القردوسي ، عن عامر بن عبد قيس أنه مرّ بقافلة قد حبسهم الأسد

---

(١) سورة هود آية : ١٠٣ .

(٢) كذا بالأصل وفى « التقريب » (٦٨٠٤) « ابن زياد » : صدوق ، قليل الحديث .

من بين أيديهم على طريقهم ، فلما جاء عامر نزل عن دابته فقالوا : يا أبا عبد الله إنا نخاف عليك من الأسد . فقال : إنما هو كلب من كلاب الله عز وجل ، إن شاء أن يسلّطه سلّطه وإن شاء أن يكفّه كفّه . فمشى إليه حتى أخذ بيديه أذْني الأسد فنحّاه عن الطريق وجازت القافلة . وقال إني لأستحْيي من ربي تبارك وتعالى أن يرى في قلبي أني أخاف من غيره .

محمد بن فضيل بن غزوان قال : أنبأ أبي قال : كان عامر بن عبد قيس يقول : ما رأيت مثل الجنة نام طالبها ، وما رأيت مثل النار نام هاربها ، وكان إذا جاء النهار قال : أذهب حرُّ النار النوم فما ينام حتى يُمسي ، وإذا جاء الليل قال : من خاف أدلج ، وعند الصباح يحمدُ القوم السُّري .

سهيل أخو حزم قال : بلغني عن عامر بن عبد قيس أنه كان يقول : أحببت الله عز وجل حباً سهّل عليّ كل مصيبة ورضّاني كل قضيّة ، فما أبالي مع حبّي إياه ما أصبحت عليه وما أمسيت .

سعيد بن ميمون قال : قيل لامرأة عامر بن عبد قيس ، يعني خادمته ، كيف كانت عبادة عامر ؟ قالت : ما صنعت له طعاماً قط بالنهار ، فأكله إلا بالليل ، ولا فرشت له فراشاً بالليل فاضطجع عليه إلا بالنهار .

عن الحسن قال : بعث معاوية إلى عبد الله بن عامر أن انظرُ إلى عامر بن عبد قيس فأحسن إذنه وأكرمْه ومُرْه أن يخطب إلى من شاء وأمهرْ عنه من بيت المال .

قال : فأرسل إليه : أنّ أمير المؤمنين قد كتب إليّ أن أحسن إذنك وأكرمك .

قال : يقول فلان أحْوج مني إلى ذلك - يعني رجلاً كان أطال الاختلاف إليهم ولا يؤذن له - وأمرني أن آمرك أن تخطب إلى من شئت وأُمهِرَ عنك من بيت المال .

قال : أنا في الخطبة دائب . قال : إلى من ؟ قال : إلى من يقْبل الفلْقة والتمرة .

قال : ثم أقبل إلى جلسائه وقال : إني سائلكم فأخبروني : هل منكم من أحد إلاّ له من قلبه شُعبة ؟ قالوا : اللهم لا . قال : هل منكم من أحد إلا لأهله من قلبه شعبة ؟ قالوا : اللهم لا . قال : هل منكم من أحد إلا لولده من قلبه شعبة ؟ قالوا : اللهم لا. قال : فوالذي نفسي بيده لأن تختلف الأسنّة في جوانحي أحبّ إليّ من أن أكون هكذا ، أما والله لأجعلن الهمّ هماً واحداً . قال الحسن : وفعل .

عبد الله بن عياش ، مولى بني جشم ، عن أبيه ، عن شيخ قد سمّاه ، وكان قد أدرك سبب تسيير عامر بن عبد الله ، قال : مرّ برجل من أعوان السلطان وهو يجر ذمّياً والذميّ يستغيث . فأقبل على الذميّ فقال : أديت جزْيتك ؟ قال : نعم . فأقبل عليه فقال : ما

تريد منه ؟ قال : أذهب به يكْسح دار الأمير . قال : فأقبل علي الذمّي فقال : تطيب نفسك له بهذا ؟ قال: يشغلنى عن صنعتى ، قال : دعْه . قال : لا أدعه ، . قال له : دعه ، قال : لا أدعه . قال : فوضع كساءه فقال : لا يخفر ذمّة محمد ﷺ وأنا حيّ. قال: ثم خلّصه منه . قال فتراقى ذلك حتى كان سبب تسييره .

مالك بن دينار قال : قالت المرأة التي نزل عليها عامر بن عبد الله : ما لي أرى الناس ينامون ولا أراك تنام ؟ قال : إن ذكر جهنم لا يدعني أن أنام .

عن قتادة قال : سأل عامر بن عبد قيس ربّه عز وجل أن يهوّن عليه الطهور في الشتاء، فكان يُؤتي بالماء وله بخار . وسأل ربه أن ينزع شهوة النساء من قلبه فكان لا يُبالي ذكراً لقي أم أنثى ؟ وسأل أن يحول بين الشيطان وبين قلبه في الصلاة ، فلم يقدر على ذلك . وقيل له : هذه الأجمة نخاف عليك منها الأسد . فقال : إني لأستحي من ربّي أن أخشى غيره.

عن المعلّى قال : قال عامر بن عبد قيس : أربع آيات في كتاب الله تعالى إذا ذكرتهن لا أبالي على ما أصبحت أو أمسيت ﴿ **ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده** ﴾ (١) ﴿ **وإن يمسسْكَ الله بضرٍّ فلا كاشف له إلا هُو** ﴾ (٢) و﴿**سيجعل الله بعد عُسْرٍ يُسْراً** ﴾ (٣) ، ﴿ **وما من دابّةٍ في الأرض إلا على الله رزْقُها** ﴾ (٤).

عن مالك بن دينار : عن عامر بن عبد قيس أنه كان يقول : إن أشد أهل الجنة فرحاً في الجنة أطْولهم حزناً في الدنيا .

أبو مسكين الغداني قال : قال عامر بن عبد قيس : من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء .

عن أبي المتوكل الناجي قال : قال عامر بن عبد قيس : يا أبا المتوكل ؟ قلت : لبيك. قال عليك بما يرغبك في الآخرة ويزهّدك في الدنيا ويقرّبك إلى الله عز رجل . قلت : ما هو ؟ فقال : تقصر عن الدنيا همّك وتشحذ إلى الآخرة نيْتك ، وتصدّق ذلك بفعلك ، فإذا كنت كذلك لم يكن شيء أحب إليك من الموت ، ولا شيْء أبغض إليك من الحياة . فقلت: يا أبا عبد الله كنت لا أحسبك تُحسن مثل هذا. فقال: كم من شيء كنت أحسنه وددت أني لا أحسنه وما يغني عني ما أحسن من الخير إذا لم أعمل به .

عن بلال بن سعد أن عامراً كان يشترط على رفقائه أن يُنفق عليهم بقدْر طاقته .

---

(١) سورة فاطر آية : ٢ .
(٢) سورة الأنعام آية : ١٧ .
(٣) سورة الطلاق آية : ٧ .
(٤) سورة هود آية : ٦ .

أحمد بن أبي الحواري قال : سمعت أبا سليمان الدّاراني يقول : خرج عامر من البصرة إلى الشام ومعه شكْوة فيها ماء يتوضأ منه للصلاة ويشرب منه لبناً إذا شاء .

يزيد بن نعامة قال : كان عامر بن عبد قيس إذا أصبح قال : اللهم غدا الناس إلى أسواقهم وأصبح لكل امرىء منهم حاجة وحاجتى إليك يارب أن تغفر لى .

عن العلاء بن سالم قال : حدثنى من صحب عامر بن عبد قيس أربعة أشهر قال : فما رأيته نام بليل ولا نهار حتى فارقته ، وكان له رغيفان قد جعل عليهما ودكاً فيتسحر بواحد ويفطر بآخر . وكان إذا أصبح علمنا القرآن حتى إذا أمكنته الصلاة قام يصلي ، فلا يزال يصلي حتى يصلِّي العصر . قال: ثم يعلّمنا القرآن حتى يُمسِي فإذا صلّى المغرب فهي ليلته حتى يصبح .

عن الحسن قال : كان عامر بن عبد قيس إذا صلّى الصبح تنحّى في ناحية المسجد فقال: من أقرئه ؟ قال : فيأتيه قوم فيُقرئهم ، حتى إذا طلعت الشمس وأمكنتْه الصلاة قام يصلّي إلى أن ينتصف النهار ثم يرجع إلى منزله فَيَقيل ، ثم يرجع إلى المسجد إذا زالت الشمس فيصلّي حتى يصلّي الظهر ، ثم يصلّي إلى العصر فإذا صلّى العصر تنحّى في ناحية المسجد ثم يقول : من أُقرئه ؟ قال : فيأتيه قوم فَيُقْرئهم حتى إذا غربت الشمس صلّى المغرب ثم يصلّي حتى يصلّي العشاء الآخرة ثم يرجع إلى منزله فيتناول أحد رغيفيه فيأكل ثم يهجع هجعة خفيفة ، ثم يقوم . فإذا أسْحَر تناول رغيفه الآخر فأكله ثم شرب عليه شربة من ماء ثم يخرج إلى المسجد .

قال خلف : وحدثني بعض أصحابنا قال : كان منصور بن زاذان يفعل هذا كله ويفضُل بخصلة : لا يبيت كلّ ليلة حتى يبلّ عمامته بدمعه ثم يضعها .

عن أبي العلاء بن عبد الله بن الشخير قال : أخبرني ابن أخي عامر بن عبد قيس أن عامراً كان يأخذ عطاءه فيجعله في طرف ردائه فلا يلقي أحداً من المساكين يسأله إلا أعطاه. فإذا دخل إلى أهله رمى به إليهم فيعدونها فيجدونها كما أعطيها .

عمارة بن عبد الله العنبري وابنه ، وثابت أبو الفضل ، قالوا : ما رأينا عامر بن عبد قيس متطوعاً في مسجدهم قطّ .

قال وكان آخر من يدخل المسجد ، وأول من يخرج منه .

عبد الله بن الشخير قال : كنا نأتي عامر بن عبد الله وهو يصلّي في مسجده فإذا رآنا تجوّز في صلاته ثم انصرف فقال لنا : ما تريدون ؟ وكان يكره أن يرونْه يصلّي .

عن سْحيم ، مولى بني تميم ، قال : جلست إلى عامر بن عبد الله وهو يصلّي فتجوز في

صلاته ثم أقبل عليَّ فقال : أرحني بحاجتك فإني أبادر ؟ قلت : وما تُبادر ؟ قال : ملك الموت رحمك الله ؟ قال : فقمت عنه وقام إلى صلاته .

عن أبي عبدة العنبري قال : لما هبط المسلمون المدائن وجمعوا الأقباض أقبل رجل بحُقّ معه فدفعه إلى صاحب الأقباض فقال الذين معه : ما رأينا مثل هذا قط ، ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه . فقالوا له : هل أخذت منه شيئاً ؟ فقال : أما والله لولا الله ما أتيتكم به فعرفوا أن للرجل شأناً : فقالوا : من أنت ؟ فقال : لا والله لا أخبركم لتحمدوني ، ولا غيركم ليقرّظوني ، ولكنّي أحمد الله وأرضى بثوابه فأتبعوه رجلاً حتى انتهى إلى أصحابه فسأل عنه فإذا هو عامر بن عبد قيس .

أدرك عامر الصدر الأول ، وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لكنه اشتغل بالعبادة عن الرواية .

٤٨٥ ـ أبو العالية الرياحى(١)

واسمه الرفيع ، أعتقته امرأة من بني رياح . قال أبو العالية : دخلت المسجد معها فوافقنا الإمام على المنبر فقبضتْ على يدي فقالت : اللهم أدْخِرْه عندك ذخيرةً ، اشهدوا يا أهل المسجد أنه سائبة لله . ثم ذهبت فما تراءيْنا بعد .

عن عاصم قال : كان أبو العالية إذا جلس إليه أكثرُ من أربعة قام .

عن ابن أنس ، عن أبي العالية قال : كنت أرحل إلى الرجل مسيرة أيام ، فأول ما أتفقّده من أمره صلاته ، فإن وجدته يقيمها ويُتمّها أقمت وسمعت منه ، وإن وجدته يُضيعها رجعت ولم أسمع منه وقلت : هو لغير الصلاة أضْيَع .

عن عثمان ، عن أبي العالية قال : قال لي أصحاب محمد ﷺ : لا تعمل لغير الله فيكلك الله عز وجل إلى من عملت له .

خالد بن دينار قال : سمعت أبا العالية قال : كنا نعدّ من أعظم الذنوب أن يتعلم الرجل القرآن ثم ينام عنه حتى ينساه .

سيار بن سلامة قال : دخلت على أبي العالية في مرضه الذي مات فيه فقال : إن أحبَّه إليَّ أحبه إلى الله عز وجل .

أسند أبو العالية عن أبي بكر الصديق ، وعمر ، وعلي ، وأبي بن كعب ، وأبي موسى، وأبي هريرة ، وابن عباس ، في جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ، إلا أنه أرسل الحديث عن بعض هؤلاء وتُوفي في شوال سنة تسعين .

(١) انظر : سير الأعلام (٤/٢٠٧) ، والحلية (٢/٢١٧) .

أبو خلدة قال : مات أبو العالية في شوال يوم الاثنين سنة تسعين .

٤٨٦ ـ عبد الله بن شقيق البصري

أبو عبد الرحمن سمع من عائشة رضي الله عنها وقال : جاورت أبا هريرة سنة وقد روى عن عمر .

عن الجريري قال : كان عبد الله بن شقيق مُجاب الدعوة ، كانت تمرّ به السحابة فيقول : اللهم لا تجوزُ كذا وكذا حتى تُمطر . فلا تجُوز ذلك الموضع حتى تمطر .

٤٨٧ ـ الفضيل بن زيد الرقاشي(١)

غزا سبع غزوات في خلافة عمر ، وكان من عُبّاد البصرة .

عن عاصم الأحول ، عن فضيل بن زيد الرقاشي ، وكان غزا مع عمر سبع غزوات قال: لا يلهينّك الناس عن ذات نفسك ، فإن الأمر يخلُص إليك دونهم ، ولا تقطع النهار بكَيْتَ وكَيْتَ فإنه محفوظ عليك ما قلت ، ولم أر شيئاً أحسن طلباً ولا أسرع إدراكاً من حسنةٍ حديثةٍ لذنْب قديم .

أسند الفضيل عن عبد الله بن مغفل وغيره من الصحابة .

٤٨٨ ـ هرم بن حيان العبدي(٢)

كان عاملاً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه .

قتادة ، عن هرم بن حيان قال : ما رأيت كالنار نام هاربها ، ولا كالجنّة نام طالبها .

عدي بن أبي عمارة قال : قال هرم بن حيان : ما آثر الدنيا على الآخرة حكيم ولا عصى الله كريم .

وعن الأصمعي ، عن صالح المرّي قال : قال هرم بن حيان : صاحبُ الكلام على إحدى المنزلتين : إن قصّر فيه حُصِرَ ، وإن أغرق فيه أَثِم .

ابن شوذب قال : قال هرم بن حيان : لو قيل لي إنك من أهل النار لم أترك العمل لئلا تلومني نفسي فتقول : لِم فعلتَ ؟ لِمَ ضيّعت ؟ .

وفي رواية أخرى : تقول لي ألا صنعت ؟ ألا فعلتَ ؟ .

عن الحسن قال : خرج هرم بن حيان وعبد الله بن عامر يؤمّان الحجاز ، فجعلتْ أعناق رواحلهما تتخالجان الشجَرَ . فقال هَرِم لابن عامر . أتحبّ أنك شجرة من هذه الشجر؟ فقال ابن عامر : لا والله ، لما أرجو من ربِّي عز وجل . فقال هرِم : لكني

(١) الحلية (٣/١٠٢) .

(٢) المصدر السابق (٢/١١٩) .

والله لوددت أني شجرة من هذه الشجر أكلتْني هذه الراحلة ثم قذفتْني بعراً ولم أكابد الحساب ، يا ابن عامر إني أخاف الداهية الكبرى إما إلى الجنة وإما إلى النار .

قال الحسن : وكان هرِم أفقه الرجلين وأعلمهما بالله عز وجل .

مطر الورّاق قال : بات هرم بن حيان العبدي عند حممة صاحب رسول الله ﷺ قال : فبات حُممة ليلته يبكي كلَّها حتى أصبح . فلما أصبح قال له هرم : يا حُممة ما أبكاك ؟ قال ذكرت ليلةً صَبيحتَها تبعْثر القبور فيخرج من فيها .

قال : وبات حُممة عند هرم بن حيان فبات ليلته يبكى حتى أصبح فسأله حين أصبح : ما الذي أبكاك ؟ قال : ذكرت ليلةً صبيحتها تناثر نجوم السماء فأبكاني ذاك .

قال : وكانا يصطحبان أحياناً بالنهار فيأتيان سوق الريحان فيسألان الله الجنة ويدعوان ثم يأتيان الحدّادين فيعوّذان من النار ثم يتفرقان إلى منازلهما .

عن أبي نضرة أن عمر رضي الله عنه بعث هرم بن حيان على الخيل ، فغضب رجل فأمر فَوُجِئَتْ عنقُه . ثم أقبل على أصحابه فقال : لا جزاكم الله خيراً ما نصحتموني حين قلتُ ولا كفـفتموني عن غضبي ، والله لا آلي لكم عملاً . ثم كتب إلى عمر : يا أمير المؤمنين لا طاقة لي بالرعيّة فابعثْ إليّ عاملك .

عن الحسن قال : مات هرم بن حيان في يومٍ صائف شديد الحر . فلما نفضوا أيديهم عن قبره جاءت سحابة تسير حتى قامت على قبره فلم تكن أطول منه ولا أقصر ، فرشّته حتى روْته ثم انصرفت .

عن قتادة قال : أُمْطِر قبر هرم بن حيان من يومه ، وأُنبِت العشب من يومه .

قلت : لا يُحفظ لهرمٍ مسندٌ أصلاً .

٤٨٩ ـ صلة بن أشيم العدوى[١]

يكنى أبا الصهباء . ثابت البناني قال : كان صلة بن أشيم يخرج إلى الجبّان فيتعبد فيها فكان يمر عليه شباب يلْهون ويلعبون . فيقول لهم : أخبروني عن قوم أرادوا سفراً فحادوا النهار عن الطريق وباتوا بالليل ، متى يقطعون سفرهم ؟ .

قال : فكان كذلك يمر بهم فيعظهم . فمر بهم ذات يوم فقال لهم هذه المقالة فقال شاب منهم : يا قوم إنه والله ما يعني بهم غيرنا ، نحن بالنهار نلهو وبالليل ننام . ثم اتّبع صِلةَ فلم يزل يختلف معه إلى الجبّان ويتعبّد معه حتى مات .

---

(١) انظر : سير الأعلام (٣/ ٤٩٧) ، والحلية (٢/ ٢٣٧) .

حماد بن زيد قال : حدثنا ثابت أن صلَة وأصحابه مرّ بهم فتى يجرّ ثوبه فهمّ أصحاب صلَة أن يأخذوه بألسنتهم أخذاً شديداً فقال صلة : دعوني أكْفكم أمره فقال : يا ابن أخي إنَ لي إليك حاجة . قال : وما حاجتك ؟ قال أن ترفع إزارك . قال : نعم ونُعمى عين. فرفع إزاره . فقال صلة لأصحابه : هذا كان أمْثَل مما أردتم ، لو شتَمتموه لشتمكم.

حماد بن سلمة قال : أنبأنا ثابت أن أخاً لصلة بن أُشيم مات فجاء رجل وهو يطعَم. فقال : يا أبا الصهباءُ إن أخاك مات ، فقال : هَلُمّ فكُلْ قد نُعِيَ لنَا ، ادْنُ فكُلْ . فقال: والله ما سبقني إليك أحد ، فمن نعاه ؟ قال : يقول الله عز وجل : ﴿ **إنك ميّتٌ وإنّهم ميّتُون** ﴾ (١) .

عن معاذة قالت : كان أبو الصهباء يصلّي حتى ما يستطيع أن يأتي فراشه إلا زحفاً .

حماد بن جعفر بن زيد أن أباه أخبره قال : خرجنا في غُزاة إلى كابُل ، وفي الجيش صلة ابن أشيم فنزل الناسُ عند العتمة . فقلت : لأرمقّن عمله فأنظر ما يذكر الناسُ من عبادته . فصلى العتمة ثم اضطجع فالتمس غفلة الناس حتى قلت هدأت العيون ، وثب فدخل غيضة قريباً منه ودخلت في أثره فتوضّأ ثم قام يصلي .

قال : وجاء أسد حتى دنا منه . قال فصعدت في شجرة . قال : فتراه التفت ؟ أو عدّه جُرَذاً . حتى سجد فقلت : الآن يفترسه فجلس ثم سلّم فقال : أيها السبع اطلب الرزق من مكان آخر . فولّى وإن له لزئيراً تصدّع الجبال منه . فما زال كذلك .

فلما كان عند الصبح جلس فحمد الله عز وجل بمحامد لم أسمع بمثلها إلا ما شاء الله. ثم قال : اللهم إني أسألك أن تجيرني من النار ، أو مثلي يجترئ أن يسألك الجنة ؟ ثم رجع فأصبح كأنه بات على الحشايا وأصبحت وبي من الفترة شيءٌ الله به عليم (٢) .

قال : فلما دنَوْا من أرض العدوّ قال الأمير : لا يَشذّنّ أحد من العسكر . قال فذهبت بغْلته بثقلها فأخذ يصلّي . فقالوا له : إن الناس قد ذهبوا فمضى ثم قال : دعوني أصلّي ركعتين . فقالوا : الناسُ قد ذهبوا . قال : إنهما خفيفتان . قال : فدعا ثم قال : اللهم إني أقسم عليك أن تردّ بغلتي وثقلها . قال : فجاءت حتى قامت بين يديه . قال : فلما لقينا العدوّ حمل هو وهشام بن عامر فصنعا بهم طعناً وضرباً وقتلاً . فكسر ذلك العدوّ فقالوا : رجلان من العرب صنعا بنا هذا فكيف لو قاتلونا ؟ فأعطوا المسلمين حاجتهم .

عن أبي السليل : أن صلة بن أشيم حدّثه قال : كنت أسير على دابة لي إذ جُعتُ

---

(١) سورة الزمر آية : ٣٠ .

(٢) الفترة : الوهن والضعف .

جوعاً شديداً فلم أجد أحداً يبعيني طعاماً وجعلت أتحرّج أن أصيب من أحد من الطريق شيئاً. فبينما أنا أسيرُ حسبتُ أنه قال : أدعو ربّي عزّ وجلّ وأسْتطعمه إذ سمعت وجْبة[1] من خلفي فالتفتّ فإذا أنا بمنديل أبيض فنزلت عن دابتي فأخذت الثوب فإذا فيه دوخلة [2] ملأى رُطباً . قال : فأخذته وركبت دابتي فأكلت منه حتى شبعت وأدركني المساء فنزلت إلى راهب في دَيْرَ له فحدّثته الحديث . قال : فاستطعمني من الرطب فأطعمته رُطباً : ثم إني مررت على ذلك الراهب فإذا نخلات حسان حمال فقال : إنهن لمن رطباتك التي أطعمْتني. وجاء بالثوب إلى أهله فكانت امرأته تُريه الناسَ .

عن رجل من بني عدي قال : لما أهديتْ مُعاذة إلى صلة أدخله ابن أخيه الحمّام ثم أدخله بيتاً مطيَّباً فقام يصلّي فقامت فصلّت . فلم يزالا يصلّيان حتى برق الفجر . قال: فأتيته فقلت : أيْ عمِّ أهديت إليك ابنة عمّك الليلة فقمت تصلّي وتركتها ؟ فقال : إنك أدخلْتني أمس بيتا أذكرتني به النار ، ثم أدخلتني بيتا أذكرتني به الجنة ، فما زالت فكرتي فيهما حتى أصبحت .

عن جعفر بن زيد العبدي أن صلة بن أشيم قال لمعاذة : ليكن شعارك الموت فإنك لا تبالين على يُسر أصبحت من الدنيا أم على عُسر .

عن الحسن قال : مات أخ لنا فصلّينا عليه . فلما وضع في قبره ومُدّ عليه الثوب جاء صلة بن أشيم فأخذ بناحية الثوب ثم نادى : يا فلانُ ابن فلان :

فإن تَنْجُ منها تَنْج من ذي عظيمةٍ وإلا فإنّي لا إخالُكَ ناجيا

قال : فبكى وأبكى الناس .

عن ابن عون قال : قال رجل لصلة بن أشيم : ادْعُ الله عز وجل لي قال : رغَّبك الله عز وجل فيما يبقى ، وزَهّدك فيما يَفنى ، ووهب لك اليقين الذي لا يسكن إلا إليه ولا يعوَّل في الدين إلا عليه .

عن ثابت البناني : إن صلة بن أشيم كان في مغزًى له ومعه ابن له فقال : أيّ بنيَّ تقدّم فقاتْل حتى أحتسبك . فحمل فقاتل حتى قُتل رحمه الله . ثم تقدّم فقتل . فاجتمعت النساء عند امرأته مُعاذة العدويّة فقالت : مرحَباً ، إن كنتنّ جئتُنّ لتهنّئْنني فمرحباً بكم وإن كنُتنّ جئتنّ لغير ذلك فارجعْن .

لقي صلة بن أشيم جماعة من الصحابة ، وأسند عن ابن عباس وغيره . وقُتل شهيداً في أول إمرة الحجاج على العراق .

---

(١) أي سقطة مع هدة . (٢) الدوخلة : ما ينسج من الخوص .

٤٩٠ ـ أبو رجاء عمران بن ملحان العطاردي[١]

ويقال عمران بن تيم يوسف بن عطية عن أبيه قال : دخل أبي على أبي رجاء العطاردي فقال : حدثني أبو رجاء قال : بُعث النبي ﷺ ، ونحن على ماء لنا وكان لنا صنم مدوّر . فحملناه على قَتب وانتقلنا من ذلك الماء إلى غيره . فمررنا برمّلة فانسل الحجر فوقع في الرمل فغاب فيه . فلما رجعنا إلى الماء فقذفنا الحجر فرجعنا في طلبه فإذا هو في رمل قد غاب فيه فاستخرجناه . كان ذلك أول إسلامي فقلت : إن إلهاً لم يمتنع من تراب يغيب فيه لإلهُ سوءٍ ، وإن العنْز لتمنع حياءها بذنبها [٢] . فرجعنا إلى المدينة وقد توفي رسول الله ﷺ.

عمارة المغولي قال : سمعت أبا رجاء يقول : كنا نعمد إلى الرمل فنجمعه ونحلب عليه فنعبده ، وكنا نعمد إلى الحجر الأبيض فنعبده زماناً ثم نُلقيه .

الجعد أبو عثمان اليشكري قال : سألت أبا رجاء العطاردي قلت : يا أبا رجاء أرأيت من أدركت من أصحاب رسول الله ﷺ ؟ كانوا يخافون على أنفسهم النفاق ! .

قال : أما إني أدركت بحمد الله عز وجل منهم صدراً حسناً . قال أبو عثمان ، وكان أدرك عمر بن الخطاب فقال : نعم شديداً نعم شديداً .

أبو الأشهب قال : كان أبو رجاء يختم بنا في رمضان كلّ عشرة أيام .

ابن عون قال : سمعت أبا رجاء يقول : ما آسى على شيء أخلفه بعدي إلا أني كنت أعفّر وجهي كل يوم وليلة خمس مِرارٍ لربّي عزّ وجل .

أسند أبو رجاء عن عمر وابن عباس ، وأمَّ قومه أربعين سنة . وتوفي في خلافة ابن عبد العزيز .

٤٩١ ـ إياس بن قتادة التميمى ابن أخت الأحنف بن قيس[٣]

عن سلمة بن علقمة قال : اعتمّ إياس بن قتادة وهو يريد بشْر بن مروان ، فنظر في المرآة فإذا بشيبة في ذقنه فقال : افْليها يا جارية . ففلَتْها فإذا هي بشيبة أخرى . فقال : انظُروا من بالباب من قومي فأدخلوه فأُدخلوا عليه فقال : يا بني تميم إني قد كنت وهبتُ لكم شبيبتي فهبوا لي شيبتي ، ألا أراني حميّر الحاجات وهذا الموت يقرب مني . ثم قال: انقضى العمامة فاعتزل يؤذن لقومه ويعبد ربه ولم يَغشَ سلطاناً حتى مات .

---

(١) انظر : الحلية (٢/ ٣٠٤) ، وسير الأعلام (٤/ ٢٣٥٣) .
(٢) الذَنَب : الذيل ، والحياء : اسم للدبر من أنثى الحيوانات .
(٣) الحلية (٣/ ١١٠) .

أسند إياس عن قيس بن عباد ، وعن أبي بن كعب ، وتشاغل بالتعبد عن الرواية .

ومن الطبقة الثانية من أهل البصرة

٤٩٢ ـ مطرّف بن عبد الله بن الشخير[١]

يكنى : أبا عبد الله . سليمان بن المغيرة قال : كان مُطَرِّف بن عبد الله إذا دخل بيته سبّحت معه آنيةُ بيته .

ثابت قال : قال مطرف : لو أُخرج قلبي فجُعل في يدي هذه اليسار ، وجيء بالخير فجُعل في هذه اليمنى ما استطعت أن أولج قلبي منه شيئاً حتى يكون الله يضعه .

غيلان قال : كان مُطرِّف يلبس البرانس[٢] ، ويلبس المطارف[٣] ، ويركب الخيل ويغشى السلطان غير أنك كنت إذا أفضيت إليه أفضيت إلى قُرّة عين .

عن ثابت البناني قال : كان مطرِّف يسكن البادية فإذا كان يوم الجمعة يركب فيجيء إلى الجُمعة ، قال فمرّ بمقابر فنعس فرأى أهل القبور على أفواه القبور ، فقالوا : هذا يذهب إلى الجمعة . قال : وتعرفون يوم الجمعة من غيره ؟ قالوا : نعم ، ونعرف ما يقول الطير في جوّ السماء . قال : ما يقول ؟ قالوا : يقول سلامٌ سلام ليومٍ صالح .

عن ثابت البناني . قال : قال مطرِّف بن عبد الله : ما مدحني أحد قطّ إلا تصاغرت إليّ نفْسي .

عن ثابت ، عن مطرف قال : لأن يسألني ربي عز وجل يوم القيامة فيقول : يا مطرف ألا فعلت ؟ أحب إليَّ من أن يقول : لِمَ فعلت .

عن ثابت عن مطرف بن عبد الله أنه كان يقول : يا إخْوتاه اجتهدوا في العمل فإن يكن الأمر كما نرجو من رحمة الله وعفوه كانت لنا درجات في الجنة ، وإن يكن الأمر شديداً كما نخاف ونحاذر لم نقل : ﴿ **ربَّنا أخرجنا نعملْ صالحاً غيْرَ الذي كنّا نعمل** ﴾[٤] نقول قد عملنا فلم ينفعنا ذلك .

عن خلف بن الوليد عن رجل من بني نهشل . قال : قال مطرف بن عبد الله وهو بعرفة : اللهم لا تردّ الجميع ، من أجلي .

ثابت قال : مات عبد الله بن مطرّف ، فخرج مطرف على قومه في ثياب حسنة وقد ادّهن فغضبوا وقالوا : يموت عبد الله ثم تخرج في ثياب مثل هذه مدّهناً ؟ قال : فأستكين

---

(١) المصدر السابق (٢/ ١٩٨) .
(٢) البرنس : قلنسوة طويلة .
(٣) المطارف : أردية من حرير مربعة .
(٤) سورة فاطر آية : ٣٧ .

لها وقد وعدني ربي تبارك عليها ثلاث خصال كلُّ خصلة منها أحبّ إليّ من الدنيا كلها؟ قال الله عز وجل : ﴿ **الذين إذا أصابتهم مُصيبةٌ قالوا إنّا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربِّهم ورحمةٌ وأولئك هم المهتدون** ﴾ [1] أفأستكين لها بعد هذا ؟ .

قال ثابت : وقال مطرف : ما من شيء أُعطى به في الآخرة قدْرَ كُوزٍ من ماء إلا وددتُ أنه أُخذَ مني في الدنيا .

غيلان قال : سمعت مطرّفاً يقول : إني وجدت ابن آدم كالشيْء الملقى بين الله تعالى وبين الشيطان ، فإن أراد الله أن ينعشه اجترّه إليه ، وإن أراد به غير ذلك خلّى بينه وبين عدوّه .

المعلى بن زياد قال : كان إخْوان مطرف بن عبد الله عنده ، فخاضوا في ذكر الجنة فقال مطرف : لا أدري ما تقولون ؟ حال ذكْر النار بيني وبين الجنة .

عن ثابت ، عن مطرف ، أنه أقبل من مبداه فجعل يسير بالليل فأضاء له سوطه .

عن أبي العلاء عن مطرف أنه قال : ما أوتيَ عبدٌ بعد الإيمان أفضل من العقل .

وكان مطرف يقول : إن هذا الموت قد أفسد على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيماً لا موت فيه .

عن بكر بن عبد الله المُزني قال : قال مطرف بن عبد الله : لو علمت متى أجلي لخشيت عليَّ ذهاب عقْلي ، ولكن الله مَنَّ على عباده بالغفلة عن الموت ، ولولا الغفلة ما تهنَّأوا بعيشٍ ولا قامت بينهم الأسواق .

عن الأعمش قال : قال لي مطرِّف بن عبد الله : وجدت الغفلة التي ألقاها الله عز وجل في قلوب الصدّيقين من خَلْقه رحمةً رحمهم بها ، ولو ألقى في قلوبهم الخوف على قدْر معرفتهم به ما هنأهم العيش .

عن أبي العلاء ، عن أخيه يعنى مطرفاً ، قال : إذا استوت سريرة العبد وعلانيته قال الله عز وجل هذا عبدي حقاً .

محمد بن واسع قال : كان مطرِّف يقول : اللهم ارض عنّا ، فإن لم ترض عنا فاعفُ عنا، فإن المولى قد يعفو عن عبده وهو عنه غير راضٍ .

عن سُكَيْن بن عبد العزيز ، عن أبيه عن مطرِّف قال : إذا دخلتم على المريض فإن استطعتم أن يدعو لكم ، فإنه قد حُرِّك .

---

(١) سورة البقرة آية : ١٥٦ ، ١٥٧ .

سفيان قال : قال مطرِّف : إن أقبح ما طُلب به الدنيا عمل الآخرة .

عن حميد بن هلال قال : كان بين مطرف وبين رجل من قومه شيء ، فكذب على مطرف . فقال له مطرِّف : إن كنت كاذباً فعجّل الله حتفك . فمات الرجل مكانه قال : فاستعدى أهلهُ زياداً على مطرف ، فقال لهم زياد : هل ضربه ؟ هل مسّه بيده ؟ فقالوا : لا . فقال : دعوة رجل صالحٍ وافقتْ قدراً . فلم يجعل لهم شيئاً .

أبو بكر السّهمي قال : حدثني شيخ لنا يُكنى أبا بكر أن مطرف بن الشخير قال لبعض إخوانه : يا فلان إذا كانت لك حاجة فلا تكلّمني فيها ولكن اكتُبها في رقعة ثم ادفعها إليه فإني أكره إن أرى في وجهك ذلّ السؤال . وقد قال الشاعر :

لا تحسبنّ الموتَ موتَ البلى ... وإنما الموتُ سؤالُ الرجالْ
كلاهما موتٌ ولكنّ ذا ... أشدُّ من ذاك لِذُلّ السؤال

وقال أيضاً :

ما اعتاضَ باذلُ وجهه بسؤاله ... عِوضَاً وإن نال الغنى بسؤال
وإذا السؤال مع النّوال وزَنْتَه ... رجح السؤالُ وخفَّ كلُّ نوالِ
فإذا ابتُليتَ ببذل وجهك سائلاً ... فابذُلْه للمتكرّم المفْضَالِ

عن غيلان قال : كان مطرف يقول : كأن القلوب ليست منا وكأن الحديث يعنى به غيرْنا .

أسند مطرّف عن : عثمان بن عفان ، وعلى ، وأبيّ بن كعب ، وأبي ذرّ ، وأبيه عبد الله بن الشخير ، في آخرين . وتوفي في ولاية الحجاج العراق بعد الطاعون الجارف. وكان الطاعون سنة سبع وثمانين في خلافة الوليد بن عبد الملك . وكان مطرِّف أكبر من الحسن البصرى بعشرين سنة .

٤٩٣ ـ صفوان بن محرز المازنى[١]

من بني تميم عن الحسن عن صفوان بن محرز قال : إذا أكلتُ رغيفاً أشدّ به صُلْبي ، وشربتُ كوز ماء فعلى الدنيا وأهلها العفاء .

المعلّى بن زياد القُرْدوسي قال كان لصفوان بن محرز سرب [٢] يبكي فيه ، وكان يقول: قد أرى مكان الشهادة لو تشايعني نفسي .

---

(١) انظر : الحلية (٢/ ٢١٣) ، وسير الأعلام (٤/ ٢٨٦) .
(٢) السرب – بفتحتين : بيت فى الأرض لا منفذ له وهو ما يقال عنه : « الوكر » .

عن الحسن قال : لقيت أقواماً كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم الله عليكم، ولقد لقيت أقواماً كانوا من حسناتهم أشفق أن لا تُقبل منهم من سيآتكم . ولقد صحبت أقواماً كان أحدهم يأكل على الأرض وينام على الأرض ، منهم صفوان بن محرز المازني .

وكان يقول : إذا أويت إلى أهلي وأصبت رغيفاً أكلته فجزى الله الدنيا عن أهلها شراً. والله ما زاد على رغيف حتى فارق الدنيا ، يظلّ صائماً ويُفطر على رغيف ويشرب عليه من الماء حتى يتروّى ثم يقوم فيصلّي حتى يصبح ، فإذا صلّى الفجر أخذ المصحف فوضعه في حُجْره يقرأ حتى يترجل النهار ، ثم يقوم فيصلى حتى ينتصف النهار ، فإذا انتصف النهار رمى بنفسه على الأرض فنام إلى الظهر فكانت تلك نومته حتى فارق الدنيا. فإذا صلّى الظهر قام فصلّى إلى العصر ، فإذا صلى العصر وضع المصحف في حُجره فلا يزال يقرأ حتى تصفرّ الشمس .

عن الحسن قال : كان لصفوان بن محرز سربٌ لا يخرج منه إلا للصلاة .

غيلان بن جرير قال : كانوا يجتمعون - صفوان وإخوانه ، فيتحدّثون فلا يرَوْن تلك الرقة . فيقولون : يا صفوان حدّث أصحابك . قال فيقول : الحمد لله فيرِقّ القوم وتسيل دموعهم ، كأنها أفواه المزاد .

ثابت البناني قال : أخذ عبيد الله بن زياد ابن أخٍ لصفوان بن محرز فحبسه في السجن. فلم يدع صفوان شريفاً بالبصرة يرجو منفعته إلا تحمّل به عليه . فلم ير لحاجته نجاحاً . فبات في مصلاه حزيناً . قال : فهوّم [1] من الليل فإذا آت قد أتاه في منامه فقال: يا صفوان قم فاطلب حاجتك من جهتها . قال : فانتبه فزعا فقام فتوضأ ثم صلّى ثم دعا . فأرق ابن زياد فقال : عليَّ بابن أخي صفوان بن محرز . فجاء بالحرس وجيء بالنيران ففُتحت تلك الأبواب الحديد في جوف الليل ، فقال : ابن أخي صفوان أخرجوه فإني قد مُنعت من النوم منذ الليلة . فأخرج فأتي به ابن زياد فقال : انطلق بلا كفيل ولا شيء . فما شعر صفوان حتى ضرب عليه ابنُ أخيه بابه . قال صفوان : من هذا ؟ قال: أنا فلان. قال : أيّ ساعةٍ هذه الساعة ؟ فحدّثه الحديث .

أسند صفوان عن ابن عمر ، وأبي موسى ، وعمران بن حصين ، وحكيم بن حزام ، في آخرين . وتوفي بالبصرة في ولاية بشر بن مروان .

---

(١) هوم الرجل تهويماً : هز رأسه من النعاس .

٤٩٤ ـ أبو الحلال العتكى

اسمه زرارة بن ربيعة ، من الأزد . عبيد الله بن ثور قال : حدثتني أمي عن عمّتها العيناء بنت أبي الحلال قالت : كان أبو الحلال فوق غرفة فيأتي بعض أبوابها فيُشرف على شقّ من ناحية الحيّ فينادي : يا فلان يا فلان . ثم يقبل على الشقّ الآخر فينادى : يا فلان يا فلان: ثم يقبل على الشق الآخر فيقول مثله ، حتى يأتي على كل الأركان الأربعة . قالت: ثم يقول : ﴿ **هل تُحس منهم من أحدٍ أوْ تسمعُ لهم ركْزاً** ﴾ (١) ثم يقبل على الصلاة .

ومات يوم مات وهو ابن عشرين ومائة سنة . وكان يقول : اللهم لا تسلبني القرآن .

وسمع أبو الحلال من عثمان بن عفان رضي الله عنه .

٤٩٥ ـ زرارة بن أوفى الحرشى

من بنى الحريش بن كعب ، يكنى أبا حاجب . بَهْز بن حكيم قال : صلّى بنا زرارة ابن أوفى في مسجد بني قشير فقرأ ﴿ **فإذا نُقِرَ في النّاقور** ﴾ (٢) فخرّ ميتاً فحمل إلى داره فكنت فيمن حمله إلى داره .

قال : وكان يقصّ في داره . وقدم الحجاج وهو يقصّ في داره .

أبو جَناب القصار قال : صلّى بنا زرارة بن أوفى الفجر فلما بلغ ﴿ **فإذا نقرَ في الناقور** ﴾ شهق شهقةً فمات . رحمه الله .

أسند زرارة عن جماعة من الصحابة منهم : أبو هريرة ، وعمران بن حصين ، وابن عباس ، وتوفي فجاءةً سنة ثلاث وتسعين فى خلافة الوليد بن عبد الملك .

٤٩٦ ـ أبو السوار حسان بن حريث العدوى

من بني عديّ بن زيد مناة . عن أبي التياح قال : سمعت أبا السّوار يقول وقرأ هذه الآية: ﴿ **وكلّ إنسانٍ ألزمناه طائره في عُنُقه** ﴾ (٣) قال : هما نشْرتان وطيّة ، أما ما حييت يا ابن ادم فصحيفتك منشورة فأمْل فيها ما شئت ، فإذا مُتَّ طويت ثم إذا بُعثت نُشرت ﴿ **اقْرأْ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً** ﴾ (٤) .

محمد بن الحسين قال : إن أبا السوار العدوي أقبل عليه رجل بالأذى ، فسكت ، حتى بلغ منزله . أو دخل . قال حسبك إن شئت .

---

(١) سورة مريم آية : ٩٨ .

(٢) سورة المدثر آية : ٨ .

(٣) سورة الإسراء آية : ١٣ .

(٤) سورة الإسراء آية : ١٤ .

عن هشام قال : كان أبو السوار العدوي يعرض له رجل فيشتمه فيقول : إن كنتُ كما قلت إني إذاً لرجُل سوء .

أسند أبو السوار عن عليّ بن أبي طالب ، وعمران بن حصين وغيرهما .

٤٩٧ ـ خليد بن عبد الله العصرى

وعصر بطن من عبد قيس . محمد بن واسع قال : كان خليد العصري يصوم الدهر .

عن قتادة أن خليداً العصري قال : يا إخْوتاه هل منكم من أحد لا يحب أن يلقى حبيبه ألا فأحبّوا ربّكم وسيروا إليه سيراً كريماً .

عن قتادة عن خُليد قال : المؤمن لا تلقاه إلا في ثلاث خلال : مسجدٍ يعمره ، أو بيتٍ يستره ، أو حاجةٍ من أمر دنياه لا بأس بها .

عن محمد بن واسع قال : قال خُليد العصري : كلّنا قد أيقن بالموت وما نرى له مستعدّا . وكلنا قد أيقن بالجنة وما نرى لها عاملا ، وكلنا قد أيقن بالنار وما نرى لها خائفاً فعلامَ تعرجون ، وما عسيتم تنظرون ؟ الموت ؟ فهو أوّل واردٍ عليكم من الله بخير أو بشرّ . فيا إخْوتاه سيروا إلى ربّكم سيراً جميلاً .

٤٩٨ ـ ميمون بن سياه[١]

عن كهمس بن عبد الله قال : سمعت ميمون بن سياه ـ وكان أكبر من الحسن ـ يقول : تذاكروا عندي رجلاً من هؤلاء السلاطين فوقعوا فيه ولم أذكر منه خيراً ولا شراً فانقلبتُ إلى بيتي فرقدت فرأيت فيما يرى النائم كأن بين يديّ جيفة زنجيّ ميّت منتفخ منتن ، وكأن قائماً على رأسي يقول لي : كُلْ . قلت : يا عبد الله ولم آكل ؟ قال : بما اغتيب عندك فلان قال : قلت ما ذكرت منه خيراً ولا شراً . فقال : ولكنك استمعت ورضيت .

عن حزم قال : كان ميمون بن سياه لا يغتاب ولا يدع أحداً يغتاب عنده ، ينهاه فإن انتهى وإلا قام عنه . أسند ميمون عن أنس بن مالك .

٤٩٩ ـ يزيد بن عبد الله بن الشخير[٢]

أخو مطرف . يكنى أبا العلاء . عن بديل بن ميسرة قال : كان مطرف يقول : لأن أعافى فأشكر أحبّ إليه من أن أُبتلى فأصبر .

وكان أبو العلاء يقول : اللهم أيٌّ ذلك كان خيراً لي فعجّل لي .

---

(١) الحلية (٣/١٠٦) .

(٢) المصدر السابق (٢/١١٢) ، وسير الأعلام (٤/٤٩٣) .

قال أبو صالح العقيلي : كان يزيدُ يقرأ في المصحف حتى يُغشى عليه . قلت : كان يزيد أكبر من الحسن البصرى بعشر سنين ، وكان مطرف أكبر من يزيد بعشر سنين ، وقد حدث يزيد عن أبيه وغيره ، وتوفي بالبصرة سنة إحدى عشرة ومائة .

٥٠٠ ـ الحسن بن أبي الحسن البصرى(١)

يكنى : أبا سعيد . وكان أبوه من أهل بيسان فسُبي فهو مولى الأنصار ولد في خلافة عُمر وحنّكه عمر بيده ، وكانت أمه تخدم أم سلّمة زوج النبي ﷺ فربما غابت فتعطيه أم سلمة ثدْيها تعلله به إلى أن تجيء أمه فيدّر عليه ثديُها فيشربه فكانوا يقولون : فصاحتُه من بركة ذلك .

إبراهيم بن عيسى اليشكري قال : ما رأيت أطول حزناً من الحسن ، وما رأيته إلا حسبته حديث عهدٍ بمصيبة .

عن يونس قال : كان الحسن يقول : نضحك ولعل الله قد اطّلع على بعض أعمالنا فقال: لا أقبل منكم شيئاً .

حكيم بن جعفر قال : قال لي مسمع : لو رأيت الحسن لقلت قد بُثّ عليه حزنُ الخلائق، من طول تلك الدمعة وكثرة ذلك النشيج .

محمد بن سعد قال : قال يزيد بن حوشب : ما رأيت أخوف من الحسن وعمر بن عبد العزيز . كأن النار لم تُخلق إلاّ لهما .

عن حفص بن عمر قال : بكى الحسن فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : أخاف أن يطرحني غداً في النار ولا يُبالي .

يوسف بن أسباط قال : مكث الحسن ثلاثين سنة لم يضحك ، وأربعين سنة لم يمزح . قال : وقال الحسن : لقد أدركت أقواماً ما أنا عندهم إلا لصّ .

عن حميد قال : بينما الحسن في المسجد تنفّس تنفساً شديداً ثم بكى حتى أرعدت منكباه ثم قال : لو أن بالقلوب حياة ، لو أن بالقلوب صلاحاً لأبكتْكم من ليلة صبيحتُها يومُ القيامة ، إن ليلةً تمخّضُ عن صبيحة يوم القيامة ما سمع الخلائقُ بيومٍ قطُّ أكثر من عورةٍ بادية ولا عين باكية من يوم القيامة .

روى أبو عبيده الناجي : أنه سمع الحسن يقول : يا ابن آدم إنك لا تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك ، وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب من نفسك

(١) المصدر السابق (٤/ ٥٦٣) ، والحلية (٢/ ١٣١) .

فتصلحه ، فإذا فعلت ذلك لم تصلح عيباً إلا وجدت عيباً آخر لم تصلحه ، فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك ، وأحبُّ العباد إلى الله تعالى من كان كذلك .

عن يحيى بن المختار عن الحسن قال : إن المؤمن قوّام على نفسه يحاسب نفسه لله عز وجل ، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا ، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة إن المؤمن يفجُؤه الشيءُ يعجبه فيقول : والله إني لأشتهيك وإنك لمن حاجتي ولكنْ والله ما من صلةٍ إليك ، هيهات هيهات ، حِيلَ بيني وبينك؛ . ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول : ما أردت إلى هذا . ما لي ولهذا ؟ والله لا أعود لهذا أبداً إن شاء الله . إن المؤمنين قوم أوثقهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم . إن المؤمن أسيرٌ في الدنيا يسعى في فكاك رقبته لا يأمن شيئاً حتى يلقى الله عز وجل يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه وبصره ولسانه وجوارحه .

مبارك بن فضالة قال : سمعت الحسن وقال له شاب : أعياني قيام الليل . فقال : قيّدتْك خطاياك .

عبد المؤمن بن عبيد الله عن الحسن قال : يا آبن آدم إنك ناظر إلى عملك يوزن خيره وشره فلا تحقرّن من الخير شيئاً وإنْ هو صغر فإنك إذا رأيته سرّك مكانه ولا تحقرّن من الشر شيئاً فإنك إذا رأيته ساءك مكانه ، رحم الله رجلاً كسب طيّباً وأنفق قصْداً وقدّم فضلاً ليوم فقره وفاقته . هيهات ! ذهبت الدنيا بحال بالها وبقيت الأعمال قلائد في أعناقكم . أنتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم وقد أُسرع بخياركم فماذا تنتظرون ؟ المعاينة فكأن قدْ . إنه لا كتاب بعد كتابكم ولا نبيَّ بعد نبيكم ، يا ابن آدم بعْ دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً ولا تبيعن آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً .

روى أبو عبيدة الناجي أنه سمع الحسن بن أبي الحسن يقول : حادثوا هذه القلوب فإنها سريعة الدُّثور ، واقْدَعوا هذه الأنفس فإنها طُلعة وإنها تُنازع إلى شرّ غايةٍ ، وإنكم إن لم تقاربوها لم تُبق من أعمالكم شيئاً فتصبَّروا وتشدّدُوا فإنما هي ليالٍ تُعدّ ، وإنما أنتم ركْبٌ وقوف يوشك أن يُدعى أحدكم فيجيب ولا يلتفت فانقلبوا بصالح ما بحضرتكم ، إن هذا الحق أجهد الناس وحال بينهم وبين شهواتهم وإنما صبر على هذا الحق من عرف فضله ورجا عاقبته .

عن أبي همام الكلاعي ، عن الحسن أنه مرّ ببعض القراء على بعض أبواب السلاطين فقال : أفرحتم حمائمكم وفرطحتم نعالكم وجئتم بالعلم تحملونه على رقابكم إلى أبوابهم

فزهدُوا فيكم ، أما إنكم لو جلستم في بيوتكم حتى يكونوا هم الذين يرسلون إليكم لكان أعظم لكم في أعينهم ، تفرّقوا فرّق الله بين أعضائكم .

عاصر الحسن خَلْقاً كثيراً من الصحابة فأرسل الحديث عن بعضهم ، وسمع من بعضهم . وقد ذكرنا ذلك في كتاب أفردناه لمناقب الحسن وأخباره وهو نحو من عشرين جزءاً لذلك اكتفينا بما ذكرنا ها هنا لأننا نكره الإعادة في التصانيف ، . وتوفي الحسن في سنة عشر ومائة .

٥٠١ ـ أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي[١]

عن عمرو بن دينار قال : أخبرني عطاء قال : سمعت ابن عباس يقول : لو نزل أهل البصرة عند قول جابر بن زيد لأوسعهم عما في كتاب الله عز وجل علماً . وقال عمرو : وما رأيت أحداً أعلم من أبي الشعثاء .

عن صالح الدهّان ، عن جابر بن زيد قال : نظرت في أعمال البِرّ فإذا الصلاة تجهد البدن ولا تجهد المال ، والصيام مثل ذلك ، والحج يُجهد المال والبدن . فرأيت الحج أفضل من ذلك كله .

عن صالح الدهان أن جابر بن زيد كان لا يماكس في ثلاثٍ : في الكراء إلى مكّة ، وفي الرقبة يشتريها للعتق ، وفي الأضحية . وكان لا يماكس في كل شيء يتقرب به إلى الله عز وجل .

عن ابن سيرين قال : كان أبو الشعثاء مسلماً عند الدينار والدرهم .

عن مطر الورّاق ، عن جابر بن زيد قال : لأن أتصدّق بدرهم على يتيم أو مسكين أحبّ إليّ من حجة بعد حجة الإسلام .

وأسند أبو الشعثاء عن ابن عمر وابن عباس . وتوفي سنة ثلاث ومائة .

٥٠٢ ـ أبو قلابة عبد الله بن زيد الجرمي

عن أيوب ، عن أبي قُلابة قال : أيّ رجل أعظم أجراً من رجل ينفق على عيالٍ له صغار يُعفّهم الله به ويغنيهم .

عن صالح بن رستم قال : قال أبو قلابة : إذا أحدث الله عز وجل لك علماً فأحدثْ له عبادة ولا يكن همّك ما يحدّث به الناس . قال : وقال لي : الزم سوقك فإن الغنى من العافية .

---

(١) انظر : الحلية (٣/ ٨٥) ، وسير الأعلام (٤/ ٤٨١) .

حُميد الطويل ، عن أبي قلابة قال : إذا بلغك عن أخيك شيْء تكرهه فالتمس له العذْر جُهْدَك فإن لم تجد له عذراً فقل في نفسك : لعل لأخي عذراً لا أعلمه .

عثمان بن الهيثم قال : كان رجل بالبصرة من بني سعد ، وكان قائدا من قواد عبيد الله بن زياد فسقط عن السطح فانكسرت رجلاه . فدخل عليه أبو قلابة يعوده فقال له: أرجو أن تكون لك خيرة . فقال له : يا أبا قلابة وأيّ خيرٍ في كسْر رجليَّ جميعاً ؟ فقال : ما ستر الله عليك أكثر .

فلما كان بعد ثلاث ورد عليه كتاب ابن زياد أن يخرج فيقاتل الحسين . فقال للرسول: قد أصابني ما ترى فما كان إلا سبعاً حتى وافى الخبر بقتل الحسين . فقال الرجل : رحم الله أبا قلابة لقد صدق ، إنه كان خيرةً لي .

عن أيوب قال : مرض أبو قلابة بالشام ، فأتاه عمر بن عبد العزيز يعوده فقال : يا أبا قلابة تشدّد لا يشمت بنا المنافقون .

أسند أبو قلابة عن أنس وغيره من الصحابة . ومات بالشام سنة أربع أو خمسٍ ومائة.

٥٠٣ ـ مسلم بن يسار[1]

يكنى : أبا عبد الله . مولى طلحة بن عبيد الله التيمي . كذا قال ابن سعد . وقال البخاري ومسلم بن الحجاج هو مولى بني أمية . وقال أبو بكر الخطيب : مولى عثمان ابن عفان .

ميمون بن جابان قال : ما رأيت مسلم بن يسار ملتفتاً في صلاته قطّ ، خفيفةً ولا طويلة. لقد انهدمت ناحية من المسجد ففزع أهل السوق لهدته وإنه لفي المسجد في صلاةٍ فما التفت .

عبد الجبار بن النضر السلمي قال : حدثني رجل من آل محمد بن سيرين قال : رأيت مسلم بن يسار رفع رأسه من السجود في المسجد الجامع فنظرتُ إلى موضع سجوده كأنه قد صُبّ فيه الماء من كثرة دموعه .

جعفر بن حيان قال : ذكر لمسلم بن يسار قلة التفاته في الصلاة فقال : وما يدريكم أين قلبي ؟ .

عن ابن شوذب قال : كان مسلم بن يسار يقول لأهله إذا دخل في صلاته في بيته : تحدّثوا فلست أسمع حديثكم .

---

(١) المصدر السابق (٤/ ٥١٠) ، والحلية (٢/ ٢٩٠) .

عبد الحميد بن عبد الله بن مسلم بن يسار ، عن أبيه قال : كان مسلم إذا دخل المنزل سكت أهل البيت فلا يُسمع لهم كلام وإذا قام يصلى تكلموا وضحكوا ، ابن عون قال : رأيت مسلم بن يسار يصلى كأنه وتد لا يميل على قدم مرة ولا على قدم مرة ولا يتحرك له ثوب ولا يتروح على رجل ، عن حبيب بن الشهيد أن مسلم بن يسار كان قائماً يصلّي فوقع حريق إلى جنبه فما شعر به حتى طفئت النار .

عبد الحميد بن عبد الله بن مسلم بن يسار قال : حدثني أبي قال : رأيت مسلماً وهو ساجد ، وهو يقول في سجوده : متى ألقاك وأنت عني راضٍ ؟ ويذهب في الدعاء ثم يقول : متى ألقاك وأنت عني راضٍ .

عن ابن عون قال : كان مسلم بن يسار إذا كان في غير صلاة كأنه في صلاة .

ابن المبارك قال : قال مسلم بن يسار لأصحابه يوم التروّية : هل لكم في الحج ؟ فقالوا خرف الشيخ . وعلى ذلك لنطيعنّه . قال : من أراد ذلك فليخرج فخرجوا إلى الجبّان برواحلهم فقال : خلّوا أزمتّها . فأصبحوا وهم ينظرون إلى جبال تهامة .

سليمان بن المغيرة وجاء مسلم بن يسار إلى دجلة وهى تقذف بالزبد ، فمشى على الماء ثم التفت إلى أصحابه فقال : هل تفقدون شيئاً ؟

لقي مسلم بن يسار جماعة من الصحابة . وتوفي في سنة مائة أو إحدى ومائة في خلافة عمر بن عبد العزيز .

مالك بن دينار قال : رأيت أبا عبد الله مسلم بن يسار في منامي بعد موته بسنة ، فسلمت عليه فلم يرد السلام فقلت : ما يمنعك أن تردّ عليّ السلام ؟ فقال : أنا ميّت فكيف أردّ عليك السلام ؟ قال : قلت له فماذا لقيت بعد الموت ؟ قال : فدمعت عينا مالك عند ذلك وقال : لقيت والله أهوالا وزلازلاً عظاماً شداداً . قال فقلت : فما كان بعدّ ذلك؟ قال : وما تراه يكون من الكريم ؟ قبل منا الحسنات وعفا لنا عن السيئات وضمن عنا التبعات .

قال : ثم شهق مالك شهقة خرّ مغشياً عليه . قال : فلبث بعد ذلك أياماً مريضاً من غشْيته ثم مات فيرون أنه انصدع قلبه فمات رحمه الله .

٥٠٤ ـ محمد بن سيرين(١)

يكنى : أبا بكر ، مولى أنس بن مالك . كاتبه أنس . وقال ابن عائشة : كان سيرين من أهل جَرْجَرَايَا ، وكان يعمل قُدور النحاس ، فجاء إلى عين التمر يعمل بها فسباه خالد بن الوليد .

---

(١) انظر : الحلية (٢/٢٦٣) ، وسير الأعلام (٤/٦٠٦) .

عن عبيد الله بن أبي بكر بن أنس بن مالك قال : هذه مكاتبة سيرين عندنا : هذا ما كاتب عليه أنس بن مالك فتاه شيرون على كذا وكذا ألفاً ، وعلى غلامين يعملان عليه .

بكار بن محمد قال : حدثني أبي أن أم محمد بن سيرين صفيّة مولاة أبي بكر بن أبي قحافة طيّبها ثلاث من أزواج رسول الله ودعوته لها ، وحضر إملاكها ثمانية عشر بدريا منهم أبيّ بن كعب يدْعو ، وهُمْ يؤمِّنون .

قال بكار : وأنبأ ابن عون قال : كان محمد بن سيرين إذا حدّث كأنه يتقي شيئاً ، كأنه يحذر شيئاً .

جرير بن حازم قال : سمعت محمد بن سيرين يحدث رجلاً فقال : ما رأيت الرجل الأسود ، ثم قال : أستغفر الله ما أراني إلا قد اغتبتُ الرجل .

عن ابن عون قال : كانوا إذا ذكروا عند محمد رجلاً بسيئة ذكره محمد بأحسن ما يعلم.

طوق بن وهب قال : دخلت على محمد بن سيرين وقد اشتكيت . فقال : كأني أراك شاكياً . قلت : أجل . قال : اذهب إلى فلان الطبيب فاستوصفه ، ثم قال : اذهب إلى فلان فإنه أطب منه . ثم قال : أستغفر الله أراني قد اغتبتُه .

عاصم الأحول قال : سمعت مورقاً العجلي يقول : ما رأيت رجلاً أفقه في ورعه ولا أورع في فقهه من محمد بن سيرين .

قال : وقال أبو قلابة : اصْرفوه حيث شئتم فلتجدُنّه أشدّكم ورعاً وأملككم لنفسه .

عن أيوب قال : قال أبو قلابة : وأيّنا يطيق ما يطيق محمد بن سيرين ؟ يركب مثل حدّ السنان .

أبو عوانه قال : رأيت محمد بن سيرين يمرّ في السوق فيكبّر الناس .

قال خلف : كان محمد بن سيرين قد أعطي هدْياً وسمْتاً وخشوعاً فكان الناس إذا رأوه ذكروا الله .

بسطام بن مسلم قال : كان محمد بن سيرين إذا مشى معه رجل قام وقال : ألك حاجة؟ فإن كان له حاجة قضاها . فإن عاد يمشي معه قام فقال له : ألك حاجة ؟ .

عن عاصم قال : لم يكن ابن سيرين يترك أحداً يمشي معه .

حماد عن حبيب عن ابن سيرين قال : إذا أراد الله عز وجل بعبد خيراً جعل له واعظاً من قلبه يأمره وينهاه .

ابن عون قال : سمعت محمدا يقول في شيء راجعته فيه : إني لم أقل لك ليس به بأس ، إنما قلت لك لا أعلم به بأساً .

الأشعث قال : كان محمد بن سيرين إذا سئل عن شيء من الفقه ، الحلال والحرام ، تغيّر لونه وتبدّل حتى كأنه ليس بالذي كان .

عن هشام قال : أوصى أنس بن مالك أن يغسله محمد بن سيرين . فقيل له في ذلك، وكان محبوساً . فقال : أنا محبوس . قالوا : قد استأذن الأمير فأذن لك في ذلك. قال : فإن الأمير لم يحبسني إنما حبسني الذي له الحق . فأذن له صاحب الحق فخرج فغسله .

عن رجاء بن أبي سلمة قال : سمعت يونس بن عبيد يقول : أما ابن سيرين فإنه لم يعرض له أمران في دينه إلا أخذ بأوثقهما .

عن هشام ، عن ابن سيرين أنه اشترى بيعاً فأشرف فيه على ثمانين ألفاً فعرض في قلبه منه شيء فتركه . قال هشام : والله ما هو برِبا .

عن السريّ بن يحيى قال : لقد ترك ابن سيرين ربْح أربعين ألفاً في شيء دخله .

قال سريّ : فسمعت سليمان التيمي يقول : لقد تركه في شيء ما يختلف فيه أحد من العلماء.

سعيد بن عامر قال : سمعت هشام بن حسان يقول : ترك محمد بن سيرين أربعين ألف درهم في شيء ما ترون به اليوم بأساً .

هشام بن حسان يذكره قال : كان ابن سيرين إذا دُعِيَ إلى وليمة أو إلى عرس يدخل منزله فيقول : اسقوني شربة سويق . فيقال له : يا أبا بكر أنت تذهب إلى الوليمة أو العرس تشرب سويقاً ؟ فيقول : إني أكره أن أحمل حدّ جوعي على طعام الناس .

عن ابن شوذب قال : كان ابن سيرين يصوم يوماً ويفطر يوماً . وكان اليوم الذي يفطر فيه يتغذىّ ولا يتعشى ، ثم يتسحّر ويصبح صائماً .

موسى بن المغيرة قال : رأيت محمد بن سيرين يدخل السوق نصف النهار يكبر ويسبّح ويذكر الله عز وجل . فقال له رجل : يا أبا بكر في هذه الساعة ؟ قال : إنها ساعة غفلة .

روى هشام بن حسان ، عن حفصة بنت سيرين قالت : كان محمد إذا دخل على أمه لم يكلمها بلسانه كلّه تخشّعاً لها .

عن ابن عون قال : دخل رجل على محمد وهو عند أمه فقال : ما شأن محمد ؟ يشتكي شيئاً ؟ فقالوا : لا ولكن هكذا يكون إذا كان عند أمه .

عن الربيع ، عن ابن سيرين قال : ظُلْمٌ لأخيك أن تذكر منه أسْوأ ما تعلم وتكتمُ خيْره.

عن ابن عون قال : أرسل ابن هبيرة إلى ابن سيرين فأتاه فقال له : كيف تركت أهل مصْرك ؟ قال تركتهم والظلم فيهم فاشٍ .

قال ابن عون : كان محمد يرى أنها شهادة يسأل عنها فكره أن يكتمها .

عن جعفر بن مرزوق قال : بعث ابن هبيرة إلى ابن سيرين والحسن والشعبي ، قال: فدخلوا عليه فقال لابن سيرين : يا أبا بكر ماذا رأيت منذ قربت من بابنا ؟ قال : رأيت ظلماً فاشياً . قال : فغمزه ابن أخيه بمنكبه ، فالتفت إليه ابن سيرين فقال ابن سيرين : إنك لست تسأل إنما أسأل أنا. فأرسل إلى الحسن بأربعة آلاف ، وإلى ابن سيرين بثلاث آلاف ، وإلى الشعبي بألفين . فأما ابن سيرين فلم يأخذها .

عن جعفر بن أبي الصلت قال : قلت لمحمد بن سيرين : ما منعك أن تقبل من ابن هبيرة ؟ قال : فقال لي : يا أبا عبد الله ، أو يا هذا ، إنما أعطاني على خير كان يظنه بي ، ولئن كنت كما ظن بي فما ينبغي لي أن أقبل ، وإن لم أكن كما ظنّ فبالحَرِيِّ أن لا يجوز لي أن أقبل .

عن عمير بن رئاب ، عن ابن سيرين قال : العزلة عبادة .

عن ابن عون قال : كان لابن سيرين منازل لا يكريها [1] إلا من أهل الذمة . فقيل له في ذلك فقال : إذا جاء رأس الشهر رُعتُه وأكره أن أُروع مسلماً .

عن عبيد الله بن السريّ قال : قال ابن سيرين : إني لأعرف الذنْب الذي حُمل به عليّ الدَّيْنُ ما هو : قلت لرجل منذ أربعين سنة : يا مفلس .

فحدثت به أبا سليمان الدّاراني فقال : قلّت ذنوبهم فعرفوا من أين يؤتَوْن ، وكثرت ذنوبي وذنوبك فليس ندري من أين نُؤتَى ؟ .

عن عاصم الأحول قال : كان عامة كلام ابن سيرين : سبحان الله العظيم سبحان الله وبحمده .

عن هشام بن حسان قال: ربما سمعت بكاء محمد بن سيرين في جوف الليل وهو يصلّي.

عن أنس بن سيرين قال : كان لمحمد بن سيرين سبعة أوراد يقرؤها بالليل ، فإذا فاته منها شيء قرأه من النهار .

عن هشام قال : كان ابن سيرين يحيى الليل في رمضان .

عن دُهير قال : كان ابن سيرين إذا ذكر الموت مات كلّ عضو منه على حِدَته .

مهدي قال : كنا نجلس إلى محمد فيحدثنا ونحدثه ويكثر إلينا ونكثر إليه فإذا ذكر الموت تغيّر لونه واصفرّ وأنكرناه وكأنه ليس بالذي كان .

---

(١) أي يؤجرها .

عن ابن عون أن محمد بن سيرين كان إذا نام وجّه نفسه .

أبيّ قال : كان الرجل إذا سأل ابن سيرين عن الرؤيا قال : اتّق الله عز وجل في اليقظة ولا يضرك ما رأيت في المنام .

بشر بن عمر قال : حدثتْنا أم عباد – امرأة هشام بن حسان – قالت : نزلنا مع محمد ابن سيرين في الدار ، فكنا نسمع بكاءه بالليل وضحكه بالنهار .

الصقر – يعني ابن حبيب – قال : مرّ ابن سيرين برأسٍ قد أخرج رأساً فغُشي عليه .

عن حبيب بن الشهيد قال : كنت أنا وأيوب السختيانى عند عمر بن دينار فحلف ما رأى أحداً أفضل من طاووس . فقال أيوب :لو رأى ابن سيرين لم يحلف .

أسند محمد بن سيرين عن زيد بن ثابت ، وابن عمر ، وابن عباس ، وأبي سعيد ، وعمران بن حصين ، وجندب . وأنس ، وأبي هريرة ، وأبي بكرة في آخرين .

قال علي بن المديني : لم يحفظ عن زيد بن ثابت شيئاً إلا أنه سمع كلامه .

وتوفي في سنة عشر ومائة بعد الحسن بمائة يوم ، وهو ابن نيّف وثمانين سنة .

٥٠٥ ـ بكر بن عبد الله المُزَنيّ

عن كنانة بن جبل السلمي قال : قال بكر بن عبد الله : إذا رأيت من هو أكبر منك فقل : هذا سبقني بالإيمان والعمل الصالح فهو خير مني ، وإذا رأيت من هو أصغر منك فقل : سبقتُه إلى الذنوب والمعاصي فهو خير مني ، وإذا رأيت إخوانك يكرمونك ويعظّمونك فقل : هذا فضلٌ أُخذوا به ، وإذا رأيت منهم تقصيراً فقل : هذا ذنْب أحدثتُه .

عن صالح المرّي قال : وقف مطرف بن عبد الله بن الشخير ، وبكر بن عبد الله المزني بعرفة فقال مطرف : اللهم لا تردّهم اليوم من أجلي . وقال بكر : ما أشرفه من مقام وأرجاه لأجله لولا أني فيهم .

عن معاوية بن عبد الكريم ، عن بكر بن عبد الله قال : كان الرجل من بني إسرائيل إذا بلغ المبلغ فمشى في الناس تظلّه غمامة . قال : فمرّ رجل قد أظلّته غمامة على رجل فأعظمه لمّا رآه لما آتاه الله عز وجل . قال : فاحتقره صاحب الغمامة ، أو قال كلمة نحوها، فأمرت أَن تتحول من رأسه إلى رأس الذي عظم أمْر الله عز وجل .

عن حميد قال : كان بكر مجاب الدعوة .

عن إبراهيم بن عيسى قال : قال بكر بن عبد الله المزني : من مثلك يا ابن آدم خلّي بينك وبين المحراب والماء . كلما شئت دخلت على الله عز وجل ليس بينك وبينه ترجمان .

عن حصين عن بكر بن عبد الله المزني قال : لا يكون العبد تقياً حتى يكون تقيَّ الطمع، تقيَّ الغضب .

المفضل بن غسان عن أبيه قال : قال بكر بن عبد الله : إذا رأيتم الرجل موكّلاً بعيوب الناس ناسياً لعيبه فاعلموا إنه قد مُكِرَ به .

مسمع بن عاصم قال : حدثني رجل من آل عاصم الجحدري قال : رأيت عاصماً الجحدري بعد موته بسنتين فقلت : أليس قدْ متَّ ؟ قال : بلى . فقلت : أين أنت ؟ قال: أنا والله في روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى بكر بن عبد الله المزني فنتلاقي في أخباركم . قال : قلت أجسامكم أم أرواحكم ؟ قال: هيهات بليت الأجسام وإنما تتلاقى الأرواح .

أسند بكر عن ابن عمر ، وجابر ، وأنس ، وعبد الله بن مغفل ، ومعقل بن يسار ، وغيرهم . وتوفي في سنة ثمان ، ويقال : سنة ست ومائة .

٥٠٦ ـ مورق بن المشَمْرِج العجلي

يكنى أبا المعتمر عن هشام عن مورق قال : ما تكلمتُ بشيء في الغضب فندمتُ عليه في الرضا .

عن حفصة بنت سيرين قالت : كان مورِّق العجْليّ يأتينا . فسألته عن أهله وولده فقال : هم والله متوافرون . فقلت : رحمك الله لِمَ تقول هذا ؟ قال : إني والله أخشى أن يحبسوني على هلكة .

وكان يقول : ما في الأرض نفس في موتها لي أجْر إلاّ وددت أنها قد ماتت .

المعلّى بن زياد قال : قال مُورِّق العجْلي : ما من أمرٍ يبلغنى أحبّ إليّ من موت أحبّ أهلي إليّ .

عن قتادة أن مورِّقاً قال : ما وجدت للمؤمن مثلاً إلا مثل رجلٍ في البحر على خشبة فهو يدعو : يا ربّ يا ربّ ، لعل الله عز وجل أن ينجّيه .

المعلّى بن زياد القردوسي قال : قال مورق العجلي : أمْرٌ أنا في طلبه منذ عشرين سنة هم أقدر عليه ولست بتاركٍ طلبه أبداً ، قالوا : وما هو يا أبا المعتمر ؟ قال : الصمت عما لا يعنيني .

عن جميل بن مرة قال مسّتنا حاجة شديدة ، وكان مورّق العجلي يأتينا بالصرّة فيقول: أمسكوا هذه لي عندكم . ثم يمضى غير بعيد فيقول : إن احتجتم إليها فأنفقوها .

جعفر قال أنبأنا بعض أصحابنا قال : كان مورّق يتّجر فيصيب المال فلا يأتى عليه جمعة

وعنده منه شيء ، يلقى الأخ فيعطيه أربعمائة ، خمسمائة ، ثلثمائة فيقول : ضعها عندك حتى نحتاج إليها . قال : ثم يلقاه بعد ذلك فيقول الأخ : لا حاجة لي فيها. فيقول : إنّا والله ما نحن بآخذيها أبداً فشأنك بها .

عن عاصم أن مورِّقاً العجْلي كان يجد نفقته تحت رأسه .

أسند مورِّق عن أبي ذرّ وسلمان وغيرهما وتوفي في ولاية عمر بن هبيرة على العراق.

٥٠٧ ـ غزوان بن غزوان الرقاشي

وقيل : غزوان بن زيد عن الحسن قال : قال غزوان بن زيد الرقاشي : لله عليَّ أن لا يراني الله ضاحكاً حتى أعلم أيُّ الدارين داري ؟ .

قال الحسن : فعزم غزوان أن يفعل ، فوالله ما رُئيَ ضاحكاً حتى لحق بالله عز وجل.

عثمان بن عبد الحميد الرقاشي قال : سمعت مشايخنا يذكرون أن غزوان لم يضحك منذ أربعين سنة . وكان غزوان يغزو فإذا أقبلت الرفاق راجعين تستقبلهم أمه فتقول لهم: أما تعرفون غزوان ؟ فيقولون : ويحك يا عجوز ذاك سيِّد القوم .

عبد الواحد بن زيد قال : كان أصحاب غزوان يقولون له : ما يمنعك من مجالسة إخوانك ؟ فيبكي عند ذلك ويقول : إني أصبت راحة قلبي في مجالسة من لديه حاجتي.

عن هارون بن رئاب أن غزوان كان في بعض مغازيهم فتكشفت جارية فنظر إليها غزوان فرفع يده فلطم عينه حتى نفرت وقال : إنك للحّاظةٌ إلى ما يضرّك .

٥٠٨ ـ مذعور

ثابت قال : قال مطرِّف بن عبد الله : إن كان من هذه الأمة أحد ممتحن القلب فإن مذعوراً ممتحن القلب .

قال سليمان : وأنبأ قتادة قال : قال مطرِّف إنْ كان مذعور ليزورنُا فيفرح به أهلنا .

قال سليمان وأنبأ غيلان بن جرير ، قال : قال مطرِّف : ما تحابّ اثنان في الله إلا كان أشدهما حبّا لصاحبه أفضلهما ، وأنا لمذعورٍ أشدِ حباً وهو أفضل مني ، فكيف هذا.

قال : فلما أمر بالرهط أن يخرجوا إلى الشام أُمر مذعور فيهم . قال فلقيني وأخذ بلجام دابتي فجعلت كلما أردت أن أنصرف يحبسني . فقلت : إن المكان بعيد . فجعل يحبسني فقلت : أنشدك الله إلاّ تركتني فلم تحبسني ؟ فلما ناشدته قال كُلَيْمة يخفيها جُهدَه منّي : اللهم فيك ، فعرفت أنه أشدّ حباً لي منّي له .

٥٠٩ ـ العلاء بن زياد بن مطر العدوي

عن أوفي بن دلْهَم قال : كان للعلاء بن زياد مال ورقيق فأعتق بعضهم وباع بعضهم وأمسك غلاماً أو اثنين يأكل غلّتهما فتعبد فكان يأكل كلّ يوم رغيفين ، وترك مجالسة الناس فلم يكن يجالس أحداً ، يصلّي في جماعة ثم يرجع إلى أهله ويجمع ثم يرجع إلى أهله ، ويشيع الجنازة ويعود المرضى ، ثم يرجع إلى أهله فطفىء فبلغ ذلك إخوانه فاجتمعوا فأتاه أنس بن مالك والحسن والناس وقالوا : رحمك الله أهلكت نفسك لا يسعك هذا . فكلموه وهو ساكت ، حتى إذا فرغوا من كلامهم قال : إنما أتذلل لله عز وجل لعله يرحمني .

عن حميد بن هلال قال : دخلت مع الحسن على العلاء بن زياد العدوي نعوده وقد سلّه الحزن ، وكانت له أخت يقال لها شادة تندف تحته القطن غدوةً وعشية . فقال له الحسن : كيف أنت يا علاء ؟ فقال : واحزناه على الحزن . فقال الحسن : قوموا ، فإلى هذا والله انتهى استقلال الحزن .

هشام بن زياد ، أخو العلاء بن زياد ، قال : كان العلاء بن زياد يُحيي كلّ ليلة جمعة. قال : وجد ليلةً فترة [1] ، فقال لامرأته أسماء : إني أجد فترة فإذا مضى كذا وكذا. فأيقظيني . قالت : نعم . فأتاه آت في منامه فأخذ بناصيته فقال : يا ابن زياد قُم فاذكر الله عزّ وجلّ يذكُرك . قال : فقام فما زالت تلك الشّعرات التي أُخِذَ بها منه قائمة حتى مات .

روى قتادة ، عن العلاء بن زياد قال : إنما نحن قوم وضعنا أنفسنا في النار ، فإن شاء الله أن يُخرجنا منها أخرجنا .

عن قتادة قال : حدثنا العلاء بن زياد أن رجلاً كان يُرائي بعمله فجعل يشمّر ثيابه ويرفع صوته إذا قرأ فجعل لا يأتي على أحد إلا سبّه ولعنه . ثم رزقه الله تعالى يقيناً بعد ذلك فخفض من صوته وجعل صلاته فيما بينه وبين ربه عز وجل ، فجعل لا يأتي بعد ذلك على أحد إلاّ دعا له بخير .

عن قتادة قال : كان العلاء بن زياد يقول : لِيُنْزِلْ أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت فاستقال ربّه عز وجل فأقاله فليعمل بطاعة الله عز وجل .

عن قتادة قال : كان زياد بن مطر العدوي قد بكى حتى عمي ، وبكى ابنه العلاء بن زياد بعده حتى عشيَ بصره ، وكان إذا أراد أن يتكلم أو يقرأ أجْهَشه البكاء .

جعفر قال : سمعت مالك بن دينار يسأل هشام بن حسان العدوي عن هذا الحديث، فحدّثناه يومئذ قال : تجهّز رجل من أهل الشام هو يريد الحج فنام فأتاه آتٍ في منامه فقال

---

(١) أي : ضعفاً ووهناً .

له : ائت العراق ، ثم ائت البصرة ، ثم ائتِ بني عدي فأت العلاء بن زياد فإنه رجلٌ ربْعة أقصم الثنية بسّام فبشّره بالجنة قال : فقال : رؤيا ليست بشيء . قال : حتى إذا كانت الليلة الثانية رقد فأتاه آت فقال : ألا فأتي العراق ؟ ثم تأتي البصرة ثم تأتي بني عدي فتلقى العلاء بن زياد ؟ رجل ربّعة أقصم الثنية بسّام فبشّره بالجنة .

قال : فأصبح فأعدّ جهازه إلى العراق فلما خرج من البيوت إذا الذى أتاه في منامه يسير بين يديه يراه ما سار فإذا نزل فقدهَ فلم يزل يراه حتى دخل الكوفة ثم فقده ، قال : فتجهز من الكوفة فخرج فرآه يسير بين يديه حتى قدم البصرة فأتى بني عدي فوقف على باب العلاء فسلّم .

قال هشام : فخرجت إليه فقال لي : أنت العلاء بن زياد ؟ قلت : لا انزلْ رحمك الله فتضع رحلك ومتاعك ، قال : لا . أين العلاء بن زياد ؟ قال : قلت : هو في المسجد . قال : وكان العلاء يجلس في المسجد يدعو بدعوات ويتحدث .

قال هشام : فأتيت العلاء فخفف من حديثه وصلى ركعتين ثم جاء فلما رآه العلاء تبسم فبدت ثنيته فقال : هذا والله صاحبي . قال : فقال العلاء : هلاّ حططت رحل الرجل ، ألا أنزلته ؟ قلت : قد قلت له فأبى . فقال العلاء انزلْ رحمك الله قال : فقال أَخْلني. قال فدخل العلاء منزله وقال : يا أسماء تحوّلي إلى البيت الآخر . قال : فتحولت ودخل الرجل فبشّره برؤياه ثم خرج فركب وقام العلاء فأغلق بابه فبكى ثلاثة أيام ، أو قال سبعة أيام ، لا يذوق فيها طعاماً ولا شراباً ولا يفتح بابه .

قال هشام : فسمعته يقول في خلال بكائه : أنا أنا ؟ قال : فكنّا نهابه أن نفتح بابه، وخشيت أن يموت . فأتيت الحسن فذكرت ذلك له وقلت : لا أراه إلا ميتاً لا يأكل ولا يشرب باكياً ، فجاء الحسين حتى ضرب عليه بابه وقال : افتح يا أخي . قال : فلما سمع كلام الحسن قام ففتح بابه وبه من الضرّ شيءٌ الله به عليم . فكلمه الحسن ثم قال : رحمك الله ومن أهل الجنة إن شاء الله . أفقاتلٌ نفسك أنت ؟ .

قال هشام : حدّثنا العلاء ، أخي ، لي وللحسن بالرؤيا وقال : لا تحدّثوا بها ما كنت حياً .

أسند العلاء عن عمران بن حصين وأبي هريرة ، وأرسل عن معاذ بن جبل وأبي ذر وعبادة بن الصامت وتوفي في ولاية الحجاج على العراق .

٥١٠ ـ معاوية بن قرّة بن إياس (١)

يكنى : أبا إياس عن تمام بن نجيح ، عن معاوية بن قرة قال : أدركت سبعين رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ لو خرجوا فيكم اليوم ما عرفوا شيئاً مما أنتم عليه إلا الأذان

(١) سير الأعلام (٥/١٥٣) .

روح قال : أنبأ الحجاج بن الأسود أن معاوية بن قرّة قال : من يدلّني على بكّاءٍ بالليل بسّام بالنهار ؟ .

عون بن موسى قال : حدثنا معاوية بن قرة قال : كنا عند الحسن فتذاكرنا أيّ العمل أفضل ؟ فكلّهم اتفقوا على قيام الليل فقلتُ أنا : ترك المحارم فانتبه لها الحسن فقال : تمّ الأمر ، تم الأمر .

عن عبد الله بن ميمون البصري قال : سمعت معاوية بن قرّة يقول : إن الله عز وجل يرزق العبد رزق شهر في يوم واحد فإن أصلحه أصلح الله على يديه وعاش هو وعياله بقية شهرهم بخير ، وإن هو أفسده أفسدَ الله تعالى على يديه وعاش هو وعياله بقية شهرهم بشرّ .

مسلم قال : لقيني معاوية بن قرّة وأنا جاء من الكلأ فقال لي : ما صنعت ؟ فقلت : اشتريت لأهلي كذا وكذا . قال : وأصبت من حلال ؟ قلت : نعم . قال : لأن أغدو فيما غدوت به أحب من أقوم الليل وأصوم بالنهار .

عن خليد بن دعلج قال : سمعت معاوية بن قرّة يقول : إن القوم ليحجّون ويعتمرون ويجاهدون ويصلّون ، وما يعطون يوم القيامة إلا على قدر عقولهم .

أسند معاوية عن أبيه ، وعن أنس بن مالك ، ومعقل بن يسار وابن عباس .

٥١١ ـ أبو الجوزاء أوس بن خالد الربعى(١)

هشام قال : حدثني أبي عن أبي الجوزاء قال : صحبت ابن عباس ثنتى عشرة سنة ما بقي من القرآن آية إلا سألته عنها . وفي رواية : جاورت ابن عباس ثنتى عشرة سنه في داره .

سليمان الربعى قال : كان أبو الجوزاء يواصل فى الصوم بين سبعة أيام ثم يقبض على ذراع الشاب فيكاد يحطمها . وأسند أبو الجوزاء عن ابن عباس وعائشة وغيرهما . وخرج مع ابن الأشعث فقُتل أيام الجماجم فى ثلاث وثمانين .

٥١٢ ـ طلق بن حبيب العنزى

عن الحجاج بن زيد قال : كان طلق بن حبيب يقول : إنى لأحب أن أقوم لله حتى أشتكي ظهري . فيقوم فيبتدئ بالقرآن حتى يبلغ سورة الحجر ثم يركع .

روى طلق عن ابن عباس وجابر بن عبد الله .

(١) المصدر السابق (٤/ ٣٧١) ، والحلية (٣/ ٧٨) .

ومن الطبقة الثالثة من أهل البصرة

٥١٣ ـ قتادة بن دعامة السدوسي[١]

يكنى : أبا الخطاب . معمر قال : سمعت قتادة يقول : ما سمعت أذناي شيئاً قطّ إلاّ وعاه قلبي .

روى سلام بن أبي مطيع ، عن قتادة أنه كان يختم القرآن في كل سبع ليالٍ مرّةً ، فإذا جاء العشر ختم في كل ليلة مرة .

عن مطر ، عن قتادة قال : من يتق الله يكن الله معه ، ومن يكن الله عز وجل معه فمعه الفئة التي لا تُغلب ، والحارس الذي لا ينام ، والهادي الذي لا يضلّ .

روى سعيد بن بشير ، عن قتادة قال : إن في الجنة كُوًى إلى النار فيطّلع أهل الجنة من تلك الكوى [٢] إلى النار فيقولون : ما بال الأشقياء ؟ وإنما دخلنا الجنة بفضل تأديبكم! فقالوا : إنا كنا نأمركم ولا نأتمر ، وننهاكم ولا ننتهى .

روى شهاب بن خراش ، عن قتادة قال : بابٌ من العلم ، يحفظه الرجل يطلب به صلاح نفسه وصلاح الناس ، أفضل من عبادة حولٍ كامل .

أبو هلال قال : حدثنا مطر قال : ما زال قتادة متعلّماً حتى مات .

أسند قتادة عن أنس وعبد الله بن سرجس وحنظلة الكاتب وأبي الطفيل في آخرين . وكان يرسل الحديث عن الشعبي ومجاهد وسعيد بن جبير والنخعي وأبي قلابة ولم يسمع منهم . وتوفي سنة سبع عشرة ومائة .

٥١٤ ـ حميد بن هلال العدوي[٣]

يكنى : أبا نصر عن قتادة قال : كان حميد بن هلال من العلماء الفقهاء ، ولم يكن يذاكر ولا يسأل ، إنما كان يعتزل في مكان .

موسى بن إسماعيل قال : سمعت أبا هلال يقول : سمعت قتادة يقول : ما كان بالمِصْرَيْن أعلم من حميد ما أستثنى الحسن ولا محمداً .

عن الجلد بن أيوب عن حميد بن هلال قال : ذُكر لنا أن الرجل إذا دخل الجنة فصُوِّر صورة أهل الجنة وأُلبِس لباسهم وحُلّيَ حُلاهم ورأى أزواجه وخدمه ومساكنه في الجنة يأخذه سوار فرح ، لو كان ينبغي أن يموت لمات فرحاً . فيقال له : أرأيت سوار فرحتك هذه ؟ فإنها قائمة لك أبداً .

---

(١) المصدر السابق (٢/٣٣٣) ، وسير الأعلام (٥/٢٦٩) .

(٢) الكوة : فتحة بالجدار .

(٣) سير الأعلام (٥/٣٠٩) .

٥١٥ ـ ثابت بن مسلم البناني[١]

يكنى : أبا محمد عن بكر بن عبد الله قال : من سرّه أن ينظر إلى أعبد رجلٍ أدركناه في زمانه فلينظر إلى ثابت البناني ، فما أدركْنا الذي هو أعبدُ منه ، تراه في يومٍ معمعانيّ بعيد ما بين الطرفين يظلّ صائماً ويراوح ما بين جبينه وقدمه .

عمرو بن محمد بن أبي رزين قال : قال ثابت البناني : كابدت الصلاة عشرين سنة وتنعّمت بها عشرين سنة .

سلام بن مسكْين قال : أنبأ ثابت قال : ما دعا الله عز وجل المؤمن بدعوة إلاّ وكل بحاجته جبرائيل عليه السلام فيقول : لا تُعجل بإجابته فإني أحب أن أسمع صوت عبدي المؤمن ، وإن الفاجر يدعو الله عز وجل فيوكل جبرائيل بحاجته فيقول : يا جبرائيل أعجل إجابة دعوته فإني أحب أن لا أسمع صوت عبدي الفاجر .

جعفر قال : أنبأ ثابت البناني عن رجل من العبّاد أنه قال يوماً لإخوانه : إني لأعلم متى يذكرني ربي عز وجل . قال : ففزعوا من ذلك فقالوا : تعلم حين يذكرك ربّك ؟ قال : نعم . قالوا : متى ؟ قال : إذا ذكرتُه ذكرني . قال : وإني لأعلم حين يستجيب لى ربى ؟ قال : فعجبوا من قوله ، قالوا : تعلم حين يستجيب لك ربك ؟ قال : نعم. قالوا : وكيف تعلم ذلك ؟ قال : إذا وجل قلبي واقشعرّ جلّدي وفاضت عيني وفُتح لي في الدعاء فثمّ أعلم أنْ قد استُجيب لي .

سهل بن أسلم قال : كان ثابت البناني يصلّي كل ليلة ثلاث مائة ركعة ، فإذا أصبح ضمرتْ قدماه فيأخذهما بيده فيعْصرهما ثم يقول : مضى العابدون وقُطع بي وا لهفاه .

عن شعبة قال : كان ثابت البناني يقرأ القرآن في كل يوم وليلة ويصوم الدهر .

جعفر بن سليمان قال : حدثنا ثابت البناني قال : كان رجل من العبّاد يقول : إذا أنا نمت ثم استيقظت ثم أردت أن أعود إلي النوم فلا أنام الله عيني إذاً . قال جعفر : كنا نراه يعني نفسه .

حميد قال : كنا نأتي أنس بن مالك ومعنا ثابت ، فكلّما مرّ بمسجدٍ صلّى فيه فكنا نأتي أنساً فيقول : أين ثابت ؟ أين ثابت ؟ إن ثابتاً دُوَيْبَّة أحبّها .

قال عبد الله : وحدثني أبي قال : بلغني أن أنساً قال لثابت : ما أشبه عينك بعينْي رسول الله ﷺ قال : فما زال يبكي حتى عمشتْ عيناه .

---

(١) المصدر السابق (٥/ ٢٢٠) ، والحلية (٣/ ١٨٠) .

جعفر بن سليمان قال : اشتكى ثابت البناني عينه فقال له الطبيب : اضمنْ لي خصلةً تبرأ عينُك قال : وما هي ؟ قال : لا تبك قال : وما خيرٌ في عين لا تبكي ؟ .

حماد بن زيد قال : رأيت ثابتاً البناني يبكي حتى تختلف أضلاعه .

عن هشام قال : ما رأيت قطّ أصْبر على طول القيام والسهر من ثابت البناني ، صحبناه مرة إلى مكّة فكنّا إن نزلْنا ليلاً فهو قائم يصلي وإلا فمتى شئت أن تراه أو تحس به مستيقظاً ونحن نسير إما باكياً وإما تالياً .

مبارك بن فضالة قال : كان ثابت البناني يقوم الليل ويصوم النهار .

وكان يقول : ما شيْءٌ أجده في قلبي ألذّ عندي من قيام الليل .

جعفر قال : سمعت ثابتاً يقول : ما تركت في المسجد الجامع ساريةً إلا وقد ختمتُ القرآن عندها وبكيت عندها .

جعفر قال : أخبرنا محمد بن ثابت البناني قال : ذهبت أُلقن أبي وهو في الموت فقلت: يا أبت قل لا إله إلا الله فقال : يا بنيّ خلِّ عني فإني في وِرْدي السادس أو السابع .

شبان بن جسر عن أبيه قال : أنا ، والله الذي لا إله إلاّ هو ، أدخلتُ ثابتاً البناني لَحْده ومعي حميد الطويل أو رجل غيره ، شكّ محمد ، قال : فلما سوّينا عليه اللّبن سقطت لَبِنة فإذا أنا به يصلّي في قبره . فقلت للذي معي : ألا ترى ؟ قال : اسكتْ فلما سوّينا عليه وفرغنا أتينا ابنته فقلنا لها : ما كان عمل ثابت ؟ قالت : وما رأيتم فأخبرناها . قالت: كان يقوم الليل خمسين سنة فإذا كان السحر قال في دعائه : اللهم إن كنت أعطيت أحداً من خلقك الصلاة في قبره فأعطنيها . فما كان الله عز وجل ليردّ ذلك الدعاء .

إبراهيم بن الضمّة المهلبي قال : حدثني الذين كانوا يمرّون بالجصّ بالأسحار قالوا : كنا إذا مررنا بجنبات قبر ثابت سمعنا قراءة القرآن .

أسند ثابت عن ابن عمرو وابن الزبير وشدّاد وأنس في آخرين . وتوفي في ولاية خالد ابن عبد الله على العراق .

٥١٦ ـ إياس بن معاوية بن قرّة المُزَنى

يكنى : أبا واثلة . كان قاضياً على البصرة غزير العقل والدين .

داود بن أبي هند قال : قال إياس بن معاوية : كل رجل لا يعرف عيبه فهو أحمق . قالوا : يا أبا واثلة ما عيبك ؟ قال : كثرة الكلام .

عن أبي إسحاق بن حفص بن نوح قال : قيل لإياس بن معاوية : فيك أربع خصال : دمامة ، وكثرة كلام ، وإعجاب بنفسك ، وتعجيل بالقضاء . قال : أما الدمامة. فالأمر فيها إلى غيري ، وأما كثرة الكلام فبصواب أتكلم أم بخطأ ؟ قالوا : بصواب . قال : فالإكثار من الصواب أمْثل ، وأما إعجابي بنفسي أفيعجبكم ما ترون مني ؟ قالوا : نعم. قال : فإني أحق أن أُعجب بنفسي وأما قولكم إنك تعجّل بالقضاء فكم هذه ؟ وأشار بيده خمسة . فقال : أعجلتم إلا قلتم واحداً واثنين وثلاثة وأربعة وخمسة ؟ وقالوا : ما نعدّ شيئاً قد عرفناه . قال : فما أحبس شيئاً قد تبيّن لي فيه الحكم.

سمع إياس من أبيه وأنس بن مالك وابن المسيّب وغيرهم .

٥١٧ ـ أبو عمران عبد الملك

ابن حبيب الجوني . جعفر بن سليمان الضبعي قال : سمعت أبا عمران الجوني يقول في قصصه : لا يغرّنّكم من ربكم عز وجل طُول النّسيئة وحُسن الطلب فإنّ أخذه أليمٌ شديد ، حتى متى تبقى وجوه أولياء الله بين أطباق التراب ؟ وإنما هم محتبسون ببقية آجالكم أيتها الأمة حتى يبعثهم الله عز وجل إلى جنّته وثوابه .

قال جعفر : وسمعت أبا عمران الجوني يقول : وعظ موسى عليه السلام قومه فشقّ رجل منهم قميصه ، فأوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام : قل لصاحب القميص لا يشقّ قميصه ولكن ليشرح لي عن قلبه .

جعفر قال : أنبأ أبو عمران الجوني قال : تصعد الملائكة بالأعمال فينادي الملك : ألقِ تلك الصحيفة ، ألق تلك الصحيفة ، قال : فتقول الملائكة : ربّنا قالوا خيراً وحفظناه عليهم . فيقول تبارك وتعالى : لم يُرِدْ به وجهي قال : وينادي الملك : اكتب لفلان كذا وكذا مرتين فيقول : يا رب إنه لم يعمله . فيقول جل وعزّ إنّه نواه نواه .

الحارث بن سعيد قال : كان أبو عمران الجوني إذا سمع الأذان تغير لونه وفاضت عيناه.

عن خشيش أبي محرز قال : قال أبو عمران الجوني : وهبك تنجو بعد كم تنجو .

أسند أبو عمران عن : أنس بن مالك وجندب بن عبد الله وعائذ بن عمرو وأبي برزة في آخرين .

٥١٨ ـ بديل بن ميسرة العقيلي

مالك بن ضيغم قال : سمعت بشر بن منصور يقول : بكى بديلٌ العقيلي حتى قرحتْ مآقيه . فكان يعاتب في ذلك فيقول : إنما أبكي خوفاً من طول العطش يوم القيامة .

روى السري بن يحيى عن بديل العقيلي قال : من أراد بعلمه وجه الله عز وجل أقبل الله عليه بوجهه وأقبل بقلوب العباد إليه ومن عمل لغير الله عزّ وجل صرف الله عنه وجهه وصرف قلوب العباد عنه .

عن الوليد بن هشام عن بديل العقيلي قال : الصيام معقل العابدين .

سيار قال : قال مهدي بن ميمون : رأيت ليلة مات بديل العقيلي قائلاً يقول : ألا إن بديلاً أصبح من سكان الجنة .

أسند بديل عن أنس وغيره ، وتوفي سنة ثلاثين ومائة .

٥١٩ ـ أبو ريحانة عبد الله بن مطر

روى عن ابن عمر وسفينة عن فروة الأعمى مولى سعد بن أبي أمية المقري قال : ركب أبو ريحانة البحر وكان يخيط فيه بإبرة معه فسقطت إبرته في البحر فقال : عزمت عليك يا ربّ إلاّ رددت عليّ إبرتي . فظهرتْ حتى أخذها .

قال : واشتد عليهم البحر ذات يوم وهاج فقال : اسكن أيها البحر فإنما أنت عبدٌ حبشي . فسكت حتى صار كالزيت .

٥٢٠ ـ محمد بن واسع بن جابر

يكنى : أبا عبد الله شبابة قال : أخبرني موسى بن بشار قال : صحبت محمد بن واسع من مكة إلى البصرة فكان يصلّي الليل أجمع ، يصلّي في المحمل جالساً يومىء برأسه إيماءً وكان يأمر الحادي يكون خلفهُ ويرفع صوته حتى لا يفطن له وكان ربما عرس[1] من الليل ، فينزل فيصلّي فإذا أصبح أيقظ أصحابه .

عبد الملك بن قريب قال : حدثني نسيب لهشام القردوسي قال : قال رجل : دخلنا على محمد بن واسع فقالت علِجة في داره فذكرت كلمات بالأعجمية معناها : هذا رجل إذا جاء الليل لو كان قُتل أهل الدنيا ما زاد .

عبد الواحد بن زيد قال : شهدت حوشباً جاء إلى مالك بن دينار فقال : يا أبا يحيى رأيت البارحة كأن منادياً يقول : يا أيها الناس ، الرحيل الرحيل . فما رأيت أحداً يرتحل إلا محمد بن واسع . قال : فصاح : مالك صيحة . وخرّ مغشياً عليه .

قال مضر : كان الحسن يُسمِّي محمد بن واسع زَيْن القرآن .

مخلد قال : كان محمد بن واسع مع قتيبة بن مسلم في جيش، وكان صاحب

---

(١) التعريس : وقوف القوم في السفر في آخر الليل للاستراحة ، وانظر : الحلية (٢/ ٣٤٥) .

خراسان، وكانت الترك خرجتْ إليهم فبعث إلى المسجد ينظر من فيه ؟ فقيل له : ليس فيه إلا محمد بن واسع رافعاً إصبعه ، فقال قتيبة : إصبعه تلك أحبّ إليّ من ثلاثين ألف عِنان .

جعفر قال : كنت إذا وجدت من قلبي قسوة نظرت إلى وجه محمد بن واسع نظرة ، وكنت إذا رأيت وجه محمد بن واسع حسبت أن وجهه وجه ثكلى ، على بن بزيع الهلالى قال : قال مطر الوراق : ما اشتهيت أن أبكى قط حتى أشتفى إلا نظرت إلى وجه محمد ابن واسع وكنت إذا نظرت إلى وجهه كأنه ثكِلَ عشرة من الحزن .

عن ابن شوذب قال . كان إذا قيل : مَن أفضلُ أهل البصرة ؟ قالوا : محمد بن واسع، ولم يكن يرى كثير عبادة وكان يلبس قميصاً بصريا وساجاً وكان له عليّة فإذا كان الليل دخل ثم أغلقها عليه .

عن يونس قال : سمعت محمد بن واسع يقول : لو كان يوجد للذنوب ريح ما قدرتم أن تدْنوا مني ، مِن نتن رِيحي .

الحارث بن نبهان قال : سمعت ابن واسع يقول : واصحاباه ، ذهب أصحابى . فقلت: يرحمك الله أليس قد نشأ شباب يصومون النهار ويقومون الليل ويجاهدون في سبيل الله عز رجل ؟ قال : بلى ولكن أخّ – وتفْل – أفسدهم العُجْب .

عن عبد العزيز بن أبي روّاد قال : رأيت في يد محمد بن واسع قرْحَة فكأنه رأى ما شقّ عليّ منها فقال : تدري ما لله عليّ في هذه القرحة من نعمة ؟ قال : فسكت ، فقال: حيث لم يجعلها على حدقتي ولا على طرف لساني ولا على طرف ذكري . قال : فهانت عليَّ قرحته .

عن ابن شوذب قال : قسم أمير البصرة على أهل البصرة ، فبعث إلى مالك بن دينار فقبل وأتاه محمد بن واسع فقال : يا مالك قبلت جوائز السلطان قال : فقال : يا أبا بكر سل جلسائي ، فقالوا : يا أبا بكر اشترى بها رقاباً فأعتقهم ، فقال له محمد بن واسع : أنشدك الله أقلبك الساعة له على ما كان قبل أن يجيزك ؟ قال : اللهم لا ، قال: ترى أيّ شيء دخل عليك ؟ فقال مالك لجلسائه : إنما مالك حمار ، إنما يعبد الله مثل محمد بن واسع .

عن ليث بن أبي سليم عن محمد بن واسع قال : إذا أقبل العبد بقلبه إلى الله عز وجل أقبل الله عز وجل إليه بقلوب المؤمنين .

قال سليمان التيمي : ما أحدٌ أحبّ إليّ أن ألقى الله عز وجل بمثْل صحيفته إلا محمد ابن واسع .

حماد بن زيد قال : دخلنا على محمد بن واسع نعوده في مرضه فجاء يحيى البكّاء يستأذن فقالوا : يحيى البكاء فقال : إن شر أيامكم يوم نسبتم إليّ البكاء .

عمران بن خالد قال : سمعت محمد بن واسع يقول : إنْ كان الرجل ليبكي عشرين سنة وامرأته معه لا تعلم .

إبراهيم بن الأشعث قال : سمعت الفضيل بن عياض قال : قال مالك بن دينار : إني لأغبطُ الرجل يكون عيشه كفافاً فيقنع به فقال محمد بن واسع : أغبط والله عندي من ذلك أن يصبح جائعاً ويمسي جائعاً وهو عن الله عز وجل راضٍ .

محمد بن عبد الله الزرّاد قال : رأى محمد بن واسع ابناً له وهو يخطر بيده . فقال : ويحك تعال ، تدري من أنت ؟ أمُّك اشتريتها بمائتي درهم ، وأبوك فلا أكثر الله في المسلمين مثْلَه تمشي هذه المشية ! .

محمد بن مهزم قال : كان محمد بن واسع يصوم الدهر ويخفي ذلك .

حيان بن يسار قال : قال محمد بن واسع : اللهم إن كان أخلقَ وجْهي كثرةُ ذنوبي فهبني لمن أحببت من خلقك .

ابن سلام قال : قال محمد بن واسع : ما آسى من الدنيا إلاّ على ثلاث : صاحب إذا اعوججتُ قوّمني ، وصلاة في جماعة يُحمل عنّي سهْوُها وأفوز بفضلها وقوتٍ من الدنيا ليس لأحد فيه منّة ولا لله عز وجل فيه تبعة .

زياد بن الربيع ، عن أبيه قال : رأيت محمد بن واسع بسوق مَرْوَ يعرض حماراً له على البيع . فقال له رجل : أترضاه لي ؟ قال : لو رضيتُه لك لم أبِعْه .

قاسم الخواص قال : قال محمد بن واسع لرجل : أبكاك قطْ سابقُ علْمِ الله عز وجل فيك .

أبو عامر قال : حدّثني صاحب لنا قال : لما ثقل محمد بن واسع كثر الناس عليه في العبادة قال : فدخلت فإذا قومٌ قيام وآخرون قُعود . فأقبل عليّ فقال : أخبرني ما يُغني هؤلاء عنّي إذا أُخذ بناصيتي وقدمي غداً وأُلقيتُ في النار ؟ ثم تلا هذه الآية ﴿ **يُعْرفُ المُجْرِمون بسِيماهُم فيُؤْخَذُ بالنّواصي والأقدام** ﴾ [1] .

يونس بن عبيد قال : دخلنا على محمد بن واسع نعوده فقال : ما يغْني عنّي ما يقول الناس إذا أُخِذَ بيدي ورجْلي فألقيتُ في النار ؟ .

---

(١) سورة الرحمن آية : ٤١ .

عن حزم قال : قال محمد بن واسع وهو في الموت : يا إخْوتاه تدرون أين يُذهب بي؟ يُذْهَب بي والله الذي لا إله إلا هو ، إلى النار أو يعفو عني .

محمد بن عبد الله ، مولى الثقفيين ، قال : دخلنا على محمد بن واسع وهو يَقْضِي . فقال : يا إخوتي يا إخوتاه هبوني وإياكم سألنا الله الرجْعة فأعطاكُموها ومنعنيها فلا تخسروا أنفسكم .

أسند محمد بن واسع عن أنس بن مالك ، وروى عن جماعة من كبار التابعين كالحسن وابن سيرين . وتوفي بعد الحسن بعشر سنين كأنه مات سنة عشرين ومائة .

٥٢١ ـ فرَقْد بن يعقوب السبَّخي

يكنى : أبا يعقوب : الهيثم بن معاوية قال : حدّثني شيخ لي قال : اجتمع عُبّاد من أهل الكوفة فقالوا : تحدَّروا بنا إلى البصرة فننظر إلى عبادتهم . فقال بعضهم لبعض : اغْدُوا بنا إلى فرقد السبخي فدخلوا عليه فحدّثهم ساعة ثم قالوا : يا أبا يعقوب ، الغداء. قال : إنما طوّلتُ حديثي لتجوعوا فتأكلوا ما عندي أنزلوا تلك القفّة فأخرجوا منها كسَرَ خُبز شعير أسود فقالوا له : مِلْح يا أبا يعقوب . فقال : قد طرحنْا في العجين ملْحاً مرّة لِمَ تعنّوني أن أطلب لكم ؟ .

عن جعفر بن سليمان قال : قال فرقد السبخي : إن ملوك بني إسرائيل كانوا يقتلون قُرَّاءهم على الدِّين وإن ملوككم إنما يقتلونكم على الدنيا فدعوهم والدنيا .

جعفر قال : سمعت فرقداً السبخي يقول : قرأت في التوراة : من أصبح حزيناً على الدنيا أصبح ساخطاً على ربه عز وجل ، ومن جالس غنياً فتضعضع له ذهب ثُلُثا دينه ، ومن أصابته مصيبة فشكا إلى الناس فإنما يشكو ربّه عزّ وجلّ .

عن عبد الواحد بن زيد قال : سمعت فرقداً السبخي يقول : ما انتهيت من نومي إلا خفْت أن أكون قد مُسخت .

جعفر قال : سمعت فرقداً السبخي يقول : اتّخذوا الدنيا ظِئراً واتخذوا الآخرة أُمّاً . ألم تروْا إلى الصبيّ يُلقي نفسه على الظّئر فإذا ترعرع وعرف والدته ترك ظئْره وألقى نفسه على والدته ؟ وإن الآخرة والدتكمُ يوشك أن تجرّكم .

عن ابن شوذب قال : سمعت فرقداً يقول : إنكم لبستم ثياب الفراغ قبل العمل ، ألم تروْا الفاعل إذا عمل كيف يلبس أدنى ثيابه ، فإذا فرغ اغتسل ولبس ثوبين تقيين ؟ وأنتم تلبسون ثياب الفراغ قبل العمل .

أسند فرقد عن أنس بن مالك وسمع من جماعة من كبار التابعين : كسعيد بن جبير ومرّة

وإبراهيم النخعي وأبي الشعثاء ، وشغله التعبّد عن حفظ الحديث فلذلك يعرضُ النَّقلةُ عن حديثه ومات في أيام الطاعون بالبصرة سنة إحدى وثلاثين ومائة .

٥٢٢ ـ مالك بن دينار

يكنى : أبا يحيى مولى لامرأة من بني سامة بن لؤيّ . كان يكتب المصاحف .

جعفر قال : سمعت مالك بن دينار يقول : ما تنعّم المتنعمون بمثْل ذكْر الله تعالى .

قال : وسمعته يقول : يا حملة القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم ؟ فإن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض ، وقد ينزل الغيث من السماء إلى الأرض فيصيب الحش فيكون فيه الحبة فلا يمنعها نتنُ موضعها أن تهتزّ وتخضرّ وتحسُن ، فيا حملة القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم ؟ أين أصحاب سورةٍ ؟ أين أصحاب سورتين ؟ ماذا عملتم فيهما؟ .

قال : وسمعته يقول : يا هؤلاء ، جهّالكم كثير لولا ذلك للبستُ المسوح ، يا هؤلاء لا تجعلوا بطونكم جُرُباً (١) للشيطان يُوعي فيها إبليسُ ما شاء .

يوسف بن عطية الصفّار ، عن مالك بن دينار قال : من دخل بيتي فأخذ منه شيئاً فهو له حلال ، أما أنا فلا أحتاج إلى قفُل ولا إلى مفتاح . وكان يأخذ الحصاة من المسجد ويقول: لوددت أن هذه أجزَأتْني في الدنيا ما عشتُ ، لا أزيد على مصّها من الطعام ولا الشراب .

وكان يقول : لو صلح لي أن آكل الرماد لأكلته ، ولو صلح لي أن أعمد إلى بورى(٢) فأقطعه بقطعتين فأتزرُ بقطعةٍ وارتدي بقطعة لفعلت .

جعفر بن سليمان قال : قال مالك بن دينار : لقد هممت أن آمر إذا متّ أن أُغلّ فأدفع إلى ربّي مغلولاً كما يُدْفع الآبق إلى مولاه .

جعفر قال : سمعت مالك بن دينار يقول : ينطلق أحدكم فيتزوج ديباجة الحرم ، يعني أجمل الناس ، أو ينطلق إلى جارية قد سمّنها أبوها كأنها زبدة ، فيتزوجها فتأخذ بقلبه فيقول لها : أي شيءٍ تريدين ؟ فتقول : خمار خَزّ ، وأيَّ شيءٍ تُريدين ؟ فتقول كذا وكذا. قال مالك : فتمرُط والله دين ذلك القارىء ويدع أن يتزوجها يتيمة ضعيفة فيكسوها فيؤجر ويدهنها فيؤجر .

قال : وسمعت مالكاً يقول : كان حبْر من أحبار بني إسرائيل قال : فرأى بعض بنيه

---

(١) الجرب : جمع جراب .

(٢) البورى : حصير منسوج من القصب .

يوماً غمز النساء ، فقال : مهلاً يا بنيّ . قال : فسقط من سريره ، فانقطع نُخاعه فأسقطت امرأته وقُتل بنوه في الجيش ، وأوحى الله تعالى إلى نبيّهم أنْ أخبر فلاناً الحَبْر أنّي لا أخرج من صُلبك صديقاً أبداً ما كان غضبك لي إلا أن قلت : مهلاً يا بنيّ مهلاً .

رياح بن عمرو القيسي قال : سمعت مالك بن دينار يقول : ما من أعمال البر شيءٌ إلا دونه عقبةٌ فإنْ صبر صاحبها أفضَتْ به إلى رَوْح ، وإن جزع رجع .

عثمان بن إبراهيم قال : سمعت مالك بن دينار يقول لرجل من أصحابه : إني لأشتهي رغيفاً بلبن رائب . قال : فانطلق فجاء به قال : فجعله على الرغيف . فجعل مالك يقلّبه وينظر إليه ثم قال : اشتهيتك منذ أربعين سنة فغلبتُك حتى كان اليوم ، وتريد أن تغلبني ؟ إليك عني وأبى أن يأكله .

مسلم قال : قال مالك بن دينار : منذ عرفت الناس لم أفرح بمدحهم . ولم أكره مذمّتهم، . قيل : ولم ذاك ؟ قال : لأن حامدهم مُفرِط وذامّهم مفرِط .

سلام بن أبي مطيع قال : دخلنا على مالك بن دينار ليلاً وهو في بيت بغير سراج وفي يده رغيف يكْدمه . فقلنا له : أبا يحيى ألا سراج ؟ ألا شيْء تضع عليه خبزك ؟ فقال : دعوني فوالله إني لنادم على ما مضى .

أبو حفص عمر بن أحمد قال : قال مالك بن دينار : مثل قرّاء هذا الزمان كمثل رجل نصب فخا ونصب فيه بُرّةً (١) فجاء عصفور فقال : ما غيّبك في التراب ؟ قال : التواضع . قال : لأيّ شيء انحنيت ؟ قال : من طول العبادة . قال : فما هذه البُرّة المنصوبة فيك ؟ قال : أعددتها للصائمين . فقال : نعم الجار أنت . فلما كان عند المغرب دنا العصفور ليأخذها فخنقه الفخ . فقال العصفور : إن كان العبّاد يخنقون خنقك فلا خير فى العبّاد اليوم .

جعفر بن سليمان قال : مرّ والى البصرة بمالك بن دينار يَرْفُل (٢) فصاح به مالك : أقلّ من مشيتك هذه فهمَّ خدمُه به . فقال : دعوه ، ما أراك تعرفني . فقال له مالك : ومن أعرف بك مني ، أمّا أولك فنطفة مذرة (٣) وأما آخرك فجيفة قذرة ، ثم أنت بين ذلك تحمل العذرة . فنكس الوالي رأسه ومشى .

عن جعفر بن سليمان ، عن مالك بن دينار أنه كان يُرى يوم التروية بالبصْرة ويوم عرفة بعرفات .

---

(١) البر : القمح .

(٢) رفل فى ثيابه : أطالها وجرها تبختراً .

(٣) مذرت البيضة : فسدت .

عون بن الحكم عن أبيه عن مالك بن دينار قال : قدمت من سفرٍ لي فلما صرت بالجسر قام العَشّار (1) فقال لا يخرجنّ من السفينة ولا يقوم أحد من مكانه . فأخذت ثوبي فوضعته على عنقي ثم وثبت فإذا أنا على الأرض . فقال لي : ما أخرجك ؟ قلت: ليس معي شيْء . قال : اذهب . فقلت في نفسي : هكذا أمر الآخرة .

محمد بن عبد العزيز بن سلمان قال : سمعت أبي يقول : سمعت مالك بن دينار يقول : عجباً لمن يعلم أن الموت مصيره والقبر مورده كيف تقرُّ بالدنيا عينُه ؟ وكيف يطيب فيها عيشه ؟ قال : ثم يبكى مالك حتى يسقط مغشياً عليه .

أبو سمير عن مالك قال : إن لكل شيء لقاحا وإن الحزن لقاح العملِ الصالحِ ، إنه لا يصبر أحد على هذا الأمر إلا بحزن ، فوالله ما اجتمعا في قلب عبدٍ قطُّ : حزْنٌ بالآخرة وفرح بالدنيا ، إن أحدهما ليطردُ صاحبه .

عن جعفر بن سليمان قال : قال مالك بن دينار : إذا ذُكر الصالحون فأُفّ لي وتُفّ .

سعيد بن عصام قال : سمعت مالك بن دينار يقول : كان الأبرار يتواصون بثلاث : بسجْن اللسان ، وكثرة الاستغفار ، والعزلة .

أبو الحسن البصري قال : دخل مالك بن دينار على رجل محبوس قد أُخذ بخراجٍ خرّج عليه وقُيّد . فقال : يا أبا يحيى أما ترى ما أنا فيه من هذه القيود ؟ فرفع مالك رأسه فإذا سلّة قال : لمن هذه السلّة ؟ قال : لي قال : مُرْ بها فلتنزل، فأنزلتْ فوضعت بين يديه فإذا دجاج وأخبصة فقال : هذه وضعت القيود في رجلك لا هُمْ وقام عنه .

قال : وكان مالك بن دينار يطوف بالبصرة في الأسواق فينظر إلى أشياء يشتهيها فيرجع فيقول لنفسه : أبشرى فوالله ما حرمتُك ما رأيت إلا لكرامتك عليّ .

جعفر قال : سمعت مالك بن دينار يقول : إن البدن إذا سقم لا ينجع فيه طعام ولا شراب ولا نوم ولا راحة . وكذلك القلب إذا علق حبُّ الدنيا لم ينجع فيه المواعظ . وسمعته يقول : بقدر ما تحزن للدنيا كذلك يخرج همّ الآخرة من قلبك وبقدر ما تحزن للآخرة فكذلك يخرج همّ الدنيا من قلبك .

عن جعفر بن سليمان قال : جاء محمد بن واسع إلى مالك بن دينار فقال : يا أبا يحيى إن كنت من أهل الجنة فطُوبى لك . فقال : ينبغي لنا إذا ذكرنا الجنة أن نَخْزى .

---

(1) العشار في الأصل : من يأخذ ضريبة العشر ، وهو ما فرض من زكاة الأرض التى أسلم أهلها عليها وهى التى أحياها المسلمون من الأرضين والقطاع ، ثم صار هذا اللقب يطلق على كل جابى للضرائب .

عبد العزيز بن سلمان العابد قال : انطلقت أنا وعبد الواحد بن زيد إلى مالك بن دينار فوجدناه قد قام من مجلسه فدخل منزله وأغلق عليه باب الحجرة فجلسنا ننتظره ليخرج أو لنسمع له حركة فنستأذن عليه . فجعل يترنّم بشيءٍ لم نفهمه . ثم بكى حتى جعلنا نأوى له من شدة بكائه . ثم جعل يشهق وتنفس حتى غشى عليه .

قال : فقال لي عبد الواحد : انطلقْ ليس لنا مع هذا اليوم عملٌ ، هذا رجل مشغول بنفسه .

الحارث بن سعيد قال : كنا عند مالك بن دينار وعندنا قارئ يقرأ : ﴿ **إذا زُلْزلت الأرضُ زلْزَالها** ﴾ فجعل مالك ينتفض وأهل المجلس يبكون ويصرخون حتى انتهى إلى هذه الآية : ﴿ **فمنْ يعملْ مثْقال ذرةّ خيْراً يَرَهُ ومنْ يعْمَل مثقال ذَرّة شرّاً يرهُ** ﴾ [1] قال : فجعل مالك ، والله ، يبكى ويشهق حتّى غُشي عليه . فحُمِلَ بين القَوم صريعاً .

عبد الله بن مرزوق قال : بلغني أن مالك بن دينار دخل المقابر ذات يوم فإذا رجل يُدفن، فجاء حتى وقف على القبر فجعل ينظر إلى الرجل وهو يُدفن فجعل يقول : مالك غداً هكذا يصير وليس له شيء يتوسده في قبره . فلم يزل يقول : غداً مالكٌ هكذا يصير، حتى خرّ مغشياً عليه في جوف القبر فحملوه فانطلقوا به إلى منزله مغشياً عليه .

مسمع بن عاصم قال : قال مالك بن دينار – ورأى إنساناً يضحك – فقال : ما أحبّ أن قلبي فرغ لمثل هذا وأن لي ما حوت البصرة من الأموال والعُقَد .

عبد الله العبدي قال : حدثنا جعفر عن مالك قال : إن في بعض الكتب أن الله عز وجلّ يقول : إن أهْون ما أنا صانع بالعالم إذا أحبّ الدنيا أن أخرج حلاوة ذكْري من قلبه .

عبد الملك بن قُريب قال : حدثني رجل صالح من أهل البصرة قال : وقع حريق في بيت مالك بن دينار فأخذ المصحف وأخذ القطيفة فأخرجهما . فقيل له : يا أبا يحيى، البيت . فقال : ما فيه إلا السِنْدانة فما أبالي أن يحترق .

قال الدَّوْرقي ، وذكر عبد الله بن المبارك ، قال : وقع حريق بالبصرة فأخذ مالك بن دينار بطرف كسائه وقال هلك أصحاب الأثقال .

مجالد بن عبيد الله قال: حدثني عمر عن مالك بن دينار أنه كان يقول: إن الله عزّ وجل إذا أحب عبداً انتقصه من دنياه وكفّ عنه ضيعته ، ويقول: لا تبرح من بين يدي

(١) سورة الزلزلة آية : ٧ ، ٨ .

قال: فهو متفرّغ لخدمة ربه عز وجل، وإذا أبغض عبداً دفع في نحره شيئاً من الدنيا ويقول: اعزُبْ من بين يديّ فلا أراك بين يديّ فتراه معلّق القلب بأرض كذا وبتجارة كذا.

الحسن بن زياد قال: سمعت منيعاً يقول: مَرّ تاجر بعشّار فحبسوا عليه سفينته فجاء إلى مالك بن دينار فذكر له، قال: فقام مالك فمشى إلى العشّار فلما رأوه قالوا: يا أبا يحيى ألا تبعث إلينا حاجتك؟ قال: حاجتي أن تخلّوا سفينة هذا الرجل. قالوا: قد فعلنا. قال: وكان عندهم كُوز يجعلون فيه ما يأخذون من الناس من الدراهم قالوا: ادْعُ الله لنا يا أبا يحيى. قال: قولوا للكوز يدعو لكم، كيف أدعو لكم وألْفٌ يدعون عليكم؟ أترى يُستجاب لواحد ولا يُستجاب لألف؟.

محمد بن عبد الله، عن أبي قدامة الحارث بن عبيد قال: سمعت مالكاً يقول: لو أن القوم كلفوا الصُحف لأقلّوا المنطق.

السريّ بن يحيى، عن مالك بن دينار قال: والله لو وقف ملكٌ بباب المسجد وقال: يخرج شر من في المسجد، لبادرْتكم إليه.

رياح بن عمرو القيسي قال: سمعت مالك بن دينار يقول: دخل عليّ جابر بن زيد وأنا أكتب فقال: يا مالك ما لك عمل إلا هذا؟ تنقل كتاب الله عز وجل من ورقة إلى ورقة؟ هذا والله الكسبُ الحلال.

جعفر بن سليمان قال: سمعت المغيرة بن حبيب أبا صالح خَتَنَ مالك بن دينار يقول: قلت لنفسي: يموت مالك بن دينار وأنا معه في الدار لا أدري ما عملُه؟ قال فصليت معه العشاء الآخرة ثم جئت فلبست قطيفة في أطْول ما يكون من الليل. قال: وجاءه مالك فدخل فقرب رغيفه فأكل ثم قام إلى الصلاة فاستفتح، ثم أخذ بلحيته فجعل يقول: يا ربّ إذا جمعت الأولين والآخرين فحرِّم شيبة مالك بن دينار على النار. قال: فوالله ما زال كذلك حتى غلبتْني عيني، ثم انتبهت فإذا هو قائم على تلك الحال يقدّم رجْلا ويؤخّر رجْلاً ويقول: يا ربّ إذا جمعت الأوّلين والآخرين فحرّمْ شيبة مالك ابن دينار على النار. فما زال كذلك حتى طلع الفجر. فقلت في نفسي: والله لئن خرج مالك بن دينار فرآني لا تبلّني عنده بالّة أبداً. فجئت إلى المنزل وتركته.

جعفر بن سليمان قال: سمعت مالك بن دينار يقول: كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة، وكفى بالمرء شراً أن لا يكون صالحاً ويقع في الصالحين (١).

سلم الخوّاص قال: قال مالك بن دينار: خرج أهلُ الدنيا من الدنيا ولم يذقوا أطيب شيْءٍ فيها. قالوا: وما هو؟ قال: معرفة الله عز وجلّ.

---

(١) يقع فيهم: أي يذمهم وينتقصهم.

قطر بن حماد بن واقد قال : أنبأ أبي قال : سمعت مالك بن دينار يقول : قولوا لمن لم يكن صادقاً لا يتعنّى .

جعفر قال : سمعت مالك بن دينار يقول : إن القلب إذا لم يكن فيه حزْن خرِبَ كما أن البيت إذا لم يُسكَن خَرِبَ .

جعفر قال : سمعت مالكاً يقول : اتقوا السحّارة ، اتقوا السحّارة ، فإنها تسحر قلوب العلماء . قال : وسمعته يقول : لو أعلم أن قلبي يصلح على كُناسةٍ لذهبت حتى أجلس عليها . وسمعته يقول : وددت أن الله عز وجل أذِن لي يوم القيامة إذا وقفت بين يديه أن أسجد سجدةً فأعلم أنه قد رضي عني ، ثم يقول لي : يا مالك كن تُراباً . وسمعته يقول: إن العالم إذا لم يعمل بعلْمه زلّت موعظته عن القلوب كما تزل القطْرة عن الصفا . وسمعته يقول : إنك إذا طلبت العلم لتعمل به كسرك العلم وإذا طلبته لغير العمل به لم يزدْك إلا فخْراً . قال : وكانت الغيوم تجيء وتذهب ولا تمطر فيقول مالك: أنتم تستبطئون وإنما أستبطيء الحجارة ، إن لم تُمطر حجارة فنحن بخير .

جعفر قال : أنبأ مالك بن دينار قال : لما وقعت الفتنة أتيت الحسن ثلاثة أيام أسأله: يا أبا سعيد ما تأمرني ، فلا يجيبنى . قال : فقلت يا أبا سعيد أتيتك ثلاثة أيام أسألك وأنت معلّمي فلا تجيبني ، فوالله لقد هممت أن آخذ الأرض بقدمي وأشرب من أفواه الأنهار وآكل من بَقْل البرّية حتى يحكم الله عز وجل بين عباده . قال : فأرسل الحسن عينيه باكياً ثم قال : يا مالك ومن يطيق ما تُطيق ، ولكنا والله ما نُطيق هذا .

قال جعفر : وكنت عند مالك بن دينار فجاء هشام بن حسان ، وكان يأتيه هشام بن حسان وسعيد بن أبي عروبة وحوشب يطلبون قلوبهم ، فجاء هشام فقال : أين أبو يحيى ؟ قلنا : عند البقّال . قال : قوموا بنا إليه . قال : فحانت منه نظرة إلى هشام فقال : يا هشام إني أعطي هذا البقّال كل شهر درهماً ودانقيْن فآخذ منه كل شهر ستين رغيفاً كل ليلة رغيفين فإذا أصبتهما سخناً فهو إدْمهما ، يا هشام إني قرأت في زبور داوُد: إلهي رأيت هُمومي وأنت من فوق العُلى ، فانظر ما همومك يا هشام .

عن السريّ بن يحيى عن مالك بن دينار قال : أخذ السبع صبياً لامرأة فتصدقت بلقمة. فألقاه ، فنوديت : لقمة بلقمة .

جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال : إن الله جعل الدنيا دار مفرّ والآخرة دار مقرّ فخذُوا لمقرّكُم وأخرجوا الدنيا من قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم ، ففي الدنيا حييتم ولغيرها خُلقتم ؛ إنما مثل الدنيا كالسم أكله من

لا يعرفه واجتنبه من عرفه ومثل الدنيا مثل الحية مسُّها لينٌ وفي جوفها السمّ القاتل يحذرها ذوو العقول ويهوي إليها الصبيان بأيديهم .

الحارث بن نبهان قال : قدمتُ من مكة فأهديت إلى مالك بن دينار رَكْوةً . قال : فكانت عنده فجئت يوماً فجلستُ في مجلسه . فلما قضاه قال لي : يا حارث تعال خذ تلك الركوة ، فقد شغلت عليّ قلبي . فقلت : يا أبا يحيى إنما اشتريتها لك تتوضأ فيها وتشرب . فقال : يا حارث إني إذا دخلت المسجد جاءني الشيطان فقال لي : يا مالك إن الركوة قد سُرقت فقد شغلت عليّ قلبي .

جعفر قال : قلنا لمالك بن دينار ، ألا تدْعو قارئاً ؟ قال : إن الثكلى لا تحتاج إلى نائحة . فقلنا له ألا تستسقي ؟ فقال : أنتم تستبطئون المطر لكنّي أستبطي الحجارة .

جعفر قال : رأيت مالك بن دينار يتقنّع بعباء ، أو قال بكساء ، ثم يقول : إله مالك، قد علمت ساكن الجنّة من ساكن النار فأيّ الدارين دارُ مالكٍ وأيُّ الرجلين مالك؟ ثم يبكي.

وسمعته يقول : لو استطعت أن لا أنام لم أنم مخافة أن ينزل العذاب وأنا نائم ، ولو وجدت أعواناً لفرقتهم ينادون في منار الدنيا كلها يا أيها الناس النار النار .

وسمعته يقول : لو كان لأحد أن يتمنى لتمنّيْتُ أن يكون لي في الآخرة خصّ من قصب فأروى من الماء وأنجو من النار . وسمعته يقول للمغيرة بن حبيب ، وكان ختنَه : يا مغيرة كل أخ وجليس وصاحب لا تستفيد منه في دينك خيراً فانبذْ عنك صحبته .

وسمعته يقول : يا إخْوتاه بحقّ أقول لكم : لولا البول ما خرجتُ من المسجد .

وسمعته يقول : إنما العالم الذي إذا أتيته في بيته فلم تجده قصّ عليك بيته : رأيت حصيرة للصلاة ، ومصحفه ومطْهرته في جانب البيت ، ترى أثر الآخرة .

وسمعته يقول : إن الأبرار لتغلي قلوبهم بأعمال البرّ ، وإن الفُجّار تغلي قلوبهم بأعمال الفجور ، والله يرى هُمومكم ، فانظروا ما همومكم رحمكم الله .

وسمعته يقول : إن الصدّيقين إذا قُرِئ عليهم القرآن طربت قلوبهم إلى الآخرة .

وسمعته يقول : ما ضُرب عبدٌ بعقوبة أعظم من قسوة القلب . وسمعته يقول : إن لله تعالى عقوبات فتعاهدوهنّ من أنفسكم في القلوب والأبدان وضنكٍ في المعيشة ووهنٍ في العبادة وسخطةٍ في الرزق .

جعفر عن مالك بن دينار قال : خرج سليمان بن داود – عليه السلام – في موكبه فمرّ ببلبل على غصن شوكٍ يصفر ويضرب بذنبه فقال : أتدرون ما يقول ، قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فإنه يقول : قد أصبت اليوم نصف تمرةٍ فعلى الدنيا العَفاء .

فضيل بن عياض قال : رأى مالك بن دينار رجلاً يُسيء صلاته فقال : ما أرحمني لعياله . فقيل له : يسيء هذا صلاته وترحم عياله ؟ قال : إنه كبيرهم ومنه يتعلمون .

الحسن بن عمرو قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : قال رجل لمالك بن دينار : يا مرائي ، قال : متى عرفت اسمي ؟ ما عرف اسمي غيرُك .

الحسين بن علي الحلواني قال : دخل اللصوص إلى بيت مالك بن دينار فلم يجدوا في البيت شيئاً فأرادوا الخروج من داره فقال مالك : ما عليكم لو صلّيتم ركعتين .

حزم القطيعي قال : دخلنا على مالك بن دينار في مرضه الذي مات فيه وهو يكيد بنفسه فرفع رأسه إلى السماء فقال : اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحبّ البقاء في الدنيا لبطْن ولا لفرْج .

أبو عيسى قال : دخلنا على مالك بن دينار عند الموت فجعل يقول : لمثل هذا اليوم كان دُؤوبُ أبي يحيى .

عمارة بن زاذان قال : إن مالك بن دينار لما حضره الموت قال : لولا أني أكره أن أصنع شيئاً لم يصنعه أحدٌ كان قبلي لأوصيت أهلي إذا متّ أن يقيّدوني وأن يجمعوا يدي إلى عنقي فينطلقوا بي على تلك الحال حتى أُدفن كما يصنع بالعبد الآبق .

وقال غير أحمد بن محمد : فإذا سألني ربي تعالى قلت : أيْ ربّ لم أرض لك نفسي طرْفة عين قط .

حصين بن القاسم قال : قلت لعبد الواحد بن زيد ما كان سبب موت مالك بن دينار؟ قال : أنا كنت سببه ، سألته عن رؤيا رأى فيها مسلم بن يسار فقصّها عليّ فانتفضت فجعل يشهق ويضطرب حتى ظننت أن كبده قد تقطعت في جوفه ثم هدأ فحملناه إلى بيته فلم يزل مريضاً يعوده إخوانه حتى مات منها . فهذا كان سببُ موته .

أسند مالك بن دينار عن أنس بن مالك وعن جماعة من كبار التابعين : كالحسن وابن سيرين والقاسم بن محمد وسالم بن عبيد الله . وتوفي قبل الطاعون بيسير . وكان الطاعون سنة إحدى وثلاثون ومائة .

٥٢٣ ـ هارون بن رئاب

يكنى : أبا الحسن بن عيينة قال : كان هارون بن رئاب يخفي الزهد ، وكان يلبس الصوف تحت ثيابه .

سفيان بن عيينة قال : رأيت هارون بن رئاب وكأن النور على وجهه .

عن ابن شوذب قال : كنت إذا رأيت هارون بن رئاب فكأنما أقلع عن البكاء .

أسند هارون عن أنس وغيره .

٥٢٤ ـ يزيد بن أبان الرقاشي

عن أشعث بن سوّار قال : دخلت على يزيد الرقاشي فقال : يا أشعث تعال نبكي على الماء البارد في يوم الظمأ . قال : وجعل يقول: سبقني العابدون وقُطع بي وا لهفاه. وقد صام اثنتين وأربعين سنة .

عن هشام قال : قال لي ثابت البناني : ما رأيت أحداً أصبر على طول القيام والسهر من يزيد بن أبان .

عن عبد الخالق بن موسى اللقيطي قال : جوَّع يزيد نفسه لله عز وجل ستين عاماً حتى ذبُل جسمه ونهك بدنه وتغيّر لونه . وكان يقول : غلبني بطني فما أقدر له على حيلة .

عن أبي إسحاق الخميسي قال : كان يزيد يقول في قصصه : ويحك يا يزيد من يترضى عنك ربَّك ؟ ومن يصوم لك أو يصلى لك ؟ ثم يقول : يا معشر من القبرُ بيته والموت موعده ألا تبكون ؟ قال : فبكى حتى سقطت أشفار عينيه .

زهير السلولي قال : كان يزيد الرقاشي قد بكى حتى تناثرت أشفاره وأحرقت الدموع مجاريها من وجهه .

سلمة بن سعيد قال : قالوا ليزيد الرقاشي : أما تسأم من كثرة البكاء ؟ فبكى وقال : والله لوددت أن أبكي بعد الدموع الدماء وبعد الدماء الصديد .

وكان يقول : ابك يا يزيد على نفسك قبل حين البكاء . يا يزيد من يصلّي لك بعدك؟ أو من يصوم ؟ يا يزيد من يضْرع لك إلى ربك بعدك ومن يدعو ؟ .

وكان يقول : يا إخْوتاه ابكوا فإنْ لم تجدوا بكاءً فارحموا كلّ بكّاءٍ .

أبو محمد علي بن الحسن قال : قيل لابن يزيد الرقاشي : أكان أبوك يتمثل من الشعر شيئاً ؟ قال : كان يتمثل :

إنا لنفرح بالأيـــام نقطعهـــا وكلٌّ يوم مضى يُدْني من الأجلِ

أسند يزيد عن أنس بن مالك ، وروى عن الحسن وغيره إلا أن التعبد شغله عن حفظ الحديث فأعرضت النَقَلَةُ عما يَروي .

٥٢٥ ـ الأسود بن كلثوم[(١)]

عن حميد بن هلال قال : كان منّا رجل يقال له الأسود بن كلثوم . وكان إذا مشى لا

(١) الحلية (٢/ ٢٥٤) .

يجاوز بصرهُ قدميه ، فكان يمرّ بالنسوة ، وفي الجدُر يومئذ قِصَرٌ ، ولعل إحداهن أن تكون واضعة ثوبها أو خمارها ، فإذا رأينه راعهنّ . ثم يقلن : كلا إنه الأسود بن كلثوم. فلما قرب غازياً قال : إن نفسي هذه تزعم في الرخاء أنها تحبّ لقاءك ، فإن كانت صادقة فارزُقْها ذلك ، وإن كانت كارهة فاحملْها عليه وإن كرهتْ ، وأطعم لحمي سباعاً وطيراً . فانطلق في خيل فدخلوا حائطاً فنذر بهم العدو فجاءوا فأخذوا بثلمة الحائط، فنزل الأسود عن فرسه فضربها حتى عادت فخرج وأتى الماء فتوضأ ثم صلّى .

قال : يقول العجم : هكذا استسلام العرب إذا استسلموا ثم تقدم فقاتل حتى قُتل .

قال: فمر عُظْمُ الجيش بعد ذلك بذلك الحائط فقيل لأخيه لو دخلت فنظرت ما بقي من عظام أخيك ولحمه قال : لا ، دعا أخي بدعاءٍ فاستجيب له فلست أعرض في شيء من ذلك .

ومن الطبقة الرابعة

٥٢٦ ـ أيوب بن أبى تميمة السختيانى

يكنى : أبا بكر ، مولى لعنزة ، واسم أبي تميمة كيسان .

حماد بن زيد قال : قال أيوب : إن قوما يريدون أن يرتفعوا فيأبى الله إلا أن يضعهم وآخرين يريدون أن يتواضعوا ويأبى الله إلا أن يرفعهم .

قال : وكان النسّاك يومئذ يشمّرون ثيابهم وكان أيوب لا يفعل .

حماد بن زيد قال : كنت أمشي مع أيوب فيأخذ في طُرقٍ إني لأعجب له كيف يهتدي لها فراراً من الناس أن يقال هذا أيوب .

ميمون الغزال قال : كنا عند الحسن فجاء أيوب فسلم عليه فلما مضى ، وكان حيث لايسمع ، قال : أنا الحسن : هذا سيد الفتيان .

وفي رواية أخرى : قال الحسن : أيوب سيد شباب أهل البصرة .

حجاج قال : سمعت شعبة يقول : ربما ذهبت مع أيوب في الحاجة أمشي معه فلا يدعني، فيخرج هاهنا وهاهنا لكي لا يُفطن له .

وقال شعبة : قال أيوب : ذُكرت وما أحب أن أذكر .

الحميدي قال : لقى سفيان بن عُيينة ستة وثمانين من التابعين ، وكان يقول : ما رأيت مثل أيوب .

سلام بن أبي مطيع قال : كان أيوب يقوم الليل يُخفى ذلك فإذا كان قبيل الصبح رفع صوته كأنه إنما قام تلك الساعة .

عن وهيب بن خالد قال : قال أيوب السختياني : إذا ذكر الصالحون كنت منهم بمعزل .

بشر بن منصور قال : كنا عند أيوب فلغَطْنَا وتكلّمنا . فقال لنا أيوب : كُفُّوا ، لو أردت أن أخبركم بكل شيء تكلمتُ به اليوم لفعلت .

عن معمر قال : كان في قميص أيوب بعض التذييل فقيل له ، فقال : الشهرة اليوم في التشمير .

صالح بن أبي الأخضر قال : قلت لأيوب : أوصني ، قال : أقِلَّ الكلام .

عبد الله بن بشر قال : إن الرجل ربما جلس إلى أيوب السختياني فيكون لما يرى منه أشدّ اتباعاً منه لو سمع حديثه .

حماد بن زيد قال : لو رأيتم أيوب ثم استسقاكم شربة من ماء على النسك لما سقيتموه، له شعر وافر وشارب وافر وقميص جيّد هرويّ يشم الأرض ، وقلنسوة جيدة وطيلسان جيّد ورداء عدني .

حماد بن زيد قال : سمعت أيوب يقول : إذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون .

عبيد الله بن شميط قال : سمعت أيوب السختياني يقول : لا ينْبُل الرجل حتى تكون فيه خصلتان : بالعفّة عما في أيدي الناس والتجاوز عما يكون منهم .

عن المبارك بن إسماعيل قال : آذى رجل أيوب السختياني وأصحابه أذى شديداً . فلما تفرقوا قال أيوب : إني لأرحمه أنّا نفارقه وخُلُقه معه .

حماد قال : رأيت أيوب لا ينصرف عن سُوقه إلا معه شيء يحمله لعياله حتى رأيت قارورة الدّهن بيده يحملها . فقلت له في ذلك ؟ فقال : إني سمعت الحسن يقول : إن المؤمن أخذ عن الله عز وجل أدباً حسناً فإذا أوسع عليه أوسع وإذا أمسك عنه أمسك .

حماد بن زيد قال : ما رأيت رجلاً قطّ أشدّ تبسماً في وجوه الرجال من أيوب .

إسحاق بن محمد قال : سمعت مالك بن أنس يقول : كنا ندخل على أيوب السختياني فإذا ذكرنا له حديث رسول الله ﷺ بكى حتى نرحمه .

عن هشام بن حسان قال : حجّ أيوب السختياني أربعين حجة .

عبد الواحد بن زيد قال : كنت مع أيوب على حراء فعطشت عطشاً شديداً حتى رأى ذلك في وجهي فقال : ما الذي أرى بك ؟ قلت : العطش ، قد خفت على نفسي: قال تستُرُ عليّ ؟ قلت : نعم . فاستحلفني فحلفت له أن لا أخبر عنه ما دام حياً . قال ، فغمز برجله على حراء فنبع الماء فشربت حتى رويت وحملت معي من الماء . قال : فما حدَّثت به أحداً حتى مات .

عن أبي بكر بن المفضّل قال : سمعت أيوب يقول : والله ما صدق عبْد إلا سرّه أن لا يشعر بمكانه .

عن سلام بن أبي مطيع قال : قال رجل من أهل الأهواء لأيوب : ألا أكلّمك بكلمة؟ قال : لا ، ولا نصف كلمة .

عن هشام بن حسان عن أيوب السختياني قال : ما ازداد صاحبُ بدعةٍ اجتهاداً إلا زاد من الله عز وجل بُعداً .

محمد بن عمر الباهلي قال : سمعت ابن عيينة يقول : قال أيوب : إنه ليبلغني موت الرجل من أهل السنة فكأنما يسقط عضو من أعضائي .

حماد بن زيد قال : كان أيوب ربما حُدِّث بالحديث فيرِقّ فيلتفت فيتمخط ويقول : ما أشد الزكام .

الحسن بن عمرو قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : دخل بديل على أيوب السختياني، أظنه قال : يعوده ، وقد مدّ على فراشه سبَنِيّة حمراء يدفع بها الرثاء، فقال له بديل : ما هذا ؟ فقال أيوب : هذا خير من هذا الصوف الذي عليك .

يحيى العبدي قال : سمعت حماد بن زيد يقول : كان أيوب يطلب العلم حتى مات.

أسند أيوب عن أنس بن مالك وعمرو بن سلمة الجرمي وروى عن أبي عثمان النهدي وأبي رجاء العطاردي وأبي العالية والحسن وابن سيرين وأبي قلابة . وتوفي في الطاعون بالبصرة سنة إحدى وثلاثين ومائة .

حنبل قال : سمعت سليمان بن حرب يقول : مات أيوب وهو ابن ثلاث وستين .

٥٢٧ ـ يحيى بن سليم

أبو مسلم البكاء . ويقال : يحيى بن مسلم .

عن معاذ بن زياد قال : كان يحيى بن مسلم البكاء قد اعتمَّ بعمامة فأدارها على حلقه وجعل لها طرفين . فكان يبكي حتى يبلّ هذا الطرف ثم يبكي حتى يبلّ الطرف الآخر ، ثم يحلّها من رأسه ويبكي وينتحب حتى يبلّ العمامة بأسرها ثم يبكي وينتحب حتى يبلّ أردانه[١] .

٥٢٨ ـ سليمان بن طرخان التيمي [٢]

يكنى : أبا المعتمر . محمد بن سعد قال : سمعت يزيد بن هارون يقول : ليس

(١) الردن - بالضم - أصل الكم ، وانظر : سير الأعلام (٩/ ٣٠٧) .
(٢) المصدر السابق (٦/ ١٩٥) .

سليمان بتيميّ ولكنه مرّيّ ومنزله في التَّيْم فنُسب إليهم . وكان من العبّاد المجتهدين يصلي الغداة بوضوء العشاء الآخرة . وكان هو وابنه المعتمر يدوران بالليل في المساجد فيصليان مرة في هذا المسجد ومرّة في هذا حتى يُصبحا .

حنبل قال : أنبأنا عليّ يعني ابن المديني قال : سمعت يحيى يعني ابن سعيد ، وذكرْنا التيمي ، فقال : ما جلست إلى رجل أخْوفَ لله منه .

محمد بن عبد الأعلى قال : سمعت معتمر بن سليمان التيمي يقول : لولا أنك من أهلي ما حدّثتك عن أبي بهذا ، مكث أبي أربعين سنة يصوم يوماً ويفطر يوماً ويصلي الصبح بوضوء العشاء وربما أحدث الوضوء من غير نوم .

الهيثم أبو علي المفلوج قال : صلى سليمان التيمي الغداة بوضوء العتمة أربعين سنة .

حماد بن سلمة قال : ما أتينا سليمان التيمي في ساعة يُطاع الله عز وجل فيها إلا وجدناه مطيعاً فإن كان في ساعة صلاة وجدناه مصلياً ، فإن لم تكن ساعة صلاة وجدناه إما متوضئاً أو عائداً مريضاً أو مشيّعاً لجنازةٍ أو قاعداً يسبّح في المسجد . قال : فكنا نرى أنه لا يُحسن أن يعصى الله عز وجل .

قال السّراج : وسمعت سوّار بن عبد الله يقول : سمعت المعتمر يقول : مات صاحبٌ لي كان يطلب الحديث فجزعت عليه فرأى أبي جزعي عليه فقال : يا معتمر كان صاحبك هذا على السنة ؟ قلت : نعم . قال : فلا تجزع عليه ولا تحزن عليه .

أسود بن سالم قال : سمعت معتمر بن سليمان التيمي قال : سقط بيت لنا كان أبي يكون فيه فضرب فسطاطاً فكان فيه حتى مات . فقيل له : لو بنيته . فقال : الأمر أعجل من ذاك ، غداً الموتُ .

عن يحيى بن سعيد القطّان قال : مكث سليمان التيمي في قبّة لُبود ثلاثين سنة أو نحواً من ثلاثين سنة .

محمد بن عبد الله الأنصاري قال : كان التيمي عامّة زمانه يصلي العشاء والصبح بوضوء واحدٍ وليس في وقت صلاة إلا وهو يصلي ، وكان يسبّح بعد العصر إلى المغرب، ويصوم الدهرَ .

أبو علي البصري عن معمر ، مؤذّن التيمي ، قال : صلى إلى جنبي سليمان التيمي العشاء الآخرة وسمعته يقرأ ﴿ **تباركَ الذي بيدهِ المُلْك** ﴾ [1] قال : فلما أتى على هذه

(١) سورة الملك آية : ١ .

الآية: ﴿ فلمَّا رأوْهُ زُلفةً سيئَتْ وُجُوهُ الذين كفرُوا ﴾ [1] جعل يرددها حتى خف أهل المسجد وانصرفوا . قال : فخرجت وتركته .

قال : وعدت لأذان الفجر فإذا هو في مقامه . قال : فتسمّعت فإذا هو لم يجُزْها وهو يقول : ﴿ فلما رأوْهُ زُلْفةً سِيئتْ وُجُوهُ الّذين كفرُوا ﴾ .

الفضيل بن عياض قال : قيل لسليمان التيمي أنت أنت من مثلك ؟ قال : لا تقولوا هكذا ، لا أدري ما يبدو لي من ربي عز وجل ؟ سمعت الله تعالى يقول : ﴿وبدا لهُمْ من الله ما لم يكونوا يحتسبونَ ﴾ [2] .

عن إبراهيم بن إسماعيل قال : كان بين سليمان التيمي وبين رجل شيء فنازعه ، فتناول الرجل سليمان فغمز بطنه فجفَّت يدُ الرجل .

الأصمعــي عن معتمر عن أبيه قال : إن الرجل ليذنب الذّنْب فيصبح وعليه مذلته .

ضمرة قال : السريّ بن يحيى حدثناه قال : قدَّح سليمان التيمي عينه قال : فنهاه الطبيب أن يمس ماءً قال : فمس فرْجَهُ قال : وكان يرى الوضوء من مس الفرج . قال : فنزع القطنة عن عينه وتوضأ وأعاد القطنة على حالها . قال : فجاء الطبيب فنظر فلم ير شيئاً يُنْكَر : قال : انظر هل ترى شيئاً ؟ قال : ما أرى شيئاً أنكره . قال : فإني قد توضأت . قال : فإن الله قد رزقك العافية .

سوار بن عبد الله قال : سمعت المعتمر يقول : قال لي أبي حين حضره الموت : يا معتمر حدثني بالرُّخص لعلي ألقى الله عزّ وجلّ وأنا حسن الظن به .

عن رقبة قال : رأيت رب العزة في المنام فقال : وعزتي لأكرمن مثوى سليمان ، يعني التيمي .

وبلغنا من طريق آخر عن رقبة أنه قال : رأيت رب العزة تبارك وتعالى في النوم فقال: يا رقبة وعزتي وجلالي لأكرمنّ مثوى سليمان التيمي فإنه صلى أربعين سنة على طُهرِ العتَمة .

قال : فجئت إلى سليمان فحدثته فقال : أنت رأيت هذا ؟ قلت : نعم ، قال لأحدثنك بمائة حديث عن رسول الله ﷺ بما جئتني به من البشارة . قال : فلما كان بعد مُدَيْدَةٍ مات فرأيته مات في المنام فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي وأدْناني وقرّبني وغلّفني بيده وقال : هكذا أفعل بأبناء ثلاث وثمانين .

---

(١) سورة الملك آية : (٢٧) .

(٢) سورة الزمر آية : ٤٧ .

أسند سليمان التيمي عن أنس بن مالك وعن أبي مالك النهدي وأبي مجلز والحسن وابن سيرين وأبي العالية في آخرين وتوفي بالبصرة سنة ثلاث وأربعين ومائة .

٥٢٩ ـ داود بن أبي هند(١)

يكنى : أبا بكر ، مولى لآل الأعلم القُشيْريين وكان يُفتي في زمان الحسن . واسم أبي هند : دينار .

عن عمرو بن علي قال : سمعت ابن أبي عدي يقول : صام داود أربعين سنة لا يعلم به أهله . وكان خزازاً يحمل معه غداءه من عندهم فيتصدق به في الطريق ويرجع عشياً فيفطر معهم .

سفيان قال : سمعت داود بن أبي هند يقول : أصابني يعني الطاعون فأغمي عليّ فكأن اثنين أتياني فغمز أحدهما عكدة لساني ، وغمز الآخر أخمص قدمي فقال : أيّ شيء تجد ؟ فقال : تسبيحاً وتكبيراً وشيئاً من خطوٍ إلى المسجد وشيئا من قراءة القرآن . قال : ولم أكن أخذت القرآن حينئذ ، وكنت أذهب في الحاجة فأقول : لو ذكرت الله حتى آتي حاجتي فعُوفيت فأقبلت على القرآن فتعلّمته .

أسند داود عن أنس بن مالك ، وروى عن كبار التابعين كسعيد بن المسيب وأبي عثمان النهدي وأبي العالية والحسن وغيرهم ، وتوفي في سنة تسع وثلاثين ومائة .

٥٣٠ ـ عاصم بن سليمان الأحول(٢)

يكنى : أبا عبد الرحمن مولى لبني تميم كان قاضياً بالمدائن في خلافة أبي جعفر ، وكان على الحسْبة في المكاييل والموازين بالكوفة .

محمد بن عبّاد قال : حدثني أبي قال : ربما رُئِيَ عاصم الأحول وهو صائم ثم يفطر فإذا صلى العشاء تنحى فصلى فلا يزال يصلي الفجر لا يضع جنْبه .

أسند عاصم عن أنس بن مالك وعبد الله بن سرجس ، وروي عن أبي عثمان النهدي وابن سيرين وغيرهما ، وتوفي سنة إحدى أو اثنتين وأربعين ومائة .

٥٣١ ـ يونس بن عبيد

يكنى : أبا عبد الله . مولى لعبد القيس . رسته قال : سمعت زهيراً يقول : كان يونس ابن عبيد خزّازاً فجاء رجل يطلب ثوباً فقال لغلامه : انشُر الرزمة . فنشر الغلام الرزمة وضرب بيده عليها وقال : صلى الله على محمد . فقال : ارفعه ، وأبى أن يبيعه مخافة أن يكون مدحه .

---

(١) سير الأعلام (٦/ ٣٧٦) .

(٢) المصدر السابق (٦/ ١٣) .

مؤمل بن إسماعيل قال : جاء رجل من أهل الشام إلى سوق الخزّازين فقال مُطْرَف بأربعمائة . فقال يونس بن عبيد : عندنا بمائتين . فنادى منادٍ بالصلاة فانطلق يونس إلى بني قُشَير ليصلّي بهم . فجاء وقد باع ابن أخيه المطرف من الشامي بأربعمائة . فقال يونس : ما هذه الدراهم ؟ قال : ذلك المطْرف بعناه من هذا الرجل . قال يونس : يا عبد الله المطرف الذي عرضت عليك بمائتي درهم ، فإن شئت فخُذه وخذ مائتين ، وإن شئت فدعْه . قال : من أنت ؟ قال : رجل من المسلمين . قال : بل أسألك بالله من أنت وما اسمك ؟ قال : يونس بن عبيد . قال : فوالله إنا لنكون في نحر العدوّ فإذا اشتدّ الأمر علينا قلنا : اللهم ربَّ يونس فرّجْ عنا أو شبيه هذا . فقال يونس : سبحان الله سبحان الله .

بشر بن المفضل قال : جاءت امرأة بمطْرَفِ خزّ إلى يونس بن عبيد فألقتْه إليه تعرضه عليه في السوق . فنظر إليه فقال لها : بكم ؟ . قالت : بستين درهماً . قال : فألقاه إلى جارٍ له : كيف تراه بعشرين ومائة ؟ قال : أرى ذلك ثمنه أو نحواً من ثمنه . قال: فقال لها : أذهبى فاستأمرى أهلك في بيعه بخمس وعشرين ومائة . قالت : قد أمروني أن أبيعه بستين. قال : ارجعي إليهم فاستأمريهم .

أسماء بن عبيد قال : سمعت يونس بن عبيد يقول : ليس شيء أعزّ م[illegible] درهم طيب ورجلٍ يعمل على سنة .

قال : وسمعت يونس يقول : إنما هما درهمان ، درهم أمسكت عنه حتى طاب لك فأخذته، ودرهم وجب لله عز وجل عليك فيه حق فأدّيته .

جعفر بن برقان قال : بلغني عن يونس بن عبيد فضْل وصلاح فكتبت إليه : يا أخي بلغني عنك فضْل وصلاح فأحببت أن أكتب إليك ، فاكتب إلى بما أنت عليه فكتب إلى: أتانى كتابك تسألنى أن أكتب إليك بما أنا عليه ، وأخبرك أني عرضت على نفسي أن تحبّ للناس ما تحبّ لها وأن تكْره لهم ما تكره لها فإذا هي من ذلك بعيد ثم عرضت عليها مرة أخرى ترْك ذكْرهم إلا من خير فوجدت الصوم في اليوم الحار الشديد الحرّ بالهواجر بالبصرة أيْسر عليها من تركْ ذكرهم ، هذا أمري يا أخي والسلام.

عن سلام بن أبي مطيع أو غيره قال : ما كان يونس بأكثرهم صلاة ولا صوماً ولكنْ لا والله ما حضر حق من حقوق الله عز وجل إلا وهو متهيّئ له .

إسحاق بن إبراهيم قال: نظر يونس بن عبيد إلى قدميه عند موته فبكى فقيل له : ما يبكيك يا أبا عبد الله ؟ قال : قدماي لم تَغْبَرَّا في سبيل الله عز وجل .

قال غسان : وحدثنا سعيد بن عامر عن يونس بن عبيد قال : إنك تكاد تعرف ورع الرجل في كلامه إذا تكلّم .

مبارك بن فضالة عن يونس بن عبيد قال : لا تجد شيئاً من البرّ واحداً يتبعه البر كلّه غير اللسان فإنك تجد الرجل يكثر الصيام ويفطر على الحرام ، ويقوم الليل ويشهد بالزّور ، وذكر شيئاً نحو هذا ، ولكن لا تجده لا يتكلم إلا بحق فيخالف ذلك عمله أبداً .

غسان بن المفضل قال : حدثني بعض أصحابنا من البصريين قال : جاء رجل إلى يونس ابن عبيد فشكا إليه ضيقاً من حاله ومعاشه واغتماماً منه بذلك فقال له يونس : أيسرّك ببصرك هذا الذي تبصر به مائة ألف ؟ قال : لا ، قال : فسمعك الذي تسمع به يسرك به مائة ألف ؟ قال : لا . قال : فؤادك الذي تعقل به يسرك به مائة ألف ؟ قال: لا. قال: فيداك يسرك بهما مائة ألف ؟ قال : لا . قال : فرجلاك ؟ قال : فذكّره نعم الله عز وجل عليه . فأقبل عليه يونس فقال: أرى لك مِئين ألوفاً وأنت تشكو الحاجة .

عن حماد بن زيد قال : شكا رجل إلى يونس بن عبيد وجعاً يجده في بطنه فقال له يونس : يا عبد الله هذه دار لا توافقك ، فالتمس داراً توافقك .

عن جسر قال : دخلت على يونس بن عبيد فقال : منذ دخلت علينا قد مضى من آجالنا .

أمية بن بسطام قال : جاءت يونس بن عبيد امرأة بجبّة خز فقالت له : اشترها فقال: بكم تبيعينها ؟ قالت : بخمس مائة . قال : هي خير من ذلك . قالت : بستمائة قال : هى خير من ذلك . فلم يزل يقول : هي خير من ذلك حتى بلغت ألفاً وقد بذلَتْها بخمس مائة .

قال أمية : وكان يونس بن عبيد يشتري الأبريسم [1] من البصرة فيبعث به إلى وكيله بالسوس . فكان وكيله يبعث إليه بالخزّ . فإن كتب وكيله إليه أن المتاع عندهم زائد لم يشتر منهم أبداً حتى يخبرهم أن وكيله كتب إليه أن المتاع عندهم زائد .

أمية قال : كان يونس بن عبيد إذا طلب المتاع أرسل إلى وكيله بالسوس أن أَعلِمْ من تشترى منه أن المتاع يُطلب . وكلاماً ذا معناه .

أحمد بن سعيد الدارمي قال : سمعت النضر بن شميل وسعيد بن عامر يقولان : غلا الحريرُ . وقال أحدهما : بالخزّ في موضع كان إذا غلا هناك غلا بالبصرة. وكان يونس بن عبيد خزّازاً علم بذلك فاشترى من رجل متاعاً بثلاثين ألفاً فلما كان بعد ذلك قال

(١) من أجود أنواع الحرير .

لصاحبه : هل كنت قد علمت أن المتاع قد غلا بأرض كذا وكذا ؟ قال : لا ولو علمت لم أبِعْ قال : هلُمّ هلُمّ إلى مالي وخذ مالك . وردّ عليه الثلاثين ألفاً .

عبيد الله بن سلام الباهليّ قال : سمعت يونس بن عبيد يقول : لو أصبت درهماً حلالاً من تجارة لاشتريت به بُرا ثُمّ صيّرتُه سويقاً ثم سقيته المرضى .

ضمرة عن ابن شوذب قال : اجتمع يونس بن عبيد وعبد الله بن عون فتذاكرا الحلال. فكلاهما يقول ما أرى في بيتي درهماً حلالاً .

سليمان بن المغيرة قال : سمعت يونس بن عبيد يقول : ما أعلم شيئاً أقلّ من طيّبٍ ينفقه صاحبه في حق ، أو أخ يسكن إليه في الإسلام وما يزدادان إلاّ قلّة .

عن هشام بن حسان قال : ما رأيت أحداً يطلب بالعلم وجه الله عز وجل إلا يونس ابن عبيد .

عن ضمرة عن ابن شوذب قال : سمعت يونس بن عبيد يقول : خصلتان إذا صلحتا من العبد صلح ما سواهما من أمره : صلاته ولسانه .

حمّاد بن زيد قال : مرض يونس بن عبيد فقال أيوب السختياني : ما في العيش بعدك من خير .

سكنُ الحرشي قال : جاءني يونس بن عبيد بشاةٍ فقال : بعْها وابرأ من أنها تقلب العلف وتنزع الوتد ولا تبرأ بعد ما تبيع بل قل لمن تبيع .

حماد بن سلمة قال : سمعت يونس بن عبيد يقول : ما أهمّ رجلاً كسْبُه إلا أهمّه أين يضَعُه .

قال ابن عائشة : وثنا سعيد بن عامر قال : قال يونس بن عبيد : ما لي تضيع لي الدجاجة فأجدُ لها وتفوتني الصلاة فلا أجد لها !! .

منصور بن بشر قال : سمعت يونس بن عبيد يقول : ما من الناس أحد يكون لسانه منه على بال إلا رأيت ذلك صلاحاً في سائر عمله . عن معاذ بن الأعلم عن يونس بن عبيد قال : ما شبّهتُ الدنيا إلا كرجلٍ نائم فرأى في منامه ما يكْره وما يحب ، فبينما هو كذلك إذ انْتبَه .

بشر بن الحارث قال : قال يونس بن عبيد : إني لأعرف مائة خصلة من البر ما فيَّ منها واحدة .

حماد بن زيد قال : قال لنا يونس بن عبيد : احفظوا عنّي ثلاثاً متُّ أو عشتُ : لا يدخلن أحدكم على سلطانٍ يعظه ، ولا يخلُ بامرأةٍ شابة وإن أقرأها القران ، ولا يمكّن سمعه من ذي هوى .

أسند يونس بن عبيد عن أنس بن مالك وروى كثيراً عن الحسن وابن سيرين وعطاء وعكرمة ونظرائهم . وتوفي في سنة تسع وثلاثين ومائة . قيل سنة أربع وثلاثين .

٥٣٢ ـ عبد الله بن عون بن أرطبان

يكنى : أبا عون مولى عبد الله بن ذرة المزني .

بكار قال : ما رأيت ابن عون يمازح أحداً ولا يماري أحداً وكان مشغولاً بنفسه . وكان إذا صلّى الغداة مكث مستقبلاً القبلة في مجلسه يذكر الله عز وجل فإذا طلعت الشمس صلّى ثم أقبل على أصحابه وما رأيته شاتماً أحداً قطّ عبداً ولا أمة ولا دجاجة ولا شاة ولا رأيت أحداً أمْلك للسانه منه ، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً حتى مات . وكان إذا توضأ لا يُعينه أحد وكان طيّب الريح لين الكسوة وكان إذا خلا في منزله إنما هو صامت لا يزيد على الحمد لله ربّنا وما رأيته دخل حماماً قطّ وكان إنْ وصل إنساناً بشيء وصله سرا، وإن صنع شيئاً صنعه سرا يكره أن يطلع عليه أحد وكان له سبع يقرؤه كل ليلة فإذا لم يقرأه بالليل أتمّه بالنهار وكان لا يُحفى شاربه وكان يأخذه أخذاً وسطاً .

سعيد بن عامر قال : لم تر بعينيك كوفياً ولا بصرياً مثل ابن عون .

يحيى القطان قال : ما ساد ابن عون الناس أنْ كان أتركهم للدنيا ولكن ابن عون إنما ساد الناس بحفظ لسانه .

معاذ بن معاذ قال : حدثني غير واحد من أصحاب يونس بن عبيد قال : إني لأعرف رجلاً منذ عشرين سنة يتمنى أن يسلم له يوم من أيام ابن عون فلا يقدر عليه ، وليس ذلك أن يسكت رجل يوماً لا يتكلم ، ولكن يتكلم فيسْلم كما يسْلم ابن عون .

بكار بن محمد قال : صحبت ابن عون دهراً من الدهر حتى مات وأوصى إلى أبي، فما سمعته حالفاً على يمينٍ برّة ولا فاجرة حتى فرّق بيننا الموت .

ابن مهدي قال : ما كان بالعراق أحد أعلم بالسنّة من ابن عون .

أبو بكر بن أصرم قال : قيل لابن المبارك ابن عون بم ارتفع ؟ قال : بالاستقامة .

عن خارجة - يعني ابن مصعب - قال : صحبت عبد الله - يعني ابن عون - أربعاً وعشرين سنة فما أعلم أن الملائكة كتبتْ عليه خطيئة .

محمد بن إسحاق الثقفي قال : سمعت محمد بن عبيد الله المنادي يقول : سمعت روحاً يعني ابن عبادة يقول : ما رأيت رجلاً أعبد من ابن عون .

بكار بن محمد قال : كان ابن عون لا يغضب وإذا أغضبه الرجل قال : بارك الله فيك .

الأصمعي عن ابن عون قال : لو أن رجلاً انقطع إلى هؤلاء الملوك في الدنيا لانتفع فكيف بمن ينقطع إلى من له السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى ؟ .

أبو مالك بشر بن الحسن قال: نازع ابن عون رجل فقال : لولا أن يُكتب عليّ لقلت.

حماد بن زيد عن ابن عون قال : كانت له حوانيت يكْريها . فكان لا يكريها من المسلمين . فقيل له في ذلك فقال : إن لهذا إذا جاء رأس الشهر رَوْعَة وإني أكره أن أروع المسلم .

هشام بن حسان قال : حدثني من لم تر عيناي مثله فقلت في نفسي اليوم يستبين فضل الحسن وابن سيرين . قال : فأشار بيده إلى ابن عون وهو جالس .

قال الربالي : فذكرته للخليل بن شبان فقال : سمعت عمر بن حبيب يقول : عثمان البتي يقول : ما رأتْ عيناي مثل ابن عون .

محمد بن عمر بن حرب قال : قال لنا بعض أصحابنا عن ابن عون أنه نادته أمه فأجابها فعلا صوتُه صوتها فأعتق رقبتْين .

قرّة بن خالد قال : كنا نعجب من ورع ابن سيرين فأنساناه ابن عون .

أبو عاصم قال : سألت ابن عون فقلت : حدثني بهذا الحديث إن خفّ عليك . فقال: لا تقل : إن خفّ . فقلت له : لِمَهْ ؟ قال : أكره أن أحدّثك ولا يخفّ عليّ فيكون على خلاف ما سألت .

أبو بكر المروزى قال : سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل ، وذكر ابن عون ، فقال: كان لا يكْرِي دوره من المسلمين . قلت : لايّ علّة ؟ قال : لئلا يروعهم .

قال : وكان لابن عون جمل يستقي الماء فإذا غلام ابن عون قد ضرب الجمل فذهب بعينه فجاء الغلام وقد أُرعب وظن أنهم قد شكوه . فلما رآه قد أُرعِب قال : اذهب فأنت حُرّ لوجه الله عز وجل .

أشعث بن سعيد قال : قال ابن عون: لن يصيب العبدُ حقيقة الرّضا حتى يكون رضاه عند الفقر كرضاه عند الغنى ، كيف تستقضى الله في أمرك ثم تسخط إن رأيت قضاءه مخالفاً لهواك ولعلّ ما هويت من ذلك لو وُفقّ لك فيه هلكك ، وترضى قضاءه إذا وافق هواك ؟ ما أنصفت من نفسك ولا أصبت باب الرضا .

محمد بن عيسى قال : قدم ابن المبارك قَدْمة فقيل له : إلى أين تريد ؟ قال : إلى البصرة . قيل له : من بقي ؟ قال : ابن عون آخذُ من أخلاقه ، آخذُ من آدابه .

أدرك ابن عون أنس بن مالك وصحبه ويقال إنه أسند عنه وروى عن الحسين وابن سيرين وأبي رجاء العطاردي والقاسم بن محمد ومجاهد ونافع في آخرين .

محمد بن سعد قال : أخبرنا بكار قال : كان ابن عون في مرضه أصْبر من أنت راءٍ ما رأيته يشكو شيْئاً من علته حتى مات ، ومات في رجب سنة إحدى وخمسين ومائة .

٥٣٣ ـ هشام بن حسان

أبو عبد الله القردوسي من الأزد .

حماد بن زيد قال : حدثتني فارسية كانت تكون مع هشام في الدار قالت : أيّ ذنْب عمل هذا ، من قتل هذا ؟ الليل كلّه يبكي .

روى هشام عن عطاء وغيره وقال : جاورت الحسن عشر سنين ، وتوفي في أول يوم من صفر سنة ثمان وأربعين ومائة . وقيل سنة سبع وأربعين ومائة .

٥٣٤ ـ عمران بن مسلم القصير

أبو معاوية الغلابي قال : حدثني رجل قال : كان عمران القصير يقول لجلسائه : ألا حُرّ كريم يصبر أياماً قلائل ؟ .

عبد الله بن مغيث بن سعدان اليشكري قال : حدثتني أمينة بنت عمران عن أبيها ، وكان قد عاهد الله أن لا ينام بليل أبداً إلا مستغلباً ، قالت : قال إني حُبّبت إليّ طاعة الله تعالى طول الحياة ولولا الركوع والسجود وقراءة القرآن ما باليت أن لا أعيش في الدنيا فُواقاً . قالت : فلم يزل مجهوداً على ذلك حتى مات رحمه الله .

قالت : فرأيته في منامي فقلت : يا أبت إنه لا عهد لي بك منذ فارقتنا قال : يا بنيّة وكيف تعهدين من فارق الحياة وصار إلى ضيق القبور وظُلمتها ؟ قالت : فقلت : يا أبت كيف حالك منذ فارقْتَنَا ؟ قال : خيرُ حال بُوِّئْنَا المنال ومُهِّدَتْ لنا المضاجع ونحن هاهنا يُغدى ويُراح برزقنا من الجنة . قالت : فقلت : فما الذي بلّغك هذا ؟ قال : الصبر الصالح وكثرة التلاوة لكتاب الله تعالى .

ذكر هذه الحكاية أبو نعيم في ترجمة عمران القصير ، وقد ذكرها ابن أبي الدنيا في «كتاب المنامات » عن عمران بن زيد .

عبد الله بن مغيث اليشكري قال : حدثتنى أمينة بنت عمران بن زيد عن أبيها فذكر الحكاية .

وهذا عمران بن زيد هو أبو يحيى الملائي الطويل ، وهذا أليق بالصواب .

أسند عمران القصير عن أنس بن مالك وعن كبار التابعين كالحسن وابن سيرين وأبي رجاء العطاردي ونافع ونظرائهم .

٥٣٥ ـ كهمس بن الحسن القيسي

يكنى : أبا عبيد الله . الهيثم بن معاوية عن شيخ من أصحابه قال : كان كهمس يصلي ألف ركعة في اليوم والليلة فإذا ملّ قال لنفسه : قُومي يا مأوى كلّ سوء فوالله ما رضيتك لله ساعةً قط .

عبد الملك بن قريب قال : كان كهمس يعمل في الجصّ كل يوم بدانقين ، فإذا أمسى اشترى به فاكهة فأتى بها إلى أمّه .

يحيى بن كثير صاحب البصرى قال : اشترى كهمس دقيقاً بدرهم فأكل منْهُ ، فلما طال عليه كاله فإذا هو كما وضعه فجعل بعدُ لا يأخذ منه شيئاً إلا نقص حتى فَنِيَ .

موسى بن هلال العبدي قال : قال لي كهمس بمكة : كان لي جار يشترى هذا التمر والرُطب ويسأل لي عن الحوائط فمذ مات تركت التمر .

أحمد بن الفتح قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : خرج يوماً كهمس ومعه دينار فسقط منه وطلبه فوجده . قال : فتركه وقال : لعل هذا الدينار غير ذاك الدينار ، وأكل ذات يوم سمكاً فأخذ من حائط جاره طيناً فغسل به يده فقال : أنا اليوم منذ أربعين سنة أبكي على ذاك الطين لِمَ أخذته بغير علمه .

عمارة بن زاذان قال : قال لي كهمس بن الحسن : يا أبا سلمة أذنبت ذنْباً وأنا أبكي عليه أربعين سنة . قلت : وما هو يا أبا عبد الله ؟ قال : زارني أخ لي فاشتريت له سمكاً بدانق فلما أكل قمتُ إلى حائط جارٍ لي فأخذت منه قطعة طينٍ فغسل بها يده ، فأنا أبكي عليه منذ أربعين سنة .

أبو عطاء الرملي قال : كان كهمس يقول في جوف الليل : أتراك معذِّبي وأنت قرة عيني يا حبيب قلباه ؟ .

أحمد بن الفتح قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : كان كهمس يصلّي حتى يُغشى عليه .

عن إسحاق بن إبراهيم قال : دخلنا على كهمس العابد فقرّب إلينا إحدى عشرة بسرةً حمراء وقال : هذا الجهد من أخيكم والله المستعان .

أسند كهمس عن خلق كثير من التابعين منهم : عبد الله بن شقيق العقيلي وعبد الله ابن بريدة ومحمد بن عمر ومصعب بن ثابت . وكان مشغولاً بخدمة أمّه مع تعبده ، فلما ماتت خرج إلى مكة فأقام إلى أن مات هناك .

٥٣٦ ـ حبيب أبو محمد الفارسي

كان مجاب الدعوة حضر مجلس الحسن فتأثر بموعظته فخرج عما كان يملك .

يونس بن محمد قال : سمعت مشْيخةً يقولون : وكان الحسن يجلس في مجلسه الذي يذكر فيه كل يوم ، وكان حبيب أبو محمد يجلس في مجلسه الذي يأتيه فيه أهل الدنيا والتجار وهو غافل عما فيه الحسن لا يلتفت إلى شيء من مقالته . إلى إن التفت إليه يوماً فذكره الحسن بالجنة وخوّفه من النار فانصرف من عنده فلم يزل في تبديد ماله حتى لم يبق له شيء ثم جعل بعدُ يستقرض على الله .

قال يونس : وجاء رجل إلى أبي محمد فشكا إليه ديناً عليه فقال : اذهب فاستقرض وأنا أضمن . فأتى رجلاً فأقرضه خمس مائة درهم وضمنها أبو محمد . ثم جاء الرجل فقال : يا أبا محمد دراهمي ، فقد أضرَّ بي حبْسُها . فقال : نعم غداً . فتوضأ أبو محمد ودخل المسجد ودعا الله تعالى . وجاء الرجل فقال له : اذهب فإن وجدت في المسجد شيئاً فخذه . فذهب فإذا في المسجد صُرَّة فيها خمس مائة درهم فذهب فوجدها تزيد على خمس مائة فرجع إليه فقال : يا أبا محمد تلك الدراهم تزيد . فقال اذهب فهي لك ، من وزنها وزنها راجحة .

جعفر بن سليمان قال : سمعت حبيباً يقول : أتانا سائل وقد عجنت عمرة وذهبت تجيء بنارٍ تخبزه فقلت للسائل : خذ العجين فاحتمله . فجاءت عمرة فقالت : أين العجين ؟ فقلتُ : ذهبوا به يخبزونه . قال : فلما أكثرت علي أخبرتها فقالت : سبحان الله لابد لنا من شيء نأكله قال : فإذا رجل قد جاء بجفنة عظيمة مملوءة خبزاً ولحماً . فقالت عمرة : ما أسرع ما ردّوه عليك قد خبزوه وجعلوا معه لحماً .

جعفر قال : كان حبيب أبو محمد رقيقاً من أكثر الناس بكاءً . فبكى ذات ليلة كثيراً فقالت عمرة بالفارسية : لِمَ تبكي يا أبا محمد ؟ فقال لها حبيب : دعيني فإني أريد أن أسلك طريقاً لم أسلكه قبلَ .

قال : وسمعت حبيباً يقول والله إن الشيطان ليلعب بالقرّاء كما يلعب الصبيان بالجوز . ولو أن الله دعاني يوم القيامة فقال : يا حبيب فقلت : لبيك ، فقال : جئني بصلاة يومٍ أو صوم يومٍ أو ركعة أو سجدة أو تسبيحةٍ اتّقيت عليها من إبليس أن يكون طعن فيها طعنةً فأفسدها ، ما استطعتُ .

وسمعت حبيباً يقول : لا تقعدوا فراغاً فإن الموت يليكم .

جميل أبو علي قال : قال حبيب : إن من سعادة المرء إذا مات ماتت معه ذنوبه .

خلف بن الوليد قال : اشترى حبيب الفارسي نفسه من ربه أربع مرات بأربعين ألف درهم . أخرج بدْرة فقال : يا ربّ اشتريت منك نفسي بهذه . ثم أخرج بدْرة أخرى فقال : إلهي إن كنت قبلت تلك فهذه شُكْرٌ لها . ثم أخرج الثالثة فقال : إلهي إنْ كنت لم تقبل

الأولى والثانية فاقبلْ هذه . ثم أخرج الرابعة فقال : إلهي إن كنت قبلت الثالثة فهذه شُكْرٌ لها .

أحمد بن أبي الحواري قال : سمعت أبا سليمان الداراني يقول : كان حبيب أبو محمد يأخذ متاعاً من التجار يتصدق به فأخذ مرة فلم يجد شيئاً يعطيهم فقال : يا رب . أي ينكسر وجهي عندهم فدخل فإذا هو بجُوالق من شعر كأنه نُصب من أرض البيت إلى قريب السقف مملوءا دراهم فقال : يا رب ليس أريد هذا ، فأخذ حاجته وترك البقية .

مسلم بن إبراهيم قال : إن رجلاً أتى حبيباً أبا محمد فقال : إن لي عليك ثلاثمائة درهم قال : من أين ؟ قال : لي عليك ثلاثمائة درهم . قال حبيب : اذهب إلى غد . فلما كان من الليل توضأ وصلّى وقال : اللهم إنْ كان صادقاً فأدِّ إليه وإن كان كاذباً فابتله في بدنه . قال : فجيء بالرجل من غد قد حمل وقد ضرب شِقه الفالجُ . فقال : ما لك ؟ قال : أنا الذي جئتك بالأمس ، لم يكن لي عليك شيء وإنما قلت يستحي من الناس فيُعطيني . فقال له : تعود ؟ قال : اللهم إن كان صادقاً فألبسه العافية . فقام الرجل على الأرض كأن لم يكن به شيء .

عن السري بن يحيى قال : اشترى أبو محمد حبيب طعاماً في مجاعة أصابت الناس فقسمه على المساكين ثم خاط أكيسة فجعلها تحت فراشه ثم دعا الله فجاء أصحاب الطعام يتقاضونه فأخرج تلك الأكيسة فإذا هي مملوءة دراهم فوزنها فإذا هي حقوقهم فدفعها إليهم .

عن السري بن يحيى قال : كان حبيب أبو محمد يُرى يوم التروية بالبصرة ويُرى يوم عرفة بعرفات .

عن حماد قال : شهدت حبيباً الفارسي يوماً فجاءته امرأة فقالت : يا أبا محمد . كأنها طلبت منه شيئاً . فقال لها : كم لك من العيال ؟ فقالت : كذا وكذا ؟ . فقام حبيب أبو محمد إلى وضوئه فتوضأ ثم جاء إلى مصلاه فصلى بخضوع وسكون .

فلما فرغ قال : يا رب إن الناس يحسنون ظنهم بي وذاك من ستْرك عليّ فلا تُخلف ظنهم بي ، ثم رفع حصيره فإذا بخمسين درهماً فأعطاه إياها . ثم قال : يا حماد اكتُمْ ما رأيت حياتي .

عبد الواحد بن زيد قال : كنا عند مالك بن دينار ومعنا محمد بن واسع وحبيب أبو محمد . فجاء رجل فكلّم مالكاً فأغلظ في قسمة قسمها وقال : وضعتها في غير حقها وتتبعت بها أهل مجلسك ومن يغشاك لتكثُر غاشيتُك وتصرف وجوه الناس إليك . قال:

فبكى مالك وقال : والله ما أردت هذا . قال : بلى والله لقد أردت هذا فجعل مالك يبكي والرجل يُغلظ له . فلما كثر ذلك عليهم رفع حبيب يديه إلى السماء ثم قال: اللهم إن هذا قد شغلنا عن ذكرك فأرِحْنا منه كيف شئت . قال : فسقط والله الرجلُ على وجهه ميتاً فحُمل إلى أهله على سرير ، وكان يقال : إن أبا محمد مُستجاب الدعوة .

أبو قرة محمد بن ثابت قال : قال حبيب أبو محمد : لا قُرّة عينٍ لمن لم تقرّ عينُه بك، ولا فرح لمن لم يفرح بك . وعزّتك إنك لتعلم إني أحبّك .

عبيد الله بن محمد التيمي قال : أصحابنا قالوا : كان حبيب أبو محمد يخلو في بيته ويقول : من لم تقرّ عينه بك فلا قرّتْ ، ومن لم يأنس بك فلا أَنِسَ .

إسماعيل بن زكريا . وكان جاراً لحبيب أبي محمد ، قال : كنت إذا أمسيت سمعت بكاءه وإذا أصبحت سمعت بكاءه فأتيت أهله فقلت ما شأنه يبكى إذا أمسى ويبكي إذا أصبح . قال: فقالت لي: يخاف والله إذا أمسى أن لا يصبح ، وإذا أصبح أن لا يُمسي.

أبو زكريا قال : قالت امرأة حبيب أبي محمد كان يقول : إن متّ اليوم فأرسلي إلى فلان يغسلني وافعلي كذا واصنعي كذا. فقيل لامرأته أرأى رؤيا ؟ قالت: هذا يقوله كلَّ يوم.

عن عبد الواحد بن زيد أن حبيباً أبا محمد جزع جزعاً شديداً عند الموت فجعل يقول بالفارسية : أريد أن أسافر سفراً ما سافرته قطّ ، أريد أن أسلك طريقاً ما سلكته قط ، أريد أن أزور سيدي ومولاى وما رأيته قط ، أريد أن أشْرِف على أهوال ما شاهدت مثلها قطّ ، أريد أن أدخل تحت التراب فأبقى تحته إلى يوم القيامة ثم أوقف بين يدي الله فأخاف أن يقول لي : يا حبيب هات تسبيحة واحدة سبحتَني في ستين سنة لم يظفر بك الشيطان فيها بشيء . فماذا أقول وليس لي حيلة أقول : يا رب هو ذا قد أتيتك مقبوض اليدين إلى عنقي .

قال عبد الواحد : هذا عبد الله ستين سنة مشتغلا به ولم يشتغل من الدنيا بشيء قط فأيُّ شيء حالنا ؟ واغوثْاه بالله .

أحمد بن عبد الله قال : كان حبيب مشغولا بالتعبد ولا نعرف له حديثا مسنداً قال : وقد قيل إنه أسند عن الحسن وابن سيرين وهو وهم من قائله ، فإن حبيباً الذي أسند عنهما حبيبٌ المعلّم ويحفظ له حكاية عن الفرزدق .

٥٣٧ ـ عبد الواحد بن زيد

حاتم بن سليمان قال : شهدت عبد الواحد بن زيد في جنازة حوشب فلما دفن قال :

رحمك الله يا أبا بشر فلقد كنت حذراً من مثل هذا اليوم رحمك الله يا أبا بشر فلقد كنت من الموت جزعا أما والله لئن استطعت لأعملن رحلي بعد مصرعك هذا . قال : ثم شمّر بعد واجتهد .

الحارث بن عبيد قال : كان عبد الواحد بن زيد يجلس إلى جنبي عند مالك بن دينار فكنت لا أفهم كثيراً من موعظة مالك لكثرة بكاء عبد الواحد .

زيد بن عمر قال : شهدت مجلس عبد الواحد بن زيد بعد العصر فكنت أنظر إلى منكبيه ترتعد ودموعه تتحدّر علي لحيته وهو ساكت والناس يبكون فقال : ألا تستحيون من طول ما لا تستحيون ؟ وفي القوم فتي فغشي عليه فما أفاق حتى غربت الشمس . فأفاق وهو يقول : ما لي ما لي ؟ كأنه يعمّي على الناس أمره . ثم خرج فتوضأ .

مسمع بن عاصم قال : شهدت عبد الواحد ذات يوم وهو يعظ . قال : فمات يومئذ في ذلك المجلس أربعة أنفس قبل أن يقوم . قال مسمع : فأنا شهدت جنازة بعضهم .

مالك بن ضيغم قال : سمعت بكر بن مصاد يقول : عبد الواحد بن زيد يقول إخوتاه ألا تبكون شوقاً إلى الله عز وجل ؟ ألا إنه من بكي شوقاً إلى سيده لم يحرّمه النظر إليه ، يا إخوتاه ألا تبكون خوفاً من النار ؟ ألا إنه من بكى خوفاً من النار أعاذه الله منها . يا إخوتاه ألا تبكون خوفا من النار ؟ ألا من بكي خوفاً من النار أعاذه الله منها . يا إخوتاه ألا تبكون؟ بلى فابكوا على الماء البارد أيام الدنيا لعله يسقيكموه في حظائر العرش مع خير الندماء والأصحاب من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقاً . قال : ثم جعل يبكي حتى غُشي عليه .

حصين بن القاسم الوزّان يقول : لو قُسم بثُّ عبد الواحد بن زيد على أهل البصرة لوسعهم فإذا أقبل سواد الليل فطرت إليه كأنه فرسُ رهانٍ مضمَّر متحزّم . ثم يقوم إلى محرابه كأنه رجل مخاطب .

حبّان الأسود قال : حدثني عبد الواحد بن زيد قال : أصابتني علّة في ساقي فكنت أتحاملَ عليها للصلاة . قال : فقمت عليها من الليل فأجهدت وجعاً فجلست ثم لفقت إزاري في محرابي ووضعت رأسي عليه فنمت فبينما أنا كذلك إذا بجارية تفوق الدّمي حُسناً تخطر بين جوار مزيَّنات حتى وقفت علي وهنّ خلفها . فقالت لبعضهم : ارفعنه ولا تهجْنه فأقبلن نحوي فاحتملنني عن الأرض وأنا أنظر إليهن في منامي . ثم قالت لغيرهن من الجواري اللائي معها : افرشنه ومهّدنه ووطّئن له ووسّدنه . قال : ففرشن تحتي سبع حشايا لم أر لهن في الدنيا مثلاً ووضعن تحت رأسي مرافق خُضراً حساناً . ثم قالت للائي حملْنني : اجعلْه على الفرش رويداً لا تهجْنه . قال : فجعلت على تلك الفرش وأنا أنظر

إليها وما تأمر به من شأني . ثم قالت : احففنه بالريحان قال : فأتي بياسمين فحفّتْ به الفُرش . ثم قامت إليّ فوضعت يدها على علّتي التي كنت أجد في ساقي فمسحت ذلك المكان بيدها ثم قالت : قُم شفاك الله إلى صلاتك غير مضرور ، وقال : فاستيقظت والله كأني قد أُنشطْت من عقال فما اشتكيت تلك العلة ليلتي تلك ولا ذهبتْ حلاوة منطقها من قلبي : قم شفاك الله إلى صلاتك غير مضرور .

أحمد بن أبي الحواري قال : قال لي أبو سليمان الداراني : أصاب عبد الواحد بن زيد الفالج فسأل الله أن يطلقه في وقت الوضوء . فإذا أراد أن يتوضأ انطلق وإذا رجع إلى سريره عاد عليه الفالج .

محمد بن عبد الله الخزاعي قال : صلى عبد الواحد بن زيد الغداة بوضوء العتمة أربعين سنة .

قال أبو سليمان الداراني : ذُكر لي عن عبد الواحد بن زيد قال : نمت عن وِرْدي ليلة فإذا أنا بجارية لم أر أحسن وجهاً منها عليها ثيابُ حرير خضرٌ وفي رجليها نعلان والنعلان يسبّحان والزمامان يقدّسان ، وهي تقول : يا ابن زَيدٍ جدَّ في طلبي فإني في طلبك ثم جعلت تقول :

مَن يشتَريني ومن يكن سَكَني يَأمَن في ربْحـه مـن الغـبن

فقلت : يا جارية ما ثمنك ؟ فأنشأت تقول :

تَـــودُّدُ الله مَـــعْ محبَّتـــه وطـــولُ فِكْرٍ يُشابُ بالحزَنِ

فقلت : لمن أنت يا جارية ؟ قالت :

لمـــالكٍ لاَ يردُّ لـــي ثمناً مِن خاطـبٍ قد أتاه بالثمنِ

فانتبه وآلى على نفسه أن لا ينام الليلَ .

أسند عبد الواحد عن الحسن البصري وأسلم الكوفيّ .

٥٣٨ ـ عطاء السليمي

أبو عبد الله بن أبي عبيدة قال : سمعتُ عُفَيرَةَ تقول : لم يرفع عطاء رأسه إلى السماء ولم يضحك أربعين حِجّة . فرفع رأسه مرة ففتَق في بطنه فتْق .

بشر بن منصور قال : كنت أوقد بين يديْ عطاء السليمي في غداة باردة . فقلت له : يا عطاء أيسرّك الساعة لو أنك أُمرتَ أن تُلقِي نفسك في هذه النار ولا تُبعث إلى الحساب؟ فقال لي : أيْ ورب الكعبة قال : ثم قال : والله مع ذلك لو أُمرتُ به لخشيت أن تخرج نفسي فرحاً قبل أن أصل إليها .

نعيم بن مورع قال : كان عطاء السليمي إذا فرغ من وضوئه انتفض وارتعد وبكى

بكاء شديداً فقيل له في ذلك فقال : إني أريد أن أقدم على أمر عظيم ، إني أريد أن أقوم بين يدي الله تعالى .

عن صالح المري قال : كان عطاء السليمي قد أضر بنفسه حتى ضعف قال : قلت له : إنك قد أضْرَرتَ بنفسك وأنا متكلّف لك شيئاً فلا تردّ كرامتي ، قال : افعل ؛ قال : فاشتريت له سويقاً من أجود ما وجدت وسمناً فجعلت له شربة ولينتها وحليتها وأرسلتها مع ابني وكوزاً من ماء وقلت له لا تبرح حتى يشربها . فرجع فقال : قد شربها . فلما كان من الغد جعلت له نحوها ثم سرّحت بها مع ابني فرجع بها لم يشربها .

قال فأتيته فلُمته فقلت : سبحان الله رددت عليَّ كرامتي ؟ إن هذا مما يعينك ويقوّيك على الصلاة وعلى ذكر الله . قال : فلما رآني قد وجدت من ذلك قال : يا أبا بشر لا يسوءك الله قد شربتها أول ما بعثت بها فلما كان الغدُ راودتُ نفسي على أن تُسيغها فما قدرت على ذلك ، إذا أردت أن أشربها ذكرتُ هذه الآية ﴿ **يتَجرَّعُه ولا يكاد يُسيغه ويأتيه الموتُ من كلّ مكان وما هو بميّت ومِنْ ورائه عذابٌ غَليظٌ** ﴾ (١) فبكى صالحَ عند هذا وقال: قلت لنفسي : ألا أراني في وادٍ وأنت في آخر ؟ .

العلاء بن محمد قال : دخلت على عطاء السليمي وقد غشي عليه فقلت لامرأته أم جعفر : ما شأن عطاء ؟ فقالت : سَجَرَتْ جارتنا التنور فنظر إليه فخر مغشياً عليه .

إبراهيم بن عبد الرحمن بن مهدي قال : حدثتني عفيرة العابدة وكانت قد ذهب بصرها من العبادة قالت : كان عطاء إذا بكى بكى ثلاثة أيام وثلاث ليال .

قالت عفيرة : وحدثني إبراهيم المحلمي قال : أتيت عطاء السليمي فلم أجده في بيته . قال : فنظرت فإذا هو في ناحية الحجرة جالس وإذا حوله بلَل ، قال : فظننت أنه أثر وضوء توضأه . فقالت لي عجوز معه في الدار : أثر دموعه .

سوار أبو عبيدة قال : قالت لي امرأة عطاء السليمي : عاتب عطاء في كثرة البكاء ، فعاتبته فقال لي : يا سوار كيف تعاتبني في شيْء ليس هُو إليّ ؟ إني إذا ذكرت أهل النار وما ينزل بهم من عذاب الله وعقابه تمثلتْ لي نفسي بهم فكيف لنفس تُغَلّ يدُها إلى عنقها وتُسحب في النار ؟ ألا تصيح فتبكي ؟ وكيف لنفس تعذّب ألا تبكي ؟ ويحك يا سوار وما أقل غناء البكاء عن أهله إن لم يرحمهم الله .

بشر بن منصور قال : قلت لعطاء السليمي : يا عطاء لماذا الحزنُ ؟ قال : ويحك

---

(١) سورة إبراهيم آية : ١٧ .

الموت في عنقي ، والقبْر بيتي ، وفي القيامة موقفي ، وعلى جسر جهنم طريقي ، وربي لا أدري ما يُصنع بي ، ثم تنفس فغُشي عليه . فتركَ خمسَ صلوات . فلما أفاق أخبرته فقال : ويحك إذا ذهب عقلي تخاف عليّ شيئاً ؟ ثم تنفس فغُشي عليه فترك صلاتين .

العلاء بن محمد البصري قال : شهدت عطاء السليمي خرج في جنازة فغشي عليه أربع مرات حتى صُلّي عليه كل ذلك يغشى عليه ثم يُفيق فإذا نظر إلى الجنازة خرّ مغشياً عليه .

بشر بن منصور قال : كنت أسمع عطاء السليمي كل عشية بعد العصر يقول : غداً عطاءُ في القبر .

عن إبراهيم بن أدهم قال : كان عطاء يمس جسده بالليل خوفاً من ذنوبه مخافة أن يكون قد مُسخ .

معاوية الكندي قال : كان عطاء عند حجّام والمحاجم على عنقه فمرّ صبيّ معه شعلة نارٍ فأصابت النار الريح فسمع ذلك منها فخرّ مغشياً عليه فحُمل إلى منزله ما يعقل .

عبد الخالق قال : قال رجل لعطاء يوماً : ما هذا الذي تصنع بنفسك ؟ قتلت نفساً ؟ أيَّ شيء صنعت ؟ قال : اصطدت حماماً لجارٍ لي منذ أربعين سنة ، قال : ثم قال : أما إني قد تصدّقت بثمنه . كأنه لم يعرف صاحبه .

عبد الخالق بن عبد الله العبدي قال : كان عطاء إذا جَنّ عليه الليل خرج إلى المقابر فوقف على أهل القبور ثم قال : يا أهل القبور مِتُّم فواموْتاه . ثم يبكي ويقول : يا أهل القبور عايَنْتُم ما عملتم فواعملاه . فلا يزال كذلك حتى يُصبح .

عن حماد بن زيد قال : رجعنا من جنازة فدخلنا على عطاء السليمي فلما رآنا كأنه خاف أن يدخله شيء أيْ لكثرتنا . فقال : اللهم لا تَمْقُتْنا أو اللهم لا تمقتني . ثم قال: سمعت جعفر بن زيد يقول : مرّ رجل بمجلس فأثْنَوْا عليه خيراً . فلما جاوزهم قام وقال: اللهم إن كان هؤلاء لا يعرفونني فأنت تعرفني .

علي بن بكار قال : مكث عطاء السليمي أربعين سنة على فراشه لا يقوم من الخوف ولا يخرج .

أبو جعفر بن الطباع قال : سمعت مخلداً يقول : ما رأيت أحداً كان أفضل من عطاء السليمي ، ولقد كانت الفاكهة تمرّ لا يعلم سعْرها ولا يعرفها .

عن أبي جعفر السائح قال : كان عطاء السليمي يقول : التمسوا لي هذه الأحاديث في الرُّخص عسى الله أن يروّح عني بعض ما أنا فيه من الغَمّ .

محمد بن معاوية الأزرق قال : حدثني بعض أصحابنا قال : قيل لعطاء السليمي ما تشتهي؟ قال : أشتهي أن أبكي حتى لا أقدر على أن أبكي . قال : وكان يبكي الليل والنهار وكانت دموعه الدهر سائله على وجهه .

أبو يزيد الهدادي قال : انصرفت ذات يوم من الجمعة فإذا عطاء السليمي وعمر بن درهم يمشيان ، وكان عطاء قد بكى حتى عمشَ ، وكان عمر قد صلّى حتى دَبِرَ ، فقال عمر لعطاء : حتى متى نسهو ونلعب وملك الموت في طلبنا لا يكف ؟ قال : فصاح عطاء صيحةً خرّ مغشياً عليه فأنشج موضحة واجتمع الناس وقعد عمر عند رأسه فلم يزل على حاله حتى المغرب . ثم أفاق فحُمل .

سوار أبو عبيدة قال : انقطع عطاء السليمي قبل موته بثلاثين سنة قال : وما رأيت عطاء إلا وعيناه تفيضان . قال : وما كنت أشبّه عطاء إذا رأيتُه إلا بالمرأة الثكلى . قال: وكأنّ عطاء لم يكن من أهل الدنيا .

عن صالح المري قال : كان عطاء السليمي لا يكاد يدعو إنما يدعو بعض أصحابه ويؤمّن هو ، قال : فحبُس بعض أصحابه . فقيل له : ألك حاجة ؟ قال : دعوة من عطاء أن يفرّج الله عني ، قال صالح : فأتيته فقلت : يا أبا محمد أما تحب أن يفرّج الله عنك ؟ قال: بلى والله إني لأحب ذلك ، قلت : فإن جليسك فلاناً قد حُبس فادْعُ الله أن يفرّج عنه . فرفع يديه وبكى وقال : إلهي قد تعلم حاجتنا قبل أن نسألكها فاقْضِها لنا ، قال صالح : والله ما برحنا من البيت حتى دخل الرجل .

صالح المري قال : قلت لعطاء السليمي ما تشتهي ؟ فبكى وقال أشتهي والله يا أبا بشر أن أكون رماداً لا تجتمع منه سُفّة أبداً في الدنيا ولا في الآخرة . قال صالح : فأبكاني والله وعلمت أنه إنما أراد النجاة من عُسر الحساب .

بشر بن منصور قال : كان عطاء السليمي يقول : رب ارحم في الدنيا غربتي ، وفي القبر وحدتي وطول مقامي غداً بين يديك .

أدرك عطاء السليمي أيام أنس بن مالك . ولقي الحسن ومالك بن دينار وخلقاً من تلك الطبقة ، وشغلته العبادة عن الرواية .

صالح بن بشير المري قال : لما مات عطاء السليمي حزنتُ عليه حزناً شديداً فرأيته في منامي فقلت : يا أبا محمد ألست في زُمْرَة الموتى ؟ قال : بلى ، قلت : فماذا صرت إليه بعد الموت ؟ قال : صرت والله إلى خيرٍ كثير ورب غفور شكور . قال : فقلت أما والله لقد كنت طويل الحزن في دار الدنيا . فتبسم فقال : أما والله يا أبا بشر لقد أعقبتني ذلك راحة طويلة وفرحاً دائماً . قلت : ففي أي الدرجات أنت ؟ قال : أنا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقاً .

صالح المريّ ، وساق الحديث للحراز قال : قال مالك بن دينار اغْدُ عليّ يا أبا صالح إلي الجبّان فإني قد وعدت نفراً من إخواني بأبي جهير مسعود الضرير نسلّم عليه .

قال صالح المرّي : وكان أبو جهير هذا رجلاً قد انقطع إلي زاوية يتعبد فيها ولم يكن يدخل البصرة إلا يوم الجمعة في وقت الصلاة ثم يرجع من ساعته .

قال فغدوت لموعد مالك إلى الجبّان فانتهيت إلى مالك وقد سبقني وإذا معه محمد بن واسع . وإذا ثابت البناني وحبيب فلما رأيتهم قد اجتمعوا قلت : هذا والله يوم سرور . قال : فانطلقنا نريد أبا جهير . قال : فكان مالك إذا مرّ بموضع نظيف قال : يا ثابت صلِّ هاهنا لعله أن يشهد لك غداً . فكان ثابت يصلي ، قال : ثم انطلقنا حتى أتينا موضعه فسألنا عنه فقالوا : الآن يخرج إلي الصلاة . فانتظرناه قال : فخرج علينا رجل إن شئت قلت قد نشر من قبره . قال : فوثب رجل فأخذ بيده حتى أقامه عند باب المسجد ثم أمهل يسيراً ثم دخل المسجد فصلّى ما شاء ثم أقام الصلاة فصلّينا معه .

فلما قضي صلاته جلس كهيئة المهموم فتوامر القوم في السلام عليه . فتقدم محمد بن واسع فيسلم عليه فردّ عليه السلام وقال : من أنت لا أعرف صوتك ؟ قال : أنا من أهل البصرة . قال : ما اسمك يرحمك الله ؟ قال : أنا محمد بن واسع . قال : مرحباً بك وأهلاً ، أنت الذي يقول هؤلاء القوم ـ وأومأ بيده إلي البصرة ـ إنك أفضلهم ، لله أنت إن قمت بشكر ذلك . اجلس فجلس ، فقام ثابت البناني فسلّم عليه فرّد عليه السلام وقال : من أنت يرحمك الله ؟ قال : أنا ثابت البناني . قال : مرحباً بك يا ثابت البناني ، أنت الذي يزعم أهل هذه القرية أنك من أطْولهم صلاة ؟ اجلس فقد كنت أتمنّاك على ربي .

قال : فقام إليه حبيب أبو محمد فسلّم عليه فرد عليه السلام وقال : من أنت رحمك الله؟ قال أنا حبيب أبو محمد . قال : مرحباً بك يا أبا محمد أنت الذي يزعم هؤلاء القوم أنك لم تسأل الله شيئاً إلا أعطاك فهلا سألته أن يُخْفي لك ذلك ؟ اجلس يرحمك الله .

قال : وأخذ بيده فأجلسه إلى جنبه : قال : فقام إليه مالك بن دينار فسلم عليه فردّ عليه السلام وقال : من أنت يرحمك الله ؟ قال : أنا مالك بن دينار . قال : بَخٍ بَخٍ أبو يحيى ، إن كنت كما يقولون ، أنت الذي يزعم هؤلاء القوم أنك أزهدهم ؟ اجلس فالآن تمّتْ أمنيتى على ربي في عاجل الدنيا .

قال صالح : فقمت إليه لأسلم عليه فأقبل عليّ قوم فقال : انظروا كيف تكونون غداً

بين يدي الله في مجمع القيامة . قال : فسلمت عليه فرد عليّ وقال : من أنت يرحمك الله ؟ قلت أنا صالح المري ، قال : أنت الفتى القارئ ، أنت أبو بشر ؟ قلت : نعم . قال : اقرأ يا صالح فابتدأت فقرأت فما استتممت الاستعاذة حتى خرّ مغشياً عليه . ثم أفاق إفاقة فقال عُدْ في قراءتك يا صالح ، فعدت فقرأت : ﴿ **وقَدِمْنَا إلى ما عمِلُوا من عمل فجعلْنَاهُ هباءً منْثُوراً** ﴾ [(1)] قال : فصاح صيحة ثم انكبّ لوجهه وانكشف بعض جسده فجعل يخور كما يخور الثور ثم هدأ فدنونا منه ننظر فإذا هو قد خرجت نفسه كأنه خشبة .

قال : فخرجنا فسألنا : هل له أحد ؟ قالوا : عجوز تخدمه تأتيه الأيام فبعثنا إليها فجاءت فقالت : ما له ؟ قلنا : قرئ عليه القرآن فمات قالت : حُقّ له والله ، من ذا الذي قرأ عليه ؟ لعله صالح القاريء ؟ قلنا : نعم وما يُدريك من صالحٌ ؟ قالت : لا أعرفه غير أني كثيراً ما كنت أسمعه يقول : إن قرأ عليّ صالح قتلني . قلنا : فهو الذي قرأ عليه قالت : هو الذي قتل حبيبي فهيّأناه ودفنّاه . رحمه الله .

٥٤٠ ـ عبد الله بن غالب الحداني[(2)]

المغيرة بن حبيب قال : قال عبد الله بن غالب الحُدّاني لما برز للعدو : على ما آسى من الدنيا فوالله ما فيها للبيب جذَلٌ ، والله لولا محبتي لمباشرة السّهر بصفحة وجهي وافتراش الجبهة لك يا سيدي والمُراوحة بين الأعضاء في ظُلَم الليل رجاء ثوابك وحلول رضوانك لقد كنت متمنياً لفراق الدنيا وأهلها .

قال : ثم كسر جفن سيفه ثم تقدم فقاتل حتى قُتل ، قال : فحُمل من المعركة وإنّ به لرمقاً فمات دون العسكر فلما دُفن أصابوا من قبره رائحة المسك ، قال : فرآه رجل من إخوانه في منامه فقال : يا أبا فراس ما صنعت ؟ قال : خير الصّنيع قال : إلام صرت ؟ قال : إلى الجنة . قال : بم ؟ قال : بحسن اليقين وطول التهجد وظمأ الهواجر ، قال : فما هذه الرائحة الطيبة التي توجد من قبرك ؟ قال : تلك رائحة التلاوة والظّمأ . قال : قلت أوصني . قال : اكسبْ لنفسك خيراً لا تخرج عنك الليالي والأيام عُطلاً .

عن مالك بن دينار قال : نزلت في قبر عبد الله بن غالب فأخذت من ترابه فإذا هو مسك . وقال : فُتن الناس به فبعث إلى قبره فَسُوِّيَ .

٥٤١ ـ أشعث الحُدّاني

حزم قال : قال لنا أشعث الحُداني : انطلقوا إلى حبيب أبي محمد نسلم عليه ، قال:

---

(١) سورة الفرقان آية : ٢٣ .

(٢) الحلية (٢/٢٥٦) .

وذاك عند ارتفاع النهار . فانطلقنا معه فسلّم فخرج حبيب أبو محمد فأخذ في البكاء فما زالوا يبكون حتى حضرتِ الظّهر . قال : فصلينا . فأخذوا في البكاء فما زالوا يبكون حتى حضرت العصر . فما زالوا يبكون حتى حضرت المغرب . ثم أدنَيْنا حماره فركب فقال لنا : إن ناساً يَنْهون عن هذا فأطيعهم ؟ قلنا : أنت أعلم . قال : إذاً والله لا أطيعهم .

٥٤٢ ـ الحَجّاج بن فُرافصة (١)

عن سفيان : قال : بتّ عند الحجاج بن فُرافِصة اثنتي عشرة ليلة ما رأيته أكل ولا شرب ولا نام .

عن سفيان الثوري قال : بتُّ عند الحجاج بن الفُرافِصة إحدى وعشرين يوماً فما أكل ولا شرب ولا نام ، . هكذا في حديث أبي نعيم أحد وعشرين . وفي رواية أخرى إحدى عشرة ليلة .

إبراهيم بن فراسة يقول : سمعت سفيان الثوري يقول : بتّ عند الحجاج بن فُرافِصة إحدى عشرة ليلة فلا أكل ولا شرب ولا نام .

أبو موسى الأنصاري قال : سمعت النضر بن شميل يقول : مكث الحجاج بن الفُرافِصة أربعة عشر يوماً لا يشرب ماء .

قال أبو موسى : قد سمع النضر منه ورآه .

عن ابن شوذب قال : رأيت الحجاج بن فُرافِصة واقفاً في السوق عند أصحاب الفاكهة فقلت : ما تصنع هاهنا ؟ قال : أنظر إلى هذه المقطوعة الممنوعة .

أسند الحجاج عن أنس وغيره .

٥٤٣ ـ حسان بن أبي سنان(٢)

محمد بن عبد الله الزرّاد قال : خرج حسان إلى العيد فقيل له لمّا رجع : يا أبا عبد الله ما رأينا عيداً أكثر نساءً منه . فقال : ما تلقّتني امرأة حتى رجعت .

غسان بن المفضل قال : أنبأ شيخ لنا يقال له أبو حكيم قال : خرج حسان يوم العيد فلما رجع قالت له امرأته : كم امرأة حسنة قد نظرت إليها اليوم ؟ فلما أكثرت عليه قال: ويحك ما نظرت إلا في إبهامي منذ خرجت من عندك حتى رجعت إليك .

عبد الله قال : كتب غلام لحسان بن أبي سنان إليه من الأهواز أن قصب السكر

(١) المصدر السابق (٣/ ١٠٨) ، وسير الأعلام (٧/ ٧٨) .
(٢) الحلية (٣/ ١١٤) .

أصابته آفة فاشتر السكر فيما قَبلك . قال : فاشتراه من رجل . ، فلم يأت عليه إلا القليل فإذا فيما اشترى ربح ثلاثين ألفاً . قال فأتي صاحب السكر فقال : يا هذا إن غلامي كان كتب إليَّ ولم أعلمك فأقلْني فيما اشتريت منك ، قال الآخر : قد أعلمتني الآن وطيّبته لك . قال : فرجع فلم يحتمل قلبه . قال : فأتاه فقال : يا هذا إني لم آت الأمر من وجهه فأحب أن تستردّ هذا البيع . قال : فما زال به حتى رُدّ عليه .

عبد المؤمن بن عباد قال : لقي حسان بن أبي سنان رجل به رَهَقٌ وكان مع حسان رجل قال : فسأله حسان مساءلة لطيفة ، فقال له الرجل : تساءل هذا مثل هذه المساءلة حتى يظن في نفسه أنه شيء ؟ قال : وما يدريك لعله تكون في هذا خصلة يحبها الله وفيك خصلة يبغضها الله عز وجل قال : فقال يا أبا عبد الله وما هذه الخصلة التي فيه يحبها الله عز وجل؟ وما الخصلة التي فيَّ يبغضها الله عز وجل ؟ قال : لعله أن يكون حين رآك حدثته نفسه أنك خير منه ولعلك حين رأيته حدثتك نفسك أنك خير منه .

عن جعفر بن سليمان أن رجلاً رأى النبي ﷺ في المنام فقال : لو أن حساناً دعا أن يتحوّل جبلٌ لحُوِّلَ .

الوليد بن بشار قال : جاءت امرأة فسألت حسان بن أبي سنان فقال لشريكه : هكذا، وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى . فذهب شريكه يزن لها درهمين فوزن لها مائتين . فقالوا: يا أبا عبد الله كنت، تُرضي بهذا كذا وكذا من سائلٍ . فقال : إني ذهبتُ في شيء لم تذهبوا فيه ، إني رأيت بها بقية من الشباب وشيت أن تحملها الحاجة على بعض ما أكره.

قال مهدي بن ميمون : رأيت حسان بن أبي سنان ، أحسبه قال في مرضه ، فقيل له: كيف تجدك ؟ قال : بخير إن نجوت من النار . فقيل له : فما تشتهي ؟ قال : ليلة بعيدة ما بين الطرفين أُحْيي ما بين طرفيها .

أبو يحيى الزراد قال : كنت أسمع حسان بن أبي إسحاق يتمثل كثيراً :

لا صِحّة المرْءِ في الدنيا تؤخرُه ... ولا يقدم يوماً موته الوجعُ

قال ابن شوذب : كان حسان بن أبي سنان رجلاً من تجار أهل البصرة له شريك بالبصرة وهو مقيم بالأهواز يجهز على شريكه بالبصرة ثم يجتمعان على رأس كل سنة يتحاسبان ثم يقتسمان الربح . فكان يأخذ قوته من ربحه ويتصدّق بما بقي ، وكان صاحبه يبني الدور ويتخذ الأرضين . قال : فقدم حسان البصرة قَدْمَةً ففرّق ما أراد أن يفرّق فذكر له أهل بيت لم تكن حاجتُهم ظهرت . فقال : أما تخبرونا ؟ فاستقرض لهم ثلاث مائة درهم فبعث بها إليهم .

موسى بن هلال قال : حدثني رجل كان جليساً لنا وكانت امرأة حسان مولاة له قال : حدثتني امرأة حسان بن أبي سنان قالت : كان يجيء فيدخل معي في فراشي ، قالت : ثم يخادعني كما تُخادع المرأة صبيّها فإذا علم أني قد نمْتُ سلّ نفسه فخرج ثم يقوم فيصلي، قالت : فقلت له يا أبا عبد الله : كم تعذب نفسك ؟ ارفق بنفسك ، فقال : اسكتي ويحك فيوشك أن أرقد رقدة لا أقوم منها زماناً .

عبد الله بن عيسى قال : أخبرني أبي قال : كان حسان بن أبي سنان يحضر مسجد مالك ابن دينار فإذا تكلم مالك بكى حسان حتى يبلّ ما بين يديه ولا يسمع له صوت .

عن عبد الجبار بن النضر السلمي قال : مرّ حسان بن أبي سنان بغرفة فقال : متى بُنيت هذه ؟ ثم أقبل على نفسه فقال : تسألين عما لا يعنيك ؟ لأعاقبنك بصوم سنة فصامها .

عمارة بن زاذان قال : كان حسان يفتح باب حانوته فيضع الدواة وينشر حسابه ، ويُرخي ستره ، ثم يصلي ، فإذا أحَسَّ بإنسان قد جاء يقبل على الحساب يُريه أنه كان في الحساب .

قال أبو داود : وحدثنا سلام بن أبي مطيع قال : كان حسان بن أبي سنان يقول : لولا المساكين ما اتّجرتُ .

يحيى بن بسطام الأصفر التميمي ـ وكان جاراً لحسان بن أبي سنان قال : وكان حسان يصوم الدهر ، ويفْطر على قرص ويتسحّر بآخر ، فَنحلَ وسقم جسمه جداً حتى صار كهيئة الخيال . فلما مات فأدخِل مغتسله ليُغسل ، كشف الثوب عنه فإذا هو كهيئة الخيط الأسود قال : وأصحابه حوله يبكون .

قال حريث : فحدثني يحيى بن مسلم البكاء وإبراهيم بن محمد القيسي قال : لما نظرنا إلي حسان وما قد أبلاه الدّءوب أكبرنا ذلك جداً واستدمع أهلُ البيت وعلت أصواتهم . ثم هدءوا . فإنا لكذلك إذ سمعنا قائلاً يقول من ناحية البيت :

تجَوَّعَ للإِلَه لكَيْ يَرَاهُ   نَحيلَ الجسْم مِن طول الصّيام

قال : فوالله ما رأيناه في البيت إلا باكياً .

قال حريث : كانوا يرَوْن أن بعض الجنَ بكاه .

كان حسان كثير الرواية عن الحسن وثابت البناني . ويقال : إنه أسند عن أنس ، غير أنه اشتغل بالعبادة عن الرواية .

٥٤٤ ـ شُمَيطْ بن عجلان (١)

أبو عبد الله ، ويقال أبو همام عن سيار قال : أنبأ عبيد الله بن شُمَيْط قال : سمعت أبي يقول : بادروا بالصحة السقم وبالفراغ الشغل ، وبادروا بالحياة الموت . وسمعته يقول لي : بئس العبد عبدٌ خُلق للعاقبة فصدته العاجلة عن العاقبة فزالت عنه العاجلة وشقي في العاقبة وسمعته يقول : أُعطيت ما يكفيك وأنت تطلب ما يُطغيك ؟ لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع ، كيف يعمل للآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ؟ العجَب ، كل العجب لمصدّقٍ بدار الحق وهو يسعى لدار الغُرور .

وسمعته يقول : إن الله عز وجل جعل قوة المؤمن في قلبه ولم يجعلها في أعضائه ألا ترون أن الشيخ يكون ضعيفاً يصوم الهواجر ويقوم الليل والشاب يعجز عن ذلك .

وسمعته يقول : يعمد أحدهم فيقرأ القرآن ويطلب العلم حتى إذا علمه أخذ الدنيا فضمها إلي صدره وحملها على رأسه فنظر إليه ثلاثة ضعفاء : امرأة ضعيفة وأعرابي جاهل وأعجمي ، فقالوا : هذا أعلم بالله منا لو ير في الدنيا ذخيرة ما فعل هذا . فرغبوا في الدنيا وجمعوها .

وسمعته يقول : من رضِيَ بالفسق فهو من أهله ، ومن رضي أن يُعصى الله عزّ وجل لم يُرفع له عملٌ .

أبو معاوية الغلابي قال : حدثني رجل قال : قالت امرأة شميط : يا أبا همام إنا نعمل الشيء فيبرد فنشتهي أن تأكل منه معنا فلا تجيء حتى يفسد ويبرد . فقال : والله إن أبغض ساعاتي إليّ الساعة التي آكل فيها .

جعفر قال : سمعت شميطاً يقول : رأس مال المؤمن دينه حيثما زال معه لا يخلُفه في الرجال ولا يأمن عليه الرجال .

جعفر بن سليمان قال : سمعت شميطاً يقول : من جعل الموت نُصْبَ عينيه لم يبال بضيق الدنيا ولا بسعتها .

إبراهيم بن عبد الملك قال : قال شميط بن عجلان : إن الله عز وجل وسم الدنيا بالوحشة ليكون أنسُ المطيعين به .

عبيد الله بن شميط بن عجلان ، عن أبيه إنه كان يقول في مواعظه : إذا أصبحت آمناً في سِرْبك معافي في بدنك ، عندك قُوتُ يومك فعلى الدنيا العفاء وعلى من يحزن عليها ، إن المؤمن يقول لنفسه : إنما هي ثلاثة أيام فقد مضى أمس بما فيه وغداً أملٌ

(١) الحلية (٣/ ١٢٥) .

لعلّك لا تُدركيه ، إنما هو يومك هذا فإن كنت من أهل غد برزق غد إنّ دون غد يوماً وليلة تُخترم فيه أنفس كثيرة فلعلك المخترم فيه . كفى كلَّ يوم همُّه ثم حملت على قلبك الضعيف همّ السنين والدّهور والأزمنة وهمّ الغلاء والرُّخص وهَمّ الشتاء قبل أن يجيء وهمّ الصيف قبل أن يجيء ، فماذا أبقيت من قلبك الضعيف للاخرة ؟ ما تُطلب الجنة بهذا ، متى تهرب من النار ؟ كل يوم ينقص من أجلك ثم لا تحزن . أُعطيت ما يكفيك وأنت تطلب ما يُطغيك ، لا بقليل تقنع ولا من كثير تشبع ، فكيف لا يستبين للعالم جهله ، وقد عجز عن شكر ما هو فيه ، وهو مُفْتَنٌ في طلب الزيادة ؟ أم كيف يعمل للآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع عنها رغبته فالعجب كل العجب لمن صدّق بدار الحيوان كيف يسعى لدار الغرور .

وكان يقول : إن أولياء الله آثروا رضا ربهم تعالى على هوى أنفسهم ، فأرغموا أنفسهم كثيراً في رضا ربهم فأفلحوا والله وأنجحوا ، وإن المنافق عبدُ هواه وعبدُ بطنه وعبدُ فرْجه وعبدُ جلده ، عبد الدنيا وعبد أهل الدنيا .

وكان يقول : الناس رجلان . فمتزوّد من الدنيا ومتنّعم فيها فانظر أيُّ الرجلين أنت . إني أراك تحب طول البقاء في الدنيا فلأي شيء تحبه ؟ أن تطيع الله عز وجل وتُحسن عبادته وتتقرّب إليه بالأعمال الصالحة ؟ فطوبى لك ، أم لتأكل وتشرب وتلهو وتلعب وتجمع الدنيا وتثمرها وتنعم زوجتك وولدك ؟ فلبئس ما أردت له البقاء .

وكان يقول إذا وصف المؤمنين : أتاهم عن الله تبارك وتعالى أمْر وقذَهم عن الباطل فأسهروا الأعين وأجاعوا البطون وأظمئوا الأكباد وأنفقوا الأموال واهتضموا التالد والطارف في طلب ما يقرّبهم إلي الله عز وجل وفي طلب النجاة مما خوّفهم به .

وكان يقول : إن المؤمن اتَّخذ كتاب الله عز وجل مرآة فمرّة ينظر إلى ما نعت الله عز وجل به المؤمنين ، ومرّة ينظر إلى ما نعت الله عز وجل به المغترّين ، ومرة ينظر إلى الجنة وما وعد الله عز وجل فيها ، ومرّة ينظر إلى النار وما أعدّ الله عز وجل فيها . تلقاه حزيناً كالسهم المُرمى به شوقاً إلى ما شوّقه الله عز وجل إليه وهرباً مما خوفه الله عز وجل منه .

وكان يقول : بلغنا أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام ، يا داود ألا ترى إلى المنافق كيف يخدعني وأنا أخدعه ؟ يسبّحني ويوقر بلسانه وقلْبه مني بعيد ، يا داود قل للملأ من بني إسرائيل لا يَدْعوني والخطايا في أضبانهم (١) . ليضعوها ثم ليدْعوني أستجبْ لهم .

---

(١) ما بين الكشح والإبط .

وكان يقول : اللهم اجعل القليل من الدنيا يكفينا كما يكفي الكثير أهله ، اللهم ارفع رغبتنا إليك واقطعْ رجاءنا ممن سواك ، اللهم اجعل طاعتك ألذَّ عندنا من الطعام عند الجوع، ومن الشراب عند الظمأ ، اللهم اجعل غفلة الناس لنا ذكراً ومرح الناس لنا شُكراً، اللهم إذا تنعم المتنعمون بالدنيا فاجعلنا نتنعم بذكرك .

وكان يقول : بالدراهم والدنانير أزِمّة [1] المنافقين تقودهم إلى السّوْءات .

وكان يقول : تلقى أحدهم عنده فُضول يغلق بابه دون جاره وذوى رحمه ، ثم يخرج على القوم يحدثهم بما أكل وشرب ولعل جاره الفقير وذا رحمه المحتاج يكون في القوم يسمع ما يقول ، ويحك ما كفاك أن أغلقت بابك دونه فلم تُواسِه ولم تذكره حتى قعدت فأخبرته بما أكلت وشربت ؟ فإذا أنت قد جمعت إساءة بعد إساءة .

وكان يقول : إن المؤمن أبصر الدنيا فأنزلها منزلتها فإنْ هي أقبلت عليه قال : لا مرحباً ولا أهلاً والله ما أراك جئت بخير وما فيك من خير إلا أن تُطلب بك الجنة ، ويُفتدى بك من النار ، فإن هي أدبرت عنه قال : عليك العفاء وعلى من يتبعك ، الحمد لله الذي خار لي وصرف عني فتنتك وشغلك .

وكان يقول إذا وصف أهل الدنيا : حيارى سُكارى فارسُهم يركض ركضاً وراجلهم يسعى سعياً ، لا غنيهم يشبع ، ولا فقيرهم يقنع .

وكان يقول إذا وصف المُقبل على الدنيا : دائب البْطنة قليل الفطنة إنما همه بطنه وفرْجه وجلده ، متى أصبح فآكل وأشرب وألهو وألعبُ ، متى أمسي فأنام ، جيفة بالليل بطّال بالنهار ويحك ألهذا خُلقت ؟ أم بهذا أمرت ؟ أم بهذا تطلب الجنة وتهرب من النار؟ .

وكان يقول : إن العافية سترت البرّ والفاجر ، فإذا جاءت البلايا استبان عندها الرجلان فجاءت البلايا إلى المؤمن فأذهبت ماله وخادمه ودابّته حتى جاع بعد الشبع ومشى بعد الركوب وخدم نفسه بعد أن كان مخدوماً فصبر ورضي بقضاء الله عزّ وجل ، وقال : هذا نظرٌ من الله عز وجل لى ، هذا أهْون لحسابي غداً . وجاءت البلايا إلى الفاجر فأذهبت ماله وخادمه ودابته فجزع وهلع وقال : والله ما لى بهذا طاقة ، والله لقد عودت نفسي عادةً ما لي عنها صبر من الحلو والحامض والحار والبارد ولين العيش . فإن هو أصابه من الحلال وإلا طلبه من الحرام والظلم ليعود إليه ذلك العيش .

---

(١) جمع زمام وهو الحبل الذى يقاد به البعير .

وكان يقول : إنسانان معذَّبان في الدنيا : غنّي أُعطي دنيا فهو بها مشغول ، وفقير زُوِيَت عنه فهو يتبعها نفسه فنفسه تقطَّع عليها حسرات .

وكان يقول : الناس ثلاثة : فرجل ابتكر الخير في حداثة سنّة ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا ، فهذا المقرّب ، ورجل ابتكر عُمْره بالذنوب وطول الغفلة ثم راجع توبة، فهذا صاحب يمين ، ورجل ابتكر الشرّ في حداثة سنة ثم لم يزل فيه حتى خرج من الدنيا ، فهذا صاحب شمال .

أبو عمر الضرير قال : أنبأنا عبيد الله بن شميط قال : سمعت أبى يقول : أيها المغتر بطول صحته أما رأيت ميتاً قط من غير سقم ؟ أيها المغتر بطول المهلة أما رأيت مأخوذاً قطّ من غير عدّة ، أبالصحة تغترّون ؟ أم بطول العافية تمرحون ؟ أم بالموت تأمنون ؟ أم على ملك تجترئون ؟ إن ملك الموت إذا جاء لم يمنعه منك ثروة مالك ولا كثرة احتشادك . أما علمت أن ساعة الموت ذاتُ كربٍ شديد وغُصَص وندامة على التفريط ؟ ثم يقول : رحم الله عبدا عمل لساعة الموت . رحمَ الله عبداً عمل لما بعد الموت ، رحم الله عبداً نظر لنفسه قبل نزول الموت .

أسند شميط عن جماعة من التابعين .

٥٤٥ ـ خويل بن محمد الأزدى

عن الهيثم بن عدي قال : سمعت خُويل بن محمد ، وكان عابداً يقول : كأن خوَيْلاً قد وقف للحساب فقيل له : يا خُويل قد عمّرناك ستين سنة ، فما صنعت فيها فجُمع نوم سنة مع قائلة النهار فإذا قطعة من عمري نوم وجمعت ساعات أكلي فإذا قطعة من عمري قد ذهبت في الأكل وجُمعَتْ ساعات وضوئى فإذا قطعة من عمري قد ذهبت فيه، ثم نُظر في صلاتي فإذا صلاةٌ منقوصة وصومٌ مخرّق . فما هو إلا عفو الله أو الهلكة .

ومن الطبقة الخامسة من أهل البصرة

٥٤٦ ـ هشام بن أبى عبد الله(١)

واسمه سَنْبَر الدستوائي مولى لبني سدوس .

سعيد بن عامر قال : كان هشام بن أبي عبد الله قد أظلم بصره من طول البكاء ، وكنت تراه ينظر إليك فلا يعرفك إلا أن تكلّمه .

شاذ بن فياض قال : بكى هشام الدستوائي حتى فسدت عينه فكانت مفتوحة وهو لا يكاد يُبصر بها .

---

(١) انظر : الحلية (٦/٢٧٨) ، وسير الأعلام (٧/١٤٩) .

محمد بن حفص التيمي قال : كان هشام إذا فقد السراج من بيته تململ على فراشه. وكانت امرأته تأتيه بالسراج فقالت له في ذلك فقال : إذا فقدت السراج ذكرتُ ظلمة القبر.

عبد الصمد قال : مات هشام بن عبد الله سنة ثنتين وخمسين .

زيد بن الحباب قال : دخلت على هشام الدستوائي سنة ثلاث وخمسين يعني ومائة ومات بعد ذلك بأيام .

٥٤٧ ـ شعبة بن الحجاج بن ورد[١]

من الأزد : مولى للاشاقر عتاقة . يكنى : أبا بسطام ، وهو أكبر من الثوري بعشر سنين.

عمرو بن علي الفلاس قال : سمعت أبا بحرٍ البكراوي يقول : ما رأيت أعْبَدَ من شعبة، لقد عبد الله حتى جفّ جلده على عظمه ليس بينهما لحم .

قال عمرو بن هارون : كان شعبة يصوم الدهر كله لا يُرى عليه . وكان سفيان الثوري يصوم ثلاثة من الشهر تُرَى عليه .

أبو قطن قال : ما رأيت شعبة ركع قطّ إلا ظننت أنه قد نسي ، ولا قعد بين السجدتين إلا ظننت أنه قد نسي .

مسلم بن إبراهيم قال : ما دخلت على شعبه في وقت صلاة قطّ إلا رأيته يصلي .

سليمان بن حرب قال : لو نظرت إلى ثياب شعبة لم تكن تساوي عشرة دراهم : إزاره وقميصه ورداءه ، وكان كثير الصدقة .

أبو قطن قال : كانت ثياب شعبة لونها لون التراب ، وكان كثير الصلاة ، كثير الصيام سخيّ النفس .

أبو حميد عبد الله بن محمد المصيصي قال : سمعت حجّاجاً يقول : ركب شعبة حماراً له فلقيه سليمان بن المغيرة فشكا إليه شعبة ، والله ما أملك إلا هذا الحمار . ثم نزل عنه ودفعه إليه .

قُراد أبو نوح قال : رأى شعبة عليَّ قميصاً فقال : بكم أخذت هذا ؟ قلت بثمانية دراهم. قال لي : ألا اشتريت قميصاً بأربعة دراهم وتصدقت بأربعة ؟ .

رأى شعبة الحسن وابن سيرين ، وسمع من قتادة ويونس بن عبيد وأيوب وخالد

---

(١) المصدر السابق (٧/ ٢٠٢) ، والحلية (٧/ ٢٤٤) .

الحذاء وخلق كثير من التابعين . وتوفي بالبصرة في أوّل سنة ستين ومائة ، وهو ابن سبع وسبعين سنة .

٥٤٨ ـ صالح بن بشير أبو بشر المرئى(١)

كان مملوكاً لامرأة من بني مرة بن الحارث من بني عبد القيس فأعتقَتْه .

قال عبد الرحمن بن مهدي : كنت أذكر صالحاً المري لسفيان فيقول القصص القَصص، كأنه يكرهه . فكان إذا كانت له حاجة بكّر فيها . فبكّر يوماً وبكّرت معه فجعلت طريقنا على مسجد صالح المري فقلت : يا أبا عبد الله ندخل فنصلّي في هذا المسجد . فدخل فصلّينا وكان يوم مجلس صالح ، فلما صلّوْا ازدحم الناس فبقينا لا نقدر أن نقوم ، وتكلم صالح فرأيت سفيان يبكي بكاءً شديداً ، فلما فرغ وقام قلت له : يا أبا عبد الله كيف رأيت هذا الرجل ؟ فقال : ليس هذا بقاصٍّ هذا نذير قوم .

عفان بن مسلم قال : كنا نأتي مجلس صالح المري نحضره وهو يقصّ ، وكان إذا أخذ في قصصه كأنه رجلٌ مذعورٌ يُفزعك أمره ، من حزنه وكثرة بكائه كأنه ثكْلى ، وكان شديد الخوف من الله كثير البكاء .

أحمد بن إسحاق الحضرمي قال : سمعت صالحاً المري يقول : للبكاء دواعٍ : الفكرة في الذنوب فإن أجابت على تلك القلوبُ وإلا نقلتها إلى الموقف وتلك الشدائد والأهوال، فإن أجابت على ذلك وإلا فاعرضْ عليها التقلّب في أطباق النيران . قال : ثم صاح وغُشي عليه وتصايح الناس من نواحي المسجد .

الأصمعي قال : شهدت صالحاً المري عزّى رجلاً على ابنه فقال : لئن كانت مصيبتك لم تُحدث لك موعظة في نفسك فمصيبتك بابنك جللٌ في مصيبتك في نفسك ، فإياها فابْك .

أسند صالح عن الحسن وابن سيرين وثابت وقتادة وبكر بن عبد الله في خلق كثير من التابعين . وتوفي سنة ست وسبعين ومائة .

٥٤٩ ـ الربيع بن عبد الرحمن
ويعرف بالربيع بن برة

محمد بن سنان قال : سمعت الربيع بن برّة يقول : ابن آدم إنما أنت جثّة مُنتنة طيب نسيمك ما ركب فيك من روح الحياة فلو قد نُزع منك روحك ألقيت جثةً ملقاة وجيفة

(١) فى المغنى : صالح بن بشر المرى ، وانظر : سير الأعلام (٨/ ٤٦) ، والحلية (٦/ ١٦٥) .

مُنتنة وجسداً خاوياً . قد جيِّف بعد طيب رائحة واستُوحش منه بعد الأنس بقُربه أيّ الخليقة منك أعجب إذ كنت تعلم أن هذا مصيرك وأن التراب مقيلك ثم أنت بعد هذا الطول جهلك تقرّ بالدنيا عيناً . أسمعته يقول : ﴿ **فجعلناهم أحاديث ومزّقناهم كل ممزّق إن في ذلك لآيات لكلّ صبّار شكور** ﴾ (١) أما والله ما حداك على الصبر والشكر إلا لعظم ثوابهما عنده لأوليائه فمن أعظم منك غفلةً أو من أطول في القيامة منك حسرة إذ كنت ترغب عمّا رغب لك فيه مولاك وأنت تقرأ في الليل والنهار ﴿ **نِعْمَ المَوْلَى ونِعْمَ النَّصِير** ﴾(٢) .

عباد بن الوليد القرشي قال : قال الربيع بن برة : عجبت للخلائق كيف ذهلوا عن أمرٍ حقّ تراه عيونهم وتشهد عليه معاقد قلوبهم إيماناً وتصديقاً بما جاء به المرسلون ؟ ثم ها هم في غفلة عنه سكارى يلعبون . ثم يقول : وايمُ الله ما تلك الغفلة إلا رحمة من الله لهم ونعْمة من الله عليهم . ولولا ذلك لألفِيَ المؤمنون طائشة عقولهم طائرة أفئدتهم مُنخلعة قلوبُهم لا ينتفعون مع ذكر الموت بعيش أبداً .

داود بن المحبر عن أبيه قال : مر بنا الربيع بن برّة ونحن نسوّي نعشاً لميّت فقال : من هذا الغريب الذي بين أظهُركم ؟ قلنا ليس بغريب بل هو قريب حبيب قال : فبكى وقال : من أغرب من الميت بين الأحياء ؟ قال : فبكى القوم جميعاً .

عن محمد بن سلام قال : سمعت الربيع بن عبد الرحمن يقول : رضيت لنفسك ، وأنت الحُوَّل القُلَّب ، أن تعيش عيش البهائم ، نهارك هائم وليلُك نائم والأمرُ أمامك جِدٌّ .

محمد بن سلام الجمحي قال : كان الربيع بن برّة يقول : نصب المتّقون الوعيد من الله أمامهم فنظرتْ إليه قلوبهم بتصديق وتحقيق فهُم والله في الدنيا منغّصون ، ووقفوا ثواب الأعمال الصالحة خلف ذلك فمتى سمت أبصار القلوب إلى ثواب الأعمال تشوقت القلوب وارتاحت إلى حلول ذلك ، فهم والله إلى الآخرة متطلّعون بين وعيدٍ هائل ووعْدٍ حقّ صادق لا ينفكون من خوف وعيدٍ إلا رجعوا إلى شوق موعود . فهم كذلك وعلى ذلك في الموت جُعلت لهم الراحة . ثم يبكي .

عاصم الخلقاني قال : قال الربيع بن عبد الرحمن : إن لله عباداً أخْمصوا له البطون(٣) عن مطاعم الحرام ، وغضوا له الجفون عن مناظر الآثام ، وأهملوا له العيون لمّا اختلط

(١) سورة سبأ آية : ١٩ .
(٢) سورة الأنفال آية : ٤٠ .
(٣) خمص بطنه : خلا وضمر ، فهو خمصان ، وخمص الجوع بطنه : أدخل بطنه في جوفه .

عليهم الظلام رجاء أن يُنير لهم قلوبهم إذا تضمّنتْهم الأرض بين أطباقهم ، فهم في الدنيا مكتئبون وإلى الآخرة متطلّعون ، نفذت أبصار قلوبهم بالغيب إلى الملكوت فرأت فيه ما رجت من عظيم ثواب الله فازدادوا لله بذلك جداً واجتهاداً عن معاينة أبصار قلوبهم ما انطوت عليه آمالهم فهم الذين لا راحة لهم في الدنيا وهم الذين تقر أعينهم غداً بطلعة ملك الموت عليهم . قال : ثم يبكي حتى يبلّ لحيته بالدموع .

محمد بن سلام الجمحي قال : سمعت الربيع بن عبد الرحمن يقول في كلامه : قطعتْنا غفلة الآمال عن مُبادرة الآجال فنحن في الدنيا حيارى لا ننتبه من رقدة إلا أعقبتنا في أثرها غفلة ، فيا إخْوتاه نشدتُكم بالله هل تعلمون مؤمناً بالله أغرَّ ولنقمته أقل حذراً من قوم هجمت بهم العبر على مصارع النادمين فطاشت عقولهم وضلّت حلومهم مما رأوا العبَر والأمثال ، ثم رجعوا عن ذلك إلى غير قلعة ولا نقلة ؟ فبالله يا إخوتاه هل رأيتم عاقلاً رضي من حاله لنفسه بمثل هذه حالاً ؟ والله يا عباد الله لَتبْلُغُنّ من طاعة الله ورضاه أو لتنكرن به ما تعرفون من حسن بلائه وتواتُر نعمائه ـ إن تُحسن أيها المرء يُحسن إليك وإن تُسِيءْ فعلى نفسك بالعتب فارجع فقد بيَّن وحذر وأعذر فما للناس على الله حجّة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً .

زعم بعض نقلة الحديث أن الربيع بن برّة أسند عن الحسن ، وذكر له حديثاً . وإنما الربيع المذكور في ذلك الحديث هو الربيع بن صبيح ، وأما ابن برَّة فلا نعلم له مسنداً .

٥٥٠ ـ الحجاج العابد

محمد بن صالح التميمي قال : قال أبو عبد الله مؤذن مسجد بني جدار : جاورني شاب فكنت إذا أذّنت للصلاة وأقمت كأنه في نقرة قفاى . فإذا صليت صلّى ثم لبس نعليه فدخل منزله . فكنت أتمنى أن يكلمني أو يسألني حاجة . فقال لي ذات يوم : يا أبا عبد الله عندك مصحف تُعيرني أقرأ فيه فأخرجت إليه مصحفاً فدفعته إليه فضمه إلى صدره ثم قال : ليكونن اليوم لي ولك شأن .

ففقدته ذلك اليوم فلم أره يخرج . فأقمت المغرب فلم يخرج . وأقمت العشاء الآخرة فلم يخرج . فساء ظنّي فلما صليت العشاء الآخرة جئت إلى الدار التي هو فيها فإذا فيها دلْو ومَطْهرة وإذا على بابه ستْر فدفعت الباب فإذا به ميّت والمصحف في حُجْره . فأخذت المصحف من حُجره واستعنْت بقوم على حمله حتى وضعناه على سريره .

وبقيت ليلتي أفكر من أكلّم حتى يكفّنه (١) فأذّنت الفجر بوقتٍ ودخلت المسجد

(١) أى يتكفل بثمن كفنه .

لأركع، فإذا بضوء في القبلة فدنوت منه فإذا كفن ملفوف في القبلة فأخذته وحمدت الله عزّ وجل وأدخلته البيت وخرجت فأقمت الصلاة فلما سلّمت إذا عن يميني ثابت البناني ومالك بن دينار وحبيب الفارسي وصالح المري ، فقلت لهم يا إخواني ما غَدا بكم ؟ قالوا: مات في جوارك الليلة أحد ؟ قلت : مات شابّ كان يصلي معي الصلوات . فقالوا لي : أرناه. فلما دخلوا عليه كشف مالك بن دينار الثوب عن وجهه ثم قّبل موضع سجوده ثم قال : بأبي أنت يا حجاج إذا عُرفت في موضعٍ تحوّلت منه إلى موضعٍ غيره حتى لا تُعرف ، خذوا في غسله . وإذا مع كل واحد منهم كفن ، فقال كل واحد منهم: أنا أكفنه، فلما طال ذلك منهم قلت لهم : إني فكرت في أمره هذه الليلة فقلت : من أكلم حتى يكفّنه . فأتيت المسجد فأذّنت ثم دخلت لأركع فإذا كفن ملفوف لا أدري من وضعه؟ فقالوا : يُكَفَّن في ذلك الكفن فكفّنّاه وأخرجناه ، فما كدنا نرفع جنازته ، من كثرة من حضره من الجمع .

٥٥١ ـ ضيغم بن مالك[1]

أبو مالك العابد . أبو أيوب مولى ضيغم بن مالك قال : قال لي ضيغم ليلة : لو أعلم أن رضاه أن أقرض لحمي لدعوت بالمقراض فقرضتُه .

قال : قال سيار رأيت ضيغماً صلّى نهاره أجمع وليله حتى بقي راكعاً لا يقدر أن يسجد فرأيته رفع رأسه إلى السماء ثم قال : قرَّةَ عيني ، ثم خرّ ساجداً فسمعته يقول وهو ساجد: إلهي كيف عزفت قلوبُ الخليقة عنك ؟ قال : وربما أصابته الفترة فإذا وجد ذلك اغتسل ثم دخل بيتاً فأغلق بابه وقال : إلهي إليك جئت . قال : فيعود إلى ما كان من الركوع والسجود .

قال : وسمعت سيار بن حاتم يقول : كان وِرْد ضيغم كل يوم أربعمائة ركعة .

عبيد الله بن عمر قال : أتيت صاحباً لي يقال له عمران بن مسلم فأراني موضعين مُبْتَلَّين في مسجده أحدهما بحذاء الآخر فقلت : ما هذا ؟ قال : هذا والله من دموع ضيغم البارحة بين المغرب والعشاء وهو راكع .

أزهر بن مروان الرقاشي قال : رأيت ضيغماً العابد وكنت إذا رأيته رأيت رجلاً لا يشبه الناس من الخشوع والضر وطول الحزن .

قال القرشي : وحدثني شيخ يكنى بأبي يعقوب عن سعيد البكاء قال : قال رجل لأم

---

(١) سير الأعلام (٨/ ٤٢١) .

ضيغم : ما أطولُ حُزن ضيغم . فبكت وقالت : لمثل ما ندب إليه فليحزن ، ذهب الحسن وأصحابه بالحزن وهل رأيت يا بني محزوناً .

محمد بن الحسين قال : حدثني مالك بن ضيغم قال : قالت أمّه ، يعني ضيغماً ، ذات يوم : ضيغم ! قال : لبّيك يا أماه : قالت : كيف فرحك بالقدوم على الله ؟ قال: فحدثني غير واحد من أهله أنه صاح صيحة لم يسمعوه صاح مثلها قطّ وسقط مغشياً عليه، فجلست العجوز تبكي عند رأسه وتقول : بأبي أنت ما نستطيع أن نذكر بين يديك شيئاً من أمر ربك. قال : وقالت له يوماً : ضيغم ! قال : لبيك يا أماه . قالت : تحب الموت ؟ قال : نعم يا أماه . قالت : ولِمَ يا بنيّ ؟ قال : رجاء خير ما عند الله قال: فبكت العجوز وبكى فتسامع أهل الدار فجلسوا يبكون لبكائهم . قال : وقالت له يوماً آخر : ضيغم ! قال : لبيّك يا أمّاه . قالت : تحب الموت ؟ قال : لا أماه . قالت: لِمَ يا بني ؟ قال : لكثرة تفريطي وغفلتي عن نفسي ، قال فبكت العجوز وبكى ضيغم واجتمع أهل الدار وجعلوا يبكون ، وكانت أمه عربية كأنها من أهل البادية .

مالك بن ضيغم قال : حدثني الحكم بن نوح قال : بكى أبوك ليلةً من أول الليل إلى آخره لم يسجد فيها سجدة ولم يركع فيها ركعة ونحن معه في البحر ، فلما أصبحنا قلنا: يا مالك لقد طالت ليلتك لا مصلياً ولا داعياً ، قال : فبكى ثم قال : لو يعلم الخلائق ما يستقبلون غداً ما لذّوا بعيش أبداً ، والله إني لما رأيت الليل وهَوْله وشدّة سواده ذكرت به الموقف وشدّة الأمر هناك ، وكل امرئ يومئذ تهمّه نفسه : و﴿ **لا يجزى والدٌ عن ولده ولا مَوْلُودٌ هو جازٍ عن والده شيْئاً** ﴾ [1] قال : ثم شهق ولم يزل يضطرب ما شاء الله .

مالك بن ضيغم قال : حدثتني خالتي حبابة بنت ميمون العتكيّة قالت : رأيت أباك ضيغماً نزل ذات ليلة من فوق البيت بكوز وقد بُرّدَ له حتى صبه ثم اكتازَ من الْحُبّ ماء حاراً فشرب فقلت له بعد ذلك : بأبي أنتَ قد رأيت الذي صنعت فممّ ذاك ؟ قال : حانت مني مرة نظرةٌ إلى امرأة فجعلتُ على نفسي أن لا تذوق الماء البارد أيام الدنيا . فقلت : أنغصُ عليها الحياة .

محمد بن مالك بن ضيغم قال : حدثني مولانا أبو أيوب قال : قال لي أبو مالك يوماً : يا أبا أيوب احذر نفسك على نفسك فإني رأيت هموم المؤمنين في الدنيا لا تنقضي، وايْم الله لئن لم تأت الآخرة المؤمن بالسرور لقد اجتمع عليه الأمران : همّ الدنيا

(١) سورة لقمان آية : ٣٣ .

وشقاء الآخرة . قال قلت : بأبي أنت وكيف لا تأتيه الآخرة بالسرور وهو ينصب لله في دار الدنيا ويدأب ؟ قال : يا أبا أيوب فكيف بالقبول وكيف بالسلامة ؟ ثم قال : كم من رجل يرى أنه قد أصلح شأنه ، قد أصلح قُربانه ، قد أصلح همّته ، قد أصلح عمله ، يُجمع ذلك يوم القيامة ثم يُضرب به وجهه .

يحيى بن بسطام قال : قلت لجار ضيغم : هل سمعت أبا مالك يذكر من الشعر شيئاً؟ قال : ما سمعته يذكر إلا بيتاً واحداً . قلت : ما هو ؟ قال :

قد يَخْزُنُ الورع التقيُّ لسانَه   حذَرَ الكلام وإنه لَمُفَوَّهُ

سعيد الوراق قال : حدثني ابن ثعلبة ، وكان من العابدين ، قال : رأيت ضيغماً في منامي بعد موته فقال لي : يا ابن ثعلبة أما صليت عليَّ ؟ قال : فذكرت علّة كانت ، فقال: أما لو كنت صلّيت عليَّ لقد كنت ربحت رأسك .

٥٥٢ ـ حماد بن سلَمَة

يكنى : أبا سلمة مولى لبني تميم ، وهو ابن أخت حميد الطويل .

عبد الرحمن بن مهدي قال : لو قيل لحماد بن سلمة إنك تموت غداً ما قدر أن يزيد في العمل شيئاً .

مقاتل بن صالح الخراساني قال : دخلت على حماد بن سلمة فإذا ليس في البيت إلا حصير ، وهو جالس عليه ، ومصحف يقرأ فيه ، وجراب فيه علْمه ، ومطهرة يتوضأ منها، فبينما أنا عنده جالس إذ دَقَّ دَاقٌ الباب فقال : يا صبية اخرجي فانظري من هذا؟ فقالت : رسول محمد بن سليمان . . . قال : قولي له يدخل وحده . فدخل فناوله كتاباً فإذا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن سليمان إلى حماد بن سلمة . أما بعد فصبحك الله بما صبح به أولياءه وأهل طاعته . وقعت مسألة فأتنا نسألك عنها والسلام» .

قال : يا صبية هلمّي الدواة . ثم قال لي : اقلب الكتاب واكتب : « أما بعد وأنت فصبحك الله بما صبح به أولياءه وأهل طاعته ، إنا أدركنا العلماء وهم لا يأتون أحداً فإن كانت وقعت مسألة فأتنا واسألْنا عما بدا لك وإن أتيتني فلا تأتني إلاّ وحدك ولا تأتني بخيلك ورجلك فلا أنصحك ، ولا أنصح نفسي والسلام » .

فبينما أنا عنده دقّ داقّ الباب فقال : يا صبية اخرجي فانظري من هذا ؟ فقالت : محمد ابن سليمان . قال : قولي له ليدخل وحده ، فدخل فسلّم ثم جلس بين يديه فقال: ما لي إذا نظرتُ إليك امتلأت رعباً فقال حماد : سمعت ثابتاً البناني يقول : سمعت أنس بن مالك يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله عز وجل

هابه كلّ شيء ، وإذا أراد أن يكتنز به الكنوز هاب من كل شيء » فقال : أربعون ألف درهم تأخذها تستعين بها على ما أنت عليه ؟ قال : قال ارددُها على من ظلمتَه بها . قال : والله ما أعطيتك إلا ما ورثتُه . قال : لا حاجة لي فيها ازْوها عني زوى الله عنك أوزارك . قال : فتقسمها . قال : فلعلى إن عدلت في قسْمتها أن يقول بعض من لم يُرزَق منها لم يَعدِل ، ازوها عني زَوى الله عنك أوزارك .

موسى بن إسماعيل قال : لو قلت لكم إني ما رأيت حماد بن سلمة ضاحكاً قطّ صدقتُكم كان مشغولاً بنفسه ، إما أن يحدّث ، وإما أن يقرأ وإما أن يسبّح ، وإما أن يصلي . كان قد قسّم النهار على هذه الأعمال .

سوّار بن عبد الله قال : حدثنا أبي قال : كنت آتي حماد بن سلمة في سوقه فإذا ربح في ثوب حبة أو حبتين شدّ جُونَته ، فلم يبع شيئاً . فكنت أظن أن ذلك يَقُوته . فإذا وجد قُوته لم يزد عليه شيئاً .

يونس بن محمد قال : مات حماد بن سلمة في المسجد وهو يصلي .

أسند حماد بن سلمة عن خلْق لا يُحْصوْن من التابعين . وتوفي في سنة ثمان وستين ومائة .

أبو عبد الله التميمي عن أبيه قال : رأيت حماد بن سلمة في النوم فقلت : ما فعل بك ربك ؟ قال : خيراً . قلت : وماذا ؟ قال : قيل لي طال ما كدَدْت نفسك فاليوم أُطيل راحتك وراحة المتعوبين في الدنيا ، بخٍ بخٍ ماذا أعددتُ لهم .

٥٥٣ ـ الحسن بن أبي جعفر

أبو سعيد الجُفْري . واسم أبي جعفر عجلان .

أبو عمران التمّار قال : غدوت يوماً قبل الفجر إلى مسجد الجفري فإذا باب المسجد مغلق وإذا حسن جالس يدعو ، وإذا ضجة في المسجد وجماعة يؤمّنون على دعائه وحسن يدعو. قال : فجلست على باب المسجد حتى فرغ من دعائه فقام فأذّن وفُتح باب المسجد فلم أر في المسجد أحداً ، فلما أصبح وتفرّق عنه الناس قلت له : يا أبا سعيد إني والله رأيت عجباً . قال : ما رأيت ؟ فأخبرته بالذي رأيت وسمعت . فقال : أولئك جن من أهل نصيبين يجيئون فيشهدون معي ختم القرآن كلّ ليلة جمعة ثم ينصرفون .

أسند الجفري عن أبي الزبير وثابت البناني وغيرهما . وتوفي سنة ستين وقيل سنة سبع وستين ومائة .

٥٥٤ ـ شداد المجذوم

عن مخلد بن الحسين قال : كان بالبصرة رجل يقال له شدّاد ، أصابه الجُذام فتقطّع

فدخل عليه عُوّاده من أصحاب الحسن فقال : كيف تجدك ؟ قال : بخير : أما إنه ما فاتني جُزئي بالليل ، وقد سقطتُ وما بي إلا أني لا أقدر أن أحضر صلاة الجماعة .

ومن الطبقة السادسة من أهل البصرة

٥٥٥ ـ حماد بن زيد بن درهم

يكنى : أبا إسماعيل .

عبد الرحمن بن مهدي قال : ما رأيت أحداً أعرف بالسنة من حماد بن زيد .

أمية بن بسطام قال : سمعت يزيد بن زريع يقول يوم مات حماد بن زيد : مات اليوم سيد المسلمين .

أسند حماد بن زيد عن خلق كثير من التابعين ، وتوفي لعشر ليالٍ خلون من رمضان سنة تسع وسبعين ومائة . وهو ابن إحدى وثمانين سنة .

٥٥٦ ـ يزيد بن زريع

أبو معاوية العيشي ، من بني عائش وهم من ولد بكر بن وائل .

أبو بكر المروزي قال : سمعت عبد الوهاب يقول : سمعت أبا سليمان الأشقر ، وكفاك بأبي سليمان ، يقول : تنزه يزيد بن زُرَيْع عن خمس مائة ألف من ميراث أبيه فلم يأخذه .

وقال المروزي : وسمعت أمية بن بسطام ابن عم يزيد بن زريع يقول : كان يزيد يعمل الخُوص ، وكان يكون في هذا البيت ، وأشار إلى بيت لطيف في المسجد ، وسمعت أبا الخطاب يذكر أن زريعاً كان والياً .

قال أحمد بن حنبل : يزيد بن زريع كان يعمل الخوص وكان أبوه زريع والي البصرة، ولم يكن يأكل من ماله شيئاً وما أتقنه وما أحفظه ، صدوق متقن .

سمع يزيد من أيوب ومن ابن أبي عروبة وغيرهما . وتوفي بالبصرة سنة اثنتين وثمانين وقيل سنة سبع وسبعين ومائة .

٥٥٧ ـ يحيى بن سعيد (القطان)

يكنى : أبا سعيد . عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : سمعت أبي يقول : حدثني يحيى القطان : وما رأت عيناي مثْله .

سفيان قال : قال علي : كان يحيى يختم القرآن في يوم وليلة ما بين المغرب والعشاء.

يحيى بن معين قال : أقام يحيى بن سعيد عشرين سنة يختم القرآن في كل ليلة ولم يفته الزوال في المسجد أربعين سنة ، وما رُئيَ يطلب جماعة قطّ .

عمرو بن علي قال : قلت ليحيى في مرضه الذي مات فيه ، يُعاقبك الله . فقال : أحبه إليَّ أحبه إلى الله عز وجل .

علي بن عبد الله قال : كنا عند يحيي بن سعيد فقال لرجل : اقرأ . فقرأ ﴿حم﴾ الدخان فلما أخذ في القراءة نظرت إلى يحيى بن سعيد يتغيّر فلما بلغ ﴿ **إنَّ يوْمَ الفَصْلِ ميقاتهم أجْمعين** ﴾ [1] صعق يحيى وغشي عليه وارتفع صدره من الأرض وتقوّص وانقلبَ فأصاب الباب فقار ظهره وسال الدم وصرخ النساء . فخرجنا فوقفنا بالباب حتى أفاق بعد كذا كذا . ثم دخلنا عليه فإذا هو نائم على فراشه وهو يقول : ﴿ **إنَّ يومَ الفَصْلِ ميقاتهم أجمعين**﴾[2] قال علي : فما زالت به تلك القرحة حتى مات رحمه الله.

أسند يحيى بن سعيد عن كبار الأئمة كالأعمش وابن جريج والثوري ومالك وغيرهم . . ، توفي بالبصرة سنة ثمان وتسعين ومائة .

علي بن المديني قال : سنح لي ليلة خالدُ بن الحارث فقلت له : ما فعل بك ربّك ؟ قال: غفر لي ، إن الأمر شديد . قلت : فما فعل يحيى بن سعيد القطان ؟ قال : نراه كما ترون ، الكوكب الدرّي في أفق السماء .

٥٥٨ ـ رياح بن عمرو القيسي

يكنى : أبا المعاصر . يحيى بن راشد قال : حدثني محمد بن الحر بن عبد ربه القيسي، وكان ذا قرابةٍ لرياح ، قال : كنت أدخل عليه المسجد وهو يبكي وأدخل عليه البيت وهو يبكي وآتيه في الجبّان وهو يبكي ، فقلت له يوماً : أنت دَهْرك في مأتم ، فبكى ثم قال : يحق لأهل المصائب والذنوب أن يكونوا هكذا .

معاذ بن عون الضرير قال : كنت أكون قريباً من الجبّان فكان يمرّ بي رياح القيسي بعد المغرب إذا خلت الطريق فكنت أسمعه وهو يتشنج بالبكاء وهو يقول : إلى كم يا ليل يا نهار تَحطّان من أجلي وأنا غافل عم يُراد بي ؟ إنا لله إنّا لله فهو كذلك حتى يغيب عني وجهه .

علي بن الحسين بن أبي مريم قال : قال رياح القيسي : لي نيف وأربعون ذنْباً قد استغفرت لكل ذنب مائة ألف مرة .

عن محمد بن يحيى قال : قال رياح القيسي ، كما لا تنظر الأبصار إلى شعاع الشمس، كذلك لا تنظر قلوب محبي الدنيا إلى نور الحكمة أبداً .

مالك بن ضيغم قال : جاء رياح القيسي يسأل عن أبي بعد العصر فقلنا هو نائم .

---

(١) ، (٢) سورة الدخان آية : ٤٠ .

فقال : أنومٌ في هذه الساعة ؟ أهذا وقت نوم ؟ ثم ولّى منصرفاً . فأتبعناه رسولاً فقلنا : قل له ألا نوقظه لك ؟ قال : فأبطأ علينا الرسول . ثم جاء وقد غربت الشمس فقلنا : أبطأت جداً . فهل قلت له ؟ قال : هو كان أشغل من أن يفهم عني شيئاً ، أدركته وهو يدخل المقابر وهو يعاتب نفسه ويقول : قلت : نوم هذه الساعة ؟ أفكان هذا عليك ؟ ينام الرجل متى شاء . وقلت : هذا وقت نوم ؟ وما يُدريك أن هذا ليس بوقت نوم ؟ تسألين عما لا يعنيك وتتكلمين بما لا يعنيك ، أما إن لله عليَّ عهداً لا أنقضه أبداً ألا أوسّدك الأرض لنوم حَوْلاً إلا لمرض حائل أو لذهاب عقلٍ زائل ، سَوْءَةَ لكِ سَوْءَةً لك ، أما تستحْيين ؟ كم تُوبّخين وعن غيّك لا تنتهين .

قال وجعل يبكي وهو لا يشعر بمكاني ، فلما رأيت ذلك انصرفت وتركته .

محمد بن عبد الله قال : صليت مع رياح القيسي الظّهر ، فصليت إلى جانبه فجعلتْ دموعه تقع على البواري مثل الوكف : طَقْ طَقْ . قال وكان رياح ربما أخذ حفنة من تراب ثم يضعها على البوريّ ويسجد عليها ، وربما وُجد رياح في بعض السكك ، وقد غُشي عليه فيُحْمَل إلى أهله مغشياً عليه .

محمد بن مسعر قال : كان لرياح القيسي غلٌّ من حديد قد اتّخذه وكان إذا جنّه الليل وضعه في عنقه وجعل يتضرع ويبكي حتى يصبح .

عثمان قال : أخبرتني مُخَّة وكانت إحدى العوابد قالت : رأيت رياح بن عمرو القيسي ليلة خلف المقام فذهبتُ فقمتُ خلفه حتى أزحفتُ ثم اضطجعتُ وهو قائم ، وأنا أنظر إليه، فقلت بصوت حزين : سبقني العابدون وبقيت وحدي ، والهف نفساه ، فإذا رياح قد شهق وانكبّ على وجهه مغشياً عليه . فامتلأ فمه رملاً ، فما زال كذلك حتى أصبحنا ثم أفاق .

الحارث بن سعيد قال : أخذ بيدي رياح فقال : هلمّ يا أبا محمد حتى نبكي على مَرّ الساعات ونحن على هذه الحال . قال وخرجت معه إلى المقابر ، فلما نظر إلى القبور صرخ ثم خرّ مغشياً عليه ، قال : فجلست والله عند رأسه أبكي فأفاق فقال : ما يبكيك؟ قلت : لما أرى بك . قال : لنفسك فابك . ثم قال : وانفْساه ، وانفساه ، ثم غشي عليه .

قال : فرحمتُه والله مما نزل به فلم أزل عند رأسه حتى أفاق فوثب وهو يقول : ﴿**تلك إذاً كرّةٌ خاسرة ـ تلك إذاً كرةٌ خاسرةٌ**﴾ [1] ومضى على وجهه وأنا أتبعه لا يكلمني حتى

---

(١) سورة النازعات آية : ١٢ والآية بدون تكرار .

انتهى إلى منزله فدخل وأصفق بابه ورجعت إلى أهلي ولم يلبث بعد ذلك إلا يسيراً حتى مات .

أسند رياح عن حسان بن أبي سنان وغيره .

٥٥٩ ـ عتبة الغلام وهو عتبة بن أبان بن صمعة

وإنما سمي بالغلام لجدّه واجتهاده لِصَغر سنه . وكان يفتل الشّريط .

سوار أبو عبيدة قال : بكى عتبة الغلام في مجلس عبد الواحد بن زيد تسع سنين لا يفترُ بكاءً من حين يبتدئ عبد الواحد في الموعظة إلى أن يقوم لا يكاد يسكت عتبة . فقيل لعبد الواحد إنّا لا نفهم كلامك من بكاء عتبة . قال : فأصنع ماذا ؟ يبكي عتبة على نفسه وأنهاه أنا لبئس واعظُ قومٍ أنا .

سليم الحنيف قال : رمقتُ عتبة ذات ليلة بساحل البحر فما زاد ليلته تلك حتى أصبح على هذه الكلمات وهو قائم يقول : إن تُعذبني فإني لك محب وإن ترحمني فإني لك محب ، فلم يزل يرددها ويبكي حتى طلع الفجر .

أبو توبة قال : كان عتبة الغلام يأكل خبزاً وملحاً ويقول : العرس في الدار الأخرى .

عبد الله بن الفرج العابد قال : كان عتبة يعجن دقيقه ويجفّفه في الشمس ثم يأكله ويقول : كِسْرة ومِلْح حتى نهنأ في الدار الأخرى الشّواءَ والطعام الطيب .

سلمة الفراء قال : كان عتبة الغلام من نسّاك أهل البصرة وكان من أصحاب الفلق . وكان قد قوّت لنفسه ستّين فلْقة يتعشى كل ليلة بفلقة ويتسحّر بأخرى وكان يصوم الدهر ويأتي السواحل والجبابين .

عن مخلد بن الحسين قال : كان عتبة يجالسنا فقال لنا يوماً : إنه لا يُعجبني رجل لا يكون في يده حرفة . فقلنا : ما نراك تحترف . فقال : بلى رأس مالي طَسّوج أشتري به خُوصاً أعمله وأبيعه بثلاثة طساسيج فطسّوجٌ رأسُ مالي وقيراط خُبزي .

أبو عمر الضرير قال : سمعت رياحاً القيسي يقول : قال لي عتبة : يا رياح إن كنتُ كلّما دَعَتْني نفسي إلى الكلام تكلّمْتُ فبئس الناظر لها أنا . يا رياح إن لي موقفاً تغتبط فيه بطول الصمت عن الفضول .

مسلمة بن عرفجة العنبري قال : سمعت عنبسة الخوّاص يقول : كان عتبة الغلام يزورني فربّما بات عندي . قال ذات ليلة فبكى من السحر بكاءاً شديداً فلما أصبح قلت له : قد فزّعت قلبي الليلة ببكائك . فممّ ذاك يا أخي ؟ قال : يا عنبسة إني والله ذكرت يوم العرْض على الله . ثم مال ليسقط فاحتضنته فجعلت أنظر إلى عينيه تتقلّبان قد اشتدت حمرتُهما .

قال : ثم أزبد وجعل يخور فناديته : عُتبة عُتبة ! فأجابني بصوت خفيّ : قطَع ذكْر يوم العرض على الله أوصال المحبيّن .

قال : ثم جعل يُحَشْرج بالبكاء ويردّد حشرجة الموت ويقول : تراك مولاي تعذّب محبيّك وأنت الحيّ الكريم ؟ قال : فلم يزل يردّدها حتى والله أبكاني .

داود بن المحبر قال : سمعت عبد الواحد بن زيد يقول : ربما سهرت مفكراً في طول حزن عتبة ، وقد كلّمته ليرفق بنفسه فبكى وقال : إنما أبكي على تقصيري .

الخليل بن عمرو البكري قال : سمعت مهدي بن ميمون يقول : خرجت في بعض الليالي إلى الجبّان فإذا عتبة الغلام ، فقال لي جئت ؟ قد دعوت الله أن يجيء بك . قلت: أطعْمنا رُطباً . قال : فدعا فإذا دَوْخَلَة [1] رُطَبٍ بين أيدينا فأكلنا منه .

زيدان قال : قال عتبة الغلام : كابدتُ الصلاة عشرين سنة وتنعمت بها عشرين سنة.

عبد الله بن مبشر قال : دعا عتبة الغلامُ ربه أن يهب له ثلاث خصال في دار الدنيا : دعا الله أن يمنّ عليه بصوت حزين ، ودمع غزير ، وغذاءٍ من غير تكلّف .

قال : فكان إذا قرأ بكى وأبكى ، وكانت دموعه جاريةً دهْرَه ، وكان يأوي إلى منزله فيصيب قُوته لا يَدْري من أين يأتيه .

الحسن بن دعامة قال : رأيت عتبة الغلام إذا استحسن الطير دعاه فيجيء حتى يسقط على فخذه فيمسّه ثم يُسَيّبه فيطير .

عن عبد الواحد بن زيد قال : انطلقت أنا وعتبة الغلام في حاجة حتى إذا كنا برحبة القصابين جعلت أنظر إلى عتبة يعرّق عرقاً شديداً حتى رَشح وذلك في يوم شاتٍ شديد البرد فقلت : عتبةُ ترشح عرقاً في مثل هذا اليوم الشديد البرد ؟ فسكت ولم يخبرني فقلت: بالذي بيني وبينك ، ولم أزل به ، فقال : ذكرت ذنباً أذْنبْته في هذا الموضع .

إبراهيم بن عبد الرحمن بن مهدي قال : سألت يوسف بن عطية فقلت له : ما كان لباس عتبة ؟ قال : كان يلبس كساءَيْنِ يأتَزِر بواحد ويرتدي بآخر ، إذا رأيته قلت بعضُ الأكَرَة .

قال إبراهيم : كان عتبة عربياً شريفاً من عوذ .

قال إبراهيم : وحدثني مضر قال : قال رجل لعبد الواحد بن زيد ، تعلم أحداً يمشي

---

(١) الدوخلة : وعاء من خوص يوضع فيه التمر .

في الطريق مشتغلاً بنفسه ؟ قال : ما أعرف إلا رجلاً واحداً الساعة يدخل عليكم . فدخل عتبة . قال : وطريقه على السوق فقال له : يا عتبة من تنقّاك في الطريق ؟ قال : ما رأيت أحداً .

قال عبد الواحد : وكان عتبة يسجد السجدة الطويلة على الحصا يوم الجمعة فما أراه يعقل بِحَرّه .

أحمد بن زهير المروزي قال : ركب عتبة في زورق مع قوم فأراد الملاح أن يعدل ببعضهم السفينة فلم يجد أحداً منهم أحقر في عينيه من عتبة . فضرب جنبه فقال : اسْتَوِ فقال عتبة : الحمد لله الذي لم ير فيهم أحقرَ في عينه مني .

أبو عبد الله الشحام قال : كان عتبة يبيت عندي . فقلت له : ما كانت عبادتُه ؟ قال: كان يستقبل القبلة فلا يزال في فكْر وبكاء حتى يُصبح ، وربما جاءني مساءً فيقول : أخرجْ إليّ شربةً من ماء وتمرات أفطر عليها فيكون لك مثْل أجْري .

عبد الخالق العبدي قال : كان لعتبة بيت يتعبد فيه فلما خرج إلى الشام أقفله وقال : لا تفتحوه إلى أن يبلغكم موْتي ، فلما بلغهم قتله فتحوه فأصابوا فيه قبراً محفوراً وغُلاّ حديدياً .

اشتغل عتبة بالعبادة عن الرواية وقُتل شهيداً في بعض الغزوات .

قدامة بن أيوب ، وكان من أصحاب عتبة ، قال : رأيت عتبة الغلام في المنام فقلت : ما صنع الله بك ؟ قال : يا قدامة دخلت الجنة بتلك الدعوات المكتوبة في بيتك ، فلما أصبحت أتيت إلى بيتي فإذا خطّ عتبة في الحائط مكتوب : يا هادي المضلّين وراحم المذنبين ومُقيلَ عثرات العاثرين ، ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلّهم أجمعين ، واجعلنا مع الأحياء المرزوقين ، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين آمين ربَّ العالمين .

٥٦٠ ـ بشر بن منصور السليمي

العباس بن الوليد قال : أتينا بشْر بن منصور بعد العصر فخرج إلينا وكأنه متغيرّ . فقلت له : يا أبا محمد لعلنا شغلناك عن شيء ؟ فردّ رداً ضعيفاً ثم قال : ما أكْتمكم ، أو كلمة نحوها ، كنت أقرأ في المصحف فشغلْتموني . ثم قال : ما أكاد ألقى أحداً فأربح عليه شيئاً .

غسان بن المفضل قال : كان بشر بن منصور من الذين إذا رُؤوا ذُكر الله وإذا رأيت

وجهه ذكرت الآخرة ، رجل منبسط [1] ليس بمتماوت ذكيٌّ فقيه ، وكان بشر رجلاً من العرب وعلّم بنيه عمل الخوص .

أسيد بن جعفر ابن أخي بشر بن منصور قال : ما رأيت عمّي بشر بن منصور فاتته التكبيرة الأولى قطّ ولا رأيته قام في مسجدنا سائل قطّ فلم يُعط شيئاً إلا أعطاه .

زهير السجستاني قال : سمعت بشر بن منصور يقول : ما جلست إلى أحد ولا جلس إليَّ فقمت من عنده أو قام من عندي إلا علمت أني لو لم أقعد إليه أو يقعدْ إليَّ كان خيراً لي .

عبد الخالق أبو همام الزهراني قال : قال بشر بن منصور لرجل : أقللْ من معرفة الناس فإنك لا تدري ما يكون ، فإن كان شيء ، يعني فضيحة في القيامة ، كان من يعرفك قليلاً .

قال علي بن المديني : بلغني عن عبد الرحمن بن مهدي قال : قال بشر بن منصور : إني لأذكر الشيء من أمر الدنيا أُلْهي به نفسي عن ذكْر الآخرة أخاف على عقْلي .

عن ابن عيينة قال : قال رجل لبشر بن منصور : عظْني ، قال : عسكرُ الموتى ينتظرونك .

عبيس بن مرحوم قال : حدثتني عبدة بنت أبي شوال قالت : رأيت رابعة . في المنام فقلت : ما فعل ضيغم ؟ قالت : يزور الله عز وجل متى شاء . فقلت : ما فعل بشر ابن منصور ؟ قالت : بخٍ بَخٍ أُعطِيَ والله فوق ما كان يأمل .

أسند بشر عن الثوري وغيره .

٥٦١ ـ عبد العزيز بن سلمان[2]

ويكنى : أبا محمد . أبو طارق التبّان قال : كان عبد العزيز بن سلمان إذا ذكر القيامة والموت صرخ كما تصرخ الثكْلى ويصرخ الخائفون من جوانب المسجد . قال : وربما رُفع الميتُ والميّتان من جوانب مجلسه .

مسمع بن عاصم قال : بت أنا وعبد العزيز بن سلمان وكلاب بن جُرَيّ وسلمان الأعرج على ساحل من بعض السواحل فبكى حتى خشيت أن يموت ، ثم بكى عبد العزيز لبكائه . ثم بكى سلمان لبكائهما . وبكيت والله لبكائهم لا أدري ما أبكاهم .

---

(١) آى ممدود القامة ، وانظر : الحلية (٦/ ٢٣٩) ، وسير الأعلام (٨/ ٣٥٩) .
(٢) الحلية (٦/ ٢٤٣) .

فلما كان بعدُ سألت عبد العزيز فقلت : أبا محمد ما الذي أبكاك ليلتك ؟ قال : إني نظرت والله إلى أمواج البحر تموج فذكرت أطباق النيران وزفراتها فذاك الذي أبكاني . ثم سألت كلاباً وسلمان فقالا لي نحواً من ذلك .

قال مسمع : ما كان في القوم شرٌّ مني ، ما كان بكائي إلا لبكائهم رحمةً لما يصنعون بأنفسهم .

عن محمد بن عبد العزيز بن سلمان قال : كان أبي إذا قام من الليل ليتهجد سمعت في الدار جلبةً شديدة واستسقاء للماء الكثير . قال فنرى أن الجن كانوا يستيقظون للتهجّد فيصلون معه .

محمد بن عبد العزيز سلمان العابد البصري قال : سمعت دهشماً ، وكان من العابدين، يقول : اليوم الذي كنتُ لا آتي فيه عبد العزيز كنتُ مغبوناً فأبطأت عليه ذات يوم ثم أتيته فقال : ما الذي أبطأ بك ؟ قلت : خير . قال : على حال . قلت : شغلنا العيال ، كنت ألتمس لهم شيئاً . قال : فوجدته لهم ؟ قلت : لا . قال : هلم فلندْعُ ، قال : فدعا وأمّنْتُ ودعوتُ وأمّن . ثم نهضنا لنقُوم فإذا والله الدنانير والدراهم تتناثر في حجورنا . فقال : دونكها ومضى ولم يلتفت إليَّ .

قال : فأخذتُها فإذا مائة دينار ومائة درهم . قال محمد : فقلت له : ما صنعت بها ؟ قال : احتبست قُوت عيالي جُمعةً حتى لا يشغلني عن عبادته وشُكره وخدْمته فِكْرٌ في شيء من عرض الدنيا ، ثم أمضيتها والله في سبيل الله .

قال محمد : يحقَّ والله أن يُرْزقُوا بغير حساب .

أحمد بن أبي الحواري قال : أنبأنا عبد العزيز بن عمير قال : قيل لعبد العزيز الراسبي ، وكانت رابعة تسميه سيد العابدين ، ما بقي مما تلذ به ؟ قال : سرداب أخلو به فيه .

محمد بن عبد العزيز بن سلمان قال : حدّثْتني أمي قالت : قال أبوك : ما للعابدين وما للنوم ؟ لا نوم والله في دار الدنيا إلا نومٌ غالب . قال : فكان والله لا يكاد ينام إلا مغلوباً .

محمد بن الحسين قال : حدثني محمد بن عبد العزيز بن سلمان قال : حدثني واقد الصفار قال : دعا عبد العزيز بن سلمان يوماً لِمُقْعَد كان في مجلسه وأمّن إخوانه ، قال: فوالله ما انصرف المقعد إلى أهله إلا ماشياً على رجليه .

٥٦٢ ـ مُطَهّر السعدى

عبد العزيز بن سلمان العابد ، وكان يرى الآيات والأعاجيب ، قال : حدثني مُطهّر

السعدي ، وكان قد بكى شوقاً إلى الله تعالى ستين عاماً ، قال : أُريت كأني على ضفة نهر يجري بالمسك الأذفر ، حافتاه شجر لؤلؤ وقضبان الذهب ، فإذا أنا بجوارٍ مزينات يقلن بصوت واحد : سبحان المسبَّح بكلّ لسان ، سبحانه ، سبحان الموجود بكل مكان ، سبحانه ، سبحان الدائم في كل الأزمان ، سبحانه .

قال : فقلت : من أنتن ؟ فقلن : خلقٌ من خلق الرحمن سبحانه فقلت : ما تصنعن هاهنا فقلن :

ذَرانا إلهُ النـــاس ربَّ محـــــمدٍ ... لقومٍ على الأطـــراف بالليل قُوَّمُ

يناجـــون ربَّ العاليـــن إلهَهُمْ ... فَتَسري هموم الدنيا والنـاس نُوَّمُ

قال : فقلت : بَخٍ بَخٍ لهؤلاء ، من هؤلاء ؟ لقد أقرّ الله أعينهم بكنّ ، فقلن : أو ما تعرفُهم ؟ قلت : لا والله ما أعرفهم . قلن : بلى هؤلاء المتهجّدون أصحاب القرآن والسهر .

٥٦٣ ـ كلاب بن جُرَيّ

حكيم بن جعفر قال : كان مسمع يحدّثني بحالات كلاب بن جريّ فأسمع شيئاً ما كنت أرى أن يكون في هذه الأمة مثله ، من شدة الخوف وطرب الشوق ، فقلت له : يا أبا سيار فكيف كان ليله قال : شهدته ليلة في بعض السواحل وهو يصرخ من أول الليل إلى آخره . فلما كان بعد ذلك قلت له : رحمك الله لقد أويت لك من طول ما كنت فيه ليلتك . قال : فبكى ثم قال : يا أبا سيار فبمن أستغيث إذاً ؟ قال : فأبكاني والله .

٥٦٤ ـ عبد الله بن ثعلبة الحنفي(١)

محمد بن علي الهاشمي قال : قال عبد الله بن ثعلبة يحفظك بأحراسه فإذا أصبحت غدوت على معاصيه خلافاً له ؟ فإذا أمسيت أعاد حراسه عليك لا يمنعه ما كان منك .

يوسف بن أبي عبد الله قال : سمعت عبد الله بن ثعلبة يقول : تضحك ؟ ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصّار .

عن حامد بن عمروٍ البكراوي قال : سمعت عبد الله بن ثعلبة يقول لسفيان بن عيينة : يا أبا محمد واحزناً على الحزن . فقال سفيان : هل حزنت قطّ لعلم الله فيك ، فقال عبد الله : آهٍ آهٍ تركتني لا أفرح أبداً .

---

(١) المصدر السابق (٦/ ٢٤٥) .

أبو الحسن البصري قال : أنا أبو عروة ، وكان جاراً لعبد الله بن ثعلبة الحنفي حتى انمحق خدّاه من الدموع ، وكان يقول :

لكـل أناسٍ مَقْبَـرٌ بفـنائهـم — فهـم ينقصـون والقبورُ تزيد
وما إن تزال دار حيّ قد أخرجت — وبيتٌ لميْـتٍ بالفـناء جديدُ
فهـم جيرةُ الأموات أمّا مزارُهم — فَدانٍ وأما الملتقـى فـبعيدُ

ولا نعرف لعبد الله مسنداً .

٥٦٥ ـ ناشرة بن سعيد الحنفى(١)

مسمع بن عاصم قال : انطلقت أنا وعبد العزيز بن سلمان إلى ناشرة بن سعيد الحنفي؛ وكان قد بكى حتى أظلمت عيناه ، فاستأذنّا عليه فأذن لنا فدخلنا فسلّم عليه عبد العزيز ، فقال له ناشرة : أبو محمد ؟ قال : نعم قال : ما جاء بك ؟ قال : نبكي معك على ما تقدّم من سالف الذنوب . قال : فشهق شهقةً خرّ مغشياً عليه ، وجلس عبد العزيز يبكي عند رأسه .

قال : وتنادى أهله فجعلوا يبكون حوله وهو صريع بينهم . فلما رأيت البكاء قد كثُر انسللتُ فخرجت .

ومن الطبقة السابعة من أهل البصرة

٥٦٦ ـ عبد الرحمن بن مهدى يكنى أبا سعيد العنبرى(٢)

ويقال : هو مولى للأزد . ولد في سنة خمسٍ وثلاثين ومائة .

علي بن الْمديني قال : كان عبد الرحمن بن مَهْدي يختم (٣) في كل ليلتين ، وكان وِرْدُه في كل ليلةٍ نصف القرآن .

هارون بن سفيان قال : سمعت عُبَيْد الله بن عُمرَ الْقَوَارِيرِي يقول : أَمْلَى عليَّ عبدُ الرحمن بنُ مَهْدي عشرين ألف حديثٍ حِفْظًا .

عبد الرحمن بن عمر قال : سمعت عبد الرحمن بن مَهْدي يقول : كان يقال إذا لقي الرجل من فَوْقَه في العلم : كان يوم غنيمة ، وإذا لقيَ من هو مثلُه دَارَسَهُ وتعلَّم منه ، وإذا لقي من هو دونه تواضع له وعلَّمه . ولا يكون إماماً في العلم من يُحدِّث بكلٍّ ما

---

(١) الحلية (٦/ ٢٤٥) . (٢) المصدر السابق (٩/ ٣) .

(٣) يعني القرآن ، وغالبا ما يكون في صلاة الليل ، وهو الذي كان يفعله السلف الصالح رحمة الله عليهم أجمعين .

سمع ولا يكون إماماً في العلم من يُحدِّث عن كل أحدٍ ، ولا يكون إماماً في العلم من يحدث بالشَّاذِّ من العلم والحِفْظ والإتقان .

قال : وسمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول : لوْلا إني أكْرهُ أنْ يُعصى الله تمنَّيت أنْ لا يَبْقَى في هذا المِصْر أحدٌ إلا وقعَ فيَّ واغْتابني ، فأي شيءٍ أهْنأُ من حسنةٍ يجدها الرجل في صحيفته يوم القِيامة لم يعملها ولم يعلم بها .

وسمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول ، وأراد أن يبيع أرضاً له فقال الدَّلال : أعطيت بالجريب [1] خمسين ومائتي دينار ولكن نظر إلى أرضٍ خرابٍ ونخل بادية العروق ، فلو كانت مسمَّدة رجوت أن أبيع الجريب بفضل خمسين ديناراً وهذا كثيرا أربعة آلاف دينار أذهب أنا وغلامك حتى نُسمِّدها [2] ونبيعها . فغضب وقال : أربعة آلاف دينار ؟ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ **لا يسْتَوي الْخَبيثُ والطَّيِّبُ ولوْ أعْجَبَكَ كثْرةُ الْخبيثِ فاتَّقُوا الله يا أُولي الألْباب** ﴾ [3] لا ولا كذا . أظنه قال : ولا مائة ألف.

قال عبد الرحمن بن عمر : وحدثني يحيى بن عبد الرحمن بن مهدي أن أباه كان يُحْيي الليل كلَّه .

قال عبد الرحمن بن عُمَر : وسمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول : والله لا تجد فقد شيء تركته ابْتغاءَ وجه الله ، كنتُ أنا وأخي شريكين فأصبْنا مالاً كثيراً فدخل قلبي من ذلك شيء فتركتُه لله وخرجتُ منه فما خرجت من الدنيا حتى ردَّ الله عليَّ ذلك المال عامَّته إليَّ وإلى ولدي ، زوَّج أخي ثلاث بنات من بنيَّ وزوجتُ ابنتي من ابْنه ، ومات أخي فَوَرِثَهُ أبي ، ومات أبي فورِثْتُهُ أنا ، فرجع ذَلك كلّه إليَّ وإلى وَلَدي في الدنيا .

أسند عبد الرحمن عن الأئمة كمالك بن أنس ، والثَّوْري ، وشُعْبة والحمَّادَيْن ، وقد أدْرك جماعة من التَّابعين منهم : جَرِيرُ بن حازم ، والمُثَنَّى بن سعيد ، وصالح بن دِرْهم. وتُوفي بالبَصْرة في جُمادى الآخِرَة سنة ثمانٍ وتسعين ومائة ، وهو ابن ثلاثٍ وستين سنة .

٥٦٧ ـ عفان بن مسلم (أبو عثمان الصفارّ)
جمع بين العلم والتقى

صالح بن أحمد بن عبد الله العِجْلي قال : ثنا أبي قال : عفان بن مسلم بصريّ ثقة

(١) الجريب : المزرعة .
(٢) سمد الأرض : جعل فيها السماد وغيره من المخصبات ليجود زرعها .
(٣) سورة المائدة آية : ١٠٠ .

ثبت ، صاحب سنّة ، جُعل له عشرة آلاف دينار على أن يقفَ عن تَعْديل رَجُلٍ ولا يقول: عَدْل ولا غَيْر عَدْل . فأبى وقال : لا أُبْطِلُ حقا من الحقوق .

حَنْبل بن إسحاق قال : سمعت عفان يقول : دعاني إسحاقُ بن إبراهيم فقرأ عليَّ الكتاب الذي كَتَبَ به المأمون وإذا فيه : امتحنْ عفَّان وادْعُه إلى أن يقول : القرآنُ كَذَا وكذَا. فإن قال ذلك فَقرَّه على أمْره وإن لم يُجِبْك فَاقْطَع عنه الذي يُجرى عليه وكان يُجرى عليه خمسمائة درهم كل شهر .

قال عفان : فقال لي : ما تقول ؟ قرأت ﴿ قل هو الله أحد ﴾ [1] حتى خَتَمْتها وقلت : مخلوقٌ هذا ؟ فقال : إن أمير المؤمنين يقول إنْ لم تُجِبْه يُقطَع عنك ما يُجرى عليك فقلت يقول الله تعالى: ﴿ وفي السَّماء رزْقُكم وما تُوعدون﴾ [2] فسكت عني، فانْصَرفْتُ.

أسند عفان عن جماعة من الأئمة كشُعْبة والحمَّادَيْن . وتُوُفِّي ببغداد في سنة عشرين ومائتين، وقيل تسع عشرة ، وله خمس وثمانون سنة .

٥٦٨ ـ زهير بن نعيم البانى يكنى أبا عبد الرحمن[3]

أحمد بن عصام قال : قال زُهير بن نُعيم : إن هذا الأمر لا يتم إلاَّ بشيئين : الصبَّر واليقين ، فإنْ كان يقينٌ ولم يكُنْ معه صبْرٌ لم يتمَّ، وإنْ كان صبْرٌ ولم يكن معه يقينٌ لم يتم ، وقد ضرب لهما أبو الدرداء مثلاً فقال : مَثَلُ فَدَّادَيْن يحفران الأرض فإذا جلس واحد جلَسَ الآخرُ .

قال أحمد بن عصام : وسمعت خالي عبد العزيز بن يوسف يقول : أردتُ الخروج من البصرة فبدأت بيحيى بن سعيد فودّعته ثم ودّعت عبد الرحمن بن مهدي ، ثم ودعت زُهيراً فقلت : هل من حاجة ؟ فقال : نعم إلا أنها مهمة . قال : ففرحت فقال : اتق الله ، فوالله لأن يتقيهُ عبدٌ أحبُّ إليَّ من أن تتحول لي هذه السواري كلها ذهباً .

عبد الرحمن بن عمر قال : انتهى إلينا يوماً رجلٌ من هؤلاء الخبثاء القدريَّة فقال له : يا أبا عبد الرحمن بلغني أنك رجل زِنْديق [4] . فقال له زهير : أما زنديق فلا ، ولكني رجل سوء .

عبد الله بن عبد الغفار الكَرْماني قال : سمعت زهير بن نُعَيْم البانيَّ يقول : لَودِدْتُ أنّ جسدي قُرض بالمقاريض وأن هذا الخلق أطاع الله .

---

(١) سورة الإخلاص . (٢) سورة الذاريات آية : ٢٢ . (٣) الحلية (١٠/ ١٤٧) .

(٤) الزندقة : القول بأزلية العالم ، وأطلق على الزردشتية والمانوية وغيرهم من الثنوية الذين جعلوا إلهين : إله للخير وإله للشر ، إله للنور وإله للظلمة .... وهكذا ... ثم توسع فى لفظ الزندقة فأطلق على كل شاك أو ضال أو ملحد فى الدين .

عبد الله بن عبد الغفار الكرماني قال : دخلت على زهير بن نُعيم الباني وقد سقط من سطح ، وقد تهشَّم وجهُه ، وهو مكفوف فقلت : يا أبا عبد الرحمن كيف خبرك قال : هو ذا تراني كيف أنا وهي الدنيا فليجهد جهْدها .

محمد بن يونس بن موسى قال : سمعت زهير بن نُعيم الباني . وقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن تُوصي بشيء ؟ قال : نعم احذر أن يأخذك الله وأنت على غفلة .

٥٦٩ ـ أبو عبد الله الحربي الزاهد

إبراهيم بن شبيب بن شيبة قال : كنا نتجالس في الجمعة فأتى رجل عليه ثوب واحد مُلْتحف به فجلس إلينا فألقى مسألة فما زلنا نتكلم في الفقه حتى انصرفْنا . ثم جاءنا في الجمعة المقبلة فأحببْناه وسألناه عن منزله فقال : أنزل « الحَرْبيَّة » (١) فسألناه عن كُنيته فقال: أبو عبد الله فرغبنا في مجالسته ورأينا مجلسنا مجلس فقه .

فمكثنا بذلك زماناً ثم انقطع عنا فقال بعضنا لبعض : ما حالنا ؟ قد كان مجلسنا عامراً بأبي عبد الله وقد صار موحشاً فوعد بعضنا بعضاً إذا أصبحنا أن نأتي الحربية فنسأل عنه . فأتينا الحربية وكنا عدداً فجعلنا نستحي أن نسأل عن أبي عبد الله فنظرنا إلى صبيان قد انصرفوا من الكتَّاب فقلنا : أبو عبد الله . فقالوا : لعلكم تعنون الصيّاد ؟ قلنا نعم . قالوا هذا وقتُه الآن يجيءُ . فقعدنا ننتظره فإذا هو قد أقبل مؤتزراً بخرقة وعلى كتفه خرقة ومعه أطيارٌ مذبَّحة وأطيار أحياء . فلما رآنا تبسم إلينا وقال : ما جاء بكم ؟ فقلنا : فقدْناك وقد كنت غمرت مجلسنا فما غيّبك عنا ؟ قال : إذا أصْدُقكم :

كان لنا جار كنت أستعير منه كلّ يوم ذاك الثوب الذي كنت آتيكم فيه وكان غريباً فخرج إلى وطنه فلم يكن لي ثوب آتيكم فيه هل لكم أن تدخلوا المنزل فتأكلوا مما رزق الله عز وجل ؟ فقال بعضنا لبعض : ادخلوا منزله فجاء إلى الباب فسلم ثم صبر قليلاً ثم دخل فأذن لنا فدخلنا فإذا هو قد أتى بقطع من البواري فبسطها لنا فقعدنا فدخل إلى المرأة فسلم إليها الأطيار المذبَّحة وأخذ الأطيار الأحياء ثم قال : أنا آتيكم إن شاء الله عن قريب فأتى السوق فباعها واشترى خبزاً فجاء وقد صنعت المرأةُ ذلك الطير وهيأته فقدم إلينا خبزاً ولحم طير فأكلنا فجعل يقوم فيأتينا بالملح والماء فكلما قام قال بعضنا لبعض : رأيتم مثل هذا ؟ ألا تغيّرون أمره وأنتم سادة أهل البصرة ؟ فقال أحدهم : عليّ خمسمائة . وقال الآخر : عليّ ثلثمائة . وقال هذا وقال هذا . وضمن بعضهم أن يأخذ له غيره . فبلغ الذي جمعوا في الحساب خمسة آلاف درهم فقالوا: قوموا بنا نذهب فنأتيه بهذا

(١) الحربية : حي كبير من أحياء بغداد .

ونسأله أن يغيِّر بعض ما هو فيه . فقمنا فانصرفنا على حالنا رُكباناً فمررنا بالمربد (١) فإذا محمد بن سليمان أمير البصرة قاعد في منظرة له فقال : يا غلام ائتني بإبراهيم بن شبيب ابن شيبة من بين القوم . فجئتُ فدخلت عليه فسألني عن قصّتنا ومن أين أقبلنا فصدقته الحديث فقال : أنا أسبقُكم إلى بره ، يا غلام ائتني ببَدْرة دراهم فجاء بها فقال: ائتني بغلام فرّاش فجاء فقال : احمل هذه البدرة (٢) مع هذا الرجل حتى تدفعها إلى من أمرناه.

ففرحت ثم قمت مسرعاً فلما أتيت الباب سلّمت فأجابني أبو عبد الله ثم خرج إليّ فلما رأى الفرّاش والبدرْة على عُنقه كأني سَفَيْتُ في وجهه الرماد وأقبل عليّ بغير الوجه الأول فقال : ما لي ولك يا هذا ؟ أتريد أن تفتنني ؟ فقلت : يا عبد الله اقعد حتى أخبرك أنه من القصة كذا وكذا ، وهو الذي تعلم أحد الجبارين ، يعني محمد بن سليمان، ولو كان أمرني أن أضعها حيث أرى لرجعت إليه فأخبرته أني قد وضعتها . فالله الله في نفسك . فازداد عليّ غيظاً وقام فدخل منزله وأصفق الباب في وجهي ، فجعلت أقدّم وأؤخّر ما أدري ما أقول للأمير . ثم لم أجد بدًّا من الصدق فجئت فأخبرته الخبر فقال : حروريٌّ والله (٣) ، يا غلامُ عليّ بالسيف . فجاء بالسيف فقال له : خذ بيد هذا الغلام حتى يذهب بك إلى هذا الرجل فإذا أخرجه إليك فاضرب عنقه وائتني برأسه. قال إبراهيم : فقلت أصلح الله الأمير ، والله الله ، فوالله لقد رأينا رجلاً ما هو

---

(١) المربد : سوق شهير في البصرة .

(٢) البدرة : كيس يوضع فيه مقدار من المال يقدم في العطايا ، ويختلف مقدار ما فيه باختلاف العهود .

(٣) الحرورية : لقب يطلق على الخوارج – نسبة إلى المكان الذى نزلوا فيه أول أمرهم وهي قرية «حروراء» بظاهر الكوفة ، وبها كان أول تحكيمهم واجتماعهم حين خالفوا علياً – رضى الله عنه – ، ولهم ألقاب أخرى ، ولكن غلب هذا عليهم كلقب الخوارج . والذى صار يطلق على كل من خلع طاعة الإمام الحق وأعلن عصيانه وألب عليه .

كذلك « الحرورى » صار يطلق على كل متشدد فى الدين ، وفي حديث البخارى برقم (٣٢١) عن معاذة أن امرأة قالت لعائشة : أتجزى إحدانا صلاتها إذا طهرت ؟ فقالت عائشة – رضى الله عنها – : «أحرورية أنت ؟! كنا نحيض مع النبى ﷺ فلا يأمرنا به – أو قالت : فلا نفعله » .

قال السيوطى : « أحرورية » : نسبة إلى « حروراء » بلد على ميلين من الكوفة – وأصل النسبة إليها « حروراوي » ؛ فقيل : « حرورى » بحذف الزوائد ، وهو اسم يقال لمن يعتقد مذهب الخوارج لأن أول فرقة منهم خرجوا على علي بالبلد المذكور فاشتهروا بالنسبة إليها .

ومن أصولهم المتفق عليها عندهم : الأخذ بما يدل عليه القرآن ، ورد ما زاد عليه من الحديث مطلقاً. ا.هـ (التوشيح على الصحيح ، حديث رقم / ٣٢١) وانظر : (مقالات الإسلاميين : ١/ ٢٠٥ ، والملل والنحل للشهرستاني : ١/ ١١٤) .

من الخوارج ولكني أذهب فآتيك به وما أريد بذلك إلا افتداء منه . قال فضمنته فمضيت حتى أتيت الباب فسلّمت فإذا المرأة تحن وتبكي ، ثم فتحت الباب وتوارت فأذنت لي فدخلت فقالت : ما شأنكم وشأن أبي عبد الله ؟ فقلت : ما حاله ؟ قالت : دخل فمال إلى الرَّكى فنزع منها ماء فتوضأ ثم سمعته يقول : اللهم اقبضني إليك ولا تفتني . ثم تمدد وهو يقول ذلك .

فلحقته وقد قضى فهو ذاك ميت . فقلت : يا هذه إن لنا قصة عظيمة فلا تحدّثوا فيه شيئاً . فجئت محمد بن سليمان وأخبرته الخبر فقال : أنا أركبُ فأصلي على هذا .

قال : وشاع خبره بالبصرة فشهده الأمير وعامّة أهل البصرة . رحمة الله عليه .

وممن تأخر عن هذه الطبقات

٥٧٠ ـ أبو الحسن البصرى(١)

أصله من مكة وسكن بالبصرة وإنما يعرف بالمكيّ .

أنبأنا محمد بن أبي القاسم علي بن المحسن التنوخي عن أبيه قال : كان أبو الحسن المكي يسُف الخوص وكان لا يملك إلا داراً فلما ضعف عن سف الخوص باعها على شرط أن يكريه المشترى إياها وأودع الثمن عند المشتري ، وكان يأخذ منه في كل شهر خمسة دراهم لنفقته ويعطي المشترى أُجرة الدار . فمات قبل أن ينفد الثمن ، وكانت له جُبّة صوف بيضاءٌ أقامت معه عشرين سنة شتاء وصيفاً ما لبس غيرها ، وكانت في نهاية الحسن والنقاء والنظافة والصحة . وكان موته حوالى سنة خمسين وثلثمائة وكانت جنازته عظيمة .

ذكر المصطفين من عباد البصرة المجاهيل الأسماء

٥٧١ ـ عابد

عن الحسن قال : احترقت أخْصاص بالبصرة وبقي في وسطها خُصٌ لم يحترق وأمير البصرة يومئذ أبو موسى الأشعري . فخُبّر بذلك فبعث إلى صاحب الخصّ فأتي به فإذا شيخٌ فقال : يا شيخ ما بال خُصّك لم يحترق ؟ قال : إني أقسمت على ربي أن لا يحرقه فقال أبو موسى : أما إني سمعت رسول الله ، يقول : « يكون في أمتي رجال طُلْسٌ رءوسهم ، دنسٌ ثيابهم ، لو أقسموا على الله لأبرهم » (٢) .

---

(١) انظر : سير الأعلام (١١/ ٤٠٢) ، والشذرات (١/ ١٣٦) .

(٢) رواه ابن أبى الدنيا في كتاب الأولياء (ص / ٤٢) قال الحافظ العراقى : وفيه انقطاع وجهالة . اهـ (المغنى : باب الأنس بالله) .

٥٧٢ ـ عابد آخر

قال إبراهيم بن عبد الله المديني : قيل للحسن : هاهنا رجل لم نره قط جالساً إلى أحد إنما هو أبداً خلْف سارية وحده . فقال الحسن : إذا رأيتموه فأخبروني به . قال فمرّ به ذات يوم ومعهم الحسن فأشاروا له إليه فقالوا : ذلك الرجل الذي أخبرناك . فقال : امضوا حتى آتيه . فلما جاءه قال : يا عبد الله أراك قد حُبّبتْ إليك العُزْلة فما يمنعك من مخالطة الناس ؟ قال : ما أشغلني عن الناس . قال : فيأتي هذا الرجل الذي يقال له الحسن فتجلس إليه . قال : ما أشغلني عن الحسن وعن الناس . قال له الحسن : فما الذي شغلك ـ يرحمك الله ـ عن الناس وعن الحسن ؟ قال : إني أُمسي وأُصبح بين ذنب ونعمة، فرأيت أن أشغل نفسي عن الناس بالاستغفار للذنب والشكر لله على النعمة . فقال له الحسن : أنت يا عبد الله أفقه عندي من الحسن ، الزم ما أنت عليه .

٥٧٣ ـ عابد آخر

عَطِية بن سليمان قال : صليتُ الجمعة ثم انصرفت فجلست إلى يونُس بن عُبيد حتى صلينا العصر فقال : هل لكم في جنازة فلان ؟ فمشينا إلى ناحية بني سعد فصلينا على جنازة ثم قال : هل لكم في فلان العابد نعوده فأتينا رجلاً قد وقعت في فيه الخبيثة حتى أبدت عن أضراسه فكان إذا أراد أن يتكلم دعا بقعْب [(١)] من ماء وبقطنة فَيبُل لسانه حتى يبتّل ثم يتكلم بكلماتٍ يُحسن فيهن .

فلما دخلنا عليه دعا بالقدح ليفعل ما كان يفعل ، فبينا هو يبُل لسانه سقطت حدقتاه في القدح فأخذهما فمر بهما بيده ثم قال : إني لأجد فيهما دسماً وما كنت أظنه بقي فيهما . ثم استقبل القبلة فقال : الحمد لله الذي أعطانيهما وأمْتَعني بهما شبابي وصحَّتي حتى إذا أفنيتُ أيامي وحضر أجلي أخذهما مني ليُبْدلني بهما إن شاء الله خيراً منهما . فقال له يونس: قد كنا تهيأنا لنعزيك فنحن الآن نهنئك فقال خيراً ودعا . ثم خرجنا من عنده .

٥٧٤ ـ عابد آخر

محمد بن عبد الرحمن عن الرجل الذي حدثه أنهم كانوا بالبصرة في شدة قحط الناس فيها وغلا سعرهم واحتبس عنهم المطر فخرجوا يستسقون ، وخرجت اليهود والنصارى ، فاعتزلت اليهود معهم التوراة ، واعتزلت النصارى معهم الإنجيل ، واعتزل المسلمون ، كلهم يدعون وانصرفوا يومهم ذلك .

---

(١) القعب : قدح ضخم غليظ .

قال: فبينا أنا بعد ذلك أمشي في طريق المربد نظرت فإذا بين يديّ فتى عليه أطمار[1]، تقبله النفس فهو يمشي وأنا خلفه حتى خرج إلى الجبّان فدخل بعض تلك المساجد التي بالقرب من المقابر ودخلت خلفه تحُول بيني وبينه أركان المسجد فصلى ركعتين ثم رفع يديه يدعو ، وقال في دعائه : يا رب استغاث بك عبادك فلم تسقهم ، يا رب الآن شمتت بنا اليهود والنصارى ، أقسمْتُ عليك يا رب إلا سقيتنا الساعة ولم ترُدّني .

قال : فما برح يدعو حتى جاءت السحابة ومُطرْنا فخرج وخرجت في أثره لأعرف موضعه فجاء إلى دار فيها أخْصاص وأكواخ فيها سكان فدخل بيتاً منها فعرفت موضعه . فانصرفت عنه وهيأت دراهم في صرة ثم جئت فاستأذنت عليه فدخلت فإذا ليس في البيت إلا قطعة حصير ومطْهرةٌ فيها ماء ، وإذا هو قاعد يعمل الخُوص فسلمت فرحب بي وبشّ فتحدثت ساعة ثم أخرجت الصرة وقلت : رحمك الله انتفع بهذه فتبسم وقال : جزاك الله خيراً أنا في غنى عنها . فألححْت عليه فجعل يدعو ويأبى أن يأخذها . فلما أكثرت عليه تنكّر لي وقال : حسبك الآن ليس بي إليها حاجة . قال : فأقبلت عليه وقلت : رحمك الله إن لي عليك حقاً قال : وما هو رحمك الله ؟ قلت : كنت أسمع دعاءك حين خرجت إلى الجبّان . قال : فاصفرّ وجهه حتى أنكرته وساءه ما قلتُ له . ثم خرجت من عنده . فلما كان بعد ذلك بأيام أتيته فلما دخلت الدار جعل سكان الدار يصيحون بقيّم الدار: هو ذا هو قد جاء . فجاء إليّ فتعلق بي وقال : يا عدوّ نفسه ما صنعت بذاك الفتى الذي جئته اليوم الأول ؟ أي شيء أسمعته ؟ قلت : لا تعجل حتى أخبرك بالحديث ، فقال: إنك لما خرجت من عنده قام في الحال فأخذ حصيره ومطهرته وودعنا وخرج ولم يعد إلينا إلى الساعة لا ندري أين توجّه ؟ .

٥٧٥ ـ عابد آخر

عن مالك بن دينار قال : احتبس علينا المطر بالبصرة فخرجنا يوماً بعد يوم نستسْقي فلم نر أثراً لإجابة . فخرجت أنا وعطاء السليْمي وثابت البُناني ومحمد بن واسع وحبيب الفارسي وصالح المريّ وآخرين حتى صرنا إلى المصلى بالبصرة فاستسقينا فلم نر أثراً لإجابة . وانصرف الناس وبقيت أنا وثابت في المصّلى فلما أظلم الليل إذا بأسود دقيق الساقين عظيم البطن عليه مئزران من صوف ، فجاء إلى ماء فتمسح ثم صلى ركعتين خفيفتين ثم رفع طرفه إلى السماء فقال : سيدي إلى كم تردّ عبادك فيما لا ينقصك أنفد ما عندك ؟ أقسمت عليك بحبك لي إلا ما سقيتنا غَيْثك الساعة الساعة .

---

(١) أطمار : جمع طمر بالكسر : وهو الثوب الخلق .

فما أتمّ الكلام حتى تغيّمت السماء وأخذتنا كأفواه القُرب فما خرجنا حتى خُضْنا الماء، فتعجبنا من الأسود فتعرضت له فقلت : أما تستحى مما قلت ؟ قال : وما قلت؟ قلت قولُك : بحبك لي ، وما يدريك أنه يحبك ؟ قال : تنح عن همتي يا من اشتغل عنه بنفسه أين كنتُ أنا حين خصّني بتوحيده ومعرفته ؟ أتُراه بدأني بذلك إلا لمحبته لي ؟ ثم بادر يسعى. فقلت : ارفق بنا . قال : أنا مملوك عليّ فرض من طاعة مالكي الصغير . فدخل دار نخّاس فلما أصبحنا أتيت النخاس فقلت له : عندك غلام تبيعنيه للخدمة ؟ قال: نعم عندي مائة غلام فجعل يخرج إلي واحداً بعد واحد وأنا أقول غير هذا . إلى أن قال : ما بقي عندي أحد فلما خرجنا إذا الأسود قائم في حجرة خربة فقلت : بعني هذا . قال : هذا غلام مشئُوم لا همّة له إلا بالبكاء فقلت : ولذلك أريده فدعاه وقال لي: خذه بما شئت بعد أن تبرئني من عيوبه . فاشتريته بعشرين ديناراً . فلما خرجنا قال: يا مولاي لماذا اشتريتني ؟ قلت : لنخدُمك نحن . قال : ولم ذاك ؟ قلت : أليس أنت صاحبنا البارحة في المصلّي ؟ قال : وقد اطّلعت على ذلك فجعل يمشى حتى دخل مسجداً فصلى ركعتين ثم قال : إلهي وسيدي سرٌّ كان بيني وبينك أظهرته للمخلوقين ، أقسمتُ عليك إلا قبضت روحي الساعة . فإذا هو ميت فبقبره نستسقي ونطلب الحوائج إلى يومنا هذا .

٥٧٦ ـ عابد آخر

حُصَين بن قاسم الوزّان قال : كنا عند عبد الواحد وهو يعظ فناداه رجل من ناحية المسجد كفَّ يا أبا عبيدة فقد كشفت قناع قلبي فلم يلتفت عبد الواحد ومرّ في الموعظة . فلم يزل الرجل يقول : كُفّ يا أبا عبيدة فقد كشفت قناع قلبي وعبد الواحد يعظ ولا يقطع موعظته حتى والله حشْرج الرجل حشرجة الموت ، ثم خرجت نفسه .

قال : فأنا والله شهدت جنازته يومئذ فما رأيت بالبصرة يوماً أكثر باكياً من يومئذ .

٥٧٧ ـ عابد آخر

عن يزيد الرّقاشى قال : دخلت على عابدٍ بالبصرة وإذا أهل بيته حوله فإذا هو مجهود قد أجهده الاجتهاد . قال : فبكى أبوه فنظر إليه ثم قال : أيها الشيخ ، ما الذي يُبْكيك؟ قال : يا بُنيّ أبكى فَقْدَكَ وما أرى من جهْدك . قال : فبكت أمه . فقال : أيتها الوالدة الشّفيقة الرّفيقة ما الذي يبكيك ؟ قالت : يا بني أبكي فراقك وما أتعجَّل من الوحشة بعدك.

قال : فبكى أهله وصبيانه . فنظر إليهم ثم قال : يا معشر اليتامى بعد قليل ، ما الذي يبكيكم ؟ قالوا : يا أبانا نبكي فراقك وما نتعجل من اليُتم بعدك . قال : فقال : أقعدوني

أقعدوني ألا أرى كلّكم يبكي لدنياي أما فيكم من يبكي لآخرتي ؟ أما فيكم من يبكي لما يلقاه في التراب وجهي ؟ أما فيكم من يبكي لمساءلة منكر ونكير إياي ؟ أما فيكم من يبكي لوقوفي بين يدي ربي ؟ قال : ثم صرخ صرخةً فمات .

٥٧٨ ـ عابد آخر

عبد الواحد بن زيد قال : خرجت إلى ناحية الحربية فإذا إنسان أسودُ مجذومٌ قد تقطّعت كل جارحة له بالجُذام وعمي وأُقْعد وإذا صبيان يرمونه بالحجارة حتى دمَّوْا وجهه . فرأيته يحرّك شفتيه فدنوت منه لأسمع ما يقول فإذا هو يقول : يا سيدي إنك لتعلم أنك لو قرضت لحمي بالمقاريض ونشرت عظامي بالمناشير ما ازددت لك إلا حباً فاصنع بي ما شئت .

٥٧٩ ـ عابد آخر

فُضيل أبو حاتم قال : لما كان حريق عرماز ، كان رجل في خصٍّ له يسف خوصاً ، والنار قد أحدقت به فلم يضرهّ . فقيل له في ذلك فقال : إني عزمتُ على ربّ النار أن لا يحرقني بالنار . قيل له فاعزم عليه أن يطفئها. قال : ففعل . فلم تلبث النار أن طَفِئت .

٥٨٠ ـ عباد سبعة

عن صالح المري قال : قدم علينا ابن السماك مرة فقال لي : أرني بعض عجائب عبادكم فذهبت به إلى رجل في بعض الأحياء في خُصٍّ له فاستأذنا عليه فدخلنا ، فإذا رجل يعمل خوصاً له فقرأت ﴿ **إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يُسحبُون * في الحميم ، ثم في النار يُسْجرون** ﴾ (١) فشهق الرجل فإذا هو قد يبس مغشياً عليه .

فخرجنا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا إلى آخر فاستأذنّا عليه فقال : ادخلوا إن لم تشغلونا عن ربِّنا . فدخلنا فإذا رجلٌ جالس في مُصلّى له فقرأتُ ﴿ **ذلكَ لمَنْ خافَ مقامي وخافَ وعيد**﴾ (٢) فشهق شهقةً بدر الدمُ من منخريه ثم جعل يتشحّط في دمه حتى يَبِس .

فخرجنا من عنده وتركناه على حاله ، حتى أدَرْتُه على ستة أنفس ، كلٌّ نخرج من عنده وهو على هذه الحالة . ثم أتيت به السابع فاستأذنتُ فإذا امرأةٌ له من وراء الخُصّ تقول : ادخلوا فدخلنا فإذا شيخ فان جالس في مصلاه فسلمنا فلم يعقل سلامنا . فقلت بصوت عال : إن للخلق غداً مقاماً . فقال الشيخ بين يديْ من ويحك ؟ ثم بقي مبهوتاً فاتحاً فاه شاخصاً بصره يصيح بصوت له ضعيف حتى انقطع . فقالت امرأته : اخرجوا عنه فإنكم لستم تنتفعون به الساعة . فلما كان بعد ذلك سألتُ عن القوم فإذا ثلاثة قد

---

(١) سورة غافر آية : ٧١ - ٧٢ .

(٢) سورة إبراهيم آية : ١٤ .

أفاقوا وثلاثة قد لحقوا بالله عز وجل، وأما الشيخ فإنه مكث ثلاثة أيام على حالته مبهوتاً مُتحيّراً لا يؤدّى فرضاً فلما كان بعد ثالثة عقلَ .

٥٨١ ـ عابدان

ابن سماك قال : دخلت البصرة فقلت لرجل كنت أعرفه دُلّني على عُبّادكم فأدخلني على رجل عليه لباس الشَّعر ، طويل الصمت لا يرفع رأسه إلى أحد . قال فجعلت أستنطقه الكلام فلا يكلمني . فخرجت من عنده فقال لي صاحبي : هاهناً ابن عجوز هل لك فيه ؟ قال : فدخلنا عليه فقالت العجوز : لا تذكروا لابني شيئاً من ذكْر جنةٍ ولا نار فتقتلوه عليّ فإنه ليس لي غيرُه .

قال : فدخلنا على شاب عليه من اللباس نحوٌ مما على صاحبه منكّس الرأس طويل الصمت فرفع رأسه فنظر إلينا ثم قال : أما إنّ للناس موقفاً لابد أن يقفوه قال : فقلت بين يدي من رحمك الله ؟ قال : فشهق شهقة فمات .

قال ابن السماك فجاءت العجوز فقالت : قتلتم ولدي . قال : فكنت فيمن صلى عليه .

٥٨٢ ـ عابد آخر

أبو عبد الله الخرزي قال : قلت لمحمد بن السماك : أخبرني عن أعجب شيء رأيته من الخائفين . قال : اشتقت إلى عبّاد البصرة فأتيت الربيع بن صُبيح فنزلت عليه ثم قلت له: هل تعرف هاهنا أحداً من الخائفين ؟ قال : نعم هاهنا زاهد يقال إنه من الخائفين قلت له فبكّر بنا إذا صلينا . قال فبكرنا إلى بعض زوايا البصرة فدقّ باباً فخرجتْ عجوز فسلّم عليها ثم قال : ما فعل ابنُك ؟ قالت إن ابني قد نسي الدنيا قال : أتأذنين لنا أن ندخل عليه ؟ قالت : بشرط أن لا تذكروا له القيامة . قال : فأذنت لنا فدخلنا فإذا شاب عليه مدْرَعة شعر ، في عنقه طَوْق وسلسلة مشدودة بسارية البيت ، فإذا قبر محفور وإذا هو جالس على شفير قبره ينظر في لحده فقال الربيع : يا هذا أخوك محمد بن السَّماك المذكِّر أتاك زائراً . فالتفت إليه فقال : ما أنت قائل ؟ فتلجلج لساني وهنْتُ فجهدت الجهد أن أنطلق فما قدرْتُ ، فخرجنا يومئذ ثم عدت في اليوم الثاني فإذا هو على حالته التي رأيناه أمس فالتفت إليّ فقال : ما أنت قائل ؟ فتلجلج لساني . ثم قلت إن للعباد مقاماً . قال: ويحك عند من ؟ قلت : عند مالك الملوك . فشهق شهقة فإذا هو ميت في قبره .

ومن عقلاء المجانين بالبصرة

٥٨٣ ـ رجل لم يعرف اسمه

أبو أحمد بن روح قال حدثني بعض أصحابنا قال : رأيت مجنوناً بالبصرة قد نظر إلى جنازة فانشأ يقول :

وَصَفَ الطبيبُ فهُم بما   وَصَفَ الطبيبُ يُعالجونَه
يَرْجُـــونَ صِحّةَ جِسْمِه   هَيْهَـــاتَ مِمّا يَرْتَجُونَهْ

قال : ثم غلبه البكاء ومضى.

ذكر المصطفيات من عابدات البصرة

٥٨٤ ـ معاذة بنت عبد الله العدوية[١]

وتكنى : أم الصهباء محمد بن فضيل قال : حدثنا أبي قال : كانت معاذة العدويّة إذا جاء النهار قالت : هذا يومي الذي أموت فيه ، فما تنام حتى تُمسي وإذا جاء الليل قالت: هذه ليلتي التي أموت فيها فلا تنام حتى تصبح وإذا جاء البرد لبست الثياب الرقاق حتى يمنعها البردُ من النوم .

الحكم بن سنان الباهلي قال : حدثتني امرأةٌ كانت تخدم مُعاذة العدوية قالت : كانت تُحيي الليل صلاة فإذا غلبها النوم قامت فجالت في الدار وهي تقول : يا نفس ، النوم أمامك لو قدمت لطالت رقدتك في القبر على حسرة أو سرور . قالت : فهى كذلك حتى تصبح .

قال عبد الرحمن بن عمرو الباهلي : وحدثتنا دلال ابنةُ أبي المُدِل قالت : حدثتني آسية بنت عمرو العدوية قالت : كانت معاذة تصلي في كل يوم وليلة ستمائة ركعة وتقرأ جُزءها من الليل تقوم به ، وكانت تقول عجبت لعينٍ تنام وقد عرفتْ طول الرقاد في ظُلَمِ القبور .

الحسن بن علي بن مسلم الباهلي قال : سمعت أبا السّوار العدوي يقول : بنو عدي أشد أهل هذه البلدة اجتهاداً ، هذا أبو الصهباء لا ينام ليله ولا يُفطر نهاره ، وهذه امرأته مُعاذة ابنة عبد الله لم ترفع رأسها إلى السماء أربعين عاماً .

عن زهير السلولي ، عن رجل من بني عدي ، عن امرأة منهم أرضعتها معاذة ابنة عبد الله قالت : قالت لي مُعاذة : يا بنية كوني من لقاء الله عز وجل على حذر ورجاءٍ ،

---

(١) سير الأعلام (٤/٥٠٨) .

وإني رأيتُ الراجي له محققواً بحسن الزلفى لديه يوم يلقاه ، ورأيت الخائف له مؤملاً للأمان يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم بكت حتى غلبها البكاء .

حماد بن سلمة قال : أنبأ ثابت البُناني أن صلة بن أُشيْم كان في مغزى له ومعه ابن له ، فقال : أيْ بني تقدم فقاتلْ حتى أحتسبُكَ . فحمل فقاتل حتى قُتل ثم تقدم فقُتل فاجتمعت النساء عند امرأته مُعاذة العدوية فقالت : مرحباً ، إن كنتن جئتن لتهنئنني ، فمرحباً بكن وإن كنتن جئتن بغير ذلك فارجعْن .

سلمة بن حسّان العدوي قال : أنبأ الحسن أن معاذة لم توسد فراشاً بعد أبي الصهباء حتى ماتت .

عمران بن خالد قال : حدثتني أم الأسود بنت زيد العدوية وكانت معاذة قد أرضعتها قالت : قالت لي معاذة لما قتل أبو الصهباء وقُتل ولدها والله يا بنيّة ما محبتي للبقاء في الدنيا للذيذ عيشٍ ولا لرَوْح نسيم ، ولكن والله أحب البقاء لأتقرب إلى ربي عز وجل بالوسائل لعله يجمع بيني وبين أبي الصهباء وولده في الجنة .

رَوْح بن سلمة الوراق قال : سمعت عُفيرة العابدة تقول : بلغني أن معاذة العدوية لما احتضرها الموت بكت ثم ضحكت ، فقيل لها : مِمّ بكيت ثم ضحكت فممّ البكاءُ ومِمّ الضحك ؟ قالت : أما البكاءُ الذي رأيتم فإني ذكرتُ مفارقة الصيام والصلاة والذِّكر فكان البكاءُ لذلك ، وأما الذي رأيتم من تبسمي وضحكي فإني نظرت إلى أبي الصهباء قد أقبل في صحْن الدار وعليه حُلّتان خضراوان وهو في نفر والله ما رأيت لهم في الدنيا شبهاً فضحكت إليه ولا أُراني أدرك بعد ذلك فرضاً .

قال : فماتت قبل أن يدخل وقتُ الصلاة .

أدركت مُعاذة عائشة وروت عنها . وروى عن مُعاذة الحسن البصري وأبو قلابة ، ويزيد الرّشك .

٥٨٥ ـ حفصة بنت سيرين (١)

عن عاصم الأحول قال : كنا ندخل على حفصة بنت سيرين وقد جعلت الجلباب هكذا وتنقَّبتْ به فنقول لها : رحمك الله قال الله ﴿ **والقواعدُ من النساء اللاتى لا يرجُون نكاحاً فليسٍ عليهن جُناح أن يضعْن ثيابهنّ غيْرَ متبرجات بزينة** ﴾ (٢) وهو الجلباب . قال فتقول لنا : أيّ شيءٍ بعد ذلك ؟ فنقول : ﴿ **وأن يستعْففْنَ خيرٌ لهن** ﴾ فتقول : هو إثباتُ الجلباب .

(١) المصدر السابق .
(٢) سورة النور آية : ٦٠ .

هشام بن حسان قال : كانت حفصة تقول لنا : يا معشر الشباب خُذوا من أنفسكم وأنتم شباب فإني ما رأيت العمل إلا في الشباب .

قال : قرأتْ القرآن وهي ابنة اثنتيْ عشرة سنةً وماتت وهي ابنة تسعين .

عن هشام أن حفصة كانت تدخل في مسجدها فتصلي فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح ثم لا تزال فيه حتى يرتفع النهار وتركع ثم تخرج فيكون عند ذلك وضوؤها ونومها، حتى إذا حضرت الصلاة عادت إلى مسجدها إلى مثلها .

عن مهدي بن ميمون قال : مكثت حفصة في مصلاها ثلاثين سنة لا تخرج إلا لحاجة أو لقائلة .

عن هشام أن ابن سيرين كان إذا أُشكل عليه شيء من القراءة قال : اذهبوا فسلوا حفصة كيف تقرأ .

هشام بن حسان قال : كان الهذَيْل بن حفصةُ يجمع الحطب في الصيف فيَقْشُرُه ويأخذ القصب . فيفْلقه قالت حفصة : وكنت أجد قرّةً فكان إذا جاء الشتاءُ جاء بالكانون فيضعه خلفي وأنا في مُصلاي ثم يقعد فيوقد بذلك الحطب المقشر وذاك القصب المفلّق وقُوداً لا يؤذي دخانه ويُدفئني . نمكث بذلك ما شاء الله . قالت : وعندى من يكفيه لو أراد ذلك . قالت : وربما أردت أنصرف إليه فأقول : يا بني ارجع إلى أهلك ثم أذكر ما يريد فأدعه .

قالت حفصة : فلما مات رزق الله عليه من الصبر ما شاء أن يرزُق غير أني كنت أجد غُصَّة لا تذهب ، قالت : فبينا أنا ذات ليلة أقرأ سورة النحل إذ أتيت على هذه الآية ﴿**ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً إنما عند الله هُو خيْرٌ لكم إنْ كُنْتُمْ تعلمون * ما عندكم ينفدُ وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**﴾ [1] قالت : فأعدتها فأذهب الله ما كنت أجد .

قال هشام : وكانت له لقْحة [2] . . . قالت حفصة : كان يبعث إلي بحَلْبة بالغداة فأقول: يا بنيّ إنك لتعلم أني لا أشربه ، وأنا صائمة . فيقول : يا أم الهذيل إن أطيب اللبن ما بات في ضروع الإبل ، اسْقيه من شئت .

عن هشام بن حسان قال : اشترت حفصة جارية أظنها سنْديّة فقيل لها : كيف رأيت مولاتك ؟ فذكر إبراهيم كلاماً بالفارسية تفسيره أنها امرأة صالحة إلا أنها أذنبت ذنباً عظيماً فهي الليل كله تبكى وتصلى .

---

(١) سورة النحل آية : ٩٥ ، ٩٦ .

(٢) اللقمة : الناقة الحلوب غزيرة اللبن .

عبد الكريم بن معاوية قال : ذُكر لي عن حفصة أنها كانت تقرأ نصف القرآن في كل ليلة وكانت تصوم الدهر وتفطر العيدين وأيام التشريق .

عن هشام بن حسان قال : قد رأيت الحسن وابن سيرين وما رأيت أحداً أرى أنه أعقلُ من حفصة .

عن هشام عن حفصة قال : كان لها كفنٌ مُعدّ فإذا حجت وأحرمْت لبستْه وكانت إذا كانت العشر الأواخر من رمضان قامت من الليل فلبسته .

عن هشام قال : حدثتني أم سليم بنت سيرين قالت : ربما نوَّر لحفصة بنت سيرين بيتها .

عن هشام قال : كانت حفصة بنت سيرين تُسْرِجُ سراجها من الليل ثم تقوم في مصلاها فربما طفيء السراجُ فيضيء لها البيت حتى تصبح .

٥٨٦ ـ كريمة بنت سيرين ، أخت حفصة

عن مهدي بن ميمون قال : مكثت كريمة بنتُ سيرين أخت حفصة بنت سيرين خمس عشرة سنة ما تخرج من مُصلاها إلا لقضاء حاجة .

٥٨٧ ـ منيبة البصرية وابنتها

أبو عياش القطان قال : كانت امرأة بالبصرة متعبّدة يقال لها مُنيبة ، وكانت لها ابنة أشد عبادةً منها . فكان الحسن ربما رآها وتعجّب من عبادتها على حداثتها .

فبينما الحسن ذات يوم جالس إذ أتاه آت فقال : أما علمت أن الجارية قد نزل بها الموت فوثب الحسن فدخل عليها فلما نظرت الجارية إليه بكت . فقال لها يا حبيبتي ما يبكيك ؟ قالت له : يا أبا سعيد الترابُ يُحثى على شبابي ولم أشبْع من طاعة ربي يا أبا سعيد انظر إلى والدتي وهي تقول لوالدي : احفر لابنتي قبراً واسعاً وكفنها بكفن حسن، والله لو كنت أجهز إلى مكة لطال بكائي . كيف وأنا أجهز إلى ظلمة القبور ووحشتها وبيت الظلمة والدود ؟ .

٥٨٨ ـ رابعة العدوية(١)

عبد الله بن عيسى قال : دخلتُ على رابعة العدوية بيتها فرأيتُ على وجهها النور وكانت كثيرة البكاء فقرأ رجل عندها آية من القرآن فيها ذِكر النار فصاحت ثم سقطت .

ودخلت عليها وهي جالسة على قطعة بُورِى خلق فتكلم رجل عندها بشيء فجعلت أسمع وقع دموعها على البُوري مثل الوكْف ، ثم اضطربت وصاحت فقمنا وخرجنا .

---

(١) تقدم التعريف بها أول الكتاب .

مسْمَع بن عاصم ورياح القيسي قالا : شهدنا رابعة وقد أتاها رجل بأربعين ديناراً فقال لها: تستعينين بها على بعض حوائجك . فبكت ثم رفعت رأسها إلى السماء فقالت : هو يعلم أني أستحيي منه أن أسأله الدنيا وهو يملكها ، فكيف أريد أن آخذها ممن لا يملكها؟ .

محمد بن عمرو قال : دخلت على رابعة وكانت عجوزاً كبيرة بنت ثمانين سنة كأنها الشن [١] تكاد تسقط ورأيت في بيتها كراخة بواري [٢] ومشْجب قصب فارسي طوله من الأرض قدر ذراعين ، وستر البيت جلد وربما كان بورياً ، وحبٌّ [٣] وكو ولبْد هو فراشها وهو مصلاها . وكان لها مِشْجب من قصب عليه أكفانها وكانت إذا ذكرت الموت انتفضت وأصابتها رعْدةٌ وإذا مرت بقوم عرفوا فيها العبادة .

وقال لها رجل : ادْعي ، فالتصقت بالحائط وقالت : من أنا يرحمك الله ؟ أطع ربك وادعُه فإنه يُجيب المضطرين .

سجف بن منظور قال : دخلتُ على رابعة وهي ساجدة فلما أحسّت بمكاني رفعت رأسها فإذا موضعُ سجودها كهيئة الماء المستنقع من دموعها ، فسلمت فأقبلت عليّ فقالت: يا بني ألك حاجة ؟ فقلت : جئت لأسلم عليك ، قال : فبكتْ وقالت : سترْك اللهم سترْك ودعت بدعوات ثم قامت إلى الصلاة وانصرفتُ .

العباس بن الوليد قال : قالت رابعة : أستغفر الله مِنْ قلّة صدقي في قولي أستغفر الله .

أزهر بن مروان قال : دخل على رابعة رياح القيسيّ ، وصالح بن عبد الجليل وكلاب، فتذاكروا الدنيا فأقبلوا يذمّونها فقالت رابعة : إني لأرى الدنيا بترابيعها في قلوبكم . قالوا: ومن أين توهّمت علينا ؟ قالت : إنّكم نظرتم إلى أقرب الأشياء من قلوبكم فتكلّمتم فيه .

روى أبو جعفر المديني ، عن شيخ من قريش قال : قيل لرابعة : هل عملت عملاً ترين أنه يُقبل منك ؟ قالت : إن كان فمخافتي أن يرد علي .

جعفر بن سليمان قال : أخذ بيدي سُفيان الثوري وقال : مُرّ بنا إلى المؤدبة التي لا أجد من أستريح إليه إذا فارقتُها . فلما دخلنا عليها رفع سفيان يده وقال : اللهم إني أسألك السلامة فبكت رابعة . فقال لها : ما يبكيك ؟ قالت " أنت عرّضْتني للبكاء .

---

(١) الشن : القربة الصغيرة البالية .

(٢) أي قطعة حصير .

(٣) الحب : بضم أوله – الجرة الكبيرة .

فقال : وكيف ؟ قالت : أما علمت أن السلامة من الدنيا تركُ ما فيها فكيف وأنت متلطِّخ بها ؟ .

وقال الثوريّ بين يدي رابعة : واحُزْناه ، فقالت : لا تكذب . قل : واقلّة حُزناه ، لو كنت محزوناً ما هنّاك العيشُ .

جعفر بن سليمان قال : سمعتُ رابعة تقول لسفيان : إنما أنت أيام معدودة ، فإذا ذهب يومٌ ذهب بعضُك ، ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكلّ وأنت تعلم ، فاعمل .

عبيس بن مرحوم العطار قال : حدثتني عبدة بنت أبي شوال ، وكانت من خيار إماء الله ، وكانت تخدم رابعة . قالت : كانت رابعة تصلي الليل كله فإذا طلع الفجر هجعت في مُصلاها هجعةً خفيفةً حتى يُسْفِرَ الفجر ، فكنت أسمعها تقول إذا وثبَتْ من مَرْقدها ذلك وهي فزعة : يا نفسُ كم تنامين ؟ وإلى كم تقومين ؟ يوشك أن تنامي نومةً لا تقومين منها إلا لصرخَة يوم النّشُور . قالت : فكان هذا دأبَها دهْرَها حتى ماتت . فلما حضرتْها الوفاة دعتْني قالتَ : يا عبدة لا تُؤذني بموتي أحداً وكفّنيني في جُبّتي هذه ، جبَّة من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون .

قالت : فكفنَّاها في تلك الجبَّة وخمارٍ صوف كانت تلبسه .

قالت عبدة : رأيتها بعد ذلك بسنة أو نحوها في منامي عليها حلة إستبرق خضراء وخمارٌ من سندس أخضر لم أر شيئاً قط أحسن منه . فقلت : يا رابعة : ما فعلت الجبّة التي كفنّاك فيها والخمارُ الصوف ؟ قالت : إنه والله نُزع عني وأُبدلتُ به هذا الذي ترينْه عليّ . وطُويت أكفاني وخُتم عليها ورفعت في علِّيين ليكال لي بها ثوابها يوم القيامة . قالت : فقلت لها : لهذا كنت تعملين أيام الدنيا ؟ فقالت : وما هذا من كرامة الله عز وجل لأوليائه . قالت فقلت : فما فعلت عبْدة بنت أبي كلاب ؟ فقالت : هيهات هيهات ، سبقتْنا والله إلى الدرجات العُلَى . قالت قلت : وبم وقد كنت عند الناس ؟ أى أكثر منها . قالت : إنها لم تكن تبالي على أي حالة أصبحت من الدنيا وأمست قالت: فقلت : فما فعل أبو مالك ؟ تعني ضَيْغماً . قالت : يزور الله متى شاء. قالت قلت : فما فعل بشر بن منصور ؟ قالت : بخٍ بَخٍ أُعطَى والله فوق ما كان يأمل.

قالت قلت : فمُريني بأمرٍ أتقرب به إلى الله عز وجل . قالت عليك بكثرة ذكره ، أوشك أن تغتبطي بذلك في قبرِك .

قلت : اقتصرت هاهنا على هذا القدْر من أخبار رابعة لأني قد أفردت لها كتاباً جمعتُ فيه كلامها وأخبارها .

٥٨٩ ـ عجردة العمية

رجاء بن مسلم العبدي قال : كنا نكون عند عجردة العمية في الدار . قال : فكانت تُحيي الليل صلاةً . وربما قال : تقوم من أول الليل إلى السحر فإذا كان السحر نادت بصوت لها محزون : إليك قطع العابدون دُجى الليالي بتبكير الدلج إلى ظُلم الأسحار يستبقون إلي رحمتك وفضْل مغفرتك ، فبك إلهي لا بغيرك أسألك أن تجعلني في أول زُمرة السّابقين إليك ، وأن ترفعني إليك في درجة المقربين ، وأن تُلحقني بعبادك الصالحين ، فأنت أكرم الكرماء ، وأرحم الرحماء ، وأعظم العظماء ، يا كريم . ثم تخر ساجدة فلا تزال تبكي وتدعو في سجودها حتى يطلع الفجر فكان ذلك دأبها ثلاثين سنة .

عبد الرحمن بن عمرو الباهلي قال : حدثتْني دلال بنت أبي المدّل قالت : حدثتني أمي آمنة بنت يَعْلَى بن سُهْيل قالت : كانت عجْردة العمية تغشانا فتظل عندنا اليوم واليومين. قالت : فكانت إذا جاء الليل لبست ثيابها وتقنّعت ثم قامت إلى المحراب فلا تزال تصلي إلى السحر ثم تجلس فتدعو حتى يطلع الفجر .

قالت : فقلت لها : أو قال لها بعضُ أهل الدار : لو نمت من الليل شيئاً . فبكتْ وقالت : ذكْرُ الموت لا يدعني أنام .

جعفر بن سليمان قال : حدثني بعض نسائى ، أمي أو غيرها من أهلي قالت : رأيت عجردة العمية في يوم عيد عليها جُبّة صوف ، وقناع صوف ، وكساء صوف قالت : فنظرتُ فإذا هي جلْد وعظم . قالت : وسمعتهم يذكرون عنها أنها لم تُفطر ستين عاماً.

٥٩٠ ـ حبيبة العدوية

عن عبد الله المكّي أبي محمد قال : كانت حبيبة العدوية إذا صلّت العتمةَ قامت على سطح فشدّت عليها درعَها وخمارها . فقالت : إلهي غارت النجوم ، ونامت العيون وغلقّت الملوكُ أبوابها ، وبابك مفتوح، وخلا كل حبيب بحبيبه ، وهذا مقامي بين يديك .

فإذا كان السحر قالت : اللهم وهذا الليل قد أدبر ، وهذا النهار قد أسفر ، فليت شعري هل قبلت مني ليلتي فأُهنَّى أم ردَدْتَها عليَّ فأُعَزَّى ، فوعزّتك لهذا دأبي ودأبك أبداً ما أبقيتني ، وعزّتك لو انتهرْتني ما برحتُ من بابك ولا وقع في قلبي غير جُودك وكرمك.

٥٩١ ـ أم الأسود بنت زيد العدوية

أبو عبد الرحمن السلمي قال : كانت معاذة العدوية أرضعت أم الأسود . وقالت أم

الأسود : قالت لي معاذة العدوية : لا تفسدي رضاعي بأكل الحرام ، فإني جهدتُ جهدي حين أرضعتُك حتى أكلت الحلال فاجتهدي أن لا تأكلي إلاّ حلالاً لعلك أن توفَّقي لخدمة سيدك والرضا بقضائه .

فكانت أم الأسود تقول : ما أكلت شبهةً إلا فاتتنى فريضةٌ أو وِردٌ من أوْرادي .

٥٩٢ ـ مريم البصرية

كانت تخدم رابعة العدوية ، وكانت إذا سمعت علوم المحبة طاشت فحضرت بعض المذكّرين فتكلم في المحبة . فماتت في المجلس .

عبد العزيز بن عمير قال : قامت مريم البصرية المتعبدة من أول الليل فقالت : ﴿**الله لطيفٌ بعباده**﴾ [١] ثم لم تجرّه حتى أصبحت .

وقالت مريم : ما اهتَمَمْتُ بالرزق ولا تعبت في طلبه منذ سمعت الله عز وجل يقول : ﴿**وفي السماء رِزْقُكم وما تُوعدون**﴾ [٢] .

٥٩٣ ـ عفيرة العابدة

رَوْح بن سلمة الورّاق قال لعُفيرة العابدة : بلغني أنك لا تنامين بالليل ، فبكت ثم قالت : ربما اشتهيت أن أنام فلا أقدر عليه وكيف ينام أو كيف يقدر على النوم ، من لا ينام عنه حافظاه ليلاً ولا نهاراً ؟ قال : فأبكتْني والله ، وقلت في نفسي : أُراني في شيءٍ وأُراك في شيءٍ .

يحيى بن بسطام قال : دخلت مع نفر من أصحابنا على عُفيرة ، وكانت قد تعبدت وبكت حتى عميت . فقال بعض أصحابنا لرجل إلى جنبه : ما أشدّ العمى على من كان بصيراً . فسمعت عفيرة فقالت له : يا عبد الله عمى القلب ، والله عن الله أشدُّ من عمى العين عن الدنيا ، والله وددتُ أنّ الله وهب لي كُنْهَ محبّته وأنه لم تبق مني جارحة إلا أخذها .

عبد الوهاب بن صالح قال : سمعت محمد بن عبيد يقول : دخلنا على امرأة بالبصرة يقال لها عُفيرة ، فقيل لها : يا عفيرة ادْعى الله لنا . فقالت : لو خرسَ الخاطئون ما تكلّمت عجوزُكم ، ولكن المحسن أمر المسيء بالدعاء ، جعل الله قراكم من بيتى الجنّة ، وجعل الموت منى ومنكم على بال .

مالك بن ضَيْغم قال : سمعتُ عُفيرة تقول عصيتك بكل جارحة منى على حدتها ، والله لئن أعنْت لأطيعنّك بما استطعت بكل جارحة عصيْتُك بها .

---

(١) سورة الشورى آية : ١٩ .　　(٢) سورة الذاريات آية : ٢٢ .

قال محمد بن الحسين : وحدثني سعيد العمي قال : قلت لعُفيرة : أما تسْأمين من طول البكاء قال : فبكت ثم قالت : يا بني كيف يسْأمُ ذُو داءٍ من شيء يرجو أنّ له فيه من دائه شفاءً قال : ثم بكت فقمت فخرجت وتركتها .

بلغني عن يحيى بن راشد أنه قال : كنا عند عفيرة العابدة فقدم ابن أخٍ لها كانت طالت غيبته فبُشِّرَت به ، فبكت فقيل لها ؟ ما هذا البكاء ؟ اليوم يوم فرح وسرور ، فازدادت بكاءً ثم قالت : والله ما أجد للسرور في قلبي مسكنا مع ذكر الآخرة ، ولقد أذكرني قدومه يوم القدوم على الله . فمن بين مسرور ومثبورٍ . ثم غُشِيَ عليها .

٥٩٤ ـ عبيدة بنت أبى كلاب

شْعيب بن محرز قال : حدثتني سلامة العابدة قالت : بكت عُبيدة بنت أبي كلاب أربعين سنة حتى ذهب بصرها .

عن يحيى بن بسطام الأصغر قال : حدثني سلمة الأفقم ، وكان ينزل الطُّفاوة ، قال: قلت لعْبيدة بنت أبي كلاب ما تشتهين ؟ قالت : الموت . قلت : ولِمَ ؟ قالت : لأني والله في كل يوم أصبح أخشى أن أجْني على نفسي جنايةً يكون فيها عطبى أيام الآخرة .

عبد العزيز بن سلمان قال : اختلفت عبيدة وأبى إلى مالك بن دينار عشرين سنة . قال أبى : فما سمعتها تسأل مالكاً عن شىء قط إلا مرّة ، قالت : يا أبا يحيى متى يبلغ المتقى الدرجة العليا التى ليس فوقها درجة ؟ قال مالك : بخ بخَ يا عُبيدة إذا بلغ المتّقى تلك الدرجة العليا التى ليس فوقها درجة لم يكن شىء أحب إليه من القدوم على الله . قال : فصرختْ عبيدة صرخةً سقطت مغشياً عليها .

داود بن المحبَّر قال : سمعت البراء الغنوي يقول يوم ماتت عبيدة بنت أبي كلاب : ما خلَّفت بالبصرة أفضل منها .

عبد الله بن رشيد السعدي ، وكان قد صحب عبد الواحد بن زيد ، قال : رأيت الشيوخ والشباب والرجال والنساء من المتعبدين فما رأيت امرأةً ولا رجلاً أفضل ولا أحسن عقلاً من عُبيدة بنت أبي كلاب .

عبيس بن مرحوم قال : حدثتنى عبدة [illegible] أبى شوال قالت : رأيت رابعه فى المنام فقلت : ما فعلت عبيدة بنت أبى كلاب [illegible] : هيهات سبقتنا والله إلى الدرجات العُلى؛ قلت : وبِمَ وقد كنت عند الناس ؟ أي أكثر منها . قالت : إنها لم تكن تُبالى على ما أصبحت من الدنيا أو أمستْ .

٥٩٥ ـ عمرة – امرأة حبيب العجمى

الحسين بن عبد الرحمن قال : حدثني بعض أصحابنا قال : قالت امرأة حبيب أبى

محمد، وانتبهت ليلةً وهو نائم ؛ فأنبهته في السحر وقالت له : قم يا رجل فقد ذهب الليل وجاء النهار وبين يديك طريقٌ بعيد وزاد قليل ، وقوافل الصالحين قد سارت قُدامنا ونحن قد بقينا .

مسلم بن إبراهيم قال : سمعت سهيلاً أخا حَزْم قال : كانت لحبيب أبي محمد امرأة يقال لها عمْرة ، فاشتكت عينها فقيل لها : كيف تجدينك ؟ قالت : وَجَعُ قلبي أشدُّ من وجع عيني .

٥٩٦ ـ بردة الصريمية

كانت إذا قيل لها : كيف أصبحت ؟ تقول : أصبحنا أضيافاً مُنتجعين بأرضِ غُربةٍ ننتظر إجابة الداعي .

أشرس أبو شيبان ، وكان عابداً من البكّائين ، عن ثابت البناني أن امرأة من الصدر الأول كان يقال لها بردة ، وكانت تُكثر البكاء حتى فسد بصرها . فقيل لها : اتّق الله، أما تخافين علي بصرك أن يذهب ؟ قالت : دعوني فإن أكن من أهل النار فأبعدنى الله وأبعد بصرى ، وإن أكن من أهل الجنة فسيبُدلنى الله عينين خيراً من عيني .

عن موسى بن سعيد ، أو غيره ، قال . قيل للحسن : يا أبا سعيد إن ههنا امرأة يقال لها بردة قد فسدت عيناها من البكاء ، فدخل عليها فقال لها : يا بردة إن لبدنك عليك حقا ، وإن لبصرك عليك حقا . قالت : يا أبا سعيد إن أكن من أهل الجنة فسيبُدلني الله بصراً خيراً من بصرى ، وإن أكن من أهل النار فأبعد الله بصرى .

عن عطاء بن المبارك قال : كانت بالبصرة امرأة جليلة متعبدة يقال لها بردة ، وكانت تقوم الليل ، فإذا سكنتْ الحركات وهدأت العيون نادت بصوت لها حزين : هدأت العيون وغارت النجوم وخلا كل حبيب بحبيبه ، وقد خلوت بك يا محبوبى أفتراك تعذّبني وحبُّك في قلبي ؟ لا تفعل يا حبيباه .

قال القرشي : وقال محمد بن الحسين حدثنى شاذ بن فياض قال : حدثني رجل أدرك الحسن قال : كانت امرأة فى زمن الحسن إذا سمعت القرآن صرخت ، فربما تكلمت بما لا تريد . فقيل لها في ذلك ، فقالت ربما سمعت القرآن فأرى مُلك بني مروان قد حُوي لي . وكانت تبكي حتى يرحمها من رآها .

وذكر محمد بن الحسين أن الحميدي حدثه قال : ذكر سفيان يوماً بردة فقال : رحمها الله ما كان ههنا من أولئك النساء المجاورات أشد اجتهاداً منها بكت حتى ذهب بصرها .

قال سفيان : كانت إذا سمعت صوت الصواعق صرخت ولم تزل تصيح حتى يغشى عليها .

٥٩٧ ـ أم طلق

محمد بن سنان الباهلي قال : سمعت شعبة بن دخان يذكر أنّ أمَّ طلقْ كانت تصلىّ في كل يوم وليلة أربعمائة ركعة ، وتقرأ من القرآن ما شاء الله.

شيبة بن الأرقم قال : سمعت عاصماً الجحدريّ يقول : كانت أم طلق تقول : ما ملكت نفسى ما تشْتهى منذ جعل الله لي عليها سلطاناً .

عن سفيان بن عيينة قال : قالت أم طلق لطلق : ما أحسن صوتك بالقرآن فليته لا يكون عليك وبالاً يوم القيامة . فبكى حتى غُشي عليه .

عن سلمة الأيهم قال : سمعت عاصماً الجحْدري يقول : كانت أم طلق تقول : النفس مَلِك إن اتّبعتها ومملوك إن أتْعَبْتَها .

٥٩٨ ـ أمة الجليل بنت عمرو العدوية

أبو بكر بن عبيد قال : قرأت في كتاب محمد بن الحسين بخطه : حدثني حليم بن جعفر قال : حدثني مسمع بن عاصم قال : اختلف العابدون عندنا في الولاية ، فقال بعضهم إذا استحقّها عبْدٌ لم يهم بشيء إلاّ ناله ، في دينٍ كان أو دنيا . وقال الآخر : الوليّ لا يعصى، غير أنه لا يدرك الشيء الذي يريده من الدنيا بهمّته ولا يدركه إلا بطلبه ، كأنهم يقولون يدعو فيجاب . وقال آخرون : المستحق للولاية لا يعرَّض لانتقاص حقه من الآخرة.

فتكلّموا في ذلك بكلام كثير فأجمعوا على أن يأتوا امرأةً من بنى عديّ يقال لها أمة الجليل بنت عمرو العدويّة ، وكانت منقطعة جداً من طول الاجتهاد . فأتوْها . قال مسمع: وأنا يومئذ مع أصحابنا فاستأذنوا عليها فأذنت ، فعرضوا عليها اختلافهم وما قالوا . فقالت : ساعات الوليِّ ساعاتُ شُغل عن الدنيا ليس للوليِّ في الدنيا حاجة . ثم أقبلت على كلاب فقالت : بنفسى أنت يا كلاب من حدثكَ أو أخبرك أنّ وليّهُ له هَمّ غيرهُ فلا تُصدِّقه .

قال مسمع : فما كنت أسمع إلا الصارخ من نواحى البيت .

٥٩٩ ـ أم حيان السلمية

عن أبي خلدة قال : ما رأيت رجلاً قط ولا امرأة أقوى ولا أصبر على طول القيام من أم حيّان السَّلمية ، إن كانت لتقوم في مسجد الحي كأنها نخلة تصْفقُها الرياح يميناً وشمالاً .

مكي البصري قال : حدثتْني سوادةُ السلمية قالت : كانت أم حيان تقرأ القرآن في كل يوم وليلة ، . وكانت لا تتكلم إلا بعد العصر فإنها تأمر بالحاجة والشيء تريده .

٦٠٠ ـ أم إبراهيم العابدة

عبد المؤمن بن عبد الله القيسي قال : ضربتْ أم إبراهيم العابدة دابّةً فكسرت رجلها ، فأتاها قوم يعزونها . فقالت : لولا مصائب الدنيا وردْنا الآخرة مفاليس .

أبو موسى الشَّواء قال : كنت مع أم إبراهيم العابدة . فلما صرنا عند الجمار رأت الناس قد أقبلوا على الشراء والبيع . فرفعت رأسها إلى السماء وقالت : حبيبي أقبلوا على الدنيا وتركوك . قال : ثم صاحت واجتمع الناس فغطيتها بثوبي . ثم قلت للناس: أصابها شيءٌ وأوهمتهُم أنّ بها علةً . قال : ثم أقمت عليها حتى أفاقت فرفعت رأسها فقلت لها : يا أم إبراهيم أي شيء هذه الشهرة ؟ فقالت : يا بطّال إذا كان هو يقسم الثناء فلمن يتصنّع؟ .

٦٠١ ـ بحرية العابدة

رباح بن أبي الجراح قال : رأيت بحرية العابدة تبكي وتقول تركتك وأنا رُطبة وأتيتك وأنا حشفة فاقْبل الحشفة على ما كان منها .

وكان بها مسْحة من جمال ، وكان الجوع قد أضر بها ومكثت أربعين يوماً لم تأكل فيها شيئاً إلاّ شيئاً من حمِّص وكانت مجتهدة وكان لها مجلس تذكر فيه ، وكانت إذا تكلمت اضطربت واقْشَعَرّت .

أحمد بن أبي الحواري قال : حدثتنى عجوز من أهل البصرة قالت : سمعت بحرية تقول: إذا ترك القلب الشهوات ألف العِلَم واتبعه واحتمل كل ما يرد عليه .

٦٠٢ ـ أم الحريش

رباح بن الجراح قال : رأيت أم الحريش ، وكانت من عباد الناس ، وابتليت بزوجٍ من الجند ، فكانت لا تأكل من طعامه ، تُعد لنفسها شيئاً تأكله ، وكان ربما لم يقبل منها حتى تأكل معه ، فكانت تقعد تُريه أنها تأكل فتضع أصابعها خارج القَصْعة .

٦٠٣ ـ حسنة العابدة

عن محمد بن قدامة قال : بلغنا أن امرأة كان يقال لها حسنة تركت نعيم الدنيا فأقبلت على العبادة فكانت تصوم النهار وتحيي الليل وليس في بيتها شيءٌ ، كلما عطشت خرجت إلى النهر فشربت بكفيها .

وكانت جميلة فقالت لها امرأة : تزوجي فقالت : هات رجلاً زاهداً لا يكلفني من أمر الدنيا شيئاً وما أظنك تقدرين عليه ، فوالله ما في نفسي أن أعبد الدنيا ولا أتنعم مع رجال الدنيا ، فإن وجدت رجلاً يبكي ويُبكيني ، ويصوم ويأمرني ، ويتصدق ويحضني عليها ، فبها ونعمتْ ، وإلا فعلى الرجال السلام .

٦٠٤ ـ زجلة العابدة مولاة معاوية

أحمد بن سهل الأزدي قال : دخل على زجلة العابدة نفر من القرّاء فكلموها في الرفق بنفسها فقالت : ما لي وللرفق بها ؟ فإنما هي أيامُ مُبادرة ، فمن فاته اليوم شيءٌ لم يدركه غداً . والله يا إخوتاه لأصلينّ له ما أقلتني جوارحي ، ولأصومنّ له أيام حياتي ، ولأبكينّ له ما حملت الماء عيناي . ثم قالت : أيكم يأمر عبده بأمر فيحب أن يُقصِّر فيه؟ .

عباد بن عباد ، أبو عتبة الخوَّاص ، قال : دخلنا على زَجْلة العابدة ، وكانت قد صامت حتى اسودّت ، وبكت حتى عمشت ، وصلَّت حتى أُقْعدت ، وكانت صلاتها قاعدة . فسلَّمنا عليها ثم ذكّرناها شيئاً من العفو ، أردنا أن نهوّن عليها الأمر هناك . فشهقت ثم قالت : علْمي بنفسي قرَّح فؤادي ، وكلم قلبي ، . والله لوددت أن الله لم يخلقْني ولم أكُ شيئاً مذكوراً . ثم أقبلت على صلاتها وتركناها فخرجنا من عندها .

كليب بن عيسى بن أبي حجير قال : كانت زجلة لا ترفع بصرها إلى السماء ، وكانت تخرج إلي الساحل فتغسل ثياب المرابطين .

قال كليب : وسمعت سعيد بن عبد العزيز يقول : ما بالشام ولا بالعراق أفضل من زجلة .

٦٠٥ / ٦٠٦ ـ غضنة وعالية

أبو الوليد العبدي قال : ربما رأيت غُضْنة وعالية تقوم إحداهما من الليل فتقرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف في ركعة .

٦٠٧ ـ مطيعة العابدة

محمد بن الحسين قال : حدثني صاحب لي من البصريين قال : بكت مطيعة أربعين عاماً فعُوتبت على كثرة البكاء فقالت : لا أزال أبكي حتى أعلم على أي الحالين أنا عند الله؟ .

محمد بن الحسين قال : دخلنا على مطيعة العابدة في الجبّان بالبصرة فجعلنا نُذاكرها شيئاً في الخير فلا نَستَبِين كثيراً من كلامها ، من كثرة بكائها . فلما رأينا ذلك خرجنا من عندها وتركناها .

قال محمد : وسألت مطيعة قلت : منذ كم أنت هاهنا في الجبّان ؟ فبكت ثم قالت : يا بني منذ أربع وخمسين سنة .

٦٠٨ ـ كردويه بنت عمرو البصرية

أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين قال : كانت كَرْدُويه تخدم شعوانة . فقيل لها : ما

الذي أصابك من بركات خدمة شعوانة ؟ قالت : ما أحببت الدنيا منذ خدمتُها ، ولا اهتممت لرزقي ، ولا عظُم في عيني أحد من أرباب الدنيا لِطَمعٍ لى فيه ، وما استصغرتُ أحداً من المسلمين قط .

٦٠٩ ـ راهبة

عثمان بن سودة الطفاوي ، وكانت أمه من العابدات ، يقال لها راهبة ، قال : لما احتضرتْ رفعت رأسها إلي السماء فقالت : يا ذُخْرِى وذخيرتى ، ويا من عليه اعتمادي في حياتي وبعد موتي ، لا تَخْذُلني عند الموت ، ولا تُوحِشنى فى قبرى .

قال : فماتت . فكنت آتيها في كل جُمعة فأدعو لها وأستغفر لها ولأهل القبور . قال: فرأيتها ذات ليلة في منامي فقلت : يا أماه كيف أنت ؟ قالت : أي بُني إنّ للموت لكُربةً شديدة وأنا بحمد الله لفي برزخٍ محمود نفترش فيه الرَّيْحان ونتوسد فيه السندسى والإستبرق إلي يوم النشور فقلت : ألك حاجة ؟ قالت: نعم . قالت : لا تدع ما أنت عليه من زيارتنا والدعاء لنا فإني لأبشَّر بمجيئك يوم الجمعة إذا أقبلت من عند أهلك يقال لي : يا راهبة هذا ابنك قد أقبل من أهله زائراً لك فأُسر بذلك ويُسر بذلك منْ حولي من الأموات .

٦١٠ ـ سلمى

خلف بن الوليد الجوهري قال : قالت سلمى ، امرأة بصرية : إلهي علمي بشدة عقوبتك ونكالك قطع عني لذاذة الدنيا ونعيمها ومعرفتي بسعة رحمتك وسَّعت عليّ خُلقي فيما بينى وبين عبادك .

٦١١ ـ مسكينة الطفاوية

إسحاق بن إبراهيم قال : أخبرنا عمّار الراهب ، وكان والله من العاملين لله في دار الدنيا، قال : رأيت مسكينة الطفاوية في منامي وكانت من المواظبات على حلق الذكْر ، فقلت : مرحباً يا مسكينة مرحباً . فقالت : هيهات يا عمّار ذهبت المسكنة وجاء الغني الأكبر. قلت : هيه . . قالت : ما تسأل عمن أبيح الجنة بحذافيرها يظل منها حيث يشاء .

قال : قلت : وبم ذاك يرحمك الله ؟ قالت : بمجالس الذكر والصبر علي الحق. قال عمار: وكانت تحضر معنا مجلس عيسى بن زاذان بالأبلَّة ، تنحدر من البصرة حتى تأتيه قاصدة . قال عمار : قلت يا مسكينة ما فعل عيسى ؟ فضحِّت ثم قالت : كُسِيَ حلّة البهاء، وطافت بأباريق حوله الخُدّام ، ثم حُلّى وقيل : يا قارىء ارق فلعمري لقد برأك الصيام ، وكان عيسى قد صام حتى انحنى وانقطع صوته .

٦١٢ ـ غنضكة

عن يوسف بن بهلول قال : كانت امرأة بالبصرة يقال لها غَنْضكة العابدة تصلِّي عامة الليل، ثم تقول : أعوذ بالله من ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، فإذا قضت صلاتها قالت : هذا الجهد مني وعليك التّكلان .

ذكر المصطفيات من عابدات البصرة المعروفات بغيرهن

٦١٣ ـ امرأة أبى عمران الجونى

عويد بن أبي عمران الجوني قال كانت أمي تقوم من الليل تصلي حتى تعْصِب ساقيها بالخرق فيقول لها أبو عمران الجوني : دون هذا يا هذه ، فتقول : هذا عند طول القيام في الموقف قليل فيسكت عنها .

٦١٤ ـ امرأة رياح القيسى

أبو يوسف البزاز قال : تزوج رياح القيسي امرأة فبنى بها . فلما أصبح قامت إلى عجينها . فقال : لو نظرت إلى امرأة تكفيك هذا . فقالت : إنما تزوّجت رياحاً القيسي ولم أرني تزوجّت جباراً عنيداً . فلما كان الليل نام ليختبرها . فقامت ربع الليل ثم نادته: قم يا رياح. فقال: أقوم . فقامت الربع الآخر ثم نادته فقالت : قم يا رياح . فقال : أقوم . فلم يقم . فقامت الرّبع الآخر ثم نادته فقالت : قم يا رياح فقال أقوم . فقالت : مضى الليل وعسْكَرَ المحسنون وأنت نائم ، ليت شعري من غرّني بك يا رياح. قال : وقامت الربع الباقي .

عبد الله بن الحارث قال : زوّج شُميط بن العجلان رياحاً القيسي امرأة . فبينا هو قاعد معها إذ نظرت إلى السماء فشهقت شهقة فخرّت مغشياً عليها .

وقال رياح : اغتممتُ مرّة في شيءٍ من أمر الدنيا . فقالت أراك تغتمّ لأمر الدنيا غرّني منكم شُميط . ثم أخذت هُدبةً من مِقْنَعتها فقالت : الدنيا أهون عليّ من هذه .

عن سيّار قال : حدثني رياح قال : ذُكرت لي امرأة فتزوّجتها ، فكانت إذا صلّت العشاء الآخرة تطيّبت وتدخّنت [١] ولبست ثيابها ثم تأتيني فتقول : ألك حاجة ؟ فإن قلت: نعم ، كانت معي ، وإن قلت : لا ، قامت فنزعت ثيابها ثم صفّت بين قدميها حتى تصبح . قال رياح : ففحّتني والله .

---

(١) أى اطلقت البخور بالبيت ، والدخنة كالذريرة تدخن بها البيوت .

٦١٥ ـ ابنة أم حسان الأسدية

عن سفيان الثوري قال : دخلت عليٍّ بنت حسان الأسدية وفي جبهتها مثل رُكبة العنَز من أثر السجود . فقلت لها : يا بُنَة أم حسان ألا تأتين عبد الله بن شهاب بن عبد الله ؟ فلو رفعت إليه رقعة فلعله أن يعطيك من زكاة ماله ما تُغيّرين به بعض الحاجة التي أراها بك .
فدعت بمعجر (١) فاعتجرت به وقالت: يا سفيان قد كان لك في قلبي رجحانٌ كثير فقد أذهب الله برجحانك من قلبي ، يا سفيان تأمرني أن أسأل الدنيا من لا يملكها؟ .

قال سفيان : وكان إذا جنّ عليها الليل دخلت محراباً لها وأغلقت عليها ثم نادت : إلهي خلا كلّ حبيبٍ بحبيبه ، وأنا خالية بك يا محبوب ، فما كان من سُخْن يسخّن من عصاك إلا جهنم ، ولاً عذاب إلا النار .

قال سفيان : فدخلت عليها بعد ثلاث فإذا الجوع قد أثرّ في وجهها . فقلت لها : يا بنت أم حسان إنك لن تُؤتَيْ أكثر مما أُوتي موسى والخضر عليهما السلام ، إذ أتيا أهل قريةٍ استطعما أهلها .

فقالت : يا سفيان قل الحمد لله ، فقلت : الحمد لله . فقالت : اعترفت له بالشكر؟ قلت : نعم قالت : وجب عليك من معرفة الشكر شكر وبمعرفة الشكرين شكر لا ينقضي أبداً .

قال سفيان : فَقَصُرَ ، والله ، علمي وفهَّ لساني فولّيت أريد الخروج . فقالت : يا سفيان كفي بالمرء جهلاً أن يُعجب بعلمه ، وكفى بالمرء علماً أن يخشى الله . اعلم أنه لن تُنقّى القلوب من الردي حتى تكون الهموم كلّها في الله همّا واحداً .

قال سفيان فقصُرت إلى والله نفسي .

٦١٦ ـ مملوكة لإبراهيم النخعي

أبو الأحوص ، عن مغيرة أو غيره ، قال : كانت مولاة لإبراهيم تعمد إلى اليوم الشديد الحرّ فتصومه . فقيل لها : إنك تعمدين إلى أشدّ الأيام حراً فتصومينه ؟ فقالت: إن السعر إذا رخُص اشتراه كل أحد .

٦١٧ ـ جارية عبيد الله بن الحسن العنبرى قاضي البصرة

عبد الله بن الحسن القاضي العنبري قال : كانت عندي جارية أعجمية وضيئة ، وكنت بها معجباً . فكانت ذات ليلة نائمة إلى جنبي فانتبهت فلم أجدها . فالتمستها فإذا هي ساجدة تقول : بحبّك لي اغفر لي . فقلت : يا جارية لا تقولي بحبّك لي ، قولي :

(١) المعجر : ما تشده المرأة على رأسها ، والاعتجار أيضاً لف العمامة على الرأس .

بحبِّي لك اغفر لي . فقالت : يا بطال ، حبه لي أخرجني من الشِّرْك إلي الإسلام . فأيقظ عيني وأنام عينك . فقلت : اذهبي فأنت حُرَّةٌ لوجه الله . قالت : يا مولاى أسأت إلي ، كان لي أجران فصار لي أجرٌ واحد .

٦١٨ ـ جارية خالد الوراق

بلغنا عن خالد الورّاق أنه قال : كانت لي جارية شديدة الاجتهاد فدخلت عليها يوماً فأخبرتها برفق الله وقبوله يسيرالعمل . فبكت ثم قالت يا خالد إني لأُؤمل منَ الله تعالى آمالاً لو حملَتْها الجبال لأشفقَتْ من حملها كما ضعفت عن حمل الأمانة وإني لأعلم أن في كرم الله مستغاثًا لكل مذنب ، ولكن كيف لي بحسرة السباق ؟ قال : قلت: وما حسرة السباق ؟ قالت : غداة الحشر إذا بُعثر ما في القبور وركب الأبرار نجائب الأعمال فاستبقوا إلي الصراط . وعزّة سيّدي لا يسبق مقصِّر مجتهداً أبداً ، ولو حبا المجدّ حبْواً . أم كيف لي بموت الحزن والكمد إذا رأيت القوم يتراكضون وقد رُفعت أعلام المحسنين وجاز الصراط المشتاقون ووصل إلي الله المحبّون وخُلِّفتُ مع المسيئين المذنبين ؟ ثم بكت وقالت : يا خالد انظر لا يقطعك قاطع عن سرعة المبادرة بالأعمال فإنه ليس بين الدارين دار يُدرِك فيها الخُدّام ما فاتهم من الخدمة ، فويل لمن قصَّر عن خدمة سيّده ومعه الآمال ، فهلا كانت الأعمال توقظه إذا نام البطّالون ؟ .

٦١٩ ـ الماوردية

ذكر أبو الحسن محمد بن هلال بن المحسِّن في تاريخه قال : كانت عجوز صالحة زاهدة بالبصرة تعرف بالماورديّة قاربت ثمانين سنة ، بقيت خمسين سنة لم تُفطر ولم تنم بالليل، ولم تأكل خبزاً ولا رُطباً ولا تمراً وإنما تطحن لها باقلاّ وتخبز لها خبزاً تقتات به، وتأكل التين اليابس دون الرُطب ، وتنال من الزيت والعنب واللحم الشيء اليسير ، وكانت تكتب وتقرأ وتعظ النّسوان وكانت كثيرة الخير والبركة .

وتوفيّت يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجّة سنة ست وستين وأربعمائة وتبع جنازتها أكثرُ الناس . ودُفنت خارج البلد عند قبور الصالحين .

ذكر المصطفيات من عابدات البصرة المجهولات

٦٢٠ ـ عابدة

عن يعلى بن حكيم قال : قال سعيد بن جبير : ما رأيت أرعى لحرمة هذا البيت ولا أحرص عليه من أهل البصرة ، . ولقد رأيت جارية منهم ذات ليلة تعلّقت بأستار الكعبة فجعلت تدعو وتبكي وتتضرّع حتى ماتت .

٦٢١ ـ عابدة أخرى

عَوْن بن أبي عمارة البصري قال : قال أبو محرز الطَّفاويّ : شكوت إلى جارية لنا ضيق المكسب عليّ وأنا شابٌ فقالت لي : يا بنيّ استعن بعزّ القناعة عن ذلّ المطالب ، فكثيراً ، والله ما رأيت القليل عاد سليماً .

قال أبو محرز : ما زلت بعدُ أعرف بركة كلامها فى قنوعى .

٦٢٢ ـ عابدة أخرى

عن عبد الواحد قال : أتينا امرأة متعبّدة في ناحية البصرة لنسلّم عليها فقيل لنا لا تصلُون إليها . قلنا : ولم ذاك ؟ قالوا : قد غلّقت عليها الباب منذ ثلاث تبكي . قلنا : ولِمَ ذاك؟ قالوا : قتلت نملة .

٦٢٣ ـ عابدة أخرى

عن سعيد بن عُطارد قال : ذُكِرَتْ لي امرأة بالبصرة متعبِّدة فأتيتها فوجدتها تصلّي فانصرفتُ . فقالت : ما اسمك ؟ فقلت : سعيد . قالت : يا سعيد ، كلّ شيء شغلك عن الله فهو عليك مشؤُم . ثم أقبلت على صلاتها وتركتْنى .

٦٢٤ ـ عابدة أخرى

عليّ بن الحسن قال : كانت امرأة بالبصرة تقول لقلبها . فقدتُكَ من قلبٍ ، ما أنساك! أصبحت لعظمة الله ناسياً إلهى كيف لي بالقرب منك غداً وقاسى القلب منك بعيد ؟ .

٦٢٥ ـ عابدة أخرى

عن صالح بن عبد الكريم قال : رأيت امرأة سوداء بالبصرة ، والناسُ مجتمعون عليها . ثم قامت فدخلت داراً فدخلوا معها وأحْدقُوا بها . ، فدنَوْتُ منها فقلت : يا هذه أما تخافين العُجْب ؟ فرفعت رأسها فنظرت إليّ ثم قالت : كيف يعجب بعمله من لا يدرى لعلّه قد رُدّ عليه ؟ .

٦٢٦ ـ عابدة أخرى

الحسين بن جعفر قال : سمعت أبى قال : صليت العيد فى الجبّان ثم انفردت فإذا أنا بعجوزٍ رافعة يديها وهي تقول : انصرف الناسُ ولم أُشعر قلبى اليأس ، يا صاحب الصدقة ها أناذه منصرفة ، فليت شعرى ما زوّدتني ؟ رب ارحم ضعفى وكبَر سنِّى ، خرجت أرجوك فلا تُخيِّب حُسن ظني بك . وهي تبكى فما انتفعت بنفسى يومي .

٦٢٧ ـ عابدة أخرى

حمّاد بن سلمة قال : خرجت في ليلة ظلماء ذات برد وريح ومطر ومعى شوىٌ [١] ، قلت : أقسمْه فـي جيراني . قال : فإذا أنا بامرأة قد خرجت وهي تقول : يا رفيق ارفقْ بنا . قال : قلتُ : ما لك رحمك الله ؟ قالت : يا حمّاد إنه دخل هذا المطر على يتامى تحت فُرُشهم فقلت : يا رفيق ارفقْ بنا ، فدخلت فوجدتهُ أيْبَس مما كان . فقلت : هاك رحمك الله هذا الشيء فأنْفقيه على نفسك وعلى أيتامك . فقالت : إليك عني يا حماد فإني إنما أسأل أجْود الأجودين .

عفان بن مسلم قال : قال لي حمّاد بن سلمة ألحّ المطر علينا سنةً من السنن ، وفي جواري امرأة من المتعبّدات ، لها بنات أيتام ، فوكف السّقف عليهم فسمعتها تقول : يا رفيق ارفق بي . فسكن المطر ، فأخذتُ صُرّة فيها عشرة دنانير وقرعت بابها . فقالت : اجْعلْهُ حمّاد بن سلمة . فقلت : أنا حمّاد ، سمعتك وقد تأذّيت بالمطر فقلت يا رفيق ارفق بنا ، فما بلغ من رفقه بك ؟ فقالت : سكن المطر وأدْفأ الصبيان وجفّف البيت .

قال فأخرجت الدنانير وقلت : انتفعي بهذه . فإذا صبيّة عليها مِدْرعة من صوف تستبين خروقُها ، قد خرجت عليّ وقالت : ألا تسكت يا حماد تعترض بيننا وبين ربنا ومولانا ؟ ثم قالت : يا أماه قد علمنا أنه لما شكونا مولانا أنه سيبعث إلينا بالدنيا ليطردنا من بابه ألْصَقَتْ خدَّها بالتراب ثم قالت : أمّا أنا وعزّتكَ لا زايَلْتُ بابك وإن طردتني . ثم قالت : يا حماد رُدّ عافاك الله دنانيرك إلى الموضع الذي أخرجتها منه فإنا رفعنا حوائجنا إلى من يقبل الودائع ولا يبخس المعاملين .

عن عبيد الله بن محمد القرشي قال : كانت امرأة من عبّاد أهل البصرة ، وكان لها أولاد فأصابها مطر في بعض الليل فوكف عليها البيت ، فجعلت تنقل أولادها من موضع إلي موضع ، فلا يزداد الوكْف إلاّ شدة . فلما أذلقها ذلك قالت : يا رفيق ارفُق بي . قال : فما أصابها من ذلك المطر قَطْرة واحدة .

ومن المصطفيات من عاقلات المجانين بالبصرة

٦٢٨ ـ جارية

عن عبد الواحد قال . قال عُتبة الغلام . خرجت من البصرة فإذا أنا بخباء أعراب قد زرعوا ، وإذا أنا بخيمة ، وفي الخيمة جـارية مجـنونة عليها جُبّة صوف عليها مكتوب : لا تُباع ولا تُشْترى . فدنوتُ فسلّمت عليها فلم تردّ عليّ السلام ، ثم ولَّيتُ . فسمعتها تقول :

---

(١) أي لحم مشوى .

زَهِــدَ الزّاهِدُون والعابدُونا إذْ لمولاهُمُ أجــاعُوا البُـطــونا
أسْهَرُوا الأعْيُن القريحة فيه فمضَى ليلُــهم وهُمْ ساهرونا
حيَّـــرَتْهمْ محبةُ الله حتّى عَلِمَ الناسُ أن فيهــمْ جُنــونا
هُم ألبّا ذوو عُـقول ولكنِ قدْ شَجَاهُمْ جميع ما يعرفونا

قال : فدنوت إليها فقلت : لمن الزّرع ؟ فقالت : لنا إنْ سلم .

فتركتُها وأتيت بعض الأخبية فأرْخَت السماءُ كأفْواه القرب . فقلت : والله لآتينّها فأنظر قصّتها في هذا المطر ، فإذا أنا بالزّرع قد غرق وإذا هي قائمة وهي تقول : والذي أسْكَنَ قلبي من طرف صفاء مودّة محبته إن قلبي ليوقِن منك بالرضا . ثم التفتت إلي فقالت : يا هذا إنه زرعه فأنبته وأقامه فسنْبلَه وركبه فشقَّقه وأرســل عليه غيثاً متغطمطاً فسقاه ، واطّلع عليـــه فحفظه فلما دنا حصادُه أهلكه . ثم رفعت رأسها نحــو السماء فقالت: العباد عِبادُك ، وأرزاقهم عليك ، فاصنع ما شئت فقلت لها : كيف صبرُك ؟ فقالت : اسكت يا عتبة :

إنّ إلهـــي لغنى حمـــيدُ في كلّ يوم منه رِزْقٌ جديدُ
الحمـــد لله الــذي لم يَزْل يفــعلُ بــي أكثر مما أُريدُ

قال عتبة : فوالله ما ذكرت كلامها إلا هيجتني ، انتهى ذكر أهل البصرة .

ذكر المصطفين من أهل الأبلة

٦٢٩ ـ عابد

أبو إسحاق الهرويّ قال : كنت مع ابن الخروطي بالبصرة فأخذ بيدي وقال : قم حتى نخرج إلى الأُبلَّة ، فلما قربنا ونحن نمشي على شاطئ الأبلَّة في الليل والقمر طالع، إذ مررنا بقصر لجنديّ فيه جارية تضرب بالعود ، فوقفنا في فناء القصر نستمع وفي جانب القصر الآخر في ظل القمر فقير بخرقتين واقف ، فقالت الجارية :

كــلَّ يــــومٍ تَتَلوّنْ غيرُ هذا بك أجمَلْ

فصاح الفقير وقال : أعيديه فهذا حالي مع الله تعالى ، فنظر صاحب الجارية إلى الفقير فقال لها : اتركي العود وأقبلي عليه فإنه صوفي فأخذت تقول ، والفقير يقول : هذا حالي مع الله تعالى ، والجارية تردّد إلى أن زعق الفقير زعقة خرّ مغشياً عليه فحركناه فإذا هو ميت فقلنا : مات الفقير . فلما سمع صاحب القصر بموته نزل فأدخله القصر فاغْتممنا وقلنا : هذا يكفّنه من غَيْر وجهه ، فصعد الجنديّ وكسر كل ما كان بين يديه فقلنا : ما بعد هذا إلاّ خير ومضينا إلى الأُبلَة وبتْنا وعرّفنا الناس .

فلما أصبحنا رجعنا إلى القصر وإذا الناسُ مقبلون من كل وجه إلى الجنازة كأنما نُودي في البصرة حتى خرج القضاةُ والعُدول وغيرهُم ، وإذا الجندي يمشي خلف الجنازة حافياً حاسراً حتى دُفن . فلما همّ الناس بالانصراف قال الجندي للقاضي والشهود : اشهدوا أنّ كلّ جارية لي حُرّةٌ لوجه الله تعالى وكلَّ ضياعي وعقاري حبس في سبيل الله وفي صندوق لي أربعة آلاف دينار وهي في سبيل الله .

ثم نزع الثوب الذي كان عليه فرمى به وبقي بسراويله ، فقال القاضي : عندي مئزران من وجههما تقبلهما فقال : شأنك . فحملهما إليه فاتزر بواحدٍ واتّشح بالآخر ، وهام على وجهه فكان بكاءُ الناس عليه أكثر من بكائهم على الميت .

ذكر المصطفيات من عابدات الأبلة

٦٣٠ ـ شعوانة

معاذ بن الفضل ، أبو عون ، قال : بكت شعوانة حتى خفنا عليها العمى ، فقلنا لها فى ذلك ، فقالت : أعمى والله في الدنيا من البكاء أحبّ إليّ من أن أعمى في الآخرة من النار .

مالك بن ضيغم قال : كان رجلٌ من أهل الأُبلّة يأتي أبي كثيراً فيذكر له شعْوانة وكثرة بكائها فقال له أبي يوماً : صِفْ لي بكاءها ؟ .

فقال : يا أبا مالك أصفُ لك ، هي والله تبكي الليل والنهار لا تكاد تَفْتُرُ قال : ليس عن هذا أسألك ، كيف تبتدئ بالبكاء ؟ قال : نعم يا أبا مالك تسمع الشيء من الذِّكر فترى الدموع تنحدر من جفونها كالقَطر . قال فمجاري الدموع من المآق الذي على الأنف أكثر أم مؤخر العين مما يلي الصدْغ ؟ قال يا أبا مالك إنّ دموعها أكثر من أن يعرف هذا من هذا ، ما هي إلا أن تسمع الذكر فتجيء عيناها بأربعٍ نُجوماً متبادرة جداً . فبكى أبي وقال : ما أرى الخوف إلا قد أحرق قلبها كلّه ، ثم قال : كان يقال إن كثرة الدموع وقلّتها علي قدر احتراق القلب ، حتى إذا احترق القلب كله لم يشأ الحزين أن يبكي إلا بكى ، والقليل من التذكرة يحزنه .

قال مالك بن ضيغم : وقال لي أبي يوماً انطلق مع « منبوذ » حتى تأتي هذه المرأة الصالحة فتنظر إليها ، يعني شعْوانة ، فانطلقت أنا وأبو همّام إلى الأبلة ثم غدونا عليها فدخلنا فسلّم عليها منبوذ وقال : هذا ابن أخيك ضيغم ، فرحّبت بي وتحفّت وقالت مرحباً بابن من لم نره ونحن نحبّه ، أما والله يا بنيّ إني لمشتاقة إلى أبيك وما يمنعني من إتيانه إلا أني أخاف أن أشغله عن خدمة سيده ، وخدمةُ سيّده أولى به من محادثة شعوانة . قال : ثم قالت : ومن شعوانة ؟ وما شعوانة ؟ أمة سوداء عاصية .

قال : ثم أخذت في البكاء فلم تزل تبكي حتى خرجنا وتركناها .

يحيى بن بسطام قال : كنت أشهد مجلس شعوانة كثيراً فكنت أرى ما تصنع بنفسها، فقلت لصاحب لي يقال له عمران بن مسلم : لو أتيناها إذا خلت . قال : فانطلقنا أنا وهو إلى الأُبلة فاستأذنّا عليها فأذنت لنا فإذا منزلٌ رثّ الهيئة أثرُ الجَدْب عليه بَيِّنٌ . فقال لها صاحبي : لو رفقت بنفسك فقصرت عن هذا البكاء شيئاً كان أقوى لك على ما تريدين. قال : فبكت ثم قالت : والله لوددت أني أبكى حتى تنفد دموعي ، ثم أبكى الدماء حتى لا تبقى في جسدي جارحة فيها قطرة من دم ، وأنى لي البكاء ؟ قال : فلم تزل تردّد ذلك حتى انقلبت حدقتاها ، ثم مالت ساقطة مغشيا عليها . فقمنا فخرجنا وتركناها على تلك الحال .

رَوْح بن سلمة قال : قال لي مُضَر : ما رأيت أحداً أقوى على كثرة البكاء من شعوانة، ولا سمعت صوتاً قط أحرق لقلوب الخائفين من صوتها إذا هي نشجت ثم نادت : يا موتى وبني الموتى وإخوة الموتى .

قال محمد : وقلت لأبي عُمر الضرير : أتيت شعوانة ؟ قال : قد شهدت مجلسها مراراً ما كنت أفهم ما تقول من كثرة بكائها . قلت : فهل تحفظ من كلامها شيئاً ؟ قال: ما حفظت من كلامها شيئاً أذكره الساعة إلاّ شيئاً واحداً ، قلت وما هو ؟ قال : سمعتها تقول : من استطاع منكم أن يبكي فَلْيبكِ وإلاّ فليرحمِ الباكي فإن الباكي إنما يبكي لمعرفته بما أتى إلى نفسه .

عن الحارث بن المغيرة قال : كانت شعوانة تنُوحُ بهذين البيتين :

يُؤَمّـلُ دُنْيـا لتـبقـى له   فَوَافَـى المنيـة قبـل الأمَـلْ
حثيثاً يُروِّي أُصُـول الفَسيلِ   فعاش الفسيلُ ومـات الرجُـلْ

الحـسن بن يحيى قال : كانت شعوانة تردِّدُ هذا البيت فتبكي وتُبْكي النُّساك معها ، تقول :

لقد أمن المغـرورُ دارَ مُقامه   ويوشك يوماً أن يخاف كما أمِنْ

عن فُضيْل بن عياض قال : قدمت شعوانة فأتيتها فشكوت إليها وسألتها أن تدعو بدعاء ، فقالت : يا فُضيْل أما بينك وبين الله ما إن دعوتَهُ استجاب لك ؟ قال : فشهق الفضيل وخرّ مغشياً عليه .

عن محمد بن عبد العزيز بن سلمان قال : كانت شعوانة قد كمدت حتى انقطعت عن الصلاة والعبادة فأتاها آتٍ في منامها فقال :

أذري جفـــونك إمّا كُنتِ شاجيةً   إنّ النياحةَ قد تشـفي الحزينينا

جِدّي وقُومي وصُومي الدهر دائبة   فإنما الدّوب من فعل المُطيعينا

فأصبحتْ فأخذت في الترنمّ والبكاء وراجعت العمل .

إبراهيم بن عبد الملك قال : قدمت شعوانة وزوجها مكة فجعلا يطوفان فإذ أكَلَ أو أعيا جلس وجلست خلْفه فيقول هو في جلوسه : أنا العطشان من حُبّك لا أروى . وتقول هي بالفارسية : أنْبتَ لكل داءٍ دواء في الجبال ، ودواءُ المحبِّين في الجبال لم ينبت. رضي الله عنها .

٦٣١ ـ خشة الأبلية

يعقوب بن محمد قال : قالت خُشَّة الأُبليَّة : إن الذنوب أقلّ في جُودك من أن لا تغفرها ، فمن ثَمّ خلا قلبي من الذنوب لمحبَّتك . رضي الله عنها .

ومن عقلاء المجانين بالأبلة

٦٣٢ ـ ريحانة

أبو القاسم بن سعيد قال : سمعت صالحاً المريّ . يقول : رأيت ريحانة المجنونة فسلمت عليها فقالت لي : يا صالح اسمع :

بِوَجْهِـكَ لا تُعذِّبْني فــإنِّي   أُؤمّل أنْ أفُــوزَ بخَيــرِ دارِ

وأنت مجاورُ الأبرار فيهـــا   ولولا أنت ما طــاب المزارُ

عن الربيع قال : بتُّ أنا ومحمد بن المنكدر ، وثابت البناني ، عند ريحانة المجنونة بالأبلة فقامت أول الليل وهي تقول :

قام المحبّ إلى المؤمَّل قومةً   كاد الفؤادُ من السرور يطيرُ

فلما كان جوف الليل سمعتها تقول أيضاً :

لا تأنســـنَّ بمـــن توحشـــكَ نظرته   فتُمنَعنّ مـن التَّذكار فـي الظُلَمِ

واجهدْ وكدّ وكُن في الليل ذا شَجن   يَسقيك كأس ودادِ العزّ والكرمِ

قال : ثم نادت : واحرباه واسلباه . فقلت : مم ذا ؟ فقالت :

ذهـــب الظـــلامُ بأنســـه وبأُلْفِه   ليـــت الظلام بأنســـه يتجدّدُ

انتهى ذكر أهل الأبلة رضي الله عنهم .

أبو بكر المروزي قال : سمعت عبد الصمد يقول : قال لي بشر بن الحارث : عبادان ميدان العباد .

قال المروزي : وقال لي أبو عبد الله أحمد بن حنبل : ما زال العُبّاد يأتونها وقد رأيت بها هُدّاباً العابد .

محمد بن نعيم بن الهيصم قال : سمعت بشر بن الحارث قال : من أراد الزهد والعمل فليأت عبّادان ، وَدِدْتُ أني في زاوية من زوايا عبادان في عافية ، حرسها الله تعالى .

٦٣٣ ـ سعيد بن عطارد رضي الله عنه

إسحاق بن عباد قال : سمع بن عطارد ضجة في مسجد أبي عاصم بالليل ، فقام فقال: تذهب بهذا الدرهم السوق تُلقيه في هذه الجياد لعل الله عز وجل يتجاوز به .

عبد الصمد قال : كان سعيد بن عطارد بكاءً . رضي الله عنه .

٦٣٤ ـ عابد من بني سعد

أبو عاصم العَبّاداني قال : كان رجل من بني سعد يَقْدُم علينا في أول ما اتُّخذت عبادان فكانت إذ ذاك وبيئة قال : فكان يصلّي الليل والنهار لا يكاد يفْتُر ، فإذا كان السَّحر احتبَى واستقبل البحر فجعل يبكي وينوح على نفسه .

قال : فإذا أحسّ بإنسان أمسك . قال : فخرجت ذات ليلة إلى الساحل فإذا أنا بصوته وإذا هو يبكي ويقول في بكائه :

ألا يا عينُ ويحك أسْعديني بطُول الدَّمع في ظلُم الليالي
لعلَّك في القيامة أن تفوزي بخيْر الدهر في تلك العلالي

قال فلما أحسَّ أمسك فرجعت وتركتهُ .

٦٣٥ ـ عابد آخر

سلم بن زرعة بن حماد أبو المرضي ، شيخ بعبّادان له عبادة وفضل ، قال : ملُح الماءُ عندنا منذ نيّف وستيّن سنة وكان هاهنا رجل من أهل الساحل له فضل قال : ولم يكن في الصهاريج شيءُ وحضرت المغربُ فهبطتُ لأتوضأ للصلاة من النهر ، وذلك في رمضان وحرّ شديد فإذا أنا به وهو يقول : سيدي أرضيت عملي حتى أتمنى عليك أم رضيت طاعتي حتى أسألك ؟ سيّدي غُسالة الحمّام لمن عصاك كثير ، سيدي لولا أني أخاف غضبك لم أذق الماء ولقد أجهدني العطش .

قال : ثم أخذ بكفيه فشرب شرباً صالحاً فتعجّبت من صبْره على مُلوحته فأخذتُ من الموضع الذي أخذ فإذا هو بمنزلة السكّر فشربت حتى رويت .

قال أبو المرضي : فقال لي هذا الشيخ يوماً : رأيت فيما يرى النائم كأن رجلاً يقول لي : قد فرغنا من بناء دارك لو رأيتها قرّت عيناك وقد أمرنا بنجدها (١) والفراغ منها إلى سبعة أيام واسمها السرور ، فأبشر بخير فلما كان اليوم السابع وهو يوم الجمعة بكر للوضوء فنزل في النهر وقد مد فزلق فغرق فأخرجناه بعد الصلاة فدفنّاه .

قال أبو المرضي فرأيته بعد ثالثة في النوم وهو يجيء إلى القنطرة وهو يكبّر وعليه حللٌ خُضر فقال لي : يا أبا المرضي أنزلني الكريم دار السرور فما أعدّ لي فيها ؟ فقلت : صف لي فقال : هيهات يعجز الواصفون عن أن تنطق ألسنتهم بما فيها ، فاكتسبْ مثل الذي اكتسبتُ وَلَيْت أنه عيالي يعلمون أنْ قد هُيِّئ لهم منازل معي ، فيها كل ما اشتهت أنفسهم ، نعم وإخواني وأنت معهم إن شاء الله . ثم انتبهتُ .

٦٣٦ ـ عابد آخر

العطار قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : رأيت رجلاً على ساحل عبادان قد قطع الجذام يديه ورجليه وقد ذهب بصره فجعلت أنظر إليه وأقول في نفسي : مجذومٌ مكفوفٌ قال : فصاح وقال : من ذا المتكلف الذي يدخل بيني وبين مولاي قال بشر فأدّبني قوله .

٦٣٧ ـ عابد آخر

علي بن سعيد العطار قال: مررت بعبّادان بمكفوف مجذوم وإذا الزّنبور يقع عليه فيقطّع لحمه فقلت الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفتح من عيني ما أغلق من عينك .

قال : بينما أنا أُردد الحمد إذ صرخ ، فبينما هو يتخبط نظرت إليه فإذا هو مُقْعَد فقلت مكفوف يُصرع مُقعد مجذوم . قال : فما استتممت حتى صاح : يا متكلف ما دخولك فيما بيني وبين ربي ؟ دعه يفعل بي ما شاء . ثم قال : وعزّتك وجلالك لو قطّعتني إرْباً إرباً أو صببت عليّ البلاءَ صبا ما ازْدَدْتُ لك إلاّ حُبا رضي الله عنه .

٦٣٨ ـ عابد آخر

عابد بعبّادان قال : مكثت ستة أيام لم أطعم شيئاً . قال : قلت أجربّ نفسي على الصبر . فلما كانت الليلة السابعة دخل في قلبي من ذلك سرور ، ورأيت أني قد

(١) النجادة : تزيين البيت بالستور والفراش وغيرها .

صبرت وعملت شيئاً فإذا بقائل يقول : لم تبلغ كُنْهَ الصابرين ، إنما الصابرون المستقلّون لأعمالهم ، الخائفون عليها من فسادها، الوجلون من ردّها عليهم ، فأولئك هم الصابرون .

٦٣٩ ـ عابد آخر

أحمد بن محمد البزّاز قال : كنت بعبادان وكانت ليلة عاشوراء ، فدخلت إلى دار السبيل فرأيت فقيراً جالساً يأكل خبز الشعير وملحاً جريشاً فاحترق قلبي عليه وكان معي ألف دينار للتفرقة بعبّادان فسألت عنه فقيل : هو أفضل من ههنا في الزهد ومنازلة الفقر فقلت في نفسي : أعطيه الدنانير التي معي فإني لا أعرف المستحقين .

فلما أصبحنا قصدتُه وسلّمت عليه وجلست إليه وباسطني وباسطته فقلت له : رأيت الشيخ البارحة يأكل خبز الشعير وملحاً جريشاً وأعلم أنه كان صائماً فحملت إليه شيئاً ليتحكم فيه . وقدمت إليه الكيس وقلت له : هو ألف دينار فشدّد النظر وقال : خذه فإن هذا جزاء من أفشى سرّه إلى الناس .

٦٤٠ ـ عابد آخر

أبو الخير الأسود المعروف بالعسقلاني قال : كان بعبّادان رجل زنجي مُفلفل الشعر يأوي الخربات ، فحملت معي شيئاً وطلبته فلما رفع بصره تبسَّم وأشار بيده إلى الأرض، فرأيت حواليَّ حيث أرى دراهم ودنانير تلمعان . ثم قال لي : هات ما معك فناولته وهربت وهالني أمره .

٦٤١ ـ عابد آخر

عبد الله بن محمد قال : كتب إليَّ إسحاق بن موسى الأنصاري يذكر أن عبَّاد بن كليب حدثهم قال : كنت بعبَّادان فرأيت شاباً من قريش عليه جبة صوف فسمعته يقول: إن لله عباداً يستروْحون إلي الغُموم فقلت : يرحمك الله تلبس الصوف ؟ فقال : إنما أنا عبد فإذا أُعتقت لبست فذكرت ذلك لشريك فقال : ما أكره الصوف لمثل هذا ، ما خرج هذا الكلام إلا من كنز .

٦٤٢ ـ عابد آخر

بحر أبو يحيى العابد قال : رأيت عابداً بعبَّادان يبكي عامة الليل والنهار فقلت له : يا أخي كم تبكي فازداد بكاءً ثم قال لي : فما أصنع إذا لم أبك ؟ فما أصنع إذا لم أبك ؟ وغُشِي عليه .

ومن عابدات عبادان

٦٤٣ ـ عابدة

صالح بن عبد الله قال : خرجنا إلى عبَّادان منذ نحو من ستِّين سنة ، فلما صِرنا عند

الجبل في بعض تلك السِّكك ومعنا قارئ لنا فقرأ فإذا امرأة على سطح فصرخت ثم سقطت من السطح فحُملت فأدخلت داراً ثم ما برحنا حتى ماتت .

قال : ونُودِي في أهل البصرة فما رأيت يوماً أحسن ولا أكثر جمعاً من ذلك اليوم انتهى ذِكْرُ أهل عبّادان .

٦٤٤ ـ ذكر مجنون بمهرجان قذق

أبو همام ، إسرائيل بن محمد القاضي قال : كان بمهرجان قذق رجل يقال له سابق وكان معتوهاً ذاهب العقل قد توحَّش فكان مأواه الخربات والغياض والمقابر قال : وكنت أحب أن أكلّمه وأسمع جوابه . فقيل لي يوماً : هو في المقابر . فقمت حافياً فدخلت المقابر فإذا أنا به منكّس رأسه في قبر ، فلم يعلم حتى سلَّمت فرفع رأسه فقال : وعليكم السلام .

قال : وهبْته فانقطعت ولم أتكلَّم ، فرأى ذلكَ في فقال : يا إسرائيل خف الله خوْفاً لا يَشْغلك عن الرجاء فإنك إن ألزمت قلبك الرجاء شغَلْته عن الخوف ، وفرِ إلى الله ولا تفرّ منه فإنّه مُدركك ولن تعجزه ، ولا تُطع المخلوق في معصية الخالق واعلم أن الله تعالى يوماً تشخص فيه القلوب والأبصار ، مُهطِعين مُقْنعي رُؤُوسهم لا يرتدّ إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء .

قال : ثم قام فتخطّى حائطاً ومضى في الخرابات فقلت للذي يحفر القبور : إذا جاء فأتني فأعْلمْني .

فمكث شهراً أو أكثر . قال : وأتاني الرجل فقال : قد دخل الساعة المقابر فقمت إليه في غير نعل ولا رداء ، فلما بصر بي ولّى وأسرعت فقلت : يا سابق لا أعود إليك بعد اليوم . فوقف فقلت : علِّمني كلمات أدعو بهنّ فقال : إنّ آخذ الكلام للقلوب ما جاء من القلوب وإنّ أفضل الأعمال ما أُكرهت عليه النفوس . ثم قال : قل اللهم اجعل نظري عبرة ، وسكوتي فكْرة ، وكلامي ذكْراً ثم ولّى مسرعا .

ذكر من اصطفى من أهل تستر[1]

٦٤٥ ـ سهل بن عبد الله بن يونس التستري يكنى : أبا محمد ، رضي الله عنه[2]

العباس بن أحمد قال : سمعت سهل بن عبد الله يقول : آلة الفقير ثلاثة أشياء : حِفْظ سرّه ، وأداء فرضه ، وصيانة فقره .

(١) تستر : مدينة قديمة بخوزستان .
(٢) انظر : الحلية (١٠/ ١٨٩) ، وسير الأعلام (١٣/ ٣٣٠) .

أبو بكر الجوزي قال : سمعت سهل بن عبد الله يقول : ليس كل من عمل بطاعة الله صار حبيب الله ، ولكن من اجتنب ما نهى الله عنه صار حبيب الله ولا يجتنب الآثام إلاّ صديق مقرَّب وأما أعمال البر فيعملها البر والفاجر .

أخبرنا محمد . قال : أخبرنا أحمد بن عبد الله قال : سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول : سمعت أبا بكر محمد بن المنذر يقول : قال سهل بن عبد الله : من دقّ الصراطُ عليه في الدنيا عرُض عليه في الآخرة ، ومن عرُض عليه الصراط في الدنيا دقَّ له في الآخرة .

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سلمة قال : سمعت سهلْ بن عبد الله يقول : استجلبْ حلاوة الزهد بقصرَ الأمل ، واقْطَع أسباب الطَّمع بصحّة اليأس ، وتعرّض لرقَّة القلب بمجالسة أهل الذِّكر ، واستفتح باب الحزن بطول الفكر ، وتزيَّنْ لله بالصدق في كل الأحوال ، وإيّاك والتّسويف فإنه يُغرق الهلكى ، وإيّاك والغفلة فإنّ فيها سواد القلب، واستجلبّ زيادة النعَم بعظيم الشّكر .

أبو حفص بن شاهين قال : قرأت على جعفر بن محمد الثقفي ، سمعت سهل بن عبد الله يقول : أول الحجاب الدعوى فإذا أخذوا في الدعوى حرموا .

أبو بكر أحمد بن محمد السائح قال : سمعت القاسم بن محمد صاحب سهل يقول: سمعت سهل بن عبد الله يقول : ليس بين العبد وبين الله حجاب أغلظ من الدعوى ، ولا طريق أقرب إليه من الافتقار .

علي بن سالم قال : سمعت سهل بن عبد الله ، وقيل له : أيُّ شيءٍ أشدّ على النفس؟ فقال : الإخلاص ، لأنَّ لها فيه نصيبًا .

محمد بن الحسن بن الصباح قال : سمعت سهل بن عبد الله يقول : أمس قد مات ، واليومُ في النَزْع ، وغدٌ لم يولد .

أبو العباس الخوّاص ، جارنا بالدورّ ، قال : كنت عند سهل بن عبد الله وكنت أُحبّ شيئاً من أمره الذي كان يُسره ، وقد كنت سألت جماعة من أصحابه : من أين يقتات ؟ فَلم يقف أحد منهم على شيءٍ فيخبرني به ، فجئت ليلةً إلي مسجده وهو قائم يصلّي فوقفت طويلاً وهو لا يرجع حتى جاءت شاة فَزَحَمَتْ باب المسجد وأنا أراها ، فلما سمع سهل حركة الباب ركع وسجد وسلم وخرجَ إلي باب المسجد ففتحه وقدّم الشاة إليه ومسح يده عليها ، وقد كان أخرج معه قَدَحاً أخذه من طاقٍ في المسجد فَحلَب وشَرب ثم مسح يده عليها وكلّمها بالفارسية فذهبت في الصحراء ، ودخل هو إلى المسجد وقام في محرابه .

محمد بن الحسن بن الصباح قال : قال سهل بن عبد الله التُسْتَري : من أراد أن ينظر إلى مجالس الأنبياء فلينظر إلى مجالس العلماء ويجيء الرجل فيقول : يا فلان أيّ شيءٍ تقول في رجل حلف على امرأته بكذا وكذا ؟ فيقول : طُلِّقت امرأته ، ويجيء آخر فيقول: بم تقول في رجل حلف على امرأته بكذا وكذا فيقول : ليس يحنث بهذا القول. وليس هذا إلاّ لنبيّ أو لعالم فاعرفوا لهم ذلك .

أسند سهل عن خاله محمد بن سوّار ، ولقي ذا النون ، وتوفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين ، وقيل ثلاث وسبعين ، رضي الله عنه .

ومن المصطفين من أهل شيراز

٦٤٦ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي(١)

ولد في سنة ثلاث وتسعين وثلاث مائة ، وتفقّه على جماعة منهم أبو الطيّب الطَّبري، ودخل بغداد في سنة خمس عشرة وأربعمائة ، وسمع الحديث من البْرقاني وأبي عليّ بن شاذان ، ورأى رسول الله ﷺ في منامه ، فقال له : يا شيخ فكان يفرح ويقول سمّاني رسول الله ﷺ شيخاً .

وقال : كنت أعيد كل درس مائة مرة وإذا كان في المسألة بيتٌ يُستَشْهد به حفظت القصيدة كلّها لأجله ، وكان عاملاً بالعلم وصابراً على خُشُونة العيش .

وقال يوماً لبعض أصحابه : وكَّلْتُك في أن تشتري لي دبساً بهذا القُرْص على وجه الآخر . فمضى واشترى وجاء به وشكّ بأيِّ القُرْصَيْن اشترى ؟ فما أكل الشيخ ، وقال: لا أدري هل اشتريت بالقرص الذي وكَّلتُك فيه أم بالآخر ؟ .

وكـــان يوماً يمشي ومعه بعض أصحابه فعَرضَ في الطريق كلب فزجره الصاحب، فنهاه أبو إسحاق وقال : لِمَ طردته عن الطريق ؟ أما علمت أن الطريق بيني وبينه مُشترك .

وقال أبو الوفاء بن عقيل : شاهدت شيخنا أبا إسحاق لا يُخْرج شيئاً إلى فقير الاّ أحضر النيّة . ولا يتكلم في المسألة إلا قدّم الاستعانة بالله وإخلاص القصد في نُصرة الحق دون التحسّن للخلق ، ولا صنّف مسألة إلا بعد أن صلى ركعات ، فلا جرم شاع اسمه وانتشرت تصانيفه شرقاً وغرباً ، هذه بركات الإخلاص .

وتُوفي أبو إسحاق في سنة ست وسبعين وأربعمائة . ورئي في المنام وعليه ثياب بيض وعلى رأسه تاج فقيل له : ما هذا البياض ؟ فقال : شَرف الطاعة . قيل : والتاج ؟ قال عِزّ العلم . رضي الله عنه .

---

(١) المصدر السابق (١٨/ ٤٥٢) .

ومن المصطفين من أهل كرمان

٦٤٧ ـ شاه بن شجاع الكرماني

يُكْنى أبا الفوارس كان من أبناء الملوك فتزهّد رضي الله عنه .

أبو عبد الرحمن السلمي قال : سمعت جدّي أبا عمرو بن نَجِيد يقول : كان شاه بن شجاع حادّ الفراسة ، وقيل : ما أخطأت فراسته .

وكان يقول : من غضَّ بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشهوات ، وعمَّر باطنه بدوام المراقبة ، وظاهره باتباع السُّنّة ، وعوّد نفسه أكل الحلال لم تُخطِ له فراسة .

ابن الحشا قال : قال شاه الكرْماني : مَن صحبكَ ووافقك على ما يحبّ ، وخالفك فيما يكره ، فإنما يصحب سواه ، ومن صحب هواه فهو يطلب راحة الدنيا .

أبو عليّ الأنصاري قال : سمعت شاه بن شجاع الكرماني يقول : لأهل الفضل فضلٌ ما لم يَروه ، فإذا رأوْه فلا فضل لهم ، ولأهل الولاية ولاية ما لم يروها ، فإذا رأوها فلا ولاية لهم .

صحب شاه بن شجاع أبا تراب النخشبي وأبا عبيد البسري وغيرهما ، ولا نعلمه أسند حديثاً .

وحكى السَّلميّ عن عبد الله بن محمد الرازي قال : أظنه مات بعد سبعين ومائتين رضي الله عنه .

ومن المصطفين من أهل أرجان

٦٤٨ ـ عابدة

عبد ربِّه الخواص قال : كان بأرَّجان امرأة فارسية تقول : يا مولاى تدبّرتُ حكمتك في خلقك فإذا العدل منك يقصمهم ، ثم رجعت بعدُ إلى معرفتي بسعة رحمتك . فعلمت أنّ عفْوك يسعهم ، مولاى أخرت الخاطئين فلم تعجّل عليهم بالعقوبة فلقد أطمعهم حُسن إنظارك لهم في حُسن عفوك عن جرائم الخاطئين ، وما يمنعهم من ذلك وقد تقدّم إلى الأُمم إحسانك قبل ذلك ؟ .

قال وكانت تنوح على نحو هذا الكلام وتبكي رضي الله عنها .

ومن المصطفين من أهل سجستان

٦٤٩ ـ أبو داود السجستاني[1]

واسمُهُ سُليمان بْنُ الأشْعَثِ بنُ إسحاق كان مَن أكبر أئمة المحدّثين وعلمائهم بالنقل

---

(١) صاحب السنن ، انظر : سير الأعلام (١٣/ ٢٠٣) .

وعلَله ، ولم يسبقه أحد إلى مثل تصنيفه كتاب « السنن » ، وعرضه على أحمد بن حنبل فاستحسنه .

وقال إبراهيم الحربي : أُلِينَ الحديثُ لأبي داود كما أُلين الحديد لداود ، وجمع مع علمه الورع والتّقْوى .

أبو بكر بن راشد قال سمعت أبا داود يقول : كتبت عن رسول الله ﷺ خمس مائة ألف حديث وانْتَخَبْت منها ما ضمّنته هذا الكتاب - يعني كتاب السنن - جمعت فيه أربعة آلف وثمان مائة حديث ، ذكرتُ الصحيح وما يُشبهه وما يقاربه ، ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعةُ أحاديث ؛ أحدُها : قوله ﷺ « الأعمال بالنيات » والثاني : قوله ﷺ : « من حُسن إسلام المرء تركُه ما لا يعنيه » ، والثالث : قوله ﷺ : « لا يكونُ المؤمن مؤمناً حتى يرضى لأخيه ما يرضاه لنفسه » ، والرابع : قوله ﷺ « الحلال بيِّن والحرام بيِّن ، وبين ذلك أمور مشْتبهات » . . . الحديث (١) .

عبيد الله بن أحمد بن يعقوب المقري قال : أخبرني محمد بن بكر بن عبد الرزاق في كتابه قال : كان لأبي داود السجستاني كُمٌّ واسع وكُمٌّ ضيِّق ، فقيل له : يرحمك الله ما هذا ؟ قال الواسع للكتب والآخر لا يُحتاج إليه .

عن إبراهيم عن علقمة قال : كان عبد الله يشبَّه بالنبي ﷺ في هَدْيه ودلّه ، وكان علقمة يشبَّه بعبد الله .

وقال جرير بن عبد الحميد : : كان إبراهيم يشبّه بعلقمة وكان منصور يشبّه بإبراهيم .

وقال غير جرير : كان سفيان يشبَّه بمنصور .

وقال عمر بن أحمد : قال أبو علي القُوهسْتاني : كان وكيع يشبّه بسفيان . وكان أحمد ابن حنبل يشبَّه بوكيع ، وكان أبو داود يشبّه بأحمد بن حنبل ، رضي الله عنهم .

أبو بكر بن أبي داود قال : سمعت أبي يقول : الشهوة الخفيَّة حُبُّ الرّياسة .

كتب أبو داود عن العراقيين والخراسانيّين والشاميّين والبصريّين والجزريّين وغيرهم ،

---

(١) هذه الأحاديث متفق عليها فى الصحيحين ، إلا الثالث رواه الترمذى (٢٣١٧) ، وورد أيضاً عن أبى داود أنه قال :

عـــمدة الدين عندنا كـــــلمات مســـــندات من قول خير البرية
اترك المشـــبهـــات ، وازهـــد ودع ما ليس يعنيك ، واعملن بنية

وانظر : فتح البارى (١/١٥٦) ، والتوشيح للسيوطى عند حديث (٥٢) ، والأحاديث الكلية لأبى عمرو ابن الصلاح .

وسمع من مسلم بن إبراهيم وسليمان بن حرب وخَلْقٌ لا يُحْصَوْن ، وكتب عنه أحمد بن حنبل حديثاً واحداً وأصله من سجستان ثم سكن البصرة وقدم بغداد مراراً .

وتوفي بالبصرة سنة خمس وسبعين ومائتين .

ومن المصطفين من أهل ديبل

٦٥٠ ـ أبو عبد الله الديبلى

محمد بن منصور الطوسي قال : سمعت أبا عبد الله الدَّيْبُليّ يقول : كلَّمني بعض إخواني مرةً أن أشتري لعيالي داراً فاشتريت لهم داراً وكان الله تعالى قد وهب لي طيَّ الأرض ، فقُصّ جناحى ، فبعث إليّ بعض إخواني : إلْقنا الليلة في موضع كذا وكذا على مسافة من الأرض ، فبعثتُ إليهم قد قُصّ جناحي فادْعو لي فبعثوا إليَّ صلةً من الموضع الذي انقصّ فرجعتُ فحرقْت الصّكّ فردّ الله عليّ ما كان ذهب مني .

ذكر المصطفين من عباد البحرين

٦٥١ ـ خليفة العبدى

هلال بن دارم قال : كان خليفة العبدي جاراً لنا بالبحرين فكان يقوم إذا هدأت العيون فيقول : اللهم إليك قمت أبتغي ما عندك من الخيرات . ثم يعمد إلى محرابه لا يزال يصلّي حتى يطلع الفجر .

قال : وحدّثتني عجوز كانت تكون معه في الدار قالت : كنت أسمعه يدعو في السجود يقول : هب لي إنابة إخْبات ، وإخْبات مُنيب وزيِّنّي في خلقك بطاعتك ، وحبّبني لديك بحسن خدمتك ، وأكرمني إذا وفد إليك المتقون فأنت خير مسئول وخير معبود وخيرُ مشكور وخير محمود .

وقالت : كنت أسمعه إذا دعا في السحر يقول : قام البطالون وقُمت معهم ، قمنا إليك ونحن متعرّضون لجودك ، فكم من ذي جُرْم عظيم قد صفحت له عن جرمه ، وكم من ذي كرْب عظيم قد فرّجْتَ له عن كربه ، وكم من ذي ضُرّ كثير قد كشفت له عن ضُره ، فبعزّتك ما دعانا إلى مسألتك بعد ما انطوينا عليه من معصيتك إلا الذي عرّفتنا من جودك وكرمك ، فأنت المؤمل لكل خير ، والمرجوّ عند كل نائبة .

بكر بن مصادر قال : قال خليفة العبدي ، وكان ممن ينظر بنور الله وينطق بحكمته : أصبح الخلق على خطر من الله عظيم، وهم عن ذاك مُعرضون فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

قال : وكان خليفة قد أخلقه الدّءوب والكَلال .

يحيى بن بَسْطام قال : قال ضيغم صلى خليفة العبدي حتى انشقت قدماه .

٦٥٢ـ عابد آخر

إبراهيم بن عيسى اليشْكري قال : دخلت على رجل بالبحرين قد اعتزل الناس وتفرّغ لنفسه فذاكرته شيئاً من أمر الآخرة وذكر الموت ، قال : فجعل والله يشهق حتى خرجت نفسه وأنا أنظر إليه قال : فدخل الناس عليه فقالوا : يا عبيد الله ما أردت إلى هذا ؟ لعلك أن تكون ذاكرته بشيءٍ من أمر الموت . قال : قلت أجل والله لقد كان ذلك . قال: فبكى من جيرانه وقال : رحمك الله لقد خفت أن يقتلك ذكر الموت حتى والله لقد قتلك ، قال : ثم جهّزناه ودفنّاه رضي الله عنه .

٦٥٣ـ عابد آخر

قال مِسمَع : سمعت عابداً من أهل البحرين يقول في جوف الليل ، ونحن على بعض السواحلِ ، قرّة عيني ، وسرور قلبي ، ما الذي أسقطني من عينك يا مانح العصم قال : ثم صرخ وبكى ثم نادي طُوبي لقلوب ملأتْها خشيتُك واستولت عليها محبّتك فمحبتك مانعة لها من كل لذة غير مناجاتك ، والاجْتهاد في خدمتك ، وخشيتُك قاطعة لها عن كل معصية خوفاً لحلول سُخْطك ، ثم بكى وقال : يا إخوتاه ابكوا على خوف فوت الآخرة حيث لا رجعة ولا حيلة .

ذكر المصطفيات من عابدات البحرين

٦٥٤ ـ منيفة بنت أبى طارق

مسمع بن عاصم المسمعي قال : كانت بالبحرين امرأة عابدة يقال لها مُنيفة ، فكانت إذا هجم الليل عليها قالت : بخٍ بخٍ يا نفس قد جاء سرور المؤمن ، فتتحزَّم وتلبس وتقوم إلى محرابها فكأنها الجذْع القائم حتى تصبح ، فإذا أصبحت وأمكنتْ الصلاة فإنما هي في صلاة حتى يُنادى بالعصر ، فإذا صلّت العصر هَجَعَتْ إلى غُروب الشمس هذا دأبَها ، قيل لها : لو جعلت هذه النومة في الليل كان أهدأ لبدنك ، فقالت : لا والله لا أنام في ظلمة الليل ما دمت في الدّنيا .

قال أبو سفيان فحدّثني رجل من أهلها قال : فمكثت كذلك أربعين سنة ثم ماتت .

قال أبو سفيان : فحدثني رجل من البحرين يقال له عامر بن مُليك قال : رأيت مُنيفة بعد موتها في منامي فقلت : يا مُنيفة ما حالُ الناس هناك ؟ فأقبلت عليّ وقالت : عن أيّ حالهم تسأل ؟ الدارُ واحدة لأهل الطاعة يتعالون فيها بالأعمال ، ولا تسأل عن حال

أهل النار . قال : فبكيت والله من قولها لا تسأل عن حال أهل النار . ثم ولّيت فأتبعتني صوتاً : يا عـامر عليك بالجد والاجتهاد لعلّك أن تَجْرِيَ في مساعي السابقين غداً. قال عامر : فمرضت والله من هذه الرؤيا شهراً .

قال أبو سيّار : وحدثني عامر بن مليك البحراني عن أمه قالت : بتُّ ذات ليلة عند منيفة ابنة أبي طارق فما زادت على هذه الآية من أول الليل إلى آخره تردّدها وتبكي وتقول **﴿وكيْفَ تكْفُرُون وأنْتُمْ تُتْلى عليكُمَ آياتُ الله وفيكُمْ رسُوله ، ومَنْ يعتصم بالله فقدْ هُديَ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيم﴾** (١) .

٦٥٥ ـ ماجدة القرشية

المنهال بـن يحيي البصـري قال : حدثني إياس بن حمزة ، رجل من أهل البحرين ، قال : قالت امرأة من قريش يقال لها ماجدة ، كانت تسكن البحرين : طوى أملي طلوعُ الشمس وغروبُها، فما من حركة تُسمع ولا من قدم تُوضع إلا ظننتُ أن الموت في أثرها.

وكانت تقول : سكان دارٍ أُوذنوا بالنقلة ، وهم حيارى يركضون في المُهْلة كأنّ المراد غيرُهم ، أو التّأذين ليس لهم والمعنّي بالأمر سواهم ، آه من عقولٍ ما أنقصها ، ومن جهالةٍ ما أتمَّها بؤساً لأهل المعاصي ماذا غُرّوا به من الإمهال والاستدراج .

وكانت تقول : بسطوا آمالهم فأضاعوا أعمالهم ، ولو نصبوا الآجال وطووا الآمال خفّت عليهم الأعمال .

وكانت تقول : لم ينل المطيعون ما نالوا من حُلول الجنان ورضا الرحمن إلاّ بتعب الأبدان لله والقيام لله بحقه في المنشط والمكره .

وكانت تقول : كفى المؤمنين طولُ اهتمامهم بالمعاد شغلاً .

وكانت تقول : لو رأت أعين الزاهدين ثواب ما أعدّ الله لأهـل الإعـراض عن الدنيا لَذابَتْ أنفسُهم شوقاً إلى الموت لينالوا من ذلك ما أملّوه من تفضله تعـالى ، رضي الله عنها .

ذكر المصطفيات من عابدات البحرين المجهولات الأسماء

٦٥٦ ـ عابدة

عن عبد الواحد بن زيد قال : رأيت امرأة بالبحرين تَنْشِجُ على الآخرة نَشِيجاً ، كلما نشجت نشجة قلتُ : نفسُها خارجة معها ، قال : فحرصت على أن أجاريها شيئاً من

(١) سورة آل عمران آية : ١٠١ .

الخير فلم أقدر على ذلك فكان أول ما حفظت عنها وآخرهُ أن قالت : تشاغل أيها المرءُ بنفسك ، فــوالله ما هممتُ قطّ بموعظة أعظ بها غيري إلا حال تقصيري فيما بيني وبين ذلك ، ولئن كان المرء لا يعظ أحداً حتى يتّعظ ، لقد أمكن إبليس من نفسه يقوده حيث يشاء ، والله ما أنا بحامدة لنفسي في ذلك ولودّ إبليس أنه قدر على ذلك من جميع الخلق كما قدر عليه مني ، فلم يكن أحد يحُضّ على طاعة الله ولكن مُرْ أيها المرء بالبِرّ وإن لم تستطعه ، واحذر أن تنهى عن الشرّ وتأتيه .

ومن المصطفين من أهل اليمامة

٦٥٧ ـ يحيى بن أبي كثير - مولى لطيئ

كان من أهل البصرة فتحوّل إلى اليمامة ويكنى أبا نصر . كذا قال البخاري .

البخاري قال : قال موسى : سمعت وهيباً يقول : سمعت أيوب يقول : ما بقي على وجه الأرض مثل يحيى بن أبي كثير .

مسدّد قال : سمعت عبد الله بن يحيى بن أبي كثير قال : سمعت أبي يقول : لا يأتي العلم براحة الجسد .

مسدّد : ثنا عبد الله بن يحيى بن كثير قال : سمعت أبي يقول : ميراث العلم خير من الذهب ، والنفس الصالحة خير من اللؤلؤ .

حميد الكندي قال : سمعت يحيى بن أبي كثير يقول : تَعَلّم الفقْهِ صلاةٌ ، وقراءةُ القرآن ودراسته صلاةٌ .

الأوزاعي قال : حدثني يحيى بن أبي كثير قال : العالم من يخشى الله عز وجل .

يحيى بن عبد الله قال : أنبأ يحيى بن أبي كثير قال : يقول الناس : فلان الناسك ، وإنما الناسك الورع .

عن أبي عمرو ، عن يحيى بن أبي كثير قال : ما صلح منطق رجل إلا عرفت ذلك في سائر عمله .

الوليد قال : سمعت الأوزاعي يقول : قال يحيى بن أبي كثير : إنّ ذكرك حسناتك ونسيانك سيّئاتك غِرّةٌ .

عن الأوزاعي عن يحيى أنه قال له رجل : إنّي احبك ، قال : قد عرفتُ ذلك من نفسى .

عامر بن يساف قال : كان يحيى بن أبي كثير حسن اللباس حسن الهيئة ، ومات ولم يترك إلا ثلاثين درهماً كفّنوه بها .

أسند يحيى عن أنس وابن أبي أوفى وغيرهما من الصحابة ، وتوفي سنة تسع وعشرين ومائة .

قال أبو نعيم الفضل بن دُكين : وقال ابن المديني : سنة ثنتين وثلاثين ومائة .

٦٥٨ ـ عابدة من البحرين أو اليمامة

عن ابن يسار يعني مسلماً قال : قدمت البحرين أو اليمامة في تجارة فإذا أنا بالناس مُقبلين ومُدبرين نحو منزل ، فقصدت إليه فإذا أنا بامرأة جالسة في مصلّى لها ، عليها ثياب غليظة وإذا هي كئيبة محزونة قليلة الكلام ، وإذا كلّ ما رأيتُ ولدُها وخَوَلها وعبيدُها والناس إليهم بالبياعات والتجارات . فقضيت حاجتي ثم أتيتها فودّعتها فقالت: حاجتُنا إليك أن تأتينا إن عُدت إلينا لحاجة فتنزل بنا حاجتك . قال : فانصرفت فلبثت حيناً ثم إني توجهت إلى بلدها في حاجة فلما قدمتها لم أر دون منزلها شيئاً مما كنتُ رأيت ، فأتيت منزلها فلم أر أحداً . فأتيت فاسْتَفْتَحْتُ فإذا أنا بضحك امرأة وكلامها ففُتح لي فدخلت فإذا بها جالسة في بيت وإذا عليها ثياب حسنة دقيقة وإذا الضحك الذي سمعت ضحكُها وكلامُها ، وإذا امرأة معها في بيتها فقط ، فاستنكرت وقلت : لقد رأيتك على حالَيْن فيهما عجبٌ : حالك في قدْمتي الأولى وحالُك هذه ! قالت : لا تعجب فإن الذى رأيت من حالي الأولى أني كنتُ فيما رأيت من الخير والسعة ، وكنت لا أُصاب بمصيبة في ولد ولا في خَوَل ولا مال ولا أوجِّه في تجارة إلا سلمَتْ ، ولا يبتاعُ لي شيءٌ إلا أربح فيه فتخوّفت أن لا يكون ليَ عند الله عزّ وجل خير ، فَكنت مُكتئبة لذلك، وقلت : لو كان لي عند الله خيرٌ ابتلاني . فتوالتْ عليّ المصائب في ولدي الذي رأيت ، وخولي ومالي ، فمابقي لي منه شيءٌ ، ورجوت أن يكون الله عز وجل قد أراد بي خيراً فابتلاني ، وذكرني ففرحت لذلك ، وطابت نفسي .

قال : فانصرفت فلقيت عبد الله بن عمر فأخبرته خبرها فقال : أرى والله هذه ما فاتها أيوب النبي ﷺ إلا بقليل ، لكني قد تخرق مطرفي هذا ، أو كلمة نحوها ، فأمرت به أن يصلح فلم يُعمل كما كنت أريد فأحزنني ذلك . انتهى ذكر أهل البحرين .

ذكر المصطفين من أهل الدينور

٦٥٩ ـ ممشاد الدينوري رضي الله عنه

أبو بكر الرّازي قال : قال ممشاد : طريقُ الحق بعيدٌ والصبر مع الحق شديد .

وقال : ما أقبح الغفلة عن طاعة من لا يغفل عن برك ، وعن ذكر من لا يغفل عن ذكرك . وقال : صحبة أهل الصلاح تُورث في القلب الصلاح ، وصحبة أهل الفساد تورث فيه الفساد .

صحب ممشاد يحيى الجلاد ونُظَراءَه من المشايخ ، وتوفي في سنة تسع وتسعين ومائتين رضي الله عنه .

٦٦٠ ـ أبو الحسن على بن محمد بن سهل الصائغ الدينورى

ممشاد قال : خرجت ذات يوم إلى الصحراء فبينما أنا مارّ إذا أنا بنسر قد فتح جناحه فتعجّبت منه فاطلعت فإذا بأبي الحسن الصائغ الدّينوريّ قائم يصليّ والنسر يُظلّه .

أبو عثمان المغربي قال : لم أر فيمن رأيت من المشايخ أكثر هيبة من أبي الحسن الصائغ .

أسند أبو الحسن الحديث وتُوفي بمصر سنة ثلاثين وثلاث مائة .

٦٦١ ـ أبو جعفر الدينورى رضى الله عنه

أبو بكر الكتّاني قال : رأيت كأن القيامة قد قامت ، فأول من خرج من عند الله عز وجل أبو جعفر الدّينوري وكتابُه بيمينه وهو يضحك ، ثم خرج إبراهيم الخوّاص بعده وكتابه بيمينه وهو يدرس القرآن .

ومن المصطفين من أهل همذان

٦٦٢ ـ يوسف بن أيوب الهمذانى رضى الله عنه(١)

قدم بغداد بعد الستّين والأربعمائة ، وتفقّه على أبي إسحاق الشّيرازي حتى برع في الفقه والنظَر ، ثم اشتغل بالتعبّد فاجتمع في رباطه بمرو خَلْقٌ زائد على الحدّ من المنقطعين إلى الله تعالى .

وكان يقول : دخلت جبل زرّ لزيارة عبد الله الخوني فوجدت ذلك الجبل كثير المياه والشجر معموراً بالأولياء ، على رأس كل عين واحدٌ من الرجال مشتغل بالمجاهدة ، فطفتُ عليهم ولا أعلم في ذلك الجبل حجراً لم تُصبه دمعتي .

ثم عاد يوسف ودخل بغداد في سنة ست وخمسمائة ووعظ بها ووقع له القبول التام ، فقام إليه رجل متفقهّ يقال له ابن السقّاء ، فآذاه في مسألة فقال له : اجلس فإنّي أجد من كلامك رائحة الكفر ولعلّك تموت على غير دين الإسلام .

فاتفق بعد مدة أن ابن السقاء خرج إلى بلاد الروم وتنصّر . وقام يومئذ إلى يوسف شابّان فقيهان فقالا له : إن كنت تتكلّم على مذهب الأشعري وإلا فلا تتكلّم . فقال : اجلسا لا متّعكما الله بشبابكما . فماتا ولم يبلغا الشيخوخة .

---

(١) انظر : شذرات الذهب (٣/ ١١٠) ، وسير الأعلام (٢٠/ ٦٦) .

ومن المصطفين من أهل قزوين

٦٦٣ ـ والان بن عيسى ، أبو مريم القزويني رضى الله عنه

روى السريّ بن يحيى بعبّادان ، عن والان بن عيسى أبي مريم عن رجل من أهل قزوين كان من الصالحين قال : غرني القمر ليلة فخرجت إلى المسجد فصلّيت لما قضى الله لي وسبّحت ودعوت . فغلبتني عيناى ، فرأيت جماعة أعلم أنهم ليسوا من الآدميين بأيديهم أطباق عليها أرغفة ببياض الثلج ، فوق كـل رغيف درٌّ أمثالُ الرمّان ، فقالوا : كُلْ . قلت : أريد الصوم ، قالوا : يأمرك صاحب هذا البيت أن تأكل . فأكـلت وجعلت آخذ ذلك الدرّ لأحتمله فقيل لي : دعه نغرسه لك شجراً يُنبت لك خيراً من هـذا . فقلت: أين ؟ فقيل : في دار لا تخرب ، وثمر لا يتغير ، ومُلك لا ينقطع ، وثياب لا تبلى ، فيها رضى وغنى وقُرْة العين أزواج وضيئات مرضيّات راضيات ، لا يغرن ولا يُغرن ، عليك بالانكماش فيما أنت فيه ، فإنما هي غفوة حتى ترتحل فتنزل الدار . فما مكث إلا جُمعتين حتى تُوفّي .

قال السري بن يحيى ، فرأيته في الليلة التي توفّي فيها وهو يقول لي : لا تعجب من شيء غرس لي يوم حدّثتُك وقد حمل . قلت : حمل بماذا ؟ قال ": لا تسأل بما لا يقدر على صفته أحد ، لم يرُ مثلُ الكريم إذا حلّ به مطيع . رضي الله عنه .

ذكر المصطفين من أهل أصبهان

٦٦٤ ـ محمد بن يوسف بن معدان

أبو عبد الله الأصبهانى رضى الله عنه[1]

كان ابن المبارك يسميه عرُوس الزهّاد يحيى بن سعيد القطان قال : ما رأيت رجلاً أفضل من محمد بن يوسف الأصبهانى . وسمعت ابن مهدي يقول : ما رأيت مثل محمد بن يوسف الأصبهاني .

يحيى بن سعيد القطان قال : كنت إذا نظرت إلى محمد بن يوسف رأيت رجلاً كأنه قد عاين الموت .

قال الدورقي : وسمعت رجلاً من أهل أصبهان يحدّث عن عبد الرحمن بن مهدي قال: كتب أخو محمد بن يوسف إلى محمد بن يوسف يشكو إليه جَوْر العمال ، فكتب إليه : يا أخي بلغني كتابك تذْكر ما أنتُم فيه وإنه ليس ينبغي لمن عمل بالمعصية أن ينكر العقوبة وما أرى ما أنتم فيه إلا شؤم الذنوب .

---

(١) المصدر السابق (٩/ ١٢٥) ، والحلية (٨/ ٢٢٥) .

عطاء بن مسلم الحلبي قال : كان محمد بن يوسف الأصبهاني يختلف إليّ عشرين سنة لم أعرفه ، يجيء إلى الباب فيقول : رجل غريب يسأل حتى رأيته يوماً في المسجد فقيل لي : هذا محمد بن يوسف الأصبهاني ، فقلت : هذا يختلف إليّ منذ عشرين سنة لم أعرفه .

أبو حاتم قال : بلغني عن ابن المبارك قال : قلت لابن إدريس : أريد الثغر ، فدلني على أفضل رجل به . فقال : عليك بمحمد بن يوسف الأصبهاني . فقلت : فأين يسكن؟ قال : المصيصة ويأتي السّواحل .

فقدم عبد الله بن المبارك المصيصة فسأل عنه فلم يُعرف . فقال ابن المبارك : من فضلك لا تُعرف .

يوسف بن زكريا قال : كان محمد بن يوسف لا يشتري زاده من خبّاز واحد ، ولا من بقّال واحد ، وقال : لعلهم يعرفوني فيحابُوني فأكون ممن يعيش بدينه .

سعيد بن عبد الغفار قال : قلت لمحمد بن يوسف . أَوْصِني . فقال : إن استطعت أن لا يكون شيء أهمَّ إليك من ساعتك فافعلْ .

أيوب بن معمر قال : حدَّثوني بالبصرة أن محمد بن يوسف كان يأوي بالليل إلى دار امرأة . قالت : فكان يدخل بعد العشاء ثم يخرج عند طلوع الفجر فلا ينصرف إلى العشاء . قالت : وكان يدخل بيتاً في الدار ويردّ على نفسه الباب . قالت : فذهبت ليلة فاطَّلعتُ في البيت فرأيت عنده سراجاً يُزهِر قالت : ولم يكن في البيت سراج قالت : ففطن محمد أنّا اطّلعنا عليه فخرج من الغد ولم يَعُد إلينا .

قال عبد الرحمن بن مهدي : رأيت محمد بن يوسف في الشتاء والصيف ، فلم يكن يضع جَنْبه .

روى محمد بن أبي رجاء ومحمد بن قتيبة أو أحدهما : أن محمد بن يوسف خرج في جنازة بالمصّيصة فنظر إلى قبر أبي إسحاق الفزاري ومخلد بن الحسين ، وبينهما موضع قبر . فقال لو أن رجلاً مات فدفن بينهما .

قال : فما أنت عليه إلا عشرة أيام أو نحوها حتى دُفن في الموضع الذي أشار إليه .

أدرك محمد بن يوسف التّابعين : فروى عن يونس بن عُبيد الأعمش ، وقد روى عن الثوري والحمّادَيْن وصالح المرّيّ وغيرهم إلا أنه لم يكد يسند حديثاً إنما كان يرسل الحديث شغلاً بالتعبد عن الرواية .

وتوفي سنة أربعٍ وثمانين ومائة ولم يكمل له أربعون سنة .

٦٦٥ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن عيسى الأصبهاني[١]

كانت عبادته تُشبه عبادة الملائكة : قليلة يقوم إلى قريب الفجر ثم يركع ويتمّها ركعتين ، وليلةً يركع إلى قريب الفجر ثم يسجد ويتمها ركعتين ، وليلة يسجد إلى قريب الفجر ثم يركع ويتمّها ركعتين ، ثم يدعو في آخر الليل لجميع الناس ، ولجميع الحيوان والبهائم والوحْش ، ويقول في اليهود والنصاري : اللهم اهْدهِم ويقول في التجّار : اللهم سلِّم تجاراتهم .

وصحب معروفاً الكرخي وتوفي سنة تسعٍ وأربعين ومائتين .

٦٦٦ ـ أبو عبيد الله محمد بن يوسف البناء[٢]

كـان يُفتي الناس بالأجرة فيأخذ منها دانقاً لنفقته ويتصدق بالباقي ، ويختم كلّ يوم ختمة . ولقي ستمائة شيخ ، وكتب الحديث الكثير .

وبلغني عن أبي عليّ بن شاذان قال : سمعت أبا جعفر محمد بن قتادة يقول : سمعت محمد بن يوسف يقول : كنت بمكة فكنت أدعو الله عز وجل وأقول : يا رب إما أن تُدخل قلبي المعرفة أو اقبضْني إليك ، فلا حاجة لي في الدنيا والحياة بلا معرفة .

قال : فرأيت في النوم كأن قائلاً يقول : إن أردت هذا فصم شهراً ولا تكلِّم أحداً من الناس فيه ، ثم ادْخُل قبَّةَ زمزم وسَلْ الحاجة . ففعلت ذلك وختمتُ كل يوم ختمة . فلما انقضي الشهر على ذلك دخلت قبة زمزم ورفعت يدي ودعوت الله عز وجل ، وسألته الحاجة فسمعت من البئر هاتفاً يقول : يا ابن يوسف اختر أيّما أحبّ إليك : العلم مع الغنى والدنيا أم المعرفة مع الفقر والقلب ؟ فقلت : المعرفة مع الفقر والقلب . فسمعت من البئر ، قد أُعطيت ، قد أُعطيت .

وكان محمد بن يوسف من المتدينين الأتقياء ، توفي في سنة ست وثمانين ومائتين .

٦٦٧ ـ أبو جعفر أحمد بن مهدى بن رستم[٣]

محمد بن حيان قال : كان أحمد بن مهدي ذا مال كثير نحو ثلثمائة ألف درهم ، فأنفقه كلّه على العلم ، وذُكِر أنه لم يُعرف له فراش أربعين سنة .

قال أحمد بن مهدي : جاءتني امرأة ببغداد ليلةً من الليالي فذكرَتْ أنها من بنات الناس ، وأنها امتُحِنَت بمحنةٍ وأسألك بالله أن تستُرني . فقلت : وما محنتك ؟ فقالت:

---

(١) المصدر السابق (١٠/ ٣٩٣) .

(٢) المصدر السابق (٨/ ٢٢٥) .

(٣) سير الأعلام (١٢/ ٥٩٧) .

أُكرهتُ على نفسي ، وأنا حُبلى ، وذكرتُ للناس أنك زوجي وأن ما بي من الحبل منك، فلا تفضحْني ، استرني سترك الله . فسكْت عنها ومضت . فلم أشعر حتى وضعتْ وجاء إمام المحلّة في جماعة الجيران يهنئوني بالولد فأظهرت لهم التهلل ووزنت في اليوم الثاني دينارين ودفعتهما إلى الإمام فقلت : أبلغ هذا إلى تلك المرأة لتنفقه على المولود فإنه سبق ما فرّق بيني وبينها . فكنت أدفع كل شهر دينارين وأوصله إليـها بيد الإمـام وأقـول : هـذه نفقة المولـود إلى أن أتـى عـلـى ذلـك سنتان ثم توفي المولود فجاءني الناس يعزُّوني ، فكـنت أُظـهر لهـم التّسليم والرّضا فجاءتني المرأة ليلة من الليالي بعد شهر ومعها تلك الدنانير التي كنت أبعث بها بيد الإمام فردّتْها وقالت : سترك الله كما سترتني . فقلت : هذه الدنانير كانت صلةً مني للمولود ، وهـي لك فإنّك ربَّيته فاعملي فيها ما تريدين .

أسند أبو جعفر الحديث الكثير .

٦٦٨ ـ على بن سهل بن الأزهر أبو الحسن الأصبهاني(١)

كان من المُتْرفين فتزهدّ فكان يبقى الأيام الكثيرة لا يأكل .

أبو حامد أحمد بن عبد الله بن رسته ، وكان من أصحاب علي بن سهل ، قال : قال علي بن سهل : استولى عليّ الشوقُ فألهاني عن الأكل .

أبو بكر محمد بن عبد الله الطبري قال : سمعت عليّ بن سهل بن الأزهر يقول : المبادرة إلى الطاعات من علامات التوفيق ، والتقاعد عن المخالفات من علامات حُسن الرعاية ، ومراعاة الأسرار من علامات التيقّظ ، وإظهار الدعاوى من رُعونات البشرية ، ومن لم تصح مبادي إرادته لا يسلم في مُنتهى عواقبه .

أحمد بن عبد الله قال : سمعت أبي وغيره من أصحاب علي بن سهل أنه كان يقول: ليس موتي كموتكم بأعلال وأسقام ، إنما هو دعاء وإجابة أُدعى فأجيبُ ، فكان كما قال: كان يوماً قاعداً في جماعة فقال : لبّيك ووقع ميتاً .

أبو جعفر الأصبهاني قال : قال عليّ بن سهل بن أزهر ، أُستاذي رحمة الله عليه : إني لا أموت كما يموت أحدكم ، يمدّ رجلاً ويرفع أخرى ، إنما يُصاحُ بي يا عليّ بن سهل ! فأقول : لبّيك .

فبينما هو جالس ذات يوم قال : لبيك ، وتمدَّد فإذا هو ميت أو كما قال .

---

(١) المصدر السابق (١٠/ ٤٠٤) .

قلت : كان عليّ بن سهل من أحسن الناس إشارة ، وكان يكاتب الجُنيد [1] فيقول الجُنْيد. ما أشبه كلامه بكلام الملائكة ، وتوفي سنة سبع وثلمائة .

٦٦٩ ـ عابد أصبهانى

عن عبد الواحد بن زيد قال : خرجنا أنا وفَرْقد السَّبخي ، ومحمد بن واسع ومالك ابن دينار نزور أخاً لنا بأرض فارس . فلما جاوزْنا مهُرْمُز إذا نحن برجل مجذوم متفطر قيحاً ودماً . فقال له بعضنا : يا هذا لو دخلت هذه المدينة فتداويت وتعالجت من بلائك هذا. فرفع طرفه إلى السماء ثم قال : إلهي أتيتَ بهؤلاء ليُسخطوني عليك ؟ لك الكرامة والعُتبى بأن لا أُخالفك أبداً .

ذكر المصطفين من أهل الرى

٦٧٠ ـ جرير بن عبد الحميد بن جرير الرازى

علي بن المديني قال : كان جرير بن عبد الحميد الرازي صاحب ليلٍ ، وكان له رسن يقولون : إذا أعيا تعلق به . يريد أنه كان يصلّي .

سفيان بن عُيينة قال : قال لي ابن شُبْرُمَة : عجباً لهذا الرّازي ، يعني جرير بن عبد الحميد ، عرضتُ عليه مائة درهم في الشهر من الصدقة فقال : يأخذ المسلمون كلُّهم مثل هذا ؟ قلت : لا . قال : فلا حاجة لي فيها .

ولد جرير سنة عشر ومائة وفيها مات الحسن ، ورأى أيوب السختياني وسمع من مغيرة وحُسين ومنصور بن المعتمر ، فى خلق كثير ، وتوفي سنة ثمان وثمانين ومائة .

٦٧١ ـ المعلّى بن منصور الرازى

يحيى بن معين قال : كان المعلّى بن منصو الرازى يوماً يُصلّي فوقع على رأسه كُور الزنابير فما التفت ولا انفتل حتى أتمّ صلاته فنظروا فإذا رأسه قد صار هكذا من شدة الانتفاخ .

٦٧٢ ـ أبو إسحاق الدّولابى

صاحب كرامات ، محمد بن منصور الطوسى قال : جئت مرة إلى معروف الكرْخي فعضّ أنامله وقال : هاه لو لحقت أبا إسحاق الدّولابي ، كان هنا الساعة يسلم عليّ فذهبت أقوم فقال لي : اجلس لعلَّه قد بلغ منزله بالريّ .

---

(١) هو شيخ الطائفة : أبو القاسم الجنيد بن محمد الخزاز البغدادى أصله من نهاوند صحب السرى السقطى والمحاسبى وغيرهما ، كان متمسكا بالكتاب والسنة ، توفى سنة (٢٩٧ هـ) .

٦٧٣ ـ أبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد الرازي[١]

كان من كبار الحفّاظ وسادات أهل التقوى .

عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : سمعت أبي يقول : ما جاوز الجسْرَ أحفظُ من أبي زُرعة .

أبو عبد الله محمد بن مسلم بن واره يقول : كنت عند إسحاق بن إبراهيم ، فقال رجل من أهل العراق : سمعت أحمد بن حنبل يقول : صحّ من الحديث سبعمائة ألف حديث وكسْر ، وهذا الفتى ـ يعني أبا زُرْعة ـ قد حفظ ستمائة ألف .

محمد بن إسحاق الصّاغاني قال في حديث ذكره من حديث الكوفة فقال : هذا أفادنيه أبو زرعـــة . فقال له بعض من حضر : يا أبا بكر أبو زُرعة من أُولئك الحفّاظ الذين رأيتهم ، وذكر جماعة من الحفاظ منهم الفلاّس . فقال : أبو زرعة أعلاهم لأنه جمع الحفظ مع التقوى والورع ، وهو يُشبَّه بأحمد بن حنبل .

أبو العباس محمد بن جعفر بن حمدويه الرّازي قال : سئل أبو زُرعة الرازي عن رجل حلف بالطلاق أن أبا زُرعة يحفظ مائتي ألف حديث هل حنث ؟ فقال : لا . ثم قال أبو زُرعة : أحفظُ مائتي ألف حديث كما يحفظ الإنسان ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ . وفي المذاكرة ثلثمائة ألف .

أحمد بن سعيد الدارمي قال : صلى أبو زرعة الرازي في مسجده عشرين سنة بعد قدومه من السفر ، كان يومٌ من الأيام قدم عليه قوم من أصحاب الحديث ، فنظروا فإذا في محرابه كتابةٌ ، قالوا له : كيف تقول في الكتابة في المحاريب ؟ فقال : قد كرهه قوم ممّن مضى . قالوا له : هُو ذا في محرابك كتابة أو ما علمت به ؟ قال : سبحان الله ، رجل يدخل على الله تعالى ويدري ما بين يديه .

أبو جعفر التُسْتَري قال : حضرنا أبا زُرعة وكان في السوق ، وعنده أبو حاتم ومحمد ابن مسلم والمنذر بن شاذان وجماعة من العلمـــاء ، فذكـــروا حديث التّلقين وقوله عليه السلام « لَقِّنوا موتاكـم لا إله إلا الله » [٢] فاستحيْوا من أبي زرعة وهابوا أن يلقِّنوه ، فقالوا : تعالوا نذكر الحديث فقال محمد بن مسلم أنبأ الضحاك بن مخلد عن عبد الحميد ابن جعفر بن صالح ولم يجاوز ، والباقون سكتوا ، فقال أبو زرعة وهـــو في السوق : حدثنا بندار قال: حدثنا أبو عاصم قال : حدثنا عبد الحميد بن جعفر ، عن صالح بن

---

(١) سير الأعلام (١٣/ ٦٥) .

(٢) أخرجه أبو داود (٣١١٧) ، والترمذي (٩٧٦) ، والنسائي (٦/ ٢٨٠) .

أبي غريب ، عن كثير بن مرّة الحضرمي ، عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله ﷺ : «من كان آخرُ كلامه لا إله إلا الله » [1] ، وتوفي رحمه الله .

أسند أبو زرعة عن : خلاد بن يحيى ، وأبي نعيم ، وقبيصة ، وخلق كثير ، وجالس أحمد بن حنبل وذاكره . وكان أحمد إذا ذاكره يترك الشّغل ويشتغل بمذاكرته .

وتوفـي بالريّ آخر يوم من ذي الحجة سنة أربع وستين ومائتين ، وكان مولده سنة مائتين .

أحمد بن محمد ، أبو العباس المرادي قال : رأيت أبا زُرعة في المنام فقلت يا أبا زرعة ما فعل الله بك ؟ فقال : لقيت ربّي عز وجل فقال لي : يا أبا زرعة إنّي أوتى بالطفل فآمر به إلى الجنة فكيف بمن حفظ السُّنن على عبادى ؟ تبوأ من الجنة حيث شئت .

٦٧٤ ـ يحيى بن معاذ بن جعفر الرازى[2]

يكنى : أبا زكريا . نزيل الريّ ، ثم انتقل إلى نيسابور فسكنها وبها مات وكانوا ثلاثة إخوة : إسماعيل ويحيى وإبراهيم ، فإسماعيل أكبرهم سناً ، ويحيى أوسطهم ، وإبراهيم أصغرهم ، وكانوا كلهم زهاداً .

محمد بن محمود السمرقندي قال : سمعت يحيى بن مُعاذ الرازي يقول : الكلام الحسن حسن ، وأحسن من الحسن معناه وأحسن من معناه استعمالُه وأحسن من استعماله ثوابه ، وأحسن من ثوابه رضا من يُعْمَل له .

قال : وسمعت يحيى يقول : إلهي حُجّتي حاجتي وعُدّتي فاقتي ، وسيلتي إليك نعمتُك عليّ ، وشفيعي إليك إحسانُك إليّ .

طاهر بن إسماعيل قال : سمعت يحيى بن معاذ يقول : الذي حجب الناس عن التوبة طولُ الأمل ، وعلامة التائب إسْبال الدّمعة ، وحبّ الخلوة ، والمحاسبة للنفس عند كل همّة .

عن أبي عمران قال : سمعت يحيى بن معاذ يدعو : اللهم لا تجعلنا ممن يدعو إليك بالأبدان ويهرُب منك بالقلوب ، يا أكرم الأشياء علينا لا تجعلنّا أهون الأشياء عليك .

الحسن بن علويه يقول : سمعت يحيى بن معاذ يقول : عملٌ كالسراب ، وقلبٌ من التقوى خراب ، وذُنوب بعدد الرمل والتراب ، ثم تطمع في الكواعب الأتراب ؟ هيهات،

---

(١) أخرجه أبو داود (٣١١٦) ، وأحمد (٥/ ٢٣٣) ، والحاكم (١/ ٣٥١ ، ٥٠٠) .
(٢) الحلية (١٠/ ٥١) .

أنت سكران بغير شراب ، ما أكملك لو بادرت أملك ، ما أجلك لو بادرت أجلك ، ما أقواك لو خالفت هواك .

محمد بن إسماعيل بن موسى قال : سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول : كيف أمتنع بالذنب من الدعاء ولا أراك تمتنع بذنبي من العطاء ؟ .

أبو بكر بن طاهر قال : كان ليحيى بن معاذ أخ يقال له إسماعيل ، وكان أكبر منه ، فقال رجل : مع من يريد أن يعيش أخوك يحيى وقد هجر الخلق ؟ قال : فذكر ذلك ليحيى فقال له يحيى : ألا قلت له : مع من هجرهم فيه ؟ .

الحسن بن علويه الدّامغاني قال : سمعت يحيى بن معاذ يقول : ذَنْب أفْتقر به إليه أحبّ إليّ من طاعة أفتخر بها عليه .

عبد الله بن سهل قال : سمعت يحيى بن معاذ يقول : ليكن حظ المؤمن منك ثلاثاً : إن لم تنفعه فلا تضرّه ، وإن لم تفْرحْه فلا تغمّه ، وإن لم تمدحْه فلا تذمّه .

الحسن بن علويه قال : سمعت يحيى بن معاذ يقول : على قناطر الفتن جاوزوا إلى خزائن المِنَن . وسمعته يقول : إلهي كيف أفرح وقد عصيتُك ؟ وكيف لا أفرح وقد عرفتك؟ وكيف أدعوك وأنا خاطئ ؟ وكيف لا أدعوك وأنت كريم ؟ .

جامع بن أحمد قال : سمعت يحيى بن معاذ الرازى يقول : ليكن بيتك الخلوةُ وطعامك الجوعُ ، وحديثك المناجاةُ فإمّا أن تموت بدائك أو تصل إلى دوائك .

مكحول بن الفضل النّسفي قال : قال يحيى بن معاذ : مصيبتان لم يسمع الأوّلون والآخرون بمثلهما : في ماله عند موته. قيل ما هما ؟ قال يؤخذ منه كلّه ويسأل عنه كله.

عبد الله بن سهل قال : قال يحيى بن معاذ الكيّس من عمال الله يلهج (١) بتقويم الفرائض والجاهل يعني بطلب الفضائل وتقويم الأعمال في تصحيح العزائم .

الحسن بن علويه قال : سمعت يحيي بن معاذ الرازي يقول : هلمّ يا ابن ادم إلى دخول جوار الله تعالى بلا عمل ولا نصب ولا عناء ، أنت بين ما مضى من عمرك وما بقي ، فالذي مضي تُصلحه بالتوبة والندم وليس شيئاً عملته بالأركان فإذا أنت إنما هو أمر نويته وتمتنع فيما بقي من الذنوب وامتناعك إنما هو شيء نويته وليس شيئاً عملته بالأركان فإذا أنت نجوت بغير عمل مع القيام بالفرائض وهذا ليس بعمل وهو أكبر الأعمال لأنه عمل القلب والجزاء لا يكون إلا علي عمل القلب .

الحسن بن علويه قال : سمعت يحيى بن معاذ يقول : دواءُ القلب خمسة أشياءٍ ،

---

(١) لهج بالشيء : ولع به .

قراءة القرآن بالتفكر ، وخلاء البطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ، ومجالسة الصالحين.

وسمعته يقول : إذا كنت لا ترضى عن الله كيف تسأله الرضا عنك .

الحسن بن علي بن يحيي قال : قال يحيى بن معاذ : لولا أن العفو من أحب الأشياء إليه ما ابتلى بالذنب أكرم الخلق عليه .

عبد الله بن سهل الرازي قال : سمعت يحيى بن معاذ يقول : كم من مستغفر ممقوت وساكت مرحوم . ثم قال يحيى : هذا استغفر الله وقلبُه فاجر ، وهذا سكت وقلبُه ذاكر.

أحمد بن عبد الجبار المالكي قال : سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول : حقيقة المحبة أنها لا تزيد بالبرّ ولا تنقص بالجفاء .

السريّ بن سهل قال : سمعت يحيى بن معاذ يقول : الناس ثلاثة : رجل شغله معادُه عن معاشه ، ورجل شغله معاشُه عن معاده ورجل مشتغل بهما جميعاً ، فالأولى درجة الفائزين ، والثانية درجة الهالكين ، والثالثة درجة المخاطرين .

الحسن بن علويه قال : سمعت يحيى بن معاذ يقول : ليس بعارفٍ من لم يكن غاية أمله من ربه العفْو .

عبد الله بن صالح قال : قال يحيى بن معاذ : الزاهدون غُرباءُ الدنيا والعارفون غُرباء الآخرة .

محمد بن الحسين بن المعلى البلخي قال : سمعت يحيى بن معاذ يقول : يا بن آدم طلبت الدنيا طلب من لا بدّ له منها ، وطلبت الآخرة طلب من لا حاجة له إليها ، والدنيا قد كُفيتها وإن لم تطلبها ، والآخرة بالطلب منك تنالها فاعقل شأنك .

عبد الله بن سهل الرازى قال : سمعت يحيى بن معاذ يقول : مفاوز الدنيا تُقْطع بالأقدام ، ومفاوز الآخرة تُقْطع بالقلوب وسمعته يقول : يا ابن آدم لا يزال دينك متمزّقاً ما دام قلبك بحب الدنيا متعلقاً .

وسمعته يقـول ، وقيل له من أي شيء دوامُ غمّك ؟ قال : من شيء واحد قيل : ما هو ؟ قال : خلقني ولا أدري لم خلقني (١) .

وسمعته يقول : لا يفلحُ من شَمَمْت منه رائحة الرياسة .

---

(١) ما أدرى وجه الإعجاب بهذا السؤال وسكوت المصنف عليه ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ بالخضوع له ، والطاعة ، وشكره سبحانه ، والقناعة ، ومعرفته عز وجل ، ومحبته التى هى جنة الحياة الدنيا ولعله يقصد : أن لا خير فيَّ ولا منفعة مني ، والله أعلم.

وسمعته يقول : من سعادة المرء أن يكون خصمه فهماً وخصّمي لا فهم له . قيل له : ومن خصمك ؟ قال : نفسي تبيع الجنة بما فيها من النعيم المقيم بشهوة ساعة .

وسمعته يقول : للتائب فخر لا يعادله فخر ، فرح الله بتوبته .

أبو العباس بن حكمويه الرازي قال : سمعت يحيى بن معاذ الرازى يقول : لا تَسْتبطئ الإجابة إذا دعوت وقد سددْت طُرقاتها بالذنوب .

وسمعته يقول : إلهي إن كانت ذنوبي عظُمت في جنب نهيك فإنها قد صغُرت في جنب عفوك .

وسمعته يقول : لو سمع الخلق صوت النِّياحة على الدنيا في الغيب من ألسنة الفناء لتساقطت القلوب منهم حُزناً ، ولو رأت العقول بعيون الإيمان نزهة الجنة لذابت النفوس شوقاً ، ولو أدركت القلوب كَنْه المحبة لخالقها لانْخلعتْ مفاصلها ولهاً [١] ، ولطارت الأرواح إليه من أبدانها دهشاً ، سبحان من أغفل الخليقة عن كُنْهِ هذه الأشياء [٢] ، وألْهاهم بالوصف عن حقائق هذه الأنباء .

الحسن بن علي قال : سمعت يحيى بن معاذ يقول : الليل طويل فلا تُقَصِّرْه بمنامك، والنهار نقيٌّ فلا تُدَنِّسْه بآثامك .

عبد الله بن سهل قال : سمعت يحيى بن معاذ يقول حُفَّت الجنة بالمكاره وأنت تكرهها ، وحُفَّت النار بالشهوات وأنت تطلبها ، فما أنت إلا كالمريض الشديد الداء ، إن صَبَّر نفسه على مضض الدواء اكتسب بالصبّر عافيةً ، وإنْ جزعت نفسه مما يلقى طالت به علَّة الضّنا .

عبد الله بن محمد بن وهب قال : سمعت يحيى بن معاذ يقول : ألا إن العاقل المصيب من عمل ثلاثاً : ترك الدنيا قبل أن تتركه ، وبنى قبره قبل أن يدخله ، وأرضى ربه قبل أن يلقاه .

وسمعته يقول : الدنيا خراب ، وأخربُ منها قلبُ من يعمُرها ، والآخرة دار عُمران وأعمرُ منها قلبُ من يَطَلبها .

وسمعته يقول : أخوك من عرّفك العيوب ، وصديقك من حذّرك من الذنوب .

وسمعته يقول : عجبت ممن يحزن على نُقْصان ماله كيف لا يحزن على نقصان عمره .

وسمعته يقول : على قدر خوفك من الله يهابك الخلق ، وعلى قدر حبّك لله يحبك الخلق ، وعلى قدر شغلك بالله يشتغل الخلق بأمرك .

---

(١) الوله : التحير من شدة الوجد والمحبة .

(٢) كنة الشيء : نهايته .

محمد بن محمود السمرقندي قال : سمعت يحيى بن معاذ يقول : إنْ قال لي يوم القيامة : عبدي ، ما غرّك بي ؟ قلت : إلهي برُّك بي .

وسمعته يقول ، وسئل : أرِنا عارفاً ، قال : وأين أنتم فأُريكم ؟ عجباً لقوم عمُوا عن العُرفاء يطلبون الخلفاء .

وسمعته يقول : استسلم القوم عندما فهموا .

وسمعته يقول : من قوة اليقين ترك ما يُرى لما لا يُرى .

وسمعته يقول : أيها المريدون إن اضطُررتم إلى طلب الدنيا فاطلبوها ولا تحبّوها ، واشغلوا بها أبدانكم وعلّقوا بغيرها قلوبكم ، فإنها دار ممرّ وليست بدار مقرّ ، الزاد منها والمقيل في غيرها .

وسمعته يقول : رضي الله عن قوم فغفر لهم السّيئات ، وغضب على قوم فلم يقبَل منهم الحسنات .

وسمعته يقول : يا ابن آدم ، مالك تأسف على مفقود لا يردّه عليك الفوْت ؟ وما لك تفرح بموجود لا يتركه في يديك الموت ؟ .

وسمعته يقول : التوحيد في كلمةٍ واحدة ، ما تصوّر في الأوهام فهو بخلافه .

وسمعته يقول : طاعة لا حاجة بي إليها لا تمنعني مغفرة لا غناء بي عنها .

وسمعته يقول : هو ألْقاهم في الذنب يوم سمَّى نفسه العفوّ الغفور .

وسمعته يقول : ذنب أفتقر به إليه أحب إليّ من عمل أُدلّ به عليه .

وسمعته يقول : إلهي كيف لا أرجوك تغفر لي ذنباً رجاؤُك ألقاني فيه ؟ .

وسمعته يقول : إن الحكيم يَشْبع من ثمار فيه .

وسمعته يقول : كيف أحب نفسي وقد عَصَتْكَ ؟ وكيف لا أحبها وقد عرفتْك ؟ .

وسمعته يقول : إن وضع علينا عدله لم تبق لنا حسنة ، وإن أتى فضلهُ لم تبق لنا سيئة .

وسمعته يقول : إن غفرت فخيرُ راحم ، وإن عذّبت فغير ظالم .

وسمعته يقول : إلهي ضيعتُ بالذنب نفسي ، فارْدُدْها بالعفو عليّ ،

وسمعته يقول : إلهي ارحمني لقُدرتك عليّ أوْ لحاجتي إليك .

وسمعته يقول : مسكين من عِلْمُهُ حجيجُه ولسانه ، وفهمه القاطع لعذره .

وسمعته يقول : ذنوب مزدحمة على عاقبة مبهمة . ثم قال : إلهي سلامة إن لم تكن كرامة .

وسمعته يقول ، وسئل : ما العبادة ؟ فقال : حرفةٌ حانوتُها الخلوة وربْحها الجنة .

وسمعته يقول : يا من ربّاني في الطّريق بنعمه ، وأشار لي في الورود إلى كرمه معرفتى بك دليلى عليك ،وحبّى لك شفيعى إليك .

وسمعته يقول : يا من أعطانا خير ما فى خزائنه الإيمان به قبل السؤال ، لا تمنعنا عفوك مع السؤال .

وسمعته يقول : إلهى إن إبليس لك عدوّ وهو لنا عدو ، وإنك لا تغيظه بشيءٍ هو أنكأُ له من عفوك ، فاعف عنّا يا أرحم الرّاحمين .

وسمعته يقول : يا من يغضب على من لا يسأله ، لا تمنع من قدْ سألك .

وسمعته يقول : لا تقع للمؤمن سيئة إلا وهو خائف أن يؤخذ بها ، والخوف حسنة فيرجو أن يعفي عنها والرجاء حسنة .

وسمعته يقول : إلهي لا تنس لي دلالتي عليك وإشارتي بالربوبية إليك ، رفعتُ إليك يداً بالذنوب مغلولة ، وعيناً بالرجاء مكحولةً ، فاقْبلني لأنك ملك لطيف ، وارحمني لأني عبدٌ ضعيف .

وسمعته يقول : هذا سروري بك خائفاً، فكيف سروري بك آمناً ؟ هذا سروري بك في المجالس فكيف سُروري بك في تلك المجالس ، هذا سروري بك في دار الفناء فكيف يكون سروري بك في دار البقاء ؟ .

عبد الله بن سهل قال : سمعت يحيي بن معاذ يقول : من أحبّ زينة الدنيا والآخرة فلينظر في العلم ومن أحب أن يعرف الزّهد فلينظر في الحكمة ، ومن أحبّ أن يعرف مكارم الأخلاق فلينظر في فنون الآداب ، ومن أحبّ أن يستْوثق من أسباب المعاش فلْيستْكثر من الإخوان ، ومن أحبّ أن لا يؤذى فلا يؤذينّ ، ومن أحبّ رفعة الدنيا والآخرة فعليه بالتقوى .

وسمعته يقول : من خان الله عز وجل في السرّ هتك سره في العلانية .

أبو محمد الإسكاف قال : سمعت يحيي بن معاذ يقول : لست آمركم بترك الدنيا ، آمركم بترك الذنوب ، ترك الدنيا فضيلة وترك الذنوب فريضة ، وأنتم إلى إقامة الفريضة أحْوج منكم إلى الحسنات والفضائل .

الحسن بن علويه يقول : سمعت يحيى بن معاذ يقول : لا تكن ممن يفضحه يوم موته ميراثُه ، ويوم حشره ميزانُه .

الحسن بن علويه قال : سمعت يحيى بن معاذ يقولس : الدنيا خمرُ الشيطان ، من سكر منها لا يُفيق إلا في عسكر الموتى نادماً بين الخاسرين .

محمد بن محمود السمرقندي قال : سمعت يحيى بن معاذ يقول ، وقال له بعض الملحدين : أخبرني عن الله ما هو ؟ قال : إله واحد . قال كيف هو ؟ قال : ملك قادر. قال : أين هو ؟ قال : بالمرصاد . قال ليس عن هذا سألتك . قال يحيى : فذاك إذاً صفة المخلوقين . وأما صفة الخالق فما أخبرتك به .

سمع يحيى بن معاذ من إسحاق بن إبراهيم الرازي ومكي بن إبراهيم البلخي وعلي ابن محمد الطنافسي ، وتوفي بنيسابور سنة ثمان وخمسين ومائتين .

٦٧٥ ـ إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخواص(١)

يكنى : أبا إسحاق . أصله من سُرّ من رأى ، لكنه أقام بالرّى ومات بها .

جعفر بن محمد الخلدي في كتابه قال : سمعت إبراهيم الخوّاص يقول : سلكت البادية إلى مكة سبعة عشر طريقاً فيها طريق من ذهب ، وطريق من فضة .

أبو مسلم السقاء قال : سمعت بعض أصحابنا يحكي عن إبراهيم الخوّاص أنه قال : كان لي وقتُ فترة ، فكنت أخرج كل يوم إلى شطٍّ نهر كبير كان حواليه الخُوص ، وكنت أقطع شيئاً من ذلك وأسُفَّه قفافاً وأطرحه في ذلك النهر فأتسلّى بذلك وكأني كنت مطالباً به ، فجرى وقتي علي ذلك أياماً كثيرة فتفكرت يوماً وقلت : أمضي خلف ما أطرحه في الماء من القفاف لأنظر أين تذهب فمضيت على شاطىء النهر ساعات ولم أعمل ذلك اليوم فإذا عجوز قاعدة على شطّ النهر تبكي ، قلت : ما لك تبكين ؟ فقالت: لي خمسة من الأيتام مات أبوهم فأصابني الفقر والشدة فأتيت يوماً هذا الموضع فجاء على رأس الماء قفاف من الخوص فأخذتها وبعتُها وأنفقت عليهم ، وأتيت اليوم الثاني والثالث والقفافُ تجيئ على رأس الماء فكنت آخذُها وأبيعها ، واليوم ما جاءت . قال إبراهيم : فرفعت يدي إلى السماء وقلت : اللهم لو علمت أن لي خمسةً من العيال لزدت في العمل . وقلت للعجوز : لا تغتّمي فإني الذي كنت أعمل ذلك . فمضيت معها فكانت فقيرة فقمت بأمرها وبأمر عيالها سنين . أو كما قال .

محمد بن زياد المقيم بكلواذى وكان قد بكى حتى ذهبت عيناه . قال : سألت إبراهيم الخوّاص عن أعجب ما رآه في البادية فقال : كنت ليلة من الليالي في البادية فنمت على حجر فإذا أنا بشيطان قد جاء وقال : قم من هاهنا . فقلت : اذهب . فقال : إني أرْفُسُك فتهلك . فقلت : افعل ما شئت ، فرفسني فوقعت رجله عليّ كأنها خرْقة ، فقال: أنت وليّ الله ، من أنت ؟ قلت : أنا إبراهيم الخواص . قال : صدقت . ثم

---

(١) الحلية (١٠/ ٣٢٥) .

قال: يا إبراهيم معي حلال وحرام ، فأما الحلال فرمّان من الجبل المباح ، وأما الحرام فحيتان ، مررت على صيّادين وهما يصطادان فَتَخَاونَا فأخذت الخيانة فكل أنت الحلال ودع الحرام .

حامد الأسود قال : كنت مع إبراهيم الخوّاص في سفر فدخلنا إلى بعض الغياض فلما أدركنا الليل إذا بالسباع قد أحاطت بنا فجزعت لرؤيتها وصعدت إلى شجرة ، ثم نظرت إلى إبراهيم وقد استلقى على قفاه فأقبلت السباع تلحسُه من قرنه إلى قدميه ، وهو لا يتحرّك . ثم أصبحنا وخرجنا إلى منزل آخر وبتنا في مسجد فرأيت بقّة وقعت على وجه إبراهيم فلسعْته ، فقال : أخّ . فقلت يا أبا إسحاق إي شيءٍ هذا التأوّه ؟ أين أنت من البارحة ؟ فقال : ذاك حال كنتُ فيه بالله ، وهذا حال أنا فيه بنفسي .

على بن محمد الحلواني قال : كان إبراهيم الخواص جالساً في مسجد الريّ وعنده جماعة إذ سمع ملاهي من الجيران ، فاضطرب من ذلك من كان في المسجد وقالوا : يا أبا إسحاق ما ترى ؟ فخرج إبراهيم من المسجد نحو الدار التي فيها المنكر فلما بلغ طرف الزّقاق إذا كلب رابض فلما قرب منه إبراهيم نبح عليه وقام في وجهه . فرجع إبراهيم إلى المسجد وتفكّر ساعة ثم قام مبادراً وخرج فمرّ على الكلب فبصبَصَ الكلبُ له فلما قرب من باب الدار خرج إليه شابٌّ حسن الوجه وقال : أيها الشيخ لِمَ انزعجت ؟ كنت وجّهت ببعض من عندك فأبْلغ لك كلّ ما تريد ، وعلي عهد الله وميثاقه لا شربتُ أبداً وكسر جميع ما كان عنده من الشراب وآلته وصحب أهل الخير ولزم العبادة.

ورجع إبراهيم إلى مسجده فلما جلس سئل عن خروجه في أول مرّة ورجوعه ، ثم خروجه في الثانية وما كان من أمر الكلب ، فقال : نعم ، إنما نبح عليّ الكلب لفساد كان قد دخل عليّ في عقْد بيني وبين الله لم أنتبه له في الوقت ، فلما رجعت إلى الموضع ذكرته فاستغفرت الله عز وجل منه . ثم خرجت الثانية فكان ما رأيتم ، وهكذا كلّ من خرج لإزالة منكر فتحركّ عليه شيء من المخلوقات فلفساد عقد بينه وبين الله عز وجل ، فإذا وقع الأمر على الصحة لم يتحرك عليه شيء .

أبو بكر بن محمد بن عبد الله الأنصاري قال : سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن أحمد الخوّاص يقــول : مـن لم يصبْر لم يظفر ، وإن لإبليس وثاقَيْن ما أُوثِق بنو آدم بأوثق منهما : خوف الفخر والطّمع .

الأزدي قال : سمعت إبراهيم الخواص يقول : دواء القلب خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتدبّر ، وخلاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرع عند السحر ، ومجالسة الصالحين .

وقال : على قَدْرِ إعزاز المرء لأمر الله يُلبسه الله من عزّه ، ويُقيم له العزَّ في قلوب المؤمنين .

جعفر بن محمد الخلدي قال : سمعت إبراهيم الخواص يقول : من لم تَبْكِ الدنيا عليه لم تَضْحك الآخرة إليه .

خير النّساج قال : سمعت إبراهيم الخواص وقد رجع من سفره ، وكان غاب عني سنين ، فقلت له : ما الذي أصابك في سفرك ؟ فقال : عَطِشت عطشاً شديداً حتى سقطْت من شدة العطش فإذا أنا بماء قد رُشَّ على وجهي فلما أحسَست ، ببرده فتحتُ عيني فإذا برجل حسن الوجه والزّي ، وعليه ثياب خضر ، على فرس أشهب فسقاني حتى رويت ، ثم قال : ارتدف خلفي وكنت بالحاجر . فلماكان بعد ساعة قال : أي شيء ترى ؟ قلت : المدينة . فقال انزل واقرأ على رسول الله ﷺ مني السلام وقل : أخوكَ الخَضِر يسلّم عليك .

وقد رويت لنا هذه الحكاية من طريق آخر وفيها : قُلْ له : رِضوانُ يقرأ عليك السلام كثيراً .

عمر بن سفيان المنْبجي قال : اجتاز بنا إبراهيم الخوّاص فقلت له : حدّثني بأعجب ما رأيت في أسفارك . قال : لقيني الخضر فسألني الصحبة فخشيت أن يفسد عليّ سرّ توكُّلي بسكوني إليه ، ففارقته .

محمد بن عبد الله الرازي قال : مرض إبراهيم الخواص بالريّ في مسجد الجامع وكان به علة القيام . وكان إذا قام يدخل الماء ويغتسل ويعود إلى المسجد فيركع ركعتين . فدخل مرةً ليغتسل فخرجت روحه وتوفّي وسط الماء .

قلت : كان الخوّاص من أقران الجُنَيْد والنُّوري ، وصحب أبا عبد الله المغربي ، ولا نعرف له مسنداً . وتوفي في جامع الرّيّ سنة إحدى وتسعين ومائتين ، ويقال سنة أربع وثمانين ، وتولّى أمره في غسله ودفنه يوسف بن الحسين الرازى .

٦٧٦ ـ يوسف بن الحسين الرازى(١)

يكنى : أبا يعقوب . محمد بن موسى الرازى قال : سمعت يوسف بن الحسين يقول : علم القوم أن الله يراهم ، واستحيْوا من نظره أن يُراعوا شيئاً سواه .

وقال : يتولّد الإعجاب بالعمل من نسيان رؤية المنة .

فارس البغدادي قال : سمعت يوسف بن الحسين يقول : على قَدْر خوفك من الله يهابك الخلق ، وعلى قَدْر حبك لله عز وجل يحبّك الخلق ، وعلى قدْر شغلك بأمر الله يُشغل الخلقُ بأمرك .

(١) المصدر السابق (٢٣٨/١٠) ، وسير الأعلام (٢٤٨/١٤) .

قال أبو الحسن علي بن إبراهيم البغدادي : سمعت أبا عبد الله الخناقاباذي يقول : حضرنا يوسف بن الحسين الرازي وهو يجود بنفسه ، فقيل له : يا أبا يعقوب قل شيئاً . فقال : اللهم إني نصحتُ خلقك طاهراً وغشَشْتُ نفسي باطناً ، فهب لي غِشّي لنفسي لنُصحي لخلقك . ثم خرجت روحه .

أبو الحسين علي إبراهيم الرازي قال : حكى لي أبو خلف الوزّان عن يوسف بن الحسين أنه رئي في المنام فقيل له : ماذا فعل الله بك ؟ قال : غفر لي ورحمني فقيل : بماذا ؟ قال : بكلمة أو كلمات قلتها عند الموت . قلت : اللهم إني نصحت الناس قولاً وخنتُ نفسي فعلاً فهب خيانة فعلي لنُصح قولي .

سمع يوسف بن الحسين من أحمد بن حنبل وذي النون وغيرهما وتوفي سنة أربع وثلثمائة .

٦٧٧ ـ أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الحيرى[1]

ولد بالريّ ، إلا أنه خرج إلى نيسابور مع شيخه شاه بن شجاع يزوران أبا حفص النيسابوري فزوّجهَ أبو حفص ابنته وتوطّن نيسابور ومات بها .

أبو عمرو بن نجيد قال : كنت أختلف إلى أبي عثمان مدة فى وقت شبابى ، وكنت قد حظيت عنده فقُضِيَ من القضاء أنى اشتغلت بشيء مما يشتغل به الفتيان ، فنُقل ذلك إلى أبي عثمان وانقطعت عنه بعد ذلك . وكنت إذا رأيته في الطريق اختفيت فدخلت يوماً سُكّة من السكك فخرج عليّ أبو عثمان من عطْفة فلم أجد عنه محيصاً ، فتقدمت إليه وأنا دهشٌ مُتَشوَّر . فقال لي : يا أبا عمرو لا تثقنَّ بمودة من لا يحبّك إلا معصوماً .

محمد بن حمدويه الحافظ قال : سمعت أمي تقول : سمعت مريم امرأة أبي عُثمان تقول : كُنا نؤخِّر اللعب والضحك والحديث إلى أن يدخُل أبو عثمان في وِرْده من الصلاة فإنه كان إذا دخل الخلوة لم يُحِسّ بشيءٍ من الحديث وغيره .

محـــمد بن نعـيم الضبي قال : سمعت أمي تقول : سمعت مريم امرأة أبي عثمان تقـول : صادفـت من أبي عثمان خلوة فاغْتنْمتُها فقلت : يا أبا عثمان أيُّ عملك أرْجى عندك ؟ فقال : يا مريم لما ترعرعت وأنا بالري كانوا يريدونني على التزويج فأمْتَنِع ، فجاءتني امرأة فقالت : يا أبا عثمان قد أحببتُك حباً أذهب نومي وقراري ، وأنا أسألك بمقلب القلوب وأتوسل به إليك أن تتزوج بي . قلت : ألك والد ؟ قالت : نعم . فلان

(١) نسبة إلى « الحيرة » من أعمال نيسابور ، وانظر : المصدر السابق (١٤/ ٦٢) ، والحلية (١٠/ ٢٤٤) .

الخيّاط في موضع كذا وكذا فراسلت أباها أن يزوّجها مني ففرح بذلك وأحضرت الشهود فتزوّجتُها . فلما دخلت بها وجدتها عوراء عرجاء شَوْهاء الخَلْق . فقلت : اللهم لك الحمد على ما قدّرته لي . وكان أهل بيتي يلومونني على ذلك وأزيدُها براً وإكراماً إلى أن صارت بحيث لا تدعُني أخرجُ من عندها . فتركت حضور المجالس إيثاراً لرضاها وحفظاً لقلبها . ثم بقيتُ معها على هذه الحال خمس عشرة سنة وكأني في بعض أوقاتي على الجمر وأنا لا أبدي لها شيئاً من ذلك ، إلى أن ماتت فما شيء أرجى عندي من حفظي عليها ما كان في قلبها من جهتي .

أبو عمرو بن حمدان قال : سمعت أبا عثمان الحيرى يقول : من أمَّر السنّة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة ، ومن أمرّ الهوى على نفسه نطق بالبدْعة لقوله تعالى ﴿ **وإنْ تُطيعوه تهتدوا** ﴾ (١) .

قال ابن حمدان : وقرأت بخط أبي : سمعت أبا عثمان يقول : الخوف من الله يوصلك إليه ، والعُجب يقطعك عنه ، واحتقار الناس في نفسك مرض لا يُداوَى .

وقال أبو عثمان : حُقّ لمن أعزَّه الله بالمعرفة أن لا يُذِلّ نفسه بالمعصية .

أبو الحسين الوراق قال : سمعت أبا عثمان يقول ، وقد سئل عن الصحبة ، فقال : الصحبة مع الله عز وجل بحسن الأدب ودوام الهيبة والمراقبة ، والصحبة مع الرسول ﷺ باتباع سُنته ، ولزوم ظاهر الحكم ، والصحبة مع أولياء الله بالاحترام والخدمة ، والصحبة مع الأهل والولد بحسن الخلق ، والصحبة مع الإخوان بدوام البشر والانبساط ما لم يكن إثماً ، والصحبة مع الجهال بالدعاء لهم والرحمة عليهم ورؤية نعمة الله عليك إذ عافاك مما ابتلاهم به .

محمد بن أحمد بن يوسف قال : سمعت أبا عثمان يقول : الذكر الكثير أن تذكر في ذكرك له أنك لا تصلُ إلى ذكره إلا به وبفضله .

عبد الكريم بن هوازن قال : سمعت أبا عثمان السلمي يقول : سمعت عبد الله بن محمد الشيرازي يقول : سمعت أبا عثمان يقول : منذ أربعين سنة ما أقامني الله تعالي في حال فكرهته ، ولا نقلني إلى غيره فسخطته .

أبو عمرو بن مطر قال : حضرت مجلس أبي عثمان الخيري فخرج ثم قعد على موضعه الذي كان يقعد فيه للتذكير ، فسكت حتى طال سكوته فناداه رجل : ترى أن تقول في سكوتك شيئاً ؟ فأنشأ يقول :

---

(١) سورة النور آية : ٥٤ .

وغَيْر تقيّ يأمر الناس بالتّقى   طبيبٌ يُداوي والطبيب مريض

فارتفعت الأصوات بالبكاءُ والضجيج .

عبد الله الرازي قال : لما تغيرت الحال على عثمان وقت وفاته ، مزق ابنه أبو بكر قميصاً كان عليه ففتح أبو عثمان عينه وقال : يا بني خلاف السنة في الظاهر من رياءٍ في باطن القلب ، أسند أبو عثمان عن حمدون القصار ، وتوفي يوم الثلاثاء لعشر بقينَ من ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين ومائتين .

انتهى ذكر أهل الريّ .

ومن عباد دامغان

٦٧٨ ـ فاطمة بنت عمران كانت كثيرة الاجتهاد

الحسن بن علي قال : قدم علينا أبو محمد الرملي فلقي فاطمة فقال هذه زاهدة وقتها وكانت مستجابة الدعوة مقيمة على تعهد الفقراء إلى أن ماتت .

ذكر المصطفين من أهل بسطام

٦٧٩ ـ أبو يزيد البسطامي[1]

واسمه طيْفور بن عيسى بن سروشان ، وكان سروشان مجوسياً فأسلم وكان لعيسى ثلاثة أولاد : أبو يزيد وهو أوسطهم ، وآدم ، وهو أكبرهم ، وعلي وهو أصغرهم ، وكانوا كلهم عبّاداً زهاداً .

إبراهيم الهروي قال : سمعت أبا يزيد البِسْطامي يقول : غلطتُ في ابتدائي في أربعة أشياء : توهمت أني أذكُره ، وأعرفه ، وأحبه ، وأطلُبُه . فلما انتهيت رأيت ذكره سبق ذكري ، ومعرفته تقدمت معرفتي ، وطلبه لي أولاً حتى طلبته .

قال منصور وسمعت أبا عمران موسى بن عيسى يقول : سمعت أبي يقول . قال أبو يزيد عملت في المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئاً أشد عليّ من العلم ومتابعته ، ولولا اختلاف العلماء لتعبت ، واختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد .

وقال أبو يزيد: لا يعرف نفسه من صحبتْه شهوته .

إبراهيم الهروي قال : سمعت أبا يزيد البسطامي ، وسئل ما علامة العارف ؟ قال : أن لا يفتر من ذكره ، ولا يمل من حقه ، ولا يستأنس بغيره .

---

(١) المصدر السابق (١٠/ ٣٣) على أن لأبى يزيد شطحات لا مجال لذكرها الآن .

وقال : إن الله أمر العباد ونهاهم فأطاعوا فخلع من خلعه فاشتغلوا بالخلع عنه ، وإني لا أريد من الله إلا الله .

وقال منصور : وسمعت موسى بن عيسى يقول : سمعت عمي يقول : سمعت أبا يزيد يقول : لو صفَت لي تهليلةٌ ما بليت بعدها بشيء .

إبراهيم الهروي قال : سمعت أبا يزيد يقول : هذا فرحي بك وأنا أخافك فكيف فرحي بك إذ أمنْتك ؟ .

وسئل بم نالوا المعرفة ؟ قال : بتضييع مالهم والوقف مع ما لَه .

وقال : اطلع الله على قلوب أوليائه ، فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صِرفاً ، فأشغلهم بالعبادة .

العباس بن حمزة قال : صليت خلف أبي يزيد البِسْطاميّ الظهر ، فلما أراد أن يرفع يديه ليكبر لم يقدر إجلالاً لاسم الله ، وارتعدت فرائصه حتى كنتُ أسمع تقعقُعَ عظامه ، فَهَالَنِي ذلك .

عن أبي موسى عن أبي يزيد البسطامي قال : ليس العجَب من حبي لك وأنا عبد فقير ؛ بل إنما العجب من حبّك لي وأنت ملك قدير .

قال : وقال أبو يزيد : لم أزل (منذ) ثلاثين سنة كلما أردت أن أذكر الله أتمضمض وأغسل لساني إجلالاً لله أن أذكره .

قال : وقال أبو يزيد : إن في الطاعات من الآفات ما لا يحتاجون أن يطلبوا في المعاصي .

قال : وقال أبو يزيد : ما دام العبد يظن أن في الخلق من هو شرٌّ منه فهو متكبّر .

قال : وقال أبو يزيد أشدّ المحْجُوبين عن الله ثلاثة بثلاثة ، أولهم : الزاهد بزهده والثاني : العابد بعبادته ، والثالث : العالم بعلمه . ثم قال : مسكينٌ الزاهد ، لو علم أن الله عز وجل سمى الدنيا كلها قليلاً فكم ملك من الدنيا ؟ وفي كم زَهَد مما يملك ؟ وأما العابد فلو رأى منّة الله عليه في العبادة عرف عبادته في المنّة ، وأما العالم فلو علم أن جميع ما أبدي الله عز وجل من العلم سطر واحدٌ من اللوح المحفوظ فكم علم هذا العالم من ذلك السطر ؟ وكم عمل مما علم ؟ .

قال : سمعت أبا يزيد يقول : ما ذكروه إلا بالغفلة ولا خدموه إلا بالفترة .

وقال : أكثر الناس إشارة إليه أبعدهم منه .

وسأله رجل : مَن أصْحبُ ؟ فقال : من لا تحتاج أن تكتُمه شيئاً مما علمه الله منك .

قال عبيد بن عبد القاهر : قال أبو يزيد ، غبتُ عن الله عز وجل ثلاثين سنة وكانت غيبتي عنه ذكْري إياه ، فلما خنست عنه وجدته في كل حال : فقال له رجل : ما لك لا تسافر ؟ قال : لأن صاحبي لا يسافر ، وأنا معه مقيم . فقال السائل : إن الماء القائم قد كره الوضـــوء منه ، . فقال أبو يزيد : لم يروْا بماء البحر بأساً ، هو الطهور ماؤه الحل ميتتُه . ثم قال : قد ترى الأنهار تجرى لها دويّ وخرير حتى إذا دنت من البحر وامْتزجت به سكن خريرها وحدتها ولم يُحسّ بها ماءُ البحر ، ولا ظهرت فيه زيادة ، ولا إن خرجت منه استبان فيه .

قاسم الحداد قال : خرج أبو يزيد البسطامي في بعض سياحته فوقف على دجلة فالتقى به الشيطان فحوّل وجهه ثم قال : وعزّتك إنّك تعلم أني ما عبدتُك قطّ لهذا ، فلا تحْجبني به عنك .

عبد الصمد بن محمد عن أبي يزيد أنه صعد ليلة سُورَ بسطام فلم يزل يدور على السور إلى وقت طلوع الفجر ، يريد أن يقول لا إله إلا الله ، فيغلبه ما يرد عليه من هيبة الاسم فلا يستطيع أن يُطلق بها لسانه ، فلما كان وقت طلوع الفجر نزل فبال الدم.

الحسن بن علويه قال : قال أبو يزيد قعدت ليلة في محرابي فمددت رجلي فهتف بى هاتف من يجالس الملوك فينبغى أن يجالسهم بحسن الأدب .

الحسن بن علي قال : قال أبو يزيد : أبعد الخلق من الله أكثرهم إشارة إليه .

عبيد قال : قال أبو يزيد طلّقت الدنيا ثلاثاً بتاتاً لا رجعة لي فيها ، وصرت إلى ربّي وحدي فناديته بالاستغاثة : إلهي أدعوك دعاء من لم يبق له غيرُك . فلما عرف صدق الدعاء من قلبي ، واليأس من نفسي ، كان أوّل ما ورد عليَّ من إجابة هذا الدعاء أن أنساني نفسي بالكلية ونصب الخلائق بين يديّ مع إعراضي عنهم .

أبو الحسن المروزي قال : سمعت امرأة أبي يزيد تقول : سمعت أبا يزيد يقول : دعوت نفسي إلى الله فأبت عليَّ واستعصت ، فتركتها ومضيْت إلى الله عز وجل .

أبو موسى الديبلي قال : سمعت أبا يزيد يقول : الناس كلهم يهربون من الحساب ويتجافون عنه ، وأنا أسأل الله تعالى أن يحاسبني فقيل له : لم ؟ قال : لعلّه أن يقول لي فيما بين ذلك : يا عبدي ، فأقول : لبيك . فقوله لي : عبدي أعجب إليّ من الدنيا وما فيها . ثم بعد ذلك يفعل بي ما شاء .

علي بن المثنى قال : سمعت عمّي يقول : سمعت أبي يقول : سمعت أبا يزيد يقول: رأيت ربّ العزة تبارك وتعالى في المنام ، فقلت : يا بارخدا ، كيف الطريق إليك؟ قال: اترك نفسك ثم تعال .

أبو موسى الديبلي قال : سمعت رجلاً يسأل أبا يزيد فقال : دُلّني على عملٍ أتقرب به إلى ربي عز وجل ، فقال : أحبِب أولياء الله تعالى ليحبوك فإن الله تعالي ينظر إلى قلوب أوليائه فلعله أن ينظر إلى اسمك في قلب وليه فيغفر لك .

عيسى بن آدم ابن أخي أبي يزيد قال : كان أبو يزيد يعظ نفسه فيصيح عليها فيقول يا مأوى كل سوء ، المرأة إذا حاضت طهُرت بثلاثة أيام وأكثره بعشرة ، أنت يا نفس قاعدة منذ عشرين وثلاثين سنة بعدُ ما طهرت فمتى تطهرين ؟ إن وقوفك بين يدي طاهرٍ ينبغي أن يكون طاهراً .

أبو موسي الديبلي قال : سمعت أبا يزيد يقول : عرج قلبي إلى السماء فطاف ودار ورجع ، فقلت : بأي شيء جئت معك ؟ قال : المحبة والرضا .

عن أبي موسى الدَّيْبُلي ، عن أبي يزيد قال : نظرت فإذا الناسُ في الدنيا متلذّذون بالنكاح والطعام والشراب ، وفى الآخرة بالمنكوح والملذوذ ، فجعلت لذّتى في الدنيا ذكر الله عز وجل وفى الآخرة النظر إلى الله عز وجل .

أبو موسى الديبلي قال : قلت لأبي يزيد : من أصحب ؟ قال : من إذا مرضت عادك، وإذا أذنبت تاب عليك ومن يعلم منك ما يعلمه الله منك .

جعفر بن علي الترمذى أن أحمد بن خَضْرويه قال : رأيت ربّ العزة فى منامي فقال لي : يا أحمد ، كل الناس يطلبون مني إلا أبا يزيد فإنه يطلبني .

ذكر أبو نعيم الأصبهاني أنه لا يُعرف لأبي يزيد حديثٌ مسند أصلاً إلاّ حديثٌ واحدٌ رواه أبو الفتح الحمصي بإسناد له عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال : « إنّ من ضعف اليقين أن تُرضي الناس بسخط الله » [1] .

قال أبو نعيم : وهو مركب على أبي يزيد ، وليس من حديثه ، والحمل فيه على الحمصيَ فقد عُثر منه على غير حديث ركّبه .

قلت وهذا الحديث الذي أشار إليه أبو نعيم هو الذي ذكره له أبو عبد الرحمن السلميّ، ووجدت أنا لأبي يزيد ثلاثة أحاديث أُخر مسندة ، منها حديثان لا يثبتان فلم أذكرهما ، والثالث قريب الحال فاقْتَصَرْت عليه .

قال أبو موسى الديبُلي - ابن أخت أبي يزيد البِسْطامي- أنبأ أبو يزيد البسطامي يعني طيفور بن عيسى ، قال : أنبأ محمد بن منصور الطوسى ، قال : أخبرنا سفيان بن عيينة عن محمد بن سوقة . عن نافع بن جبير ، عن أم سلمة قالت : ذكر رسول الله ،

(١) رواه أبو نعيم فى « الحلية » (٥/١٠٦ ، ١٠/٤١) وهو فى مسند الشهاب (١١١٦) .

الجيش الذي يُخسف بهم ، فقالت أم سلمة : لعل فيهم المكْره . قال : إنهم يُبعثون على نياتهم .

توفي أبو يزيد سنة إحدى وستين ومائتين ، وله ثلاث وسبعون سنة .

٦٨٠ ـ أبو محمد البسطامي

أبو بكر محمد بن ثوابة المعبَّر قال : كنت مصاعداً إلى الجبل في باب حلوان أيام الشتاء وعليَّ دثار [١] ، وسروالان ، أحدهما مبطَّن ، على غاية ما يكون من الشدة فلقيني رجل عليه خرقتان لا يتوارى بغيرهما . . فعارضته مراراً ويرُوغ مني ، فقلت له : لأيّ شيء تفرّ مني أنا سبُع ؟ فقال : لو لقيني سبعون سبُعاً كان أهون عليَّ من لقائك . فقلت أنا امرٌّ كذا وأنت تمضي كذا قل لي شيئاً ومُرّ في ودائع الله تعالى . فقال : تسمع؟ فقلت: نعم فأنشأ يقول :

إذا ما عــدت النفسُ   عــن الحــقّ زَجَرْناهــا
وإن مالت إلى الدنيا   عــن الأخـرى منعناها
تُخادعُنا ونَخْدَعهــا   وبالصبّــــر غَلَبْنَاهـا
لها خوفٌ من الفقر   وفـــي الفقـر أنَخْناها

قال : فجئت إبراهيم بن شَيْبان بعد أربعة أيام أو خمسة ، وقد فرّقتُ جميع ما عليَّ من الدّثار . فلما دخلت عليه قال : من لقيت فوصفت له . فقال : أبو محمد البِسْطامي في ذلك اليوم خرج من عندنا . وقال : أيّ شيء جرى بينك وبينه ؟ فحدّثته فأمر ابنه إسحاق فكتبها .

انتهى ذكر أهل بسطام .

ذكر المصطفين من أهل نيسابور

٦٨١ ـ يحيى بن يحيى النيسابوري

يكنى : أبا زكريا .

أبو بكر المروزي قال : ذكر أبو عبد الله أحمد بن حنبل يوماً ابن المبارك فقال : ما رفعه الله إلا بخبيئة كانت له ، ما أخرجت خراسان مثل ابن المبارك ، ولا بعد ابن المبارك ، مثل يحيى بن يحيى .

قال المروزيّ : سمعت بعض الخراسانية يقول : إن يحيى بن يَحْيى شرب شربة دواءٍ

---

(١) الدثار : ما كان من الثياب فوق الشعار .

فقالت له امرأته : لو قمت فتردّدت في الدار . فقال يحيى : ما أدري ما هذه المشية أنا أحارب نفسي منذ أربعين سنة .

أبو علي الحسن بن علي بن بُنْدار الزّنجاني قال : كان يحيى بن يحيى يحضر مجلس مالك فانكسر قلمه فناوله المأمون قلماً من ذهب أو مقلمة ذهب فامتنع عن قبوله ، فقال له المأمون : ما اسمك ؟ قال : يحيى بن يحيى النيسابوري . فقال : تعرفني ؟ قال : نعم، أنت المأمون ابن أمير المؤمنين . قال : فكتب المأمون على ظهر جزئه ناولتُ يحيى ابن يحيى النيسابوري قلماً في مجلس مالك فلم يقبله .

فلما أفْضَتْ الخلافة إليه بعث إلى عامله بنيسابور وأمره أن يولّي يحيى بن يحيى القضاء فبعث إليه يستدعيه فقال بعض الناس : إنه يمتنع من الحضور وليته أذن للرسول، فأُنفذ إليه كتاب المأمون فقرىءَ عليه فامتنع من القضاء فردّ إليه ثانيا وقال : إن أمير المؤمنين يأمر بشيء وأنت من رعيتّه وتأبى عليه ؟ فقال : قل لأمير المؤمنين ناولتنى قلماً وأنا شاب فلم أقبله فتجبرني الآن على القضاء وأنا شيخ ؟ فرفع الخبر إلى المأمون .

قال : قد علمت امتناعهُ ولكن وَلِّ القضاء رجلاً تختاره . فبعث إليه العامل في ذلك فاختار رجلاً فوُلِّي القضاء ، ودخل على يحيى وعليه سواد فضمّ يحيى فِراشاً كان جالساً عليه كـراهية أن يجمعه وإياه . فقال : أيها الشيخ ألم تخترني ؟ قال : إنما قلت : اختاروه ، وما قلتُ لك : تقلّد القضاء .

روى يحيى بن يحيي عن مالك والليّث بن سعد وغيرهما . وتوفي في يوم الأربعاء سلخ صفر سنة ست وعشرين ومائتين .

٦٨٢ ـ إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم أبو يعقوب الحنظلي

ويقال له ابن راهويْه ، أحد أئمة الإسلام ، رحل إلى العراق والحجاز واليمن والشام وعاد فاستوطن نيسابور .

محمد بن أسلم الطوسي قال : حين مات إسحاق الحنظلي : ما أعلم أحداً كان أخشى لله من إسحـاق ، وكان أعلم الناس ، ولو كان سفيان الثوري في الحياة لاحتاج إلى إسحاق .

قال محمد بن عبد السلام : فأخبرت بذلك محمد بن يحيى الصفار فقال : والله لو كان الحسن البصري في الحياة لا حتاج إلى إسحاق في أشياء كثيرة .

الحسن بن عبد الصمد قال : سمعت إسحاق بن إبراهيم يقول : أحفظ سبعين ألف حديث كأنها نُصب عينيّ .

أبو عبد الرحمن الجوزجاني قال : سمعت أحمد بن حنبل ، وذكر إسحاق ، فقال : لا أعلم ولا أعرف لإسحاق بالعراق نظيراً .

أبو داود الخفَّاف قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول : لم يعبُر الجسر مثلُ إسحاق.

الفضل بن عبد الله الحميري قال : سألت أحمد بن حنبل عن رجال خراسان فقال : أما إسحاق بن راهويه فلم يُرَ مثله .

أبو يحيى الشَّعْراني قال : ما رأيت بيد إسحاق كتاباً قطّ ، ما كان يحدّث إلا حفظاً، وقال : كنتُ إذا ذاكرت إسحاق العلم وجدتهُ فيه فرداً فإذا جِئْتُ إلى أمر الدنيا رأيته لا رأيَ له .

أسند إسحاق عن جرير بن عبد الحميد ، وإسماعيل بن علية ، وسفيان بن عيينة ، ووكيع ، في خلْق لا يُحصون . ، وتوفي بنيسابور ليلة النصف من شعبان سنة ثمان وثلاثين ومائتين .

٦٨٣ ـ محمد بن رافع بن أبي يزيد أبو عبد الله النيسابوري القشيرى

زكريا بن دلويه قال : بعث طاهر بن عبد الله إلى محمد بن رافع بخمسة آلاف درهم على يد رسوله ، فدخل عليه بعد صلاة العصر وهو يأكل الخبز مع الفجل ، فوضع الكيس بين يديه فقال : بعث الأمير طاهر بهذا المال إليك لتُنْفقه على أهلك . فقال : خُذ، خذ ، لا أحتاج إليه ، فإن الشمس قد بلغت رُءوسَ الحيطان إنما تغرب بعد ساعة وقد جاوزت الثمانين ، إلى متى أعيش ؟ فردّ المال ولم يقبل . فأخذ الرسول المال وذهب فدخل عليه ابنه فقال : يا أبة ليس لنا الليلة خبزٌ . قال : فذهب بعض أصحابه خلف الرسول ليردَّ المال إلى حضْرة صاحبه فزعاً من أن يذهب ابنه خلف الرسول فيأخذ المال .

قال زكريا : ربما يخرج إلينا محمد بن رافع في الشتاء الشاتي وقد لبس لحافه الذي يلبسه بالليل .

كان محمد بن رافع رفيق أحمد بن حنبل ، وقد حدّث عن عبد الرّزّاق ، ومحمد بن إسماعيل بن أبي فُديك ، ووهب بن جرير وغيرهم . وأخرج البخاري ومسلم عنه في الصحيحين ، وتوفي سنة خمس وأربعين ومائتين .

٦٨٤ ـ أبو حفص النيسابوري

واسمه عمرو بن سلم . وقيل عمرو بن سلمة .

وهو من أهل قرية على باب مدينة نيسابور يقال لها كُورداباذ .

الخلدى قال : سمعت الجنيد ، وذكر عنده أبو حفص النيسابوري ، فقال : كان رجلاً

من أهل الحقائق ، ولو رأيته لا ستغنيت ، وقد يتكلَّم من طور بعيد كان من أهل العلم البالغين ، ولقد قال له يوماً رجل من أصحابه : كان من مضى لهم الآيات الظاهرة وليس لك من ذلك شيء . فقال له : تعال فجاء به إلى سوق الحدادين ، إلى كُور محمّى عظيم فيه حديدة فأدخل عظيمة يده فأخذها فبردتْ في يده . فقال له : يجزيك ؟ فأعظم ذلك وأكبره ثم مضى .

أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الرازي قال : دخلت مع أبي حفص على مريض فقال المريض : آه فقال : ممّن ؟ فسكت . فقال : مع من ؟ .

أبو عثمان قال : دخل أبو حفص النيسابوري على مريض ، فقال المريض : آه فقال ممن ؟ فسكت المريض . فقال : أبو حفص مع من ؟ فقال له المريض : كيف أكون وماذا أقول ؟ فقال له أبو حفص : لا يكون أنينك شكوى ولا سكوتُك تجلُّداً ، ولكنْ بين ذلك .

قال محمش الجلاب : صحبت أبا حفص اثنتين وعشرين سنة ما رأيته ذكر الله عز وجل على حدّ الغفلة والانبساط ، ما كان يذكر إلا على سبيل الحضور والتعظيم والحرمة . وكان إذا ذكر الله تعالى تغيرّت عليه حاله حتى كان يرى ذلك منْه جميعُ من حضره .

وقال مرة ، وقد ذكر الله تعالى وتغيّرت عليه حاله ، فلما رجع قال : ما أبعد ذكْرنا من ذكر المحققين . فما أظن أن مُحقاً يذكر الله على غير غفلة ثم يبقى بعد ذلك حياً إلاَ الأنبياء فإنهم أُيدوا بقوّة ، وخواصُّ الأولياء بقوة ولاياتهم .

قال السلمي : وسمعت جدّي يقول : كان أبو حفص إذا غضب تكلَّم في حُسن الخُلُق حتى يسكن غضبه ، ثم يرجع إلى حديثه .

محفوظ بن أحمد قال : قال أبو حفص : حرست قلبى عشرين سنة ثم حرسنى قلبى عشرين سنة ، ثم وردْت حالة صرنا فيها محروسين جميعاً .

قال السُّلمي : وسئل أبو حفص : من الوليّ ؟ قال : من أُيِّد بالكرامات وغُيِّب عنها .

وقال : ما ظهرت حالة عالية إلا من ملازمة أصل صحيح .

وقال : لا تكن عبادتك لربك سبباً لأن تكون معْبوداً .

أبو علي الثَّقفي قال : كان أبو حفص يقول : من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنَّة ، ولم يتهم خواطره ، فلا تعده في ديوان الرجال .

أبو أحمد بن عيسى قال : سمعت أبا حفص يقول : حُسن أدب الظاهر عنوان حُسن أدب الباطن ، لأن النبي ﷺ قال : « لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحُه » (١) .

---

(١) حديث ضعيف ، وانظر السلسلة الضعيفة برقم (١١٠) .

وسُئل : من الرجالُ ؟ قال : القائمون مع الله بوفاء العهود ، قال الله تعالى : ﴿**رجالٌ صدقُوا ما عاهدوا الله عليه**﴾ (١) .

وسُئل عن العبوديَّة ؟ فقال : تركُ مالك والتزام ما أُمرت به .

أبو محمد المرْتعش قال : سمعت أبا حفص النيسابوري يقول : ما استحق اسم السخاء من ذكر العطاء ولا من لمحهُ بقلبه ، وإنما يستحقه من نسيه حتى كأنه لم يُعط .

أبو عثمان النيسابوري قال : خرجنا جماعة مع أُستاذنا أبي حفص النيسابوري إلى خارج نيسابور ، فجلسنا فتكلَّم علينا الشيخ فطابت أنفُسنا . ثم بصُرْنا بأيِّلٍ قد نزل من الجبل حتى برك بين يدي الشيخ . فأبكاه ذلك بكاء شديداً . فلمّا هدأ الشيخ سألناه فقلنا له يا أستاذ تكلَّمت علينا وطابت قلوبنا فلما جاء هذا الوحش وبرك بين يديك أزعجك وأبكاك فأحببنا أن نعرف فقه ذلك ؟ فقال : نعم رأيت اجتماعكم حولي وقد طابت قلوبكم ، فوقع في قلبي لو أن شاةً ذبحتها ودعوتهم عليها . فما تحكَّم هذا الخاطرُ حتى جاء هذا الوحش فبرك بين يدي فخُيّل لي أني مثل فرعون الذي سأل ربّه أن يجري له النيل ، فأجراه له . قلت : فما يؤمنني أن يكون الله تعالى يعطيني كلَّ حظٍ لي في الدنيا وأبقي في الآخرة فقيراً لا شيء لي ؟ فهذا الذي أزعجني .

تُوفّي أبو حفص سنة سبعين ومائتين . ويقال سنة سبع وستين ، ويقال أربع وستين، ويقال خمس وستين ، ولا نعرف له مسنداً إلا أنه قد رافق أحمد بن خضرويه البَلْخي وغيره من العبّاد .

٦٨٥ ـ علي بن شعيب السقاء

حجّ نيفاً وخمسين حجّة . أحرم في كل حجَّة من نيسابور ، وكان يصلي في البادية عند كل ميل ركعتين ، ثم يقول : قال الله عز وجل ﴿**ليشْهدوا منافع لهم**﴾ (٢) وهذه منافع في حجّي .

٦٨٦ ـ أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمارة القصار

عبد الله بن مبارك قال : قيل لحمدون بن أحمد : ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا؟ قال : لأنهم تكلَّموا لعزِّ الإسلام ونجاة النفوس ورضا الرحمن ، ونحن نتكلم لعزِّ النفوس وطلب الدنيا ورضا الخلْق .

وقال : كفايتك تُساق إليك من غير تعب ولا نصب ، وإنما التعب في الفضول .

عبد الله بن مبارك قال : سفه رجل على حمدون ، فسكت حمدون عنه وقال : يا

(١) سورة الأحزاب آية : ٢٣ .

(٢) سورة الحج آية : ٢٨ .

أخي لو نقصتني كل نقْص لم تنتقصْني كنقصي عندي . ثم قال : سفه رجلٌ على إسحاق الحنظلي فاحتمله وقال : لأيِّ شيءٍ تعلَّمنا العِلْم ؟ .

عبد الله الحجَّام قال : قال حمدون : إذا رأيت سكراناً فتمايل لئلا تنعى عليه فُتبتلي بمثل ذلك . قال السلمي : وقال حمدون : من نظر في سير السلف عرف تقصيره وتخلُّفه عن درجات الرجال .

وقال : لا تفش على أحدٍ ما تحبّ أن يكون مستوراً منك .

وقال : من استطاع منك أن لا يعمى عن نقصان نفسه فليفعلْ .

أسند حمدون عن إبراهيم الزرّاد عن ابن نمير ، وصحب أبا تراب النخشبي ، وتوفي سنة إحدى وسبعين ومائتين بنيسابور .

٦٨٧ ـ أبو بكر عبد الله بن محمد بن زيد بن واصل النيسابوري

جمع بين علم الحديث والفقه والتقوى ، وسمع من محمد بن يحيى الذُهليّ والحسن ابن محمد الزعفراني وعباس الدّوري ، في خلق كثير ، وكان من الحفَّاظ المتقنين .

كان الدارقطني يقول : ما رأينا في مشايخنا أحفظ منه للأسانيد والمتون ، وكان أفقه المشايخ .

أبو بكر النيسابوري قال : أعرف من أقام أربعين سنة لم ينم الليل ويتقوت كل يوم بخمس حبات ، ويُصلي صلاة الغداة على طهارة عشاء الآخرة . ثم قال : أنا هو وهذا كلّه قبل أن أعرف أم عبد الرحمن ، أيّ شيءٍ أقول لمن زوّجني ؟ ثم يقول في أثر هذا : ما أراد إلا الخير .

توفي أبو بكر النيسابوري في شهر ربيع الآخر من سنة أربع وعشرين وثلاثمائة .

ذكر المصطفين من عابدات نيسابور

٦٨٨ ـ فاطمة النيسابورية

محمد بن الحسن بن علي بن خلف قال : سمعت ابن ملوك وكان شيخاً كبيراً رأى ذا النون المصري قال : وسألته من أجلُّ من رأيت ؟ قال : ما رأيتُ أجلَّ من امرأة رأيتها بمكة يقال لها فاطمة النيسابورية وكانت تتكلَّم في فهم القرآن ، وتعجبت منها ، فسألت ذا النون عنها فقال لي : هي وليّة من أولياء الله عز وجل وهي أُستاذي . فسمعتها تقول: من لم يكن الله عز وجل منه على بال فإنه يتخطَّى في كل ميدان ويتكلَّم بكل لسان ، ومن كان الله منه على بال أخرسه إلا عن الصدق وألزمه الحياء منه والإخلاص.

قال : وقالت فاطمة : الصادق المقرّب في بحرٍ تضطرب عليه أمواجٌ ، يدعو ربه دعاء الغريق يسأل ربه الخلاص والنجاة .

وقالت فاطمة : من عمل لله على المشاهدة فهو عارف ، ومن عمل على مشاهدة الله إياه فهو مخلص .

قال السَّلمي : كانت فاطمة النيسابورية من قُدماء نساء خراسان أتى إليها أبو يزيد البسطامي ، وسألها ذو النون عن مسائل ، وكانت مجَاورةً بمكة ، وربما دخلت إلى بيت المقدس ثم رجعت إلى مكة .

وقال أبو يزيد البسطامى : ما رأيت في عمري إلا رجلاً وامرأة ، والمرأة فاطمة النيسابورية ، ما أخبرتها عن مقام من المقامات إلا وكان الخَبَر لها عياناً .

وقال لها ذو النون : عظيني ، وقد اجتمعا ببيت المقدس ، قالت له : إلزم الصدق وجاهد نَفْسك في أفعالك .

ماتت فاطمة بمكة في طريق العمرة سنة ثلاث وعشرين ومائتين .

٦٨٩ ـ عائشة بنت أبى عثمان سعيد بن إسماعيل الحيرى النيسابورى

أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي قال : كانت عائشة بنت أبي عثمان من أزهد أولاد أبي عثمان وأوْرعهم وأحسنهم حالاً ووقتاً . وكانت مجابة الدعوة ، سمعت ابنتها أُم أحمد بنت عائشة تقول : قالت لي أُمي : لاَ تَفْرحى بفَان ، ولا تجزعي من ذاهبٍ ، وافرحي بالله عز وجل ، واجزعى من سُقوطك من عَين الله عَز وجل .

وسمعتها تقول : قالت لي أُمي : الزمي الأدب ظاهراً وباطناً فما أساءَ أحدٌ الأدب في الظاهر إلاّ عوقب ظاهراً ولا أساءَ أحدٌ الأدب باطناً إلا عوقب باطناً .

وقالت عائشة : من استوحش من وحدته فذاك لقلَّة أنسِه بربه .

وقالت من تهاون بالعبد فهو من قلَّة معرفته بالسيد فمن أحب الصانع أحبّ صنعته .

ماتت عائشة سنة ستٍّ وأربعين وثلثمائة .

انتهى ذكر أهل نيسابور بحمد الله ومنّه .

ذكر المصطفين من أهل طوس

٦٩٠ ـ محمد بن أسلم ، أبو الحسن الطوسى

أبو عبد الله محمد بن القاسم الطوسي ، خادم ابن أسلم ، قال : سمعت إسحاق بن راهويه يقول : لم أسمع بعالم منذ خمسين سنة كان أشدّ تمسّكاً بأثر النبي ﷺ من محمد بن أسلم .

قال أبو عبد الله وكتب إليّ أحمد بن نصر أن اكتُبْ إليَّ بحال محمد بن أسلم فإنه رُكن من أركان الإسلام .

قال أبو عبد الله : وقال لي محمد بن أسلم : يا أبا عبد الله ما لي ولهذا الخلق ؟ كنتُ في صلب أبي وحْدي ، ثم صرت في بطن أُمي وحْدي ثم دخلت الدنيا وحدي ، ثم يُقبض روحي وحدي ، ثم أدخل في قبري وحدي ، ثم يأتيني منكر ونكيرٌ فيسألاني وحـــدي ، فإن صرت إلى خير صرت وحدى . ثم يُوضع عملي وذنوبي في الميزان وحدي ، وإن بُعثت إلى الجنة بُعثت وحدي ، وإن بعثت إلى النار بُعثت وحدي فما لي وللناس ؟ ثم تفكَّر ساعة فوقعت عليه الرعدْة حتى خشيت أن يسقط وصحبتُه نيفاً وعشرين لم أره يصلي حيث أراه يصلى ركعتين من التطوع إلا يوم الجمعة ، ولا يسبّح ولا يقرأ حيث أراه ولم يكن أحد أعلم بسرّه وعلانيته منِّي .

وسمعته يحلف كذا كذا مرّة : لو قدرتُ أن أتطوع حيث لا يراني ملكاي لفعلت ، ولكني لا أستطيع ذلك خوفاً من الرياء .

وكان يدخل بيتاً ويغلق بابه ويُدخل معه كوزاً من ماء فلم أدر ما يصنع ؟ حتى سمعت ابناً له صغيراً يحكي بكاءه فنهَتْه أمه فقلت لها : ما هذا البكاء ؟ فقالت : إن أبا الحسن يدخل هذا البيت فيقرأ القرآن ويبكي فيسمعه الصبي فيَحكيه .

وكان إذا أراد أن يخرج غسل وجهه واكتحل ولا يُرى عليه أثر البكاء .

وكان يصل قوماً ويعطيهم ويكْسوهم فيبعث إليهم ويقول للرسول : انظر أن لا يعلموا من بعثه إليهم ؟ ويأتيهم هو بالليل فيذهب به إليهم ، ويخفي نفسه فربما بَليت ثيابهم ونَفد ما عندهم ولا يدرونَ من الذي أعطاهم ؟ ولا أعلم منذ صحبته وَصَلَ أحداً بأقلّ من مائة درهم إلا أن لا يمكنه ذلك ، وكنت أخبز له فما نخلت له دقيقاً إلا أن أُعصيهَ . وكان يقول لي : اشتر لي شعيراً أسود قد تركه الناس فإنه يصير إلى الكنيف ، ولا تشتري لي إلا ما يكفيني يوماً بيوم .

وكان يقول : والله الذي لا إله إلا هو ما رأيت نفساً تصلّي إلى القبلة شراً عندي من نفسي . ودخلت عليه قبل موته بأربعة أيام بنيسابور ، فقال : يا أبا عبد الله تعال أبشّرْك بما صنع الله بأخيك من الخير ، قد نزل بي الموت ، وقد مَنَّ الله عليَّ أنه ليس عندي درهم يحاسبني الله عليه ، وقد علم ضعْفي فإني لا أطيق الحساب فلم يدع عندي شيئاً يحاسبني عليه . ثم قال : أغلق الباب ولا تأذن لأحد عليَّ حتى أموت ، واعلم أني أخرج من الدنيا وليس أدع ميراثاً غير كسائي ولبْدي وإنائي الذي أتوضأ فيه ، وكتبي .

وكانت معه صُرّة فيها نحو ثلاثين درهماً فقال : هذا لابني أهداه إليه قريبٌ لـــه ولا أعلم شيئاً أحلَّ لي منه لأن النبي ﷺ قال : « أنت ومالك لأبيك » (١) فكفنوني منها

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٠٤) ، وأبو داود (٣٥٣٠) ، وابن ماجة (٢٢٩١ ، ٢٢٩٢) وغيرهم . وانظر : التلخيص الحبير (٣/ ١٨٩) ، والإرواء (٣/ ٣٢٣ ، ٦/ ٦٥ ، ٧/ ٢٣٢) .

فإن أصبتم لي بعشرة دراهم ما يستر عورتي فلا تشتروا بخمسة عشر ، وابسطوا على جنازتي لبدي وغطّوا عليَّ بكسائي ، وتصدقوا بإنائي ، أعطوه مسكيناً يتوضأ منه . ثم مات اليوم الرابع .

سمع أبو الحسن بن أسلم من أصحاب الأعمش وأصحاب الثوري والأوزاعي في آخرين ، وتوفي فصلّى عليه ألف ألف تقريباً .

٦٩١ ـ أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق الطوسى(١)

أصله من طُوس ، لكنه سكن بغداد ومات بها .

جعفر بن محمد بن نصير قال : سمعت أبا العباس بن مسروق يقول : قدم علينا شيخ فكان يتكلم علينا بكلام حسن ، وكان عَذْب اللسان جيّد الخاطر ، فقال لنا في بعض كلامه : كل ما وقع لكم في خواطركم فقولوا لي . فوقع في قلبي أنه يهودي وكان الخاطر يَقْوَى ولا يزول فذكرتُ ذلك للحريريّ فكبرُ عليه ذلك فقلت : لابد من أن أخبر الرجل بذلك . فقلت له : تقول كل ما وقع في خاطركم فقولوه لي : إنه يقع لي أنك يهودي . فأطرق ساعةً ثم رفع رأسه وقال : صدقت أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، وقال: قد مارستُ جميع المذاهب ، فأنتم على الحق وحَسُنَ إسلامه .

أبو سعيد بن عطاء قال : إن الجُنيد رأى فيما يري النائم قوماً من الأبدال فسأل : هل ببغداد أحد من الأولياء ؟ فقالوا : نعم أبو العباس بن مسروق . قال : فقلت متعجباً : أبو العباس بن مسروق ؟ فقالوا : نعم أبو العباس بن مسروق من أهل الأنس بالله عز وجل .

علي بن عبد الله بن جهْضم قال : أنا المفيد ، قال : سمعت أحمد بن مسروق يقول: كانت والدتي إذا كان يوم الجمعة تبكي ، تعلم أني لا أنصرف من الجمعة إلا عليلاً لما قد سمعته من الشيوخ وكنت أنظر إلى شيوخي فتكون رُؤيتي لهم قوّتي من الجمعة إلى الجمعة .

جعفر بن محمد بن نصير قال : سئل ابن مسروق ما التوكل ؟ قال : اعتماد القلب على الله .

قال السّلمي : وقال ابن مسروق : من راقب الله في خَطَرَات قلبه عَصَمَه الله في حركات جوارحه .

وقال : أنت في هَدْم عمرك منذ خرجت من بطن أمّك .

---

(١) انظر : الحلية (١٠/٢١٣) ، وسير الأعلام (١٣/ ٤٩٤) .

أسند ابن مسروق الكثير ، وروى عن محمد بن بكار وشيْبان بن فَروخ وخَلْق كثير ، وصحب البرجلاني ومحمد بن منصور الطوسي والحارث المحاسبي وسَرِيا السقطي .

وتوفي في صفر سنة ثمانٍ وتسعين ومائتين ، ودفن في مقابر باب حرْب [1] وبلغ أربعاً وثمانين سنة .

انتهى ذكر أهل طوس بحمد الله ومنّه .

ذكر المصطفين من أهل هراة

٦٩٢ ـ إبراهيم بن طهمان[2]

وُلد بـهراة ونشأ بنيسابور ورحل في طلب العلم ، وكان حسن الخلق سَخياً واسع النفس ، مُطعم الطعام كلَّ من أتاه من أهل العلم .

أبو زُرعة قال : سمعت أحمد بن حنبل ، وذُكر عنده إبراهيم بن طهمان ، وكان متكئاً من علة فاستوى جالساً وقال : لا ينبغي أن يذكر الصالحون ، فيتكأ . ثم قال أحمد : حدثني رجل من أصحاب ابن المبارك قال : رأيت ابن المبارك في المنام ، ومعه شيخ مهيب فقلت : من هذا معك ؟ قال : أما تعرف هذا ؟ هذا سفيان الثَّوْري ، فقلت: من أين أقبلتم ؟ قال : نحن نزور في كل يوم إبراهيم بن طهمان. قلت : فأين تَزُورُونه؟ قال : دار الصِّدِّيقين دار يحيى بن زكريا .

أسند إبراهيم بن طهمان عن جماعة من التابعين كعبد الله بن دينار وأبي الزبير وأبي حازم وغيرهم ، وأقام بمكة حتى توفي بها في سنة ثلاث وستين ومائة .

المسعودي قال : سمعت مالك بن سليمان يقول : مات إبراهيم بن طهمان سنة ثلاث وستين بمكة ولم يخلّف مثله .

٦٩٣ ـ أبو عبيد القاسم بن سلام[3]

كان أبوه عبداً رومياً لرجل من هراة ، وولد أبو عُبَيْد بهراة ورحل في طلب العلم ، فسمع من إسماعيل بن جعفر ، وشريك ، واسماعيل بن عيّاش ، وهُشيم ، وسفيان بن عُيينة ، وإسماعيل بن عُلَيّة ، ويزيد بن هارون ، في خَلْق كثير ، وكان عالماً بالقراءات واللغة والغريب ، وصنف الكتب الكثيرة في فنونٍ ، وكان ذا فضلٍ ودينٍ وورع وجودٍ .

عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : عرضتُ كتاب « غريب الحديث » لأبي عبيد على أبى فاستحسنه وقال جزاه الله خيراً .

---

(١) من ضواحي بغداد نسبة إلى « حرب بن مالك » أحد قواد أبي جعفر المنصور .
(٢) المصدر السابق (٧/ ٣٧٨) . (٣) المصدر السابق (١٠/ ٤٩٠) .

ابن عَرْعَرَة قال : كان طاهر بن عبد الله ببغداد ، فطمع في أن يسمع من أبي عبيد وطمع في أن يأتيه في منزله . فلم يفعل أبو عبيد حتى كان هو يأتيه . فقدم علي بن المديني وعيّاش العنْبري فأرادا أن يَسْمعا (غريب الحديث) فكان يحمل كل يوم كتابه ويأتيهما في منزلهما فيحدّثهُما به .

أبو بكر بن الأنباري قال : كان أبو عُبيد يُقسّم الليل أثلاثاً : فيصلّي ثلثه ، وينام ثلثه، ويضع الكتب ثُلثه .

أبو حاتم قال : قال أبو عبيد القاسم بن سلاّم : مثل الألفاظ الشريفة والمعاني الظريفة مثل القلائد اللائحة في الترائب الواضحة .

سمعتُ إسحاق بن إبراهيم الحظلي يقول : أبو عبيد أوسعنا علماً وأكثرنا أدباً وأجمعنا جمعاً وإنّا نحتاج إلى أبي عبيد ، وأبو عبيد لا يحتاج إلينا .

ثعلب قال : لو كان أبو عبيد في بني إسرائيل لكان عجباً .

أحمد بن كامل القاضي قال : كان أبو عبيد القاسم بن سلاّم فاضلاً في دينه وعلمه ربّانياً متفنناً في أصناف علوم الإسلام ، من القرآن والفقه والعربية والأخبار ، حسن الرواية صحيح النقل لا أعلم أحداً من الناس طعن عليه في شيء من أمره ودينه .

عبد الله بن طاهر قال : كان الناس أربعةً : ابن عباس في زمانه ، والشعبيَّ في زمانه، والقاسم بن معن في زمانه وأبو عبيد القاسم بن سلام في زمانه .

إبراهيم الحربي قال : أدركت ثلاثة لن يُرى مثلُهم أبداً تعجز النساء أن يلدْن مثلهم ، رأيت أبا عبيد القاسم بن سلاّم ، ما مثَّلته إلا بجبلٍ نفخت فيه روح ، ورأيت بِشْر بن الحارث ، ما شبّهته إلاّ برجل عُجن من قرنه إلى قدمه عقلاً ، ورأيت أحمد بن حنبل فرأيت كأنّ الله جمع له علم الأولين والآخرين من كل صنف ، يقول ما شاء ويمسك عما شاء .

أقام أبو عُبيد ببغداد مدة طويلة ثم ولي القضاء بطرسوس ثم خرج إلى مكة في سنة تسع عشرة ومائتين وأقام بها ، وتوفي بها في سنة ثلاث وعشرين وقيل أربع وعشرين ومائتين وهو ابن سبع وستين سنة .

٦٩٤ ـ إبراهيم بن على الخراساني الهروي[١]

إبراهيم الخواص قال : نزلت إلى مَشْرَعة الساج من بغداد وكان الماء مداً والريح تلعب

(١) الحلية (١٠/٤٣) .

بالموج ، فرأيت رجلاً بين الموج يمشي على الماء ، فسجدتُ وجعلت بيني وبين الله تعالى أن لا أرفع رأسي حتى أعلم من الرجل ؟ فلم أُطِل في السجود حتي حركني وقال لي : قُم ولا تُعاود فأنا إبراهيم بن علي الخراساني .

عبد الله الخياط قال : قال إبراهيم الخراساني : احتجتُ يوماً إلى الوضوء فإذا أنا بكوز من جوهر ، وسواكٍ من فضة رأسُه ألْين من الخز ، فأمسكتُ بالسِّواك ، وتوضأت بالماءً وتركتهما وانصرفت .

أبو سعيد الخرَّاز قال : قال لنا إبراهيم الهروي : بينما أنا في بعض سياحاتي وقد بقيت أياماً كثيرة لم أر فيها أحداً من الناس ولا طائراً ولا ذا رُوح ، وكنت في تلك الحال مستقلاً بلا طعام ولا شراب ، فوقع في نفسي أني في معنى فخرج عليّ شخص مع الخاطر لا أدري من أين خرج ؟ فقال لي : يا إبراهيم ، ذلك المرائي تعرفه ؟ قلت : أنا هو . قال : وكان إلى جَنْبي شجرةٌ فقال لي : قل لهذه الشجرة تحمل دنانير . قلت : احملي دنانير . فلم تحمل . ثم قال لها : احملي . فإذا بشماريخ دنانير معلقة فاشتغلتُ أنظر إليها ثم التفت فلم أر الشخص وذهبتْ الدنانير من الشجرة .

قال أبو سعيد : وسمعته يقول : بينما رجل في مسيرٍ له في يوم صائف إذْ عدل إلى شعْب فأصاب فيه مغارة . قال : فدخلت فيها فما لبثتُ أن دخل عليَّ ثعبان كأنه النّخلة فتطوق في شقّ المغارة فجعل ينظر إليّ فقلت في نفسي : لَعَلّي رِزْقٌ له ، وهالني أمره ، فما لبث أن خرج من المغارة . ثم أقبل إليَّ وفي فيه رغيف حُوّارَى قد ذهبت منه عضّة ، فوضعه عند رأسي ورجع إلى موضعه فتطوق فيه . فقمت فأكلتُ الرغيف فلما برد النهار خرجت فسرت فلقيني رفقةٌ ، فقالوا : من أين جئت ؟ قلت : من هدا الشعب . قالوا: هل رأيت ما رأينا ؟ قلت : وما هو ؟ قالوا : اعترض علينا في الرفقة ثعبان وقام على ذنبه ونفخ وكان معنا إنسان ظريف فيه أدب فقال : أظن هذا جائعاً . فرمى إليه رغيفاً حُوّارى فأخذه الثعبان ومضى . فقلت : أنا أكلت الرغيف . ومضيت وخلَّيتهم .

انتهى ذكر أهل هراة .

ذكر المصطفين من أهل مرو

٦٩٥ ـ عبد الله بن المبارك [١]

يكنى : أبا عبد الرحمن كان أبوه تركياً عند رجل من التجار من بنى حنظلة وكانت أمه تركية خُوارزمية . ولد سنة ثمانى عشرة ومائة ، وقيل تسع عشرة .

---

(١) انظر : الحلية (٨/ ١٦٢) ، وسير الأعلام (٨/ ٣٧٨) .

الحسن قال : كانت أم ابن المبارك تركية ، وكان الشَّبه لهم بيّناً فيه ، وكان ربما خلع قميصه فلا أرى على صدره وجسده كثير شعرٍ . وأخبرني غير واحد من أهله أنه ما دخل الحمّام قطّ .

قال : وكانت دار ابن المبارك بمرو كبيرة صحن الدار نحو خمسين ذراعاً في خمسين ذراعاً ، فكنت لا تحب أن ترى في داره صاحب علم أو صاحب عبادة أو رجُلاً له مُروءة وقدْر بمرو إلاّ رأيته في داره ، يجتمعون في كل يوم خلقاً يتذاكرون حتى إذا خرج ابن المبارك انضموا إليه . فلما صار ابن المبارك بالكوفة نزل في دار صغيرة وكان يخرج إلى الصلاة ثم يرجع إلى منزله لا يكاد يخرج منه ولا يأتيه كثير أحد ، فقلت له : يا أبا عبد الرحمن ألا تستوحش هاهنا مع الذي كنت فيه بمرو ؟ فقال : إنما فرَرْت من مرو من الذي تراك تحبه ، وأحببت ما هاهنا للذي أراك تكرهه لي ، فكنت بمرو لا يكون أمر إلاّ أتوني فيه ولا مسألة إلا قالوا : اسألوا ابن المبارك ، وأنا هاهنا في عافية من ذلك .

قال : وكنت مع ابن المبارك يوماً فأتينا على سِقاية والناس يشربون منها ، فدنا منها ليشرب ولم يعرفه الناس فزَحَموه ودفعوه فلما خرج قال لي : ما العيش إلا هكذا . يعني حيث لم نُعْرَف ولم نُوقَّر .

قال : وبينا هو بالكوفة يقرأُ عليه كتاب المناسك ، انتهى إلى حديث وفيه : قال عبد الله وبه نأخذ . فقال : من كتب هذا من قولي ؟ قلت : الكاتب الذي كتبه . فلم يزل يحكّه بيده حتى دَرَس . ثم قال : ومن أنا حتى يُكتب قولي ؟ .

قال الحسن وكنّا على باب سفيان بن عُيَيْنة يوماً وأصحاب الحديث وهم يرون أن عنده بعض هــؤلاء الكبار يحدّثه . فقال رجل : أعْياني أن أرى رجلاً يسوِّي بين الناس في علمه . فقال له آخر : هذا عبد الله بن المبارك . قال : نعم هات غيره ، أتعرف غيره؟ .

فلما قدمتُ الكوفة ذكرتُ لابن المبارك قول الرجل وأنه فلان ولم أُعْلمه أنهم سمَّوْه . فقال أفلا قالُوا الفُضَيْلُ بن عياض ؟ .

قال الحسن : ورأيت في منزل ابن المبارك حماماً طَّارة . فقال ابن المبارك : قد كنا ننتفع بفراخ هذه الحمام فليس ننتفع بها اليوم قلت : ولم ذلك ؟ قال : اختلطت بها حمامٌ غيرها فتزاوجت بها فنحن نكره أن ننتفع بشيءٍ من فراخها من أجل ذلك .

قال الحسن : وصحبت ابن المبارك من خراسان إلى بغداد فما رأيته أكل وحده .

قال : وزّوج النضر بن محمد وَلَدَه دَعيّ بن المبارك . فلما جاء قام ابن المبارك ليخدم الناس فأبى النضر أن يدعه وحلف عليه حتى جلس .

عُبيد بن جناد قال : قال عطاءُ بن مسلم : يا عُبيد رأيت عبد الله بن المبارك ؟ قلت : نعم قال : ما رأيت مثله ولا يُرَى مثله .

عبد الرحمن بن مهدى قال : ما رأت عيناى مثل سفيان ولا أقدم على عبد الله بن المبارك أحداً .

عبد الرحمن بن عبيد الله قال : كنّا عند الفضيل فنُعيَ إليه ابن المبارك فقال : رحمه الله أما أنه ما خلَّف بعده مثله .

عبد الرحمن بن مهدي قال : ما رأتْ عيناي أنْصَحَ لهذه الأمة من عبد الله بن المبارك .

نعيم بن حماد قال : كان عبد الله بن المبارك يُكثر الجلوس في بيته فقيل له : ألا تستَوْحش ؟ فقال : كيف أستوحش وأنا مع النبي ﷺ ؟ .

شقيق بن إبراهيم قال : قيل لابن المبارك : إذا صلَّيتَ معنا لم تجلس معنا ؟ قال: أذهب أجلس مع الصحابة والتَّابعين . قلنا له : ومن أين الصحابة والتابعون ؟ قال : أذهب أنظرُ في علمي فأدركُ آثارهم وأعمالهم ، ما أصنع معكم ؟ أنتم تغتابون الناس ، فإذا كانت سنة مائتين فالبُعد من كثير من الناس أقربُ إلى الله ، وفرّ من الناس كفرارك من أسد ، وتمسّك بدينك يسلمْ لك .

الحسين بن الحسن المروزي قال : قال عبد الله بن المبارك : كن محباً للخُمول كراهية الشهرة ولا تُظهر من نفسك أنك تُحبّ الخمول فترفع نفسك فإنّ دعواك الزهد من نفسك هو خروجك من الزهد لأنّك تجرّ إلى نَفْسك الثناء والمدْحة .

أشعث بن شُعبة المصَيْصيّ قال : قدم هارون الرشيد الرّقة فانْجَفَل الناس خلف عبد الله ابن المبارك وتقطَّعت النِّعال وارتفَعَتْ الغبرة وأشرفت أم ولد أمير المؤمنين من برجٍ من قصر الخشب فلما رأت الناس قالت : ما هذا ؟ قالوا : عالم من أهل خراسان قدم يقال له عبد الله بن المبارك . فقالت : هذا والله المُلْك لا مُلْك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشُرَطٍ وأعوان .

سويد بن سعيد قال : رأيت عبد الله بن المبارك بمكة أتى زمزم فاستقى منها ثم استقبل الكعبة فقال : اللهم إنّ ابن أبي الموالي حدّثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبيّ ﷺ أنه قال : « ماءُ زمزم لما شرب له » (١) وهذا أشربهُ لعطش القيامة ثم شربه .

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٣٥٧ ، ٣٧٢) ، والدارقطنى (٢/ ٢٨٩) ، وللحافظ ابن حجر جزء مفرد فى هذا الحديث ، وانظر : التلخيص (٢/ ٢٦٨) ، والإرواء (٤/ ٣٢٠) ، والصحيحة (٢/ ٥٧٢) .

نعيم بن حماد قال : كان ابن المبارك إذا قرأ كتاب الرقاق فكأنه بقرة منحورة ، من البكاء ، لا يجترئ أحد منا أن يدنو منه أو يسأله عن شيء .

قال سفيان : إني لأشتهي من عمري كلَّه أن أكون سنة واحدة مثل عبد الله بن المبارك فما أقدر أن أكون ولا ثلاثة أيام .

عمران بن موسى الطَّرْسُوسيّ قال : جاء رجل فسأل سُفيان الثوري عن مسألة فقال له من أين أنت ؟ قال : من أهل المشرق . قال : أوليس عندكم أعلم أهل المشرق ؟ قال : ومَنْ هو يا أبا عبد الله ؟ قال : عبد الله بن المبارك . قال : وهو أعلم أهل المشرق؟ قال : نعم وأهلُ المغرب .

قال ابن عُيَيْنة : نظرت في أمر الصحابة وأمر ابن المبارك فما رأيت لهم عليه فضلاً إلا بصحبتهم النبيّ ﷺ وغزوهم معه .

حبّان بن موسى قال : عُوتب ابن المبارك فيما يَفري من المال في البلدان ولا يفعل في أهل بَلده كذلك ، فقال : إني أعرف مكان قوم لهم فضلٌ وصدْق طلبوا الحديث وأحسنوا الطلب ، فاحتاجوا ، فإن تركناهم ضاع عِلْمُهم وإن أعنّاهم بثّوا العلم لأمة محمد ﷺ ، ولا أعلم بعد النبوة أفضل من بَثّ العلم .

عبد الله بن ضُرَيس قال : قيل لعبد الله بن المبارك : يا أبا عبد الرحمن إلى متى تكتب هذا الحديث ؟ فقال : لعل الكلمة التي أنتفع بها ما كَتَبْتُها بعدُ .

الحسين بن الحسن المروزي قال : سمعت ابن المبارك يقول : أهل الدنيا خرجوا من الدنيا قبل أن يتطعّموا أطيب ما فيها . قيل له : وما أطيبُ ما فيها ؟ قال : المعرفة بالله عز وجل .

قطن بن سعيد قال : ما أفطر ابن المبارك ولا رُئي نائماً قطُّ .

علي بن الحسن بن شقيق قال : سمعت ابن المبارك يقول : لأن أرُدَّ درهماً من شُبْهة أحبّ إليّ من أن أتصدّق بمائة ألف ومائة ألف ، حتى بلغ ستمائة ألف .

عبد الله بن خُبَيق قال : قيل لابن المبارك : ما التواضع ؟ قال : التكبّر على الأغنياء .

عيّاش بن عبد الله قال : قال عبد الله بن المبارك : لو أن رجلاً اتقى مائة شيء ولم يتّق شيئاً واحداً لم يكن من المتَّقين . ولو تَوَرّع عن مائة شيءٍ ولم يتورّع عن شيءٍ واحد لم يكن ورعاً ومن كان فيه خلَّة من الجهل كان من الجاهلين . أما سمعت الله تعالى قال لنوح عليه السلام لما قال ﴿ إنّ ابني من أهلي ﴾ (١) فقال الله تعالى : ﴿ إنِّي أعظُكَ أن تكون من الجاهلين ﴾ (٢) ؟ .

(١) ، (٢) سورة هود آية : ٤٥ ، ٤٦ .

عليّ بن الحسن قال : سمعت عبد الله بن المبارك يقول : لا يقع موقع الكسب على العايل شيءٌ ، ولا الجهادُ في سبيل الله عز وجل .

عبد الله بن عمر السّرخَسيّ قال : قال لي ابن المبارك : ما أعياني شيءٌ كما أعياني أنّي لا أجد أخاً في الله عز وجل .

سليمان بن داود قال : سألت ابن المبارك من النـــاس ؟ قال : العلماء ، قلت فمن الملوك ؟ قال : الزهّاد . قلت : فمن الغوغاء ؟ قال : خزيمة وأصحابه . قلت : فمن السَّفلة ؟ قال : الذين يعيشون بدينهم .

فُضَيل بن عياض قال : سئل ابن المبارك : من الناس ؟ قال : العلماء . قال : فمن الملوك ؟ قال : الزهاد . قال : فمن السَّفلة ؟ قال : الذي يأكل بدينه .

أحمد بن جميل المروزي قال : قيل لعبد الله بن المبارك : إن إسماعيل بن عُليَّة قد وَلِيَ الصَّدقات . فكتب إليه ابنُ المبارك .

يا جاعـــــل العِلْم لـــــه بازياً	يَصْطـــــاد أمـــوال المساكين
إحْتَـــــلْتَ للدّنيـــــا ولذَّاتها	بحيلـــــة تذهـــــبُ بالدِّيـــن
فَصِرْت مَجْنُوناً بها بعـــدَ مـــا	كُنْـــــتَ دَوَاءً للمجـــــانين
أيـنَ رواياتُـــك فـــي سَرْدِهـــا	عن ابن عونٍ وابن ســـيرينِ ؟
أيـــــن رِواياتُك والقولُ فـــي	لـــــزُوم أبواب السَّلاطـين ؟
إن قلـــتَ أُكْرِهْتُ فماذا كـذا	زَلّ حِمـــــار العِلْم فـــي الطِّينِ

فلما قرأ الكتاب بكى واستعفى .

محمد بن على بن الحسن بن شقيق قال : سمعت أبي يقول : كان ابن المبارك إذا كان وقتُ الحج اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو فيقولون : نصحبك يا أبا عبد الرحمن فيقول لهم : هاتوا نفقاتكم . فيأخذ نفقاتهم فيجعلها في صُندوق ويُقفل عليها ثم يكتري لهم ويُخرجهم من مَرْو إلى بغداد ، فلا يزال يُنفق عليهم ويُطعمهم أطيب الطعام وأطيب الحلْواء . ثم يُخرجهم من بغداد بأحسن زيّ وأكمل مُرُوءة ، حتى يصلوا إلى مدينة الرسول ﷺ ، فإذا صاروا إلى المدينة قال لكل رجل منهم : ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من المدينة ، من طُرَفها ؟ فيقول : كذا . ثم يُخرجهم إلى مكـــة فإذا وصلـــوا إلى مكة فقضوا حوائجهم قال لكل رجل منهم : ما أمرك عيالك أن تشـــتري لهم من متاع مكة ؟ فيقول : كذا وكذا . فيشتري لهم ويُخرجهم من مكة . فلا يزال يُنفق عليهـــم حتى يصيروا إلى مرو فإذا وصلوا إلى مرو جصَّص أبوابهم ودُورهم . فإذا كـــان بعد ثلاثة

أيام صنَع لهم وليمةً وكساهم فإذا أكلوا وشربوا دعا بالصندوق ففتحه ودفع إلى كلّ رجل منهم صُرّته بعد أن كتب عليها اسمه .

قال أبي : أخبرني خادمه أنه عمل آخر سَفْرةٍ سافرها دعوة فقدّم إلى الناس خمْسة وعشرين خواناً فالوذجاً .

قال : وبلغنا أنه قال للفضيل بن عياض : لولاك وأصحابك ما اتجرت .

قال أبي : وكان ينفق على الفقراء فى كل سنة مائة ألف درهم .

محمد بن عيسى قال : كان عبد الله بن المبارك كثيرالاختلاف إلى طَرَسُوس ، وكان ينزل الرّقة في خان ، فكان شاب يختلف إليه ويقوم بحوائجه ويسمع منه الحديث . قال: فقدم عبد الله الرّقة مرةً فلم ير ذلك الشاب وكان مستعجلاً ، فخرج في النَّفير ، فلما قفل من غزوته ورجع إلى الرّقة سأل عن الشاب فقالوا : إنه محبوس لِدَيْن ركبه . فقال عبد الله . وكم مبلغ دَيْنه ؟ قالوا عشرة آلاف درهم فلم يزل يستقصي حتى دُلّ على صاحب المال فدعا به ليلاً ووزن له عشرة آلاف درهم وحلَّفه أن لا يخبر أحداً ما دام عبد الله حياً . وقال : إذا أصبحت فأخرج الرجل من الحبس .

وأدلج عبد الله وأخرج الفتى من الحبس ، وقيل له : عبد الله بن المبارك كان هاهنا وكان يذكرك ، وقد خــرج . فخرج الفتى في أثره فلحقه علي مرحلتين أو ثلاثٍ من الرقة، فقال : يا فتـى أين كنت ؟ لم أرك في الخان ؟ قال : نعم يا أبا عبد الرحمن كنت محبوساً بديْن . قال : وكيف كان سبب خلاصك ؟ قال : جاء رجل وقضى دَيْني ولم أعلم به حتى أخرجـت من الحبس . فقال له عبد الله : يا فتى احْمَدِ الله على ما وفَّق لك من قضاء دَيْنك . فلم يخبر ذلك الرجل أحداً إلا بعد موت عبد الله .

سلمة بن سليمان قال : جاء رجل إلى عبد الله بن المبارك فسأله أن يقضي ديناً عليه ، فكتب إلى وكيل له . فلما ورد عليه الكتاب قال له الوكيل : كم الدين الذي سألت فيه عبد الله أن يقضيه عنك ؟ قال : سبعمائة درهم ، فكتب إلى عبد الله : إن هذا الرجل سألك أن تقضي سبعمائة درهم فكتبت له بسبعة آلاف ، وقد فنيتْ الغلات . فكتب إليه عبد الله : إن كانت الغلات قد فنيت فإنّ العمر أيضاً قد فني فأجْر له ما سَبَق به قلمي .

وقد رُويت لنا هذه الحكاية أبسط من هذا . فأخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقي قالا : أنبأ أحمد قال : أنبأ أحمد بن عبد الله قال نبأ أبي قال : نبأ محمد بن أحمد ابن إبراهيم قال : نبأ علي بن محمد بن روح قال : سمعت المسيبّ بن واضح يقول : كنتُ عند عبد الله بن المبارك جالساً إذ كلَّموه في رجل يقضي عنـه سبعمائة درهـــم دَيْناً . فكتب إلى وكيله : إذا جاءك كتابي هذا وقرأته فادفع إلى صاحب هذا الكتاب سبعة آلاف

درهم . فلما ورد الكتاب على الوكيل وقرأه التفت إلى الرجل فقال : أيّ شيء قضيّتك؟ فقال : كلَّموه أن يقضي عني سبعمائة درهم دَيْناً. فقال : قد أصبتُ في الكتابِ غلطاً ، ولكن اقعد موضعك حتى أجري عليك من مالي وأبعث إلى صاحبي فأوامره فيك .

فكتب إلى عبد الله بن المبارك : أتاني كتابك وقرأته وفهمتُ ما ذكرت فيه ، وسألتُ صاحب الكتاب فذكر أنه كلَّمك في سبع مائة درهم وهاهنا سبعة آلاف . فإن يكن منك غلطٌ فاكتُب إليَّ حتى أعمل على حسب ذلك . فكتب إليه : إذا أتاك كتابي هذا وقرأته وفهمت ما ذكرتُ فيه فادْفع إلى صاحب الكتاب أربعة عشر ألفاً . فكتب إليه : إن كان عليَّ هذا الفعال تفعلُ فما أسرع ما تبيع الضَّيعة ، فكتب إليه عبد الله بن المبارك : إن كنت وكيلي فأنفذ ما آمُرك به ، وإن كنتُ أنا وكيلك فتعالَ إلى مَوْضعي حتى أصير إلى موضعك فأنفذ ما تأمرني به .

ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « من فاجأ من أخيه المسلم فرحة غفر الله له » فأحببت أن أُفاجئه فرحةً على فرحةٍ .

معاذ بن خالد قال : تعرفت إلى إسماعيل بن عيَّاش بعبد الله بن المبارك . فقال إسماعيل بن عيَّاش : ما على وجه الأرض مثل عبد الله بن المبارك ، ولا أعلم أنَّ الله خلق خصْلة من خصال الخير إلاّ وقد جعلها في عبد الله بن المبارك ، ولقد حدّثني أصحابي أنهم صحبوه من مصر إلى مكة فكان يُطعمهم الخبيصَ ، وهو الدهر صائمٌ .

عبد الله بن حُبَيق قال : قال رجل لابن المبارك : أوْصِني ، فقال : اعرفْ قدْرَك .

سعيد بن يعقوب الطالقاني قال : قال رجل لابن المبارك : هل بقيَ مَن ينصح ؟ قال فقال : وهل تعرف من يقبل ؟ .

عبدة بن سليمان قال : كنا في سريّة مع عبد الله بن المبارك في بلاد الروم فصادفنا العدوّ فلما التقى الصفّان خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز ، فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله ، ثم آخر فقتله ؛ ثم دعا إلى البراز فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله؛ فازدحم عليه الناس وكنتُ فيمن ازدحم عليه فإذا هو مُلَثَّم وجهه بكمّه فأخذت بطرف كُمّه فمددته فإذا هو عبد الله بن المبارك فقال : وأنت يا أبا عمرو ممّن يشنّع علينا .

أبو وهب قال : مرّ ابن المبارك برجل أعمى فقال : أسألك أن تدعو الله أن يردُّ بصري . قال : فدعا الله فردّ عليه بصره وأنا أنظر .

الحسن بن عرفة قال : قال لي ابن المبارك : استعرت قلماً بأرض الشام فذهبت على أن أرده إلى صاحبه فلما قدمت مرْو نظرت فإذا هو معي ، فرجعتُ يا أبا عليّ إلى أرض الشام حتى رددتُه على صاحبه .

شريح بن مسلمة قال : سمعت عبد الله بن المبارك يقول : كاد الأدب يكون ثُلثَي الدِّين.

أبو بكر بن عبد الله بن حسن قال : قال ابن المبارك : طَلَبْنا العلم للدُّنيا فدلَّنا على ترك الدنيا .

أحمد بن الزِّبْرِقان قال : سمعت عبد الله بن المبارك يقول : إن الصالحين فيما مضى كانت أنفسهم تُواتيهم على الخير عفْواً ، وإن أنفسنا لا تكادُ تُواتينا إلاّ على كُرهٍ فينبغي لنا أن نُكرهها .

عن القاسم بن محمد قال : كنا نسافر مع ابن المبارك فكثيراً ما كان يخطر ببالي فأقول في نفسي : بأيِّ شيءٍ فُضِّل هذا الرجل علينا حتى اشتهر في الناس هذه الشهرة ؟ إن كان يصلي إنّا لنصلي ، ولئن كان يصوم إنّا لنصوم ، وإنْ كان يغزُو فإنا لنغزو ، وإن كان يحج إنّا لنحجّ .

قال : فكنّا في بعض مسيرنا في طريق الشام ليلةً نتعشّى في بيتٍ إذ طفئ السراج فقام بعضنا فأخذ السراج وخرج يستصبح فمكث هنيهة ثم جاء بالسراج فنظرتُ إلى وجه ابن المبارك ولحيته قد ابتلَّت من الدموع . فقلت في نفسي : بهذه الخشية فُضِّل هذا الرجل علينا ، ولعله حين فقد السراج فصار إلى الظُّلمة ذكر القيامة .

قال المرْوَزيّ : وسمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل قال : ما رفع الله بن المبارك إلاّ بخبيئةٍ كانت له .

قال المروزي : وأُخبرت عن داود بن رشيد قال : كان ابن المبارك عند أبي الأحوص فجاء رسول فلان الهاشمي بعض الولاة فقال : يُقرئك السلام ويقول : يا أبا الأحوص هذا شهر رمضان وقدّ وسعنا على عيالنا وهذه ألف درهم توسعُ بها عليهم في هذا الشهر. قال أبوالأحوص : فعل الله به وفعل به . وقال : قل له يَدَعُها عنده حتى إذا احتجنا إليها بعثْنا فأخذْناها .

قال : وانسل ابن المبارك إلى منزله فجاء بألف فقال : يا أبا الأحوص هذه الألف تُنفقها فإنّي لا آمنُ أن يكون قد بلغ أهلك فيخاصمونك ، وهذه من وجهٍ أرجو أن تكون أطيب فقبلها .

الحسن بن الربيع قال : سمعت ابن المبارك حين حضرته الوفاة وأقبل نُصَير يقول له : يا أبا عبد الرحمن، قل لا إله إلاّ الله . فقال له: يا نُصَير قد ترى شدّة الكلام علي فإذا سمعتني قُلْتها فلا تردّها عليَّ حتى تسمعني قد أحدثتُ بعْدها كلاماً ، فإنما كانوا يستحبّون أن يكون آخر كلام العبد ذلك .

أدرك ابن المبارك جماعةً من التابعين منهم : هشام بن عروة ، وإسماعيل بن أبي خالد، والأعمش ، وسليمان التيمي ، وحُميد الطويل ، وعبد الله بن عون ، وخالد الحذاء ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وموسى بن عقبة ، في آخرين .

وروى عن كبار الأئمة كالثوري وشُعبة والأوزاعي والحمّادَيْن في نُظرائهم ، وكان أحد أئمة المسلمين .

وتوفـي بهيت منصرفا من الغزو لثلاث عشرة خلت من رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة ، وهو ابن ثلاث وستين سنة .

محمد بن فضيل بن عياض قال : رأيت عبد الله بن المبارك في المنام فقلت : أيُّ الأعمال وجدت أفضل ؟ قال : الأمر الذي كنتُ فيه . قلت : الرّباطُ والجهاد ؟ قال : نعم ، قلت : فأي شيء صنع بك ربك ؟ قال : غفر لي مغفرة ما بعدها مغفرة وكلَّمتني امرأة من أهل الجنة أو امرأة من الحُور العين .

٦٩٦ ـ أبو عبد الله محمد بن نصر المروزى الفقيه(١)

لبث مع أمه ثلاثين شهراً (٢) ، أبوه مَرْوَزيّ . وولد هو ببغداد ، ونشز بنيسابور ، واستوطن سَمَرْقند ، وكان عالماً بالحديث والفقه .

أبو محمد الثقفي عبد الله بن محمد قال : سمعت جدي يقول : جالست أبا عبد الله المروزي أربع سنين فلم أسمعه طول تلك المدة يتكلم في غير العلم .

أبو بكر أحمد بن إسحاق قال : ما رأيت أحسن صلاة من أبي عبد الله المروزي ، ولقد بلغني أن زنبوراً قعد على جبهته فسال الدم على وجهه ولم يتحرّك .

محمد بن نصر قال : خرجت من مصر ومعي جارية لي ، فركبت البحر أريد مكة ، فغرقت وذهبت مني ألفا جُزءٍ ، وصرتُ إلى جزيرة أنا وجاريتي ما رأينا فيها أحداً، وأخذني العطش فلم أقدر على الماء ، فأجهدت فوضعت رأسي على فخذ جاريتي مُستسلماً للموت فإذا رجل قد جاءني ومعه كوز . فقال لي : هاه . فأخذت وشربت وسقيت الجارية . ثم مضى فما أدري من أين جاء ولا أين ذهب .

أسند المروزي عن عبدان ويحيى بن يحيى وإسحاق بن راهويه وخلق كثير يطول ذكرهم. وكان مولده في سنة ثنتين ومائتين ، وتوفي سنة أربع وتسعين .

---

(١) سير الأعلام (١٤/ ٣٣) .

(٢) أى فى بطن أمه .

٦٩٧ ـ عبد الله بن أحمد محمد الرباطى المروزى

لبث مع أمه خمس سنين ، وهو الذي يقال له ابن شبويه .

سافر مع أبي تراب النّخشبي ، وكان الجُنيد يمدحه ويقول : هو رأس فتيان خراسان .

مصعب بن أحمد بن مصعب قال : قدم أبو محمد المروزي إلى بغداد يريد مكة ، وكنت أحب أن أصحبه ، فأتيته واستأذنته في الصحبة فلم يأذن لي في تلك السنة . ثم قدم سنةً ثانية وثالثة فأتيته فسلمت عليه وسألته فقال : اعزم على شَرْط : يكون أحدنا الأمير لا يخالفه الآخر . فقلت أنت الأمير . فقال : لا بل أنت فقلت : أنت أسنّ وأولى . فقال : فلا تعصني . فقلت : نعم . فخرجت معه وكان إذا حضر الطعام يُؤْثرني فإذا عارضته بشيء قال : ألم أشرط عليك أن لا تخالفني ؟ فكان هذا دأبنا حتى ندمت على صحبته لما يُلحق نفسه من الضّرر .

فأصابنا في بعض الأيام مطر شديد ونحن نسير فقال لي : يا أبا أحمد اطلب الميل . ثم قال لي : اقعد في أصله ، فأقعدني في أصله وجعل يديه على الميل وهو قائم قد حنا عليّ ، وعليه كساءٌ قد تجلل به يُظِلّني من المطر حتى تمنَّيْتُ أنّي لم أخرج معه لما يُلحق نفسه من الضرر . فلم يزل هذا دأبه حتى دخل مكة رحمة الله عليه .

٦٩٨ ـ عبد الله بن المنير المروزى

لبث في بطن أمه ما شاء الله .

يحيى بن بدر القرشي قال : كان عبد الله بن مُنير يوم الجمعة قبل الصلاة بقَزوين فإذا كان في وقت صلاة الجمعة يرونه في مسجد آمل ، فكان الناس يقولون : إنه يمشي على الماء . فقيل له : يا أبا محمد إنك تمشي على الماء ؟ قال : أمّا المشي على الماء فلا أدري، ولكن إذا أراد الله عز وجل جمع حافتيْ النهر حتى يَعْبُرَ الإنسان .

قال : وكان عبد الله بن منير إذا قام من المجلس يخرج إلى البرّية مع قوم من أصحابه يجمع شيئاً مثل الأشنان وغيره فيدخل السوق فيبيع ذلك فيتعيش به .

قال : فخرج يوماً مع أصحابه فإذا هو بالأسد رابض على الطريق ، فقيل له : هذا الأسد فقال لأصحابه : قفوا . ثم تقدم هو وحده إلى الأسد فلا ندري ما قال له ، فمرّ الأسد ، فقال لأصحابه : مُرّوا .

انتهى ذكر أهل مرو ، رضي الله عنهم

ذكر المصطفين من أهل بلخ

٦٩٩ ـ الضحاك بن مزاحم الهلالى

يكنى : أبا القاسم . حملت به أمه سنتين

وكان يعلم ولا يأخذ أجراً أصله من الكوفة ثم أقام بِبَلْخ .

قَبِيصة بن قيس العَنْبري قال : كان الضحاك بن مُزاحم إذا أمسى بكى فيُقالُ له : ما يبكيك ؟ فيقول : لا أدري ما صعد اليوم من عملي .

توفي الضّحاك سنة ثِنْتَين ، وقيل سنة خمس ومائة (١) .

٧٠٠ ـ عطاء بن أبى مسلم (٢)

حملت به أمه ثلاث سنين

وفي اسم أبيه قولان أحدهما ميسرة والثاني عبد الله . وفي كنية عطاء قولان : أحدهما أبو عثمان ، والثاني أيوب وأصله من بلخ ، وكان من أهل العلم والصلاح .

عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال : كنا نُغَازي عطاء الخراساني فكان يُحيي الليل كله صلاةً ، فإذا ذهب من الليل ثُلثه أو نصفهُ نادانا وهو في فُسطاطه يسمعنا : يا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، يا يزيد بن يزيد ، يا هشام بن الغاز ، يا فلان بن فلان ، قوموا فتوضَّئوا وصلوا فإنّ قيام هذا الليل وصيام هذا النهار أيسر من شُرب الصديد ومقطعات الحديد ، الوحى الوحى ، النّجاء النجاءَ ثم يُقبل على صلاته .

عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال : حدثني عمّي ، يزيد بن يزيد بن جابر عن عطاء الخراساني أنه كان يقول : إني لا أُوصيكم بدنياكم ، أنتم بها مستوصون ، وأنتم عليها حراص ، وإنما أُصيكم بآخرتكم فخذوا من دار الفناء لدار البقاء ، واجعلوا الدنيا كشيء فارقتموه ، فوالله لتفارقنّها ، واجعلوا الموت كشيء ذُقْتموه ، فوالله لتذوقُنّه ، واجعلوا الآخرة كشيء نزلتموه ، فوالله لتنزلُنّها ، وهي دار الناس كلّهم ليس من الناس أحدٌ يخرج لسفر إلاّ أخذ له أُهبته ، فمن أخذ لسفره الذي يُصلحه اغتبط ، ومن خرج إلى سفرٍ لم يأخذ له أُهبته ندم فإذا ضحي لم يجد ظلاً ، وإذا ظمىء لم يجد ماءً يتروّى به ، وإنما سفر الدنيا منقطع ، وأكيَس الناس من قام يتجهّز لسفرٍ لا ينقطع .

يزيد بن سمرة أنه سمع عطاءً الخراساني يقول : مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام .

---

(١) فى الشذرات : أنه توفى سنة (١٠٢ هـ) ، وانظر : سير الأعلام (٤/٥٩٨) .
(٢) المصدر السابق (٦/ ١٤٠) .

الأوزاعي قال : حدثني عطاءٌ الخراساني قال : ما من عبدٍ يسجُد لله سجدة في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدتْ له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت .

عن عثمان بن عطاء عن أبيه قال : إن أوثق عملي في نفسي نشْري للعلم .

عمر بن أبي خليفة قال : سمعت عطاءً الخراساني ، وصلَّى معنا المغرب فأخذ بيدي حين انصرفنا ، فقال : ترى هذه الساعة ما بين المغرب والعشاء ؟ فإنها ساعة الغفلة وهي صلاة الأوابين .

أسند عطاءُ عن ابنَ عمر ، وابنَ عباس ، وأنس ، وأبي هريرة في آخرين وتوفي سنة خمس وثلاثين ومائة .

٧٠١ ـ إبراهيم بن أدهم يكنى : أبا إسحاق[(١)]

يونس بن سليمان البلخي قال : كان إبراهيم بن أدهم من الأشراف وكان أبوه كثير المال والخدم ، فخرج إبراهيم يوماً في الصّيد مع الغلْمان والخدم والجنائب والبُزاة . فبيْنا إبراهيم في ذلك وهو على فرسه يركُضه ، إذا هو بصوت من فوقه : يا إبراهيم ما هذا العبث ؟ ﴿ **أفحسبْتُم أنَّما خلقناكم عبثاً وأنَّكم إلينا لا ترجعون** ﴾ ؟ [(٢)] إتق الله وعليك بالزّاد ليوم الفاقة . قالَ : فنزل عن دابّته ورفض الدنيا وأخذ في عمل الآخرة .

بشير بن المنذر قال : كنت إذا رأيت إبراهيم بن أدهم كأنه ليس فيه روح لو نفخته الريح لوقع قد اسود متدرّع بعباء .

إبراهيم بن بشار قال : سمعت إبراهيم بن أدهم يقول : ما كانت لي مؤنة قطّ على أصحابي ولا على غيرهم إلا في شيء واحد . فقلت : أي شيء يا أبا إسحاق ؟ فقال : ما كنت أُحسن أُكْري نفسي في الحصَّادين ، فيحتاجون إلى أن يُكروني ، ويأخذون لي الأُجرة ، فهذه كانت مئونتي عليهم .

قال ابن بشار : ومضيت مع إبراهيم بن أدهم إلى مدينة يقال لها طرابلس ومعي رغيفان ما لنا شيء غيرهما وإذا سائلٌ يسأل ، فقال لي : ادفع إليه ما معك فتَلَبّثتُ [(٣)] . فقال لي: ما لك ؟ أعطه ، فأعطيته وأنا متعجب من فعله ، فقال لي : يا أبا إسحاق إنك تلقى غداً ما لم تلقه قطٌّ واعلم أنّك تلقي ما أسلفت ولا تلقي ما خلّفت . فمهِّد لنفسك فإنك لا تدري متي يَفْجَؤُك أمرُ ربّك . قال : فأبكاني كلامه وهوّن عليّ الدنيا . فلما نظر إليّ أبكي، قال : هكذا فكُن .

---

(١) انظر : شذرات الذهب (١/ ٢٥٥) ، والحلية (٧/ ٣٦٧) ، وسير الأعلام (٧/ ٣٨٧) .

(٢) سورة المؤمنون آية : ١١٥ .

(٣) تلبثت : أى تلكأت .

قال ابن بشار : وخرجت أنا وإبراهيم بن أدهم ، وأبو يوسف الغسُولي ، وأبو عبد الله السَّنْجاري ، نريد الاسكندرية فمررنا بنهر يقال له نهر الأُرْدُنّ فقعدنا نستْريح وكان مع أبي يوسف كُسَيْراتٌ يابسات . فألقاها بين أيدينا فأكلناها وحمدنا الله عز وجل . فقمتُ أسعى أتناول ماءً لإبراهيم فبادر إبراهيم فدخل النّهر حتى بلغ الماءُ إلى رُكبتيه . فقال بكفّيه في الماء . فملأهما ثم قال : بسم الله ، وشرب الماء ثم قال : الحمد لله ، ثم ملأ كفيه وقال : بسم الله ، وشرب الماء ، ثم قال : الحمد لله . ثم إنه خرج من النهر فمد رجليه ثم قال : يا أبا يوسف لو علم الملوك وأبناءَ الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا عليه بالسيوف أيام الحياة ، فقلت : يا أبا إسحاق طلب القومُ الراحة والنّعيم فأخطأوا الطريق المستقيم . فتبسم وقال : من أين لك هذا الكلام ؟ .

قال ابن بشار : مررنا مع إبراهيم بن أدهم بمقْبرَة فتقدم إلى قبر فوضع يده عليه ثم قال: رحمك الله يلا فلان ، ثم تقدم إلى آخر فقال مثل ذلك ، فعل ذلك بسبعة من القبور ثم قام قائماً بين تلك القبور فنادى يا فلان يا فلان ، بأعلى صوته ، لقد متّم وخلّفتمونا ونحن بكـــم سريعاً لاحقون . ثم بكى وغرق في فكره ثم رجع بعد ساعة فاقبل إلينا بوجهه ، ودمـــوعه تنحدر كاللؤلؤ الرطْب وقال : إخوتي ، عليكم بالمبادرة والجدّ والاجتهاد ، سارعوا وسابقوا فإنّ نَعْلاً فقدت أختها سريعة اللّحاق بها .

شقيق بن إبراهيم قال : بينما نحن ذات يوم عند إبراهيم بن أدهم إذْ مرّ به رجل فقال إبراهيم : أليس هذا فلان ؟ فقيل : نعم . فقال لرجل : أدركه فقل له قال لك إبراهيم: لِمَ لَمْ تُسَلِّمْ ؟ فقال لهُ ، فقال : والله إن امرأتي وضعت وليس عندي شيءٌ ، فخرجت شِبْهَ المجنون ، قال : فرجعت إلى إبراهيم فقلت له ، فقال ؛ إنّا لله ، كيف غفلنا عن صاحبنا حتى نزل به هذا الأمر ؟ وقال : يا فلان إيت صاحب البستان فاستسلف منه دينارين ، فادخُل السوق فاشتر له ما يُصلحه بدينار ، وادفع الدينار الآخر إليه . فدخلت السوق فأوْقَرْتُ [1] بدينار من كل شيءٍ وتوجهت إليه فدققت الباب فقالت امرأته: من هذا؟ قلت : أنا أردت فُلاناً . قالت : ليسَ هو هاهنا . قلت : فَمُري بفتح الباب وتَنحَّيْ . قال : ففتحت الباب فأدخلت ما على البعير وألقيته في صحن الدار وناولتُها الدينار . فقالت : على يديْ من بَعث هذا ؟ فقلت : قولي على يد أخيك إبراهيم بن أدهم . فقالت : اللهم لا تنس هذا اليوم لإبراهيم .

قال شقيق : وقلت لإبراهيم : يا إبراهيم تركت خراسان . فقال : ما تهنّيت بالعيش إلا في بلاد الشام ، أفرُّ بديني من شاهقٍ إلى شاهق ، ومن جبل إلى جبل ، فمن يراني

---

(١) الوقر : الحمل الثقيل .

يقول : هو مُوَسْوَس ، ومن يراني يقول : هو جمّال ، ثم قال لي : يا شقيق لم يَنْبُل عندنا من نَبُل بالحجّ والجهاد إنما نَبُل من كان يعقل ما يدخُل جوفه ، يعني الرغيفين ، من حلّة ، يا شقيق ماذا أنعم الله على الفقراء ؟ لا يسألهم يوم القيامة لا عن زكاة ولا عن حج ولا عن جهاد ولا عن صلة رحمٍ ، إنما يسأل هُؤلاء المساكين ، يعني الأغنياء .

أحمد بن داود قال : مر يزيد بإبراهيم بن أدهم وهو ينظر كَرْماً ، فقال : ناولْنا من هذا العنب . قال : ما أذن لي صاحبه . قال : فقلب السَّوط فجعل يقنّع رأسه . فطأطأ إبراهيم رأسه وقال : اضرب رأساً طالما عصى الله عز وجل فأعجز الرجل عنه .

علي بن بكار قال : كنا جلوساً بالْمصيصَة وعندنا إبراهيم بن أدهم ، فقدم رجل من خراسان فقال : أيكم إبراهيم بن أدهم ؟ فقال القوم : هذا ، قال : إنّ إخوتك بعثوني إليك فلما سمع ذكْر إخوته قام فأخذ بيديه فنحاه فقال : ما جاء بك ؟ فقال : أنا مملوكك، معي فرس وبغلة وعشرة آلاف درهم بعث بها إليك إخوتك . فقال : إن كنت صادقاً فأنت حُرّ ، وما معك لك ، اذهب فلا تخبر أحداً . فذهب .

يحيى بن الكُدَير بن أسود الكلابي من أهل عسْقَلاّن قال : كان إبراهيم بن أدهم أجيراً في بستان لي سنةً أبتذله فيما يُبتذَل الأجير (١) . فزارني إخوان لي في بستاني فقلت لإبراهيم : ايتنا برمّان حُلو . فجاء برمّان لم نحمده . فقلت له : أنت في هذا البستان منذ سنة لا تعرف موضعَ الجيّد الحلو من الحامض ؟ قال : فأيّ موضع هو من البستان ؟ فوصفتُه له فأنكرتُ أمره ، وإذا رجل قد أقبل على نَجيب (٢) يسأل عن إبراهيم بن أدهم . فأُخْبر بمكانه عندي . فنزل إليه فرأيته قد قبل يديه وعظّمه . فقال له إبراهيم: ما جاء بكَ ؟ فقال : مات بعض مواليك فجئتك بميراثه ثلاثين ألف درهم . فقال : ما لكم واتّباعي ؟ فقال الرجل : قد نعنَّيْت من بلْخ فاقْبلها مني . فقال للرجل : ابسُط إزارك ، وصُبّ عليه ما معك . ففعل ، فقال إبراهيم : اقسمه ثلاثة أقسام ، فقسمه. فقال : ثلث لك لعَنائك من بلْخ إلى هاهنا وثُلث اقسمه على المساكين ببلْخ ، وثُلث أنت يا يحيى اقسمه في مساكن أهل عَسْقَلاّن .

أبو سليمان الدّاراني قال : صلّى إبراهيم بن أدهم خمس عشرة صلاة بوضوءٍ واحد .

عن مخلد بن الحسين قال : ما انتبهتُ من الليل إلا أصبت إبراهيم بن أدهمْ يذكُرُ الله فأغتم ثم أتعزَّى بهذه الآية ﴿ **ذلك فَضْلُ الله يُؤْتيه مَنْ يَشاءُ** ﴾ (٣) .

---

(١) أبتذله : استخدمه . (٢) النجيب : الفاضل على مثله فى نوعه وهى هنا الدابة الأصيلة.
(٣) سورة المائدة آية : ٥٤ .

عبد الملك بن سعد الدمشقي قال : سمعت إبراهيم بن أدهم يقول : أعربنا الكلام فما نَلْحن ، ولحنَّا في الأعمال فما نُعْرِب .

عبد الله بن الفرج العابد قال : اطلعت على إبراهيم بن أدهم بالشام في بستان وهو نائم وعند رأسه أفعى في فيها طاقةُ نرجس تَذُبّ عنه .

موسى بن طريف قال : ركب إبراهيم بن أدهم البحر فأخذَتْهم ريح عاصف فأشرفوا على الهلكة فلفَّ إبراهيم رأسه في عباءة ونام . فقالوا له : ما ترى ما نحن فيه من الشدة؟ فقال : ليس ذا شدّة . قالوا : ما الشِّدَّة ؟ قال : الحاجة إلى الناس . ثم قال : اللهم أريتنا قُدرتك فأرنا عفْوك . فصار البحر كأنه قدَح زيتٍ .

خلف بن تميم قال : كنت عند أبي رجاء الهرويّ في مسجده فأتى رجل على فرس فنزل فسلَّم عليه ووَدَّعه . فأخبرني أبو رجاء عنه أنه كان مع إبراهيم بن أدهم في سفينة في غُزاة في البحر ، فَعَصَفَتْ عليهم الريح وأشرفوا على الغرق فسمعوا في البحر هاتفاً يهتف بأعْلى صوته : تخافون وفيكم إبراهيم ؟ .

إبراهيم بن عبد الله بن محمد البلْخي ، عن إبراهيم بن أدهم قال : وجدت يوماً راحة فطاب قلبي لحُسن صنيع الله بي فقلت : اللهم إن كنت أعطيت أحداً من المحبِّين لك ما سكنت به قلوبهم قبل لقائك فأعْطني ذلك فلقد أضرَّ بي القلق ، قال إبراهيم : فرأيت الله تعالى في النوم ، فوقفني بين يديه وقال لي : يا إبراهيم ما استَحْيَيْتَ مني ؟ تسألني أن أعطيك ما تسكّن به قلبك قبل لقائي ، وهل يسكُن قلبُ المشتاق إلى غير حبيبه ؟ أم هل يستريح المحبّ لى غير من اشتاق إليه ؟ فقلت : يا ربّ تهتُ في حبّك فلم أدر ما أقول .

اقتصرنا من أخبار إبراهيم على هذا القَدْر لأنّا قد وضعنا كتاباً جمعنا فيه أخباره فكرهنا الإعادة في التصانيف .

وقد روى إبراهيم عن جماعة من التابعين : كأبي إسحاق السُّبَيْعي وأبي حازم وقَتادة ومالك بن دينار وأبان والأعمش وغيرهم ، وقد روى عن خلق من تابعي التابعين إلا أنه شافه بعض من روى عنه ، وأرسل الرواية عن بعض ، وتوفِّي بالجزيرة ، فحُمل إلى صُور فدفن هنالك .

٧٠٢ ـ داود البلخي [١]

لبث مع أمه أربعين شهراً

(١) الحلية (١٠/٤٤) .

إبراهيم بن أدهم قال : لقيت أسلم بن زيد الجُهني فقلت له : إنّي صحِبْتُ رجُلاً من الكوفة إلى مكة فرأيته إذا مشى يُصلّي ركعتين ثم يتكلم بكلام خفيّ بينه وبين نفسه فإذا جفْنة من ثريد عن يمينه وكُوزُ ماء ، وكان يأكل ويُطْعمني ، فبكى وقال : يا بني ذاك أخي داود ومسكنه من قرى بلخ بقريةٍ يقال لها المازرة الطيِّبة ، وإنها تفاخر البقاع بكَيْنونة داود فيها ، يا غلام : ما قال لك وما علَّمك ؟ قلت : علّمني اسم الله الأعظم . قال : وما هو؟ قلت : إنه يتعاظم عليّ أن أنطق به فإنني سألت به مرّةً فإذا برجل آخذ بحُجْرَتي فقال: سل تُعْطَهْ ، فراعني ذلك وفزِعْت فزعاً شديداً فقال: لا رَوْع عليك أنا أخوك الخضر، إنّ أخي داود علَّمك اسم الله الأعظم فإياك أن تدعو به على رجل بينك وبينه نَزْع فتهلكه هلاك الدنيا والآخرة ، ولكن ادعُ الله أن يثبّت به قلبك، ويشجّع به جبنك ، ويُقوِّي به ضعفك ويُؤنس به وَحْشتَك ، ويُؤْمِنَ به رَوْعتك .

٧٠٣ ـ شقيق بن إبراهيم البلخي[١]

لبث في بطن أمه ستة وثلاثين شهراً يكنى أبا عليّ

أحمد بن عبد الله الزاهد قال : قال عليٌّ بن محمد بن شقيق : كان لجدّي ثلثمائة قرية ولم يكن له كفن يكفَّن فيه ، قدَّم ذلك كلَّه بين يديه ، وثيابه وسيفُه إلى الساعة معلَّق يَتَبَرّكون به ، وكان قد خرج إلى بلاد الترك لتجارة وهو حدث فدخل إلى بيت أصنامهم، فقال لعاملهم : إن هذا الذي أنت فيه باطل ، ولهذا الخلق خالق ليس كمثله شيءٌ رازقُ كلّ شيء . فقال له الخادم : ليس يوافق قولُك فعلك ، فقال له شقيق : كيف ؟ قال : زعمت أن لك خالقاً قادراً على كل شيء ، وقد تَعَنَّيت إلى هاهنا لطلب الرّزق . قال شقيق: فكان سبب زهدي كلامُ التركيّ ، فرجع فتصدّق بجميع ما ملك وطلب العلم .

قال أبو عبد الله : سمعت شقيق بن إبراهيم يقول : خرجت من ثلثمائة ألف درهم وكنت مُرابيا ولبست الصوف عشرين سنة وأنا لا أعلم ، حتى لقيت عبد العزيز بن أبي رواد ، فقال لي : يا شقيق ليس الشأن في أكل الشعير ، ولا لباس الصوف والشعر ، الشأن في المعرفة ، وأن تعبد الله لا تشرك به . فقلت : فسِّر لي هذا ؟ قال : يكون جميع ما تعمله لله خالصاً . ثم تلا : ﴿ **فمن كان يرجُو لقاء ربّه فليعملْ عملاً صالحاً ولا يُشْرِكْ بعبادة ربّه أحداً** ﴾ [٢] .

---

(١) المصدر السابق (٨/٥٨) ، وسير الأعلام (٩/٣١٣) .

(٢) سورة الكهف آية : ١١٠ .

محمد بن أبي عمران قال : سمعت حاتماً الأصمَّ يقول : كنا مع شقيق البلخي ونحن مصافُّوا الترك في يوم لا أري فيه إلا رُؤساً تندُر [١] ، وسيوفاً تقْطع ، فقال لي شقيق ونحن بين الصفين : يا حاتم كيف ترى نفسك في هذا اليوم ؟ تراها مثلها في الليلة التي زُفَّت إليك امرأتك ؟ فقلت : لا والله . فقال : لكنّي والله أرى نفسي في هذا اليوم مثلها في الليلة التي زُفَّت فيها امرأتي . قال : ثم نام بين الصفَّين ودَرَقَتُه تحت رأسه ، حتى سمعت غطيطه .

حاتم الأصمَّ قال لي شقيق البلخي : إصْحبِ الناسَ ؛كما تصحب النار ، خُذ منفعتها واحذر أن تحرقك [٢] .

حاتم قال : سمعت شقيقاً يقول : مثل المؤمن كمثل رجلٍ غرس نخلة وهو يخاف أن تحمل شوكاً ومثل المنافق كمثل رجل زرع شوكاً وهو يَطْمع أن يحصد تمراً هيهات هيهات، كلّ من عمل حسناً فإن الله لا يجزيه إلا حسناً ، ولا ينزل الأبرار منازل الفجار .

أسند شقيق عن عباد بن كثير وغيره ، وصحب إبراهيم بن أدهم .

٧٠٤ ـ حاتم الأصــم [٣]

واختلفوا في اسم أبيه : فقيل حاتم بن عنوان ، وقيل حاتم بن يوسف ؛ وقيل حاتم ابن عنوان بن يوسف . يُكنى : أبا عبد الرحمن ، وهو مولى للمثنَّى بن يحيى المحاربي، صحب شقيقاً .

محمد بن أبي عمران قال : سمعت حاتماً الأصم ، وسأله رجل علامَ بنيت أمرك هذا في التوكل على الله ؟ قال : على خِصال أربع : علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت به نفسي ، وعلمت أن عملي لا يعمله غيري فأنا مشغول به ، وعلمت أن الموت يأتيني بغتة فأنا أبادره ، وعلمت أني لا أخلو من عين الله حيث كنتُ فأنا مُسْتَحيٍ منه .

رباح بن الهروي قال : مرّ عاصم بن يوسف بحاتم الأصم وهو يتكلم في مجلسه فقال: يا حاتم كيف تصلي ؟ قال حاتم : أقوم بالأمر ، وأمشي بالسّكينة ، وأدخل بالنية، وأكبِّر بالعظمة ، وأقرأ بالترتيل والتفكر ، وأركع بالخشوع ، وأسجد بالتواضع، وأُسلّم بالسنة وأسلمها بالإخلاص إلى الله عز وجل ، وأخاف أن لا تُقبل مني . قال تكلم فأنت تُحسن تصلي .

---

(١) تندر : تسقط وتتطاير .

(٢) تقدم ذكر الضابط الشرعي وما اتفق عليه العلماء في مسألة العزلة والاختلاط (ص/ ٦٩ - ٧٠).

(٣) انظر : الحلية (٨/ ٧٣) ، وسير الأعلام (١١/ ٤٨٤) .

عبد الله بن سهل قال : سمعت حاتماً الأصمَّ يقول : اختلفتُ إلى شقيق ثلاثين سنة، فقال لي يوماً : أيّ شيء تعلَّمت ؟ فقلت : رأيت رزْقي من عند ربّي فلم أشتغل إلا بربيّ، ورأيت أن الله تعالى وكَّل بي ملكين يكتبان عليَّ كلَّ ما تكلَّمت به فلم أنطق إلا بالحق ، ورأيت أن الخلق ينظرون إلى ظاهري والربّ تعالى ينظر إلى باطني ، فرأيت مراقبته أوْلى وأوجب ، فسقطت عنّي رؤْية الخلق ، ورأيت أن الله مستحثاً يدعو الخلق إليه فاستعددْتُ له متى جاءني لا أحتاج يقتلني ، يعني ملك الموت . فقال لي : يا حاتم ما خاب سعيك .

الحسن بن علي العابد قال : سمعت حاتماً يقول : لو أن صاحب خبر جلس إليك ليكتب كلامك لاحْترَزْتَ منه ، وكلامُك يُعرض على الله تعالى فلا تحترز .

أبو تُراب النَّخشبي قال : سمعت حاتماً يقول : لي أربع نسوةٍ وتسعة من الأولاد ، ما طمع الشيطان أن يوسوس لي في شيء من أرزاقهم .

حامد اللفَّاف قال : سمعت حاتماً الأصم يقول: ما من صباح إلاَّ والشيطان يقول لي: ما تأكل ؟ وما تلبس ؟ وأين تسكن ؟ فأقول : آكل الموت وألْبُس الكفن وأسكن القبر .

قال : وقال رجل لحاتم ما تشتهي ؟ قال أشتهي عافية يوم إلى الليل ، فقيل له : أليست الأيام كلّها عافية ؟ قال : إن عافية يومي أن لا أعصي الله فيه .

قال : وقال حاتم : تعهد نفسك في ثلاثة مواضع : إذا عملت فاذْكُر نظر الله إليك ، وإذا تكلَّمت فاذكر سمع الله إليك ، وإذا سكتَّ فاذكُر علم الله فيك .

عن عليّ بن الموفَّق قال : سمعت حاتماً يقول : لقينا الترك وكان بيننا جولة فرماني تركي بَوَهَق (١) فقلبني عن فرسي ونزل عن دابتّه فقعد على صدري وأخذ بلحيتي هذه الوافرة وأخرج من خُفّه سكيناً ليذبحني . فوحقّ سيّدي ما كان قلبي عنده ولا عند سكّينه، إنما كان قلبي عند سيّدي أنظر ماذا ينزل به القضاء منه فقلت : سيدي قضيت عليَّ أن يذْبحني هذا فعلى الرأس والعين ، إنما أنالك وملْكُك فبينما أنا أُخاطب سيدي وهو قاعدٌ على صدري آخذ بلحيتي ليذبحني ، إذ رماه بعض المسلمين بسهم فما أخطأ حلْقه ، فسقط عني فقُمتُ أنا إليه فأخذت السكّين من يده فَذَبَحْته ، فما هو إلا أن تكون قلوبكم عند السيد حتى تروْا من عجائب لُطفه ما لم تروا من الآباء والأمهات . أسند حاتم الحديث ولا أعرف له إلا ما أخبرنا به محمد بن عبد الباقي قال : أخبرنا حمد بن أحمد قال : ثنا أحمد بن عبد الله ؟ قال : حدثنا أبو الحسين محمد بن محمد بن أحمد

(١) الوهق : حبل فى طرفه أنشوطة تطرح فى عنق الإنسان حتى يؤخذ .

المؤزن قال : حدثنا محمد بن الحسين بن علي . قال : حدثنا محمد بن علويه قال : حدثنا ابن الحارث قال : حدثنا حاتم الأصمّ قال : حدثنا سعيد بن عبد الله الماهياني قال: حدثنا إبراهيم بن طهمان قال : حدثنا مالك عن الزّهرى عن أنس عن النبي ﷺ قال : « صلّ صلاة الضحى فإنها صلاةُ الأبرار ، وسلم إذا دخلت بيتك يكثُر خيرُ بيتِك».

٧٠٥ ـ أحمد بن الخضر وهو المعروف بابن خضرويه البلخي(١)

يكنى : أبا حامد ، صحب أبا تراب النخشبي وحاتماً الأصمّ ، ورحل إلى يزيد وأبي حفص النيسابوري .

وقال أبو حفص : ما رأيت أحداً أكبر همَّةً ولا أصدق حالاً من أحمد بن خضرويه .

محمد بن الفضل قال : قال أحمد بن خضرويه : القلوب جوالةٌ إمّا أن تجول حول العرش وإمّا أن تجول حول الحَش .

محمد بن حامد الترمذي قال : أحمد بن خضرويه : الصبر زاد المضطرّين ، والرضا درجة العارفين .

قال : وقال رجل لأحمد بن خَضْرويه ، أوصني . فقال : أمتْ نفسك حتى تُحييها.

قال : وقال أحمد : لا نوم أثقلُ من الغفلة ، ولا رِقّ أَمْلَكُ من الشَّهوة ، ولولا ثقل الغفلة لم تظفر بك الشهوة .

قال : وسئل أحمد : أيّ الأعمال أفضل ؟ فقال : رعاية السرّ عن الالتفات إلى شيء غير الله عز وجل .

محمد بن حامد قال : كنت جالساً عند أحمد بن خضرويه وهو في النزع ، وكان قد أتى عليه خمس وتسعون سنةفسُئل عن مسألة فدَمَعَتْ عيناه وقال : يا بنيّ باب كنت أدقّه خمساً وتسعين سنة هو ذا يُفتح لي الساعة ، لا أدري أيُفتح لي بالسعادة أو بالشقاوة أنَّى لي أوان الجواب ؟ .

وكان قد ركبه من الدَّيْن سبعمائة دينار ، وحضره غُرَماؤُه فنظر إليهم فقال : اللهم إنك جعلت الرهون وثيقة لأرباب الأموال وأنت تأخذ عنهم وثيقتهم فأدِّ عنّي . فدقّ داقٌ الباب وقال : هذه دار أحمد بن خضْرويه ؟ فقالوا : نعم . قال : أين غرماؤُه؟ قال : فخرجوا فقضَى عنه ثم خرجت روحه .

أسند أحمد بن خضرويه عن محمد بن عبدة المروزيّ وتوفي سنة أربعين ومائتين .

---

(١) انظر : الحلية (١٠/ ٤٢) ، وسير الأعلام (١١/ ٤٨٧) .

٧٠٦ ـ محمد بن الفضل بن العباس أبو عبد الله البلخي[١]

أبو بكر محمد بن عبد الله الرازي قال : سمعت محمد بن الفضل يقول : العجب ممن يقطع الأودية والمفاوز والقفار ليصل إلى بيته وحرمه لأنّ فيه آثار أنبيائه كيف لا يقطع نفسه وهواه حتى يصل إلى قلبه لأن فيه آثار مولاه ؟ .

الحسن بن علويه قال : قال محمد بن الفضل : أنزلْ نفسك منزلة من لا حاجة له فيها ولا بدّ له منها ، فإنّ من ملك نفسه عزّ ، ومن ملكته ذلّ .

إبراهيم الخواص قال : قال لي محمد بن الفضل : ما خطوت أربعين سنة خطوة لغير الله عز وجل ، وما نظرت أربعين سنة في شيء أستحسنه حياء من الله عز وجل ، وما أمليت على ملكيَّ ثلاثين سنة شيئاً ، ولو فعلت ذلك لاستَحْيَيْت منهما .

أسند محمد بن الفضل عن قتيبة بن سعيد ، وصحب أحمد بن خضرويه وغيره ، وانتقل إلى سمرقند فمات بها في سنة تسع عشرة وثلثمائة .

٧٠٧ ـ أبو بكر الوراق[٢]

واسمه محمد بن عمر ، ويقال له الحكيم وأصله من ترمذ لكنه أقام ببلخ .

أبو بكر بن أجيد البلخي قال : سمعت أبا بكر الورّاق يقول : لو قيل للطمع من أبوك ؟ قال : الشكّ في المقدور ، ولو قيل : ما حرفتك ؟ قال : اكتساب الذل ولو قيل: ما غايتك ؟ قال : الحرمان .

غيلان السمرقندي قال : دخل رجل على أبي بكر الورّاق فقال : إني أخاف من فلان: فقال : لا تخف منه فإن قلب من تخافه بيد من ترجوه .

محمد بن حامد قال : قُلت لأبى بكر الورّاق : علّمني شيئاً يقرّبني إلى الله ويقرّبني من الناس . فقال : أما الذي يقرّبك من الله فمسألته ، وأما الذي يقربك من الناس فترك مسألتهم .

أسند أبو بكر الورّاق الحديث عن موسى بن حزام الترمذي .

٧٠٨ ـ عابد بلخي لم يعرف اسمه

عبد الوهاب قال : بينما أنا جالس في الحدّادين ببَلْخ إذ مرّ رجل فنظر إلى النار في الكُور فسقط فقمنا فنظرنا إليه فإذا هو قد مات .

---

(١) الحلية (١٠/ ٢٣٢) ، وسير الأعلام (١٤/ ٥٢٣) .

(٢) الحلية (١٠/ ٢٣٥) .

٧٠٩ ـ عابدة بلخية (رضى الله عنها)

أبو بلال الأسود قال : خرجت حاجاً فلما صرت في بعض الطريق إذا أنا بامرأة ليس معها زاد ولا إداوة (١) . فقلت لها : من أين أنت ؟ قالت : مِن بَلْخ . فقلت لها : ما أرى معك زاداً ولا ما تحملين فيه الزّاد . فقالت لي : خرج معي من بلخ عشرة دراهم وقد بقي بعضها ، فقلت لها : إذا نفدت ما تصنعين ؟ فقالت : علي هذه الجبة أبيعها وآخذ دونها وأنْفق ما بين ذلك . قلت : إذا فني ما تصنعين ؟ قالت : أبيع هذا الحمار وآخذ دُونَهُ وأنفق ما بين ذلك . قلت : فإذا فني ما تصنعين ؟ قالت : يا بطال أسأله فيُعْطيني. قلت : ألا سألته قبل ذلك ؟ قالت ، ويحك إني أستحيي أن أسأله شيئاً من الدنيا ومعي فضلٌ من عرضها . قلت : اعقبي على هذا الحمار عُقْبةً فقالت : دَعْه . فتركته معها وتخلّفت لحاجة . فلما قضيت حاجتي أسرعت في أثرها فإذا أنا بالحمار واقف والخُرْج مملوءُ فرآني حواريٌّ لم أر بحسنه فطلبتها بعد ذلك فما رأيتها .

انتهى ذكر أهل بَلْخ بحمد الله ومنّه .

ذكر المصطفين من أهل ترمذ

٧١٠ ـ على بن رزين أبو الحسن

خراساني ، أصله من ترمذ ، ويقال من هراة كان أستاذ أبي عبد الله المغربي .

كان علي بن رزين قد صحب الحسن البصري فيما يذكر والله أعلم ، وكان يدخل إلى قرميسين فيما بلغني فيكتب عنه ، وشاع في الناس ذكره أنه يشرب في كل أربعة أشهر شربة ماء ، فسأله رجل من أهل قرميسين (٢) عن هذا ؟ فقال : نعم وأيّ شيء في هذا ؟ سألت الله عز وجل أن يكفيني مئونة بطني فكفاني .

عاش عليّ بن رزين مائة وعشرين سنة ، وتوفّى سنة خمس وعشرين ومائتين ، ودُفن على جبل الطُّور ، ودُفن إلى جانبه صاحبه أبو عبد الله المغربي .

٧١١ ـ محمد بن على بن الحسين الترمذى(٣)

يكنى : أبا عبد الله ، من كبار مشايخ خراسان ، له التصانيف المشهورة . وكان يقول ما صنّفت شيئاً ليُنسب إليّ لكن كنت إذا اشتدّ عليّ وقتي أتسلّى بمصنّفاتي .

---

(١) الإداوة : إناء صغير من جلد .   (٢) مدينة على نهر جيحون شمال إيران .

(٣) وهو غير الإمام الترمذي صاحب الجامع والعلل وغيرها من الكتب المهمة ، انظر : الحلية (١٠/ ٢٣٣) ، وسير الأعلام (١٣/ ٤٣٩) .

منصور بن عبد الله قال : قال محمد بن على الترمذى : ليس فى الدنيا حمل أثقل من البر لأن من برك فقد أوثقك ، ومن جفاك فقد أطلقك .

الحسن بن عليّ قال : سمعت محمد بن عليّ الترمذي يقول : من جهل أوصاف العبودية فهو بنعت الربوبية أجهل .

أبو الحسين الفارسي قال : سمعت محمد بن علي الترمذي يقول : المؤمن بشْرُه في وجهه ، وحُزنه في قلبه ، والمنافق حُزنُه في وجهه وبِشْره في قلبه .

وقال : اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك ، واجعل شُكرك لمن لا تنقطع عنك نعمته ، واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه .

أسند محمد بن علي عن محمد بن رزام الأيلي .

انتهى ذكر أهل ترمذ بحمد الله ومنّه .

ذكر المصطفين من أهل بخارى

٧١٢ ـ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري يكني : أبا عبد الله[(١)]

أبو جعفر محمد بن أبي حاتم الورّاق قال : قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري : كيف كان بَدْوُ أمرك في طلب الحديث ؟ قال : أُلهمت حفظَ الحديث وأنا في الكُتّاب . قلت : وكم أتى عليك إذ ذاك فقال : عشر سنين أو أقلّ ، ثم خرجت من الكُتّاب بعد العشر فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره . فقال يوماً ، فيما كان يقرأ للناس : سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم . فقلت له : يا أبا فلان إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم ، فانْتهرني ، فقلت له : ارجع إلى الأصل إن كان عندك . فدخل فنظر فيه ثم خرج فقال لي : كيف هو يا غلام ؟ قلت : هو الزبير بن عدي عن إبراهيم . فأخذ القلم مني فأحكم كتابه وقال : صَدَقْت . فقال له بعض أصحابه : ابن كم كنت إذ رددت عليه ؟ قال : ابن إحدي عشرة سنة . فلما طعنت في سن ست عشرة حفظت كُتب ابن المبارك ووكيع ، ثم خرجت مع أمي وأخي إلى مكة فلما حججتُ رجع أخي وتخلفت بها في طلب الحديث ، فلما طعنت في ثمان عشرة جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم ، وصنَّفت كتاب التاريخ عند قبر رسول الله ﷺ في الليالي المقمرة .

أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن البخاري قال : سمعت أبا عبد الله

---

(١) المصدر السابق (١٢/ ٣٩١) .

محمد بن إسماعيل يقول : لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم ، من أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر .

السعداني قال : سمعت بعض أصحابنا يقول : قال محمد بن إسماعيل أخرجت هذا الكتاب ، يعني الصحيح ، من زُهاء ستمائة ألف حديث .

محمد بن يوسف الفربري قال : قال محمد بن إسماعيل : ما وضعت في كتاب الصحيح حديثاً إلا اغْتَسَلْتُ قبل ذلك وصليت ركعتين .

بكر بن منير قال : كان حُمل إلى محمد بن إسماعيل بضاعة أنفذها إليه فلان فاجتمع التجار إليه بالعشيَّة فطلبوها منه بربح خمسة آلالف درهم ، فقال لهم : انصرفوا الليلة فجاءه من الغد تجّار آخرون فطلبوا منه تلك البضاعة بربح عشرة آلاف درهم فردّهم وقال: إني نويت البارحة أن أدفع إليهم بما طلبوا يعني الذين طلبوا أول مرّة ، ففعل وقال : لا أحب أن أنقض نيّتي .

مسبِّح بن سعيد قال : كان محمد بن إسماعيل البخاري إذا كان في أول ليلة من رمضان يجتمع إليه أصحابه فيصلّي بهم فيقرأ في كل ركعة عشرين آية ، وكان يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن ، فيختم عند السَّحر في كل ثلاث ليالٍ ، ويقول عند كل ختمة : دعوة مستجابة .

علي بن محمد بن منصور قال : سمعت أبي يقول : كنا فى مجلس أبى عبد الله محمد ابن إسماعيل ، فرفع إنسان من لحيته قذاة فطرحها على الأرض ، فرأيت محمد بن إسماعيل ينظر إليها وإلى الناس فلما غفل الناس رأيته مدّ يده فرفع القذاه من الأرض فأدخلها في كمهً . فلما خرج من المسجد رأيته أخرجها فطرحها على الأرض .

محمد بن أبي حاتم قال : كنت أرى أبا عبد الله يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة مرةً إلى عشرين مرة في كل ذلك يأخذ القداحة فيوري ناراً ويسرج ثم يخرج أحاديث فيعلم عليها ثم يضع رأسه . وكان يصلّي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة يُوتر منها بواحدة.

بكر بن منير قال : سمعت محمد بن إسماعيل يقول : أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحداً .

قلت فضائل البخاري كثيرة ، وحفظه للحديث حفظ غزير قد شهد له الأكابر به حتى قال أحمد بن حنبل : ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل . وكان نحيف الجسم ليس بالطويل ولا بالقصير . ولد يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة . وتوفى ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة الفطر ،

ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر ، وذلك لغرة شوال من سنة ست وخمسين ومائتين وقبره بِخَرْتَنْكَ .

٧١٣ – عابد بخاري

إبراهيم بن أحمد الخواص قال : سلكت البادية ستة عشر طريقاً على غير الجادة ، فاعجب ما رأيت رجل ليس له يدان ولا رجلان ، وعليه من البلاء أمر عظيم وهو يزحف زحفاً فتحيرت منه وسلمت عليه ، فقال لي : وعليك السلام يا إبراهيم قال : فقلت له: بم عرفتني ولم ترني قبلها ؟ فقال : الذي جاء بك عرف بيني وبينك . فقلت : صدقت، إلى أين تريد ؟ فقال : إلى مكة قلت ومن أين أنت ؟ قال : من بخاري فبقيت متعجباً أنظر إليه . فنظر إلى شزراً وقال : يا إبراهيم تعجب من قويّ يحمل ضعيفاً ويرفق به ؟ ثم دمعت عيناه وأرسل الدموع فقلت : لا يا حبيبي ، فتركته على حاله ومضيت أنا فلما دخلت مكة رأيته في الطواف وهو يزحف زحفاً .

انتهى ذكر أهل بخارى .

ومن المصطفين من فرغانة

٧١٤ ـ أبو بكر بن إسماعيل الفرغاني

محمد بن داود قال : ما رأيت في الفقراء أحسن من أبي بكر بن إسماعيل الفرغاني، وكان ممن يظهر الغني في الفقر ، يلبس قميصين أبيضين ورداء وسراويل ونعلاً لطيفة وعمامة ، وفي يده مفتاح كبير حسن ، وليس به بيت ، يَنْطَرِح في المساجد ، ويطوى الخمس والست دائماً .

ومن المصطفين من نخشب

٧١٥ ـ أبو تراب النخشبى[1]

واسمه عسكر بن الحصين ، ويقال عسكر بن محمد بن حصين أبو عبد الله الجلاء قال: لقيت ستمائة شيخ ما رأيت فيهم مثل أربعةٍ أوَّلُهم أبو تراب .

أبو علي الحسن بن خيران الفقيه قال : مرّ أبو تراب النخشبي بمزين فقال له : تحلق رأسي لله عز وجل ؟ فقال له : إجلس ، فجلس . ففيما يحلق رأسه مرّ به أمير من أهل بلده فسأل حاشيته فقال لهم : أليس هذا أبا تراب ؟ قالوا : نعم . فقال : أي شيء معكم من الدنانير ؟ فقال له رجل من خاصّته : معي خريطة [2] فيها ألف دينار . فقال:

---

(١) انظر : الحلية (١٠/ ٤٥) ، وسير الأعلام (١١/ ٥٤٥) .

(٢) الخريطة : وعاء من جلد ونحوه يشد على ما فيه .

إذا قام فأعطه واعتذرْ إليه وقل له : لم يكن معنا غير هذه ، فجاء الغلام إليه فقال له : إن الأمير يقرأ عليك السلام وقال لك : ما حضر معنا غير هذه الدنانير . فقال له : ادفعها إلى المزين . فقال المزين : أيّ شيء أعمل بها ؟ فقال : خذها . فقال : لا والله ولو أنها ألفا دينار ما أخذتها . فقال له أبو تراب : مر إليه فقل له إن المزين ما أخذها فخُذْها أنت فاصرفها في مهمّاتك .

أبو عبد الله الجلاء قال : قدم أبو تراب مرّة إلى مكة فقلت له : يا أستاذ أين أكلت ؟ قال : جئت بفُضولك ، أكلت أكلة بالبصرة ، وأكلت أكلة بالنِّباج ، وأكلة عندكم .

إسماعيل بن نجيد قال : كان أبو تراب يقول : بيني وبين الله عز وجل عهدٌ أن لا أمد يدي إلى حرام إلا قصّرتُ يدي عنه .

منصور بن عبد الله قال : سمعت أبا تراب النَّخشبي يقول : ألفت القلوب الإعراض عن الله عز وجل صحبتها الوقيعة في الأولياء .

أبو العباس الشرقي قال : كنا مع أبي تراب النخشبي في طريق مكة فمرض فعدل عن الطريق إلى ناحية فقال له بعض أصحابه : أنا عطشان . قال : فضرب برجله فإذا عين من ماء زلال : فقال الفتى : أُحبُّ أن أشربه في قدح ، فضرب بيده الأرض فناوله قدحاً من زجاج أبيض كأحسن ما رأيت ، فشرب وسقانا وما زال القدح معنا إلى مكة .

قال : فقال لي يوماً : ما يقول أصحابك في هذه الأمور التي يكرم الله عز وجل بها عباده ؟ فقلت : ما رأيت أحداً إلا وهو يُعطي الإيمان بها . فقال : إنما سألتك من طريق الأحوال . قلت : ما أعرف لهم قولاً فيه . فقال : بلى قد زعم أصحابك إنها خُدَعٌ من الحق وليس الأمر كذلك إنما الخُدعُ في حال السكون إليها ، فأما من لم يعرّج على الملك في اعْتناق الحقائق فتلك مرتبة الربّانيين .

أسند أبو تراب عن محمد بن نمير ويعمر بن حماد وغيرهما . وتوفي بالبادية نهشته السباع في سنة خمس وأربعين ومائتين .

ومن المصطفين من أهل منجوران وهى قرية ببلخ

٧١٦ ـ على بن محمد المنجورانى

أحمد بن سهل قال : مات أبو علي المنجوراني فخرجنا نعزي ابنه علي بن محمد فلما رجعنا من دفن أبيه نزع ثيابه ودخل الماء في نهر ، وقال : اشهدوا أني لا أملك اليوم شيئاً مما ورثْت عن أبي ، لأنه يتخالج في صدري ، فإنْ واسيتُموني بقميص حتى أخرج من الماء فعلتم ، قال : وكان لنا صديقاً مؤانساً فألقوا إليه قميصاً فخرج من الماء . وكان أبوه ترك مالاً لا يحصى .

ذكر المصطفين من عباد خراسان والمشرق الذين لم تعرف بلادهم ولا أسماؤهم

٧١٧ ـ عابد

صالح بن عبد الكريم قال : أتى رجل من إخوان فُضيل من أهل خراسان فجلس إلى فُضَيْل في المسجد الحرام فحدَّثه قال : فقام الخراساني يطوف ، فسُرِقت منه دنانير ، ستين أو سبعين ، قال : فخرج الخراساني يبكي ، فقال له فضيل : ما لك ؟ قال : سرقت الدنانير ، قال : عليها تبكي ؟ قال : لا ، قال الخراساني : مثَّلتُني وإياه بين يدي الله عز وجل فأشرفت عقلي على إدْحاض حُجّته فبكيتُ رحمة له .

٧١٨ – عابد آخر

صالح بن أحمد قال : جئت يوماً إلى المنزل فقيل لي : قد وجَّه أبوك أمس في طلبك. فقلت : وجهت في طلبي ؟ فقال : جاءني رجل أمس كنت أحبّ أن تراه ، بينا أنا قاعد في نحو الظهيرة إذا أنا برجل يسلم بالباب وكأن قلبي ارتاح فقمت ففتحتُ الباب فإذا أنا برجل عليه فروة وعلى أمِّ رأسه خرْقة ، ما تحت فروته قميص ولا معه رَكْوة ولا جراب ولا عُكّاز ، قد لوّحته الشمس ، فقلت : ادخل . فدخل الدَّهليز فقلت : من أين أقبلت ؟ قال : من ناحية المشرق ، أريد بعض هذه السواحل ولولا مكانك ما دخلت هذا البلد إلا نويت السلام عليك . قال : قلت : على هذه الحال ؟ قال نعم ، ما الزهد في الدنيا ؟ قلت : قصر الأمل . قال : وجعلت أعجب منه ، فقلت في نفسي : ما عندي ذهب ولا فضة ، فدخلت البيت فأخذت أربعة أرغفة وخرجت إليه فقلت : ما عندي ذهب ولا فضة وإنما هذا من قُوتي . قال أو يسُرّك أن أقبل ذلك يا أبا عبد الله ؟ قلت : نعم فأخذها فوضعها تحت حضْنه وقال : أرجو أن تكفيني هذه زادي إلى الرّقة . أستَوْدعك الله . فلم أزل قائماً أنظر إليه إلى أن خرج . وكان يذكره كثيراً .

٧١٩ ـ عابد آخر

أحمد بن علي الأخْميمي قال : كنا ذات يوم عند ذي النون ، وقد ذكر كرامات الله عز وجل لأوليائه ، فقال بعض من حضره : أنت رأيت منهم أحداً يا أبا الفيض ؟ فقال ذو النون : كان عندي فتى من أهـل خُراسان أعجمي بقي عندي في المسجد سبعة أيام لا يطعم الطعام ، وكنت أعْرض عليه الطعام فيأبى ، فبينما نحن جلوس ذات يوم دخل سائل يطلب شيئا ، فقال له الخراساني : لو قصدت الله عز رجل دون خلقه أغناك ، فقال السائل : ما لي هذا المكان ، فقال له الخراساني : أي شيء تريد ؟ فقال : ما سدّ فاقتي وستر عورتي .

فقام الخراساني إلى المحراب وصلى ركعتين ثم أتاه بثوب جديد وطبق فيه فاكهة وأعطاه السائل . قال ذو النون : فقلت له : يا عبد الله لك هذا الجاه عند الله عز وجل وأنت منذ سبعة أيام لم تطعم شيئاً ؟ فجثا على ركبتيه وقال : يا أبا الفيض ، كيف نَبْسُط الألسن بالمسألة والقلوب ممتلئة بأنوار الرضا عنه ؟ . قال ذو النون : فقلت له : فالراضون لا يسألون شيئاً . فقال : منهم من يسأل من باب الادلال ، ومنهم من يملؤه غنى به ، ومنهم من يَستَخْرِج المسألة منه عطفُه على غيره . ثم أُقيمت الصلاة فصلّى معنا العشاء الآخرة وأخذ ركْوته وخرج من المسجد كأنه يريد الطهارة . فلم أره بعد ذلك ، رضي الله عنه وأرضاه .

٧٢٠ ـ عابد من وراء النهر

عبد الله بن الفرج قال : حدثني إبراهيم بن أدهم بابتدائه كيف كان ، قال :

كنت يوماً في مجلس « لي » له منظرة إلى الطريق فإذا أنا بشيخ عليه إطار ، وكان يوماً حاراً فجلس في فَيْءِ القصر ليستريح فقلت للخادم : اخرُج إلى هذا الشيخ فأقرئه مني السلام وسله أن يدْخل إلينا فقد أخذ بمجامع قلْبي .

فخرج إليه فقام معه فدخل إليّ فسلم فردَدْت عليه السلام واستَبْشَرت بدخوله ؛ وأجلسته إلى جانبي وعرضتُ عليه الطعام فأبى أن يأكل . فقلت له : من أين أقبلت ؟ فقال : من وراء النهر . فقلت : أين تريد ؟ قال : الحج إن شاء الله . قال وكان ذلك أول يوم من العشر أو الثاني . فقلت : في هذا الوقت ؟ قال : يفعل الله ما يشاء . فقلت : فالصحبة ؟ فقال : إن أحْبَبْتَ ذلك .

حتى إذا كان الليل قال لي : قم فلبست ما يصلح للسفر وأخذ بيدي وخرجنا من بلْخ فمررنا بقرية لنا فلقيني رجل من الفلاحين فأوْصيْته ببعض ما أحتاج إليه فقدّم إلينا خبزاً وبيضاً ، وسألنا أن نأكل فأكلنا ، وجاء بماء فشربنا ثم قال : بسم الله قُم ، فأخذ بيدي فجعلنا نسير وأنا أنظر إلى الأرض تُجْذَبُ من تحتنا كأنها الموْج فمررنا بمدينة بعد مدينة فجعل يقول : هذه مدينة كذا ، هذه مدينة كذا ، هذه الكوفة ، ثم إنه قال لي : الموعد هاهنا في مكانك هذا في الوقت الفلاني ، يعني من الليل .

حتى إذا كان الوقت إذا به قد أقبل فأخذ بيدي وقال : بسم الله . باسم الله . قال : فجعل يقول : هذا منزل كذا ، هذا منزل كذا ، وهذا منزل كذا ، وهذه فِيْدورُ (١) ، هذه المدينة . وأنا أنظر إلى الأرض تُجذَبُ من تحتنا كأنها الموج .

---

(١) قرية بطريق مكة من الكوّفة .

فصرنا إلى قبر رسول الله ﷺ فزرناه ثم فارقني وقال لي : الوَعْد في الوقت من الليل في المصلى .

حتى إذا كان الوقتُ خرجت فإذا به في المصلى فأخذ بيدي ففعل كفعله في الأولى والثانية حتى أتينا مكة في الليل ، ففارقني عليه فقلت : الصُّحبة ؟ فقال : إني أريد الشام. فقلت : أنا معك . فقال لي : إذا انقضى الحجّ فالموعد هاهنا عند زمزم .

حتى إذا انقضى الحجّ إذا أنا به عند زمزم فأخذ بيدي فطفنا بالبيت ثم خرجنا من مكة ففعل كفعله الأول والثاني والثالث ، فإذا نحن ببيت المقدس . فلما دخل المسجد قال لي: عليك السلام أنا على المقام هاهنا إن شاء الله تعالى ، ثم فارقني فما رأيته بعد ذلك ولا عرفني اسمه .

قال إبراهيم : فرجعت إلى بلدي أسير سيْر الضَّعفى منزلاً بعد منزل حتى رجعت إلى بلْخ فكان أول أمري .

قلت : قد انتهينا بحمد الله ومنّه إلى نهاية المشرق ونحن نعود إلى مركزنا وهو مدينة السلام ببغداد فنرتقي إلى ديار الشام والمغرب والله الموفق .

فمن المصطفين من أهل عكبراء

٧٢١ ـ أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة (١) وكان عالماً عابداً

القاضي أبو حامد أحمد بن محمد اللؤْلؤيّ قال : لما رجع أبو عبد الله بن بطة من الرحلة لازم بيته أربعين سنة فلم يُر يوماً منها في السوق ولا رُئيَ مُفطراً إلا في يومي الأضحى والفطر ، وكان أمّاراً بالمعروف ، ولم يبلغه خبرُ منكرٍ إلا غيّره . أو كما قال .

أحمد بن علي قال : أخبرني القطيعي قال : تُوفي أبو عبد الله بن بطة في المحرمّ سنة سبع وثمانين وثلثمائة وكان شيخاً صالحاً مستجاب الدعوة .

ذكر المصطفين من أهل الموصل

٧٢٢ ـ المعافى بن عمران أبو مسعود الأزدى(٢)

جمع العلم والتقوى والورع .

علي بن خشرم قال : سمعت بشراً الحافي ، وقال له رجل : ألا أراك عاشقاً للمُعافى ابن عمران ، فقال : ما لي لا أعشقه ، وكان الثوري يسمّيه الياقوتة .

---

(١) سير الأعلام (١٦/٥٢٩) .

(٢) المصدر السابق (٩/ ٨٠) .

وقال : حضرته يوماً فنُعي إليه ابناه ، فما حلَّ حبوته قال : ظالمين أو مظلومين ؟ قيل : مظلومين . فحلّ حبوته وخرّ ساجداً ، ثم رفع رأسه وقال : كيف كانت قصّتهما ؟ .

بشر بن الحارث قال : قتل للمعافي بن عمران ابنان في وقعة الموصل فجاء إخوانه يعزُّونه من الغد فقال لهم : إن كنتم جئتم لتعزّوني فلا تعزّوني ولكن هنئوني . قال فهنّئوهُ ، قال : فما برحوا حتى غدّاهم وغلفهم بالغالية (١) .

يعقوب بن يوسف قال : قال بشر : كان المعافى صاحب كمدٍ ، أُصيب بابنَيْن له قُتلا وأُصيب بماله ، فما رئي عليه أثر حزن ولا سُمع في داره صوت .

محمد بن مودود الموصلي قال : قيل للمعافي بن عمران : ما ترى في الرجل يقرض الشعر ويقوله ؟ قال : هو عُمرك فأفنه بما شئت .

بشر بن الحارث قال : سمعت المعافى بن عمران يقول : عزّ المؤمن استغْناؤُه عن الناس، وشرفه قيامُه بالليل .

مِرْداد بن جميل قال : سأل عمروُ بن إسماعيل - رجل من أصحاب الحديث - المعافي ابن عمران فقال له : يا أبا عمران أيّ شيءٍ أحبّ إليك : أسهرُ وأُصلِّي ، أو أكتبُ الحديث ؟ فقال : كتابة حديث واحدٍ أحبّ إليَّ من صلاة ليلة .

أسند المعافى عن مغيرة بن زياد وأسامة بن زيد وصالح بن أبي الأخضر والثوري ، وابن أبي ذئب ، ومالك وابن جريج ومسعر والليث بن سعد وغيرهم، وأكثر ملازمة الثوري وتأدّب بادابه وصنَّف كتباً في السنن والزهد والأدب وتوفي في سنة أربع وثمانين ومائة . وقيل خمس وثمانين وقيل ست ، والله أعلم .

٧٢٣ ـ فتح بن محمد بن وشاح الأزدي الموصلي(٢)
ويكنى : أبا محمد

محمد بن الوليد قال : سمعت فتح بن محمد الأزدي يقول في جوف الليل: ربِّ أجعْتني وأعْريْتني ، وفي ظلم الليل أجْلسْتَني ، فبأيّ وسيلةٍ أكرمتني هذه الكرامة ؟ وكان يبكي ساعة ويفرح ساعة .

المعافي بن عمران قال : دخلت على فتح الموصلي فرأيته قاعداً في الشمس وصبيةٌ له عُريانة وابن له مريض ، فقلت له : ايذن لي حتى أكسو هذه الصبيّة . قال : لا ، قلت : ولِمَ ؟ قال : دعها حتى يرى الله عزّ وجلّ ضُرَّها وصبري عليها فيرحمني .

---

(١) من أجود أنواع الطيب .

(٢) المصدر السابق (٧/٣٤٩) .

قال : فتجاوزتُ إلي الصبيّ فقعدْت عند رأسه فقلت : حبيبي ألا تشتهي شيئاً حتى أحمله ؟ قال : ومن أنت ؟ قلت : مُعافى بن عمران فرفع رأسه إلى السماء وقال : مِنّي الصبر ومنك البلاء .

أبو غسان المؤذن قال : خرجنا حُجاجاً فأردْنا غسل ثيابنا بمكة فأُرشدنا إلى رجل له صلاح من أهل فارس ، يغسل للناس ثيابهم ويتَّجر على الضعفاء فيغسل ثيابهم بغير أجرةٍ فأتيناه فقال : ممن أنتم ؟ قلنا : من أهل الموصل : قال : تعرفون فتحاً ؟ قلنا نعم . قال : ما فعل ؟ قلنا : مات ، قال : فتوجع عليه وأظهر حزناً ، فقلنا : كيف تعرفه وأنت رجل من أهل فارس وهو بالموصل ؟ قال : رأيت في منامي عدة ليالٍ أن إيت فتحاً الموصلي فإنه من أهل الجنة . فخرجت من فارس حتى أتيت الموصل فسألتُ عنه فقيل لي هو على الشط ، فأتيته فإذا رجل ملتفّ بكسائه وقد ألقى شِصّا له في الماء فسلَّمت عليه فردَّ عليّ فقلت له : أتيتك زائراً . قال : فلفَّ الشصَّ وقامَ فدخلنا المسجد وغربت الشمس وصلّينا وتفرق الناس .

فأتى بطعام فأكلنا ثم نُودي بالعشاء الآخرة فصلّينا وتفرّق الناس وقام فتح في صلاته ورميت بنفسي فإذا رجل قد دخل علينا المسجد فسلَّم وصلّى إلي جنب فتح ركعتين وقعد فسلَّم عليه فتح وسأله ، فقال له الرجل : متى عهدُك بأبي السَّريّ ؟ قال : ما لي به عهد منذ أيام . قال : فقم بنا إليه فإنه مُعتلّ .

قال : فخرجا من المسجد وأنا أنظر إليهما حتى مضيا إلى دجلة يمشيا على الماء فقعدت أنظر رجوعهما فجاء أحدهما في آخر الليل فإذا هو فتح فدخلت المسجد فرميت نفسي كأني نائم ، فلما أسفر الصبح وصلّينا وتفرق الناس قمتُ إليه فقلت : يا أبا محمد قد قضيتُ من زيارتك وطراً وقد رأيتُ الرجل الذي أتاك البارحة وما كان منكما ، فجعل يعارضني. فلما علم أنى قد علمت الخبر أخذ عليّ العهود أن لا أعلم بذلك أحداً ما علمت أنه حيّ، وقال لي : ذاك الخضر وأبو السريّ حمزة الخولاني ، وهو رجل صالح في هذه القرية ، وأشار بيده إليها، وقال : اجعل طريقك عليه فالقه وسلِّم عليه فمضيت إليه وسلَّمت عليه .

ذكر المعافى بن عمران أنه لم يلق أحداً أعقل من فتح هذا .

وقال أبو نصر التمّار توفي في سنة سبعين ومائة رحمة الله عليه .

٧٢٤ ـ فتح بن سعيد الموصلى يكنى : أبا نصر(١)

وقد يشتبه هذا بالذي قبله إذا قيل : فتح الموصلي ، وهما اثنان معروفان عند أهل

(١) المصدر السابق (١٠/ ٤٨٣) ، والحلية (٨/ ٢٩٢) .

العلم وإذا فُرّق بينهما بالكنية أو باسم الأب تباينا . وقد حُكي عن هذا نحو الحكاية التي حكيناها عن الأول في حق أولاده ويحتمل أن يكون عن الأول .

أبو بكر بن عفان قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : بلغني أن بنتاً لفتح الموصلي عريت فقيل له : ألا تطلب من يكسوها ؟ فقال : لا ، أدَعُها حتى يرى الله عز وجل عُرْيَها وصبري عليها . قال : فكان إذا كان ليالي الشتاء جمع عياله وقال بكسائه عليهم ثم قال : اللهم أفقرتني وأفقرت عيالي ، وجوعتني وجوعت عيالي ، وأعريتني وأعريت عيالي ، فبأيّ وسيلة توسلتها إليك ، وإنما تفعل هذا بأوليائك وأحبائك ، فهل أنا منهم حتى أفرح .

إبراهيم بن نوح الموصلي قال : رجع فتح الموصلي إلي أهله بعد العتمة وكان صائماً فقال : عشوني ، فقالوا: ما عندنا شيءٌ نعشّيك به . قال : فما لكم جلوساً في الظلمة؟ قالوا ما عندنا شيء نُسرجُ ولا سراج ؟ بأيّ يدٍ كانت منّي ؟ فما زال يبكي إلى الصباح .

أبو بكر بن عفان قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : بلغني عن فتح الموصلي أنه كان يتجزّأ بفلْسٍ في اليوم يشتري به نُخالة .

إبراهيم بن عبد الله قال : صُدع فتح الموصلي ، ففرح وقال : يا ربّ ابتليتني ببلاء الأنبياء ، فشُكْرُ هذا أن أصلّي الليلة أربعمائة ركعةٍ .

بشر بن الحارث قال : قال فتح الموصلي : من أدام النظر بقلبه ورّثه ذلك الفرح بالمحبوب ، ومن آثره على هواه ورثه ذلك حُبّه إياه ، ومن اشتاق إليه وزهد فيما سواه ورعى حقَّه وخافه بالغيب ، ورَّثه ذلك النظر إلى وجهه الكريم .

أبو جعفر ، ابن أخت بشر بن الحارث ، قال : كنت يوماً واقفاً ببابنا إذ أقبل شيخ ثائر الشعر ملتفّ بالعباء فقال لي : بشرٌ في البيت ؟ قلت : نعم فقال : ادخُل فقُل : فتحٌ بالباب . قال : فخرج مسرعاً فصافحه واعْتَنَقه فقال له الشيخ : يا أبا نصر إني ذكرتك البارحة فاشتقت إلي لقائك . قال : فدفع إليّ درهماً فقال : خذ بأربعة دوانيق خبزاً ، ويكون جيداً ، وبدانقين تمراً . قال الشيخ : قل له يكون شهريزاً ، فجئته به . فقال الشيخ : قل له يأكل معنا . فقال : كُل معنا فأكلتُ معهم . فلما أكلنا أخذ ما فضل في طرف العباء ومضى ، فخرج خالي معه يشيّعه إلى حرب . فلما رجع قال لي: يابنيّ . تدري من هذا ؟ قلت لا ، قال : هذا فتحٌ الموصلي .

محمد بن الصلت قال : كنت عند بشر بن الحارث فجاء رجل فسلم على بشر ، فقام بشر إليه فقمت لقيامه ، فمنعني . فلما سكن الرجل أخرج بشرُ درهماً صحيحاً وقال : أخرج واشتر خبزاً وزُبداً وتمرا برنيّ.

قال : فخرجت واشتريت وحملته فوضعته بين يديه ، فأكل الرجل وحمل الباقي وقام فخرج ، فلما خرج قال لي بشر : يا بني تدري لم منعتك عن القيام له ؟ قلت لا . قال: لأنه لم يكن بينك وبينه معرفة فكان قيامك لقيامي فأردت أن لا يكون قيامك إلا لله خالصاً ، وتدري لماذا دفعتُ إليك الدرهم وقلتُ اشتر كذا وكذا ؟ قلت : لا . قال : إن طيب الطعام يستخرج خالص الشكر لله تعالى ، وتدري لم حمل الباقي ؟ قلت : لا، قال : عندهم إذا صحّ التوكلُ لم يضر الحمل ، وهذا فتحٌ الموصلي جاءنا زائراً .

عن أحمد بن أبي الحواريّ أنه قال : سمعت شيخاً من أصحاب فتح الموصلي قال : كانت لفتح الموصليّ بضاعة عند أخ له يعمل بها في البر والبحر ، فبعث فتحٌ فاسْتردّها وأنفقها وقال : رأيت قلبي يميل إليها فكرهت أن تكون ثقتي سواهُ .

إبراهيم بن موسى قال : رأيت فتحاً الموصلي يوم عيد وقد رأى على الناس الطيالس والعمائم . قال : فقال لي : يا إبراهيم إنما تري ثوباً وجّسداً يأكله الدّود غداً ، هؤلاء أنفقُوا خزائنهم على بُطونهم وظُهورهم ويُقْدمون على ربّهم مفاليس .

عبد الله بن الفرج قال : قال فتح الموصلي : كبرتْ علي خطاياى وكثرت حتى لقد آيستنى من عظيم عفْو الله عز وجل قال : ثم قال : وإنّى آيسُ منك وأنت الذي جدت على السّحرة بعد أن غدوا كفرة فجرة ؟ وإنّى آيسُ منك وأنت ولى كل نعمة وأنّى آيسُ منك وأنت المؤمّل لكل فضل ومعروف ، وأنّي آيسُ منك وأنت المغيث المغيث عند الكرب ولم يزل يقول : آيس منك ، حتى سقط مغشياً عليه .

عمران بن موسى الطرسوسي قال : مرّ فتح الموصلي بصبيَّين مع أحدهما كسرةُ عليها عسل ومع الآخر كسرة عليها كامخ (١) . فقال الذي معه الكامخ للذي معه العسل : أطعمني من خبزك قال : إن كنت كلباً لي أطعمتْك . قال : نعم . فأطعمه من خبزه وجعل في فمه خيطاً وجعل يقوده فقال فتح : لو رضيت بخبزك ما كنت كلباً لهذا .

قال أبو موسى فهكذا الدنيا .

عثمان بن عمارة قال : غبت غيبةً فلما قدمت لقيت فتحاً الموصلى فى حانوت سالم الدّوْرَقى . فقال لى : يا بصريّ أىّ شيء رأيت في غيبتك ؟ فقلت : رأيت عجائب كثيرة وأخباراً مختلفة . فصاح صَيْحة . فقلتَ : أنت تصيح من الخبر ، فكيف لو شاهدت القيامة أو شاهدت صاحب القيامة ؟ فشهق شهقة ووثب من الحانوت فخرّ مغشياً عليه فحملناه فأدخلناه الحانوت فما زال مغشياً عليه إلى العصر ، فلما صليت العصر تنفّس ثم فتح عينيه .

(١) الكامخ : من أنواع المخللات .

رِياح بن الجراح العبديّ قال : جاء فتحٌ الموصلي إلى منزل صديق له يقال له عيسى التمّار فلم يجده في المنزل ، فقال للخادمة : أخرجي إليّ كيسَ أخي ، فأخرجتْه فأخذ منه درهمين ، وجاء عيسى إلى منزله فأخبرته الجارية بمجيء فتح وأخذه الدّرهمين فقال : إن كنت صادقة فأنت حرّة . فنظر فإذا هي صادقة فَعتقَتْ .

محمد بن عبد الرحمن بن حبيب الطفُاوي قال : دخلت على فتح الموصلي وهو يُوقد بالآجرّ . وكان فتح رجلاً من العرب ، وكان شريفاً زاهداً .

عبد الله بن الفرج العابد قال : كان بالموصل رجل نصراني يكنى أبا إسماعيل . قال: فمرّ ذات ليلة برجل وهو يَتَهَجّد على سطحه وهو يقرأ ﴿ **وله أسلم من في السموات والأرض طوْعاً وكرْهاً وإليه يُرْجَعُون** ﴾ [1] قال : فصرخ أبو إسماعيل صرخةً غُشيَ عليه فلم يزل على حاله تلك حتى أصبح فلما أصبح أسلم ثم أتى فتحاً الموصلي فاستأذنه في صحبته فكان يصحبه ويخدمه .

قال : وبكى أبو إسماعيل حتى ذهبت إحدى عينيه وعَشِيَ من الأخرى ، فقلت له ذات يوم : حدِّثْني ببعض أمر فتح الموصلي . قال فبكى ثم قال : أُخبرك عنه : كان والله كهيئة الرّوحانيِّين ، معلَّق القلب بما هناك ، ليست له في الدنيا راحة . قلت : على ذاك قال : شهدتُ العيد ذات يوم بالموصل ورجع بعد ما تفرّق الناس ورجعتُ معه فنظر إلى الدّخان يفور من نواحي المدينة فبكى ثم قال : قد قرّب الناس قُربانَهم ، فليت شعري ما فعلتُ في قُرباني عندك أيّها المحبوب ؟ ثم سقط مغشياً عليه .

فجئت بماء فمسحت به وجهه ، فأفاق ثم مضى حتى دخل بعض أزقة المدينة فرفع رأسه إلى السماء ثم قال : قد علمت طُول غَمِّي وحُزني وتَرْدادي في أزِقَّة الدنيا ، فحتى متى تحبِسُ أيّها المحبوب ؟ ثم سقط مغشيا عليه فجئت بماء فمسحتُ على وجهه فأفاق . فما عاش بعد ذلك إلا أيّاماً حتى مات رحمه الله .

إبراهيم بن موسى قال : رأيت فتحاً الموصلي في يوم عيد أضحى وقد شَمّ ريح القُتار[2] ، فدخل إلى زُقاق فسمعْته يقول : تقرَّب المتقرّبون بقُربانهم وأنا أتقرّب إليك بطُول حُزني يا محبوب ، كم تَتْركُني في أزقَّة الدنيا محبوساً ؟ ثم غُشِيَ عليه وحمل فدفنّاه بعد ثلاث .

إسماعيل بن هشام ، عن بعض أصحاب فتح الموصلي قال : دخلت عليه يوماً وقد مدّ

---

(١) سورة آل عمران آية : ٨٣ .

(٢) القتار : بضم أوله - دخان ذو رائحة خاصة ينبعث من الطبيخ أو الشواء .

كفّيه يبكي ، حتى رأيت الدموع من بين أصابعه تنحدر . فدنوت منه لأنظر إليه فإذا دموعه قد خالطْتها صُفرة . فقلت : بالله يا فتح بكيت الدم ؟ فقال : لولا أنك حلّفتني بالله عز وجل ما أخبرتك ، بكيت دماً . فقلت : على ماذا بكيت الدموع ؟ وعلى ماذا بكيت الدم فقال : بكيت الدموع على تخلُّفي عن واجب حقّ الله عز وجل ، وبكيت الدم على الدموع خوفاً أن تكون ما صحّت لي الدّموع .

قال الرجل : فرأيت فتحاً بعد موته في المنام ، فقلت : ما صنع الله بك ؟ فقال غفر لي، قلت : فما صنع في دموعك ؟ فقال : قرّبني ربِّي عزّ وجل وقال لي : يا فتح ؛ الدّمع على ماذا ؟ قلت : يا ربّ على تخلُّفي عن واجب حقّك قال : فالدّم لِمَ بكيت ؟ فقلت : يا ربّ على دموعي خوفاً أن لا تصحّ لي فقال لي : يا فتح ما أردت بهذا كلّه ؟ وعزَّتي لقد صَعِدَ إليّ حافظاكَ أربعين سنة بِصَحيفتك ما فيها خطيئة .

أدرك فتح عيسى بن يونس وأقرانه وأسند عن عيسى وتوفي سنة عشرين ومائتين .

٧٢٥ ـ سباع الموصلى(١)

أحمد بن أبي الحوارى قال : سمعت المضاء يقول لسباع الموصليّ يا أبا محمد إلى أيّ شيء أفضى بهم الزهد قال : إلى الأنس به .

٧٢٦ ـ أحمد الموصلى(٢)

عن أحمد الميمونيّ ، من ولد ميمون بن مهران ، قال : قدم علينا أحمد الموصلى فأتيته فقال لي : يا أحمد إن تعمَلْ فقد عمل العاملون قبلك ، وإن تعبد فقد تعبّد المتعبدون قبلك، أولئك الذين قرّبوا الآخرة وباعدوا الدنيا ، أُولئك الذين وليَ الله إقامتهم على الطريق فلم يأخذوا يميناً ولا شمالاً ، فلو سمعت نغمة من نغماتهم المختمرة في صدورهم، المتغرغرة في حلوقهم لغيّبت عليك عيشك ، ولطردت عنك البطالة أيام حياتك .

ذكر المصطفيات من عابدات الموصل

٧٢٧ ـ ألوف الموصلية

أبو سليمان قال : خطب رجل امرأةً من أهل الموصل يقال لها أُلوف فقالت للرسول: قل له ما يسرّني أنك ليَ عبدٌ وجميع ما تملكه لي ، وأنك شغلتني عن الله عزّ وجل طرفة عين .

---

(١) ، (٢) انظر : الحلية (٨/ ٢٨٨ ، ٢٩٢) .

٧٢٨ ـ رقية

عبيد الله بن عمر بن عبيد الله المَعمريّ قال : أنبأ جدي قال : سمعت فتحاً الموصلي يقول : سمعت امرأة متعبّدة عندنا تقول : إلهي وسيّدي ومولاي لو أنك عذّبتني بعذابك كله لكان ما فاتنى من قربك أعظم عندى من العذاب ، ولو نعمتنى بنعيم أهل الجنة كلّهم كانت لَذّةُ حبك في قلبي أكثر .

قلت : هذه العابدة هي رُقَيّة .

منصور بن محمد قال : قالت رقيّة الموصلية : إني لأحب ربّي حباً شديداً فلو أمر٣١٣ بي إلى النار ما وجدت للنار حرارةً مع حبه ، ولو أمر بي إلى الجنة لما وجدت للجنة لذة مع حبّه ، لأن حبّه هو الغالب عليَّ .

محمد بن كثير المصيصي قال : قالت رقية العابدة ، وكانت بالموصل : حرامٌ على قلب فيه رهبانيَّةُ المخلوقين أن يذوق حلاوة الإيمان ، شَغَلَوا قلوبهم بالدنيا عن الله عز وجلّ ولو تركوها لجالت في الملكوت ورجعت إليهم بطُرَف الفوائد .

وكانت تقول تفقَّهوا في مذاهب الإخلاص ولا تفقَّهوا فيما يؤدّيكم إلى الركوب على القلاص [1] .

٧٢٩ ـ أمية بنت أبى المورع

أبو الوليد ، رياح بن أبي الجرّاح العبدي ، قال : ما رأيت قطّ مثل أُميَّة بنت أبي المورّع الموصلية ، وكانت من الخائفين ، وكانت إذا ذكرت النار قالت : أُدخلوا النار ، وأكلوا من النار ،وشربوا من النار ، وعاشوا . ثم تبكى ، وكان بكاؤها أطول من ذلك، وكانت كأنها حبَّةٌ على مِقْلي ، وكانت إذا ذكرت النار بكت وأبكت دماً وما رأيت أحداً أشدّ خوفاً ولا أكثر بكاءً منها .

٧٣٠ ـ موافقة ويقال موفقة

أبو عبد الله الحصري قال : سمعت فتحاً الموصلي يقول مرّت بي امرأة متعبّدة يقال لها: مُوافقة ، فعثَرتْ فسقط ظفرُ إبهامها ، فضحكتْ ، فقيل لها يا مُوافقة يسقط إبهامُك وتضحكين ؟ فقالت : إنّ حلاوة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وَجَعه .

عبد الله بن حُبَيق قال : مرّت بفتح الموصلي امرأة يقال لها ؟ مُوفَّقة ، فعثرت فسقط ظُفْرُ إبهامها فضحكت ، فقيل لها يا موفَّقة سقط ظفر إبهامك وتضحكين ؟ فقالت : والله إن حلاوة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه .

---

(١) جمع قلوص وهى الناقة .

وقد روي أن هذه القصة جرت لامرأة فتح الموصلي .

قال زيد بن أبي الزرقاء : عثرت امرأة فتح الموصلي فانقطع ظُفرها فضحكت فقيل لها فأين ما تجدينه من حرارة الوجع ؟ فقالت : إن لذة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه .

٧٣١ ـ راهبة الموصلية

أحمد بن أبي الحواريّ قال : حدثتني امرأتي رابعة قالت : دخلتُ على أُخت لي عاتقٍ بالموصل ، فقالت لي : هل تدرين ما معنى قوله ﴿ **إلاّ من أتى الله بقلب سليم** ﴾ (١) ؟ قالت : قلتُ لا ، قالت : القلب السليم الذي يلقى الله عز وجل وليس فيه شيءٌ غير الله عز وجل قال أحمد حدثتُ بهذا أبا سليمان فقال ليس هذا كلام الرّاهبة هذا كلام الأنبياء .

انتهى ذكر أهل الموصل بحمد الله ومنّه .

ذكر المصطفين من أهل الرقة

٧٣٢ ـ ميمون بن مهران (٢) ، يكنى : أبا أيوب

مولى بني نصر ، وقيل مولى الأزد ولد سنة أربعين .

عن جعفر عن ميمون بن مهران قال : قال لي عُمَر بن عبد العزيز مواليك ؟ قلت : كانت أمي مولاةً للأزد وكان أبي مُكاتباً لبني نصر . فقال لي عمر : يا ميمون أنت مولى للأزد .

خلف بن حوشب قال : تكارينْا مع ميمون بن مهران دوّاب إلى مكان فقال ميمون : لولا أنّ الدوابّ بكراءٍ لمررنْا على آل فلان .

جعْفَر بن برقان قال : قال ميمُون بن مهران : يا جعفر قل لي في وجهي ما أكرهُ فإنّ الرجُل لا ينصح أخاهُ حتى يقول له في وجهه ما يَكْرَهُ .

أبو المليح عن ميمون قال : لا تضرب المملوك في كلّ ذَنْب ، ولكن احفظ ذلك له فإذا عصى الله عز وجل فعاقْبه على معصية الله ، وذكِّره الذنوب التي أذنب بينك وبينه .

أبو المليح قال : ما رأيت أحداً أفضل من ميمون بن مهران ، قال له رجُل يوماً : يا أبا أيوب أيَّ شيءٍ تشتكي أراك مصفرا ؟ قال : نعم لمِا يبلغني في أقطار الآرض .

عبد الملك الميموني قال : سمعت أبي يقول : سمعت عَمّي عمر يقول : ما كان أبي يكثر الصيام ولا الصلاة ولكنه كان يكره أن يَعصِيَ الله عز وجل .

---

(١) سورة الشعراء آية : ٨٩ .

(٢) الحلية (٤/ ٨٢) ، وسير الأعلام (٥/ ٧١) .

قال : وسمعت أبي يقول : وَدِدْت أنّ إصبَعي قُطِعت من هاهنا وأنّي لم ألِ . فقلتُ: ولا لِعُمر ؟ قال : لا لِعُمر ولا لغيره .

أبو المليح قال : سمعت ميموناً يقول : لا خير في الدنيا إلاّ لأحد رجلين : رجلٍ تائب ، ورجُل يعمل في الدّرَجات .

جعفر بن برقان قال : سمعت ميمون بن مَهْران يقول : إن العبد إذا أذنب ذنباً نُكت في قلبه نُكتة سوداء فإذا تاب مُحيتْ من قلبه فترى قلب المؤمن مجلْوا مثل المرآة ، ما يأتيه الشيطان من ناحية إلا أبصره ، وأما الذي يتتابع في الذنوب فإنه كلما أذنب نُكت في قلبه نُكتة سوداء فلا يزال يُنكت في قلبه حتى يسودّ قلبه فلا يُبصر الشيطان من حيث يأتيه.

قال : وسمعت ميمون بن مهران يقول : لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشدّ من محاسبة شريكــه ، حتى يعلم من أين مطعمه ؟ ومن أين ملبسه ؟ ومن أين مشربه ؟ أمن حل ذلك أم من حرام ؟ .

أبو المليح عن ميمون قال : الصبر صبران ، والذّكر ذكران : فذكر الله عز وجل باللسان حسن ، وأفضل منه أن تذكر الله عز وجل عندما تشرف عليه من معاصيه ، والصبر عند المصيبة حسن وأفضل منه أن تصبر نفسك على ما تكره من طاعة الله عز وجل وإن ثقْل عليك .

قال ميمون : وأدركت من لم يتكلم إلاّ بحقّ أو يسكتُ ، وقد أدركت من لم يكن يتكلّم بعد صلاة الفجر حتى تطلع الشمس إلاّ بما يصعدُ ، وقد أدركت من لم يملأ عينيه من السماء فرقاً من ربه عز وجل ، ولو أن بعض من أدركت نُشر حتى يُعاينكم ما عرف منكم شيئاً إلاّ قبلتَكُم .

عيسى بن كثير الأسدي قال : مشيت مع ميمون بن مهران حتى إذا أتى باب داره ومعه ابنه عمرو ، فلما أردت أن أنصرف قال له عمرو : يا أبت ألا تعرض عليه العشاء ؟ قال: ليس ذلك من نيتي .

أسند ميمون عن ابن عمر، وابن عباس ، وغيرهما . وتوفي في سنة سبع عشرة ومائة .

٧٣٣ ـ حناذ القلاء

حذيفة المرعشي قال : مررتُ بالرّقّة بأصحاب السَّويق ، ورجلٌ يبيع السَّويق عليه بتّة[١]، وهو، مقبل على غلامين ، وعلى رأسه كُمَّةٌ دَنِسة فقلت : لو ألقيت هذه الكُمّة .

---

(١) البَتُّ : كساء غليظ من صوف أو وبر ، والجمع « بتوت » .

فقال : أصبت قلبي يصلُح عليها . قلت : أراك مقبلاً على الغُلامين أفمن حبهما ؟ قال: إني أجّل الله عز وجل أن أشغل قلبي بحبّ أحدٍ مع حبّه ، ولكنْ أرحمُهما .

حذيفة العابد - صاحب يوسف بن أسباط - قال : لما اصْطَلَح الروم والعرب قلت : فما أصنع الآن في الرباط ؟ فخرجتُ حتى أتيت الرقَّة فجئت إلى قومٍ قُلاَّئين ، فقلت أعمل معكم فتنظُرون إلى عمل فَتَجْزُون من الكراء [1] بقدر ما أستحقّه . قالوا نعم . فجعلت أعمل معهم . وكان ثم شيخ جالس بين يديه زنبيلُ سُويق يبيع ، على رأسه قلنسوة سوداء مخرقة وفرو مخرّق وبين يديه صبيّان يلعبان ويقتتلان ، وهو متشاغل بهما يزجرهما وينهاهما . قال : فقلت له : أنى أحسبك تحبّهما . قال : لا والله ما أحبّهما، ولكن أرحمهما، وما أحدٌ أحبّ إليّ من الله عز وجل .

قال : فأعجبنى قوله وأنست به ، وكان ثم شباب يرفُث بعضُهم على بعض فقلت له : ألا تنهي هؤلاء الشباب ؟ فقال: إني لأجل الله عز وجل أن أذكره عند مثل هؤلاء، قال: فأعجبتني مقالته فقلت : كيف حبُّك لمدحة الناس ؟ قال : ما أحب أن لى ملء بيت دنانير وإنه يقع فى قلبى حب مدحة الناس لي ، فقلت : فما هذه القلنسوة على رأسك ؟ قال : وجدت قلبي يصلُح عليها .

قال حذيفة : فلم أر أحداً إن شاء الله كان أصدق منه . قيل له : أين كان من يوسف ابن أسباط ؟ قال : ما كان يوسف بن أسباط يصلح إلا شاكرداً لذاك .

قال أبو عمر : فذكرت ذلك لبعض الرقِّيّين فقال : ذاك حنّاذاً القلاّءِ .

٧٣٤ ـ توبة بن الصمة

عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا قال : حدثني رجل من قريش ، ذكر أنه من ولَد طلحة بن عبيد الله ، قال : كان توبة بن الصمّة بالرقّة وكان محاسباً لنفسه ، فحسب فإذا هو ابن ستّين سنة ، فحسب أيامها فإذا هي أحدٌ وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال : يا ويلنا : ألقى المليك بأحد وعشرين ألف ذنب ، كيف ؟ وفي كلّ يوم عشرة آلاف ذنْب ثم خرّ مغشياً عليه فإذا هو ميّت . فسمعوا قائلاً يقول : يا لك ركضةً إلى الفردوس الأعلى .

٧٣٥ ـ إبراهيم بن داود القصار أبو إسحاق الرقى[2]

أبو بكر بن شاذان قال : سمعت إبراهيم القصّار يقول : المعرفة إثبات الربّ عزّ وجل خارجاً عن كل موهوم .

---

(١) الكراء : أجر المستأجر .

(٢) الحلية (١٠/ ٣٥٤) .

وقال إبراهيم : الأبصار قويّة والبصائر ضعيفة .

وقال : من اكتفى بغير الكافي افتقر من حيث استغنى.

وقال : الكفايات تصل إليك بلا تعب والأشغال والتعب في الفضول .

وقال أضعف الخلق من ضعُف عن ردّ شهواته ، وأقوى الخلق من قوي على ردها .

إبراهيم بن أحمد بن المُولد يقول : سأل رجل إبراهيم القصّار فقال : هل يُبدي المحبّ حبَّه ؟ أو هل ينطق به ؟ أو هل يُطيق كتمانه ؟ فأنشأ يقول متمثلاً :

ظفرتُم بكتْــمان اللّسان فمن لكمْ   بِكتْمان عــين دَمْعُها الدّهْــرُ يذرِفُ

حمــلتــم جبال الحُبّ فوقي وإنّني   لأعْجَزُ عن حَمل القَميص وأضعفُ

قال السُلَميّ : إبراهيم بن داود من جلّة مشايخ الشام ، من أقران الجُنَيد وابن الجلاء عُمر ، وصحبه أكثر مشايخ الشام ، وكان لازماً للفقر مجرّداً فيه ، محباً لأهله . توفي سنة ست وعشرين وثلثمائة .

ذكر المصطفيات من عابدات الرقة

٧٣٦ ـ عابدة

عبيد الله بن عبد الخالق قال : سبى الروم نساءً مسلمات ، فبلغ الخبر الرقَّة وبها هارون الرشيد أمير المؤمنين ، فقيل لمنصور بن عمّار : لو اتّخذت مجلساً بالقُرْب من أمير المؤمنين فحرّضت الناس على الغزو ، ففعل ، فبينما هو يذكِّرهم ويحرّض إذا نحن بخرْقة مَصْرورة مختومة قد طرحت إلى منصور ، وإذا كتاب مضموم إلى الصُرَّة ففكَّ الكتاب فقرأه فإذا فيه : إني امرأة من أهل البيوتات من العرب ، بلغني ما فعل الروم بالمسْلمات، وسمعت تحريضك الناس على الغزو . وترغيبك في ذلك ، فعمدت إلى أكرم شيء من بدني وهما ذُؤَابتاي فقطعتهما وصَرَرْتُهما في هذه الخرْقَة ، واناشدُك بالله العظيم لما جعلتهما قيْدَ فرسِ غازٍ في سبيل الله ، فلعلّ الله العظيم أن ينظُر إليّ على تلك الحال نظرةً فيرحمني بها .

قال : فبكى وأبكى الناس ، وأمر هارون أن يُنادى بالنّفير ، فغزا بنفسه فأنكى فيهم وفتح الله عليهم .

قلت : هذه امرأة حسُن قصدها وغلطت في فعلها . لأنها جهلت أنّ ما فعلت منهيٌّ عنه ، فليُنظر إلى قصدها .

٧٣٧ ـ عابدة أخرى

من أهل الشام نُقل عنها مثل هذه .

بلغنا عن أبي قُدامة الشامي قال : كنت أميراً على الجيش في بعض الغزوات ، فدخلتُ بعض البلدان فدعوتُ الناس إلى الغزو ورغَّبتُهم في الثواب ، وذكرتُ فضل الشهادة وما لأهلها . ثم تفرّق الناس وركبت فرسي وسرت إلى منزلي فإذا أنا بامرأة من أحسن الناس تُنادي : يا أبا قُدامة ، فقلتُ : هذه مكيدةٌ من الشيطان . فمضيت ولم أُجب . فقالت: ما هكذا كان الصالحون ، فوقفت ، فجاءت ودفعت إليّ رُقْعةً وخرْقةً مَشْدودةً وانصرفَتْ باكية .

فنظرتُ إلى الرقعة فإذا فيها مكتوب : إنّك دعوتنا إلى الجهاد ورغّبتنا في الثواب ، ولا قُدرة لي على ذلك فقطعتُ أحسن ما فيّ ، وهما ضفيرتاي وأنفذتُهما إليك لتجعلهما قيد فرسك ، لعل الله يرى شعري قيدَ فرسكَ في سبيله فيغفر لي .

فلما كانت صبيحة القتال فإذا بغلام بين يدي الصفوف يقاتل فتقدمت إليه وقلت : يا فتى أنت غلامٌ غرّ راجلٌ ولا آمنُ أن تجول الخيلُ فتطأك بأرجلها فارجع عن موضعك هذا فقال : أتأمرني بالرجوع ؟ وقد قال الله تعالى : **﴿ يا أيُّها الذين آمنوا إذا لقيتُم الذين كفروا زحْفاً فلا تُولُّوهُم الأدبار * ومَنْ يُولِّهِمْ يومئذ دُبُرَه إلاَّ متحرفاً لقتال أو متحيِّزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواهُ جهنَّمُ وبئسَ المَصيرُ ﴾** (١) .

فحملتُه على هجين كان معي فقال : يا أبا قدامة أقرضْني ثلاثة أسهم فقلت : أهذا وقتُ قرض ؟ فما زال يلحّ عليّ حتى قلت بشرط : إن منّ الله بالشهادة أكون في شفاعتك ، قال : نعم . فأعطيته ثلاثة أسهم فوضع سهماً في قوسه وقال : السلام عليك يا أبا قُدامة . ورمى به فقتل رومياً . ثم رمي بالآخر وقال : السلام عليك يا أبا قُدامة فقتل رومياً . ثم رمى بالآخر وقال : السلام عليك سلام مودِّع .

فجاءه سهم فوقع بين عينيه فوضع رأسه على قربوس سرجه ، فتقدّمت إليه وقلت : لا تنسها . فقال : نعم ولكن لي إليك حاجة : إذا دخلت المدينة فأت والدتي وسلّم خرْجي إليها وأخبرها فهي التي أعطتك شعرها لتقيِّد به فرسك ، وسلم عليها فإنها العام الأول أصيبت بوالدي ، وفي هذا العام بي ثم مات .

فحفرت له ودفنته . فلما هممنا بالانصراف عن قبره قَذَفَتْه الأرض فألقته على ظهرها فقال أصحابي : إنه غلامٌ غرٌّ ولعله خرج بغير إذن أمّه . فقلت : إن الأرض لتقبلُ من هو شرٌّ من هذا . فقمتُ وصلَّيت ركعتين ودعوت الله عزّ وجل فسمعت صوتاً يقول : يا أبا قدامة اترك وليّ الله .

---

(١) سورة الأنفال آية : ١٥ ، ١٦ .

فما برحتُ حتى نزلت عليه طيورٌ بيض ، فأكلته ، فلما أتيتُ المدينة ذهبتُ إلى دار والدته فلما قرعتُ الباب خرجت أخته إليّ فلمّا رأتني عادت وقالت : يا أمّاه هذا أبو قُدامة ليس معه أخي ، فقد أصبنا في العام الأول بأبي ، وفي هذا العام بأخي .

فخرجت أمه إليّ فقالت : أمعزِّياً أم مهنِّئاً ؟ فقلت : ما معنى هذا ؟ فقالت : إن كان مات فَعزِّني ، وإن كان استُشهد فهنئني . فقلت : لا بل مات شهيداً . فقالت : له علامة فهل رأيتها ؟ قلت : نعم لم تقبله الأرض ونزلت الطيور فأكلت لحمه وتركت عظامه فدفنتها فقالت : الحمد لله . فسلمت إليها الخرْج ففتحته فأخرجت منه مسْحاً وغُلاً من حديد ، وقالت : إنه كان إذا جنّه الليل لبس هذا المسْح وغلّ نفسه بهذا الغلّ وناجى مولاه ، وقال في مناجاته : أحشرني من حواصل الطيور ، . فقد استجاب الله دعاءه .

انتهى ذكر أهل الرقَّة بحمد الله ومنّه

ذكر المصطفين من أهل الشام

فمن الطبقة الأولى من التابعين ومن بعدهم

٧٣٨ ـ عمرو بن الأسود السكوني(١)

عن حكيم وضمرة بن حبيب قالا : قال عمر بن الخطاب : من سرّه أن ينظر إلى هدْي رسول الله فلينظر إلى هدْي عمرو بن الأسود .

عن يحيى بن جابر الطائي قال : قال عمرو بن الأسود : لا ألبس مشهوراً أبداً ، ولا أملأ جوفي من طعام بالنهار أبداً حتى ألقاهُ .

ابن عياش ، عن شُرحبيل أن عمرو بن الأسود كان يدع كثيراً من الشّبع مخافة الأشر، وكان إذا خرج من بيته إلى المسجد قبض يمينه على شماله مخافة الخيلاء .

أبو بكر بن عبد الله الغسّاني ، عن المشْيخة ، أن عمرو بن الأسود يشتري الحُلّة بمائتين ويصبغها بدينار ويخمّرها النهار كله ، ويقوم فيها الليل كله .

أسند عمرو عن معاذ ، وعُبادة ، والعرباض ، في آخرين

٧٣٩ ـ أبو عبد الله الصنابحي واسمه : عبد الرحمن بن عسيلة (٢)

عن محمود بن الربيع قال : كنا عند عُبادة بن الصامت فأقبل الصُّنابحي فقال عُبادة : من سرّه أن ينظر إلى رجل كأنَّما رُقي به فوق سبع سموات فعمل ما عمل على ما رأى فلينظُر إلى هذا .

---

(١) انظر : الحلية (٥/ ١٥٥) ، وسير الأعلام (٤/ ٧٩) .
(٢) المصدر السابق (٣/ ٥٠٥) .

أسند الصنابحي عن أبي بكر الصديق ، ومعاذ ، وعبادة في آخرين .

٧٤٠ ـ يزيد بن الأسود يكنى أبا الأسود الجرشى[(١)]

عن سليم بن عامر الخبائرى أن الشام قحطت فخرج معاوية بن أبي سفيان وأهل دمشق يستَسقون ، فلما قعد معاوية علي المنبر قال : أين يزيد بن الأسود الجُرشي ؟ فناداه الناس ، فأقبل يتخطى ، فأمره معاوية فصعد المنبر فقعد عند رجليه . فقال معاوية : اللهم إنّا نستشفع إليك اليوم بخيرنا وأفضلنا ، اللهم إنّا نستشفع إليك بيزيد بن الأسود، يا يزيد ارفع يديك إلى الله . فرفع يديه ورفع الناس ، فما كان أوشك أن ثارت سحابة في الغرب كأنها تُرْسٌ وهبّت لها ريح فسقَتْنا حتى كاد الناس أن لا يبلغوا منازلهم.

عن علي بن أبي جملة قال : أصاب الناس قحْط بدمشق ، وعلى الناس الضحاك بن قيس الفهْري ، فخرج بالناس يستسقي ، فقال : أين يزيد بن الأسود الجُرشيّ ؟ فلم يجبه أحد ، ثم قال : أين يزيد بن الأسود الجُرشي ؟ فلم يجبه أحد ، ثم قال : أين يزيد بن الأسود الجُرشيّ ؟ فلم يجبه أحد ثم قال : أين يزيد بن الأسود الجُرشيّ ؟ عزمتُ عليه إن كان يسمع كلامي إلاّ قام وعليه برنُس فاستقبل الناس بوجهه ورفع جانبي بُرنسه علي عاتقيه ثم رفع يديه ، ثم قال : اللهم يا ربّ إن عبادك تقرّبوا إليك فاسقهم. قال : فانصرف الناس وهم يخوضون الماء . فقال : اللهم إنه قد شهرني فأرحْني منه. قال : فما أتت عليه إلا جُمعة حتى قُتل الضحاك .

٧٤١ ـ شرحبيل بن السمط بن الأسود أبو يزيد الكندى

بكر بن سوادة قال : كان رجل يعتزل الناس ، إنما هو وحده ، فجاءه أبو الدرداء فقال: أنشدك الله عز وجل ما يحملك على أن تعتزل الناس ؟ قال : إني أخشى أن أسلب ديني وأنا لا أشعر . فحدثت بذلك رجلاً من أهل الشام فقال : ذاك شُرحبيل بن السَّمط .

قلت : ذكر محمد بن سعد شُرَحبيل بن السّمط في التابعين بعد يزيد بن الأسود ، وقد قال البخاري : له صحبة .

٧٤٢ ـ كعب الأحبار بن ماتع يكنى : أبا إسحاق[(٢)]

وهو من حِمْيَر من آل ذى رعين

كان يهودياً فأسلم وقدم المدينة ثم خرج إلى الشام فسكن حمص .

---

(١) نفس المصدر (٤/ ١٣٦) .

(٢) انظر : الحلية (٥/ ٣٦٤) ، وسير الأعلام (٣/ ٤٨٩) ، والإصابة (٣/ ٣١٥) .

عبد الله بن بُرَيدة قال : قال كعب الأحبار : ما كَرُم عبدٌ على الله عز وجل إلا زاد البلاءُ عليه شدّةً ، وما أعطى رجل زكاةً فنقصت من ماله ، ولا حبسها فزادت في ماله ، ولا سرق سارق إلاّ حُسِب له من رزقه .

عن عبد الله بن شقيق قال : قال كعب : إن لسُبحانَ الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله، والله أكبر ، دوياً حول العرش كدويّ النّحل ، يذكرن بصاحبهن والعمل الصالح في الخزائن .

عن عبد الله بن الحارث ، عن كعب قال : ما استقرّ لعبدٌ ثناء في الأرض حتى يستقر في السماء .

عن أبي العوّام ، عن كعب الأحبار ، قال : جاء رجلان فوقفا بباب المسجد فدخل أحدهما ولم يدخل الآخر وقال : مثلي لا يدخل بيت الله وقد عصيتُه ، فأوحى الله إلى نبيّ من أنبياء بني إسرائيل إنني قد جعلتُه صدّيقاً بإزرائه على نفسه .

عن يزيد بن قودر ، عن كعب أنه قال : مؤمن عالم أشدّ على إبليس وجنوده من مائة ألف مؤمن عابد ، لأن الله يعصم بهم من الحرام .

عن عبد الله بن شقيق العقيلي ، عن كعب قال : لأن أبكي من خشية الله حتى تسيل دموعي على وجنتي أحّبّ إليّ من أن أتصدّق بوزني ذهباً ، والذي نفسُ كعب بيده ما بكى عبد من خشية الله حتى تقع قطرةٌ من دموعه إلى الأرض فتمسّه النار أبداً حتى يعود قَطْر السماء الذي وقع إلى الأرض من حيث جاء ، ولن يعود أبداً .

عن علقمة بن مرثد ، عن كعب قال : من يعبد الله عز وجل حيث لا يراه أحد يعرفُهُ خرج من ذنوبه كما يخرج من ليلته .

عن الأعمش ، عن زياد عن كعب : قال : المتخلّق إلى أربعين يوماً ثم يعود إلى خلقه الذي هو خلْقُه .

عن كُرْز بن وَبْرة قال : بلغني أن كعبا قال : إن الملائكة ينظرون من السماء إلى الذين يُصَلّون بالليل في بيوتهم كما تنظرون أنتم إلى نجوم السماء .

أسند كعب عن عمر بن الخطاب وصُهَيْب وعائشة . وتوفي بحمص سنة ثنتين وثلاثين في خلافة عثمان .

٧٤٣ ـ يزيد بن مرثد أبو عثمان الهمداني[١]

عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال : قلت ليزيد بن مرثد : ما لي أرى عينيك لا

---

(١) الحلية (٥/ ١٦٤) .

تجفّ ؟ قال : وما مسألتك عنه ؟ قلت : عسى الله عز وجل أن ينفعني به . قال : يا أخي إن الله عز وجل قد توعّدني إن أنا عصيْتُه أن يسجُنني في النار ، والله لو لم يتواعدني أن يسْجُنني إلاّ في الحمّام لكنت حرياً أن لا تجفّ لي عين .

قال : فقلت له : فهكذا أنت في خلواتك ؟ قال : وما مسألتك عنه ؟ قلت : عسى الله عز وجل أن ينفعني به . قال : والله إن ذلك ليعرض لي حين أسكن إلى أهلي فيحولُ بيني وبين ما أريد ، وإنه ليوضع الطعام بين يديّ فيعرض لي فيحول بيني وبين أكله ، حتى تبكي امرأتي ويبكي صبياننا ، ما يدرون ما أبكانا ؟ ولربما أضجر ذلك امرأتي فتقول : يا ويحها ما خصّت به من طول الحزن معك في الحياة الدنيا ما تقرّ لي معك عين .

عن الوضين بن عطاء قال : أراد الوليد بن عبد الملك أن يُوَلّي يزيد بن مرثد فبلغ ذلك يزيد فلبس فروة وقلبها فجعل الجلْد على ظهره والصوف خارجاً وأخذ بيده رغيفاً وعرقاً وخرج بلا رداء ولا قلنْسوة ولا نعل ولا خُفّ ، وجعل يمشي في الأسواق ويأكل. فقيل للوليد : إنّ يزيد قد اختلط . وأخبر بما فعل فتركه .

أسند يزيد بن مرثد عن معاذ ، وأبي الدرداء ، وغيرهما .

ومن الطبقة الثانية

٧٤٤ ـ عبد الله بن محيريز ، أبو محيريز[١]

عن بشير بن صالح قال دخل ابن مُحَيْريز حانوتاً بدانق وهو يريد أن يشتري ثوباً ، فقال رجل لصاحب الحانوت : هذا ابنُ مُحَيَريز فأحسنْ بيعه فغضب ابنُ محيريز وخرج، وقال : إنما نشتري بأموالنا ، لسنا نشترى بديننا .

عن رجاء بن حيوة قال : أتانا نعيُ ابن عمر ، ونحن في مجلس ابن مُحيريز فقال ابن محيريز : والله إن كنتُ لأعُدُّ بقاء ابن عمر أماناً لأهل الأرض .

وقال رجاء بن حيوة بعد موت ابن مُحيريز : وأنا والله إن كنتُ لأعد بقاء ابن مُحيريز أماناً لأهل الأرض .

وعن ضمرة ، عن رجاء قال : كان ابن مُحيريز يجيء بالكتاب إلى عبد الملك فيه النصيحة فيُقرئه إياه ثم لا يقرّه في يده .

أيوب بن سويد قال : نبأ أبو زرعة أن عبد الملك بن مروان بعث إلى ابن مُحيريز بجارية، فترك ابن محيريز منزله فلم يكن يدخله ، فقيل له : يا أميرالمؤمنين تغيّب ابن

---

(١) انظر : الحلية (٥/ ١٣٨) ، وسير الأعلام (٤/ ٤٩٤) ، وأسد الغابة (٣/ ٢٥٢) .

محيريز عن منزله . قال : ولم ؟ قيل : من أجل الجارية التي بعثت بها إليه . قال : فبعث عبد الملك فأخذها .

عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني قال : كان ابن محيريز إذا مدح قال : وما يُدريك ؟ وما علْمُك ؟ .

وعن ضمرة عن عمر بن عبد الرحمن بن محيريز قال : كان جدي ابن مُحيريز يختم في كل سبع .

عن عبد الله بن عوف القارئ قال : لقد رأيتنا برُودِسَ وما في الجيش أحد أكثر صلاةً من ابن محيريز في العلانية ثم أقصر عن ذلك حين شُهِر وعُرِف .

وعن ضمرة ، عن الأوزاعي ، قال : كان ابن أبي زكريا يقدمُ فلسطين فيلقى ابن محيريز فتتقاصر إليه نفسُه لما يرى من فضل ابن محيريز .

عبد الواحد بن موسى قال : سمعت ابن محيريز يقول : اللهم إني أسألك ذكْراً خاملاً

عن خالد بن دُريك قال : كانت في ابن محيريز خصلتان ما كانتا في أحد ممن أدركتُ في هذه الأُمة : كان أبعد الناس أن يسكت عن حقّ بعد أن يتبين له ، يتكلمّ فيه غضب من غضب ، ورضي من رضِي ، وكان من أحرص الناس أن يكتم من نفسه أحسن ما عنده .

عبد الله بن المبارك عن طليق قال : سمعت ابن محيريز يقول : من مشى بين يدي أبيه فقد عقّه ، إلا أن يمشي فيميط له الأذى عن طريقه ، ومن دعا أباه باسمه أو بكُنيته فقد عقه إلا أن يقول : يا أبة .

أسند ابن محيريز عن أبي سعيد الخدري ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وأبي محذورة وفضالة بن عبيد وغيرهم ، وتوفي في ولاية الوليد بن عبد الملك .

٧٤٥ ـ أبو مسلم الخولاني واسمه عبد الله بن ثوب(١)

طرحه الأسود العنسي المتنبي باليمن في النار فلم تضره فكان يشبَّه بالخليل عليه السلام.

عن شُرحبيل بن مسلم الخولاني قال : تنبأ الأسود بن قيس العنسي باليمن فأرسل إلى أبي مسلم فقال له : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : فتشهد أني رسول الله ؟ قال : ما أسمع . قال : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : فتشهد

(١) انظر : الحلية (٢/ ٢٢) ، وسير الأعلام (٤/ ٧) ، وأسد الغابة (٣/ ١٠٢) .

أني رسول الله ؟ قال : ما أسمع قال : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم . قال: فتشهد إني رسول الله ؟ قال : ما أسمع .

قال : فأمر بنار عظيمة فأُجِّجت وطُرح فيها أبو مسلم فلم تضره فقال له أهل مملكته : إن تركت هذا في بلادك أفسدها عليك . فأمره بالرحيل فقدم المدينة وقد قُبض رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر . فقام إلى سارية من سوارى المسجد يصلّي فبصر به عمر ابن الخطاب ، فقال : من أين الرجل ؟ قال : من اليمن ، قال : فما فعل عدو الله بصاحبنا الذي حرقه بالنار فلم تضره قال : ذاك عبد الله بن ثوب . قال : نشدتك بالله عز وجل أنت هو ، قال : اللهم نعم . قال : فقبّل ما بين عينيه ، ثم جاء به حتى أجلسه بينه وبين أبي بكر وقال : الحمد لله الذي لم يُمِتْني حتي أراني فى أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الرحمن عليه السلام .

عن علقمة بن مرثد قال : انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم أبو مسلم الخولاني، فإنه لم يكن يُجالس أحداً يتكلم في شيء من أمر الدنيا إلا تحوّل عنه ، فدخل ذات يوم المسجد فنظر إلى نفرٍ قد اجتمعوا فرجا أن يكونوا علي ذكر الله تعالي ، فجلس إليهم وإذا بعضهم يقول : قدم غلامى فأصاب كذا وكذا . وقال آخر : جهزتُ غلامى ، فنظر إليهم وقال : سبحان الله أتدرون ما مثلي ومثلُكم ؟ كمثل رجل أصابه مطر غزير وابل فالتفت فإذا هو بمصراعين عظيمين فقال : لو دخلتُ هذا البيت حتى يذهب هذا المطر، فدخل فإذا البيت لا سقف له . جلستُ إليكم وأنا أرجو أن تكونوا على ذكْر وخير فإذا أنتم أصحاب دُنيا .

قال : وقال له قائل ، حين كبرَ ورقَّ : لو قصرت عن بعض ما تصنع . فقال : أرأيتم لو أرسلتم الخيل في الحلبة ألستم تقولون لفارسها دعْها وارفق بها حتى إذا رأيتم الغاية لم تستبقُوا منها شيئاً ؟ قالوا : بلي ، قال فإني قد أبصرت الغاية وإنّ لكل ساعة غاية ، وغايةُ كل ساعة الموت ، فسابق ومسبوق .

أبو بكر بن أبي مريم قال : حدثني عطية بن قيس أن ناساً من أهل دمشق أتوا أبا مسلم الخولاني في منزله وهو غاز بأرض الروم ، فوجدوه قد احتفر في فسطاطه جوبة . ووضع في الجوبة نطْعاً ، وأفرغ فيه ماء يتصلّق فيه وهو صائم ، فقالوا له : ما يحملك على الصيام وأنت مسافر وقد رُخصّ لك في الفطر في السفر ؟ فقال : لو حضر قتال لأفطرتُ وتقويّت للقتال ، إنّ الخيل لا تجري إلى الغايات وهي بدنٌ ، إنما تجري وهي ضُمّر ، إن بين أيدينا أياماً لها نعمل .

عن شرحبيل بن مسلم أن رجلين أتيا أبا مسلم الخولانى في منزله فقال بعض أهله : هو

في المسجد ، فأتياه فوجداه يركع فانتظرا انصرافه وأحصيا ركوعه ، فأحصى أحدهما أنه ركع ثلثمائة والآخر أربعمائة قبل أن ينصرف فقالا له : يا أبا مسلم كنا قاعدين خلفك ننتظرك ، قال أما إني لو علمت مكانكما لانصرفت إليكما ، وما كان لكما أن تحفظا علي صلاتي ، فأقسم لكما إن كثرة السجود خير ليوم القيامة .

حُميد قال : قال أبو مسلم الخولاني : ما عملتُ عملاً أبالي من رآه إلا أن يخلو الرجل بأهله أو يقضي حاجة غائط .

محمد بن زياد عن أبي مسلم أنه كان إذا غزا أرض الروم فمروا بنهر قال : أجيزوا بسم الله . قال : ويمر بين أيديهم . قال : فيمرون بالنهر الغمْرِ ، فربما لم يبلغ من الدواب إلا إلى الركب ، أو بعض ذلك أو قريباً من ذلك ، فإذا جازوا قال للناس : هل ذهب لكم من شيء ؟ من ذهب له شيء فأنا له ضامن . قال : فألقى بعضهم مخلاة عمداً فلما جازوا قال الرجل : مخلاتي وقعت في النهر . قال له : اتبعني ، فإذا المخلاة تعلقت ببعض أعواد النهر .

عن عثمان بن عطاء عن أبيه قال : قالت امرأة أبي مسلم يعني الخولاني : يا أبا مسلم ليس لنا دقيق . قال : عندك شيء ؟ قالت : درهم بِعنا به غزلاً ، قال : ابغنيه وهاتي الجراب ، فدخل السوق فوقف على رجل يبيع الطعام . فوقف عليه سائل فقال : يا أبا مسلم تصدق عليّ ، فهرب منه فأتى حانوتاً آخر فتبعه السائل فقال : يا أبا مسلم ، فهرب منه فأتى حانوتاً آخر فتبعه السائل فقال : تصدق عليّ ، فلما أضجره أعطاه الدرهم، ثم عمد إلى الجراب فملأه نجارة النجارين مع التراب ثم أقبل إلى باب منزله فنقر الباب وقلبه مرعوب من أهله ، فلما فتحت الباب رمى بالجراب وذهب ، فلما فتحته إذا هي بدقيق حُوّارَى ، فعجنت وخبزت . فلما ذهب من الليل الهويّ ، جاء أبو مسلم فنقر الباب فلما دخل وضعت بين يديه خواناً وأرغفة . فقال : من أين لكم هذا ؟ قالت له يا أبا مسلم من الدقيق الذي جئت به ، فجعل يأكل ويبكي .

عن عثمان بن عطاء ، عن أبيه قال : كان أبو مسلم الخولاني إذا انصرف من المسجد إلى منزله كبّر على باب منزله فتُكبّر امرأته فإذا كان في صحن داره كبّر فتُجيبه امرأته ، فإذا بلغ إلى باب بيته كبّر فتجيبه امرأته فانصرف ذات ليلة فكبر عند باب داره فلم يجبه أحد ، فلما كان في الصحن كبّر فلم يجبه أحد ، فلما كان في باب بيته كبّر فلم يجبْه أحد ، وكان إذا دخل بيته أخذت امرأته رداءه ونعليْه ثم أتته بطعامه قال : فدخل فإذا البيت ليس فيه سراج وإذا امرأته جالسةمنكسة تنكتُ بعود معها . فقال لها مالك ؟ فقالت : أنت لك منزلة من معاوية وليس لنا خادم فلو سألته فأخْدمنا وأعطاك ، فقال : اللهم من أفسد على امرأتي

فأعم بصره ، قال : وقد جاءتها امرأة قبل ذلك فقالت : زوجك له منزلة من معاوية فلو قلت له يسأل معاوية أن يُخدمه ويعطيه عشتم ، قال : فبينما تلك المرأة جالسة في بيتها إذ أنكرت بصرها فقالت : ما لسراجكم طفيء ؟ قالوا: لا . فعرفت ذنبها ، فأقبلت إلى أبي مسلم تبكي وتسأله أن يدعو الله عز وجل لها يرد عليها بصرها . قال : فرحمها أبو مسلم فدعا الله عز وجل لها فرد عليها بصرها .

الحسن قال : قال أبو مسلم الخولاني ، وكان ذا أمثال : أرأيتم نفساً إذا أكرمتها وودعتها ونعمتُها ذمتني غداً عند الله وإن أنا أهنتُها وأنصبتُها وأعملتُها مدحتْني عند الله غدا ؟ قالوا : من تيك يا أبا مسلم ؟ قال تيكَ والله نفسي .

عن شُرحبيل بن مسلم ، عن أبي مسلم الخولاني ، أنه كان إذا وقف على خربة قال: يا خربة أين أهلك ؟ ذهبوا وبقيت أعمالهم ، وانقطعت الشهوة ، وبقيت الخطيئة، ابن آدم ! ترْكُ الخطيئة أهونُ من طلب التوبة .

أبو بكر بن أبي الأسود قال : قال أبو مسلم الخولاني : ما طلبت شيئاً من الدنيا قط فوُلّي لي ، حتى لقد ركبت مرة حماراً فلم يمش فنزلت عنه وركبه غيري فعدا . قال : فأريت في منامي كأن قائلاً يقول لي : لا يحزنك ما زُوِيَ عنك من الدنيا وإنما يفعل ذلك بأوليائه وأحبّائه وأهل طاعته . قال : فسرّيَ عني .

شرحبيل بن مسلم ، عن عمير بن سيف ، أنه سمع أبا مسلم الخولاني يقول : لأن يولد لي مولود يحسن الله عز وجل نباته حتى إذا استوى على شبابه وكان أعجب ما يكون إليّ ، قبضه مني ، أحبُّ إليّ من أن تكون لي الدنيا وما فيها .

عن عثمان بن أبي العاتكة قال : كان من أمر أبي مسلم الخولاني أن علق سوطا في مسجده ويقول : أنا أولى بالسوط من الدواب ، فإذا دخلته فترة مشقَ [1] ساقه سوطاً أو سوطين . وكان يقول : لو رأيت الجنة عياناً ما كان عندي مستزاد ، ولو رأيت النار عياناً ما كان عندي مستزاد .

بلال بن كعب قال : ربما قال الصبيان لأبي مسلم الخولاني : ادع الله أن يحبسَ علينا هذا الطائر ، فيدعو الله عز وجل فيحبسه ، فيأخذوه بأيديهم .

أدرك أبو مسلم أبا بكر وعمر ، وأسند عن معاذ بن جبل وعبَادة بن الصامت وتوفي في خلافة يزيد بن معاوية ، كذا قال محمد بن سعد . وقال البخاري توفي في خلافه معاوية .

(١) المشق : سرعة الطعن والضرب .

ومن الطبقة الثالثة

٧٤٦ ـ رجاء بن حيوة أبو المقدام الكندى[1]

عن مطر الوراق قال : ما رأيت شامياً أفضل من رجاء بن حيوة .

أبو أسامة قال : كان ابن عون إذا ذكر من يعجبه ذكر رجاء بن حيوة .

ابن عون قال : ثلاثة لم أر مثلهم كأنهم التقوا فتواصَوْا : ابن سيرين بالعراق ، والقاسم ابن محمد بالحجاز ، ورجاء بن حيوة بالشام .

عبيد بن السائب قال : أنبأ أبي قال : ما رأيت أحداً أحسن اعتدالاً في صلاته من رجاء ابن حيوة .

عن عبد الرحمن بن عبد الله أن رجاء بن حيوة قال لرجلين وهو يعظُهما : انظرا الأمر الذي تحبان أن تلقيا الله عز وجل عليه ، فخذا فيه الساعة ، وانظرا الأمر الذي تكرهان أن تلقيا الله عز وجل عليه فدعاه الساعة .

أسند رجاء عن عبد الله بن عمرو ، وأبي الدرداء ، وأبي أمامة ، ومعاوية ، وجابر ، وكان يصحب الخلفاء ويأمرهم بالمعروف . فلما مات عمر بن عبد العزيز انقطع عن صحبتهم. فسأله يزيد بن عبد الملك أن يصحبه فأبى واستعفاه . فقيل له : نخاف عليك من هؤلاء . فقال : يكفينهم الذي تركتُهم له .

٧٤٧ ـ عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية [2]

عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال : كان عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية خلاً لعبد الملك بن مروان ، فلما مات عبد الملك بن مروان وتصدّع الناس عن قبره وقف عليه فقال: أنت عبد الملك الذي كنت تَعدُني فأرجوك ، وتوعدُني فأخافك ، أصبحت وليس معك من مُلكك غير ثوبيك ، وليس لَك منه غير أربعة أذرع في عرض ذراعين . ثم انكفأ إلى أهله واجتهد في العبادة حتى صار كأنه شن بال فدخل عليه بعض أهله فعاتبه في نفسه وإضراره فقال للقائل : أسألك عن شيء تصدقني عنه ؟ قال : نعم . قال : أخبرني عن حالتك التي أنمت عليها أترضاها للموت ؟ قال : اللهم لا ، قال : أفعزمت على انتقال منها إلى غيرها ؟ قال : ما انتصحت رأيي في ذلك ، قال : أفتأمن من أن يأتيك الموت علَى حالك التي أنت عليها ؟ قال : اللهم لا ، قال : حالٌ ما أقام عليها عاقل . ثم انكفأ إلى مصلاه. روى عبد الرحمن عن ثوبان .

---

(١) انظر : الحلية (٥/ ١٧٠) ، سير الأعلام (٤/ ٥٥٧) .

(٢) المصدر السابق (٥/ ٤٩) .

٧٤٨ ـ خالد بن معدان الكلاعى [1] . يكنى : أبا عبد الله

عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن مَعدان قال : إياكم والخطران فإنه قد تنافق يد الرجل من سائر جسده . قيل : وما الخطران ؟ قال : ضرب الرجل بيده إذا مشى .

عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان قال : ما من عبد إلا وله أربعُ أعين : عينان في وجهه يبصر بهما أمر الدنيا ، وعينان في قلبه يبصر بهما أمر الآخرة ، فإذا أراد الله بعبد خيراً فتح عينيه اللتين في قلبه فيبُصر بهما ما وعد بالغيب . قال : وهما غيب فآمن الغيب بالغيب ، وإذا أراد الله بعبد غير ذلك تركه ما هو عليه ثم قرأ ﴿ **أم على قلوبٍ أقفالها** ﴾ [2] .

عبد الله بن واقد ، عن أم عبد الله ، عن أبيها قال : خُلقت القلوب من طينٍ وإنها تلين في الشتاء .

صفوان بن عمرو قال : كان خالد بن معدان إذا عظمت حلقتُه قام فانصرف قلت لصفوان : ولم كان يقوم ؟ قال كان يكره الشّهرة .

أسند خالد بن معْدان عن أبي عبيدة ومُعاذ وعُبادة وأبي ذرّ وغيرهم .

محمد بن سعد قال : أنبأ يزيد بن هارون قال : مات خالد وهو صائم ، قال ابن سعد وتوفي سنة ثلاث ومائة وقال عفير بن معدان : توفي خالد سنة أربع ومائة .

٧٤٩ ـ عبادة بن نَسَىّ الكندى

توفي سنة ثمان عشرة ومائة .

عن رجاء قال : كان بين رجل وبين عبادة بن نسي منازعة فأسرع إليه الرجل فلقي رجاء ابن حيوة عبادة فقال : بلغني أن فلاناً كان منه إليك فأخبرني ، فقال : لولا أن تكون غِيبةٌ مني لأخبرتك بما كان منه .

٧٥٠ ـ عبد الله بن أبى زكريا الخزاعى

كان صاحب غزو من أهل دمشق عن الأوزاعي قال : لم يكن بالشام رجل يفضل على عبد الله بن أبي زكريا . قال : عالجتُ لساني عشرين سنة قبل أن يستقيم لي .

علي بن أبي جملة قال : قال عبد الله بن أبي زكريا الدمشقي : عالجت الصّمت عما لا يعنيني عشرين سنة قبل أن أقدر منه على ما أريد . قال : وكان لا يدع أحداً يغتاب في مجلسه أحدا . يقول : إن ذكرتم الله أعنّاكم وإن ذكرتم الناس تركناكم.

---

(١) المصدر السابق (٤/٥٣٦) ، والحلية (٥/ ٢١٠) .

(٢) سورة محمد آية : ٢٤ .

عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر أن عبد الله بن أبي زكريا كان يقول : لو خُيِّرت بين أن أعمّر مائة سنة في طاعة الله أو أن أُقبض في يومي هذا أو في ساعتي هذه لاخترتُ أن أُقبض شوقاً إلى الله عز وجل وإلى رسوله وإلى الصالحين من عباده .

الوليد بن سليمان الدمشقي قال : سمعت أبي يذكر قال : كان عبد الله بن أبي زكريا إذا خاض جلساؤُه في غير ذكر الله كأنه ساه ، وإذا خاضوا في ذكر الله كان من أحسن الناس استماعاً .

أسند عبد الله عن عبادة بن الصامت وأبي الدرداء في آخرين ، وتوفي سنة سبع عشرة ومائة .

ومن الطبقة الرابعة

٧٥١ ـ بلال بن سعد

عبد الله بن المبارك قال : كان محلّ بلال بن سعد بالشام ومصر كمحلّ [١] الحسن بالبصرة .

الأوزاعي قال : سمعتُ بلال بن سعد يقول : واحُزناه على أنّي لا أحزن .

الأوزاعي عن بلال بن سعد قال : إن الخطيئة إذا أُخفيت لم تضرّ إلا أهلها وإذا أظهرت فلم تغيَّر ضرّتِ العامّة .

عن الأوزاعي قال : سمعت بلالاً يقول : لا تكن ولياً لله تعالى في العلانية وعدوّه في السرّ .

قال : سمعتُ بلالاً يقول في مواعظه : يا أهل الخلود ويا أهل البقاء ، إنكم لم تخلقوا للفناء وإنما خلقتم للخلود والأبد ، ولكنكم تنقلون من دار إلى دار .

عن الأوزاعي عن بلال بن سعد قال : إن الله يغفر الذنوب ، ولكن لا يمحوها من الصحيفة حتى يَقِفه عليها يوم القيامة وإن تاب .

سعيد بن عمرو قال : قال بلال بن سعد : ذِكْرُك حسناتك ونِسيانُك سيئاتك غَرّة .

الأوزاعي قال : هلك ابن لبلال بن سعد فجاء رجل يدّعي عليه ببضعة وعشرين ديناراً فقال له بلال : ألك بيّنة ؟ قال : لا . قال : فلك كتاب ؟ قال : لا . قال : فتحلف ؟ قال : نعم . قال : فدخل منزله فأعطاه الدنانير ، فقال : إن كنت صادقاً فقد أدّيتُ عَنِ ابني ، وإن كنت كاذباً فهي عليك صدقة .

---

(١) أي بمنزلة ومكانة الحسن البصرى ، وانظر : الحلية (٥/ ٢٢١) ، وسير الأعلام (٥/ ٩٠) .

الأوزاعي قال : سمعت بلال بن سعد يقول : رُبّ مسرورٍ مغبون يأكل ويشرب ويضحك وقد حقّ له في كتاب الله عز وجل أنه من وقُود النار .

الأوزاعي قال : سمعت بلال بن سعد يقول : أخٌ لك كلما لقيك ذكّرك بحظّك من الله خير لك من أخ كلما لقيك وضع في كفّك ديناراً .

عن الأوزاعي قال : سمعت بلال بن سعد يقول : لا تنظر إلى صغر الخطيئة ولكن انظر من عصيْت .

سعيد بن عبد العزيز قال : قال بلال بن سعد : الذكر ذِكْران : ذكْرٌ لله عز وجل باللسان حسنٌ جميل ، وذكرُ الله عندما أحلّ وحرّم أفضل .

الضحاك بن عبد الرحمن قال : سمعت بلال بن سعد يقول : يا أُولي الألباب ليتفكّرْ متفكّر فيما يبقى له وينفعه ، أما ما وكّلكم الله عز وجل به فتضيّعون ، وأما ما تكفل لكم به فتطلبون ، ما هكذا نعت الله عباده المؤمنين ، أذو عقول في طلب الدنيا وبله عما خُلقتم له ؟ فكما ترجون الله بما تؤدون من طاعته فكذلك أشفقوا من عذاب الله بما تنتهكون من معاصيه .

قال : وسمعت بلال بن سعد يقول : عباد الله ، اعلموا أنكم تعملون فى أيام قصار لأيام طوال ، وفي دار زوال لدار مُقام ، وفي دار نصب وحزن لدار نعيم وخلدٍ ، ومن لم يعمل على اليقين فلا يتعن ، عباد الرحمن ، هل جاءكم مخبر يخبركم أن شيئاً من أعمالكم تقبل منكم أو شيئاً من أعمالكم غُفر لكم ؟ .

عن الأوزاعى عن بلال بن سعد قال : أدركتهم يشتدّون بين الأغراض ، وبضحك بعضهم إلى بعض فإذا كان الليل كانوا رهْباناً .

أسند بلال عن أبيه سعد بن تميم السكوتي وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب وجابر ابن عبد الله في آخرين .

٧٥٢ ـ عمير بن هانئ أبو الوليد الشامى

قال البخاري : سمع من ابن عمر ، وزعم آل عُمير أنه أدرك ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ .

سعيد بن عبد العزيز قال : قلتُ لعُمير بن هانيء : أرى لسانك لا يفتر من ذكر الله عز وجل فكم تسبّح كل يوم ؟ قال : مائة ألف إلا أن تخطيء الأصابع .

٧٥٣ ـ أبو عبد رب واسمه : عبيدة بن المهاجر(١)

عن ابن جابر أن أبا عبد ربّ كان من أكثر أهل دمشق مالاً فخرج إلى أذربيجان في تجارة فأمسى إلى جانب مرعي ونهر فنزل به .

قال : فسمعتُ صوتاً يكثر حمد الله عز وجل في ناحية فاتبعتهُ فرأيت رجلاً في حفير من الأرض ، ملفوفاً في حصير ، فسلمت عليه وقلت : من أنت ؟ قال : رجل من المسلمين . فسألته أن يقوم معي إلى المنزل فأبى ، فانصرفت وقد تقاصرت إلى نفسي ومقتُّها أني أخلّف بدمشق رجلاً في العين يكاثرني وأنا ألتمس الزيادة فقلت : اللهم إني أتوب إليك من سوء ما أنا فيه ، فبِتُّ ولم يعلم إخواني بما قد أجمعت عليه فلما كان السحر رحلوا فركبت دابتي وضربتها إلى دمشق فقلت : ما أنا بصادق التوبة إن مضيت في متجري . قال ابن جابر : فلما قدم تصدق بصامت ماله وجهّز به في سبيل الله عز وجل . قال ابن جابر : فحدثني بعض إخواني قال : ما كستُ صاحب عباء بدانق في عباء أعطيتُه ستّة وهو يقول : سبعة . فلما أكثرت قال : ممن أنت ؟ قلت : من أهل دمشق . قال ما تشبه شيخاً وفد عليّ أمس يقال له أبو عبد ربّ اشترى مني سبعمائة كساء بسبعة سبعة ما سألني أن أضع له درهماً وما زال يفرقها بين فقراء الجيش فما دخل إلى منزله منها بكساء. قال ابن جابر : وكان أبو عبد رب تصدق بصامت ماله (٢) وباع عُقَدَه (٣) فتصدّق بها، إلا داراً بدمشق ثم باعها بمال وفرّقه . ثم مات فما وجدوا من ثمنها إلا قدر الكفن . وكان يقول : والله لو أن نهركم هذا سال ذهباً وفضة ، من شاء خرج إليه فأخذ ، ما خرجت إليه ، ولو قيل : من مسّ هذا العود مات لسرني أن أقوم إليه شوقاً إلى الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ .

أسند أبو عبد رب عن معاوية بن أبي سفيان [والسلام] .

ومن الطبقة الخامسة

٧٥٤ ـ أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني(٤)

بقيّة قال : خرجنا إلى أبي بكر بن أبي مريم نسمع منه في ضيعته ، وكانت كثيرة الزيتون، فخرج علينا نبطي (٥) من أهلها فقال لي : من تريدون ؟ فقلنا : نريد أبا بكر

---

(١) الحلية (٥/ ١٦٠) .

(٢) صامت المال : الذهب والفضة ، وناطق المال : الأنعام كالإبل والغنم وغيرها .

(٣) العقدة : الضيعة . (٤) سير الأعلام (٦/ ١٧١) .

(٥) الأنباط : شعب سامى كانت له دولة في شمالى شبه الجزيرة العربية وعاصمتهم سلع ، وتعرف اليوم بالبتراء .

ابن أبي مريم فقال : الشيخ ؟ فقلنا : نعم ، فقال : ما في هذه القرية شجرة من زيتون إلا وقد قام إليها ليلته جمعاء .

يزيد بن هارون قال : كان أبو بكر من العُبّاد المجتهدين ، فحضرهُ الموت وهو صائم، فلم يزل يجهد حتى قشّروا له تفاحة فأفطر عليها وقيل لامرأته ألا تُفلّين ثيابه ؟ قالت : أية ساعة أفليها ؟ ما يلقيها عنه ليلاً ولا نهاراً . تقول لاشتغاله بالصلاة .

الحسن بن علي بن مسلم السكوني قال : كان لأبي بكر بن أبي مريم في خدّيه مسلكان من الدموع .

يزيد بن عبد ربه قال : عُدتُ أبا بكر بن أبي مريم وهو في النّزع فقلت له : رحمك الله لو جرعْت جرعة ماء . فقال بيده : لا ، ثم جاء الليل فقال : أُذِّنَ ؟ فقلت : نعم. فقطرنا في فمه قطرة ماء ثم مات .

أسند أبو بكر عن عبد الله بن بُسر وغيره .

٧٥٥ ـ حسان بن عطية يكنى : أبا بكر(١)

عن الأوزاعي قال : ما رأيت أحداً أكثر عملاً منه في الخير . يعني حسان بن عطية .

عن الأوزاعي قال : كان حسان بن عطية يتنّحى إذا صلى العصر في ناحية المسجد ، فيذكر الله عز وجل حتى تغيب الشمس .

الأوزاعي ، عن حسّان بن عطية قال : من أطال قيام الليل يهوَّن عليه طول القيام يوم القيامة .

الأوزاعي قال : حدّثني حسان قال : يعذِّب الله الظالم بالظالم ثم يُدخلهما النار جميعاً . وحدثني حسان قال : إن العبد إذا عمل سيئة وقف الملك فلم يكتبها ثلاث ساعات ، فإن لم يستغفر كتبت وإن استغفر لم تُكتب . وإن الرجل إذا سافر يوم الجمعة دُعِيَ عليه أن لا يُصاحب في سفره ولا يُعَان في حاجته ، وركعتان يَستَنُّ فيهما العبد خيرٌ من سبعين ركعة لا يستنّ فيها .

أسند حسان عن أنس وشداد بن أوس ، وأرسل عن ابن مسعود وأبي ذر وحذيفة في خلق كثير .

٧٥٦ ـ أمية الشامي

عن سفيان بن عيينة قال : كان أميّة رجلاً من أهل الشام يقوم فيصلي هناك مما يلي

(١) انظر : الحلية (٦/) وسير الأعلام (٥/٤٦٦) .

باب بني سهم ، فينتحبْ ويبكي حتى يعلو صوته وحتى تسيل دموعه على الحصى . قال، فأرسل إليه الأمير : إنك تُفسد على المصلين صلاتهم بكثرة بكائك وارتفاع صوتك، فلو أمسكت قليلاً . فبكى ثم قال : إن حزن يوم القيامة ورثني دموعاً غزاراً ، فأنا أستريح إلى ذَرْيها أحياناً . وكان أمية يقول : ألا إنّ المطيع لله ملكٌ في الدنيا والآخرة . وكان يدخل الطواف فيأخذ في البكاء والنحيب ، وربما سقط مغشياً عليه .

ومن الطبقة السادسة

٧٥٧ ـ أبو سليمان الداراني واسمه عبد الرحمن[١] ابن أحمد بن عطية العنسي

وداريّا قرية من قرى دمشق ، وقيل ضيعة إلى جنب دمشق .

أحمد بن أبي الحواريّ قال : سمعت أبا سليمان عبد الرحمن بن أحمد العنسي يقول : مفتاح الدنيا الشبع ، ومفتاح الآخرة الجوع ، وأصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوفُ من الله ، وإن الله يُعطي الدنيا من يحبّ ، ومن لا يحب ، وإن الجوع عنده في خزائن مدّخرة، ولا يعطي الدين إلا من أحب خاصة ، ولأن أدع من عشائي لقمةً أحبّ إليّ من أن آكلها وأقوم من أول الليل إلى آخره .

أحمد بن أبي الحواري قال : سمعت أبا سليمان يقول : لولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا ، وما أحبّ البقاء في الدنيا لتشقيق الأنهار ولا لغَرْس الأشجار .

أحمد بن أبي الحواريّ قال : سمعت أبا سليمان يقول : سمعت أبا جعفر يبكي في خطبته يوم الجمعة ، فاستقبلني الغضب وحضرتني نيّةٌ أن أقوم فأعظه بما أعرف من فعله إذا نزل . قال : فتفكرت أن أقوم إلى الخليفة فأعظه والناس جلوس يرمقوني بأبصارهم فيعرض لي تزين فيأمُر بي فأُقتل على غير تصحيح . فجلست وسكتُّ . قال أحمد وسمعت أبا سليمان يقول : كنت بالعراق أعمل ، وأنا بالشام أعرفُ قال أحمد : فحدثت به ابنه سليمان فقال : إنما معرفة أبي بالله تعالى بالشام لطاعته بالعراق ، ولو ازداد لله بالشام طاعة لازداد لله معرفة .

ابن أبي الحواريّ قال : سمعت أبا سليمان يقول : كل ما شغلك عن الله عز وجل من أهل ومال أو ولد فهو عليك مشُوم .

مسعود بن أبي جميل قال : سمعت أبا سليمان يقول : إنما عصى الله عز وجل من عصاه لهوانهم عليه ، ولو كرموا عليه لحجزهم عن معاصيه .

---

(١) انظر : الحلية (٩/ ٢٥٤) ، سير الأعلام (١٠/ ١٨٢) .

أحمد بن أبي الحواري قال : سمعت أبا سليمان يقول : كلما ارتفعت منزلة القلب كانت العقوبة إليه أسرع .

أحمد بن أبي الحواريّ قال : قال لي أبو سليمان : من أيّ وجه أزال العاقل اللائمة عمّن أساء إليه ؟ قلت : لا أدري ، قال : من أنه قد علم أن الله تعالى هو الذى ابتلاه به .

أحمد بن أبي الحواريّ قال : سمعت أبا سليمان يقول كنت ليلة باردة في المحراب فأفاقني البرد فخبأت إحدى يديّ من البرد وبقيت الأخرى ممدودة ، فغلبتني عيني فهتف بي هاتف : يا أبا سليمان قد وضعنا في هذه ما أصابها ، ولو كانت الأخرى لوضعنا فيها ما أصابها . فآليت لا أدعو إلا ويداي خارجتان .

أحمد بن أبي الحواريّ قال : قال لي أبو سليمان الدّاراني : يا أحمد إني محدّثك بحديث فلا تحدّث به أحداً حتى أموت : نمت ذات ليلة عن وردي فإذا أنا بحوراء تنبهني وتقول : يا أبا سليمان تنام وأنا أربى لك في الخدور منذ خمسمائة عام ؟ .

أحمد بن أبي الحوراي قال : سمعت أبا سليمان الداراني يقول : بينما أنا ساجد إذ ذهب بي النوم فإذا أنا بها ، يعني الحوراء ، قد ركضتْني برجلها فقالت : حبيبي أترقد عيناك والملك يقظان ينظر إلى المتهجّدين في تهجُّدهم ؟ بؤساً لعين آثرت لذّة نوم على لذة مناجاة العزيز ، قم فقد دنا الفراغ ولقي المحبّون بعضهم بعضاً ، فما هذا الرقاد ؟ حبيبي وقرة عيني ، أترقد عيناك وأنا أربّى لك في الخدور منذ كذا وكذا ؟ .

فوثبتُ فزعاً وقد عرقتُ استحياء من توبيخها إيّاي وإن حلاوة منطقها لفي سمعي وقلبي.

أحمد بن أبي الحواري يقول : سمعت أبا سليمان الدّاراني يقول : ما ضرّك ما غرّك إذا أعقبك ما سرّك .

موسى بن عمران قال : سمعت أبا سليمان الدّاراني يقول : إن النفس إذا جاعت وعطشت صفا القلب ورقّ ، وإذا شبعت ورويتْ عَميَ القلبُ .

موسى بن عمران قال : سمعت أبا سليمان الداراني يقول : ما يسرّني أن لي من أول الدنيا إلى آخرها أنفقه في وجوه البرّ وأني أغفل عن الله عز وجل طرْفة عين .

عن أحمد بن أبي الحواريّ قال : قال أبو سليمان الداراني : لو أن الدنيا كلها في لقمة ثم جاءني أخ لي لأحببت أن أضعها في فيه .

أحمد بن أبي الحواريّ قال : سمعت أبا سليمان الدارني يقول : إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا ترحمها ، وإذا كانت الدنيا في القلب لم تزحمها الآخرة ، لأن الآخرة كريمة والدنيا لئيمه .

أحمد بن أبي الحواريّ قال : سمعت أبا سليمان الداراني يقول : من حسُن ظنُّه بالله عز وجل ثم لا يخاف الله فهو مخدوع .

أحمد بن أبي الحواريّ قال : سمعت أبا سليمان الداراني يقول : أرجو أن أكون قد رُزقتُ من الرضا طرفاً لو أدخلني النار لكنت بذلك راضياً .

محمد بن هشام قال : سمعت أبا سليمان الدّاراني يقول : يوحي الله عز وجل إلى جبريل عليه السلام اسلُب عبدي ما رزقته من لذة طاعتي فإن افتقدها فرُدَّها عليه ، وإن لم يفتقدها فلا تردَّها عليه أبداً .

أحمد بن أبي الحواريّ قال : سمعت أبا سليمان الداراني يقول في مناجاته : إنك إن طالبتني بسِرّيّ طالبتُك بكرمك ، وإن أخذتني بذُنوبي أتيتك بتوحيدك ، وإن أسكنتني النار بين أعدائك لأخبرنّهم بحبي لك .

أحمد بن أبي الحواريّ قال : سمعت أبا سليمان يقول : كنت أنظر إلى الأخ من إخواني بالعراق فأعمل على رؤيته شهراً . وسمعته يقول : إنما الأخ الذي تعظك رؤيته قبل أن يعظك بكلامه .

أحمد بن أبي الحواريّ قال : بات أبو سليمان ذات ليلة فلما انتصف الليل قام ليتهيأ، فلما أدخل يده في الإناء بقي على حالته حتى انفجر الصبح ، وكان وقت الإقامة . فخشيت أن تفوته الصلاة فقلتُ : الصلاة يرحمك الله . فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . ثم قال : يا أحمد أدخلتُ يدي في الإناء فعارضني مُعارض من سرّي : هَبْ أنك غسلت بالماء ما ظهر منك فبماذا تغسل قلبك ؟ فبقيت متفكراً حتى قلت بالغُموم والأحزان فيما يفوتني من الأنس بالله عز وجل .

أحمد بن أبي الحواري قال : سمعت أبا سليمان يقول : مايسرّ العاقل أن الدنيا له منذ خلقت إلى أن تفني ، يتنعم فيها حلالاً لا يُسأل عنه يوم القيامة وأنه حُجب عن الله عز وجل ساعة واحدة فكيف بمن حُجب أيام الدنيا وأيام الآخرة ؟ .

أحمد بن الحواري قال : سمعت أبا سليمان يقول : ربما مثل لي رأسي بين جبلين من نار ، وربما رأيتُني أهوي فيها حتى أبلغ قرارها وكيف تهنئ الدنيا من كانت هذه صفته؟ .

وسمعته يقول : إنما ارتفعوا بالخوف ، فإن ضيّعوا نزلوا وينبغي لعاقل وإن بلغ أعلى درجة أن يفزع قلبه بأسفل درجة من ذكر الموت والمقابر والبعث .

وقلت لأبي سليمان إني قد غبْطت بني إسرائيل . قال : بأيّ شيء ويحك ؟ قلت : بثمانمائة سنةٍ بأربعمائة سنة ، حتى يصيروا كالشّنان البالية وكالأوتار . قال : ما ظننت إلا

أنك قد جئت بشيء ، لا والله لا يريد الله عز وجل منا أن تيبس جلودنا على عظامنا ولا يريد منا إلا صدق النية فيما عنده ، هذا إذا صدق في عشرة أيام نال ما نال ذاك في عمره .

وسمعت أبا سليمان ، وذُكر له رجل ، فقال : لقد وقع على قلبي ولكن صف لي حاله . فقلت : إنه نشأ في الصوف والقرآن وأكل الملّة [1] . فقال : قد كنت أحبّ أن يكون ممن وجد طعم الدنيا ثم تركها ، لأنه إذا وجد طعمها ثم تركها لم يغتر بها ، وإذا كان ممن لم يجد طعمها لم آمن عليه إذا وجد طعمها أن يرجع إليها .

وسمعت أبا سليمان يقول : لأهلُ الطاعة في ليلهم ألذُّ من أهل اللهو بلهوهم ، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا .

وسمعت أبا سليمان يقول : لو لم يبك العاقل فيما بقي من عمره إلا على لذة ما فاته من الطاعة فيما مضى ، كان ينبغي له أن يبكيه حتى يموت .

أحمد بن أبي الحواريّ قال : سمعت أبا سليمان يقول : ما عمل داود عليه السلام عملاً قطّ كان أنفع له من خطيئته ، ما زال منها خائفاً هارباً حتى لحق بربه عز وجل .

قال : ورأيت أبا سليمان أراد أن يلبّي فغُشي عليه . فلما أفاق قال : يا أحمد بلغني أن الرجل إذا حج من غير حلّه فقال : لبيّك اللهم لبّيك ، قال له الرب : لا لبّيك ولا سَعْدَيْك حتى تردَّ ما في يديْك ، فما يُؤمنني أن يُقال لي هذا ؟ ثم لَبَّى .

وسمعت أبا سليمان يقول أقمت عشرين سنة لم أحتلم . فدخلت مكة فأحدثُت بها حدثاً ، فما أصبحت حتى احتلمتُ . فقلت له : فأيّ شيء كان ذلك الحدث ؟ قال : تركت صلاة العشاء في المسجد الحرام في جماعة ، والاحتلام عُقوبة .

وسمعته يقول : حيل بيني وبين قيام الليل - قال أحمد : كان الذكر يغلب عليه - وإني لأمرض فأعرف الدنب الذي أمرض به .

وسمعته يقول : ما حجّوا ولا رابطوا ولا جاهدوا إلا فراراً من البيت ، وما يرون ما تقرُّ به أعينهم إلا في البيت .

أحمد بن أبي الحواريّ قال : قال أبو سليمان : لو اجتمع الخلقُ جميعاً على أن يضعوني كاتّضاعي عند نفسي ما قدروا على ذلك .

أحمد بن أبي الحواريّ قال : قال أبو سليمان الداراني : من صفّى صُفّي له ومن كدّر كُدر عليه .

---

(١) الملة : الخبز الذى يخبز على الرماد الحار .

أخبرنا ابن ناصر قال : أنبأ علي بن خلف قال : أنبأ أبو عبد الرحمن السلمي قال : أنبأ عبد الله بن محمد الرازي قال أنبأ إسحاق بن إبراهيم بن أبي حسان الأنماطي . قال: سمعت أبا سليمان يقول : من أحسن في نهاره كُوفِئَ في ليله ، ومن أحسن في ليله كُوفِئَ في نهاره ، ومن صدق في ترك الشهوة ذهب الله بها من قلبه ، والله أكرمُ من أن يعذّب قلباً بشهوة تركت له .

الجُنيد قال : قال أبو سليمان الداراني : ربما يقع في قلبي النكتة من نُكت القوم أياماً فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلْين : الكتاب والسنة .

أحمد بن أبي الحواريّ قال : سمعت أبا سليمان يقول ، وقد دخلت عليه وهو يبكي ، فقلت له : ما يبكيك ؟ فقال لي : يا أحمد ولم لا أبكي ، وإذا جنَّ الليل ونامت العيون ، وخلا كل حبيب بحبيبه ، وافترش أهل المحبة أقدامهم ، وجرت دموعهم علي خدودهم ، وقطرت في محاربيهم ، أشرف الجليل سبحانه ، فنادى جبريل عليه السلام بعيني من تلذَّذ بكلامي ، فلم لا ينادي فيهم ما هذا البكاء ؟ هل رأيتم حبيباً يعذِّب أحبابه ؟ أم كيف يجملُ بي أن أُعذِّب قوماً إذا جنّهم الليل تملَّقوني ، فبي حلفتُ إذا وردوا عليّ القيامة لأكشفنّ لهم عن وجهي الكريم حتى ينظروا إليّ وأنظر إليهم .

أحمد بن أبي الحواريّ قال : قال لي أبو سليمان : ليس العبادة عندنا أن تصفَّ قدميك وغيرك يُفت لك ، ولكن ابْدأ برغيفيْك فأحرزْهما ثم تعبَّد ، ولا خير في قلب يتوقع قرْع الباب يتوقع إنساناً يجيئه يعطيه شيئاً .

قال : وقلت لأبي سليمان : سهرت ليلة في ذكر النساء إلى الصباح . قال : فتغير وجهه وغضب علي وقال : ويحك أما استحييت منه ؟ يراك ساهرا في ذكر النساء ؟ ولكن كيف تستحيي ممن لا تعرف . قال : وسمعت أبا سليمان يقول : إذا لذّت لك القراءة فلا تركع ولا تسجد ، وإذا لذّ لك السجود فلا تركع ولا تقرأ ، الزم الأمر الذي يُفتح لك فيه وسمعت أبا سليمان يقول : من كان يومُه مثل أمس فهو في نقصان وسمعت أبا سليمان يقول : ما أُتي من أُتيَ من إبليس وقارون وبلعم إلا أن أصل نيّاتهم غش فرجعوا إلى الغش الذي في قلوبهم ، والله أكرم من أن يمن على عبد بصدق ثم يسلبه إياه .

أحمد بن أبي الحواريّ قال : سمعت أبا سليمان الداراني يقول : إذا ذكرتُ الخطيئة لم أحب الموت وقلت : أبقى لعلّي أتوب .

أبو عمران ، موسى بن عيسى الجصّاص قال : قال أبو سليمان رُدّ سبيل العُجْب بمعرفة

النفس ، وتخلص إلى إجمام القلب (١) بقلة الخُلطاء ، وتعرّض لرقة القلب بمجالسة أهل الخوف ، واستجلب نور القلب بدوام الحزن ، والتمس باب الحزن بدوام الفكرة ، والتمس وجوه الفكرة في الخلوات و تحرَّز من إبليس بمخالفة هواك ، وتزين لله بالإخلاص والصدق في الأعمال ، وتعرّض للعفو بالحياء منه والمراقبة ، واستجلب زيادة النِّعم بالشكر ، واستدم النعم بخوف زوالها ، ولا عمل كطلب السلامة ، ولا سلامة كسلامة القلب ، ولا عقل كمخالفة الهوى ، ولا فقر كفقر القلب ، ولا غنى كغنى النفس، ولا قوة كرد الغضب ، ولا نور كنور اليقين ، ولا يقين كاستصغار الدنيا ، ولا معرفة كمعرفة النفس ، ولا نعمة كالعافية من الذنوب ، ولا عافية كمساعدة التوفيق ، ولا زُهد كقصر الأمل ، ولا حرص كالمنافسة في الدرجات ، ولا طاعة كأداء الفرائض ، ولا تقوى كاجتناب المحارم ، ولا عدم كعدم العقل ، ولا فضيلة كالجهاد ، ولا جهاد كمجاهدة النفس ، ولا ذُل كالطمع، ومن لم يُحسن رعاية نفسه أسرع به هواه إلى الهلكة، ولا ينفع الهالك نجاةُ المعصوم ، ومرارة التقوى اليوم حلاوة في ذلك اليوم (٢) ، والهالك من هلك في آخر سفره وقد قارب المنزل ، والخاسر من أبدي للناس صالح عمله وبارز بالقبيح من هو أقربُ إليه من حبل الوريد .

أحمد بن أبي الحواريّ قال : سمعت أبا سليمان يقول ، وسأله رجل فقال : يا أبا سليمان ما أقرب ما تقرِّب به إليه ؟ فبكى ثم قال : مثلي يسأل عن هذا ؟ أقربُ ما تُقُرِّبَ به إليه أن يطلع من قلبك على أنك لا تريد من الدنيا والآخرة إلا هو .

وسمعت أبا سليمان يقول : ربما أقمت في الآية الواحدة خمس ليال ولولا أني أدع الفكر فيها ما جُزْتُها (٣) أبداً ولربما جاءت الآية من القرآن تُطيّر العقل فسبحان الذي رده إليهم .

قال أحمد : وقلت لأبي سليمان : إن فلاناً وفلاناً لا يقعان على قلبي . قال : ولا على قلبي ، ولكن لعلنا أتينا من قلبي وقلبك فليس فينا خير ولسنا نحب الصالحين .

أحمد بن أبي الحواريّ قال : سمعت أبا سليمان يقول : إذا اعتقدت النفوس ترك الآثام جالتْ في الملكوت وعادت بطرائف الحكمة من غير أن يؤدي إليها عالم علماً . قلت سمع أبو سليمان الداراني الحديث الكثير ولقي سفيان الثوري وغيره ، ولكنه اشتغل بالتعبّد عن الرواية إلا أنني وجدت له ثلاثة أحاديث مُسندة :

الحديث الأول ـ أبو سليمان الدّاراني قال : سمعت على بن الحسن بن أبي الربيع

---

(١) إجمام القلب : راحته . (٢) أى : يوم القيامة . (٣) أى : ما تجاوزتها إلى غيرها .

الزاهد يقول : سمعت إبراهيم بن أدهم يذكر عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « من صلّى قبل الظهر أربعاً غُفر له ذُنوبُ يومه ذلك »[1] .

قال الخطيب : لا أحفظ لأبي سليمان حديثاً مسنداً غيره .

الحديث الثاني – أبو سليمان الداراني قال : أنبأ عليّ بن الحسن بن أبي الربيع قال حدثنا إبراهيم بن أدهم قال : سمعت محمد بن عجلان يذكر عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : « من تواضع لله عز وجل رفعه الله » [2] .

الحديث الثالث ـ أبو سليمان الدّاراني قال : حدّثني شيخ بساحل دمشق يُقال له علقمة ابن يزيد بن سُويد الأزدي قال : حدثني أبي عن جدي سويد بن الحارث قال : وفَدْتُ على رسول الله ﷺ سابع سبعة من قومي ، فلما دخلنا عليه وكلَّمنا أعجبه ما رأى من سَمْتنا وزِيِّنا . فقال : ما أنتم ؟ قلنا مؤمنون ، فتبسم وقال : إن لكل قول حقيقةً فما حقيقة قولكم وإيمانكم ؟ قال سويد : قلنا خمس عشرة خصلة : خمس منها أمرتْنا رُسُلك أن نؤمن بها ، وخمسٌ منها أمرتنا رُسلك أن نعمل بها ، وخمس منها تخلّقنا بها في الجاهلية ، فنحن عليها إلا أن تكره منها شيئاً . فقال رسول الله ﷺ : « وما الخمسُ التي أمرتكم رُسلي أن تؤمنوا بها ؟ قلنا : أمرَتْنا رُسلك أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت . قال : وما الخمسُ التي أمرتكم أن تعملوا بها ؟ قلنا : أمرتنا رسلك أن نقول : لا إله إلا الله ونُقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونصوم رمضان ويحج [illegible] استطاع إليه سبيلاً . قال : وما الخمس التي تخلّقتم بها أنتم في الجاهلية ؟ قلنا : الشكر عند الرّخاء ، والصبر عند البلاء ، والصدق في مواطن اللقاء ، والرضا بمُرّ القضاء ، والصبر عند شماتة الأعداء . فقال النبي ﷺ : « عُلماء حُكماء كادوا من صدقهم ان يكونوا أنبياء . ثم قال ﷺ : وأنا أزيدكم خمساً فتتمّ لكم عشرون خصلة: إن كنتم كما تقولون فلا تجمعوا ما لا تأكلون ، ولا تَبْنوا ما لا تَسْكنون ، ولا تنافسُوا في شيء أنتم عنه تزُولون ، واتقوا الله الذي إليه ترجعون وعليه تُعْرضون ، وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلُدون » [3] . قال أبو سليمان : وقال لي علقمة بن يزيد : فانصرف

---

(١) رواه ابن ماجة (١١٦٠) ، وانظر : إتحاف السادة المتقين (٥/ ١٤٥) ، والبداية والنهاية (١٠/ ٢٥٥) .

(٢) انظر : الإتحاف (٧/ ١٢٦) ، وأورده الحافظ في « المجمع » (١٠/ ٢٥٣) مطولاً ، وعزاه للبزار وقال : وفيه ممن أعرفه اثنان . اهـ .

(٣) عزاه الحافظ العراقى لأبى نعيم فى الحلية ، والبيهقى فى الزهد ، والخطيب فى التاريخ من حديث سويد بن الحارث بإسناد ضعيف . اهـ . (المغنى : ١/ ٥٧) .

القوم من عند رسول الله ﷺ وحفظوا وصيته وعملوا بها ، ولا والله يا أبا سليمان ما بقي من أولئك النفر ولا من أولادهم أحد غيري . قال وما بقي إلا أيام قلائل ثم مات رحمه الله . توفي أبو سليمان الدّاراني سنة خمس ومائتين وقال أبو عبد الرحمن السلمي سنة خمس عشرة والأول أصحّ .

٧٥٨ ـ عبد العزيز بن عمير أصله من خراسان لكنه سكن دمشق

أحمد بن محمد بن أبي موسى الأنطاكي قال : سمعت أحمد بن أبي الحواريّ يقول : سمعت عبد العزيز بن عمير يقول : ترى نور الجلال عليهم وأثر الخدمة بين أعينهم . ثم قال عبد العزيز : إن الرجل لينقطع إلى بعض ملوك أهل الدنيا فيُرى أثرُه عليه ، فكيف بمن ينقطع إلى الله عز وجل كيف لا يُرى أثره عليه .

قال أحمد بن وديع : سمعت عبد العزيز بن عُمَير يقول : الصيام سجن المؤمن عن الدنيا .

أبو خزيمة قال : سمعت عبد العزيز بن عمير يقول : النَّفْسُ أمّارة بالسوء ، فإذا جاء العزْمُ من الله عز وجل كانت هي التي تنازعُكَ إلى الخير .

٧٥٩ ـ مروان بن محمد

أحمد بن أبي الحواريّ قال : سمعت مروان بن محمد يقول : إني أخبرك بشيء يا أحمد ما كلّمتُ به أحداً قطّ قبلك : ما أنا لشيء أخوف مني من أن يُختَم لي بكفرٍ .

ومن الطبقة السابعة

٧٦٠ ـ مضاء بن عيسى(١)

أحمد بن أبي الحواري قال : سمعت مضاء بن عيسى يقول : خف الله يُلهمْك واعمل له لا يُلْجئْك إلى دليل .

أحمد بن أبي الحواريّ قال : سمعت مضاء بن عيسى يقول : إذا وصلوا إليه لم يرجعوا عنه ، إنما رجع من رجع من الطريق .

قاسم الجُوعي قال : سمعت مضاء بن عيسى يقول : من رجا شيئاً طلبه ، ومن خاف من شيء هرب منه ، ومن أحبّ شيئاً آثره على غيره .

أسند مضاء عن شعبة . وسمع من عيره .

---

(١) الحلية (٩/ ٣٢٤) .

٧٦١ أبو كريمة العبدى[١]

عيسى بن الهذيل قال : سمعت أبا كريمة ، وكان من عُبّاد أهل الشام ، يقول : ابن آدم ليس لما بقي من عمرك ثمن .

٧٦٢ ـ بشير الطبرى[٢]

سكن الشام أبو عمرو الكندي قال : أغارت الروم على جواميس لبشير الطبري نحواً من أربعمائة جاموس ، فركبتُ معه أنا وابن له فلقينا عبيدهُ الذين كانت معهم الجواميس معهم عصيُّهم فقالوا : يا مولانا ذهبت الجواميس فقال : وأنتم أيضاً اذهبوا معها فأنتم أحرار لوجه الله تعالي . فقال له ابنه : يا أبه افقرتنا . قال : اسكت إن ربي اختبرني فأردت أن أزيده .

ومن الطبقة الثامنة

٧٦٣ ـ القاسم بن عثمان الجوعى[٣]

أحمد بن أبي الحواريّ قال : سمعت القاسم الجوعي الكبير يقول : شبع الأولياء بالمحبة عن الجوع ففقدوا لذاذة الطعام والشراب والشهوات ولذات الدنيا لأنهم تلذذوا بلذة ليس فوقها لذة فقطعتهم عن كل لذة ، وإنما سميت قاسماً الجوعي لأن الله تعالى قوّاني على الجوع ، فلو تركت ما تركت ولم أوت بالطعام لم أبال رُضْتُ نفسي حتى لو تركت شهراً أو ما زاد لم تأكل ولم تشرب ، لم تُبال ، أنا عنها راضٍ أسوقها حيث شئتُ اللهم أنت فعلت بي ذلك فأتمّه عليّ .

أحمد بن عبد الله الحافظ قال : كان القاسم يقول : حبّ الرياسة أصل كل موبقة ، وقليلُ العمل مع المعرفة خير من كثير العمل بلا معرفة ، ورأس الأعمال الرصا عن الله عز وجل والورع عماد الدين ، والجوع مُخّ العبادة ، والحصن الحصين ضبط اللسان .

سعيد بن عبد العزيز الحلبي قال : سمعت قاسماً الجوعي يقول : أصل الدين الورع ، وأفضل العبادة مكابدة الليل ، وأفضل طرق الجنة سلامة الصدر .

عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازي قال : دخلت دمشق على كتبة الحديث فمررت بحلقة قاسم الجوعي فرأيت نفراً جلوساً حوله وهو يتكلم عنيهم ، فهالني منظرهم ، فتقدمت إليه فسمعته يقول اغتنموا من زمانكم خمساً : إن حضرتم لم تعرفوا ، وإن غبتم لم تُفتقدوا، وإن شهدتم لم تشاوروا وإن قلتم شيئاً لم يُقبل قولكم ، وإن عملتم شيئاً لم

---

(١) المصدر السابق (١٠/١٤١) . (٢) المصدر السابق (١٠/ ١٣٠) .

(٣) المصدر نفسه (٩/ ٣٢٢) ، وسير الأعلام (١٢/ ٧٧) .

تُعطوا به . أوصيكم بخمس أيضاً ، إن ظُلمتم لم تظلموا ، وإن مدحتم لم تفرحوا ، وإن ذممتم لم تجزعوا ، وإن كُذّبتم فلا تغضبوا ، وإن خانوكم فلا تخونوا . قال : فجعلت هذا فائدتي من دمشق .

أسند قاسم عن سفيان بن عُيينة وغيره .

٧٦٤ ـ أحمد بن أبي الحواري(١)

يكنى : أبا الحسن . واسم أبي الحواريّ : ميمون .

سكن دمشق وكان له ابن يقال له عبد الله من الزّهاد ، وأخ يقال له محمد يشبهه في الورع والزهد ، وأبوه أبو الحواريّ من أهل الورع أيضاً . فبيتُهم بيتُ الورَعِ والزُّهْد .

وكان الجُنيد يقول : أحمد بن أبي الحواريّ رَيْحانَةُ الشام .

يحيى بن معين ، وذكر أحمد بن أبي الحواريّ فقال : أظن أهل الشام يسقيهم الله الغيث به .

محمود بن خالد ، وذكر أحمد بن أبي الحواريّ فقال : ما أظنه بقي على وجه الأرض مثلُه .

العباس بن حمزة قال : سمعت أحمد بن أبي الحواريّ يقول : من أحب أن يُعرف بشيء من الخير أو يذكر به فقد أشرك في عبادته ، ومن عبد على المحبة لا يحبّ أن يرى خدمته سوى محبوبه . وقال : إني لأقرأ القرآن فأنظر في آية آية فيحارُ عقلي فيها فأعجب من حفاظ القرآن كيف يهْنيهم النوم ويسعُهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتلُون كلام الرحمن ؟ أما لو فهموا ما يتلون وعرفوا حقه وتلذّذوا به واستحْلوْا المناجاة به لذهب عنهم النوم فرحاً بما رُزقوا .

العباس بن حمزة قال : قال أحمد بن أبي الحواريّ : كلما ارتفعت منزلة القلب كانت العقوبة إليه أسرع .

أسند أحمد بن أبي الحواري عن حفص بن غياث وأبي معاوية ووكيع ونظرائهم . وتوفي في سنة ثلاثين ومائتين .

٧٦٥ ـ محمد بن سَمُرة السائح

يوسف بن أسباط قال : كتب إليّ محمد بن سمُرة السائح بهذه الرسالة : أيْ أخي ، إياك وتأمير التسويف على نفسك وإمكانه من قلبك فإنه محلّ الكلال وموئل التلف ، وبه

(١) المصدر السابق (١٢/ ٨٥) ، والحلية (١٠/ ٥) .

تقطع الآمال وفيه تنقطع الآجال ، فإنك إن فعلت ذلك أدلته من عزمك فاجتمع وهواك عليك فغلبا واسترجعا من بدنك من السآمة ما قد ولّي عنك ، فعند مراجعته إياك لا تنتفع نفسك من بدنك بنافعة ، وبادر يا أخي فإنك مبادرٌ بك ، وأسرع فإنك مُسرَع بك ، وجدّ فإن الأمر جدٌّ ، وتيقظ من رقدتك وانتبه من غفلتك ، وتذكر ما أسلفت وقصّرت ، وأفرطت وجنيت وعملت فإنه مُثْبَتٌ محصيٌّ ، وكأنك بالأمر قد بغتك فاغتبطت بما قدمت وندمت على ما فرّطت ، فعليك بالحياء والمراقبة والاعتزال وقلّة الملاقاة. فإن السلامة في ذلك موجودة ، وفقنا الله وإياك لأرشد الأمور ولا قوة بنا وبك إلا بالله وصلى الله على سيدنا محمد نبينا وعلى آله الطاهرين .

٧٦٦ ـ أبو عبّاد الشامي

إبراهيم بن منصور بن عمار قال : سمعت أبي يقول : قال لي رجل بالشام : يا أبا السَّريّ عندنا رجل من العبّاد من أهل واسط العراق لا يأكل إلا من كد يديه ، وقد دبرتْ من سفٍّ الخوص صفحةُ يديه ولو رأيته لوقذك (١) النظر إليه ، فهل لك أن تمضي بنا إليه؟ قلت : نعم فأتيناه فدققنا عليه بابه فخرج إلى الباب فسمعته يقول : اللهم إني أعوذُ بك ممن جاء ليشغلني عما أتلذّذُ به من مناجاتك ، ثم فتح الباب فدخلنا فإذا رجل ترى به الآخرة ، وإذا قبر محفور ووصيته قد كتبها في الحائط ، وكساؤه قد أعدّه لكفنه . فقلت أيّ موقف لهذا الخلق ؟ فقال : بين يدي من ؟ قال : ثم صاح وخرّ لوجهه . ثم أفاق من غشيته فقال له صاحبي : يا أبا عبّاد هذا أبو السريّ منصور بن عمار ، فقال لي: مرحباً يا أخي ما زلت إليك مشتاقاً . أعلمك أنّ بي داء قد أعيا المتطببين قبلك قديماً، فهل لك أن تتأتى له برفقك وتلصق عليه بعض مراهمك لعل الله أن ينفع بك ؟ .

قال : قلتُ : وكيف يعالج مثلي مثلك وجرحي أنغَلُ من جرحك (٢) ؟ قال : وإن كان كذلك فإني مشتاق إلى ذلك . قال : قلت : إن كنت تمسكت باحتفار قبرك في بيتك وبوصيّة رسمتها بعد وفاتك وبكفن أعددته ليوم موتك ، فإن لله عز وجل عباداً اقتطعهم خوفه عن النظر إلى قبورهم . قال : فصاح صيحة ووقع في قبره ، وجعل يفحص برجليه، وبال فعرفت ذهاب عقله . فخرجت إلى طحان على بابه فقلت ادخل فأعنّا على هذا الشيخ ، فاستخرجناه من قبره وهو في غشيته فقال لي الطحان : ويحك ما صنعت ؟ فخرجت وتركته صريعاً ، فلما كان الغد عُدت إليه فإذا بسلخ في وجهه ، وإذا بشريط قد شد به رأسه لصداع وجده . فلما رآني قال : يا أبا السريّ المعاودة رحمك

---

(١) أي : آذاك .

(٢) أي : أكثر فساداً وسوءاً .

الله ، فقلت له : أين بلغت أيها المتعبّد من أحزانك بالله ؟ لكأني أنظر إلى آكل الفطير والصابر على خبز الشعير ، يأكل ما اشتهى ويُسعى عليه بلحم طير ، ويُسقى من الرحيق المختوم فشهق شهقةً فحرّكتُه فإذا هو قد فارق الدنيا .

٧٦٧ ـ على بن الفتح الحلبى

أبو زُرعة الدمشقي قال : خرج عليّ بن الفتح الحلبي يوم النحر ، فرأى الناس يتقربون إلى الله تعالى . فقال : يا ربّ أرى الناس يتقربون إليك بألوان الذبائح وإني تقرّبت إليك بحزني ، ثم غُشي عليه فأفاق ، ثم قال : إلهي ، إلى متى تُرَدِّدُني في دار الدنيا محزوناً ؟ فاقبضني إليك . فوقع من ساعته ميتاً .

٧٦٨ ـ على بن عبد الحميد الغضائرى(١)

محمد بن الحسن اليقطيني ، ومحمد بن إبراهيم ، يقولان : سمعنا عليّ بن عبد الحميد الغضائري يقول : دَققتُ على السريّ بن مُغلِّس بابه فسمعته يقول : اللهم من شغلني عنك فاشغله بك عني . فكان من بركة دعائه أني حججتُ من حلب ماشياً على قدميّ أربعين عاماً . وكان يُعَدُّ من الأبدال .

أسند الغضائريّ الحديث عن سَوّار بن عبد الله .

٧٦٩ ـ جابر الرحبى(٢)

أبو جعفر الخصّاف قال : حدثني جابرٌ الرّحَبيّ قال : أكثر عليّ أهلُ الرّحبَة يُنكرون عليّ ما يعطي الله عز وجل أولياءه ، فخرجتُ إلى خارج فركبت السّبُعَ ودخلتُ إلى الرحبَة وأنا أقول : أين الذين يُكذّبون أولياء الله عز وجل ؟ فكفوا عني بعد ذلك .

وقال أبو جعفر الخصّاف : قال لي جابر يوماً وأنا أُماشيهُ مُرَّ بنا نتسابقُ ، مُرّ أنت هكذا حتى أمُرّ أنا هكذا . قال : فمررتُ أنا على الجسر . فلما حصلت على الجسر التفتّ فإذا هو يمشي على الماء . فلما التقينا قلت : من لا يُحسنُ مثل هذا ؟ أمشي أنا على الجسر وتمشي أنت على الماء . قال : فقال : وقد رأيتني ؟ قلت : نعم . قال : أنت رجل صالح.

٧٧٠ ـ أبو عبيد البسرى

وبسرى فوق دمشق .

عن محمد ، غلام أبي عُبيد ، قال : ودّعت أبا عبيد حين أردت الحج ، فقال لي :

---

(١) الحلية (١٠/٣٦٦) .

(٢) المصدر السابق (١٠/١٦٦) .

معك شيء ؟ قلت : لا ، ليس معي غير هذه الركوة [1] . فقال : إذا أردت شيئاً أو جعت أو عطشت فصلّ ركعتين واجعلها على يمينك ، فإذا سلّمت رأيت كل ما تحبّ ، قال : فجئت إلى بعض المنازل وليس فيه ماء ، والناس يصيحون : العطش . فقلت في نفسي : قد قال أبو عبيد ما قال وهو صادق . فأخذت الركوة فرميت بها في مصنع [2] وصلّيت ركعتين ، فما سلّمت إلا والرياح تذهب بها وتجيء على رأس الماء . فنزلت فأخذتُ الركوة ثم صحتُ بالناس فجاءوا واستقوا حتى رَوُوا .

أبو بكر بن معمر قال : سمعت ابن أبي عبيد البُسري يحدِّثُ عن أبيه أنه غزا سنة من السنين ، فخرج في السرية . فمات المهر الذي كان تحته وهو في السرية فقال : يا ربّ أعرنا إياه حتى نرجع إلى بُسرى يعني قريته . فإذا المهر قائم . قال : فلما غزا ورجع إلى بسرى، قال : يا بنيّ خذ السّرج عن المُهر . قال : قلت يا أبت هو عَرِقٌ ، فقال لي : يا بنيّ هو عارية فلما أخذت السرج وقع المهر ميتاً .

أبو زرعة قال : كان أبو عبيد البُسريّ بعرفة وإلى جانبه ابنه . فقال له : يُهنئك الفارس، فقال له : يا أبت وأيُّ فارس ؟ فقال له : وُلدَ لك الساعة غلام ، فلما صرنا إلى بسرى وجدتُ زوجتي قد ولدت غلاماً يوم عرفة .

عبدُ الله غلامٌ لأبي عبيد قال : كنت معه يوماً قاعداً بدمشق أنا وجماعة من إخوانه ، إذ مر رجل على دابة وخلفه غلام له يعدو ، وقدامه بيده غاشيةٌ [3] . فلما حاذى أبا عبيد قال: اللهم أعتقني وأرحْني منه . ثم قال : ادعُ الله عز وجل لي . فقال أبو عبيد : اللهم أعتقه من النار ومن الرقّ . فعثرت الدابة بمولاه فسقط إلى الأرض . فالتفت إلى الغلام وقال له : أنت حر لوجه الله عز وجل . قال : فرمى بالغاشية إليه وقال : يا مولاي أنت لم تعتقني وإنما أعتقني هؤلاء . فصحب أصحابنا وتوفي بينهم .

ابن أبي حسان قال : قال لي أبو عُبيد البُسريّ يوماً : يا أبا حسان ما غمّي ولاأسفي إلا أن يجعلني ممن عفا عنه . فقلت : يا أخي ، الخلق على العفو تذابحوا . فقال . أجل . ولكن أيّ شيء أقبح بشيخ مثلي يوقف غداً بين يدي الله عز وجل ، فيقال له : شيخ سوء كنتَ ، اذهب فقد عفوتُ عنك ؟ إنما أنا أملي في الله عز وجل أن يهب لي كل من أحبّني .

---

(١) الركوة : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء ، والدلو الصغير .

(٢) المصانع : الأماكن العظيمة : كالآبار والقرى والحصون والقصور وغيرها .

(٣) الغاشية : الغطاء ، وفى القرآن ﴿ وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ .

٧٧١ ـ أبو بكر الهلالي

محمد بن علي الصوري قال : سمعت أبا القاسم الحسن بن عبد الله بن أحمد بن هاشم الشيخ الصالح قال : سمعت أبا بكر الهلالي يقول : من عُنى بمجاهدة الأسرار اشتغل عن الحكايات والأخبار .

وسمعته يقول ، رموا بهممهم إلى أعلى الفضائل ، وضيّعوا الفرائض ، فلا إلى هممهم وصلوا ، ولا قاموا بقليل ما به وُكلوا ، ومن قام بقليل ما وُكّل به اؤتمن على الكثير ، ومن لم يقم بقليل ما وُكّل به لم يؤتمن على قليل ولا كثير .

وسمعته يقول : وأشار إلى شجرة في منزله فقال : هذه الشجرة ما نظرت إليها نظرة فرجع طَرْفي إلا بعقوبة أو توبيخ في سرّي ، يقال لي : تكون بين أيدينا وتنظر إلى سوانا؟ .

وسمعته يقول : كنت أتمنى على الله أن يُرينى أبا العباس الخضر عليه السلام . فلما كان بعد مدة إذا أنا بالباب يُدَقّ عليّ . فقلت : من هذا ؟ فقال لى : أنا الذى تتمنانى على الله عز وجل أنا الخَضِر . فقلت له : الذي طلبناك له قد وجدناه . ارجع إلى حال سبيلك .

ذكر المصطفين من عباد بيت المقدس

٧٧٢ ـ إدريس بن أبى خولة الأنطاكى

عمر بن واصل ، عن سهل بن عبد الله قال : مرض رجل من أولياء الله عز وجل مرضاً مُشْكلاً . فكان الناس إذا رأوه قالوا : به جنّة فأكثر عليه القول فلما عظُم كلام من تكلم في أمره قالوا له نعالجك ؟ فقال لهم : يا قوم اعلموا أن لي طبيباً إن سألتُه داوى كل عليل ، لكني أنا لا أسأله أن يُداويني ، فقيل له ولم ذاك وأنت تحتاج إلى الدواء ؟ فقال : أخشى إن برأتُ من هذه العلة طغيتُ . فقيل له : فإنّ لنا مجنوناً فسل طبيبك هذا أن يداويهُ . فقال : نعم إيتوني به ، فأتوه برجل في عنقه غُلٌ عظيم ويداه مشدودة إلى عنقه في قيد ثقيل ، قد استمكنت منه العلة . فقال لهم خلّوني معه .

فعمد جُهّال القوم إلى يده فحلّوها وأدخلوه معه في البيت الذي كان فيه ، وأغلقوا عليه الباب ، وهم يظنون أن سيُفْضي إليه بمكروه ، فلما كان بعد ساعة صاحوا به فأجابهم وخرج إليهم وكلمهم كلام عاقل وهو يبكي بكاء شديداً . فقالوا له : خبرنا بقصتك وما كان فقال : دخلت على هذا الرجل وأنا على ما قد علمتم من علّتي لا أعقل شيئاً كما رأيتموني ، فقربني منه وأدناني وجعل يده على صدري والأخرى على رأسي ، فأحسست بطعم البُرء يدبّ في جسمي حتى زال ما بي . فقالوا له : ادخل معنا إليه فسله يدعو الله

عز وجل لنا ، فدخل مع القوم إليه فلم يجدوه في البيت وستره الله عز وجل عنهم ، فمن عقل منهم عظُمت ندامته وكثر أسفه . قال سهل : وهذا الرجل من بيت المقدس يقال له إدريس بن أبي خولة الأنطاكي .

٧٧٣ ـ عبد العزيز المقدسي

أبو بكر بن شاذان قال : سمعت عبد العزيز المقدسي يقول ، وكان من الأبدال : لما بلغت الحُلم أخذت على نفسي أن أُروضها وأمنعها من الآثام واستوفقتُ الله تعالى فوفقني، واستعنت به فأعانني . ولقد حاسبتُ نفسي من يوم بلوغي إلى يومي هذا فإذا زلاتي لا تجاوز ستةً وثلاثين زلّة . ولقد استغفرت الله عز وجل لكل زلّة مائة ألف مرة ، وصلّيت لكل زلة ألف ركعة ، ختمت في كل ركعة منها ختمة ، وإني مع ذلك غير آمنٍ سطوة ربي عز وجل أن يأخذني بها وأنا على خطر قبول التوبة .

ذكر المصطفين من العباد المقدسيين المجهولي الأسماء

٧٧٤ ـ عباد ثلاثة

بشر بن بشّار المجاشعي ، وكان من العابدين ، قال : لقيت عُبّاداً ثلاثة ببيت المقدس، فقلت لأحدهم : أوصني قال : ألق نفسك مع القدر حيث ألقاك ، فهو أحرى أن يُفرغ قلبك ويُقِلّ همّك ، وإيّاك أن تسخط ذلك فيحلّ بك السخط وأنت منه في غفلة لا تشعر به. وقلت للآخر : أوصني ، قال : ما أنا بمستوصٍ فأوصيك ، قلت : على ذاك عسى الله عز وجل أن ينفع بوصيّتك . قال : أما إذْ أبيت إلاّ الوصية فاحفظ عني : التمس رضوانه في ترك مناهيه فهو أوصل لك إلى الزّلْفَى لديه . قال : فقلت للآخر : أوصني فبكى واستحرّ سفحاً للدموع ثم قال : أي أخي لا تَبْتَغِ من أمرِك تدبيراً غير تدبيره فتهلك فيمن هلك ، وتضِلْ فيمن ضلّ .

٧٧٥ ـ عباد سبعة

أحمد بن محمد الصوفي قال : قال لي أستاذي أبو عبد الله بن أبي شيبة : كنت ببيت المقدس وكنت أحبُّ أن أبيت في المسجد وما كنت أترك . فلما كان في بعض الأيام بصُرتُ في الرِّواق بحُصْرٍ قائمة ، فلما أن صليت العتمة وراء الإمام أتيت الحُصْر فأختبأت وراءها ، وانصرف الناس والقوّام ، ثم خرجت إلى الصحن فلما سمعت غلق الأبواب وقعتْ عيني على المحراب فنظرت إليه وقد انشقَّ ودخل منه رجل وثاني وثالث إلى أن تمّ سبعة واصطفّ القوم وزال عقلي ، فلم أزل واقفاً في موضعي شاخصاً زائل العقل إلى أن انفجر الصبح فخرج القوم على الطريق الذي دخلوا .

٧٧٦ ـ عابد آخر

كلاب بن جُريّ قال : رأيت شاباً ببيت المقدس قد عمش من طول البكاء ، فقلت له : يا فتى كم تكون العين سليمة على هذا البكاء ؟ قال : فبكى ثم قال : كما شاء ربي فلتكن ، وإذا شاء سيدي فلتذهب فليست أكرم عليّ من بدني . إنما أبكى رجاء السرور والفرح في الآخرة ، وإن تكن الأخري فهو والله شقاءُ الدهر وحُزن الأبد والأمر الذي كنت أخافه وأحذره على نفسي ، وإني احتسبتُ على الله عز وجل غفلتي عن نفسي وتقصيري عن حظي ، ثم غُشِيَ عليه .

٧٧٧ ـ عابد آخر

عبَّاد بن عبَّاد ، أبو عُتبة الخوّاص ، قال : رأيت شيخاً في مسجد بيت المقدس كأنه قد احترق بالنار ، عليه مدْرَعة سوداء ، وعمامة سوداء ، طويل الصمت ، كريه المنظر ، كثير الشعر ، شديد الكآبة . فقلت : رحمك الله لو غيرت لباسَك هذا ، فقد علمت ما في البياض . فبكى ثم قال : هذا أشبه بلباس أهلِ المصيبة ، فإنما أنا وأنت في الدنيا في حداد وكأني بي وبك قد دُعينا . قال : فما تم كلامُه حتى غُشِيَ عليه .

٧٧٨ ـ عابد آخر

أبو مُدرك عثمان بن وكيع العبدي قال : جاء رجل إلى بيت المقدس فمدّ كساءه في ناحية المسجد فكان فيه الليل والنهار ، طُعامه خلف ذلك الكساء الذي قد مدّه . قال : فيبيت ليله أجمع يصلّي فإذا طلع الفجر مدّ بصوتٍ له : عند الصباح يَغْبِط القومُ السُّرى . قال : وكان يقال له : ألا ترفُق بنفسك ؟ فيقول : إنما هي نفسي أبادرها أن تخرج .

٧٧٩ ـ عابد آخر

ذو النون قال : نظرت إلى رجل في بيت المقدس قد استفرغه الولهُ فقلت له : ما الذي أثار منك ما أرى ؟ قال : ذهب الزهّاد والعبّاد بصفو الإخلاص وبقيت في كدر الانتقاص، فهل من دليلِ مُرشدٍ أو من حكيمٍ مُوقظٍ ؟ .

٧٨٠ ـ عابد آخر

سمنون قال : كنت ببيت المقدس في برد شديد ، وعليّ جبّة وكساءٌ ، وأنا أجد البرد والثلج يسقط ، فرأيت شاباً عليه خِرْقتان في الصحن يمشي ، فقلت : يا حبيبي لو استَتَرْت ببعض هذه الأروقة فيكنَّك من البرد . فقال لي : يا أخي سمنون :

ويُحْسِن ظنّي أنني في فِنائه * وهل أحدٌ في كنّه يجد البَرْدا .

ومن عقلاء المجانين ببيت المقدس

٧٨١ ـ شاب

بلغنا عن أبي الجوّال المغربي قال : كنتُ ببيت المقدس جالساً مع رجل صالح وإذا قد طلع علينا شابّ والصبيان حوله يقذفونه بالحجارة ويقولون : مجنون فدخل المسجد وهو ينادي اللهم أرحني من هذه الدار . فقلت له : هذا كلام حكيم فمن أين لك هذه الحكمة؟ فقال : من أخلص له في الخدمة أورثه طرائف الحكمة وأيّده بأسباب العصمة ، وليس بي جُنون ووَلَق ، بل قَلَق وفرَق . ثم جعل يقول :

هَجَرتُ الورَى[1] في حبّ من جاد بالنِّعَمْ ... وعِفْتُ الكرى [2] شوقاً إليه فلم أنَمْ

وموّهت دهري بالجنون عن الورَى ... لأكتُم ما بي من هواه فما انْكتَمْ

فلما رأيتُ الشّوق والحبّ بائحاً ... كشفتُ قناعي ثم قلت : نعنم نعمْ

فإن قيل مجنونٌ فقد جنّني الهوى ... وإن قيل مِسقامٌ فما بي من سَقَمْ

وحقّ الهوى والحبّ والعهد بيننا ... وحُرمة رُوح الأنسِ في حِندس الظُلَم[3]

لقد لامني الواشُون فيك جَهالةً ... فقلتُ لطرْفي أفصح العُذر فاحتشَمْ

فعاتبهم طَرْفي بغير تكلّم ... وأخبرهم أن الهوى يورث السّقَمْ

فبِالحِلْم يا ذا المنّ لا تُبعدَنّني ... وقرب مَزاري منك يا باريء النَّسَمْ

فقلت له : أحسنت لقد غلط من سمّاك مجنوناً ، فنظر إليّ وبكى وقال : أو لا تسألني عن القوم كيف وصلوا فاتصلوا ؟ فقلت : بلي أخبرني ؟ فقال : طهَّروا له الأخلاق ، ورضُوا منه بيسير الأرزاق ، وهاموا من محبتّه في الآفاق ، وائتزروا بالصدق، وارتدوا بالإشفاق ، وباعوا العاجل الفاني بالآجل الباقي ، وركضوا في ميدان السباق ، وشمّروا تشمير الجهابذة الحُذّاق ، حتى اتصلوا بالواحد الرزّاق ، فشرّدهم في الشواهق وغيّبهم عن الخلائق ، لا تُؤويهم دارٌ ولا يُقرّهم قرار ، فالنظر إليهم اعتبار ، ومحبتهم افتخار ، وهم صفوة الأبرار ، ورهبان أخيار ، مدحهم الجبّار ووصفهم النبيّ المختار ، إن حضروا لم يُعرفوا ، وإن غابوا لم يُفتقدوا ، وإن ماتوا لم يُشهدوا . ثم أنشأ يقول :

كُن من جميع الخلق مُسْتوحشاً ... من الوَرى تسري إلى الحق

واصبر فبالصّبر تنال المُنى ... وارضَ بما يجري من الرزقِ

---

(١) الورى : الخلق . (٢) الكرى : النعاس .
(٣) الحندس : الظلمة الشديدة .

واحـذَرْ من النّطق وآفاتـه　　فآفَةُ المُؤمـــــن في النّطْقِ
وجدَّ في السَّير مُمراً كَمَا　　شَمَّــر أهلُ السَّبق لِلسَّبْقِ
أُولئـك الصَّفْوَة ممَّن سَمَا　　وخيـــرةُ الله مـن الخَلْقِ

قال : فأُنسِيت الدنيا عند حديثه ، ثم ولّى هارباً فأنا متأسّف عليه .

ذكر المصطفيات من عابدات بيت المقدس

٧٨٢ ـ طافية

عن عطاء الخراساني قال : كانت امرأة عابدة يقال لها : طافية ، تأتي بيت المقدس تتعبّد فيه ، وكان وَهْب بن منبّه يقول : يا طافية ما أشدّ العمل عليك ؟ فتقول : ما أجِدُني أجد شيئاً عليّ من طول الفكر . قال : وكيف ذلك ؟ قالت : إني إذا تفكرّت في عظمة الله عزّ وجل وأمْر الآخرة طاش عقلي وأظلم عليّ بصري ، واسْتَرخَت لذلك مفاصلي . فقال لها وهب بن منبه : إذا أنت وجدت ذاك فافزعي إلى قراءة القرآن في المصحف .

٧٨٣ ـ لبابة

محمد بن روح قال : قالت لُبابة المتعبّدة في بيت المقدس : إني لأستحي منه أن يراني مشتغلة بغيره .

محمد بن روح قال : قالت لُبابة المتعبّدة : ما زلتُ مجتهدةً في العبادة حتى صرتُ أستروح بها ، وإذا تعبت من لقاء الخلق آنسني بذكره ، وإذا أعياني الخلق روّحني التفرغ لعبادة الله عز وجل والقيامُ إلى خدمته . وقال لها رجل : هو ذا أريد الحج فماذا أدعو بالموسم ؟ فقالت : سلِ الله تعالى شيئين : أن يرضى عنك ويبلغك منزل الرّاضين عنه، وأن يجعل ذكرك فيما بينَ أوليائه .

ذكر المصطفيات من المجهولات الأسماء

٧٨٤ ـ عابدة

عن أبي جعفر السّائح قال : رأيت عجوزاً في بيت المقدس تقول : حجَجْتُ ماشية إثنتى عشرة حجة ما ركبتُ فيها ، أشتري كل سنة بأربعة دراهم سقطاً [١] ، فيكون زادي في ذهابي ومُنْصرفي . قال : فقلت لها : في بيت المقدس مثلك من المتعبدات ؟ قال :

---

(١) السقط : الردئ الحقير من المتاع والطعام ، ومنه قيل لأحشاء الذبيحة كالكرشي والمصران : سقط .

فذكرت نسوة يفعلن مثل ما تفعل . قالت : فإذا رجعنا حملنا مغازلنا إلى المسجد فلا نخرج منه إلا لحدث أو لحاجة . قلت : وكم بقي اليوم من هذه الصفة ؟ قالت : نحوٌ من عشرة . قلت : فمن أعبدُكُنّ ؟ قالت : امرأة من قريش ما نراها تكلم أحداً إنما هي في الصلاة قائمة وراكعة وساجدة يأتيها أهلها بما يُصلحها .

٧٨٥ ـ عابدة أخرى

عن أبي سليمان الدّاراني قال : حدثني سعيد الأفريقي قال : كنت ببيت المقدس مع أصحاب لي في المسجد فإذا أنا بجارية عليها درع شعر وخمار من صوف ، فإذا هي تقول: إلهي وسيدي ما أضيق الطريق على من لم تكن دليله وأوحش خلوة من لم تكن أنيسه. فقلت : يا جارية ما قطع الخلق عن الله عز وجل ؟ قالت حب الدنيا إلا أن لله عز وجل عباداً أسقاهم من حبه شربةً فولهت قلوبهم فلم يُحبّوا مع الله عز وجل غيره . ثم قالت « تنشد » :

تَـــزوَّد قريناً مـــن فِعالك إنما ... قَرين الفتى في القبر ما كان يعملُ
ألا إنمـــا الإنسان ضيفٌ لأهلِه ... يُقيـــم قليلاً عندهـــم ثم يرحل

٧٨٦ ـ عابدة أخرى

عن أبي جعفر السائح قال : رأيت امرأة في بيت المقدس في متعبد لها عليها مدرعة من شعر وخمارٌ من شعر ، وسوار من حديد ، وكان لها سلسلة تعلق بها نفسها بالليل. فقلت لها : منذ متى أخذت فيما أنت فيه ؟ قالت منذ ثماني سنين . قال : ورأيت نسوة كثيرة ، عليهن مدارع صوف وخمر ، معتكفات في المسجد لا يتكلّمن بالنهار .

٧٨٧ ـ عابدة أخرى

عثمان الرجاني قال : خرجت من بيت المقدس أريد بعض القُرى في حاجة فلقيتني عجوز عليها جبة صوف وخمار صوف . فسلمت عليها فردّت علي السلام . ثم قالت : يا فتى من أين أقبلت ؟ فقلت : من هذه القرية . قالت : وأين تريد ؟ قلت : إلى بعض القرى في حاجة . قالت : كم بينك وبين أهلك ومنزلك ؟ قلت : ثمانية **عشر** ميلاً . قالت ثمانية عشر ميلاً في حاجة ؟ إن هذه لحاجة مُهمة ، قلت : أجل . قالت : فما اسمك ؟ قلت : عثمان ، فقالت : يا عثمان ألا سألت صاحب القرية أن يوجّه إليك بحاجتك ولا تتعنّي ؟ قال : ولم أعلم الذي أرادت ، قلت : يا عجوز ليس بيني وبين صاحب القرية معرفة ، قالت : يا عثمان وما الذي أوحش بينك وبين معرفته وقطع بينك وبين الاتصال به ؟ فعرفت الذي أرادت فبكيت ، فقالت : من أي شيء تبكي ؟ من شيء كنت فعلته ونسيته أو من شيء أنسيته وذكرته ؟ قلت : لا بل من شيء كنت أنسيته وذكرته

. قالت : يا عثمان أحمد الله عز وجل الذي لم يتركك في حيرتك ، أتحب الله عز وجل ؟ قلت : نعم . قالت : فاصدقني ، قلت : إي والله إنّي لأحب الله عز وجل . قالت : فما الذي أفادك من طرائف حكمته إذ أوصلك إلى محبته ؟ قال: فبقيت لا أدري ما أقول ؟ قالت : يا عثمان لعلك ممن يحب أن يكتم المحبة . قال: فبقيت بين يديها لا أدري ما أقول ؟ فقالت : يأبى الله عز وجل أن يدنس طرائف حكمته وخفيَّ معرفته ومكنون محبّته بممارسة قلوب البطالين قلت : رحمك الله لو دعوت الله عز وجل أن يشغلني من محبته . فنفضتْ يديها في وجهي . فأعدت القول أقتضي الدعاء[1] . فقالت : يا عبد الله إمضِ لحاجتك ، فقد علم المحبوب ما ناجاه الضمير من أجلك . ثم ولت وقالت : لولا خوفُ السلب لبحت بالعجب . ثم قالت أوّهْ من شوق لا يبرأُ إلا بك ، ومن حنين لا يسكن إلا إليك ، فأين لوجهي الحياء منك ؟ وأين لعقلي الرّجوع إليك ؟ قال عثمان : فوالله ما ذكرتُ ذلك إلا بكيت وغُشِيَ عليّ .

ذكر المصطفين من أهل جبلة

٧٨٨ ـ مالك بن القاسم الجبلي

عبد العزيز الأهوازي قال : قال لي سهل بن عبد الله : مخالطةُ الوليّ للناس ذلّ وتفرُّده عز ، قلّما رأيت ولياً لله إلا منفرداً ، إن عبد الله بن صالح كان رجلاً له سابقة جليلة وموْهبة جزيلة وكان يفر من الناس من بلد إلى بلد حتى أتى مكة فطال مُقامه فيها، فقلت له : لقد طال مُقامك بها . فقال لي : لِمَ لا أقيم بها ولم أر بلداً ينزل فيه من الرحمة والبركة أكثر من هذا البلد ؟ فأحببتُ أن أكون فيه مقيماً والملائكة تغدو فيه وتروح وإنى أرى فيه أعاجيب كبيرة وأرى الملائكة يطوفون به على صور شتى لا يقطعون ذلك . ولو قلت : كل ما رأيت لصغرت عنه عقول قوم ليسوا بمؤمنين . فقلت له : أسألك إلا خبرتني بشيء من ذلك ؟ فقال : ما من ولي لله تعالى صحت ولايته إلا وهو يحضر فى هذا البلد في كل ليلة جمعة لا يتأخر عنه ، فمقامي هاهنا لأجل من أراه منهم ، ولقد رأيت رجلاً يقال له : مالك بن القاسم ، جبلّي ، وقد جاء ويده غمرة[2]، فقلت له : إنك قريب عهد بالأكل ؟ فقال لي : أستغفر الله فإنني منذ أسبوع لم آكل ، ولكن أطعمت والدتي وأسرعت لألحق صلاة الفجر . وبينه وبين الموضع الذى جاء منه سبعمائة فرسخ ، فهل أنت مؤمن بذلك ؟ فقلت : نعم . فقال : الحمد لله الذى أرانى مؤمناً موقناً .

---

(١) أى أطلب وأسأل .

(٢) أى ما زال عليها أثر الطعام .

٧٨٩ ـ إبراهيم الجبلي

عبد الواحد بن محمد بن ابان الفارسي قال : لقيت إبراهيم الجبلي بمكة بعد رجوعه إلى وطنه وتزويجه بابنة عمه وكان قد قطع البادية حافياً . فحدثني أنه لما رجع إلي بلده وتزوج شغف بابنة عمه شغفاً شديداً حتى ما كان يفارقها لحظة . قال : فتفكرت ليلة في كثرة ميلي إليها وشغفي بها فقلت : ما يحسن بي أن أرد القيامة وفي قلبي هذه ، فتطهرت وصليت ركعتين وقلت : سيدي رد قلبي إلى ما هو أولى . فلما كان من الغد أخذتها الحمى وتوفيت يوم الثالث ونويت الخروج حافياً من وقتي إلى مكة .

ذكر المصطفين من أهل العواصم والثغور

٧٩٠ ـ أبو عمرو الأوزاعي واسمه : عبد الرحمن بن عمرو[(١)]

والأوزاع بطن من هَمْدان . كذلك ذكره محمد بن سعد . وقال البخاري في تاريخه : الأوزاع : قرية بدمشق إذا خرجت من باب الفراديس . ولد سنة ثمان وثمانين وسكن بيروت وبها مات .

يحيى بن عبد الملك بن أبي عتبة ، قال : كتب الأوزاعي إلى أخ له : أما بعد ، فإنه قد أُحيط بك من كل جانب ، واعلم أنه يُسارُ بك في كل يوم وليلة فاحذر الله والمقام بين يديه ، وأن يكون آخر عهدك به والسلام .

عباس بن الوليد قال : أخبرني أبي قال : سمعت الأوزاعي يقول : ليس ساعة من ساعات الدنيا إلا وهي معروضة على العبد يوم القيامة يوماً فيوماً وساعة فساعة، ولا تمر به ساعة لم يذكر الله فيها إلا وتقَطعَتْ نفسه عليها حسرات ، فكيف إذا مرت به ساعة مع ساعة ويوم إلى يوم ؟ .

عن ضمرة عن الأوزاعي قال : الناس عندنا أهل العلم .

عن الهقل بن زياد ، عن الأوزاعي أنه وعظ فقال في موعظته : أيها الناس ، تقوَّوْا بهذه النعم التي أصبحتُم فيها على الهرب من نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة ، فإنكم في دار الثواء فيها قليل وأنتم فيها مُؤجّلون خلائف من بعد القرون الذين استقبلوا من الدنيا أُنفها وزهرتها فهم كانوا أطول منكم أعماراً وأمدّ أجساماً وأعظم آثاراً فخددُوا الجبال وجابوا الصخور ونقبوا في البلاد مؤيدِّين ببطش شديد وأجسام كالعماد فما لبثت الأيام والليالي أن طوت مُددهم وعفت آثارهم وأخْوت منازلهم وأنست ذكرهم ، فما تحس منهم من أحد ولا تسمع لهم ركزاً ، كانوا بلهْو الأمل آمنين لبيات قوم غافلين أو لصباح

(١) انظر : الحلية (٦/ ١٣٥) ، وسير الأعلام (٧/ ١٠٧) .

قوم نادمين ، ثم إنكم قد علمتم الذي نزل بساحتهم بياتا من عقوبة الله عز وجل فأصبح كثير منهم في ديارهم جاثمين وأصبح الباقون ينظرون في آثار نقْمة وزوال نعمة، مساكن خاوية فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم وعبرةٌ لمن يخشى ، وأصبحتم من بعدهم في أجل منقوص ودنيا مقبوضة في زمان قد ولى عفوه وذهب رخاؤه فلم تبق منه إلا حمة شر وصبابة كدر ، وأهاويل عبر ، وعقوبات غير وأرسال فتن ، وتتابع زلازل ورذالة خلف بهم ظهر الفساد في البرّ والبحر ، فلا تكونوا أشباهاً لمن خدعه الأمل وغر بطول الأجل وتبلّغ بالأماني . نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن وعي نذره وانتهى ، وعقل سُرّاه فمهد لنفسه .

عن موسى بن أعين قال : قال لي الأوزاعي : يا أبا سعيد كنا نمزح ونضحك فأما إذ صرنا يهتدى بنا ما أرى يسعنا التبسم .

بشر بن الوليد قال : رأيت الأوزاعي كأنه أعمى من الخشوع .

عبد الملك بن محمد قال : كان الأوزاعي لا يكلم أحداً بعد صلاة الفجر حتى يذكر الله فإن كلمه أحدٌ أجابه .

أحمد بن أبي الحواري قال : بلغني أن نصرانياً أهدى إلى الأوزاعي جرّة عسلٍ وقال له: يا أبا عمرو ، تكتب إلى والي بعلبك ، فقال : إن شئت رددْت الجرة وكتبت لك، وإلا قبلت الجرّة ولم نكتب لك . قال : فردّ الجرة وكتب له فوضع عنه ثلاثين ديناراً .

عن أبي أيوب الزيادي ، عن الأوزاعي . قال : العافية عشرة أجزاء ، تسعَةٌ منها صَمْت، وجزء منها الهرب من الناس .

مروان بن محمد قال : قال الأوزاعي: من أطال قيام الليل هُوِّن عليه موقفه يوم القيامة .

قال أحمد : قال لي مروان : ما أحسب الأوزاعي أخذه إلا من هذه الآية : ﴿ **ومن الليل فاسجد لهُ وسبِّحْه ليلاً طويلاً** ﴾ إلى قوله : ﴿ **يوماً ثقيلاً** ﴾ (1) .

أبو حفص عمرو بن أبي سلمة ، عن الأوزاعي قال : من أكثر ذكر الموت كفاهُ اليسير، ومن علم أن منطقه من عمله قلَّ كلامُه .

يوسف بن موسى القطان يحدّث أن الأوزاعي قال : رأيت ربَّ العزة في المنام ، فقال لي: يا عبد الرحمن أنت الذي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ قلت : بفضلك يا رب. فقلت : يا ربّ أمِتْني على الإسلام . فقال : وعلى السُّنة .

---

(1) سورة الإنسان آية : ٢٦ ، ٢٧ .

المعافي بن عمران ، عن الأوزاعي قال : كان يقال يأتي على الناس زمان أقلُ شيءٍ في ذلك الزمان أخٌ مؤنس أو درهم من حلال أو عملٌ في سُنّة .

مسلمة بن علي ، عن الأوزاعي قال : كان السلف إذا صدع الفجر أو قبله بشيء كأنما على رءوسهم الطير مقبلين على أنفسهم حتى لو أنّ حميماً لأحدهم غاب عنه حيناً . ثم قدم ما التفت إليه ، فلا يزالون كذلك حتى يكون قريباً من طلوع الشمس ثم يقوم بعضهم إلى بعض فيتحلقون ، وأول ما يفيضون فيه أمر معادهم وما هم صائرون إليه ثم يتحلّقون إلى الفقْه والقرآن .

أسند الأوزاعي عن محمد بن علي بن الحُسَيْن ، ويحيى بن أبي كثير ، والزهري ، ومحمد بن المنكدر وأبي الزبير وغيرهم . وتوفي ببيروت سنة سبع وخمسين ومائة فى خلافة أبي جعفر وهو ابن سبعين سنة . كذلك قال محمد بن سعد . وقال علي بن المدينيّ وتوفي الأوزاعي سنة إحدى وخمسين ومائة (١) .

عن يزيد بن مذكور قال : رأيت الأوزاعي في منامي فقلت : يا أبا عمرو دُلّني على أمر أتقرّب به إلى الله تعالى . فقال لي : ما رأيت هناك درجة أرفع من درجة العلم . فقلت : ثم من بعدها ؟ قال : درجة المحزونين .

٧٩١ ـ أبو إسحاق الفزاري(٢)

واسمه إبراهيم بن محمد بن الحارث . كان صاحب سُنّة وغزو .

الفضيل بن عياض قال : رأيت رسول الله ﷺ في المنام وإلى جنبه فُرجة ، فذهبت لأجلس فيها . فقال : هذا مَجْلس أبي إسحاق الفزاريّ . فقلت لأبي أسامة : أيهما كان أفضل ؟ فقال : كان فُضيل رجلَ نفسه وكان أبو إسحاق رجل عامة .

محمد بن هارون ، أبو نشيط ، قال : قال أبو صالح ، يعني الفرّاء : لقيت الفُضَيل ابن عياض فعزّاني في أبي إسحاق وقال : لربما اشتقت إلى المصّيصة ما بي فضل الرّباط إلا أرى أبا إسحاق .

أبو صالح قال : سمعت أبا إسحاق الفزاري يقول : إن من الناس من يَحْسُن عليه الثناءُ، وما يُساوي عند الله جناح بعوضة .

---

(١) وقال صاحب « الشذرات » أن الأوزاعي توفى سنة (١٥٧ هـ) ، وذكر أن سبب وفاته أنه دخل حماماً فى بيته وأدخلت معه زوجته - فى كانون - فحماً وناراً ثم أغلقت عليه ونسيته داخل الحمام . وقيل إن الذى فعل ذلك هو صاحب الحمام - غير متعمد - ذكره ابن خلكان ، وقيل : بل زلق فى الحمام - وهو قول صاحب « التهذيب » (١٧/ ٣٠٧) .

(٢) سير الأعلام (٨/ ٥٣٩) .

عبّاد الغَنَويّ عن أبي إسحاق الفَزاري قال : من قال : الحمد لله على كل حال فإن كانت نعْمة كان لها كفاءُ وإنْ كانت مُصيبة كان لها عزاء .

أبو يحيى قال : سمعت أبا عُبيد يقول لمّا مات أبو إسحاق الفزّارى بكى عطاء ثم قال: ما دخل على الإسلام من موت أحدٍ ما دخل عليه من أبي إسحاق .

أسند الفزاري عن عبد الملك بن عمير ، وإسماعيل بن أبي خالد ، وعطاء بن السائب، والأعمش ، وهشام بن عُرْوة في خلق كثير من التابعين .

وحدث عن الفَزاري سفيان الثوري والأوزاعي .

وتوفيّ بالمَصّيصة سنة ثمانٍ وثمانين ومائة ، وقيل خمس وثمانين .

٧٩٢ ـ عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي (١)

من همْدان . يكنى أبا عمرو وهو من الكوفة تحوّل إلى الثغر فنزل الحديث .

عن جعفر بن يحيى بن خالد قال : ما رأينا في القرّاء أحداً مثل عيسى بن يونس، أرسلنا إليه فأتانا بالرقة فاعتل قبل أن يرجع . فقلت : يا أبا عمرو قد أمر لك بعشرة آلاف فقال : هي ، فقلت : هي خمسون ألفاً . قال : لا حاجة لي فيها . فقلت: لِمَ ؟ أما والله لأهنئنكها هي والله مائة ألف . قال : لا والله حتى لا يتحدّث أهل العلم أني أكلتُ للسُنّة ثمناً ، ألا كان هذا قبل أن تُرْسلوا إليّ ؟ فأما على الحديث فلا والله ولا شربة ماء ولا إهليلجة (٢) .

أبو بكر المرْوزي قال : سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل ، وذكر ورع عيسى بن يونس ، قال : قدم فأمر له بمائة ألف ، أو قال بمال ، فلم يقبل ، وتدري ابن كم كان عيسى ؟ أراد أنه كان حدث السن .

محمد بن المنكدر قال : حجّ الرشيد فدخل الكوفة فركب الأمين والمأمون إلى عيسى بن يونس فحدّثهما . فأمر له المأمون بعشرة آلاف درهم . فابى أن يقبلها فظُنّ أنه استقلّها، فأمر له بعشرين ألفاً . فقال عيسى : لا والله ولا إهليلجة ولا شربة ماء على حديث رسول الله ﷺ ولو ملأتَ لي هذا المسجد ذهباً إلى السّقف .

الحُداني قال : قال ابن المبارك لرجل: اكتب نفَس هذا الشيخ، يعني عيسى بن يونس .

رأى عيسى بن يونس جدّه أبا إسحاق إلا أنه لم يسمع منه شيئاً ، وسمع من إسماعيل

---

(١) المصدر السابق (٨/ ٤٨٩) .

(٢) الإهليلج : ثمرة على هيئة حب الصنوبر الكبار .

ابن أبي خالد ، وهشام بن عُروة ، والأعمش وخلقٍ كثير ، وتوفي بالحدث من أرض الثغر في شعبان سنة سبع وثمانين . وقيل ثمان وثمانين ومائة . وقيل إحدي وتسعين .

٧٩٣ - يوسف بن أسباط [(١)] ، من قرية يقال لها شيح

عبد الله بن حُبَيق قال : قال لي يوسف بن أسباط : عجبت كيف تنام عين مع المخافة، أو يغفل قلب مع اليقين بالمحاسبة ؟ من عرف وُجوب حق الله عز وجل على عباده لم تستحل عيناه أبداً إلا باعطاء المجهود من نفسه ، خلق الله تعالى القلوب مساكن الذكْر فصارت مساكن للشهوات ، الشهوات مفسدة للقلوب وتلفٌ للأموال ، وإخلاق للوجوه ، ولا يمحو الشهوات من القلوب إلا خوفٌ مزعج أو شوق مُقْلق .

شعيب بن حرب قال : سمعت يوسف بن أسباط يقول : الزهد في الرياسة أشد من الزهد في الدنيا .

موسى بن طريف قال : سمعت يوسف بن أسباط يقول : لي أربعون سنة ما حاك في صدري شيءٌ إلا تركته .

قال ابن حُبَيق : وقال ابن بشار : قال لي يوسف بن أسباط: تعلّموا صحة العمل من سقمه فإني تعلمته في اثنتين وعشرين سنة .

قال ابن حبيق : وقال يوسف ، خرجت من شيح راجلاً حتى أتيت المصيصة ، وجرابي على عُنقي ، فقام ذا من حانوته يُسلم عليّ ، وذا يسلِّم ، فطرحت جرابي ودخلت المسجد أُصلي ركعتين فأحْدقوا بي، واطّلع رجل في وجهي، فقلت في نفسي : كم بقاءُ قلبي على هذا ؟ فأخذت جرابي ورجعت بعرقي وعنائي إلى شيح فما رجع إليّ قلبي إلى سنتين .

عبد الله بن حُبيق قال : قال يوسف بن أسباط : إنى أخاف أن يعذب الله الناس بذنوب العلماء . وقال : الأشياء ثلاثة ، حلال بيّن ، وحرام بيّن ، وشُبُهات بيْنَ ذلك، فالمؤمن إذا لم يجد الحلال تناول من الشّبهات ما يُقيمُه .

قال ابن حُبيق : وسمعت يوسف بن أسباط يقول : كان يقال : اعملْ عَمَل رجل لا يُنجيه إلا عملهُ ، وتوكل رجل لا يُصيبه إلا ما كُتب له .

وسمعت يوسف يقول : لي أربعون سنة ما ملكتُ قميصين ، وسمعته يقول : لا يقبل الله عز وجل عملاً فيه مثقالُ حبةٍ من رِئاء .

وكان يوسف يقول : اللهم عرفني نفسي ، ولا تقطع رجاءك من قلبي .

---

(١) سير الأعلام (٩/١٦٩) .

قال ابن حُبيق : وقال أبو جعفر الحذّاء : كتبت إلى يوسف بن أسباط أشاوره في التّحْويل إلى الحجاز . فكتب إليّ : أمّا ما ذكرت من تحويلك إلى الحجاز فليكن همّك خُبزك ، وما أرى موضعك إلاّ أضبط للخُبْز من غيره ، وما أحسب أحداً يفرّ من شرّ إلا وقع في أشرّ منه ، وإنما يطيب الموضع بأهله ، فقد ذهب من يؤنس به ويُستراح إليه ، وإذا علم الله منك الصدق رجوْتُ أن لا يُضيع لك، وإن كان الصدق قد رفع من الأرض.

قال حذيفة المرعشي : كتب إليّ يوسف بن أسباط : أما بعد ، فإني أوصيك بتقوى الله، والعمل بما علّمك الله عز وجل ، والمراقبة حيث لا يراك أحد إلا الله عز وجل ، والاستعداد لما ليس لأحد فيه حيلة ، ولا تنفع الندامة عند نزوله ، فاحسر عن رأسك قناع الغافلين ، وانتبه من رقْدة الموتى ، وشمّر للسّباق غداً فإن الدنيا ميدان المسابقين ، ولا تغترّ بمن أظهر النّسك ، وتشاغل بالوصف ، وترك العمل بالموصوف واعلم يا أخي أنه لابدّ لي ولك من المقام بين يدي الله عز وجل ، يسألنا فيه عن الدقيق الخفيّ وعن الجليل الجافي ، ولست آمن أن يسألني وإياك عن وسواس الصدور ، ولحظات العيون وإصغاء الأسماع ، وما عسى أن يعْجز مثلي عن صفته ، واعلم أنه مما وُصف به منافقوا هذه الأمة أنهم خالطوا أهل الدنيا بأبدانهم وطابقوهم عليها بأهوائهم ، وخضعوا لما طمعوا من نائلهم ، وداهن بعضهم بعضاً فى القول والفعل ، فأشرٌ وبطرٌ قولهم ، ومرٌ خبيثٌ فعلهم ، تركوا باطن العمل بالتصحيح فحرمهم الله تعالى بذلك الثمن الربيح واعلم يا أخي أنه لا يجزي من العمل القولُ ، ولا من البذل العدةُ ، ولا من التقوى ولا من التوقّي التلاوم ، وقد صرنا في زمان هذ. صفة أهله فمن كان كذلك فقد تعرّض للمقْت وصدّ عن سواء السبيل . وفقنا الله عز وجل وإياك لما يحب ويرضى .

عبد الله بن حُبيق قال : سمعت يوسُف بن أسباط يقول : يُرزَق الصادقُ ثلاث خصال : الحلاوة والملاحة والمهابة .

المسيّب بن واضح قال : قدم ابن المبارك فاستأذن على يوسف فلم يأذن له ، فقلت له: ما لك لم تأذنْ له ؟ قال : إني إن أذنتُ له أردت أن أقوم بحقّه ولا أفيَ به .

ابن حُبيق قال : قال يوسف بن أسباط : إذا رأيت الرجل قد أشرَ وبطر فلا تعظْه فليس للعظة فيه موضع .

القرقساني قال : أُتي يوسف بن أسباط بباكورة ثمرة فقبّلها ثم وضعها بين يديه وقال: إن الدنيا لم تُخلق ليُنظر إليها وإنما خُلقت ليُنظر بها إلى الآخرة .

أبو جعفر الحذّاء قال : سألت شُعيب بن حرب عن يوسف بن أسباط فقال : ما أُقدِّم عليه أحداً من هذه الأمة . البرُّ عشرة أجزاء تسعة منها في طلب الحلال وسائر البرّ في جُزء واحد ، وقد أخذ يوسف التسعة وشرك الناس في العاشر .

تميم بن سَلْم قال : قلت ليوسف بن أسباط : ما غاية الزّهد ؟ قال : لا تفرح بما أقبل، ولا تأسف على ما أدبر ، قلت : فما غاية التواضع ؟ قال : أن تخرج من بيتك فلا تلقى أحداً إلا رأيت أنه خير منك .

عبد الله بن حُبيق عن أبيه قال : قال لي يوسفُ بن أسباط : خرجت سحراً لأؤذِّن، فإذا عليّ ليلٌ . فقعدت فإذا أسودٌ مقبلٌ وفي يده حجرٌ يريد أن يضربني ووراءه شيء أبيضٌ ، بيده حجر يريد أن يصرفه عني فصرفه . فقلت : هذان شَيْطانان يريدان أن يُرياني أنّي رجل صالح . فقلت : كلاكما شيطان . فطارا .

أدرك يوسف بن أسباط حبيب بن حسّان ، ومُحلّ بن خليفة ، و،السّريّ بن إسماعيل، وعابد بن شُريح والثوري في آخرين . وقالت زوجته : كان يقول : أشتهي من ربي ثلاث خصال . قلت : وما هُنّ ؟ قال : أشتهي أن أموت حين أموتُ وليس في ملْكي درهم ، ولا يكون عليّ دَيْن ، ولا على عظمي لحم . قالت : فأعطَي ذلك كله . ولقد قال لي في مرضه : أبقي عندك نفقة ؟ فقلت : لا . قال : فماذا ترين ؟ قلت : أخرج هذه الخابية للبيع . فقال : يعلم الناس بحالنا ويقولون ما باعوها إلا وثمّ حاجة شديدة . فأخرج إليّ شيئاً كان أهداه إليه بعض إخوانه فباعه بعشرة دراهم ، وقال : إعزلي منها درهماً لحَنُوطي وأنفقي باقيها . فمات وما بقي غير الدرهم .

وتوفي يوسف بن أسباط قبل المائتين بسنة .

٧٩٤ ـ مخلد بن الحسين(١)

يكنى : أبا محمد . كان من أهل البصرة فتحوّل فنزل المصّيصة .

عبدة بن عبد الله قال : قال مخلد بن الحسين : ما تكلمت بكلمة أريد أن أعتذر منها، منذ خمسين سنة .

محمد بن بشير الدّعاءِ قال : ذُكر عند مخلد بن الحسين أخلاقٌ من أخلاق الصالحين فقال :

لا تَعرضنّ لذكْرنا في ذِكرْهم ليس الصّحيحُ إذا مشى كالمُقْعَد

سنيد بن داود قال : ثنا مخلد بن الحسين قال : ما ندب الله تعالى العباد إلى شيء إلا اعترض فيه إبليس بأمرين ما يُبالي بأيّهما ظفر : إما غلُوّاً فيه وإما تقصيراً عنه .

أسند مخلدٌ عن هشام بن حسّان وتوفي بالمصّيصة سنة إحدى وتسعين ومائة .

---

(١) في الشذرات (١/ ٣٢٩) « مجالد بن الحسين » ، وانظر : الحلية (٨/ ٢٦٦) ، وسير الأعلام (٩/ ٣٣٦) .

٧٩٥ ـ علي بن بكار البصري[1]

يكنى : أبا الحسن . سكن المصّيصة مرابطاً وكان فقيهاً .

موسى بن طريف قال : كانت الجارية تفرشُ لعليّ بن بكار ، فيلمسُه بيده ويقول : والله إنك لطيّب ، والله إنّك لبارد ، والله لا علَوْتُك الليلة ، فكان يصلّي الغداة بوضوء العتمة .

أبو الحسن بن أبي الورد قال : قال رجل : أتينا عليّ بن بكّار فقلنا له : حُذيفة المرعشي يقرأُ عليك السلام ، فقال : عليكم وعليه السلام ، إني لأعرفه يأكل الحلال منذ ثلاثين سنة ، ولأنْ ألقى الشيطان أحبّ إليّ من أن ألقاه . قلت له في ذلك فقال : أخاف أن أتصنّع له فأتزيّن لغير الله فأسقُط من عين الله عز وجل .

يوسف بن مسلم قال : بكى عليّ بن بكار حتى عمي، وكان قد أثّرت الدموع في خدّيه.

فيض بن إسحاق قال : جئت إلى عليٍّ بن بكار وأنا أريد الخروج فقلت : أوصني فقال: اتق الله والزم بيتك ، وأمسك لسانك ، واترك مخالطة الناس تنزلْ عليك الحكْمة من فوْقك .

يحيى بن زكريا قال : كنّا عند عليّ بن بكار فمرّت سحابة . فسألته عن شيءٍ ؟ فقال اسكت أما تخشى أن تكون فيها حجارة .

أبو عبد الله قال : خرج أبو إسحاق الفزاري وعليّ بن بكار يَحْتَطِبَان . فأبطأ عليّ بن بكّار على أبي إسحاق فدار أبو إسحاق في الجبل خلفه فجاء فنظر إليه وهو مُتربّع وفي حجْره رأسُ سبْع وهو نائم يذب عنه ، فقال له أبو إسحاق : ما قعودك ههنا ؟ فقال : لجأ إليّ فرحمته فأنا أنتظره لِيَنْتَبِه فألْحقَك .

وقد بلغنا عن علي بن بكار أنه طُعن في بعض مغازيه فخرجت أمعاؤُه على قربوس سرجه فردَّها إلى بطنه وشدّها بالعمامة وقاتل حتى قتل ثلاثة عشر علْجاً .

أسند عليّ بن بكار عن هشام بن حسان وأبي إسحاق الفزاري، وأبي خلدة في آخرين.

وصحب إبراهيم بن أدهم . وتوفي بالمصيصة سنة تسع وتسعين ومائة .

٧٩٦ ـ حذيفة بن قتادة المرعشي[2]

عبد الله بن خُبيق قال : قال حذيفة : إن لم تخش أن يعذبك الله على أفضل عملك فأنت هالكٌ .

(١) المصدر السابق (٩/ ٥٨٤) ، والحلية (٩/ ٣١٧) .
(٢) المصدر السابق (٨/ ٢٦٧) ، وسير الأعلام (٩/ ٢٨٣) .

وقال حذيفة : لو نزل عليَّ ملكٌ من السماء يخبرني أني لا أرى النار بعيني ، وأني أصير إلى الجنة إلا أني أقف بين يدَيْ ربي تعالى يسائلني ثم أصير إلى الجنة ، لقلتُ : لا أُريد الجنة ولا أقف ذلك الموقف ، ولو جاءني رجل فقال لي : والله الذي لا إله إلا هو ، ما عملُك عملُ من يؤمن بيوم الحساب لقلت له : يا هذا لا تكفّر عن يمينك فإنك لم تحنث .

وسمعت حذيفة يقول : إني لأستغفر الله من كلامكم إذا خرَجْتُم من عندي خمسين مرة .

قال ابن خُبيق : وقال لي حذيفة : إنَّما هي أربعة ، عيناك ، ولسانك ، وهواك ، وقلبك ، فانظر عيْنيك لا تنظر بهما إلى ما لا يحلّ لك ، وانظُر لسانك لا تقُل به شيئاً يعلم الله خلافه من قلبك ، وانظر قلبك لا يكُن فيه غلّ ولا دغل على أحد من المسلمين، وانظر هواك لا تهوى شيئاً ، فما لم تكن فيك هذه الأربع الخصال فالرّماد على رأسك .

موسى بن المعلَّى قال : قال حذيفة : يا موسى ، ثلاث خصال إن كُنّ فيك لم ينزل من السماء خيرٌ إلا كان لك فيه نصيب : يكون عملك لله عز وجل وتحبّ للناس ما تحب لنفسك ، وهذه الكِسْرةُ تحرَّ فيها ما قدرت .

عن عبد الله بن عيسى الرقّي قال : قال لي حذيفة : هل لك أن أجمع لك الخير كلَّه في حرفين ؟ قلت : ومن لي بذلك ؟ قال : مُداراة الخبز من حلّه وإخلاص العمل لله عز وجل حسبُك .

يوسف بن أسباط قال : سمعت حذيفة بن قتادة المرعشي يقول : لو أصبت من يَبْغَضُني على حقيقة في الله لأوجبْتُ على نفسي حُبَّه .

يوسف بن أسباط قال : قال لى حذيفة المرعشى : ما أصيب أحد بمصيبة أعظم من قساوة قلبه .

قال يوسف وقال حذيفة : كان يقال : إذا رأيتم الرجل قد جلس وحده فانظرُوا لأيّ شيء جلس؟ فإن كان جلس ليُجلس إليه فلا تجلسوا إليه .

عن بشر بن الحارث قال : سمعت المعافي بن عمران يقول : كان عشرة ممن مضى من أهل العلم ينظرون في الحلال النظر الشديد لا يُدخلون بطونهم إلا ما يعرفون من الحلال، وإلا استفَّوا التراب ، منهم حُذيفة المرعشي .

الفيْض بن إسحاق قال : ذُكر عند حذيفة المرعشي الوحدةُ وما يُكرهُ منها . فقال: إنما يُكره ذلك للجاهل ، فأما عالمٌ يعرف ما يأتي فلا . وقال: ما أعلم من أعمال البر أفضل من لزومك بيتك ، ولو كانت لك حيلة لهذه الفرائض لكان ينبغي لك أن تحتال لها .

عبد الله بن حبيق قال : قال حذيفة المرعشي إياكم وهدايا الفجّار والسفهاء فإنكم إن قَبِلْتموها ظنّوا أنكم قد رضيتم فعلهم .

بشر بن الحارث قال : كتب حذيفة إلى يوسف بن أسباط : يا أخي إني أخاف أن يكون بعض محاسننا أضرّ علينا في القيامة من مساوئنا .

قال : وكتب إليه أيضاً : لا حتى تكون في موضع إذا جئت إلى البقّال فقلت أعطني مطهرتك قال : هات كساءك .

ابن أبي الدرداء قال : قلت لحذيفة : أوصني ، قال : انظر خُبزك من أين تأكل ، ولا تجالس من يرخص لك ويعطيك ، ثم قال : إن أطعت الله في السر أصلح قلبك ، شئت أو أبيت .

نبهان بن المغلّس قال : أخبرني حذيفة بن قتادة المرعشي قال : كنت في المركب فكُسِر بنا، فوقعتُ أنا وامرأة على لوح من ألواح المركب فمكثنا سبعة أيام . فقالت المرأة : أنا عطشى ، فسألت الله تعالى أن يسقينا . فنزلت علينا من السماء سلسلة فيها كُوز معلّق فيه ماء . فشربت ، ففعت رأسي إلى السلسلة فرأيت رجلاً جالساً في الهواء متربعاً فقلت: من أنت ؟ قال : من الإنس . قلت : فما الذي بلّغك هذه المنزلة ؟ قال: آثرت مُراد الله عز وجل على هواي فأجلسني كما تراني . لا نحفظ لحذيفة مسنداً ، وكان مشغولاً بالرِّعاية عن الرّواية . وقد صحب الثوري . وتوفي سنة سبع ومائتين .

٧٩٧ ـ أبو معاوية الأسود(١)

واسمه : اليمان . نزل طَرَسُوس أحمد بن وديع قال : قال أبو معاوية الأسود : إخواني كلُّهم خير مني . قيل له : وكيف ذلك يا أبا معاوية ؟ قال : كلّهم يرى الفضل لي على نفسه ، ومن فضّلني على نفسه فهو خير مني .

أحمد بن فضيل العتكي قال : غزا أبو معاوية الأسود . فحصر المسلمون حصناً فيه علْج لا يرمي بحجر ولا نشاب إلا أصاب . فشكوا إلى أبي معاوية فقرأ ﴿ **وما رَمَيْتَ إذ رَمَيْتَ ولكنَّ الله رَمَى** ﴾ (٢) . ثم قال : استروني منه . فلما وقف قال : أيْن تريدون بإذن الله ؟ قالوا : المذاكير قال : يا رب سمعت ما سألوني فأعطني ما سألوني . بسم الله ، ثم رمى فمرّ السهم حتى إذا قرُب من الحائط ارتفع حتى أخذ العلج (٣) مذاكيره فوقع . فقال : شأنكم به .

---

(١) المصدر السابق (٩/ ٧٨) ، والحلية (٨/ ٢٧١) . (٢) سورة الأنفال آية : ١٧ .
(٣) العلج : كل جاف شديد من الرجال ، ويطلق على كفار العجم .

جعفر بن محمد بن الحسين بن زيد بن مسلم الرامهُرْمُزي قال : سمعت أبي يقول : سمعت أبا معاوية الأسود يقول : وهو على سُور طرسوس ، من جوف الليل ، يبكي ويقول : ألا من كانت الدنيا من أكبر همه طال في القيامة غداً همّه . ومن خاف ما بين يديه ضاق في الدنيا ذرعُه . ومن خاف الوعيد ، لهيَ من الدنيا عما يريد ، يا مسكين إن كنت تريد لنفسك الجزيل ، فأقللْ نومك بالليل إلا القليل ، اقبل من اللبيب الناصح ، إذا أتاك بأمر واضح ، لا تهْتَمّن بأرزاق من تخلّف ، فلست أرزاقهم تُكلّف ، وطّن نفسك للمقال ، إذا وقفت بين يدي ربِّ العزة للسؤال ، قدم صالح الأعمال ، ودع عنك كثرة الأشغال ، بادرْ ثم بادر ، قبل نزول ما تُحاذر ، إذا بلغ رُوحك التّراقي ، وانقطع عنك من أحببت أن تُلاقي ، كأني بها وقد بلغت الحُلقوم ، وأنت في سكرات الموت مغْموم ، وقد انقطعت حاجتُك إلى أهلك ، وأنت تراهم حولك . وبقيت مرتهناً بعملك ، الصبر ملاك الأمر ، وفيه أعظم الأجر ، فاجعل ذكْر الله من جلِّ شأنك ، واملك فيما سوى ذلك لسانك . ثم بكى أبو معاوية بكاء شديداً . ثم قال : أوِّه من يوم يتغير فيه لوني ، ويتلجلج فيه لساني ، ويجفّ فيه ريقي ، ويقلّ فيه زادي . فقيل له : يا أبا معاوية من قال هذا الكلام ؟ فقال لحكيم .

أبو حمزة ، نصير بن الفرج الأسلمي ، وكان خادماً لأبي معاوية الأسود قال : كان أبو معاوية قد ذهب بصره ، فكان إذا أراد أن يقرأ فتّش المصحف وفتحه فيردّ الله عليه بصره ، وإذا أطبق المصحف ذهب بصره .

عن أبي الزاهريّة قال : قدمت طرسوس ، فدخلت على أبي معاوية الأسود وهو مكفوف البصر ، وفي منزله مصحف معلّق . فقلت : رَحِمك الله مُصحفٌ وأنت لا تُبصر؟ قال : تكتُم عليّ يا أخي حتى أموت ؟ قال : قلت : نعَم . قال : إنّي إذا أردْت أن أقرأ القرآن فُتح لي بصري .

عبد الرحمن بن عبد الله قال : استطال رجل على أبي معاوية الأسود فقال له رجل : مَهْ . فقال أبو معاوية : دعه يشتفي. ثم قال : اللهم اغفر الذنب الذي سلطت عليّ به هذا.

أبو موسى المغازلي قال : كنت أسمع أبا معاوية الأسود إذا قام من الليل يستقي الماء، يقول : ما ضرّهم ما أصابهم في الدنيا . جبر الله لهم كلَّ مصيبة بالجنة .

يحيى بن معين قال : رأيت معاوية الأسود وهو يلتقط الخرق من المزابل فيلفقها ويغسلها فقيل له : يا أبا معاوية إنك تكسى . فقال : ما ضرّهم ما أصابهم في الدنيا ، جبر الله عز وجل لهم بالجنة كُلَّ مصيبة . قال أبو عليّ فرأيت يحيى يبكي لا نعرف لأبي معاوية مسنداً.

٧٩٨ ـ سليمان الخواص[١]

مضاء بن عيسى قال : مرّ سليمان الخوّاص بإبراهيم بن أدْهَم ، وهو عندَ قومٍ قد أضافوه وأكرموه فقال : نعم الشيءُ هذا يا إبراهيم إن لم تكن تكرمة على دين .

أحمد بن وديع قال : قال سليمان الخَوّاص : من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة ، ومن وعظه على رؤوس الناس فإنما وبّخه .

يزيد بن سعيد قال : دخل سعيد بن عبد العزيز على سليمان الخوّاص فقال له : أراك في ظُلمة ، قال : ظُلمة القبر أشدّ من هذا . قال : أراك وحدك ، قال : إن للصاحب على الصاحب حقا فخفتُ أن لا أقوم بحقّ صاحبي ، قال : فأخرج سعيد صُرّة فيها شيء، فقال له: تُنفق هذا وأنا أحلف لك بين يدي الله تعالى أنه حلال ، قال : لا حاجة لي فيها. فقال له يرحمك الله ما ترى ما الناس فيه دعوة ! قال : فصرخ سليمان صرخة ثم قال : ما لك يا سعيد فَتَنْتني بالدنيا وتفتنني بالدين ؟ ما لي والدعاء ؟ من أنا؟ فخرج سعيد فأخبر بما كان الأوزاعي . فقال الأوزاعي : دعُوا سليمان ، لو كان سليمان من الصحابة كان مثلاً .

لا نعلم لسليمان مسنداً ، كان مشغولاً بالعبادة .

٧٩٩ ـ سلم بن ميمون الخواص[٢]

من أهل طبرية . وبها مات .

إسماعيل بن أبي سلمة قال : رأيتُ في المنام كأن القيامة قد قامت ، وكأن منادياً ينادي : ألا ليقُم السّابقون . فقام سفيان الثوري ثم نادى الثانية : ألا ليقُم السابقون فقام سلم الخواص . ثم نادى الثالثة : ألا لِيَقُم السابقون . فقام إبراهيم بن أدْهَم .

أحمد بن ثعلبة قال : سمعتُ سلماً الخواص يقول : كنتُ أقرأ القرآن فلا أجدُ له حلاوة . فقلت لنفسي : اقْرئيه كأنك سمعته من رسول الله ﷺ قال : فجاءت حلاوة قليلة ، ثم قلت لنفسي : اقرئيه كأنك سمعته من جبريل يخبر به النبيّ ﷺ ، فازْدادت الحلاوة . قال : ثم قلت لها اقرئيه كأنك سمعته منه حين يتكلم به . فجاءت الحلاوة كلها .

قاسم الجوعي قال : جئت سلماً الخوّاص فقدّم إليّ نصف بطيخة ونصف رغيف وقال

(١) انظر : الحلية (٨/ ٢٧٦) ، وسير الأعلام (٨/ ١٧٨) .
(٢) المصدر السابق (٩/ ١٧٩) ، والحلية (٨/ ٢٧٧) .

لي : كل يا قاسم ، نزلت على أخ لي فقدّم لي نصف خيارة ونصف رغيف وقال لي : كلْ يا سلم فإنّ الحلال لا يحتمل السرف ، ومن دري من أين يكسب دري كيف يُنفق .

أسند سلم عن مالك بن أنس وابن عُيينة وأقرانهما .

٨٠٠ ـ أبو عبيد الخواص واسمه عباد بن عباد

وقد اشتهر بأبي عبيدة وإنما هو أبو عُتبة ، كذلك ذكره البخاري وغيره .

أبو موسى الصّوري قال : كتب عبّاد بن عبّاد الخوّاص إلى إخوانه يعظُهم : إنكم في زمانٍ قد رَقّ فيه الورع وقلّ فيه الخُشوع ، وحمل العلمَ مفسدوه فأحبّوا أن يُعرفوا بحمله، وكرهوا أن يُعرفوا بإضاعة العمل به ، فنطقُوا فيه بالهوى ليزيّنوا ما دخلوا فيه من الخطرِ، فذنوبهم ذنوب لا يستغفرُ منها ، وتقصيرهم تقصيرٌ لا يعترف به . أحبّوا الدنيا وكرهوا منزلة أهلها فشاركوهم في العيش وزايلوهم بالقول .

أبو عبيد العسقلاني قال : رأيت أبا عبيدة الساحلي لم يضحك أربعين سنة .

فقيل له : لم لا تضحك ؟ فقال : كيف أضحك أنا وفي أيدي المشركين من المسلمين أحد .

عبد الأعلى بن سليمان قال : رأيت أبا عبيدة الخوّاص علي سُرّته خرقة ، وعلى رقبته خرقة وهو يمشى في طريق البصرة . وهو يقول واشوقاه إلى من يراني ولا أراه .

أحمد بن الحواريّ قال: دخل عباد الخواص على إبراهيم بن صالح وهو أمير فلسطين، فقال له : يا شيخ عِظْني ؟ فقال : بم أعظك أصلحك الله ؟ بلغني أن أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم من الموتى ، فانظر ما يُعرض على رسول الله ﷺ من عملك. فبكى حتى سالت الدموع على لحيته .

عن بشر بن الحارث قال : رأيت على جبال عرفة رجلاً قد ولع به الولهُ وهو يقول :

سُبحـان من سجدْنا بالعُيـون له ... على شبا الشَوك والمُحْمَى من الإبر
لـم نبلغ العُشر من مِعْشـار نعمته ... ولا العُشير ولا عُشرًا مـن العُشَـر
هـو الرفيـعُ فلا الأبصارُ تدركه ... سُبحانـه مـن مليكٍ نافذ القـدر
سبحان من هو أنسى إذْ خلوتُ به ... في جوف ليلي ، وفي الظلماء والسحر
أنت الحبيب وأنت الحـبّ يا أملي ... من لي سـواك ومن أرجوه يا ذُخري

ثم أنشد أيضاً :

كـم قد زللتُ فلم أذكرك في زللـي ... وأنت يا سـيدي في الغيب تذكُرني

كم أكشفُ الستر جهلاً عند معصيتى ... وأنت تلْطـــف بـي حقـــاً وتسترني

لأبكـــينّ بدمْـع العـــين من أسفٍ ... لأبكـــين بُكـــــاءَ الْـــولِهِ الحَزِنِ

قال : ثم غاص في خلال الناس فلم أره فسألت عنه فقيل : هذا أبو عبيدة الخوّاص منذ سبعين سنة لم يرفع رأسه إلى السماء حياءً من الله عز وجل .

عُقبة بن فُضالة قال : سمعت أبا عبيدة الخواص بعد ما كبر وهو آخذ بلحيته يبكي ويقول : قد كبرتُ فأعتقني .

أسند عبّاد عن الأوزاعي ، وأبي بكر بن أبي مريم ، وغيرهما .

٨٠١ ـ أبو يوسف الغسْولى(١)

جُنيد قال : سمعت سرياً يذكر أن أبا يوسف الغسولي كان يلزم الثغْر ويغزو ، وكان إذا غزا مع الناس ودخلوا بلاد الروم أكل أصحابه من ذبائح الروم ومن فواكههم ، وكان أبو يوسف لا يأكل فقال له : يا أبا يوسف تشكّ أنه حلال ، فيقول هو حلال ، فيقال له: فكُلْ من الحلال . فيقولُ : إنما الزهد في الحلال .

حرمي بن يونس قال : سمعت أبا يوسف الغسولي يقول : أنا أتفقه في مطعمي من ستين سنة .

قال المروزي : وسمعت بعض المشيخة يقول : سمعت أبا يوسف الغسوليّ يقول : إنه ليكفينى في السنة اثنا عشر درهما ، في كل شهر درهم ، وما يحملني علي العمل إلا ألسنة هؤلاء القرّاء . يقولون أبو يوسف من أين يأكل ؟ .

قال المروزي : وسمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول : أبو يوسف الغسولي قد خلف ابن إدريس . يعني في الورع .

٨٠٢ ـ أحمد بن عاصم الأنطاكى(٢)

يكنى : أبا عليّ . ويقال : أبا عبد الله . من مُتَقَدّمي مشائخ الثغور وكان يقال له جاسوس القلوب .

أحمد بن أبي الحواريّ قال : أنا أحمد بن عاصم الأنطاكي قال : إذا صارت المعاملة إلى القلب استراحت الجوارح .

قال : وسمعته يقول : هاه غنيمة باردة أصلح فيما بقي يُغفر لك ما قد مضى .

---

(١) نسبة إلى « الغسولة » بالشام قرب حمص ، وقيل : قرية من قرى دمشق .

(٢) انظر : الحلية (٩/ ٢٨٠) ، وسير الأعلام (١٠/ ٤٨٧) .

وسمعته يقول : ما أغْبط أحداً إلا من عرف مولاه وأشتهى أن لا أموت حتى أعرفه معرفة العارفين الذين يستحبّونه لا معرفة التصديق .

أحمد بن عبد الله قال : سمعت أبي يقول : سمعت خالي عثمان بن محمد بن يوسف يقول : سمعت أبي يقول : قال أحمد بن عاصم : أنفعُ اليقين ما عظَّم في عينيك ما به أيقنت وأنفعُ الخوف ما حجزك عن المعاصي ، وأطال منك الحزن علي ما فات ، وألزمك الفكر في بقيّة عمرك وخاتمة أمرك ، وأنفعُ الصّدق أن تُقر لله عز وجل بعيوب نفسك ، وأنفعُ الحياء أن تستحيي أن تسأله ما تحبّ وتأتي ما يكره ، وأنفع الصبر ما قوّاك على خلاف هواك وأفضلُ الجهاد مُجاهدتُك نفسك لتردّها إلى قبول الحق ، وأوجبُ الأعداء منك مجاهدة أقربهم منك دُنُوا وأخفاهم عنك شخصاً وأعظم لك عداوة وهو إبليس . قلت : فما تري في الأنس بالناس ؟ قال : إن وجدت عاقلاً مأموناً فأنَسْ به واهرُب من سائرهم كهربك من السّباع . قلت : فما أفضل ما أتقرّب به إلى الله عز وجل ؟ قال : تركُ معاصيه الباطنة ، قلت : فما بال الباطنة أولى من الظاهرة ؟ قال : لأنك إذا اجتنبت الباطنة بطلت الظاهرة والباطنة ، قلت : فما أضرّ الطاعات لى ؟ قال : ما نسيت بها مساوئك ، وجعلتها نُصبَ عينيك إدْلالاً بها وأمناً .

قال : وسمعته يقول : استكثر من الله عزّ وجلّ لنفسك قليل الرزق تخلصاً إلى الشكر ، واستقلل من نفسك لله عز وجل كثير الطاعة إزراءً على النفس وتعرضاً للعفو ، واستجلب شدّة التيقظ بشدّة الخوف ، وادفع عظيم الحرص بإيثار القناعة ، واقطع أسباب الطمع بصحة اليأس ، وسد سبيل العجب بمعرفة النفس ، واطلب راحة البدن بإجْمام القلب ، وتخلص إلى إجمام القلب بقلَّة الخلطاء ، وتعرض لرقّة القلب بدوام مجالسة أهل الذكر ، وبادر بانتهاز البُغية عند إمكان الفرصة ، واحذرك : سَوْف [1] .

قلت : لأحمد بن عاصم كلام كثيرٌ انتخبنا منه ما ذكرنا ولا نعلم له مسندا .

٨٠٣ ـ أبو عبد الله النباجي واسمه سعيد بن يزيد[2]

قال محمد بن أبي الورد : قال أبو عبد الله النباجي من خطرت الدنيا بباله لغير القيام بأمر الله حُجب عن الله .

وقال ابن أبي الورد : صلى أبو عبد الله النباجي يوماً بأهل طَرْسوس فَصيح النّفير ، فلم يخفّف الصلاة ، فلما فرغوا قالوا : أنت جاسوس . قال : ولمَ ؟ قالوا : صيح بالنفير وأنت في الصلاة فلم تخفّف . قال : ما حسبت أن أحداً يكونُ في الصلاة فيقع في سمعه غيرُ ما يخاطبه الله عز وجل .

---

(١) يعني : التسويف .

(٢) الحلية (٩/ ٣١٠)

الحسين بن عبد الرحمن ، عن أبي عبد الله النباجي قال : قال لي قائل في منامي : أو يحسن بالحُرّ المُريد ، أن يتذلّل للعبيد ، وهو واجدٌ عند مولاه كلّ ما يريد ؟ .

أحمد بن أبي الحواريّ عن أبي عبد الله النباجي قال : إن في خلق الله عز وجل خلقاً يَسْتَحْيُون من الصّبر لو يعلمون أقداره تلقّفوها تلقّفاً .

أحمد بن محمد بن بكر القرشي قال : سمعت أبا عبد الله النباجي يقول : اطلبوا النظر في الرّضا عن الله عز وجل وتساءلُوا عنه بينكم إنكم إن ظفرتم منه بشيء علَوْتُم به الأعمال كلها .

قال : وسمعته يقول ، لا تستكثروا الجنة للمؤمن ، فإنه قدْ وافى بأعظم قدر عنده من الجنة : معرفة الله والإيمان به . وسمعته يقول : الذي جعل الله عز وجل المعرفة عنده يتنعّم مع الله عز وجل في كل أحواله .

أبو عبيد الله الإمام قال : سمعت أبا عبد الله النباجي يقول : إذا كان عندك ما أعطى الله عز وجل نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدا ﷺ لا تراه شيئاً وإنما تريد ما أعطى الله نمرود وفرْعون وهامان فمتى تُفلح ؟ .

لا نعرف للنباجي مُسنداً ، وإنما كان مشغولاً بالزّهد ، والتعبد ، وقد حكى عن الثّوريّ والفُضيل وغيرهما .

٨٠٤ ـ عبد الله بن خُبَيق بن سابق(١)

أبو محمد . أصله من الكوفة . ثم سكن أنطاكيّة واستفاد من يوسف بن أسباط .

محمد بن المسيّب الأرغياني قال : أنا عبد الله بن خُبيق قال : أنت لا تُطيع من يُحسن إليك فكيف تُحسن إلى من يسيء إليك .

عمر بن عبد الله الهجري قال : سمعت عبد الله بن خُبيق يقول : لا تغتمّ إلا من شيء يضرّك غداً ، ولا تفرح بشيء لا يسُرك غداً ، وأنفعُ الخوف ما حَجَزَكَ عن المعاصي وأطال منك الحزن على ما فاتك ، وألزمك الفكرة في بقية عمرك . أسند ابن خُبيق عن يوسف ابن أسباط وغيره .

٨٠٥ ـ أبو الحارس الأولاسى(٢)

واسمه فيض بن الخضر كان شاباً يغني في أول أمره وقال : بينا أنا في غَفْلتي رأيت

---

(١) المصدر السابق (١٦٨/١٠) .

(٢) نسبة إلى « أولاس » : حصن على ساحل الشام نواحي طرسوس .

عليلاً مطروحاً على قارعة الطريق ، فدنوت منه فقلت : هل تشتهي شيئاً ؟ قال : نعم رمّاناً . فجئته برمّان فلما وضعتُه بين يديه رفع بصره وقال : تاب الله عليك . فما أمسيت حتى تغيّر قلبي عما كنت عليه ، وخرجت إلى الحج وأنا أسير بالليل إذا بقوم يشربون ، فلما رأوني ذُهلوا فأجلسوني وعرضوا عليّ الطعام والشراب . فقلت : أحتاج إلى البول فذهبتُ فوقعتُ في غابة فإذا سَبُعٌ . فقلت : اللهم إنك تعلم ما تركت ومماذا خرجتُ وفيما ذا خرجت ، فاصرف عني شرّ هذا السبع ، فولّى السبع ودخلت مكة فلقيت بها من انتفعتُ به ، منهم إبراهيم بن سعد العلويّ .

الحسن بن خلف قال : قال لي أبو الحارث الأوْلاسي فَيْض بن الخضر : رأيت إبليس له جُمّة شعرٍ ، فأقبلت أتملَّقه (١) ، وأقول : ويحك ما أنا في هذا الخلق ؟ خلّني وربّي. فقال: هيهات هيهات ، كيف أخلّيك وفيك وفي أبيك هلكت ، لا أوْ تهلكوا معي . قال: فأخذت برأسه فجعلته على حجر وأخذت بحلقه أخنقه ثم قلت : كيف أقدر على قتله وقد أخّره الله عز وجل إلي يوم القيامة ؟ ولكن أرفُق به فجعلت أتملقه وهو يأبى . فقلت له : دُلّني على ما ينفعني ؟ فقال : أدلّك على السكر والحُمالان والجُوذابات (٢) والدنانير والدراهم أن تُكثر منها . فقلت له : يا ملعون أنا أسألك أن تدلني على شيء ينفعني في أمر آخرتي ، تدلّني على الدنيا وما أصنع أنا بهذا وما حاجتي إليه ؟ فقال : من هاهنا صار رأسي وحلقي في يدك تُقلبه كيف شئت وتلعب به . قلت : أفدتني علماً، لا جرم إني لأرجو أن لا أنال منها شيئاً إلا ما لا غنى بي عنه فقال : إن تركتُك فاصعد العقبة وسأستعين عليك بولد جنْسك الذين زيّنت في أعينهم ما قبُح في عينك فأجابوني إليه فبهمْ أستعين عليك فيأتوك من مأمنك .

توفي أبو الحارث بطرسوس سنة سبع وتسعين ومائتين .

٨٠٦ ـ أبو الخير التيناتي (٣)

أصله من المغرب وسكن تينات ، وهي قرية من قرى أنطاكيّة . ويقال له الأقطع ، لأنه كان مقطوع اليد . وكان سبب ذلك أنه كان في جبال أنطاكيَّة وحواليها يطلب المباح وينام بين الجبال وأنه عاهد الله تعالى أن لا يأكل من ثمر الجبال إلا ما طرحته الريح . فبقي أياماً لم تطرح إليه الريح شيئاً . فرأى يوماً شجرة كمثرى فاشتهى منها فلم يفعل.

---

(١) أتملقه : أي أتودد إليه وأتلطف به . والملق : التودد بكلام لطيف والتضرع فوق ما ينبغي .

(٢) الجوذاب : طعام يصنع من سكر وأرز ولحم .

(٣) نسبة إلى « تينات » : مرفأ على ساحل الشام قرب المصيصة . وانظر في ترجمته : الحلية (١٠/٣٧٧) ، وسير الأعلام (١٦/٢٢) .

فأمالَتها الريح إليه فأخذ واحدةً . واتفق أن لصوصاً قطعوا هنالك الطريق وجلسوا يقتسمون . فوقع عليهم السلطان فأخذهم وأُخذ معهم فقطعت أيديهم وأرجلُهم وقطعت يده ، فلما همّوا بقطع رجله عرفه رجل فقال للأمير : أهلكت نفسك ، هذا أبو الخير . فبكى الأمير وسأله أن يجعله في حلّ . ففعل وقال : أنا أعرف ذنبي .

منصور بن عبد الله قال : قال أبو الخير : الدعوى رُعونة لا يحتمل القلب إمساكها ، فليُلقها إلى اللسان فتنطق بها ألسنة الحمقى . قال : وسمعته يقول : دخلت مدينة الرسول ﷺ وأنا بفاقة ، فأقمت خمسة أيام ما ذقت ذوقا ، فتقدمت إلى القبر فسلّمت على النبي ﷺ وعلى أبيَ بكر وعمر ، وقلت : أنا ضيفك الليلة يا رسول الله . وتنحّيتُ فنمت خلف المنبر . فرأيت في النوم النبيّ ﷺ وأبو بكر عن يمينه ، وعمر عن شماله ، وعلي بن أبي طالب بين يديه . فحرّكني عليّ وقال لي : قُم قد جاء رسول الله ﷺ، فقمت إليه وقبّلت بين عينيه ، فدفع إليَّ رغيفاً فأكلتُ نصفه وانتبهْت وإذا في يدي نصفُ رغيف .

إبراهيم بن محمد المراغي قال : سمعت أبا الخير التيناتي يقول : بقيت بمكة سنة فأصابني ضر وفاقة ، فكلما أردت أن أخرج إلى المسألة هتف بي هاتف يقول : الوجه الذي يسجد لي تَبْذُلُه لغيري ؟ .

أخبرنا المحمدان بن عبد الملك وابن ناصر قال أنبأ أحمد بن الحسن بن خيرون قال : قرأت على أبي الحسين علي بن محمود الصوفي أخبركم علي بن المثني ، وأخبرنا أبو بكر العامري قال : أنبأ عليّ بن أبي صادق قال : أنا ابن باكويه قال : أخبرني إبراهيم ابن أحمد المراغي قالا : سمعنا أبا الخير التّيناتي الأقطع يقول : ما بلغ أحد إلى حالة شريفة إلاّ بمُلازمة الموافقة ومعانقة الأدب وأداء الفرائض وصحبة الصالحين وخدمة الفقراء الصادقين .

محمد بن الفضل قال : خرجت من أنطاكيّة ودخلت تينات ودخلت على أبي الخير الأقطع على غفلة منه بغير إذْن فإذا هو ينسُج زِنْبيلاً بيديه ، فتعجبت فنظر إليّ وقال : يا عدو نفسه ، ما الذي حملك على هذا ؟ فقلتَ : هيجان الوجْد لما بي من الشوق إليك . فضحك ثم قال لي : اقعُد لا تَعُدْ إلى شيء من هذا بعد اليوم َ. ثم قال : استُر عليّ في حياتي ، ففعلت .

قال ابن باكويه ، وسمعت إبراهيم بن محمد السبّاك بِرُها [1] يقول : كنا نطّلِع على أبي الخير التيناتي من الخوخة وهو يَسُفُّ الخُوص بيديه فإذا خرج رأيناه أقطعَ .

(١) الرها : مدينة بالجزيرة بين الشام والموصل .

أبو الحسن البغْراسي قال : قال لي أبو الخير التيناتي : إيّاك وكثرة السّفر فإنه يُقسِّي القلب ويذهب بالدِّين .

أبو بكر المصري قال : سمعت بعض أصحابنا فقيراً يُعرف بالأنصاري يقول : دخلت على أبي الخير فناولني تفّاحتين فجعلتهما في جيبي وقلت : لا أتناولهما وأتبرّك بهما لموضع الشيخ عندي فكانت تجري عليّ فاقاتٌ لا أتناولُهُما فأجهدْتني الفاقة فأخرجت واحدةً فأكلتها وأدخلتُ يدي لأخرج الثانية إذا التفّاحتان مكانهما ، فما زلت آكل منهما حتى دخلتُ المَوْصل فجُزتُ على خرابٍ وإذا بعليلٍ يُنادي من الخراب : يا ناس أشتهي تفاحةً ، ولم يكن وقتَ التفّاح ، فأخرجت التفاحتين فناولتهما إياه فأكل وخرجت روحُه من وقته . فعلمت أن الشيخ أعطاني من أجل ذلك العليل .

صحب أبوالخير التيناتي أبا عبد الله بن الجلاَّء وغيره من المشايخ . ولا نعلمه أسند شيئاً من الحديث . وتوفي بعد الأربعين وثلاث مائة .

ذكر المصطفين من عباد الثغور المجهولي الأسماء

٨٠٧ ـ عابد طرسوسي

أبو سليمان المغربي قال : كنت أحمل الحطب من الجبل وأتقوت منه ، وكان طريقي فيه التوقّي والتحرّي ، قال : فرأيت جماعة من البصريين في النوم ، منهم الحسن ومالك ابن دينار وفرقد السَّبَخيّ ، فسألتهم عن علم حالي فقلت : أنتم أئمة المسلمين دُلُّوني على الحلال الذي ليس لله فيه تبعة ولا لِلْخَلْق فيه منّة ، فأخذوا بيدي فأخرجوني من طرسوس إلى مرج فيه خُبّازي فقالوا لي : هذا الحلال الذي ليس لله عز وجل فيه تبعة ولا للمخلوق فيه منّة . قال : فمكثتُ آكل منه نصف سنة ، ثلاثة أشهر في دار السبيل ، وكنت آكله نياً ومطبوخاً فصار لي حديثُ ، فقلت : هذه فتنة . فخرجت من دار السبيل فكنت آكله ثلاثة أشهر أُخَر . فأوجدني الله عز وجل قلباً طيباً حتى قلت : إن كان أهل الجنة بهذا القلب الذي لي فهُم والله في شيء طيب ، وما كنت آنس بكلام الناس ، فخرجت يوما من باب قلميَة إلى صهْريج [1] يُعرف بالمدنف فجلست عنده فإذا أنا بفتىً قد أقبل من ناحية لامش [2] ، يريد طرسوس وقد بقي معي قطيعات من ثمن الحطب الذي كنت أجيء به من الجبل فقلت : أنا قد قنعت بهذا الخُبّازَي ، أعطي هذه القطع هذا الفقير إذا دخل طرسوس اشترى بها شيئاً وأكله ، فلما دنا مني أدخلت يدي إلى جيبي حتى أخرج الخرقة فإذا أنا بالفقير قد حرّك شفتيه وإذا كلّ ما حولي من الأرض ذهب يتّقد

(١) الصهريج : حوض بالماء .

(٢) لامش : من قرى فرغانة .

حتى كاد يَخْطف بصري ، ولبسني منه هيبةٌ فجاز ولم أُسلِّم عليه من هيبته . قال الشيخ أبو بكر : وزادني أبو الفرج بن أبان في هذه الحكاية قال : فقلت له : فرأيته بعد ذلك؟ فقال : نعم ، خرجت يوماً خارج طَرسوس إذا بالفتى جالس تحت بُرج من الأبرجة وبين يديه ركوةٌ فيها ماء فسلّمت عليه ثم استدعيت منه موعظة فمدّ رجله فقلب الماء ، ثم قال لي : كثرةُ الكلام تُنشِّف الحسناتِ كما أنشفت الأرضُ هذا الماء . قم يكفيك .

٨٠٨ ـ عابد آخر

عليّ بن الحسن بن موسى قال : قال رجل : لأمْتَحنَنَّ أهل البلاء . قال : فدخلت على رجل بطرسوس وقد أكلت الآكلةُ أطرافه . فقلت له : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت والله وكلّ عرقْ وكلّ عضو يألم على حدته من الوجع ، وإنّ ذلك لَبِعَيْن الله أحبُّه إليّ أحبّه إلى الله ، وما قَدْرُ ما أخذ ربي مني ؟ وددت أنّ ربّي قطع مني الأعضاء التي اكتسبت بها الإثم ، وأنه لم يُبق مني إلا لساني يكون له ذاكراً . قال : فقال له رجل : متى بدأت بك هذه العلة ؟ فقال : الخلق كلهم عبيد الله وعيالُه ، فإذا نزلت بالعباد علة فالشكوى إلى الله ليس يُشتكى إلى العباد .

٨٠٩ ـ عابد مصيصي

عليّ بن الحسن قال : كان رجل بالمصيصة ذاهبٌ نصفُه الأسفل لم يبق منه إلا روحُه في بعض جسده ، ضريرٌ على سرير مثقوب فدخل عليه داخل فقال له : كيف أصبحت يا أبا محمد ؟ قال : ملك الدنيا ، منقطع إلى الله عز وجل ما لي إليه من حاجة إلا أن يتوفاني على الإسلام .

٨١٠ ـ عابد من أهل بيروت

أبو عبد الرحمن الأزدي قال : كنت أدور على حائط بيروت فمررت برجل متدليّ الرجلين في البحر وهو يكبّر ، فاتكأتُ على الشرّافة التي إلى جنبه فقلت: يا شاب مالك جالساً وحدك ؟ قال : اتَّقِ الله ولا تقل لي إلا حقاً ، ما كنت قط وحدي منذ ولدتني أمي ، إن معي ربي حيث ما كنت ، ومعي ملكان يحفظان عليّ ، وشيطان ما يفارقني فإذا عرضت لي حاجة إلى ربي عز وجل سألته إياها ولم أسأله بلساني ، فجاءني بها .

ومن المصطفيات من عابدات الثغور

٨١١ ـ زينب الطبرية

هارون بن الحسن قال : سمعت سلماً الخوّاص يقول : كانت عندنا جارية يقال لها زينب ، وكانت تُحسن خدمة مَوْلاها ، فذهبْت أُسلِّم عليها فقالت : يا أبا محمد كنتُ منذ ليال قائمة أخدم مولاي فغلبتني عيني فسمعتُ قائلاً يقول :

صلاتُك نورٌ والعبادُ رُقودُ   قومي فصلِّي للغفورِ الوَدود

قال : وخرجت يوماً في حاجة فعثرتْ فانقطع إصبع من أصابعها قال : فاجتمعنا رجالاً ونساء نعزّيها في إصبعها ، فقالت : يا إخوتي وأخواتي أنساني لذة ثوابها وجعُها فوهب الله لي ولكم الرّضا والعفو عمّا مضى ، قُوموا حتى نخدم من الطريقُ عليه غداً .

ذكر المصطفين من عباد أهل الشام المجهولى الأسماء

٨١٢ ـ عابد يقال له الديلمى

محمد بن المبارك الصّوري قال : سمعت الوليد بن مسلم يقول : غزا المسلمون غزوة فيهم الديلمي ، فأسرتْه الروم وصلبوه على الدَّقَل (١) ، فلما رآه المسلمون مصْلوباً حملوا على الروم حملةً فأخذوا المركب الذي فيه الشيخ فأنزلوه عن الدّقَل . فقال لهم : أعطوني ماء أصبّ عليّ . فقالوا : لم تصُبّ عليك ؟ فقال : إني جُنُبٌ ، لأنهم لمّا صلبوني أخذتني نعسةٌ فرأيتُ نفسي كأني على نهر فيه وصائف (٢) ، فمددتُ يدي إلى واحدة منهن فافترعتُها(٣) فأصابتني جنابةٌ .

٨١٣ ـ عابد آخر

عن معروف الكرْخي قال : رأيت رجلاً في البادية شاباً حسن الوجه ، له ذُؤابتان حسنتان ، وعلى رأسه رداء قصب وعليه قميص كتان ، وفي رجله نعل طاق . قال معروف: فتعجبت منه في مثل ذلك المكان ومن زيّه فقلت : السلام عليك ورحمة الله وبركاته . فقال : وعليك السلام ورحمة الله يا عم ، فقلت : الفتى من أين ؟ فقال : من مدينة دمشق . قلت: ومتى خرجت منها ؟ قال : ضحوة النهار . قال معروف: فتعجّبت وكان بينه وبين الموضع الذي رأيته فيه مراحل كثيرة فقلت له: وأين المقصد ؟ فقال: مكة ، فعلمت أنه محمول فودّعته ومضى ولم أره . حتى مضت ثلاث سنين . فلما كان ذات يوم وأنا جالس في منزلي أتفكر في أمره وما كان منه إذا بإنسان يدقّ الباب فخرجت إليه فإذا أنا بصاحبي فسلّمت عليه وقلت : مرحباً وأهلاً . وأدخلته المنزل فرأيته منقطعاً والهاً تالفاً عليه زُرْمانقة (٤) ، حافيا حاسراً فقلت : هيه أيّ شيء الخبرُ ؟ فقال: يا أستاذ لاطفني حتى أدخلني الشبكة ورماني ، فمرّة يلاطفني ومرّة يهددني ، ويُجيعني مرة ويكرمني أخرى ، فليته وقفني على بعض أسرار أوليائه ثم ليفعل بي ما شاء . قال

---

(١) الدقل والدوقل : خشبة طويل (الصارى) يمد عليها الشراع وسط السفينة .

(٢) الوصيفة : الفتاة فى مقتبل العمر .   (٣) أى أزال بكارتها .

(٤) الزرمانقة : جبة من الصوف .

معروف : فأبكاني كلامه فقلت له : فحدثني ببعض ما جرى عليك منذ فارقتني ، فقال: هيهات أن أبديه وهو يريد أن نخفيه ، ولكن بدِّياً ما فعل ، في طريقي إليك ، مولاي وسيدي ، . ثم استفرغه البكاء فقلت : وما فعل بك ؟ قال : جوعني ثلاثين يوما ثم جئت إلى قرية فيها مقثأة قد نبذ منها المُدوِّد وطُرح ، فقعدت آكل منه فبصر بي صاحب المقثأة فأقبل إليّ يضرب ظهري وبطني ، ويقول : يا لصّ ما خرب مقثأتي غيرُك ، منذ كم أنا أرصدك حتى وقعتُ عليك ؟ فبينا هو يضربني إذ أقبل فارسٌ نحوه مسرعاً إليه وقلب السوط في رأسه وقال : تعمدُ إلى وليّ من أولياء الله عز وجل فتقول له : يا لصّ؟ فأخذ صاحب المقثأة بيدي فذهب بي إلى منزله فما أبقى من الكرامة شيئاً إلا عمله واستحلّني وجعل مقثأته لله عز وجل ولأصحاب معروف فقلت له: صف لي معروفاً ، فوصف لي فعرفتك بما قد كنت شاهدته من صفتك . قال معروف ؛ فما استتم كلامه حتى دقّ صاحب المقثأة الباب ودخل إليّ وكان مُوسَراً فأخرج جميع ماله وأنفقه على الفقراء وصحب الشاب سنةً وخرجا إلى الحجّ فماتا بالربذة (١) .

٨١٤ ـ عابد آخر

داود بن رُشيد قال : حدثني الصَّبيح والمليح ، شابان كانا يتعبّدان بالشام ، سُمّيا الصَّبيح والمليح لحُسن عبادتهما ، قالا : جُعنا أياماً ، فقلت لصاحبي ، أو قال لي : أُخرج بنا إلى الصحراء ، لعلّنا نرى رجلاً نعلِّمه بعض دينه ، لعل الله عز وجل أن ينفعنا به . فلما أصحرنا استقبلنا أسودُ على رأسه حزمةُ حطب . فدَنَوْنا منه فقلنا له : يا هذا ، من ربّك ؟ فرمى الحُزْمة عن رأسه وجلس عليها وقال : لا تقولا لي من ربُّك ؟ ولكن قولا لي : أين محل الإيمان من قلبك فنظرت إلى صاحبي ونظر إليّ صاحبي ، ثم قال : سلا ، سلا ، فإنّ المريد لا تنقطع مسائله ، فلما رآنا لا نحير جواباً قال : اللهم إن كنت تعلم أنّ لك عباداً كلما سألوك أعطيتهم فحوّل حُزْمتي هذه ذهباً . فرأيناها قُضبان ذهب تلتمع ، ثم قال : اللهم إن كنت تعلم أن لك عباداً الإخمالُ أحبّ إليهم من الشهرة فرُدّها حطباً ، فرجعت والله حطباً . ثم حملها على رأسه ومضى فلم نجترئْ أن نتبعه .

٨١٥ ـ عابد آخر

عن عبد السلام بن حرب قال : ذكر الحسن بن حيّ رجلاً من أهل الشام فذكر عبادته، فقال له خلف بن حوشب : فكيف كانت رقّته ؟ قال : ذهبت رقّته ، أما رأيت الثَّكلى تَكْمد ؟ .

(١) الربذة : من قرى المدينة على بعد ثلاثة ليال من المدينة .

٨١٦ ـ عابد آخر

بَكْر العابد قال : كان عابد من أهل الشام قد حمل على نفسه في العبادة. فقالت له أمه: يا بنيّ عملت ما لم يعمل الناسُ أما تريد أن تهجع ؟ فأقبل يردِّد عليها ويقول : ليتك كنت لي عقيماً ، إن لبنيك في القبر حبْساً طويلاً .

٨١٧ ـ عابد آخر

أبو بكر الكتّاني وجماعة من المشايخ . قالوا : كان لأبي جعفر الدَّينوريّ أخٌ يكون بالشام ، وكان لا يقيم في قرية ولا بمدينة أكثر من ليلة أو يوم ثم يخرج ، فدخل إلى قرية فاعتلّ فيها سبعة أيام لم يأكل ولم يشرب ولم يكلمه أحد ، فمات فأصبح القوم في البوم الثامن فوجدوه ميتاً فغسلوه وحنّطوه وكفّنوه وصلّوا عليه ، وحملوه ليدفنوه ، فجاء الناس من كل قرية إليهم وقالوا : سمعنا صائحاً يصيح : من أراد أن يحضر جنازة وليٍّ من أولياء الله عز وجل فليحضر قرية كذا وكذا . قال : فصلَّوا عليه ودفنوه . فلما كان من الغد وجدْا الكفن والحنُوط مصروراً في محرابهم ومعه كتاب فيه مكتوب : لا حاجة لنا في كفنكم هذا . يقيم بين أظهركم وليّ من أولياء الله عز وجل سبعة أيام ، لا عُدتُموه ولا علَّلتُموه ولا أطعمتموه ولا سقيتُموه ولا كلَّمتموه ؟ قال الكتّاني : فجعل أهل تلك القرية فيها بيتاً للضيافة .

ومن عقلاء مجانين الشام

٨١٨ ـ عابد

عبد الواحد بن زيد قال : خرجت إلى الشام في طلب العباد فجعلْتُ أجدُ الرجُل بعد الرجل شديد الاجتهاد حتى قال لي رجلٌ : قد كان ها هنا رجل من النحو الذي تُريد ، ولكنا فقدنا من عقله ، فلا ندري ، يريد أن يحتجب من الناس بذلك أم هو شيءٌ أصابه؟ قلت : وما أنكرتم منه ؟ قال : إذا كلمه أحد قال : الوليد وعاتكة ، لا يزيد عليه . قال : قلتُ فكيف لي به ؟ قال : هذه مدرجته . فانتظرته فإذا برجل واله ، كريه الوجه ، كريه المنظر ، وافر الشعر ، متغير اللون وإذا الصبيان حوله وخلفه وهو ساكت يمشي ، وهم خلفه سكوت يمشون وعليه أطمار دنسة . قال : فتقدمت إليه فسلّمت عليه، فالتفت إليّ فردّ عليّ السلام . فقلت : يرحمك الله إني أُريد أن أُكلّمك . فقال : الوليد وعاتكة . قلت : قد أُخبرت بقصتك . فقال الوليد وعاتكة .

ثم مضى حتى دخل المسجد ورجع الصبيان الذين كانوا يتبعونه فاعْتَزَل إلى سارية فركع فأطال الركوع ثم سجد ، فدنوت منه فقلت : رحمك الله ، رجل غريب يريد أن يكلّمك ويسألك عن شيء ، فإن شئت فأطلْ وإن شئت فأقصر ، فلستُ ببارح حتى تكلّمني . قال

وهو في سجوده ، يدعو ويتضرّع ، ففهمت عنه ، وهو يقول : سترك سترك ، قال: فأطال السجود حتى سئمتُ فدنوت منه فلم أسمع له نفسا ولا حركة . قال: فحركته فإذا هو ميّت كأنه قد مات من دهر طويل .

قالت فخرجت إلى صاحبي الذي دلّني عليه فقلت : تعال فانظر إلى الذي زعمت أنك أنكرت من عقله . وقصصتُ عليه قصّته . قال فهيّأناه ودفنّاه .

ذكر المصطفيات من عابدات الشام

٨١٩ ـ أم الدرداء[١]

واعلم أن أُمّ الدرداء اثنتان : فالكبرى تُسمّى خيْرة بنت أبي حَدْرَد ، زوجة أبي الدرداء، لها صحبة ورواية عن النبي ﷺ ، ويقال إنها ماتت قبل أبي الدرداء . وأم الدرداء الصغرى : اسمها هُجيمة بنت حُيَيّ الوصابية ، قبيلة من حِمْير ، وهي زوجة أبي الدرداء أيضاً . ويقال فيها جُهَيْمة وهي التي خطبها معاوية بعد موت أبي الدَّرداء فأبت أن تتزوّجه .

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم : الكبرى لها صحبة ، ورَوَت عن النبي ﷺ ثلاثة أحاديث ، والصغرى لا صحبة لها ، روت عن أبي الدراداء وكِلْتاهما زوجةُ أبي الدرداء.

وقال أبو القاسم الطبري : يروي عن الصغرى: إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر، وزيد بن أسلم ، وطلحة بن عبد الله بن كُريز ، وصفوان بن عبد الله بن صفوان ، وعثمان بن حيّان الدمشقي ، وسالم بن أبي الجعْد ، ويونس بن ميسرة بن حَلْبَس .

قلت : وكان لأبي الدرداء بنت تُسمى الدّرداء ، وليست من هذه ولا من هذه ، بل من امرأة أخرى على ما ذكر محمد بن سعد . وقد أخرج مسلم في « صحيحه » من حديث صفوان بن عبد الرحمن قال : قدمتُ الشام فأتيت أبا الدرْداء في منزله فلم أجده ووجدتُ أم الدرداء فقالت : أتريد الحجّ العام ؟ فقلت : نعم . قالت : فادعُ لنا بخير فإنّ النبي ﷺ كان يقول « دعوةُ المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملكٌ موكّل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكّل به : آمين ولك بمثل » . قال : فخرجت إلى السوق فلقيت أبا الدرداء فقال لي مثل ذلك يرويه عن النبي ﷺ . أخرجه مسلم في كتاب الدعاء [٢] .
وأخرج متصلاً به ليدل على أن الحديث من روايتها عن أبي الدراداء ، من حديث طلحة بن عبد الله بن كُريز ، قال حدثتني أم الدرداء قالت : حدثني سيدي ، يعنى أبا الدرداء ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « من دعا لأخيه بظهر الغيب قال

---

(١) سير الأعلام (٤/ ٢٧٧) .
(٢) رواه مسلم (ص / ٢٠٩٤) .

الملك الموكَّل به : ولك بمثل » . قال أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي : قال أبو بكر البرقاني : وهذه أم الدرداء الصغرى التي روت هذا الحديث وليس لها صحبة ولا سماع من النبي ﷺ ، وإنما هو من مسند أبي الدرداء . فأما أم الدراداء الكبرى فلها صحبة وليس لها في الكتابين حديث والله أعلم . قلت : فإذا قد كشفنا عن هاتين الكُنيتين على ما يُوجبه النظر في النقل فالأخبار التي نوردُها عن الصغرى لا عن الكبرى والله أعلم .

عبد الله بن أحمد قال : حدّثني خديجة أم محمد ، وكانت تجيء إلى أبي تسمعُ منه ويحدّثها ، قالت : حدّثنا إسحاق الأزرق قال : حدثنا المسعودي عن عون بن عبد الله قال: كنا نجلس إلى أم الدرداء فنذكر الله عندها فقالوا : لعلّنا قد أملَلْناك قالت : تزعمون أنكم قد أمللتموني ؟ فقد طلبتُ العبادة في كل شيء فما وجدت شيئاً أشفى لصدري ولا أحرى أن أصيب به الذي أريد من مجالس الذكْرِ .

عن عون بن عبد الله قال كنا نأتي أم الدرداء فنذكر الله عندها . قال : فاتكأت ذات يوم . فقيل لها : لعلنا أن نكون قد أمْللناك يا أم الدرداء ، فجلست فقالت : زعمتم أنكم قد أمللتموني ؟ فقد طلبت العبادة بكل شيء فما وجدتُ أشفى لصدري ولا أحرى أن أُدرك منه ما أُريد من مجالسة أهل الذكر .

عن إبراهيم بن أبي عبلة قال: قلت لأم الدرداء ادعي لنا : قالت أو بلغتُ أنا ذلك؟ .

عن ميمون بن مهران قال: ما دخلت على أم الدرداء في ساعة صلاة إلا وجدتها مصلّية .

يونس بن ميسرة بن حَلْبَسَ قال : كنا نحضر أم الدرداء وتحضرها نساء متعبدات يقمن الليل كله حتى إن أقدامهنّ قد انتفخت من طول القيام .

شيخ من بني تميم قال : حدثني هزّان قال : قالت لي أم الدرداء : يا هزّان هل تدري ما يقول الميت على سريره ؟ فقلت : لا . قالت : فإنه يقول يا أهلاه ويا جيراناه ويا حملة سريراه لا تغرنّكم الدنيا كما غرّتني ، ولا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي فإن أهلي لا يحملون عني من وزري شيئاً ، ولو حاجّوني عند الجبار لحجّوني . ثم قالت أم الدرداء الدنيا أسحر لقلوب العابدين من هاروت وماروت ، وما آثرها عبدٌ قطُّ إلا أضرعَتْ خدّه.

عن أبي عمران الأنصاري قال : كنت أقودُ دابّة أم الدرداء فيما بين بيت المقدس ودمشق فقالت لي : يا سليمان أسمع الجبال وما وعدها الله عز وجل فأرفع صوتي بهذه الآية ﴿**ويوم نسيّر الجبال**﴾ (١) .

سعيد بن عبد العزيز قال : أشرفت أم الدرداء على وادى جهنم ومعها إسماعيل بن

---

(١) سورة الكهف آية : ٤٧ .

عُبيد الله فقالت : يا إسماعيل اقرأ فقرأ ﴿ **أَفَحَسِبْتُم أَنَّمَا خَلَقْنَاكُم عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ** ﴾ (١) فخرّت أم الدرداء على وجهها وخر إسماعيل على وجهه فما رفعا رؤوسهما حتى ابتلّ ما تحت وجوههما من دموعهما .

عن خالد بن ذكوان قال : أخبرتني أمي أن ابنةً لأبي الدرداء توفيت فصلّت عليها أم الدرداء ثم رجعت فدعت بالمِجْمَر فوضعته تحت ثيابها ثم ناولَتْنيه .

وقال يحيى بن معين : ماتت الدرداء قبل أم الدرداء ، فلما دَفَنتها قالت : اذهبي إلى ربك وأذهبُ إلى ربي . فدخلت المسجد .

عن ميمون بن مهران قال : خطب معاوية أم الدرداء فأبتْ أن تزوجه وقالت سمعت أبا الدرداء يقول : قال النبي ﷺ : « المرأة في آخر أزواجها » أو قال « لآخر أزواجها » أو كما قال ولست أريد بأبي الدرداء بدلاً .

عن شهر بن حوشب ، عن أم الدرداء قالت : إنما الوجل في قلب ابن آدم كاحتراق السَّعفة ، أما تجد لها قُشَعريرة ؟ قال : بلى : قالت : فادعُ الله إذا وجدت ذلك ، فإن الدعاء يستجاب عند ذلك .

٨٢٠ ـ عثامة

عن محمد بن سليمان أن عثّامة كُفّ بصرها . وكانت متعبّدة .

قال الجَرويُّ : حدثنا عمرو بن أبي سلمة عن سعيد بن عبد العزيز قال : ما نعلم أحداً أحنث في مَشْيٍ فمشى إلا عثامة فإنها حنثت فمشت إلى مكة فأنفقت خمسمائة دينار .

محمد بن سليمان بن بلال بن أبي الدرداء أن أمه عثامة كُف بصرها فدخل عليها ابنها يوماً وقد صلّى ، فقالت : أصلّيْتُم أيْ بنّي ؟ قال : نعم . فقالت :

عثّام مــــالكِ لاهيَـهْ   حـــلّت بدارك داهيَهْ
ابكـــي الصّلاة لِوقْتها   إن كـنت يومـاً باكيَهْ
وابكي القرآن إذا تُلِي   قـــد كنت يومـاً تاليَهْ
تَتْلِــــــينه بِتَفكّـــر   ودموع عينكِ جاريــهْ
فاليـــوم لا تتلينـــه   إلا وعـــندك تاليـــهْ
لَهـــفي عليك صَبابةً   ما عشت طول حياتيَهْ

(١) سورة المؤمنون آية : ١١٥ .

٨٢١ ـ أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان أخت عمر

عن علي بن أبي جُملة قال : سمعت أم البنين ابنة عبد العزيز بن مروان تقول : أف للبخل ، لو كان قميصاً ما لبستُه ، ولو كان طريقاً ما سلكتُه .

سعيد بن مسلمة بن هشام الأموي قال : كانت أم البنين ابنةُ عبد العزيز بن مروان تبعث إلى نسائها فيجتمْعن ويتحدّثن عندها وهي قائمة تصلي ثم تنصرف إليهن فتقول : أحبّ حديثكم فإذا قمت في صلاتي لهوت عنكن ونسيتكن . قال : وكانت تكسُوهنّ الثياب الحسنة وتعطيهنّ الدنانير وتقول : الكسوة لكُنّ والدنانير اقسمْنها بين فقرائكُنّ . وكانت تقول " جُعل لكل قوم نهمة في شيء ، وجعلت نهمتي في البذل والإعطاء ، والله للصّلةُ والمواساة أحبّ إليّ من الطعام الطّيب على الجوع ، ومن الشراب البارد على الظمأ ، وكانت تقول : وهل يُنال الخير إلا باصطناعه ؟ وكاتنت تقول : ما حسدت أحداً قط على شيء ، إلا أن يكون ذا معروف فإني كنت أحِبُّ أن أشركه في ذلك .

أحمد بن سهل قال حدّثني منصور ، مولى بني أمية ، قال : كانت أم البنين تُعتق في كل جمعة رقبةً ، وتحمل على فرس في سبيل الله عز وجل .

قال محمد : وحدثني يوسف بن الحكم قال حدثني مروان بن محمد بن عبد الملك بن مروان قال : دخلت عزّة على أمّ البنين . فقالت لها : يقول كثير :

قَضَى كلّ ذي دَيْن علمتُ غَرِيمه   وعزَّةُ ممطولٌ مُعنى غَرِيمُها

ما كان هذا الدَّين يا عزة ؟ فاستَحْيت . فقالت : عليّ ذلك . قالت : كنت وعدْته قُبْلة فتحرّجْت منها . فقالت أم البنين : أنجزيها له وإثْمُها عليّ .

قال محمد : وقال لي يوسف بن الحكم : حدثني رجل من بني أمية يكنى أبا سعيد قال : بلغني أن أم البنين أعتقت لكلمتها هذه أربعين رقبة وكانت إذا ذكرتْها بكت وقالت: ليتني خرستُ ولم أتكلم بها .

قال يوسف : وحدثني سعيد بن مسلم بن هشام بن عبد الملك قال : حدّثتني امرأة من أهلي قالت : سمعت أم البنين تقول : ما تَحَلّى المتحلّون بشيء أحسن عليهم من عظم مهابة الله في صدورهم .

٨٢٢ ـ عبدة أخت أبى سليمان الدارانى

أبو سليمان قال : وصفتُ لأختي عبدة قنطرة من قناطر جهنم ، فأقامت يوماً وليلة في صيحة واحدة ما تسكت . ثم انقطع عنها بعدُ . فكلما ذُكِرت لها صاحَت . قلتُ : من أيّ شيء كان صِياحُها ؟ قال : مثّلت نفسها على القنطرة وهيَ تُكفأ بها .

وقد روى أحمد بن الحواريّ عن أبي سليمان أنه قال : سمعت أختي تقول : الفقراء كلهم أموات إلا من أحياه الله تعالى بعزّ القناعة والرّضا بفقره .

وذكر أبو عبد الرحمن السُلمي أنه كان لأبي سليمان أُختان : عبدة وآمنة قال : وكانتا من العقل والدين بمحلٍّ عظيم .

٨٢٣ ـ رابعة بنت إسماعيل زوجة أحمد بن أبى الحوارى

كذا نسبها أبو بكر بن أبي الدنيا . وقد ذكر أبو عبد الرحمن السُلمي أن رابعة العدوية تشارك هذه في اسمها واسم أبيها وعُموم ما يأتي في الحديث عن زوجة أحمد أنها رابعة بالباء ، والعدويّة بصرية وهذه شامية .

وقد أخبرنا ابن ناصر قال : أنبأ أبو الغنائم بن النَّرْسيِّ قال : رابعة بالباء بنقطة من تحتها بصرية ، ورابعة بالياء باثنتين من تحتها شامية .

أحمد بن أبي الحواريّ قال : قلت لرابعة ، وهي امرأتي وقد قامت بليل : قد رأينا أبا سليمان وتعبّدنا معه ، ما رأينا من يقوم من أول الليل . فقالت : سبحان الله مثلك يتكلم بهذا ؟ إنما أقوم إذا نُوديت . قال : وجلست آكل وجعلت تذكِّرني فقلت لها : دعينا يهنينا طعامُنا . قالت : ليس أنا وأنت ممن يَتَنَغَّص عليه الطعام عند ذكر الآخرة .

أحمد بن أبي الحواريّ قال : قالت لي رابعة : أي أخي أعلمت أن العبد إذا عمل بطاعة الله أطلعه الجبّار على مساوئ عمله فيتشاغل به دون خلْقه ؟ .

عن أحمد بن أبي الحواريّ قال : كانت لرابعة أحوالٌ شتى فمرّةً يغلب عليها الحب ، ومرةً يغلب عليها الأنس ، ومرة يغلب عليها الخوف فسمعتها تقول في حال الحبّ :

حَبيبٌ ليس يعدله حَبيبُ ... ولا لِسواهُ في قلبي نَصيبُ

حَبيبُ غاب عن بصري وشخصي ... ولكن عن فؤادي ما يغيبُ

وسمعتها في حال الأنس تقول :

ولقد جعلتُك في الفؤاد محدّثي ... وأبحْتُ جسْمي من أراد جُلوسي

فالجسم مني للْجليس مُؤانِسٌ ... وحَبيبُ قَلْبي في الفؤاد أنيسي

وسمعتها في حال الخوف تقول :

وزادي قليلٌ ما أراه مُبَلِّغي ... ألِلزّادِ أبكي أم لِطُول مسافتي ؟

أتَحرقني بالنار يا غاية المُنى ... فأين رجائي فيك ؟ أين محبَّتي ؟

أحمد بن أبي الحواريّ قال : سمعت رابعة تقول : إني لأضنّ باللقمة الطيبة أن أطعمها

نفسي ، وإني لأرى ذراعي قد سمن فأحزن . قال : وربما قلت لها : أصائمةٌ أنت اليوم ؟ فتقول : ما مثلي يُفطر في الدنيا . قال : وربما نظرت إلى وجهها ورقبتها فيتحرّك قلبي على رؤيتها ما لا يتحرّك مع مذاكراتي أصحابنا من أثر العبادة . وقالت لي : لست أحبك حب الأزواج إنما أُحبك حبّ الإخوان ، وإنما رغبت فيك رغبةً في خدمتك ، وإنما كنت أُحبّ وأتمنى أن يأكل مِلْكي و ما لي مِثْلُك ومثلُ إخوانك .

قال أحمد : وكانت لها سبعة آلاف درهم فأنفقتْها عليّ فكانت إذا طبخت قدْراً قالت : كُلها يا سيدى فما نضجت إلا بالتّسْبيح . وقالت لي : لست أستحلْ أن أمنعك نفسي وغيري ، اذهب فتزوّج . قال : فتزوجتُ ثلاثاً ، وكانت تُطعمني اللحم وتقول : اذهب بقوّتك إلى أهلك . وكنت إذا أردتُ جماعها نهاراً قالت : أسألك بالله لا تُفطِّرني اليوم، وإذا أردتُها بالليل قالت : أسألك بالله لما وهبتني لله الليلة .

أحمد بن أبي الحواريّ قال : سمعت رابعة تقول : ما سمعت الأذان إلاّ ذكرتُ مُنادي القيامة ، ولا رأيت الثلج إلا رأيت تطايرُ الصحف ، ولا رأيت جراداً إلا ذكرتُ الحشر .

أحمد بن أبي الحواريّ قال : قالت لنا رابعة : نحّوا عني ذلك الطَّسْت ، فإنما عليه مكتوب: مات أمير المؤمنين هارون الرشيد . قال أحمد : فنظروا فإذا هو مات ذلك اليوم.

أحمد بن أبي الحواريّ قال : سمعت رابعة تقول : ربما رأيت الجنّ يذهبون ويجيئون، وربما رأيت الحُور العين يستترْن مني بأكمامهنّ . وقالت بيدها على رأسها .

قال أحمد : ودعوت رابعة فلم تُجبني ، فلما كان بعد ساعة أجابتني وقالت : إنما منعني من أن أجيبك أن قلبي قد كان امتلأ فرحاً بالله ، فلم أقدر أن أجيبك .

٨٢٤ ـ أم هارون

عبد العزيز بن عمير قال : قالت أم هارون ، وكانت من الخائفات العابدات : قد أنزلتُ الدنيا منزلتها . وكانت تأكل الخبز وحده . قالت : بأبي الليل ما أطيبه ، إني لاغتمّ بالنهار حتى يجيء الليل ، فإذا جاء الليل قمت أوّله ، فإذا جاء السَّحر دخل الرّوح قلبي .

قال أحمد بن أبي الحواري : وخرجت أم هارون من قريتها تريدُ موضعها . فصاح صبيّ بصبيّ خذوه فسقطت أم هارون فوقعت على حجرٍ فدميت ، فظهر الدم من مقنعتها.

قال : وقال أبو سليمان : من أراد أن ينظر إلي صعْقٍ صحيح فلينظر إلى أم هارون. وقال أبو سليمان : ما كنت أرى أنه يكون بالشام مثلها .

قال أحمد بن أبي الحواريّ : وقالت لي رابعة : ما دهنت أم هارون رأسها منذ عشرين سنة . فإذا كشفنا رؤسنا كان شعرها أحسن من شعورنا .

وبالإسناد قال أبو بكر القرشي : وبلغني عن القاسم الجُوعي قال : مرضت أم هارون فأتينا نعودها أنا وصاحبٌ لي ، فدخلنا عليها وهي على طرف الدرجة فسألناها عن حالها. فقلت لها : أم هارون أيكون من العبّاد من يشغله خوفُ النيران عن الشوق إلى الجِنان؟ فقالت : آه وسقطت عن الدرجة مغشياً عليها . قال قاسم : وكانت أم هارون تأتي بيت المقدس من دمشق كل شهر مرة على رجليها . فدخلت عليها فقالت : يا قاسم كنت أمشي ببيْسان فإذا قد عرض لي هذ الكلبُ الأسدُ فمشي نحوي . فلما قرُب منى نظرت إليه فقلْتُ: تعال يا كلب ، إن كان لك رزقٌ فكُلْ . فلما سمع كلامي أقعى ثم ولّى راجعاً .

أحمد بن أبي الحواريّ قال : قلت لأم هارون : أتحبين الموت ؟ قالت : لا . قلت : ولِمَ ؟ قالت : لو عصيتُ آدميا ما أحببتُ لقاءه ، فكيف أحبّ لقاء الله وقد عصيته .

٨٢٥ ـ ثويبة بنت بهلول

ابن أبي الحواريّ قال : سمعت ثويبة بنت بهلول ، وكانت زاهدة دمشق ، تقول قُرة عيني ما طابت الدنيا والآخرة إلا بك فلا تجمع علي فقدك والعذاب .

٨٢٦ ـ حمادة الصوفية

علي بن أبي الحُرقال : دخلت أنا وخُشيش الموصلى من باب الجابية وفي يدي كتابٌ جاءني من حمادة الصوفية . فقرأت فيه : أبلغْ كل محزون بالشام عنّي السلام فانتخب خُشيش على رءوس الناس .

٨٢٧ ـ البيضاء بنت المفضل

أحمد بن أبي الحواريّ قال : سمعت أسماء الرملية ، وكانت من العابدات ، تقول : سألت البيضاء بنت المفضَّل ، فقلت : يا أختي هل للمحبّ لله دلائلُ يُعرف بها ؟ قالت: يا أختي والمحبُّ للسيد يخفى ؟ لو جهد المحبّ للسيد أن يخفى ما خفي . قلت: صفيه لي. قالت : لو رأيت المحبّ لله عز وجل لرأيت عجباً عجيباً من والهِ ما يقرّ على الأرض ، طائر مُسْتَوْحش أُنسُه في الوحدة ، قد مُنع الراحة طعامه الحبّ عندَ الجوع، وشُربه الحبّ عند الظمأ ، لا يمل من طُول الخدمة لله تعالى .

٨٢٨ ـ آمنة الرملية

جعفر بن محمد ، صاحب بشر ، قال : اعتلّ بشر بن الحارث فعادته آمنة الرملية ـ من الرملة ـ فإنهما لعنده إذ دخل أحمد بن حنبل يعوده . فقال : من هذه ؟ فقال : هذه آمنة الرملية . بلغها علّتي فجاءت من الرّملة تعودني . قال : فسَلْها تدعوُ لنا فقالت : اللهم إن

بشْر بن الحارث وأحمد بن حنبل يستجيرانك من النار فأجرهْما . قال أحمد : فانصرفتُ فلما كان من الليل طُرحت إليّ رقعة مكتوبٌ فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

« قد فَعلْنا ولَدَيْنا مَزيدٌ »

ذكر المصطفيات من عابدات الشام المجهولات الأسماء

٨٢٩ ـ مولاة لأبى أمامة ـ شامية

عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال : حدّثتني مولاة أبي أمامة قالت : كان أبو أُمامة يحب الصَّدقة ويجمع لها ، ولا يردّ سائلاً ولو ببيضة ، ولو بتمرة أو بشيء مما يؤكل ، فأتاه سائل ذات يوم وقد أَقْفَرَ من ذلك كله وما عنده إلا ثلاثة دنانير ، فسأله فأعطاه ديناراً ، ثم أتاه سائل فأعطاه ديناراً ، ثم أتاه سائل فأعطاه ديناراً . قالت : فغضبتُ وقلت : لم تترك لنا شيئاً . قالت : فوضع رأسه للقائلة [1] . قالت : فلما نُوديَ للظهر أيقظتُه فتوضّأ ثم راح إلى مسجده . قالت : فرقَقتُ عليه وكان صائماً ، فاقْتَرَضْتُ ما جعلت له عشاءً وسَرَجْتُ له سراجاً وجئت إلى فراشه لأمهِّد له فإذا بذهب فعددتُها فإذا ثلثمائة دينار . قالت قلت : ما صنع الذي صنع إلا ولقد وثق بما خلَّف . فأقبل بعد العشاء فلما رأى المائدة والسّراج تبسّم وقال : هذا خيرٌ من غيره . قالت : فقمت على رأسه حتى تعشّى ، فقلت : رحمك الله خلَّفت هذه النفقة في سبيل مَضْيعة ولم تُخبرني فأرفعها ؟ قال : وأيّ نفقة ؟ ما خلَّفت شيئاً . قالت : فرفعتُ الفراش فلمّا أن رآه فرح واشتدّ تعجبه . قالت : فقمت فقطعت زنّاري وأسلمت . قال ابن جابر : فأدركتها في مسجد حمص وهي تُعلِّم النساء القرآن والسُّنن والفرائض وتُفقِّههنّ في الدِّين .

٨٣٠ ـ عابدة أخرى

أحمد بن أبي الحواريّ يقول : بينما أنا ذات يوم في بلاد الشام في قُبّة من قباب المقابر ليس عليها باب ، إلا كساءٌ قد أسبلته . فإذا أنا بامرأة تدقّ الحائط ، فقلتُ : من هذا ؟ قالت : امرأة ضالة ، دُلّني على الطريق رحمك الله ، قلت : عن أى الطريق تسألين ؟ فبكت ثم قالت : عن طريق النجاة ، قلت : هيهات ، إن بيننا وبين طريق النجاة عقاباً وتلك العقاب لا تنقطع إلا بالسير الحثيث وتصحيح المعاملة ، وحذف العلائق الشاغلة من أمر الدنيا والآخرة . قال : فبكت بكاء شديدا ثم قالت : يا أحمد سبحان من أمسك

(١) من نومة القيلولة .

عليك جوارحك فلم تنقطع ، وحفظ عليك فؤادك فلم يتصدّع ، ثم خرّت مغشياً عليها . فقلت لبعض النساء : انظرن أيُّ شيء حال هذه الجارية ؟ فقُمن إليها ففتّشنها فإذا وصيّتها في جيبها : كفِّنوني في أثوابي هذه فإن كان لي عند الله خير فهو أسعد لي ، وإن كان غير ذلك فبُعداً لنفسي . وحركوها فإذا هي ميتة . فقلت : لمن هذه الجارية ؟ قالوا جارية قُرشيّة كانت تشكو إلينا وجعاً بجوفها فكنّا نصفها لمتطببي الشام ، فكانت تقول : خلُّوا بيني وبين الطبيب الراهب ، تعني أحمد بن أبي الحواريّ، أشكو إليه بعض ما أجد من بلائي ، لعله يكون عنده شفائي .

٨٣١ ـ عابدة أخرى

محمد بن سعد التيمي قال : رأيت جاريةً سوداء في بعض مدن الشام وبيدها خُوصٌ تسفُّه ، وهي تقول مع سفِّها :

لكَ عِلْمٌ بما يُجنّ فؤادي فارحم اليوم ذِلّتي وانفرادي

فقلت : يا سوداء ما علامة المحبّ ؟ فإذا رجلٌ قد صُرع بالقرب منها . فنظرت إليّ وإلى الرجل وقالت : يا بّطال ، علامة المحبّ الصادق لله في حبه أن يقول لهذا المجنون قم فيقوم . فإذا الرجل قد قام وإذا الجنيّة تقول لها على لسانه : وحق صدق حُبّك لربك لا رجعت إليه أبداً .

انتهى ذكر أهل الشام بحمد الله ومنّه .

ومن المصطفين من أهل عسقلان

٨٣٢ ـ آدم بن أبي إياس العسقلاني

واسم أبي إياس ناهية . وقال البخاري : وهو آدم بن عبد الرحمن بن محمد ويكنى أبا الحسن ، مولى . أصله من خراسان ومَنْشؤه ببغداد وبها طلب العلم ، وكتب عن شيوخها ثم رحل إلى الكوفة والبصرة والحجاز والشام واستوطن عسقلان فعرف بالعسقلاني ، وكان من الصالحين متمسكا بالسنة .

أبو علي المقدسي قال : لما حضرت آدم بن أبي إياس الوفاة ختم القرآن وهو مُسجّى، ثم قال : بحبي لك إلاّ رفقت بي في هذا المصرع كنتُ آمُلك لهذا اليوم كنت أرجوك . ثم قال : لا إله إلا الله . ثم قضى نحبه .

أسند آدم عن شعبة والليث بن سعد وخلقٍ كثيرٍ ، وتوفي سنة عشرين ومائتين .

ذكر المصطفين من أهل مصر

٨٣٣ ـ حيوة بن شريح ، أبو يزيد التجيبي (١)

وقال أبو زُرْعة : سمع من عقبة بن مسلم ، وروى عنه الليث .

خالد بن الفزر قال : كان حيوة بن شُريح دعّاء ، من البكّائين ، وكان ضيِّق الحال جداً . فجلست إليه ذات يوم وهو مُتخلٍّ وحْدَه يدعو . فقلت : رحمك الله لو دعوت الله عز وجل فوسّع عليك في معيشتك . قال : فالتفت يميناً وشمالاً فلم ير أحداً فأخذ حصاةً من الأرض فقال : اللهم اجعلها ذهباً . قال : فإذا هي والله تبْرَة في كفَّه ، ما رأيت أحسن منها . قال : فرمى بها إليّ وقال : ما خيرٌ في الدنيا إلا الآخرة . ثم التفت إليّ فقال : هو أعلم بما يُصلح عبّاده . فقلت : ما أصنع بهذه ؟ قال : استنفقْها. فهبْتُه والله أن أُرادَّه .

٨٣٤ ـ سليم بن عتر (٢)

عن الحارث بن يزيد أن سُليم بن عتْر كان يقرأ القرآن كلّ ليلة ثلاث مرّات .

٨٣٥ ـ الليث بن سعد (٣) يكنى : أبا الحارث ، مولى لقيس

ولد سنة ثلاث وتسعين ، واستقل بالفتوى والكرم بمصر .

أبو صالح قال : كنا على باب مالك بن أنس فامتنع علينا . فقلنا : ليس يُشبه صاحبنا قال : فسمع مالك كلامنا فأدخلنا عليه فقال لنا : من صاحبكم ؟ قلنا : الليث ابن سعد . فقال : تُشبّهوني برجلٍ كتبنا إليه في قليل عُصفُرٍ نصبغ به ثياب صبياننا وثياب جيراننا فأنفذَ إلينا ما صبغْنا به ثيابنا وثياب صبياننا وثياب جيراننا وبعْنا الفضلة بألف دينار ؟ .

محمد بن موسى الصائغ قال : سمعت منصور بن عمار يقول : تكلمت في جامع مصر يوماً فإذا رجلان قد وقفا على الحلقة فقالا : أجب الليثّ . فدخلت عليه فقال : أنت المتكلّم في المسجد ؟ قلت : نعم : قال رُدَّ عليّ الكلام الذي تكلّمت به . فأخذت في ذلك المجلس بعينه . فرقّ وبكى حتى رحمتهُ . ثم قال : ما اسمك ؟ قلتُ : منصور، قال : ابن من ؟ قلت : ابن عمار . قال : أنت أبو السَّريّ ؟ قلت : نعم .

---

(١) سير الأعلام (٦/ ٤٠٤) .

(٢) في الشذرات (١/ ٨٣) : « سليم بن عنزة النجيبي » قاضي مصر وناسكها حضر خطبة عمر بالجابية .

(٣) المصدر السابق (١/ ٢٨٥) ، وسير الأعلام (٤/ ١٣١) .

قال : الحمد لله الذي لم يُمتْني حتى رأيتك ، ثم قال : يا جارية . فجاءت فوقفت بين يديه فقال لها : جيئي بكيس كذا وكذا . فجاءت بكيس فيه ألف دينار فقال : يا أبا السريّ خذ هذا إليك وصُنْ هذا الكلام أن تقف به على أبواب السّلاطين ، ولا تَمْدَحنّ أحداً من المخلوقين بعد مدْحتك لربّ العالمين ، ولك عليّ في كل سنة مثلها . فقلت : رحمك الله إن الله قد أحسن إليّ وأنعم . قال : لا تردّ عليّ شيئاً أصلُك به ، فقَبَضْتُها وخرجت . قال: لا تُبطئ عليّ ، فلما كان في الجمعة الثانية أتيته فقال لي : اذكر شيئاً فتكلّمت ، فبكا وكثُر بكاؤه فلما أردت أن أقوم قال : انظرُ ما في ثِنْي هذه الوسادة وإذا خمسمائة دينار . فقلت : عهدي بصلتك بالأمس . قال : لا تردَنّ عليّ شيئاً أصلُك به. متى رأيتك ؟ قلت: الجُمعة الداخلة . قال : كأنَك فتتّ عضواً من أعضائي . فلما كانت الجُمعة الداخلة أتيته مُودّعاً فقال لي : خذ في شيء أذكُرك به ، فتكلّمت ، فبكا وكثُر بكاؤه . ثم قال لي: يا منصور انظرُ ما في ثنْي الوسادة ، إذا ثلثمائة دينار قد أعدّها للحج . ثم قال : يا جارية هاتي ثياب إحرام منصور ، فجاءت بإزار فيه أربعون ثوباً . قلت : رحمك الله أكتفى بثوبين. فقال لي : أنتَ رجل كريم ويصحبك قومٌ فأعطهم . وقال للجارية التي تحمل الثياب معه : وهذه الجارية لك .

سليم بن منصور قال : سمعت أبي يقول : دخلت على الليث بن سعد يوماً فإذا على رأسه خادم ، فغمزه فخرج ، ثم ضرب الليث بيده إلى مُصَلاّه فاستخرج من تحته كيساً فيه ألف دينار ، ثم رمى بها إليّ . ثم قال : يا أبا السّريّ لا تُعلِم ابني فتهون عليه .

الحسن بن عبد العزيز قال : قال لي الحارث بن مسكين اشترى قوم من الليث بن سعد ثمرةً فاستغلوها فاستقالوه فأقالهم . ثم دعا بخريطة فيها أكياسٌ فأمر لهم بخمسين ديناراً، فقال له الحارث ابنه في ذلك ، فقال : اللهم غُفْراً إنهم كانوا قد أمّلُوا فيها أملاً فأحببت أن أعوّضهم عن أملهم بهذا .

سعيدٌ الآدمُ قال مررْت بالليث بن سعد فتنحنح لي فرجعتُ إليه ، فقال لي يا سعيد خُذ هذا الفُنْداق [1] ، فاكتب لي فيه من يلزم المسجد ممن لا بضاعة له ولا غلّة . قال : فقلت: جزاك الله خيراً يا أبا الحارث . وأخذت منه الفُنداق ثم صرتُ إلى المنزل ، فلما صلّيت أوقدتُ السِّراج وكتبت بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم قلت : فلان بن فلان . ثم قلت : فلان . فبينا أنا على ذلك إذ أتاني آت فقال : ها الله يا سعيد تأتي إلى قوم عاملوا الله عز وجل سراً فتكشفهم لآدمي ؟ مات الليث ومات شُعيب بن الليث ، أليس مرجعهم إلى الله الذي عاملوه ؟ قال فقمتُ ولم أكتب شيئاً ، فلما أصبحت أتيت الليث

(١) الفنداق - بضم أوله : صحيفة الحساب .

ابن سعد فلما رآني تهلّل وجهه فناولته الفنداق فنشره فأصاب فيه بسم الله الرحمن الرحيم. ثم ذهب ينشره . فقلت له : ما فيه غير ما كتبت فقال لي : يا سعيد وما الخبر؟ فأخبرته بصدق عما كان . فصاح صيحةً ، فاجتمع عليه الخلق فقالوا : يا أبا الحارث أليس خيراً ؟ فقال : ليس إلا خيرٌ . ثم أقبل عليّ فقال : يا سعيد تَبَيَّنْتَها وحُرِمتُها صدقت ، مات الليث أليس مرجعُهم إلى الله ؟ .

قال عليّ بن محمد : سمعت مقدام بن داود يقول : سعيدٌ الآدم هذا يقال إنه من الأبدال ، وقد كان رآه مقدام .

عبد الملك بن يحي بن بكير قال : سمعت أبي يقول : وصل الليثُ بنُ سعد ثلاثة أنفس بثلاثة آلاف دينار : احترقت دارُ ابن لهيعة فبعث إليه بألف دينار ، وحجّ فأهدى إليه مالك بن أنس رُطباً على طبق فردَّ إليه على الطبق ألف دينار ، ووصل منصورُ بن عمار بألف دينار ، وقال : لا يسمع بهذا ابني فتهُون عليه ، فبلغ ذلك شُعيب بن الليث فوصله بألف دينار إلاّ ديناراً ، وقال : إنما نقصتُك هذا الدينار لئلا أُساوي الشيخ في الْعَطِيّة .

محمد بن رُمح قال : كان دخْلُ الليث بن سعد في كل سنة ثمانين ألف دينارٍ وما وجب لله تعالى عليه زكاة قطّ .

سليم بن منصور قال : سمعت أبي يقول : كان الليث بن سعد يسْتغل في كل سنة خمسين ألف دينار فيَحول عليه الحَوْل وعليه دَيْن .

أسند الليث عن خلق كثير من التابعين كعطاء ، ونافع ، وأبي الزّبير ، والزهْريّ ، وقيل إنه أدرك نيِّفاً وخمسين تابعياً .

وتُوفِّي يوم الجمعة لأربع عشرة ليلةً بقيت من شعبان من سنة خمس وسبعين ومائة ودفن بعد الجُمعة .

٨٣٦ ـ المفضل بن فضالة القتبانى[١]

وقِتْبان من اليمن . قاضى مصر سمع عقيل بن خالد ، كذا ذكره البخاري .

ابن رغبة قال كان مفضّل بن فُضالة قاضياً علينا ، وكان مجاب الدعوة ، وكان مع ضعفه طويل القيام ، وحدثني من أثق به أنه دعا الله عز وجل أن يذهب عنه الأمل ، فذهب عنه فلم يصبر فدعا الله أن يردّه عليه .

---

(١) أبو معاوية ، روى عن يزيد بن حبيب وطائفة ، كان زاهداً ورعاً قانتاً مجاب الدعوة ، توفي سنة (١٨١ هـ) . انظر : الشذرات (١/ ٢٩٧) ، والحلية (٨/ ٣٢١) ، وسير الأعلام (٨/ ١٧١) .

من الطبقة التي تلي هؤلاء

٨٣٧ ـ عبد الله بن وهب مولى لقريش(١)

أحمد بن سعيد الهمداني قال: دخل ابن وَهْب الحَمام فسمع قارئاً يقْرأ : ﴿ **وإذ يتحاجُّون في النار** ﴾ (٢) فسقط مغشياً عليه فغسلت عنه النورة وهو لا يعقل (٣) .

خالد بن خداش قال : قرئ على عبد الله بن وهب كتابُ : أهوال القيامة ، فخرّ مغشياً عليه . فلم يتكلم بكلمة حتى مات بعد ذلك بأيام ، وذلك بمصر سنة سبع وتسعين ومائة .

أسند ابن وهب عن الأئمة كالثوري ومالك وشُعبة .

٨٣٨ ـ أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطى(٤)

أبو الوليد بن أبي الجارود قال : كان أبو يعقوب البَوْيطي جاري . قال : فما كنت أنتبه ساعةً من الليل إلا سمعته يقرأ ويصلّي .

قال الربيع : كان أبو يعقوب أبداً يحرّك شفتيه ، يذكر الله عز وجل أو نحو ما قال.

الربيع بن سليمان قال : رأيت البُوَيطي على بغل في عُنقه غُلٌّ (٥) ، وفي رجليه قَيْد ، وبين الغُلّ والقيد سلسلة حديد فيها طُوبة وزنها أربعون رطلاً ، وهو يقول : والله لأموتنّ في حديدي هذا حتى يأتي مَن بعدي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قومٌ في حديدهم ، ولئن أُدْخلت إليه لأصْدُقنّه . يعني الواثق .

أسند البويطى عن عبد الله بن وهب والشافعي وغيرهما . وكان قد جمع بين الفقه والتقوى وامتُحن فلم يُجب .

علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى المصري قال : حدثنا أبي قال: حُمل البويطي من مصر أيام الفتنة والمحنة بالقرآن (٦) إلى العراق فأرادوه على الفِتْنة

---

(١) أبو محمد عبد الله بن وهب الفهري المقرئ أحد الأعلام ، روى عن ابن جرير ، وعمرو بن الحارث وخلق ، قال ابن يونس : جمع ابن وهب بين الفقه والرواية والعبادة . انظر : الشذرات (٣٤٧/١) ، وسير الأعلام (٢٢٣/٩) .

(٢) سورة غافر آية : ٤٧ .

(٣) النورة : حجر الجير وأخلاط أخرى من أملاح الكلسيوم والباريوم تستعمل لإزالة الشعر .

(٤) سير الأعلام (٥٨/١٢) .

(٥) الغُلُّ : بالضم : طوق من حديد أو جلد يجعل فى عنق الأسير أو السجين أو فى أيديهما وهو ما يطلق عليه الآن (كلابشات) .

(٦) أى الفتنة بالقول بخلق القرآن والتى أحدثت فى عصر المأمون سنة (٢١٨ هـ) وفيها يقول ابن =

فامتنع فسُجن ببغداد وقُيِّد وأقام مسجوناً إلى أن توفي في السجن والقيد ببغداد سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، وقال غيره : سنة إحدى وثلاثين .

٨٣٩ ـ ذو النون المصرى ابن إبرهيم ، أبو الفيض(١)

أصله من النوبة ، وكان من قرية من قرى صعيد مصر يقال لها إخميم . نزل مصر ويقال اسمه الفيض . ويقال ثَوْبان ، وذو النون لقب . وكان أبوه إبراهيم مولى لإسحاق ابن محمد الأنصاري ، كان له أربعة بنين : ذو النون ، وذو الكفْل ، وعبد الباري ، والهميْسَع .

ابن الجلاّء قال : لقيت ستمائة شيخ ما لقيتُ فيهم مثل أربعة : أحدهم ذُو النون .

= كثير - رحمه الله فى سفره الكبير « البداية والنهاية » (١٠/ ٢٨٤) : ذكر أول المحنة والفتنة : فى هذه السنة كتب المأمون إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يأمره أن يمتحن القضاة والمحدثين بالقول بخلق القرآن وأن يرسل إليه جماعة منهم ، وكتب إليه يستحثه فى كتاب مطول . . .

وقال فى ترجمة عبد الله المأمون (٥/ ٢٨٧) : وقد كان فيه تشيع واعتزال وجهل بالسنة الصحيحة . . وكان على مذهب الاعتزال لأنه اجتمع بجماعة منهم بشر بن غياث المريسى فخدعوه وأخذ عنهم هذا المذهب الباطل ، وكان يحب العلم ولم يكن له بصيرة نافذة فيه ، فدخل عليه بسبب ذلك الداخل ، وراج عنده الباطل .

وفى (٥/ ٢٩٣) يقول : وقد كان أوصى - يعنى المأمون - إلى أخيه المعتصم وصيته بحضرته وبحضرة ابنه العباس وجماعة القضاة ، والأمراء والوزراء والكتاب ، وفيها القول بخلق القرآن ولم يتب من ذلك بل مات عليه وانقطع عمله ، وهو على ذلك لم يرجع عنه ولم يتب منه ا.هـ ثم تبعه على اعتقاده أخوه المعتصم حتى توفى سنة (٢٢٧ هـ) ، ثم كانت خلافة الواثق وذكر ابن كثير فى البداية (١٠/ ٣٢٢ ، ٣٢٣) قال الخطيب : وكان ابن أبى دؤاد استولى على الواثق وحمله على التشديد فى المحنة ودعا الناس إلى القول بخلق القرآن . قال ويقال : إن الواثق رجع عن ذلك قبل موته وذكر رواية فى ذلك . ثم كانت خلافة المتوكل سنة (٢٣٢ هـ) وبقيت الفتنة حتى دخلت سنة (٢٣٧) يقول ابن كثير (١٠/ ٣٣٠) ثم : كتب المتوكل إلى الآفاق بالمنع من الكلام فى مسألة الكلام والكف عن القول بخلق القرآن ، وأن من تعلم علم الكلام لو تكلم فيه فالمطبق مأواه إلى أن يموت . وأمر الناس أن لا يشتغل أحد إلا بالكتاب والسنة لا غير ثم أظهر إكرام الإمام أحمد بن حنبل ، واستدعاه من بغداد إليه ، فاجتمع به وأكرمه وأمر له بجائزة سنية فلم يقبلها ، وخلع عليه خلعة سنية من ملابسه فاستحيا منه أحمد كثيراً فلبسها إلى الموضع الذى كان نازلاً فيه ثم نزعها نزعاً عنيفاً وهو يبكى رحمه الله تعالى ا.هـ فكانت المحنة من سنة (٢١٨ هـ) إلى سنة (٢٣٧ هـ) : وذلك فى عهد أربعة خلفاء من خلفاء بنى العباس كما ذكر الإمام الشوكانى رحمه الله ، وانظر للتوسع في هذه المسألة البداية ٣٤٦/٥، مقالات الإسلاميين (١/ ٢٦٧ - وما بعدها) ، الملل والنحل لابن حزم (٣/ ١١ - وما بعدها) ، مختصر الصواعق لابن القيم (٢/ ٦٥٣) وتعليقنا عليه ، وبدائع الفوائد له (١/ ٣١ - ٣٣) ، وأعلام الموقعين له (٤/ ١٠٦) (٤٧٨) .

(١) انظر : الحلية (٩/ ٣٣١) ، وسير الأعلام (١١/ ٥٣٢) .

أبو بكر محمد بن خلف المؤدِّب قال : رأيت ذا النون المصري على ساحل البحر فلما جُنّ الليل خرج فنظر إلى السماء والماء فقال : سبحان الله ما أعظم شأنكما ، بل شأنُ خالقكما أعظمُ منكما ومن شأنكما فلما تهوّر الليل لم يزلْ ينشد هذه الأبيات إلى أن طلع عمودُ الصباح :

اطلبُــوا لأنفُســكُمْ مثلَ ما وَجَــدْتُ أنا
قد وجدتُ لي سكناً ليس في هـواهُ عنــا
إن بعـــدْتُ قرّبَني أو قربُتُ مـنه دنــا

يوسف بن الحسن يقول : سمعت ذا النون يقول : بصحبة الصالحين تطيب الحياة والخير مجموع في القرين الصالح إن نسيت ذكّرك ، وإن ذكرت أعانك .

إسرافيل قال : حضرت ذا النون في الحبس ، وقد دخل الجلْواز بطعام له فقام ذو النون فنفض يده فقيل له : إن أخاك جاء به . فقال : إنه على يدي ظالم . قال : وسمعت رجلاً سأل ذا النون فقال : رحمك الله ما الذي أنصب العباد وأضناهم ؟ فقال له : ذكْر المقام ، وقلّة الزّاد ، وخوفُ الحساب . ولم لا تذوب أبدان العمّال وتذهل عقولُهم ، والعَرْضُ على الله أمامهم وقراءة كتبهم بين أيديهم ، والملائكة وقوف بين يدي الجبّار ينتظرون أمره في الأخيار والأشرار ؟ ثم قال : مثّلوا هذا في نفوسهم وجعلوه نصب أعينهم . قال : وسمعت رجلاً يسأل ذا النون : متى تصحّ عُزلة الخلق ؟ فقال : إذا قويت على عُزلة النفس .

يوسف بن الحسين قال : قلت لذي النون في وقت مفارقتي له : من أُجالس ؟ قال : عليك بصحبْة من تُذكّرك الله عز وجل رؤْيتُه ، وتقع هيبتُه على باطنك ، ويزيد في عملك منطقُه ، ويزهّدك في الدنيا عملهُ ، ولا تعصي الله ما دمت في قُربه ، يعظك بلسان فعْله ، ولا يعظك بلسان قوله .

وسمعت ذا النون يقول سقَمُ الجسد في الأوجاع ، وسَقَمُ القلوب في الذنوب ، فكما لا يجد الجسد لذة الطعام عند سقمه ، كذلك لا يجد القلب حلاوة العبادة مع الذنوب . وسمعته يقول : من لم يعرف قدر النّعم سُلبها من حيث لا يعلم .

يوسف بن الحسين قال : سمعت ذا النون يقول : ما خلع الله عز وجل على عبد من عبيده خلْعة من العقل ، ولا قلّده قلادة أجمل من العلم ، ولا زيّنه بزينة أفضل من الحلْم ، وكمالُ ذلك كله التقوى .

عبد القدوس بن عبد الرحمن قال : سمعت ذا النون يقول : إلهي لو أصبتُ موْئلاً في

الشدائد غيرك ، أو ملجأ في النّوازل سواك لحقَّ لي أن لا أعرض إليه بوجهي عنك ، ولا أختاره عليك لقديم إحسانك إليّ وحديثه ، وظاهر منّتك عليّ وباطنها ، ولو تقطّعت في البلاء إرْباً إرباً أو انصبّت على الشدائد صبّاً صبّاً ولا أجد مشتكى لبثّي غيرك ولا مُفْرجاً لما بي سواك ، فيا وارث الأرض ومن عليها ، ويا باعث جميع من فيها ورّث آملي فيك مني أملي ، وبلغ همتي فيك مُنتهى وسائلي .

محمد بن أحمد بن سلمة النيسابوري قال : سمعت ذا النون يقول : احذر أن انقطع عنه فتكون مخدوعاً . قلت : فكيف ذلك ؟ قال : لأن المخدوع من ينظر إلى عطاياه فينقطع عن النظر إليه بالنظر إلى عطاياه . ثم قال : تعلّق الناس بالأسباب وتعلّق الصدّيقون بوليّ الأسباب .

ثم قال : علامةُ تعلُّق قلوبهم بالعطايا طلبُهم منه العطايا ، ومن علامة تعلُّق قلب الصديق بوليّ العطايا انصبابُ العطايا عليه وشُغله عنها به . ثم قال : ليكن اعتمادك على الله عز وجل في الحال ، لا على الحال مع الله . ثم قال : اعقل فإنّ هذا من صفة التوحيد .

محمد بن أحمد بن سلمة قال : سمعت ذا النون يقول ، وقد سألتُه عند الفراق أن يوصيني فقال : لا يشغلنّك عيوبُ الناس عن عيب نفسك ، لست عليهم برقيب . ثم قال : إن أحبّ عباد الله إلى الله عز وجل أعقلُهم عنه ، وإنما يُستدلّ على تمام عقل الرجل وتواضُعه في عقله بحسن استماعه للمحدّث إن كان به عالماً وسرعة قبوله للحق وإن كان ممن هو دونه ، وإقراره على نفسه بالخطأ إذا جاء منه .

سعيد بن عثمان قال : سمعت ذا النون يقول : من ذكر الله على حقيقة نسى في جنبه كلّ شيء ، ومن نسي في جنب الله كل شيء حفظ الله عز وجل عليه كل شيء ، وكان له عوضاً من كل شيء . قال : وسمعته يقول : أكثر الناس إشارة إلى الله في الظاهر أبعدهُم من الله .

قال : وسمعته يقول : إلهي إن كان صغُر في جنب طاعتك عملي فقد كبُر في جنب رجائك أملي .

وسُئل عن الآفة التي يُخدع بها المريد عن الله عز وجل فقال : برؤية الكرامات قيل فبم يُخدع قبل وصوله إلى هذه الدرجة ؟ قال : بوطء الأعقاب وتعظيم الناس له . قال : وسمعته يقول : من ذبح حنجرة الطمع بسيف اليأس ، وردم خندق الحرص ، ظفر بكيمياء الخدمة ، ومن استقى بحبل الزّهد على دَلْو المعروف ؛ استقى من جبّ الحكمة ، ومن سلك أودية الكمد جنى حياة الأبد ، ومن حصد عشب الذنوب بمنجل الورع أضاءت له

روضة الاستقامة ، ومن قطع لسانه بشفرة الصمت وجد عذوبة الراحة ، ومن تدرّع درع الصدق قوي على مجاهدة عسكر الباطل ، ومن فرح بمدحة الجاهل ألبسه الشيطان ثوب الحماقة .

أبو عثمان ، سعيد بن عثمان ، قال : سمعت ذا النون يقول : ما طابت الدنيا إلا بذكره ، ولا طابت الآخرة إلا بعفوه ، ولا طابت الجنة إلا برؤيته .

يوسف بن الحسين قال : سمعت ذا النون يقول : دوام الفقر إلى الله تعالى مع التخليط أحبّ إليّ من دوام الصفاء مع العُجب .

محمد بن عبد الملك قال : سمعت ذا النون يقول : ما أعزّ الله عز وجل عبداً بعزّ هو أعزّ له من أن يدلّه على ذل نفسه ، وما أذل الله عز وجل عبداً بذُل هو أذل له من أن يحجبه عن ذل نفسه .

هلال بن العلاء قال : قال ذو النون : من تطأطأ لقط رُطباً ومن تعالى لقى عطباً .

سعيد بن عثمان قال : سمعت ذا النون يقول : لا تثقنّ بمودّة من لا يحبّك إلا معصوما . وقال : من صحبك ووافقك على ما تحبّ ، وخالفك فيما تكره فإنما يصحب هواه ، ومن صحب هواه فإنما هو طالبُ راحة الدنيا .

وسمعته يقول : كل مطيعٍ مستأنس ، وكل عاصٍ مستوحش ، وكل محب ذليلٌ ، وكل خائف هارب ، وكل راج طالب .

يوسف بن الحسين قال : سمعت ذا النون يقول : أنت ملكٌ مقتدر وأنا عبد مفتقر ، أسألك العفو تذلُّلاً فأعطنيه تفضلاً . وسمعته يقول : من المُحال أن يحسُن منك الظن ولا يحسن منه المنّ .

أبو عثمان سعيد بن عثمان الخياط ، يقول : سمعت ذا النون يقول : لم أر شيئاً أبعث لطلب الإخلاص مثل الوحدة ، لأنه إذا خلا لم ير غير الله ، فإذا لم ير غير الله لم يحرّكه إلا حُكم الله ، ومن أحبّ الخلوة فقد تعلق بعمود الإخلاص .

قال الفتح بن شَخْرَف : دخلت على ذي النون عند موته فقلت له : كيف تجدك ؟ فقال :

أمـــوت وما ماتتْ إليك صبابتي ... ولا رَوِيَتْ مـــن صدق حبك أوطاري
مُنايَ المُنـــى كلّ المنـــى أنت لي مُنى ... وأنت الغِـــنى كلُّ الغِنى عند إقتاري
وأنت مـــدى سُؤْلـــي وغايـــةُ رغبـــتي ... وموضـــع آمالي ومكنـــونُ إضماري
تضمَّـــن قلبـــي منك ما لك قـــد بدا ... وإن طال سِري فيك أو طال إظهاري

وبيـن ضُلوعـي منـك ما لا أبثُّه ولـم أُبد باديـه لأهـلٍ ولا جـارِ
سـرائرُ لا يخـفى عليك خَفِيُّها وإن لم أبُح حتـى التنادي بأسراري
فهـب لـي نسيماً منك أحيا بروُحه وجُد لـي بيُسـر منك يطرُد إعساري
أنـرتَ الهُدى للمهـتدين ولم يكن مـن العلـم فـي أيديهمُ عُشرَ معشار
وعَلّمتهـم علمـاً فباتُـوا بنـوره وبانت لهـم منه معـالمُ أسـرارِ
مُعـاينةً للغـيب حتـى كأنها لما غاب عنهـا منه حاضـرةُ الدار
وأبصـارهم محجـوبة وقلـوبُهم تـراك بأوهـام حديـدات أبصار
جمعـت لهـا الهمّ المفرّق والتقى على قـدرٍ والهمّ يجـري بمقـدار
ألسـت دليـل القوم إن هم تحيّروا ؟ وعصمة من أمسـى علـى جُرُفٍ هارِ

قال الفتح بن شخرف : فلما ثقل قلت له : كيف تجدك ؟ فقال :

ومالي سوى الإطراق والصّمـت حيلةٌ ووضعي على خدّي يدي عند تذكاري
وإنْ طرقَتْـني عـبرةٌ بعـد عبرةٍ تجرّعتهـا حتـى إذا عِيلَ تَصْباري
أفضـت دمـوعاً جَمّةً مسـتهلةً أطفّـي بهـا حـرا تضمّن أسراري
فـيا منتهـى سُؤْل المحـبِّين كلَّهم أبحنـي محلّ الأُنس مـع كُلّ زوّارِ
ولسـتُ أبالـي فائتاً بعد فائتٍ إذا كنتَ في الدارين يا واحدي جاري

أسند ذو النون أحاديث كثيرة من مالكٍ والليث بن سعد وسفيان بن عُيَيْنة والفُضيل ابن عياض وابن لهيعة وغيرهم . وتوفي بالجيزة وحُمل في مركب إلى الفسطاط خوفاً عليه من زحمة الناس على الجسر ، ودُفن في مقابر أهل المعافر ، وذلك في يوم الاثنين لليلتين خلتا من ذي القعدة من سنة ست وأربعين ومائتين (١) .

٨٤٠ ـ الحسن بن الخليل بن مرة

أحمد بن صالح قال : سمعت عبد الله بن وهب ، وذكر الحسن بن الخليل بن مُرّة ، فقال : ذاك رجل صِدقٍ قد شغلته العبادة .

قال الحسن بن محمدٍ بن باذا : وثنا عبد الله بن صالح قال : ما رأيت بمصر من **أُفضِّلُه** على الحسن بن الخليل في زهده وورعه ، ولقد رأيته يحمل دقيقاً في جراب للناس بأجرة يتقوّت بها في كل جمعة يحمل يوماً ، ثم زاد أمره فلم يكن يدّخر لوقتٍ يأتي ، وعليه مدرعة قيمتها أقلّ من درهم ، وأجمع أهل مصر أنه مستجاب الدعوة .

(١) ذكر ابن العماد فى « الشذرات » : أنه توفى سنة (٢٤٥ هـ) .

قال الحسين : وسمعت محمد بن رمح يقول : أتيت الحسن بن الخليل لأسمع منه شيئاً فإذا هو يقرأ سورة ﴿ق﴾ ويبكي . ثم غُشِيَ عليه . فتركته وقُمت وكان قد شغلتْه العبادة عن الحديث . وعُدت إليه غير مرة فلم يكن فيه فضل ، وكان مصفّر اللون كثير البكاء .

قال الحسين : وحدثنا يحيى بن بكير قال : اعتلّ الحسن بن الخليل فجاء الليث بن سعد يعوده ونحن معه فقرأ على رأسه ثم قمنا من عنده فقال هذا أعبدُ من رأيت .

موسى بن هارون قال : رأيت الحسن بن الخليل بن مرّةً بعرفات وكلّمته . ثم رأيته يطوف بالبيت فقلت : ادعُ الله لي أن يقبل حجّي . فبكى ودعا لي ، ثم أتيت مصر فقلت : إن الحسن كان معنا بمكة . فقالوا : ما حجّ العام . وقد كان يبلغني أنه يمرّ إلى مكة في كل ليلة ، فما كنت أصدق ، حتى رأيته فعاتبني وقال : شَهّرتَني ، ما كنت أحبّ أن تحدِّث بها عني ، فلا تَعُد بحقي عليك .

٨٤١ ـ محمد بن عمرو الغزى[١]

أبو زُرعة قال : كان يأتي على محمد بن عمرو الغزِّي ثمانية عشر يوماً لا يذوق فيها ذواقاً ولا طعاماً ولا شراباً . ما رأيت بمصر أصلح منه .

إبراهيم بن أبي أيوب قال : حدثنا محمد بن عمرو الغزّي ، وكان يأكل في كل شهر رمضان أكلتين من غير تكلّف ، يأكل في كل خمسة عشر يوماً مرة .

أسند الغَزّي عن الوليد بن مسلم وعثمان بن سعيد وعطّاف بن خالد في آخرين .

٨٤٢ ـ أبو على الحسن بن أحمد المعروف بابن الكاتب [٢]

من كبار الصالحين من مشايخ المصرين

أحمد بن علي بن جعفر قال : سمعت أبا عليّ الكاتب يقول : إذا انْقَطَع العبدُ إلى الله تعالى بالكُلِّيَة فأول ما يفيده الله عز وجل الاستغناء به عمّن سواه . وكان يقول : قال الله عز وجل : من صبر علينا وصل إلينا .

وكان يقول : إذا سكن الخوف في القلب لم ينطق اللسان إلا بما يعنيه .

أبو القاسم المصري قال : قال أبو عليّ ابن الكاتب إن الله عز وجل يرزق العبد حلاوة ذكْره ، فإن فرح به وشكره آنسه بقربه ، وإن قصّر في الشكر أجرى الذكْر على لسانه وسلبه حلاوته .

صحب أبو علي ابن الكاتب أبا علي الرّوذباري وغيره وتوفي بعد الأربعين والثلثمائة .

---

(١) سير الأعلام (١١/ ٤٦٤) .

(٢) الحلية (١٠/ ٣٦٠) .

ذكر المصطفين من عباد مصر المجهولي الأسماء

٨٤٣ ـ عابد

يوسف بن الحسين قال : كنت قاعدا بين يدي ذي النون وحوله ناس ، وهو يتكلم عليهم ، والناس يبكون ، وشابٌ يضحك . فقال له ذو النون : ما لك أيها الشاب ؟ الناس يبكون وأنت تضحك . فأنشأ يقول :

كلّهـــم يعبـدون من خوف نار ويرون النّجاة حظا جزيلا
ليس لي في الجِنان والنارِ رَأيٌ أنا لا أبتغي بحبِّي بديلا

فقيل له : فإذا طردك فماذا تفعل ؟ فأنشأ يقول :

فإذا لــم أجد من الحبّ وَصْلاً رُمتُ في النار منزلاً ومقـيلا
ثـــم أزعجــتُ أهلها ببكائي بكرةً في ضِرامها وأصـــيلا
مَعْشـــر المشركين نُوحوا عليّ أنا عبدٌ أحببتُ مَوْلَى جليلا
لم أكن في الذي ادّعيتُ مُحِقا فجـزاني به العذابَ الطّويلا

يوسف بن الحسين قال : كان شابٌ يحضر مجلس ذي النون بن إبراهيم المصري مدةً. ثم انقطع عنه زماناً . ثم حضر عنده وقد اصفّر لونه ونحل جسمه وظهرت آثار العبادة والاجتهاد عليه فقال له ذو النون : يا فتى ، ما الذي أكسبتك خدمة مولاك واجتهادك من المواهب التي منحك بها فوهبها لك واختصّك بها ؟ فقال الفتى : يا أستاذ وهل رأيت عبداً اصطنعه مولاه من بين عبيده واصطفاه وأعطاه مفاتيح الخزائن ثم أسرّ إليه سراً أيحسن أن يُفشي ذلك السر ؟ ثم أنشأ يقول :

مَن شاوَرُوه فأبدَى السرّ مجتهداً لم يأمنوه علـــى الأسرار ما عاشا
وباعـــدوه فلـــم يَسْعَد بقُربهمُ وأبدَلوه من الإينـــاس إيحاشــــا
لا يصطفُون مُذيعاً بعضَ سرّهمُ حاشـــا ودادَهُمُ من ذالكُم حاشا

٨٤٤ ـ عابد آخر

عبد الملك بن هاشم قال : قلت لذي النون صف لنا من خيار من رأيت فذرفت عيناه وقال : ركبنا مرةً البحر نريد جُدّةَ ، معنا فتى من أبناء نيّفٍ وعشرين سنة قد أُلبس ثوباً من الهيبة ، فكنت أحبّ أكلِّمه فلم أستطع فبينما نراه مُصلِّياً نراه قارئاً ونراه مسبِّحاً إلى أن رقد ذات يوم ووقعت في المركب تُهمة فجعل الناس يفتش بعضهم بعضاً إلى أن بلغوا إلى الفتى النائم . فقال صاحب الصرَّة : لم يكن أحد أقرب إليّ من هذا الفتى النائم ، فلما سمعتُ ذلك قمتُ فأيقظته ، فما كلمني حتى توضأ للصلاة وصلى أربع ركعات ، ثم قال : يا فتى

ما تشاء ؟ فقلتُ : إن تهمةً وقعت في المركب وإن الناس لم يزل يفتش بعضهم بعضاً حتى بلغوا إليك فالتفت إلى صاحب الصرّة فقال : أكما يقول ؟ فقال : نعم لم يكن أحد أقرب إليّ منك ، فرفع الفتى يديه يدعو وخفتُ على أهل المركب من دعائه فيخيّل إلينا أن كل حوت في البحر ، قد خرجت في فم كل حوت دُرّة ، فقام الفتى إلى جوهرة في فِي حوت فأخذها فألقاها إلى صاحب الصرة وقال : في هذه عِوَضٌ مما ذهب منك وأنت في حلّ.

وقد رُويت لنا هذه الحكاية على وجه آخر :

يوسف بن الحسين قال : لما استأنستُ بذي النون المصريّ قلت : أيها الشيخ ما كان بدو شأنك وما أنت فيه ؟ قال : كنت شاباً صاحب لهو ولعب ، ثم إني تبتَ وتركتُ ذلك كله وخرجت حاجا إلى بيت الله الحرام ومعي بُضَيِّعة فركبت في المركب مع تُجّار من مصر ، وركب معنا شابّ صبيحٌ كأنه يشرق وجهه . فلما توسّطنا فقد صاحبُ المركب كيساً فيه مال، فأمر بحبس المركب وفتش من فيه وأتعبهم . فلما وصلوا إلى الشابّ ليفتش ، وثب وثبةً من المركب حتى جلس على موج من أمواج البحر ، وقام له الموج سريرٍ على مثال وهو جالس عليه ننظر إليه من المركب . ثم قال : يا مولاى إن هؤلاء اتهموني وإني أقسم يا حبيب قلبي أن تأمر كل دابّة في هذا المكان أن تُخرج رءُوسها وفي أفواهها جوهر . قال ذو النون : فما تم كلاّمه حتى رأينا دوابّ البحر أمام المركب وحواليه قد أخرجت رءُوسها وفي فم كل واحدة منها جوهر مضيء يتلألأ ويلمع، ثم وثب الشاب من الموج إلى البحر وجعل يتبختر على متن الماء ويقول ﴿ **إيّاك نعبد وإيّاك نستعينُ** ﴾ حتى غاب عن عيني .

٨٤٥ ـ عابد آخر

حكيم من الحكماء قال : مررت بعريش مصر وأنا أريد الرّباط ، فإذا أنا برجُل في مظلّة قد ذهبت عيناه ويداه ورجلاه ، وبه أنواع البلاء وهو يقول : الحمد لله حمداً يُوافي محامد خلقك بما أنعمْتَ عليّ وفضَّلتني على كثيرٍ ممن خلقْتَ تفضيلاً . فقلت : لأنظرن أشيءٌ علمه أم ألهمه الله إلهاماً ؟ فقلت : على أيّ نعمة من نعمه تحمده ؟ أم على أيّ فضيلة تشكره ؟ فوالله ما أرى شيئاً من البلاء إلا وهو بك . فقال : ألا ترى ما قد صنع بي ؟ فوالله لو أرسل السماء عليّ ناراً فأحرقتني ، وأمر الجبال فدكْدكتني ، وأمر البحار فغرّقتني ما ازددتُ له إلا حمداً وشكراً وإن لي إليك حاجة : بُنَيّة لي كانت تخدمني وتتعاهدُني عند إفطاري انظر هل تُحِسّ بها ؟ .

وقال عبد الوهاب بُنَيّ كان لي فقلت : والله إني لأرجو أن يكون لي في قضاء حاجة

هذا العبد الصالح قُربةٌ إلى الله عز وجل . فخرجت أطلبها بين تلك الرمال فإذا السبع قد أكلها . فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، من أين آتي هذا العبد الصالح فأخبره بموت ابنته ؟ فأتيته فقلت له : أنت أعظم عند الله منزلةً أم أيوب عليه السلام ؟ ابتلاه الله في ماله وولده وأهله وبدنه حتى صار عرضاً للناس ؟ فقال : لا بل أيوب . قلت : فإنّ ابنتك التي أمرتني أن أطلبها أصبتُها وإذا السّبعُ قد أكلها . فقال : الحمد لله الذي لم يُخرجني من الدنيا وفي قلبي منها شيءٌ . فشهق شهقة فمات . فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، من يعينني على غسله ودفنه ؟ فإذا أنا بركب يريدون الرّباط ، فأشرت إليهم فأقبلوا إليّ فأخبرتهم بالذي كان من أمره فغسلناه وكفّنّاه ودفنّاه في مظَلّته تلك ، ومضى القوم . وبتّ ليلتي في مظلته آنساً به حتى إذا مضى من الليل قدرُ ثُلثه إذ أنا به في روضة خضراء ، وإذا عليه حُلّتان خضراوان وهو قائم يتلو القرآن . فقلت : ألست صاحبي بالأمس ؟ فقال : بلى . فقلت : فما صيّرك إلى ما أرى ؟ قال : وردتُ من الصابرين على درجةٍ لم ينالوها إلاّ بالصبر عند البلاء ، والشّكر عند الرخاء .

٨٤٦ ـ عابد آخر

عمرو بن عثمان المكي قال : لقيت رجلاً بين قرى مصر يدور . فقلت : ما لي أراك لا تقرّ بمكان ؟ قال : وكيف يقرُّ مطلوب ؟ فقلت له : أو ليس أنت في قبضته في كل مكان ؟ قال : بلى ، ولكن أخاف أن استوطن الأوطان فيأخذني على غرّة الاستيطان مع المغرورين .

٨٤٧ ـ عابد آخر

أبو بكر المصري قال : خرجت من عَيْنونة [١] أريد الرّملة . فبينا أنا أمشي إذا بفقير يمشي حافي القدمين حاسر الرأس ، وعليه خرقتان متّزرٌ بإحداهما مُرْتَد بالأخرى ليس معه زاد ولا ركْوة . فقلت في نفسي : لو كان مع هذا ركوة وحبل ، فإذا ورد الماء توضأ وصلى كان خيراً له .

فلحقْت به وقد اشتدّت الهاجرة فقلت له : يا فتى لو جعلت هذه الخراقة التي على كتفيك على رأسك تَتَوَقّى بها الشمس كان خيراً لك ، فسكت ومشى ، فلما كان بعد ساعة قلت له : أنت حافٍ ، أيّ شيء ترى في نعل تلبسها ساعة وأنا ساعة ؟ فقال : أراك كثيرالفضول ألم تكتب الحديث ؟ قلت . بلى . قال : فلم تكتُب عن النبي ﷺ «إنّ من حُسن إسلام المرء تركُه ما لا يعنيه » [٢] ، فسكت ومشى . وعطشت وأنا على

(١) قرية من قرى فلسطين .

(٢) رواه الترمذي (٢٣١٧) وتقدم تخريجه .

ساحل البحر فالتفت إلي فقال : أنت عطشان ؟ فقلت : لا . فمشى ساعة وقد كظنى[1] العطش ، ثم التفت إليّ فقال : أنت عطشان ؟ فقلت : نعم ، وما تقدر أن تعمل في مثل هذا الموضع ؟ فأخذ الرّكوة مني ودخل البحر وغرف الماء وجاءني به، وقال: اشرب. فشربت ماء أعذب من ماء النيل وأصفى لوناً وفيه حشيش ، فقلت في نفسي هذا وليّ الله ولكني أدعه حتى إذا وافينا المنزل سألتُه الصّحبة ، فوقف وقال : أيَّهما أحبّ إليك تمشي أو أمشي ؟ فقلت : إن تقدّم فاتني ولكن أتقدّم أنا وأجلس في بعض المواضع، فإذا جاء سألتُه الصَحبة . فقال : يا أبا بكر إن شئت تقدّم وأجلس وإن شئت تأخر فإنك لا تصحبُني، ومضى وتركني ، فدخلت المنزل وكان لي به صديق وعندهم عليل فقلت لهم: رُشّوا عليه من هذا الماء . فرشّوا عليه فبرأ وسألتُهم عن الشخص فقالوا : ما رأيناه.

٨٤٨ ـ عابد آخر

عبد العزيز بن عُمير قال : كان في خرابات القبائل بمصر رجلٌ مجذوم وكان شابٌ من أهل مصر يختلف إليه ويتعاهده ويغسل خرقه ويخدمه . فتقرأ فتى من أهل مصر فقال للذي كان يخدمه : إنه بلغني أنه يعرف اسم الله الأعظم فأنا أحبّ أن أجيء معك إليه فأتاه فسلَّم عليه وقال : يا عمّ إنه بلغني أنك تعرف اسم الله الأعظم فلو سألته أن يكشف ما بك ؟ فقال : يا بن أخي ، هو الذي أبلاني فأنا أكره أن أُرادَّهُ .

ومن عقلاء المجانين بمصر

٨٤٩ ــ رجل من أصحاب ذى النون

أبو الحسن الفارسي قال : بلغنا أن رجلاً من أصحاب ذي النون أصيب بعقله فكان يطوف ويقول : آه أين قلبي ؟ أين قلبي ؟ من وجد قلبي ؟ من وجد قلبي ؟ والصبيان قد أُولعوا به يرمونه من كل جانب .

فقضى أنه دخل يوماً بعض سكك مصر وقد هرب من الصبيان فجلس يستريح ساعةً إذ سمع بكاء صبي تضربه والدته ثم أخرجته من الدار وأغلقت دونه الباب . فجعل الصبي يلتفت يميناً وشمالاً لا يدري أين يذهب ؟ وإلى أين يقصد ؟ فلما سكن ما به عاد ناكصاً على عقبيه حتى رجع إلى باب دار والدته فوضع رأسه على عتبة الدار فذهب به النوم . ثم انتبه فجعل يبكي ويقول : يا أُمّاه من يفتح لي الباب إذا أغلقت عني بابك ؟ ومن يُدنينى من نفسه إذا طردتني من نفسك ؟ ومن الذي يُربّينى بعد أن غضبتَ عليّ ؟ .

قال : فرحمتْه أُمه فقامت فنظرت من خلل الباب فوجدت ولدها تجري الدموع على

(١) كظه العطش : ملأه وأجهده .

خدّيه متمعكاً في التراب . ففتحت الباب وأخذته حتى وضعته في حجْرها وجعلت تقبّله وتقول : يا قُرّة عيني ويا عزيز نفسي ، أنت الذي حملتَني على نفسك ، وأنت الذي تعرّضت لما حلّ بك ، لو كنت أطعتني لم تلق مني مكروهاً . قال : فتواجد الفتى وصاح حتى اجتمع عليه الخلْق فقالوا : ما الذي أصابك ؟ فقال : قد وجدت قلبي ، قد وجدتُ قلبي . فلما بصُر بذي النون قال : يا أبا الفيض قد وجدت قلبي في سكّة كذا وكذا عند فلانة . وسمّاها . ثم لم يزل إذا تواجد يقول ذلك .

ذكر المصطفيات من عابدات مصر

٨٥٠ ـ فاطمة بنت عبد الرحمن بن عبد الغفار الحرانى

عليّ بن أبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى المصري قال : انبأ أبي قال : فاطمة بنت عبد الرحمن تُكنى أم محمد ، مولدها ببغداد ، وقدم بها إلى مصر وهي حدثة [١] . سمعت من أبيها وطال عمرها حتى جاوزت الثمانين ، وكانت تُعرف بالصوفية لأنها أقامت تلبس الصوف ولا تنام إلا في مُصلاّها بلا وطاءٍ فوق ستين سنة .

توفيت سنة اثنتى عشرة وثلثمائة .

٨٥١ ـ أم أيمن بنت على امرأة أبى على الروذبارى واسمها عزيزة

أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين قال : سمعت بعض أصحابنا يقول : كانت عزيزة امرأةُ أبي عليّ تقول : كيف لا أرغب في تحصيل ما عندك وإليك مرجعي ؟ وكيف لا أحبّك وما لقيت خيراً إلا منك ؟ وكيف لا أشتاق إليك وقد شوّقتني إليك ؟ . وحُكيَ عنها أنها قالت : لا ينتفع العبد بشيءٍ من أفعاله كما ينتفع بطلب قُوته من حلال . قال : وخرجت يوما من مصر وقت خروج الحاجّ والجمالُ تمرّ بها وهي تبكي وتقول : واضعفاه . وتُنشد على أثره وتقول :

فقلتُ : دَعُوني واتّباعي ركابكم أكُنْ طوع أيديكم كما يفعل العبدُ
وما بالُ رغمـــي لا يهون عليهمُ وقد علــــموا أنْ ليس لي منهُم بُدُّ

وتقول : هذه حسْرة من انقطع عن الوصول إلى البيت ، فكيف ترى حسرة من انقطع عن الوصول إلى ربّ البيت ؟ .

٨٥٢ ـ تحية النوبية

أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السُلمي قال : سمعت المالينى الصّوفي يقول :

---

(١) أى فى مقتبل العمر .

دخلت علي تحية زائراً فسمعتُها من داخل البيت وهي تُناجي وتقول في مناجاتها : يا من يُحبّني وأحبه .

فدخلت إليها وسلَّمت عليها وقلت : يا تحيّة هبي أنك تحبين الله تعالى فمن أين تعلمين أنه يحبّك ؟ فقالت : نعم إني كنت في بلد النُّوبة وأبواي كانا نصرانيّين . وكانت أمي تحملني إلى الكنيسة وتجيء بي عند الصّليب وتقول : قبّلي الصليب ، فإذا هممتُ بذلك أرى كفا تخرج فتردّ وجهي حتى لا أُقبّله . فعلمتُ أن عنايته بي قديمة .

ومن المجهولات الأسماء

٨٥٣ ـ عابدة

أبو عبد الله ، محمد بن شجاع الصوفي قال : كنت بمصر أيام سياحتي فتاقت نفسي إلى النساء فذكرت ذلك لبعض إخواني فقال لي : ههنا امرأة صوفية لها ابنة مثلها جميلة قد ناهزت البلوغ . قال : فخطبتها وتزوّجتها ، فلما دخلت إليها وجدتها مستقبلة القبلة تصلي . قال : فاستَحيَيْت أن تكون صبيةٌ في مثل سنها تصلّي وأنا لا أُصلّي . فاستقبلُت القبلة وصلَّيت ما قُدّر لي حتى غلبَتني عيني فنمْت في مُصلاّي ونامت في مُصَلاّها . فلما كان في اليوم الثاني كان مثلُ ذلك أيضاً ، فلما طال عليّ قلت : يا هذه ألا لاجتماعنا معنى ؟ قال: فقالت لي: أنا في خدمة مولاي ومن له حقّ فما أمنعه. قال: فاستحيَيْت من كلامها وتماديت على أمري نحو الشهر. ثم بدا لي في السفر ، فقلت لها: يا هذه. قالت : لبيّك. قلت: إني قد أردت السفر. قالت مُصاحباً بالعافية. فقمت فلما صرتُ عند الباب قامت فقالت لي: يا سيدي كان بيننا في الدنيا عهدٌ لم يُقضَ بتمامه عسى في الجنة إن شاء الله. فقلت لها: عسى. فقالت لي: أستودعك الله خير مستودع. قال: فتودعتُ منها وخرجتُ .

قال : ثم عدت إلى مصر بعد سنين فسألت عنها ؟ فقيل لي : هي على أفضل مما تركتها عليه من العبادة والاجتهاد . انتهى ذكر أهل مصر .

ذكر المصطفين من عباد الإسكندرية

٨٥٤ ـ أسلم بن زيد الجهني

إبراهيم بن أدهم قال : لقيت رجلاً بالإسكندرية يقال له أسلم بن زيد الجهني فقال : من أنت يا غلام ؟ فقلت : شابّ من أهل خراسان . قال : ما حملك على الخروج من الدنيا ؟ فقلت : زهداً فيها ورجاء ثواب الله تعالى . فقال : إن العبد لا يتم رجاؤه لثواب الله تعالى حتى يحمل نفسه على الصبر . فقال له رجل ممن كان معه . وأيّ شيء الصبرُ؟ فقال : إنّ أدنى منازل الصبر أن يروض العبد نفسه على احتمال مكاره الأنفس قال قلت

ثُم مه ؟ قال : إذا كان محتملاً للمكاره أورث الله عز وجل قلبه نوراً ، قلت: فماذا النور ؟ قال : سراج يكون في قلبه يفرِّق بين الحق والباطل والمتشابه . ثم قال : يا غلام إياك إذا صحبت الأخيار وجاريت الأبرار أن تغضبهم عليك ، لأن الله تعالى يغضب لغضبهم ويرضى لرضاهم ، وذلك أن الحكماء هُم العلماء ، هم الراضون عن الله إذا سخط الناس. يا غلام احفظ عني واعقل واحتمل ، ولا تعجل ، إياك والبُخل. قلت : وما البخل ؟ قال: أما البخل عند أهل الدنيا فهو أن يكون الرجل ضنيناً بماله، وأما عند أهل الآخرة فهو الذي يضنّ بنفسه عن الله . ألا وإن العبد إذا جاد بنفسه لله أورث الله قلبه الهدى والتقى ، وأُعطي السكينة والوقار والحلم الراجح والعقل الكامل .

٨٥٥ ـ عابد آخر

العبّاس بن يوسف الشُّكلي قال : دخلت الإسكندرية فسألت : هل بها أحد من الزّهّاد ؟ فقالوا : فتى قد كان يصوم النهار ويقوم الليل فإذا أفطر أفطر على الشهوات ، فرأى رؤيا هالته فأخذ في التقلّل وصار فِطره في كل خمسة عشر يوماً مرة . فقلت فعلى أيّ شيء يُفطر إذا أفطر ؟ فقيل لي : على شيء من الكُسْب وتمرات يعجنها فهي فطره من الوقت إلى الوقت . فقلت : فما الرؤيا التي رآها ؟ قالوا : رأى فتىً وقف عليه فقال له:

تَجـــوَّعْ فإنْ الجوع يُورث أهله مَصـــادرَ برٍّ خيرُها الدهر دائمُ
ولا تك ذا بطنٍ رغيبٍ وشهوةٍ فتُصبحَ في الدنيا وقلبُك هائمُ

٨٥٦ ـ عابدة

عن حجّاج بن ريّان قال : دخلت أنا وابن أبي رفاعة مسجد الإسكندرية فإذا أنا بامرأة قد اعتزلت عن النساء وجعلتْ حولها حظيرة من حجارة ، فتقدم إليها ابن أبي رفاعة فقال لها: ما لي أراك قد اعتزلت النساء وجعلت حولك هذه الحجارة ؟ فقالت : يا أبا عبد الرحمن كلمةً من هذه ، وكلمةً من هذه ، وقد ذَهَبَ الصيام قال : فالتفت إليّ ابن أبي رفاعة فقال: أترى هذه سمِعْتُ من مالك بن أنس شيئاً ؟ يعني أن الله تعالى هو الذي بصّرها .

ومن المصطفين من أهل أيلة

٨٥٧ ـ أبو صخر يزيد بن أبي سمية الأيلي[1]

محمد بن عُمَر قال : كان أبو صخر من العبّاد ، وكان يُصلّي ليْلَه أجمع ويَبكي ،

---

(١) سير الأعلام (٦/ ١٣٣) .

وكانت معه في الدار امرأة يهودية ساكنة تبكي رحمةً له ، فقال ليلةً في دعائه : اللهم إنّ هذه اليهودية قد بكت رحمة لي ودينها مخالفٌ لديني فأنت أولى برحمتي . وكان يُوافي الموسم عام مع محمد بن المنذر وصفوانُ بن سليم ويزيد بن خُصيفة وأبي حازم ، فيلقَوْن عمر بن ذرٍّ فيقُصّ عليهم ويذكرِّهُم أمر الآخرة . فلا يزالوان كذلك حتى ينقضيَ الموسم ثم لا يلتقون بعدُ إلا في كل موسم .

ذكر المصطفين من أهل المغرب

٨٥٨ ـ أبو عبد الله المغربي واسمه محمد بن إسماعيل[(١)]

إبراهيم بن شيبان قال : سمعت أبا عبد الله المغربي يقول : ما رأيتُ ظُلمةً منذ سنين كثيرة . قال إبراهيم : وذلك أنه كان يتقدّمُنا بالليل المظلم ونحن نتبعه وهو حافٍ حاسر، وكان إذا عثر أحدُنا يقول يميناً وشمالاً ، ونحن لا نرى ما بين أيدينا ، فإذا أصبحنا نظرنا إلى رجله كأنها رجل عروس خرجت من خدرها . وكان يقعُدُ لأصحابه يتكلّم عليهم فما رأيتُه انزعج إلا يوماً واحداً : كنا على الطُّور وهو قد استند إلى شجرة خرّوب ، وهو يتكلم علينا . فقال في كلامه لا ينال العبد مراده حتى ينفرد فرداً بفرد . فانزعج واضطرب ورأيتُ الصخور قد تَدكْدَكَت ، وبقي في ذلك ساعاتٍ فلما أفاق كأنه نُشِرَ من تبر .

إبراهيم بن شيبان قال : سمعت أبا عبد الله المغربي يقول : أفضل الأعمال عمارة الأوقات في الموافقات . وقال : أعظم الناس ذُلاً فقيرٌ داهن غنيا وتواضع له .

أسند أبو عبد الله المغربي الحديث عن عمرو بن أبي غيلان وتوفي على جبل الطّور في سنة تسع وتسعين ، وقيل تسع وسبعين ومائتين ، وأوصى أن يُدفن إلى جانب أستاذه عليّ ابن رزين . وعاش كل واحد منهما عشرين ومائة سنة . فهما على جبل الطُّور .

وكان المغربي أستاد إبراهيم الخوّاص .

ذكر المصطفين من عباد المغرب المجهولى الأسماء

٨٥٩ ـ عابد

سعيد بن عثمان قال : سمعت ذا النون قال : بينما أنا سائر في بلاد المغرب إذا أنا برجُلٍ على عَريش من البلُّوط وعنده عينُ ماء تجري فأقمتُ عليه يوماً وليلةً أُريد أن أسمع كلامه . فأشرف عليّ بوجهه ، فسمعته يقول : شهد قلبي لله بالنّوازل ، وكيف لا يشهدُ

(١) الحلية (١٠/ ٣٣٥) .

قلبي بذلك ؟ هيهات هيهات لقد خاب لديك المقصِّرون ، سيدي ما أحلى ذكرك ، أليس قصدك مُؤمِّلوكَ فنالوا ما أمَّلُوا ، وجُدْت لهم بالزيادة على ما طلبوا ؟ فقلت له : يا حبيبي إني مقيمٌ عليك منذ يوم وليلة أُريد أن أسمع من كلامك . فقال لي : قد رأيتُكَ يا بطّالُ حين أقبلت ، ولكن ما ذهب رَوعك من قلبي إلى الآن . فقلت له : ولم ذلك؟ وما الذي أفزعك مني فقال : بطالتُك يوم عملك ، وتركُك الزاد ليوم معادك ، ومُقامُك على المظنون. فقلت له : يا حبيبي ما ها هنا فتيةٌ تستأنس بهم ، فقال : بلى ، هاهنا فتْيةٌ متفرقون في رءوس الجبال . قلت : فما طعامُهم في هذا المكان ؟ قال : أكلُهم الفلقُ من خُبز البلُّوط ، ولباسُهم الخرق من الثياب ، قد يئسوا من الدنيا ويئست الدنيا منهم ، أعطوا المجهود من أنفسهم ، فلما دبرت المفاصل من الركوع وقرحت الجباه من السجود وتغيرت الألوان من السفر ضجُّوا إلى الله عز وجل بالاستغاثة .

٨٦٠ ـ عابد آخر

يوسف بن الحسين قال : قال ذو النون ، وصف لي رجل بالمغرب وذُكر لي من حكمته وكلامه ما حملني على لقائه . فرحلت إليه إلى المغرب فأقمْت على بابه أربعين صباحاً على أن يخرُجَ من منزله إلى المسجد ويقعُد ، فكان يخرُجُ وقت كل صلاة يصلي، ويرجع كالواله لا يكلّمُ أحداً فقلت له يوماً : يا هذا إني مقيم هاهنا منذ أربعين صباحاً لا أراك تكلّمني . فقال لي : يا هذا لساني سَبُعٌ إن أطلقته أكلني . فقلتُ له : عظني رحمك الله بموعظة أحفظها عنك . قال : وتفعل ؟ قلت : نعم إن شاء الله ، قال: لا تحب الدنيا وعدّ الفقر غنى والبلاء من الله نعمةً ، والمنع من الله عطاء ، والوحدة مع الله أُنساً ، والذلّ عزاً والطاعة حرفةً والتوكلّ معاشاً والله تعالى لكل شديدة عُدّة .

ثم مكث بعد ذلك شهراً لا يكلّمني ، فقلت له : رحمك الله إني أُريد الرجوع إلى بلدي فإن رأيت أن تزيدني في الموعظة فقال : اعلم أنّ الزاهد في الدنيا قُوتُه ما وجد ومسكنه حيث أدرك ولباسُه ما ستر ، الخلوةُ مجلسه ، والقرآن حديثه ، والله الجبار العزيز أنيسه والذكر رفيقه ، والصمتْ جُنّته ، والخوفُ سجيّته ، والشوق مطيته ، والنصيحة نهْمته والصبر وساده ، والصديقون إخوانه والحكمة كلامه ، والعقل دليله ، والجوع أُدْمُه والبكاء دأبه ، والله عز وجل عُدّته . قلت بما تتبينُ الزيادة من النقصان ؟ قال: عند المحاسبة للنفوس .

٨٦١ ـ عابدة من أهل افريقية

محمد بن حفص قال : مررتُ على أخ لي من أهل مصر ونحن بالثغر ، فأخرجَ إليّ

شكالا [1] . فقال : انظر من أي شيء هذا الشكال ؟ فنظرت فإذا شكال من شعر ، كأنه من صفائه وشدة سواده قد دُهن بالدّهن . فقلت: هذا عندي من أعراف الخيل العتاق الكرام. فقال : لا . والله ، ولكنه من شعر امرأة من أهل افريقيّة جعلت منه شكالاً ، ثم أرسلت به إليّ فقالت : اجعله شكال فرس غاز في سبيل الله عز وجل فإني طالما تمتعتُ به في غير طاعة الله قلت : إنما يُنظر إلى ذلّ هذه المرأة لله تعالى وقصدها لا إلى صورة فعلها لأنها جهلت أن هذا الفعل لا يجوز .

ذكر المصطفين من عباد الجبال

الجبال على ضربين : جبال مسمّاة معروفة ، وجبال غيرُ مسمّاة : فنبدأُ بالمعروفة .

ذكر المصطفين من عباد جبل اللكام

وهم قسمان : من يعُرف اسمه ، ومن لا يُعرف ، فمن المعرفين :

٨٦٢ ـ إسحاق بن إبراهيم الجمال

كان ينزل جبل اللُّكَّام عبد الله بن محمد الزنجاني قال : دخلت جبل اللُّكّام فغَلطتُ فوقعتُ على شيخ متزر بجلد مُتّشح بِمسْح . فقال : الله أكبر ، جنّيٌّ أم إنسيّ ؟ قلت : بل إنسيٌّ . قال : ضللتَ الطريق ؟ قلت : نعم . قال : فعلمني كُليمات . ودفع إليّ عصا وقال : خذ هذه العصا فإنها تدلك على الطريق فإذا بلغت مُرادك فألقِ العصا ، فمشيت قليلاً فإذا أنا على باب أنطاكية فألقيت العصا . فلا أدري كيف كان ذلك ؟ فرآني قومٌ فقالوا: من أين ؟ قلت : من اللُّكام ، ضللتُ الطريق فوقعت على شيخ فدلّني وعلّمني كلمات وقال لي : منذ ثلاثين سنة ما رأيت إنسيا . قالوا : نعم ، كان ها هنا أخوان يقطعان الطريق فوقعا على هذا الشيخ فدعا لهما فتابا فليس اليوم في هذه النواحي أصلح منهما . وهذا الشيخ إسحاقُ بن إبراهيم الجمّال .

القسم الثاني : من لا يعرف اسمه من عباد جبل اللكامّ

٨٦٣ ـ عابد

أبو سليمان الدّاراني قال : مررتُ في جبل اللُّكّام في جوف الليل فسمعت رجلاً يقول في دُعائه : يا سيدي وأملي ومُؤمِّلي ومن به تمّ عملي أعوذ بك من بدن لا ينتصب بين يديك ، وأعوذ بك من قلب لا يشتاق إليك ، وأعوذ بك من دعاء لا يصل إليك ، وأعوذ بك من عين لا تبكي عليك فعلمت أنه عارف فقلت له : يا فتى إن للعارفين مقامات ، وللمشتاقين علامات . قال : وما هي ؟ قلت : كتمان المصيبات ، وصيانة

---

(١) الشكال : القيد والعقال . يوضع للخيل .

الكرامات ، فقال لي عظني . ، فقلت : اذهب ولا تُرد غيره ولا تَرُدّ خير ، ولا تبخل بشيئه عنه . قال : زدني . قلت : اذهب فلا تُرِد الدنيا ، واتخذ الفقر غنى ، والبلاء من الله عز وجل شفاء ، والتوكل معاشاً ، والجوع حرفة ، واتخذ الله لكلَ شدّة عدّة صعق صعقة فتركته .

٨٦٤ ـ عابد آخر

جعفرُ بن محمد سهل السامريُّ قال : سمعتُ ذا النون يقول : بينما أنا سائر في جبل اللُّكام مررْت على وادٍ كثير الأشجار والنبات . فبينما أنا واقف أتعجّب من حُسن زهرته ومن خُضرةِ العشب فيَ جنباته إذ سمعت صوتاً أهطل مدامعي وهيّج بلابل حزني ، فاتّبعت الصوت حتى وقفني بباب مغارٍ في سفح ذلك الوادي ، فإذا الكلام يخرج من جوف المغار فاطّلعت فيه فإذا أنا برجل منَ أهل التعبد والاجتهاد . فسمعتة يقول : سبحان من أخرج قلوب المشتاقين في رياض الطاعة بين يديه ، سبحان من أوصل الفهْم إلى عقول ذوي البصائر فهي لا تعتمدُ إلا عليه ، سبحان من أورد حياض المودّة نفوس أهل المحبة فهى لا تحنَ إلا إليه . ثم أمسك فقلت: السلام عليك يا حليف الأحزان وقرين الأشجان . فقال: وعليك السلام ، ما الذي أوصلك إليّ من قد أفرده خوف المسألة عن الأنام ، واشتغل بمحاسبة نفسه من التّنطُّع في الكلام ؟ قلت : أوصلني إليك الرغبة في التصفح والاعتبار . فقال : يا فتى إن لله عز وجل عبّاداً قدح في قلوبهم زندا الشغف نارُ الومّق (١) ، فأرواحهم لشدة الاشتياق تسرح في الملكوت ، وتنظر إلى ما ذُخر لها في حُجب الجبروت .

قلت : صِفْهُم لي . قال : أولئك قومٌ آووا إلى كنف رحمته . ثم قال : يا سيدي بهم فألحقني ، ولَأعمالهم فوفقني . قلت : ألا تُوصيني بوصيّة ؟ قال : أحب الله عز وجل شوقاً إلى لقائه فإنّ له يوماً يتجلّى فيه لأوليائه ، وأنشأ يقول :

قــد كان لــي دَمْعٌ فأفنيـتهُ ... وكـــان لـي جفنٌ فأدْمَيتَهُ
وكـــان لـــي جسْمٌ فأبْليْته ... وكـــان لـــي قَلْبٌ فأضنَيْتَه
وكـــان لي يا سيِّدي ناظرٌ ... أرى به الجـــــوّ فأعْمَيْتَــه
عبدُك أضحى سيِّدي مُوثقاً ... لو شئت قبل اليــوم داوَيْتَه

(١) الومق : الحب ، والمقة « المحبة » ، والهاء عوض من الواو ، كالعظة ، والعدة ، والزنة ، فإن أصلها فعل فحذفوا الفاء فعوضوا منها تاء التأنيث جبراً للكلمة وتعويضا لما سقط منها ، والفعل « ومقة يَمقة » بالكسر فيها ، أى : أحبه فهو وامق . اهـ (روضة المحبين لابن القيم – الباب الثانى ، فصل : كلام الناس فى حد المحبة) .

٨٦٥ ـ عابد آخر

يوسف ابن الحسين قال : سمعت ذا النون يقول : مررْتُ برجلٍ بجبل اللّكّام وهو ساجد يقول في سجوده : إلهي ، بك عرفتُك فما حاجتي إلى غيرك .

٨٦٦ ـ عابد آخر

أبو إبراهيم الزهري قال : كنت جائياً من المصّيصة ، فمررت باللُّكّام فأحببت أن أراهم ، يعني المتعبِّدين ، هناك فقصدتُهم ووافيت صلاة الظهر ، وأحسبه رآني فيهم إنسان عرفني ، . فقلت له : فيكم رجل تدلُّوني عليه ؟ فقالوا : هذا الشيخ الذي يصلّي بنا . فحضرت معهم صلاة الظهر والعصر . فقال له ذلك الرجل : هذا رجل من ولد عبد الرحمن بن عوف وجدُّه أبو أمه سعدُ بن معاذ . قال : فبشَّ بي وسلَّم عليّ كأنه قد كان يعرفني قال : فقلت له : من أين تأكلُ ؟ فقال لي : أنت مقيم عندنا قلت : أما الليلة فأنا عندكم . قال: ثم مضيتُ معه فجعل يحدِّثُني ويُؤانسني حتى جاء إلى كهف جبل فقعدتُ ودخل فأخرج قعباً [١] يسع رطلاً ونصفاً ، قد أتى عليه الدُّهورُ . فوضعهُ وقعد يحدثُني حتى إذا كادت الشمس تغربُ اجتمعت حواليه ظباءٌ فاعتقل منها ظبية فحلبها حتى ملأ ذلك القدح ، ثم أرسلها . فلما سقط القُرص [٢] حساه . ثم قال : ما هو غير ما ترى ، وربما احتجتُ إلى الشيء من هذا فتجتمعُ حولي هذه الظباء فآخذُ حاجتي وأرسلها . قلت : أبو إبراهيم اسمه أحمد بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، معروفٌ بالعلم والزُهْد ، وكان أحمد بن حنبل إذا رآه قام قائماً .

٨٦٧ ـ عابد آخر

أبو صالح الدمشقي قال : كنت أدورُ في جبل اللُّكّام أطلب الزهّاد والعبّاد فرأيت رجلاً عليه مُرقَّعَةٌ جالساً على حجر مُطرقاً إلى الأرض ، فقلت له : يا شيخ ما تصنع هاهنا ؟ قال أنظر وأرعى . فقلت له : ما أرى بين يديك إلا الحجارة ، فما الذي تنظر وترعى . قال : فتغير لونه ثم نظر إليّ مُغْضباً وقال : أنظر خواطر قلبي ، وأرعى أوامر ربي وبحقِّ الذي أظهرك عليّ إلاّ جُزتَ عني . فقلت : كلّمني بشيء أنتفع به حتى أمضي . فقال : من لزم الباب أثبت في الخدم ، ومن أكثر ذكر الذنوب أكثر من الندم ، ومن استغنى بالله أمِنَ العَدَم. ثم تركني ومضى .

٨٦٨ ـ عابد آخر

سَرِيٌّ السَّقطي قال : مكثتُ أربعين سنة أسأل الله عز وجل أن يُريني ولياً من أوليائه،

---

(١) القعب : إناء ضخم .
(٢) أي : غربت الشمس .

قال : فلم أر أحداً . فخرجتُ إلى الثَّغْر وصعدْتُ جبل اللّكام فبينما أنا أمشي في المحجّة إذ رأيت قوماً جُلوساً نحو ثلاثين نفساً مَرْضى ، عليهم ثيابٌ خُلْقان ، فسلّمت عليهم ووقفتُ فقلت : لأي شيء أنتم جلوس في هذا القفر ؟ قالوا : نحن من هذه المدينة التي في أسفل الجبل إذا كان رأس كل شهر في مثل هذا اليوم في مثل هذا الموضع نجلس ، فإذا كان الظهر أقبل علينا رجل من هذا الموضع فنقوم إليه فيدعو الله لنا . فقعدتُ معهم. قال : فلما أن كان الظهر أقبل رجلٌ أسمرُ شديدُ السُمْرة عليه مئزر صوف ، فقرأ على كل واحد قال : فلحقته فقلتُ له : قف عليّ يرحمك الله أكلمّك. فالتفت إليّ وقال : يا سريّ لا تعاملْ غيره فتسقط من عينه .

٨٦٩ ـ عابد آخر

بلغنا عن بعض السلف أنه قال : مضيْتُ إلى جبل اللكام فما رأيت أعبد من شابٍّ أصفر اللون ، كان يصفُّ قدميه فيصلي ركعتين من أول الليل إلى آخره فيختم فيها القرآن ثم يجلس فيعْتَذِر إلى الصباح .

٨٧٠ ـ ومن عقلاء المجانين بجبل اللكام

بلغنا عن ذي النون المصرى قال : وُصِف لي رجل من أهل المعرفة في جبل اللّكام، فقصدته فلقيني جماعةٌ من المتعبّدين فسألتهم عنه ؟ فقالوا : يا ذا النون تسأل عن المجانين؟ فقلت : وما الذي رأيتم من جُنونه ؟ قالوا : نراه في أكثر أوقاته هائماً ساهياً يُكلّم فلا يجيب ، ويتكلّم فلا نَفْقه ما يقول ، وينوح في أكثر أوقاته على نفسه ويبكى فقلت في نفسي : ما أحسن أوصاف هذا المجنون . ثم قلت لهم : دلّوني عليه . فقالوا: إنه يأوي في الوادي الفلاني . انطلقت إلى الوادي فأشرفت على وادٍ وَعِرٍ ، فجعلت أنظر يميناً وشمالاً فإذا أنا بصوت محزون شَجٍّ من وَجْد قلبٍ وهو يقول :

يا ذا الذي أنِسَ الفؤاد بذكره ... أنت الـــذي ما إن سواه أُريدُ
تَفنَى الليالي والزّمـــانُ بأسره ... وهواك غضٌّ في الفؤاد جديدُ

قال ذو النون : فاتبعت الصوت فإذا أنا بفتًى حسن الوجه حسن الصوت ، وقد ذهبت تلك المحاسن وبقيت رسومُها ، نحيل قد اصفّر واحترق وهو شبيهٌ بالوالِه الحيران . فسلمت عليه فردّ السلام وبقي شاخصاً يقول :

أعميتَ عيني عن الدنيا وزينتها ... فأنت والرّوح شيءٌ غيرُ مفترِق
إذا ذكــرتُك وافـــى مقلتي أرَقٌ ... من أول الليل حتى مطلع الفَلَق
ومـــا تَطَابَقتِ الأجفانُ عن سِنةٍ ... إلاّ رأيتك بيـــن الجفن والحدَق

ثم قال : يا ذا النون ما لك وطلب المجانين ؟ . قلت : أو مجنون أنت ؟ قال : قد سُمّيتْ به . فقلت : مسألة ؟ فقال : سل ، قلت : أخبرني ما الذي حبّب إليك الانفراد وقطعك عن المؤانسين وهيّمك في الأودية ؟ قال : حبّي له هيّمني ، وشوقي إليه هيّجني ، ووجدي به أفردني . ثم قال : يا ليت شعري يا فتى إلى متى تتْركني مُقَلْقَلاً في محبّتي؟ فقلت . أخبرني أين محل الحبّ منك ؟ وأين مسكن الشوق فيك ؟ فقال: مســكن الحب ســوادُ الفؤاد . قلتْ : فما الذي تجد في خلوتك ؟ قال : الحقّ سبحانه . قلت : كيف تجده ؟ قال : بحيث لا حيث. ثم قال: يا ذا النون أعجبك كلام المجانين؟ قلت: إي والله وأشجاني ، ثم قلت له : ما صدْقُ وجدانك للحقّ تعالى ؟ فصرخ صرخة ارتجّ لها الجبل. ثم قال : يا ذا النون هكذا موت الصادقين . ثم سقط إلى الأرض ميتاً فتحيّرت في أمره ، لا أدري ما أصنع به ، وإذا به قد غاب عني فلا أدري أين ذهب .

ذكر المصطفين من عباد جبل لبنان
وهم على ضربين : معروف ومجهول فنبدأُ بالمعروف

٨٧١ ـ على الجرجرائى(١)

كان من أُستاذي بشر الحافي . وكان ينزل جبل لبنان .

القاسم بن القاسم قال : بلغني أن بشراً الحافي لقيَ عليا الجرجرائي بجبل لبنان على عين ماء . قال : فلما أبصرني قال : بذَنْب مني لقيتُ اليوم إنسيا . فعدوتُ خلفه وقلت: أوصني . فالتفت إليّ وقال : أمُسْتَوْصٍ أنت ؟ عانق الفقر ، وعاشر الصبر ، وعاد الهوى، وعاف الشهوات ، واجعل بيتَك أحلى من لحدِك يوم تُنقل إليه ، على هذا طاب المسير إلى الله عز وجل .

ذكر المصطفين من المجهولي الأسماء من عباد جبل لبنان

٨٧٢ ـ عابد

محمد بن حسان قال : بينا أنا أدور في جبل لبنان إذ خرج عليّ شابٌ قد أحرقته السّمرم والرياح ، عليه طِمْرٌ رَثٌ ، وقد سقط شعر رأسه على حاجبيه . فلما نظر إليّ ولّى هارباً مستوحشاً . فقلت له : يا أخي ، موعظة لعل الله عز وجل أن ينفعني بها . فالتفت إليّ وهو مارّ فقال : يا أخي ، احذر الحق فإنه غيور ، ولا يحبّ أن يرى في قلب عبدهِ سِواه.

(١) نسبة إلى « جرجرايا » : بلدة بين واسط وبغداد ناحية الشرق ، وانظر : الحلية (١٠/ ١١٠) .

٨٧٣ ـ عابد آخر

إبراهيم بن الجُنيد قال : حدثني أبو فروة السائح قال : بينما أنا أسِح في جبل لبنان . إذ جنّ الليل عليّ وأنا في بعض أوديته . فإذا بصوت محزون وهو يقول : يا من آنسني بقربه ، وأوحشني من خَلْقه ، وكان عند مَسَرّتي إرحم اليوم عَبْرتي ، فدنوت منه فإذا شيخ قد سقط حاجباه على عينيه . فلما أحسّ بي نفر وقال : إنسيٌّ أنت ؟ قلت : إنسيّ . قال : إليك عني ، فمنكم فَررتُ .

٨٧٤ ـ عابد آخر

يوسف بن الحسين قال : سمعت ذا النون يقول : بينما أنا أسير على جبل لبنان في جوف الليل إذا أنا بعريش من ورق البلّوط ، وإذا شاب قد أخرج رأسه من العريش بوجه أحسن من القمر . فقال : شهد لك قلبي في النَّوازل بمعرفة درجة الفضل لك ، وكيف لا يشهدُ لك قلبي بذلك ولا يَحْسُنُ بقلبي أن يألف غيرك ؟ هيهات لقد خاب لديك المقصّرون عنك . ثم أدخل رأسه في عريشه وفاتني كلامه ، فلم أزل واقفاً إلى أن طلع الفجر ثم أخرج رأسه فنظر إلى القمر فقال : إلهي أشرقت بنورك السموات ، وأنارت بنورك الظُّلمات ، وحَجبتَ جَلالَكَ عن العيون فوصلت به معارف القلوب ، ثم قال : بالْتجائي إليك في حزني انظر إليّ نظرة من ناديته فأجاب ، فوثبتُ إليه فسلّمت عليه فرد عليّ السلام . فقلت : رحمك الله أسألك عن مسألة ؟ قال : لا . قلت : ولم ذاك ؟ قال : ما خرج روعُك من قلبي . قلت : حبيب وما الذي أفزعك منّي ؟ قال : بطالتك في يوم شُغلك ، وترْكُ الزاد ليوم معادك ، ووقوفك على الظّنون يا ذا النون . فوقعت مغشياً عليّ . فما أفقت إلا بحرّ الشمس ثم رفعت رأسي فلم أره ولا العريش . فقمت فسرت وفيّ منه حسْرة .

٨٧٥ ـ عابد آخر

عن أبي الحارث الأولاسي قال : بلغني أن بجبل لبنان رجلاً تطوى له الأرض من يومه إلى بيت المقدس ، ووُصف لي مكانه فصرت إليه فإذا هو رجل قد أُلبس سلامة . فسألته من أين المطعم ؟ فدعا بظَبْية كانت قريباً منه في الجبل فجاء بها إلى صخرةٍ فيها نُقرة فحلبها وسقاني من اللبن .

ومن عقلاء المجانين بجبل لبنان

٨٧٦ ـ شيبان المصاب

محمد بن أحمد بن سلمة قال : حدّثني سالم قال : بينما أنا سائر مع ذي النون في جبل لبنان إذ قال لي : مكانك يا سالم حتى أعود إليك . فغاب عني في الجبل ثلاثة أيام

وأنا أنتظره إذا هاجت عليّ النفس أطعمتها من نبات الأرض وسقيتُها من ماء الغُدْران، فلما كان بعد الثالث رجع إليّ متغيِّر اللون ذاهب العقل ، فقلت له بعد أن رجعت إليه نفسُه : يا أبا الفيض أسبْعٌ عارضك ؟ فقال : لا . دعني من تخويف البشرية ، إني دخلت كهفاً من كهوف هذا الجبل فرأيتُ رجلاً أبيض الرأس واللحية أشعث أغبر نحيفاً نحيلاً كأنما أخرج من قبره ، ذا منظرٍ مهولٍ وهو يصلّي . فسلّمت عليه بعد ما سلّم . فردّ عليّ السلام وقام إلى الصلاة فما زال راكعاً وساجداً حتى صلى العصر واستند إلى حجرٍ حذاء المحراب يسبّح، لا يكلمّني . فبدأته بالكلام فقلت له : رحمك الله توصيني بشيء ، ادعُ الله عز وجل لى بدعوة ؟ فقال: يا بني آنسك الله تعالى بقُربه. ثم سكت . فقلت : زدني . فقال: يا بُنَيَّ من آنسه الله بقربه أعطاه أربع خصال: عزًا من غير عشيرة ، وعلماً من غير طلب ، وغنى من غير مال ، وأنساً من غير جماعة .

ثم شهق شهقة فلم يفق إلا بعد ثلاثة أيام حتى توهمت أنه ميّت ، فلما كان بعد ثلاثة أيام فتوضأ من عين ماء إلى جنب الكهف وقال لي : يا بني كم فاتني من الفرائض؟ صلاةٌ أو صلاتان أو ثلاث ؟ قلت : قد فاتَتْك صلاة ثلاثة أيام بلياليهنّ فقال:

إنّ ذِكْرَ الحبيب هيّجَ شَوقِي ثم حب الحبيبِ أذهب عَقْلي

وقد استوحشتُ من ملاقاه المخلوقين ، وقد أنست بذكْر رب العالمين ، انصرف عني بسلام . فقلت له : يرحمك الله وقفت عليك ثلاثةً أيام رجاء الزيادة . وبكيت فقال : أحبب مولاك ولا تُرد بحبّه بدلاً . فالمحبّون لله تعالى هم تيجان العبّاد وعلَم الزهّاد ، وهم أصفياءُ الله وأحبّاؤُه .

ثم صرخ صرخةً فحرّكته فإذا هو قد فارق الدنيا . فما كان إلا هُنَيَّةً وإذا بجماعة من العبّاد مُنحدرين من الجبل حتى واروْهُ تحت التراب . فسألت : ما اسم هذا الشيخ ؟ قالوا: شيبان المُصابُ قال سالم : فسألت أهل الشام عنه فقالوا : كان مجنونًا خرج من أذى الصبيان . قلت : تعرفون من كلامه شيئاً ؟ قالوا : نعم ، كلمةً واحدةً كان يغنّي بها إذا ضَجِر : إذا بك لم أُجَنّ يا حبيبي فبمن ؟ قال سالم : فقلت عُمِّي والله عليكم .

٨٧٧ ـ عباس المجنون(١)

عن ابن المبارك قال : صعدت جبل لبنان فإذا برجل عليه جُبّةٌ صوف مفتّقةَ الأكمام ، عليها مكتوبٌ ، (لا تُباع ولا تُشترى) قد ائتّزر بمئزر الخشوع ، واتّشَحَ بردّاء القنوع . فلما رأنى اختفى وراء شجرة . فناشدتُهُ بالله فظهر فقلت: إنكم معاشر العبّاد تصبرون

(١) الحلية (١٠/١٤٥) .

على الوحدة ، وتُقاسُون هذه القِفار المُوحشة ، فضحك ووضع كُمّهُ على رأسِهِ وأنشأ يقول :

يا حبيبَ القلوب من لي سواكا　　ارحم اليومَ مُذنباً قد أتاكا
أنت سؤلي ومُنيتي وسُروري　　قد أبى القلب أن يحبّ سواكا
ليس سُؤْلي من الجنان نَعيمٌ　　غيرَ أنّي أُريدُها لأراكا

قال : ثم غاب عني فتعاهدت ذلك الموضع سنةً لأقع عليه فلم أره . فلقيني غلامُ أبي سليمان الداراني فسألته عنه وأعطيتُه صفته فبكى وقال : واشوقاه إلى نظرة أخرى منه . فقلت : من هو ؟ قال : ذاك عباس المجنون ، يأكل في كل شهر أكلتيْن من ثمار الشجر ونبات الأرض ، يتعبد منذ ستين سنة .

ومن عباد جبل الطور

٨٧٨ ـ عابد

سهل بن عيسى الجبلي قال : كنت عند إبراهيم بن شيبان فسألوه عن وصف العارف؟ فقال : كنت على جبل الطُّور مع شيخي أبي عبد الله المغربي ومعنا نحو من سبعين رجلاً، أقلّ أو أكثر . فأتانا ذات يوم شابٌّ عليه أثرُ الخشوع فكنا إذا صلينا قام فصلى معنا ، وإذا تجارينا العلم قعد يستمع إلينا فبينا نحن ذات يوم قُعودٌ تحت شجرة في مكان فيه عشب ، وكانت أيام الربيع ، فتكلم الشيخ علينا في علوم المعارف فرأيت الشاب يتنفس ، فاحترقَ ما بين يديه من العشب . ثم غاب فلم أره بعد ذلك . فقال الشيخ : هذا هو العارف ، وهذا وصفه .

ومن عباد جبال بيت المقدس

٨٧٩ ـ عابد

محمد بن أحمد النيسابوري قال : سمعت ذا النون يقول : بينما أنا في بعض جبال بيت المقدس سمعت صوتاً وهو يقول : ذهبت الآلام عن أبدان الخُدّام ووَلِهَتْ بالطاعة عن الشراب والطعام ، وألِفت أبدانهم طول القيام بين يدي الملك العلاّم . فتبعت الصوت فإذا شابٌّ أمْرَدُ قد علا وجهه اصفرارٌ يميل ميل الغصن إذا ميّلْته الريح ، وعليه شمْلة قد اتزر بها ، وأخرى قد اتّشَح بها . فلما رآني توارى عني بالشجر فقلت له : أيها العالم، الجفاء ليس من أخلاق المؤمنين . فكلمني وأوصني . فخرّ ساجداً وجعل يقول : هذا مقام من لاذ بك واستجار بمعرفتك ، وألف محبتك فيا إله القلوب وما تحويه من جلال عظمتك احجُبني عن القاطعين لي عنك . قال ذو النون : ثم غاب عني فلم أره .

ومن عابدات جبال بيت المقدس

٨٨٠ ـ عابدة

محمد المبارك الصوري قال : بينما أنا أجُولُ في بعض جبال بيت المقدس إذا أنا بشخص مُنحدر من جبلٍ ، فإذا هي امرأة عليها مدرعة من صوف وخمارٌ من صوف . فسلمتُ فردّت فقالت : يا هذا من أين أقبلت ؟ فقلت : رجل غريب . قالت : يا سبحان الله ، وهل تجدُ مع سيّدك وحشة الغُربة وهو مؤنِسُ الغرباء ومحدّث الفقراء ؟ فبكيت ، فقالت : ممّ بكاؤك ، ما أسرع ما وجدت طعم الدواء ؟ فقلت : أو لا يبكي العليل إذا وجد طعم العافية ؟ قالت : لا . قلت: لم ؟ قالت : لأنه ما خدم القلب خادم هو أحب إليه من البكاء ولا خدم البكاء خادمٌ هو أحب إليه من الشهيق والزفير في البكاء . قلت : علّميني رحمك الله فإني أراك حكيمةً . فأنشأت تقول :

دُنياك غَـــــرّارةٌ فذَرْهــا ... فإنّها مركـــبٌ جمـــوحُ
دون بُلوغ الجهولِ مــنها ... مُنْيَته ، نفسُـــه تَطيـح
لا تركب الشرَّ واجتنبهُ ... فإنّـه فاحـــش قبيـــح
والخير فاقْدم عليه ترشُدْ ... فإنّه واســـع فسيـــح

فقلت : زيديني . فقالت : أحبِبْ ربّك شوقاً إلى لقائه ، فإنّ له يوما يتجلى فيه لأوليائه .

ومن عقلاء المجانين مجنونة في جبل من جبال بيت المقدس يقال لها زهراء الوالهة

٨٨١ ـ زهراء الوالهة

محمد بن سلمة قال : سمعت ذا النون المصري يقول : بينما أنا في بعض أودية بيت المقدس إذ سمعت صوتاً يقول : يا ذا الأيادي التي لا تُحصى ، ويا ذا الجُودِ والبقاء متّع بصر قلبي من الجولان في بساتين جبروتك ، واجعل هِمّتي متصلة بجود لطفك يا لطيف، وأعذْني من مسالك المتحيّرين بجلال بهائك يا رءوف ، واجعلني لك في جميع الحلات خادماً وطالباً ، وكن لي يا مُنَوّرَ قلبي وغاية طلبي في الفضل صاحبا . قال ذو النون : فطلبت الصوت حتى ظهر لي ، فإذا امرأة كأنها العود المحترق ، وعليها درع من الصوف ، وخمار من الشعر أسود قد أضناها الجهد وأفناها الكمد وذوّبها الحبّ ، وقتلها الوجد . فقلت لها : السلام عليك . فقالت : وعليك السلام يا ذا النون فقلت : لا إله إلا الله كيف عرفت اسمي ولم تريني ؟ قالت : كشف عن سرّي الحبيب فرفع عن قلبي حجاب

العمى فعرّفني اسمك . فقلت : ارجعي إلى مُناجاتك . فقالت : أسألك يا ذا البهاء أن تصرف عني شر ما أجد فقد استوحشتُ من الحياة . ثم خرّت ميتةً . فبقيتُ متحيّراً متفكّراً . فأقبلت عجوز كالوالهة فنظرت إليها ثم قالت : الحمد لله الذي كرمها . قلت : من هذه ؟ فقالت : ألم تسمع بزهراء الوالهة ؟ هذه ابنتي توهّم الناس منذ عشرين سنة أنها مجنونة وإنما قتلها الشوق إلى ربها .

ومن عباد جبال المغرب

٨٨٢ ـ عابد

عن ذي الكفل أخي ذى النون قال : سمعت ذا النون يقول : بينما أنا في جبال المغرب إذ وقعتُ على رجل عابد في رأس جبل ، فسلمّت عليه ؛ فأطرق إلى الأرض ثم رفع رأسه وقال : وعليكم السلام . قال ذو النون فقلت له : ما مقامُك في هذا المكان؟ فقال : معي بُضيّعة قد هربت بها من الأسواق وقد جئت بها لأدفنها في هذا المكان . قلت : وما بضاعتك هذه ؟ قال : عقدُ توحيدي وخالص ضمير مكنوني قلت : لو أنستَ بالناس . قال : منهم هربت ، وقد قصدت إلى من قصده غيري من الرّاجين . فوجدوه مؤنساً . ثم رفع طرفه نحو السماء ثم قال : أنت أنت . قال ذو النون : فرفعت طرفي في موضع رفع طرفه ورددتُ طرفي فلم أره .

ومن عباد جبال الإسكندرية

٨٨٣ ـ عابد

جعفر بن النعمان الرازي قال : قال إبراهيم بن أدهم ذات يوم : يا أهل الشام تعجبون مني ؟ وإنما العجب من الرجل الإسكندراني ، فإني طلبته في جبال الإسكندرية حتى وقعتُ عليه بعد ثمانية أيام وهو يصلي كأنه مدْهوش . ثم حانت منه التفاتةٌ إليّ فقال لي : من أنت ؟ قلت : رجل أعرابي . قال : هل عندك حديث تحدثُنا به ؟ قال : فحدثته بخمسة أحرف فغُشي عليه وأنا أنظرُ ، ثم أفاق فقال : خذ أنت هاهنا حتى آخذَ أنا هاهنا . فطلبته بعدُ فلَم أقدر عليه .

ومن عبّاد جبل المقطم

٨٨٤ ـ عابد

يوسف بن الحسين قال : سمعت ذا النون المصريّ يقول : وُصف لي رجل في جبل المقطّم فقصدته فرأيت رجلاً متعبداً ، فمكثت معه أربعين يوماً لا أكلّمه . ثم استخرت الله تعالى يوما في كلامه ، وسألت الله أن يوفقه لي ، فقلت : أيها الشيخ فيمَ النجاة ؟

فقال : في التقوى والمراقبة . فقلت : زدني ، فقال : فرّ من الخلق ولا تستأنس بهم . فقلت له : زدني . فقال : إن لله عباداً نظروا إلى باطن الدنيا لما نظر الخلق إلى ظاهرها، فأماتوا منها ما خشُوا أن يُميتهم ؟ إنهم قوم صافوه بالعقول ودّققوا له الفطن فسقاهم كأساً من محبته فهم في عطشهم أرواء ، وفي ريِّهم عطاش . قال : فقلت له : زدني . فقال : إنهم أقوياء في توكلهم .

ومن عبَّاد جبل الأقرع

٨٨٥ ـ عابد

قال بشر بن الحارث : كنت مارا في جبال الشام فأتيت على جبل يقال له الأقرع ، فإذا أنا بشابّ قد نَحُل جسمه ورق جلده ، وعليه ثوب من صوف فسلمت عليه فرد علي. فقلت في نفسي : أقول له عظني وأبلغ . فقال لي قبل أن أكلمه فأجاب عن سري : عظ نفسك بنفسك ، وفكّ نفسك من حبسك ، ولا تشتغل بموعظة غيرك من جنسك ، واذكر الله في الخلوات يَقكَ السّيّئات ، وعليك بالجد والاجتهاد . ثم بكى وجعل يقول : شُغلت النفوس بالقليل الفاني ونحبت الأبدان بالتسويف والأماني . ثم قال : يا بشر ، وما رآني وما عرفني قبل ذلك ، إن لله عباداً خالط قلوبهم الحزنُ ، فأسهر ليلهم وأظمأ نهارهم ، وأبكى عيونهم ، كما وصفهم ربهم في كتابه ﴿ **كانُوا قليلاً من اللّيلِ ما يَهجعُون * وبالأسحارِ هُم يستغفرون** ﴾ (١) .

ذكر المصطفين من عباد جبال الشام المجهولة الأسماء

٨٨٦ ـ حميد بن جابر ، الأمير الشامي

إبراهيم بن بشار قال : كنت يوماً مارا مع إبراهيم بن أدهم في صحراء إذ أتينا على قبر مُسَنَّم (٢) فترحّم عليه وبكى ، فقلت : من هذا ؟ فقال : هذا قبرُ حميد بن جابر أمير هذه المدن كلّها ، كان غرقاً في بحار الدنيا ثم أخرجه الله عز وجل منها فاستنقذه . لقد بلغني أنه سُرّ ذات يوم بشيء من ملاهي مُلكه ودنياه وغروره وفتنته . قال : ثم نام في مجلسه ذلك مع من يخصه من أهله . قال : فرأى رجلاً واقفاً على سريره وبيده كتاب فناوله ففتحه فإذا فيه كتاب بالذهب مكتوب لا تؤثرنَّ فانيًا على باق ولا تغتر بملكك وقدرتك وسلطانك وخدمك وعبيدك ولذّاتك وشهواتك ، فإن الذي أنت فيه جسيم لولا أنه عديم ، وهو ملك لولا أن بعده هُلْكٌ وهو فَرَح وسرور لولا أنه لهو وغرور ، وهو يوم لو كان يُوثَق له بغد ، فسارع إلى أمر الله عز وجل فإن الله قال : ﴿ **وسارِعُوا إلى**

---

(١) سورة الذاريات آية : ١٧ ، ١٨ .

(٢) أي مرتفع فوق الأرض .

مغفرة من ربّكم وجنّة عرضُها السموات والأرضُ أُعِدّت للمتّقين ﴾ (١) . قال : فانتبه فزعاً وقال : هذا تنبيه من الله عز وجل وموعظة . فخرج من مُلكه لا يُعلم به ، وقصد هذا الجبل فتعبّد فيه فلما بلغتني قصته وحُدّثت بأمره قصدته فسألته فحدّثني ببَدْوِ أمره وحدّثته ببدو أمري ، فما زلت أقصده حتى مات ودفن ههنا . فهذا قبره رحمه الله .

٨٨٧ ـ عابد آخر

بِشْرُ بن الحارث قال : استقبلني رجل في طريق الشام وعليه عباءةٌ قد عقدها مستوفزًا كأنه وحشيّ . فقلت له : رحمك الله من أين جئت ؟ قال لي : جئت من عنده . فقلت: وإلى أين تذهب ؟ فقال : إليه فقلت له : ففيم النجاةُ رحمك الله ؟ قال : في التقوى والمراقبة لمن أنت له مبتغ ، قلت : فأوصني . قال : لا أراك تقبل . قلت : أرجو أن أقبل إن شاء الله . قال : فِرّ منهم ولا تأنس بهم واستوحش من الدنيا فإنها تُعرّضُكَ للعَطَب . ثم قال : من عرَف الدنيا لم يطمئن إليها ومن أبصر ضررها أعدّ لها دواءها ، ومن عرف الآخرة ألحّ في طلبها ، ومن توهّمها اشتاق إلى ما فيها فهان عليه العمل .

ثم قال : فكيف لو توهّمت من يملكها ومن زخرفها ومن قال لها : كوني فكانت وتزيّني فتزيّنت ؟ والتشوّقُ إلى مالكها أولى بقلوب المشتاقين ، وأطيب لعيش المستأنسين.

ثم قال : قد أنسوا بربهم فالأمر فيما بينهم وبينه سليم ، صافَوْهُ بالعقول ، ودققوا له الفِطَن ، فسقاهم من كأس حبه شربةً فظلوا في عطشهم أرواياء ، وفي ريهم عطاشاً .

ثم قال : يا هذا أتفهم ما أقول وإلا فلا تتبعني ؟ قلت : بلى رحمك الله إني أفهم جميع ما قلت . قال : الحمد لله الذي فهمك . قال : ورأيت في وجهه السرور ثم قال: خذ إليك نعم هم الذين لا يملون كاساته من تُحفه ، فالحكمة إلى قلوبهم سائلة متواصلة، لأنهم الأكياس الذين لم تدنسهم المطامع ولم تقطعهم عن الله عز وجل القواطع، ليوث في تعزُزهم ، أغنياء في توكلهم ، أقوياء في تقلبهم ، قد قطعتهم الخشية وولهتهم الغربة ، نَعيمهم اليقين ، وروحهم السكون ، ألين الخلقِ عريكةً وأشده حياء ، وأشرفه مطلباً . لا يركنون إلى الدنيا جزعاً . ولا يتطاولون ولا يتماوتون ، فهم صفوة الله عز وجل من خلقه، وضنائن من خالص عباده . ثم قال لي إن القلوب الحية من دون هذا لها مقنع . نفعنا الله وإياك بما علّمنا وسلّمنا وإياك بما علمنا ، السلام عليك

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٣٣ .

ورحمة الله . قال بشر : فطلبت إليه . فأبى عليّ وقال : لستُ أنساك فلا تنسني . ثم مضى وتركني . قال بشر : فلقيت عيسى بن يونس فحدثته بقصته فقال لي : لقد أنس بك ذلك الرجل الصالح ، إنه رجل من خيار الناس يأوي في الجبل وإنما يدخل إلى المدينة في كل جمعة لصلاة الجمعة ويبيع في ذلك اليوم حطباً يكفيه إلى الجمعة الأخرى، وعجباً له كيف كلّمك ؟ لقد حفظت عنه كلاماً حسناً .

٨٨٨ ـ عابد آخر

ابن مسروق قال : سمعت سريّا يقول : بينا نحن نسير في بلاد الشام ملنا عن الطريق ناحية جبلٍ عليه عابد ، فقال رجل من القوم : إنا قد ملنا عن الطريق ، وهاهنا عابد فميلوا بنا إليه نسأله ، لعل الله عز وجل يوفقه يكلمنا . فملنا إليه فوجدناه يبكي . قال سري : فقلت له ما أبكى العابد ؟ قال : ما لي لا أبكي ؟ وقد توعّرت الطريق وقلّ السالكون فيها ، وهُجرت الأعمال وقلّ الراغبون فيها ، وقلّ الحق ودرس هذا الأمرُ فلا أراه إلا في لسان كل بطّال ينطق بالحكمة ، ويفارق الأعمال ، قد افترش الرّخصة ، وتمهّد التأويل ، واعتلّ بزلل العاصين . ثم صاح صيحة وقال : كيف سكنت قلوبهم إلى روح الدنيا ، وانقطعتْ عن روح ملكوت السماء ؟ ثم جعل يقول : واغماه من فتنة العلماء ، واكرباه من حيرة الأدلاّء . وجال جولةً ثم قال : أين الأبرار من العلماء ؟ بل أين الأخيار من الزهاد ؟ ثم بكى وقال : شغلهم والله ذِكْرُ طول الوقوف ، وهَمُّ الجواب عن ذكر الجنة والنار والثواب . ثم قال : أنا أستغفر الله من شهوة الكلام . تَنَحْوا عني. فخليناه يبكي وقد مُلئنا منه غما وهما .

٨٨٩ ـ عابد آخر

محمد بن أحمد الشّمشاطيّ قال : سمعت ذا النون يقول : بينا أنا سائر بين جبال الشام إذا بشيخٍ على تَلْعة من الأرض [1] ، قد تساقطت حاجباه على عينيه كِبَراً . فتقدمت إليه فسلمت عليه فرد عليّ السلام ثم جعل يقول : يا من دعاه المذنبون فوجدوه قريباً ، ويا من قَصَدَه الزاهدون فوجدوه حَبيباً ، ويا من استأنس به المجتهدون فوجدوه مُجيباً ثم أنشأ يقول

وله خصائص مُصْطَفَوْن لحبّه — اختارهُم في ســــالفِ الأزمانِ
اختارهم من قبل فطرة خلْقِه — فهمُ ودَائعُ حكــــــمةٍ وبيانِ

---

(١) التلعة من الأرض : ما ارتفع منها ويطلق أيضاً على ما انخفض منها ، فهو من الأضداد .

٨٩٠ ـ عابد آخر

أبو عثمان سعيد بن الحكم قال : سمعت ذا النون يقول : بينا أنا أسير في بلاد الشام فإذا بعابد قد خرج من بعض الكهوف فلما نظر إليّ استتَر بين تلك الأشجار . ثم قال : أعوذ بك سيدي ممن يشغلني عنك ، يا حبيب التوّابين ، ومعين الصادقين ، وغاية أمل المحبين ، ثم صاح : واغمّاه من طول البكاء وطُول الحزن ، واكَرْباه من طول المكث في الدنيا . ثم قال : سبحان من أذاق قلوب العارفين به حلاوة الانقطاع إليه ، فلا شيء ألذّ عندهم من ذكره والخلوة بمناجاته . ثم مضى وهو يقول : قُدُّوس قُدُّوس قُدُّوس . فناديته : أيها العابد قف لي . فوقف وهو يقول : اقطع عن قلبي كلّ علاقة ، واجعل شُغله بك دون خلقك . فسلمت عليه ثم سألته أن يدعو الله لي فقال : خفَّف الله عليك مُؤَن نَصَب السير إليه ، وأدّاك إلى رضاه حتى لا يكون بينك وبينه علاقة . ثم سعى بين يديّ كالهارب من السّبع .

ومن عابدات جبال الشام

٨٩١ ـ عابدة

عبد الملك بن هاشم قال : سمعت ذا النون يقول : كنت سائراً في بعض جبال الشام فإذا أنا بكوخٍ فقصدتُهُ فإذا أنا بعجوزٍ قد عميت من البكاء . فدنوت منها فسلمتُ وقلت : يا عجوز حدثيني ما الغنى ؟ قالت : الزهد في الدنيا . قلت : فما الزهد في الدنيا ؟ قالت تركُ طلب المفقود حتى يُفقد الموجود .

ذكر المصطفين من عباد جبال غير معروفة المكان

٨٩٢ ـ عابد في جبل

عن مسعرٍ أن عابداً كان يتعبدُ في جبلٍ ، يؤتى بقوته كل يوم قرصين . قال سفيان : وقال غير مسعر : كان يأتيه طير أبيض . قال فأتاه ذات يوم بقوته فجاءه سائل فأعطاه أحد القرصين . ثم أتاه سائل آخر فكسر القرص الثاني نصفين فأعطاه النصف وبقي النصفُ لنفسه ، ثم قال والله : ما هذا النصف بالذي يُغني عن هذا شيئاً ، ولا هذا النصف بالذي يكفيني ، ولأن يشبع واحد خيرٌ من أن يجوع اثنان . فسلّم القرص كله للسائل وبات طاوياً ، فأُتي في منامه فقيل له : سل . فقال : أسأل المغفرة . فقيل له : هذا شيء قد أُعطيته فسل . قال أسأل أن يغاث الناس . قال : وكان عام جدبٍ فأغيثوا .

٨٩٣ ـ عابد آخر على جبل

أبو الهيثم عن عبد الله بن غالب أنه حدّثه قال : خرجتُ إلى الجزيرة فركبت السفينة

فأزْفت بنا إلى ناحية قرية عادية في سفح جبلٍ خراب ليس فيها أحد . قال : فخرجت فطوّفت في ذلك الخراب أتأمل آثارهم وما كانوا فيه إذ دخلت بيتاً يُشبه أن يكون مأهولاً . قال فقلت : إن لهذا البيت لشأناً . قال : فرجعت إلى أصحابي فقلت : إن لي إليكم حاجة . قالوا : وما هي ؟ قلت : تُقيمون عليّ ليلةً . قالوا : نعم . قال : فدخلت ذلك البيت ، فقلت : إن يكن له أهل فسيأوون إليه إذا جاء الليل . فلما أن جاء الليلُ سمعتُ صوتاً قد انحطّ من رأس الجبل ، يسبِّحُ الله ويحمده ويكبّره . فلم يزل الصوت يدنو كذلك حتى دخل البيت . قال : ولم أر في ذلك البيت شيئاً إلا جَرّةً ليس فيها شيء ، ووعاء ليس فيه طعام . فصلى ما شاء الله أن يصلي ، ثم انصرف إلى ذلك الوعاء فأكل منه طعاماً ، ثم حمد الله تعالى . ثم أتى تلك الجرة فشرب منها شراباً . ثم قام فصلى حتى أصبح .

فلما أصبح أقام الصلاة فصليتُ معه فقال : رحمك الله دخلت بيتي بغير إذني ؟ قال: قلت رحمك الله لم أُرد إلا الخير . وقلت : رأيتك أتيت هذا الوعاء فأكلت منه طعاماً وقد نظرت قبل ذلك فلم أرَ فيه شيئاً . وأتيت تلك الجرّة فشربت منها شراباً وقد نظرت قبل ذلك فلم أر فيها شيئاً . قال : أجل ما من طعامٍ أُريده من طعام الناس إلاّ أكلته من هذا الوعاء ، ولا شرابٍ أُريده من شراب الناس إلاّ شربته من هذه الجرّة . قال : قلت : وإن أردت السّمك الطريّ ؟ قال : وإن أردتُ السمك الطريّ . فقلت : رحمك الله إن هذه الأمة لم تؤمر بالذي صنعت ، أُمِرَتْ بالصلاة في الجماعة وعيادة المريض ، واتّباع الجنائز . فقال : ههنا قرية فيها كل ما ذكرت وأنا منتقل إليها . قال : فكاتبني حيناً ثم انقطع عنّي كتابُه فظننت أنه مات . وكان عبد الله بن غالب لما مات وُجِد من قبره ريحُ المسك .

٨٩٤ ـ عابد آخر على جبل

قال محمد بن الحسين : حدثني أحمد بن سهل قال : حدثني أبو فروة السائح ، وكان والله من العاملين لله عز وجل بمحبته ، قال : بينما أنا أطوف في بعض الجبال إذ سمعت صدى جبل فقلت : إن هاهنا لأمراً ما . فاتبعت الصوت فإذا أنا بهاتف يهتف : يا من آنسني بذكره وأوحشني من خلقه ، وكان لي عند مسرّتي . ارحم اليوم عَبرتي وهب لي من معرفتك ما أزداد به تقرباً إليك . يا عظيم الصّنيعة إلى أوليائه اجعلني اليوم من أوليائك المتقين .

قال : ثم سمعت صرخةً ولم أر أحداً . فأقبلت نحوها فإذا أنا بشيخ مغشيٍّ عليه قد بدا بعض جسده ، فغطّيته ثم لم أزل عنده حتى أفاق ، فقال : من أنت رحمك الله ؟ قلت :

رجل من بني آدم . قال : إليكم عني فمنكم هربْت ، قال : ثم بكى وقام ، فانطلق وتركني . فقلت : رحمك الله دلّني على الطريق . فأومأ بيده إلى السماء .

٨٩٥ ـ عابد آخر على جبل

محمد بن أبي عبد الله الخُزاعي قال : حدّثني رجلٌ من أهل الشام أنه دخل كهف جبلٍ في ناحية عن طريق الناس . فإذا هو بشيخ مكْبوبٍ على وجهه ، وإذا هو يقول : إن كنت تُطيل جُهدي في دار الدنيا وتطيل شقائي في الآخرة فلقد أهملتني وأسقطتني من عينك أيها الكريم ، قال : فسلمت فرفع رأسه فإذا دموعه قد بلّت الأرض . فقال : ألم تكن الدنيا لكم واسعة وأهلها لكم أُناساً ؟ فلما رأيت من عقله ما رأيت قلت له : رحمك الله اعتزلت الناس واغتربت في هذا الموضع ؟ فقال : وأنت يا أخي ، فحيثما ظننت أنه أقرب لك إلى الله عز وجل فابتغ إلى ذلك سبيلاً فلن يجد مبتغوه من غيره عوضاً . قال : قلت : فالمطعم ؟ قال : أقلّ ذلك عند الحاجة إليه إذا أردنا ذلك : فنبت الأرض وقلوب الشجر . قال : فقلت : ألا أُخرجك من هذا الموضع فآتي بك أرض الرّيف والخصْب ؟ قال : فبكى ثم قال : إنما الرّيف والخِصْب حيث يُطاع الله عز وجل، وأنا شيخ كَبير أموت الآن ، لا حاجة لي بالناس .

٨٩٦ ـ عابد آخر في جبل

أبو حفص عمر بن عبد الله المؤذن قال : قال قاسم الجرعن : خرجْتُ حاجا على طريق الشام ، فبينا أنا أسير في الليل إذ غلطتُ الطريق فسمعت صيحةً فإذا أنا بجماعة قد مسّهم من الغلط مثل الذي مسّني ، وقد وقفوا على رجل من المتعبّدين في جبل وهو يبكي ويقول في بكائه : أترى بكائي نافعي عندك ومنقذ رقبتي من حُكمك ؟ أتُراك آخذاً من نفسي بحقك وموبّخها على رءوس الأشهاد بما ضيعت من أمرك ؟ ثم صاح : آوّهْ لكشف سترك عني ، آوّهْ لوقوفي بين يديك يا سيّداه ، فقال له بعض القوم : إنا غلطنا الطريق . فقال : وأنا أيضاً قد غلطت الطريق ، فمن لي ولكم بالاستقامة على وجهها ؟ ثم قال : يا دليل الأدلآء دُلّني ودُلّهم ولا تحيّرني وإياهم .

قال : فكُشف لنا عن الطريق فسلكناها وتركناه واقفاً في صومعته .

٨٩٧ ـ عابد آخر في جبل

بلغنا عن أبي الحارث أحمد بن الحارث الأولاشي أنه قال : رأيت رجلاً على رأس جبل كأنه شنٌّ بال شاخصاً ببصره نحو السماء لا يفتُر عن الذكر . فسألته المُقام معه . فقال : إن أطقت ما طُوّقتُ فأقم وإلا فامض عني ، قلت : وما هو ؟ قال : يكون الذهب والفضة عندك كالحصى والمَدر ، والسباع والهوامّ كالطير والأنعام ، وخوفُك من جنسك كخوفك

من السباع ، وخوفُك من صحبتهم على دينك كخوفك من الشيطان ، فلعلك تنال ما تريد، ومتى كان الذهب والفضة أكبر في قلبك فإنك ستميل إلى الأكبر، ومتى هِبتَ السباع أوشك أن تبعد إلى الأمن ، ومتى أنست بالمخلوقين أوشك أن تهرب من الوحشة . وثلاثة أشياء هنّ تمام الأمر : أن تعلم أنك مبتلى لا محالة ، وأن لك رزقاً مقسوماً وكذلك أجلاً معلومًا ، والثالث : أن تقصر الأمل ، فهنالك لا تُبالي أين حللت من البلاد ولا من شاهدت من العباد فتقدم إن شئت على بصيرة وإلا فتأخر على علم بضعف وعجز . قلت: صف لي ما يزيد في صبري . قال : تعلم أن الله عز وجل ناظر إليك ، قد روى في بعض الأخبار : « بعَيْني ما يتحمل المتحملون من أجلي، وما يكابد المكابدون في طلب مرضاتي » فإذا علمت أن صبرك يرضى مولاك صبرت . قلت: فما السبيل إلى الرضاء ؟ قال : علم القلب بأن المولى عادل في قضائه غير متهم فيما حكم . قلت : فما معنى الرضاء ؟ قال: " سُرور القلب بمُرّ القضاء ؟ ثم قال : لا تنم إلا نوم يقظان ، وكيف يأمن من لم يأته الأمان ؟ وبادر قبل الفوت . واستعن على تصفية الطعمة بالقلة والتمس الصمت بقلة الخُلطاء ، واتبع قول الرسول ﷺ وقول السلف، ولا تميلنّ إلى محدثات الأمور ، فكل مُحدثة بدعة، واعلم أن الله يراك فاتقه ، وقم له بالقسط على نفسك ، وتفردّ بالفرد إذ كنت له عبداً ، وتجرد من الهموم الشاغلة، واجعل الهمّ واحداً تروَّح في العاجلة والآجلة .

٨٩٨ ـ عابد آخر فى جبل

بلغنا عن بعض السلف أنه قال : رأيت في بعض الجبال شاباً أصفر اللون غائر العينين ، مرتعش الأعضاء ، لا يستقر على الأرض ، كأن به وخزَ الأسنة ، ودموعه تتحادر . فقلت له : من أنت ؟ فقال : آبقٌ من مولاه . قلت : فتعود وتعتذر . فقال : العذر يحتاج إلى إقامة حجة فكيف يعتذر المقصر ؟ فقلت : تتعلق بمن يشفع فيك . فقال: كل الشفعاء يخافون منه ؟ قلت : فمن هو قال : مولاي رباني صغيراً فعصيته كبيراً ؟ شرط لي فوفاني، وضمن لي فأعطاني ، فخُنته في ضماني ، وعصيته وهو يراني ، فواحيائي من حُسن صنعه وقبيح فعلي . فقلت : أين هذا المولى ؟ فقال : أين توجهت لقيت أعوانه ، وأين استقرت قدمُك ففي داره . فقلت : ارفُق بنفسك فربما أحرقك هذا الخوف . فقال : الحريق بنار خوفه ـ لعله يرضى ـ أحقّ وأولى . ثم أنشأ يقول :

لم يبْق خوفُــــك لي دَمْعاً ولا جلَداً لا شكّ أني بهــــــذا ميّتٌ كمَدا
عبدٌ كئيبٌ أتــى بالعجــــز مُعترفاً ونارُه تحرقُ الأحشـــــاء والكَبِدا
ضاقت مساكنه في الأرض من وَجَلٍ فهَبْ لي منك لُطفاً إن لقيك غدا

فقلت : يا غلام ، الأمر أسهل مما تظن . فقال : هذا من فتنة البطّالين ، هبهُ تجاوز وعفا ، أين آثار الإخلاص والصفاء ؟ ثم صاح صيحة ، فخرجت عجوز من كهف الجبل ، عليها ثياب رثّة . فقالت : من أعان على البائس الحيران ؟ فقلت : يا أمة الله دعوته إلى الرجاء ؟ فقالت : قد دعوته إلى ذلك فقال : الرجاء بلا صفاء شِرْك . قلت: من أنت منه؟ قالت : والدته . فقلت : أقيم عندك أعينك عليه ؟ فقالت : خَلِّه ذليلاً بين يديْ قاتله عساه يراه بعين مُعين فيرحمه . فلم أدر مما ذا أعجب ، من صدق الغلام في خوفه أو من قول العجوز وصدقها . انتهى ذكر عبّاد الجبال بحمد الله ومنّه .

ذكر المصطفين من عباد الجزائر

٨٩٩ ـ عابد

عبيد الله بن أبي نوح قال : لقيت رجلاً من العبّاد في بعض الجزائر منفرداً فقلت : يا أخي ما تصنع هاهنا وحدك ؟ أما تستوحش ؟ قال : الوحشة في غير هذا الموضع أعمّ. قلت : مذ كم أنت ها هنا ؟ قال : منذ ثلاثين سنة . قلت : فمن أين المطعَم ؟ قال : من عند المُنعم . قلت : فها هنا في القرب منك شيء تعوّل عليه إذا احتجت إليه من المطعم رجعت إليه . قال : ما أكرثَك [1] بما قد كُفيته وضُمن لك . قلت : أخبرني بأمرك . قال: ما لي أمر غير ما ترى ، غير أني أظل في هذا الليل والنهار متّكلاً على كرم من لا تأخذه سِنة ولا نوم .

قال : ثم صاح صيحةً أفزعتني فوثبتُ وسقط مغشيا عليه . فتركته على تلك الحال ومضيت .

٩٠٠ ـ عابد آخر

بلغنا عن عبد الواحد بن زيد أنه قال : ركبنا في مركب فطرحَتْنا الريح إلى جزيرة ، فإذا فيها رجل يعبد صنماً ، فقلنا له : من تعبد ؟ فأومأ إلى الصنم . فقلنا : إن معنا في المركب من يُسوّي مثل هذا . ليس هذا بإله يُعبد . قال : فأنتم لمن تعبدون ؟ قلنا : الله عز وجل قال : وما الله ؟ قلنا : الذي في السماء عرشُه ، وفي الأرض سلطانه ، وفي الأحياء والأموات قضاؤه فقال : كيف علمتم به ؟ قلنا : وجّه هذا الملك إلينا رسولاً كريماً فأخبرنا بذلك . قال : فما فعل الرسول ؟ قلنا : لما أدّى الرسالة قبضه الله . قال : فما ترك عندكم علامة ؟ قلنا : بلى ترك عندنا كتاب الملك . قال أرُوني كتاب الملك ، فينبغي أن تكون كتب الملوك حِساناً . فأتيناه بالمصحف فقال : ما أعرف هذا . فقرأنا

---

(١) أي ما أشد اهتمامك وغمك .

عليه سورة من القرآن فلم نزل نقرأ ويبكي حتى ختمنا السورة . فقال : ينبغي لصاحب هذا الكلام أن لا يُعصى . ثم أسلم وحملناه معنا وعلمناه شرائع الإسلام وسُوراً من القرآن . فلما جنّ علينا الليل وصلينا العشاء أخذنا مضاجعنا . فقال لنا : يا قوم هذا الإله الذي دللتموني عليه إذا جنّ عليه الليل ينام ؟ قلنا : لا يا عبد الله ، هو عظيم قيّوم لا ينام . قال : بئس العبيد أنتم ، تنامون ومولاكم لا ينام . فأعجبنا كلامه . فلما قدمنا عبّادان قلت لأصحابي : هذا قريب عهد بالإسلام فجمعنا له دراهم وأعطيناه فقال : ما هذه ؟ قلنا : تنفقها ، قال لا إله إلا الله ، دللتُموني على طريق ما سلكتُموها ، أنا كنت في جزائر البحر أعبدُ صنماً من دونه ولم يضيّعني ، يضيّعني وأنا أعرفه . فلما كان بعد أيام قيل لي : إنه في الموت . فأتيته فقلت : هل من حاجة ؟ فقال : قضى حوائجي من جاء بكم إلى جزيرتي . قال عبد الواحد : فحملتني عيني فنمتُ عنده . فرأيت مقابر عبّادان روضة وفيها قبة وفي القبة سرير عليه جارية لم نر أحسن منها . فقالت : سألتك بالله إلا ما عجّلت به فقد اشتدّ شوقي إليه ، فانتبهتُ فإذا به قد فارق الدنيا فغسّلته وكفّنته وواريتُه . فلما جنّ الليل نمتُ فرأيته في القبة مع الجارية وهو يقرأ ﴿والملائكة يدخُلون عليهم من كل بابٍ * سلام عليكم بما صَبَرْتم فنِعم عُقْبَى الدّار﴾ [1] .

ذكر المصطفين من عبَّاد السواحل

٩٠١ ـ عابد بسيراف[2]

سعيد بن ثعلبة الورّاق قال : بينما أنا ذات ليلةٍ مع رجل من العابدين على الساحل بسيراف فأخذ في البكاء ، فلم يزل يبكي حتى خفناً طلوع الفجر ، ولم يتكلم بشيء . ثم قال : جُرمي عظيم ، وعفوك كثير ، فاجمع بين جُرمي وعفوكَ يا كريم . قال : فتصارخ الناس من كل ناحية .

٩٠٢ ـ عابد آخر

أحمد بن فارس قال : حدّثني أبو بكر الكتّاني قال : كنت أنا وأبو سعيد الخرّاز ، وعباسْ بن المهتدي ، وآخر ، نسير بالشام على ساحل البحر . إذا شابٌّ يمشي معه محبرةٌ ظننّا أنه من أصحاب الحديث . فقال له أبو سعيد : يا فتى على أيّ طريق تسير ؟ فقال: ليس أعرف إلا طريقين : طريق الخاصة وطريق العامة . فأما طريق العامة الذي أنتم عليه . وأما طريق الخاصة فباسم الله . وتقدم إلى البحر ومشى حيالنا على الماء فلم نزل نراه حتى غاب عن أبصارنا .

---

(١) سورة الرعد آية : ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) سيراف : مدينة كبيرة على ساحل بحر فارس .

٩٠٣ ـ عابد آخر

عبّاد أبو عتبة الخوّاص ، قال : حدثني رجل من الزهّاد ممن يسيحُ في الجبال قال : لم تكن لي همة في شيء من الدنيا ولا لذّةٌ إلا في لُقياهم ، يعني الأبدال والزّهّاد . قال فبينما أنا ذات يوم على ساحل من سواحل البحر ليس يسكنه الناس ولا تَرْقى إليه السفن إذا أنا برجلٍ قد خرج من تلك الجبال . فلما رآني هرب وجعل يسعى واتبعته أسعى خلفه فسقط على وجهه وأدركته ، فقلت : ممن تهرب رحمك الله ؟ فلم يكلمني . فقلت: إني أريد الخير فعلّمني . فقال : عليك بلزوم الحق حيث كنت ، فوالله ما أنا بحامد لنفسي فأدعوك إلى مثل عملها . ثم صاح صيحةً فسقط ميتاً فمكثت لا أدري كيف أصْنع به ؟ قال : وهجَم الليل علينا فتنّحيتُ فنمتُ ناحية عنه . فرأيت في منامي أربعة نفر هبطوا عليه من السماء على خيلٍ فحفروا له وكفّنوه وصلوا عليه ثم دفنوه . فاستيقظت فزعاً للذي رأيت . فذهبت عني سِنْة النوم بقية الليل . فلما أصبحت انطلقت إلى موضعه فلم أره فيه . فلم أزل أطلب أثره وأنظره حتى رأيت قبراً جديداً فظننت أنه القبر الذي رأيت في منامي .

٩٠٤ ـ عابد آخر

أبو عبد الرحمن المغازلي قال : قال رجل ببلاد الشام في بعض تلك السواحل : لو بكى العابدون على الإشفاق حتى لم يبق في أجسادهم جارحة إلا أدّت ما فيها من الدم والودك [١] دموعاً جارية ، وبقيت الأبدان يُبّساً خالية تتردّد فيها الأرواح إشفاقاً ووجلاً من يوم تذهل كلُّ مرضعةٍ عما أرضعت ، لكانوا محقوقين بذلك . ثم غُشِيَ عليه .

٩٠٥ ـ عابد آخر

إسرافيل قال : سمعت ذا النون يقول : سمعت بعض المتعبّدين بساحل بحر الشام يقول : إن لله تعالى عِباداً عرفوه بيقين من معرفته فشمروا وقصدوا إليه ، احتملوا فيه المصائب لما يرجون عنده من الرغائب ، صحبوا الدنيا بالأشجان ، وتنعّموا فيها بطول الأحزان ، فما نظروا إليها بعين راغبٍ ، ولا تزودوا منها إلا كزاد الراكب ، خافوا البيات فأسرعوا ، ورجَوْا النجاة فأزمَعوا ، بذلوا مُهج أنفسهم في رضا سيدهم ، نصبوا الآخرة نصب أعينهم، وأصغوا إليها بآذان قلوبهم ، فلو رأيتهم رأيت قوماً ذُبلاً شفاههم، خُمصاً بطونُهم، حزينةً قلوبهم ، ناحلة أجسامهم ، باكيةً أعينهم ، لم يصحبوا التعليل والتسويف وقنعوا من الدنيا بقوات طفيف،لبسوا من اللباس أطمارا

---

(١) الودك : دسم اللحم .

بالية، وسكنوا من البلاد قُفراً خالية ، وهربوا من الأوطان ، واستبدلوا الوحدة من الأخدان ، فلو رأيتهم لرأيت قوماً قد ذبحهم الليل بسكاكين السهر ، وفصل الأعضاء منهم بخناجر التعب ، خُمصاً لطول السُّرى . شُعثاً لفقد الكرى ، قد وصلوا الكلال بالكلال ، وتأهبوا للنُّقلة والارتحال .

٩٠٦ ـ عابد آخر

محمد بن إبراهيم الأخرم قال : خرجت من مصر وأنا على ساحل البحر ، فرأيت امرأة خرجت من بريّة . فقلت : إلى أين يا أمة الله ؟ قالت : إلى صومعةٍ هاهنا لي فيها ابنٌ ، فمشيت معها فسمعت صوتاً من صومعة يقول :

ومشتاق وليـــــس له قرارُ　　نَفـَورٌ ليس يملكُه العـــذارُ
ومُؤنسٌ قـــلبه ليلٌ طويـلٌ　　يلذّ به ويُوحِشُه النّهـــــارُ
قضى وطراً به فأفاد علْـماً　　فنهمتُه التعبـد والفـــــرار
ألا صبْراً على دُنياك صَبْراً　　فكل أُمورِها فيها اعتبـــارُ

فقلت لها : منذ كم صار ابنك ها هنا ؟ قالت : منذ وهبته منه وقبِله مني .

٩٠٧ ـ جماعة من العباد في السواحل

عن عبد الرحمن بن زيد قال : لم أر مثل قومٍ رأيتُهُم . هجمنا مرةً على نفر من العبّاد في بعض سواحل البحر ، فتفرّقوا حين رأونا فبتْنا تلك الليلة وارفينا في تلك الجزيرة (١)، فما كنت أسمع عامة الليل إلا الصراخ والتعوّذ من النار . فلما أصبحنا طلبناهم واتبعنا آثارهم فلم نر منهم أحداً .

ذكر المصطفيات من عابدات السواحل

٩٠٨ ـ عابدة

محمد بن جعفر القنطريّ قال : قال ذو النون : بينا أنا أسير على ساحل البحر إذ بصرتُ بجارية عليها أطمارُ شعرٍ وإذا هي ذابلة ناحلة ، فدنوت منها لأسمع ما تقول ، فرأيتها متصلة الأحزان بالأشجانِ ، وعصفت الرياح فاضطربت الأمواج فصرخت ، ثم سقطت إلى الأرض فلما أفاقت نحبتْ ثم قالت : يا سيدى بك تفرّد المتفرّدون في الخلوات، ولعظمتك سبّحت النينانُ (٢) في البحار الزاخرات ، وبجلال قُدْسك اصطفقت الأمواج المتلاطمات ، أنت الذي سجد لك سواد الليل وضوء النهار والفلكُ الدّوار ، والبحر الزخّار ، والقمر النّوار ، وكل شيء عندك بمقدار .

---

(١) أى التجأنا إلى تلك الجزيرة .　　(٢) جمع نون وهو الحوت .

يا مؤنس الأبْرار في خَلْوتهم يا خيْر من حطّت به النُّزّالُ

فقلت : زيدينا من هذا . فقالت : إليك عني ، ثم رفعت طرفها نحو السماء وقالت :

أُحبك حُبَّيْنْ حُبَّ الودادِ وحبا لأنك أهلٌ لذَاكا
فأمّا الذي هو حُبّ الوداد فحبٌّ شُغلْت به عن سِواكا
وأمّا الذي أنْتَ أهلٌ لَهُ فكَشْفُكَ لى الحجب حتى أراكا
فما الحمدُ فى ذا ولا ذاك لي ولكنْ لكَ الحمدُ في ذا وذاكا

ثم شهقت شهقةً فإذا هي قد فارقت الدنيا . فبقيتُ أتعجبُ مما رأيت منها فإذا أنا بنسوة قد أقبلن عليهن مدارع الشَّعر فاحتملْنَها فغيَّبنها عني فغسَّلنها ثم أقبلن بها في أكفانها فقلن لي : تقدّم فصلِّ عليها . فتقدّمتُ فصلّيت عليها وهنّ خلفي ثم احتملْنها ومضَيْن .

٩٠٩ ـ عابدة أخرى

محمد بن أحمد السّوسي الشمشاطي . قال : سمعت ذا النون المصري يقول : بينا أنا أسير على شاطىء الناس إذا أنا بجارية تدعو وتقول : يا من هو عند ألسن الناطقين ، ويا من هو عند قلوب الذاكرين ، ويا من هو عند فكر الحامدين ، قد علمت ما كان مني يا أمل المؤمِّلين . ثم صرخت وخرّت مغشيا عليها .

ذكر المصطفين من عباد البوادى والفلوات

٩١٠ ـ أبو حبيب البدوى[١]

عن الثورى قال : أتيت أبا حبيب البدوي أُسلم عليه ، ولم أكن رأيته ، فقال لي أنت سفيان الثوري الذي يقال ؟ قال : قلت نعم نسأل الله تعالى بركة ما يقال . قال : فقال لي : يا سفيان ما رأينا خيراً قط إلا من ربنا . قلت : أجل ، قال : فما لنا نكره لقاء من لم نر خيراً قط إلا منه . ثم قال : يا سفيان مَنْعُ الله عز وجل إياك عطاء منه لك ، وذاك أنه لم يمنعك من بُخل ولا عدم ، وإنما منعه نظر منه واختبار ، يا سفيان إن فيك لأُنساً ومعك شُغل .

قال : ثم أقبل على غُنيمته وتركني .

٩١١ ـ شيبان الراعى[٢]

عن محمد بن حمزة الربضي قال : كان شيبان الراعى إذا أجْنب وليس عنده ماء دعا

(١) الحلية (٨/ ٢٨٧) . (٢) المصدر السابق (٨/ ٣١٧) .

ربه فجاءت سحابة فأظلته فاغتسل منها . وكان يذهب إلى الجمعة فيخط على غنمه فيجيء فيجدها على حالتها لم تتحرك .

زيد بن العباس قال : لما حجّ هارون الرشيد قيل له : يا أمير المؤمنين قد حج شيبانُ العام . قال : اطلبوه لي فطلبوه فأتوه به فقال له : يا شيبان عظني ؟ قال : يا أمير المؤمنين أنا رجل ألْكَنُ لا أُفصح بالعربية فجئني بمن يفهم كلامي حتى أُكلّمه ، فأتي برجلٍ يفهم كلامه فقال له بالنَبطية : قل له : يا أمير المؤمنين إن الذي يخوّفك قبل أن تبلغ المأمن أنصحُ لك من الذي يؤمّنك قبل أن تبلغ الخوف .

فقال : قل له : أي شيء تفسير هذا ؟ قال : قل له : الذي يقول لك : يا هذا اتّق الله عز وجل فإنك رجل من هذه الأمة ، استرعاك الله عليها وقلّدك أمورها وأنت مسئول عنها فاعدل في الرعية واقسم بالسويّة ، وانفرْ في السرية ، واتق الله في نفسك ، هذا الذي يخوّفك فإذا بلغت المأمن أمنت ، هو أنصح لك ممن يقول : أنتم أهل بيت مغفورٌ لكم، وأنتم قرابةُ نبيّكم وفي شفاعته ، فلا يزال يؤمّنك حتى إذا بلغت الخوف عَطِبْتَ . قال : فبكى هارون حتى رحمه من حوله . ثم قال : زدني . قال : حسبك. ثم خرج.

عبد الله بن عبد الرحمن قال : حج سفيان الثوريّ مع شيبان الراعي فعرض لهم سبُع، فقال له سفيان الثوري : أما ترى هذا السَّبُع ؟ قال : فقال : لا تخف . قال : فلما سمع السبْع كلام شيبان بَصْبَصَ ، فأخذ شيبانُ أُذُنه فعركها فبصبصَ وحرك ذنبه .

قال سفيان : ما هذه الشهرة ؟ قال : أو هذه شُهرة ؟ لولا مكان الشهرة ما وضعتُ زادي إلا على ظهره .

سيّار قال : قرأ رجل على شيبان الراعي : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يرهُ * ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يرهُ** ﴾ (١) قال : فذهب على وجهه فلم يُر سنة . فلّما كان بعد الحوْل لقيه رجل فقال له : من أين ؟ فقال : من ذلك الحساب الدقيق ﴿ **فمنْ يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾ .

ذكر المصطفين من عبّاد البوادى والفلوات المجهولي الأسماء

٩١٢ ـ عابد

عن سعيد بن أبي عروبة قال : حجّ الحجّاج فنزل بعض المياه بين مكة والمدينة ودعا بالغداء فقال لحاجبه : انظر من يتغدّى معي وأسأله عن بعض الأمر . فنظر نحو الجبل فإذا هو بأعرابي بين شملتين من شعرٍ ، نائم . فضربه برجله وقال : إيت الأمير . فأتاه

(١) سورة الزلزلة آية : ٧ ، ٨ .

فقال له الحجاج : اغسل يديك وتغذَّ معي . فقال : إنه دعاني من هو خير منك فأجبته. قال : ومن هو ؟ قال : الله تبارك وتعالى ، دعاني إلى الصوم فصُمت . قال : في هذا الحر الشديد ؟ قال : نعم صمت ليوم أشدّ حرا من هذا اليوم . قال : فأفطر وصم غداً . قال : إن ضمنت لي البقاء إلى غد . قال : ليس ذاك إليّ . قال : فكيف تسألني عاجلاً بآجل لا تقدر عليه ؟ قال : إنه طعام طيب قال : لم تطيبه أنت ولا الطباخ ، إنما طيبته العافية .

٩١٣ ـ عابد آخر

سعيد بن سالم قال : نزل روْح بن زِنْباع (١) منزلاً بين مكة والمدينة في حر شديد ، فانقض عليه راع من جبل . فقال : يا راعي هلّم إلى الغداء . قال : إني صائم . قال : وإنك لتصوم في هذا الحرّ الشديد ؟ قال : أفأدع أيامي تذهب باطلاً ؟ قال روح : لقد ضننت بأيامك يا راع إذ جاد بها روح بن زِنباع .

٩١٤ ـ عابد آخر

السريّ بن يحيى قال : حدثنا عبد الله بن عبيد بن عُمير قال : خرجت مع أبي فكنا في أرض فلاة . فرفع لنا سواد فظنناه شجرة . فلما دنونا إذا رجل قائم يصلي ، فانتظرناه لينصرف فيرشدنا إلى القرية التي نريد ، فلما لم ينصرف قال له أبي : إنا نريد قرية كذا وكذا فأوْم لنا قبلها بيدك . قال ففعل . قال : فإذا له حوض مُحوّض يابس ليس فيه ماء وإذا قربة يابسة . فقال له أبي : إنا نراك بأرض فلاة وليس عندك ماء ، أفنجعل في قربتك من هذا الماء الذي عندنا ؟ فأومأ أن لا ، فلم نبرح حتى جاءت سحابة فمطرت فامتلأ حوضه ذلك . فلما أن دخلنا القرية ذكرناه لهم فقالوا : نعم ذاك فلان لا يكون في موضع إلا سقي . قال : فقال أبي : كم من عبد لله عز وجل صالح لا نعرفه .

٩١٥ ـ عابد آخر

أحمد بن أبي الحواريّ قال : حججت أنا وأبو سليمان فبينما نحن نسير إذ سقطت السطيحة مني ، وكان برد عظيم . فلما افتقدتُ السطيحة قلت : بقينا بلا ماء . فأخبرت أبا سليمان فقال : سلّم وصل على محمد ﷺ وقل : يا رادّ الضالّة ويا هادياً من الضلالة رُدّ الضالة فإذا بواحد ينادي : من ذهبت له سطيحة فأخذتها منه فقال لي أبو سليمان : لا يتركنا بلا ماء فبينما نحن نسير إذا برجل عليه طِمْران رثّان وقد تدرعنا بالفراء من شدة البرد، وهو يرشحُ عرقاً . فقال له أبو سليمان : ألا ندثّرك ببعض ما معنا ؟ فقال

---

(١) انظر : شذرات الذهب (١/ ٩٥) .

الرجل: يا دارانيّ الحرُّ والبردُ خلقان لله تعالى إن أمرهما أن يغشياني أصاباني وإن أمرهما أن يتركاني تركاني ، يا دارانيّ تصف الزهد وتخاف من البرد ؟ أنا أسيحُ في هذه البرية منذ ثلاثين سنة ما انتفضتُ ولا ارتعدت ، يُلبِسُني في البرد فيْحاً من محبّته ، ويُلبِسُني في الصيف مذاق برد محبته . ثم ولي وهو يقول : يا دارانيّ تبكي وتصيح وتستريح إلى الترويح ؟ فكان أبو سليمان يقول : لم يعرفني غيرُه .

٩١٦ ـ عابد آخر

قال الأصمعي : حدّثنا شبيب بن شيبة قال : كنا بطريق مكة وبين أيدينا سُفرةٌ لنا نتغدّي في يوم قائظ ، فوقف علينا أعرابي ومعه جارية له زنجيّةٌ . فقال : يا قوم أفيكم أحدٌ يقرأ كلام الله عز وجل حتى يكتب لنا كتاباً ؟ قال : قلت له : أصب من غدائنا حتى نكتب لك ما تريد . قال : إني صائم . فعجبنا من صومه في البريّة ، فلما فرغنا من غدائنا دعونا به فقلنا : ما تريد ؟ فقال : أيها الرجل إن الدنيا قد كانت ولم أكُنْ فيها ، وستكون ولا أكون فيها . وإني أردت أن أُعتق جاريتي هذه لوجه الله عز وجل ثم ليوم العقبة ، تدري ما يوم العقبة ؟ قول الله تعالى : ﴿ **فلا اقتحم العقبة ، وما أدراك ما العقبة ، فكُّ رقبة** ﴾ [(١)] اكتب ما أقول لك ، ولا تزيدن علي حرفاً : هذه فلانة خادمُ فلان قد أعتقها لوجه الله عز وجل ليوم العقبة . قال شبيب: فقدمت البصرة وأتيت بغداد فحدّثتُ بهذا الحديث المهديّ فقال : مائة نسمة تعتق على عهد الأعرابيّ .

٩١٧ ـ عابد آخر

بهيم العجلي قال : ركب معنا شابّ من بني مُرّة من أهل البدو في البحر ، فجعل يبكي الليل والنهار . فعاتبه أهل المركب على ذلك وقالوا : ارفق بنفسك قليلاً . فقال : إن أقلّ ما ينبغي أن يكون لنفسي عندي أن أبكيها وأبكي عليها أيام الدنيا لعلمي بما يمرّ عليها غداً . قال : فما بقي في المركب أحد إلا بكى .

٩١٨ ـ عابد آخر
من بني تيم الله

مسكين بن دينار قال : كان في بني تيم الله شيخ متعبّد يجتمع إليه فتيان الحي ونُسّاكهم قال : فيذكّرهم ، فإذا أرادوا أن يتفرقوا قال : يا إخوتاه قوموا قيام قومٍ قد يئسوا من المعاودة لمجلسهم خوفاً من خطفات الموكَّل بالنفوس . قال : فيبكي والله ويُبَكِّي .

---

(١) سورة البلد الآيات : ١١ - ١٣ .

٩١٩ ـ عابد آخر

الأصمعي قال : كنت بالبادية أُعلِّمُ القرآن فإذا أنا بأعرابي بيده سيفٌ يقطع الطريق ، لما دنا مني ليأخذ ثيابي قال لي : يا حضريٌّ ، ما أدخلك البدو ؟ قلت : أُعلِّم القرآن ، قال : وما القرآن ؟ قلت : كلام الله . قال : ولله كلام ؟ قلت : نعم . قال : فأنشدني منه بيتاً فقلت : ﴿ **وفي السماء رزقُكُم وما توعدون** ﴾ [١] قال : فرمى بالسيف من يده وقال : استغفر الله ، رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض ، ثم لقيتُه بعد سنة في الطّواف فقال : ألست صاحبك بالأمس ؟ قلت : بلى . قال : فأنشدني بيتاً آخر فقلت : ﴿ **فوربِّ السماء والأرض إنهُ لحقٌّ مثل ما أنّكُم تنطقون** ﴾ [٢] قال : فوقف وبكى وجعل يقول : ومن أجأه إلى اليمين ؟ فلم يزل يردّدها حتى سقط ميتاً .

٩٢٠ ـ عابد آخر

الأصمعي قال : قال أعرابي إني لبمضلَّة من الأرض إذ بصُرتُ بأعرابيّ قد افترس الأسدُ ابنه ونفر به بعيُره فدقَّ فخذه وذلك بعد أن ّنازل الأسد فجدّ له فسمعته يقول : لله درّك من مصيبة جلّلت فلطفت وكبُرتْ فصغُرتْ ، لئن كنت أحللت قلبي ترحاً لقد أورثتني فرحاً ، وكيف لا تكونين كذلك وقد زُوِيَ بك عني عظيمٌ وقد أورثتني صبراً جسيماً ؟ فقلت : الله يا أعرابي ما رأيت أربط منك جأشاً ولا أصعبِ منك مراساً . فقال : يا هذا إن الصبر والجزع ضدّان أحدهما بصيرةٌ بنجدة والآخرة تهوُّر بغِرّة ، وليس بحزم تتبُّع ما فات تطلُّبه وعزَّت أوبَتُه . ثم أنشأ يقول :

وكذا أشتَهِي لحادث ريب الدّ هر إذْ كان أن يكونَ عظيما

٩٢١ ـ عابد آخر

عبد الرحمن بن أبي نوح قال : ذُكر لي عن رجل من العرب فهمٌ وخير ، فقصدتُ له في بعض البوادي حتى أصبته يَسْنُو على بعير له [٣] . فقلت : قل لي كلاماً أحفظه عنك يرحمك الله . قال : لا تُطلق لسانك فإنّ الفعل أولى بك من القول . قلت : رحمك الله إن دليل العمل القولُ ومفتاحه المعرفة . فأُعجِب بقولي . ثم أقبل عليٌّ فقال : يا أخي إنّ الشفقة لم تزل بالمؤمن حتى أوفدَتْه على خير حال ، وإنّ الغفلة لم تزل بالفاجر حتى أسلمته إلى شرّ حال ، وما خير عمر امرئ لا يدرّي ما عاقبةُ أمره ، وما خير عيشٍ لا يكمل ما حفظ منه ، ولئن كانت الرغبة في الدنيا هي المستولية على قلوبنا كما استولت على أبداننا لقد خبِنا غداً في القيامة وخسرنا .

---

(١) ، (٢) سورة الذاريات آية : ٢٢ ، ٢٣ .

(٣) أي يستقي عليها .

٩٢٢ ـ عابد آخر

يحيى بن معاذ قال : كنتُ في سياحتي ، فبينا أنا في بعض الفلوات إذ لاح لي كوخٌ من قصب ، فقصدت نحوه فإذا أنا بشيخ مُبتلى ، قد أكل الدودُ لحمُه ، فوقع له في قلبي رحمة ، فقلت له : يا شيخ أتحبُّ أن أسأل الله تعالى أن يُبرئَكَ ؟ قال : فرفع رأسه وهو أعمى فنظر إليّ وقال : يا يحيى بن معاذ الرازى وإنّ لك عنده هذه الدالة فلم لا تسأله أن يبغض إليك شهوة الرمّان ؟ قال يحيى : وكنت قد اعتقدت مع الله عز وجل ترك الشهوات ما خلا الرمَان فلم أقدر على تركه لحبي له . ثم نظر إليّ وقال لي : يا يحيى بن معاذ احذر أن تتعرّض لأولياء الله فتُفتضح عندهم .

٩٢٣ ـ عابد آخر

أبو القاسم النصر آباذي قال : سمعت إبراهيم بن شيبان يقول : بقي إبراهيم سنة في البادية ما أكل ولا شرب ولا اشتهى شيئاً . فقال : عارضَتني نفسي أنّ لي عند الله عز وجل رتبة فلم أشعر أنْ كلّمني رجلٌ عن يميني فقال : يا إبراهيم تُرائي الله في سرِّك ؟ فنظرت إليه فقلت : قد كان ذلك . فقال : بحمد الله كم لي هاهنا لم آكل ولم أشرب ولم أشته شيئاً وأنا زمن [1] مطروح ؟ قلت : الله أعلم . قال : ثمانـين يوماً وأنا أستحي من الله عز وجل أن يقع لي خاطرك ، ولو أقسمتُ على الله عز وجل أن يجعل هذا الشجر ذهباً لجعله .

فكانت بركة رؤيته تنبيهاً لي ورجوعاً إلى حالتي الأولى .

٩٢٤ ـ عابد آخر حجازى

أبو عبد الرحمن المغازلي قال : دخلت على رجل مُبتلى بالحجاز فقلت : كيف تجدُك؟ قال : أجدُ عافيته أكثر مما ابتلاني به ، وأجد نعمه عليّ أكثر من أن أحصيها . قلت : أتجد لما أنت فيه ألماً شديداً ؟ فبكى ثم قال : سلَّي نفسي ألم ما بي : ما وعد عليه سيدي أهل الصبر من كمال الأجور في شدة يوم عسير . قال : ثم غشي عليه . فمكث ملياً ثم أفاق فقال : إني لأحْسب أنّ لأهل الصبر غداً في القيامة مقاماً شريفاً لا يتقدّمه من ثواب الأعمال شيء ، إلا ما كان من الرضا عن الله تعالى .

٩٢٥ ـ عابد آخر

الخلدي قال : خرجت سنة من السنين إلى البادية فبقيت أربعة وعشرين يوماً لم أطعم فيها طعاماً ، فلما كان بعد ذلك رأيت كوخاً وفيه غلام فقصدت الكوخ فرأيت الغلام

---

(١) أي : مصاب بعاهة مزمنة .

قائما يصلي فقلت في نفسي : بالعَشِيِّ يجيء إلى هذا طعام فآكل معه فبقيت تلك الليلة والغد وبعد غد ، ثلاثة أيام لم يجئه أحد بطعام ولا رأيت أحداً فقلت : هذا شيطان ليس هذا من الناس . فتركته وانصرفت ، فلما كان بعد أشهر ، أنا قاعد في منزلي إذا داقٌّ يدقّ الباب . قلت : من هذا ؟ أدخل ، فدخل الغلام وقال لي : يا جعفر أنت كما سُميت ، جاع فرَّ .

ذكر المصطفيات من عابدات العرب وأهل البادية

٩٢٦ ـ خنساء بنت عمرو النخعية

عن عبد الرحمن بن مغراء الدّوسي ، عن رجل من خُزاعة قال : لما اجتمع الناس بالقادسية دعت خنساء بنت عمرو النخعية بَنيها الأربعة فقالت : يا بنيّ إنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم والله ما نَبَتْ بكم الدار ولا أقحمتْكم السّنة ، ولا أرْداكم الطمع ، والله الذي لا إله إلا هو ، إنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ما خنتُ أباكم ولا فضحْت خالكم ؛ ولا غيّرت نسبكم ولا أوطأت حريمكم ، ولا أبحتُ حماكم فإذا كان غداً إن شاء الله ، فاغدُوا لقتال عدوّكم مستنصرين الله ، مستبصرين ، فإذا رأيتم الحرب قد أبدت ساقها وقد ضربت رُواقها فتيمّموا وطيسَها وجالدوا خميسها ، تظفروا بالمغنم والسلامة، والفوز والكرامة في دار الخلد والمقامة .

فانصرف الفتية من عندها وهم لأمرها طائعون ، وبنصحها عارفون فلما لقوا العدوّ شدّ أوّلهم وهو يقول :

يا إخوتا إنّ العجــوز الناصِحَهْ قد أشْــربتْنا إذ دعـــتنا البارحَهْ
نصيحـــــةً ذات بيــان واضحهْ فباكروا الحرب الضروس الكالحَهْ
فإنمـــا تلقَوْن عـــند الصائحهْ مِنْ آلِ ساســـــان كِلاباً نابحَـــهْ
قـــد أيقنوا منكم بوقْع الجائحَهْ فأنتُم بـــينَ حـــياةٍ صالحهْ
أو مـــيتةٍ تُورث غنـــماً رابحَهْ

ثم شدّ الذي يليه وهو يقول :

والله لا نَعصِي الـــعجوز حَرْفا قد أمرتْنا حدبـــاً وعَطْفـــا
منهـــــا وبرا صـــادقاً ولُطْفَا فَبَاكِروا الحرب الضّروسَ زَحفَا
حتـــــى تكُفّوا آل كِسْرَ كفّا وتَكْشِفُوهم عن حماكم كَشْفَا
إنّا نرى التّقْصيرَ عنهم ضَعْفَا والقتلَ فيهـــم نَجْدَةً وعُرْفـــا

ثم شدّ الذي يليه وهو يقول :

لســـتَ لخنْساءَ ولا للأخـــزمِ ولا لعـــمرو ذي السَّناء الأقْدمِ
إن لم تزرُ في آل جمع الأعْجمِ جَمْعَ أبــي ساسان جمع رُستم
بكـــلّ محـــمودِ اللقاء ضَيْغَم ماضٍ على الهوْل خضمٍّ خضرمِ
إمّا لقـــهرٍ عاجِـــل أو مَغنَم أو لحياة فـــي السّبيل الأكـــرمِ
نفـــوز فيها بالنَّصيب الأعْظَمِ

ثم شد الذي يليه وهو يقول:

إن العجـــوز ذاتُ حـــزْمٍ وجلدْ والنّظر الأوفق والرّأي السَّـــدَدْ
قد أمـــرتْنا بالصـــواب والرَّشَدْ نصيـــحة منهـــا وبرا بالولـــدْ
فباكـــروا الحـــرب نماءً في العَدَدْ إمّا لقهـــر واحـــتياز للبلـــدْ
أو ميـــتةٍ تُورث خُلـــداً للأبـــدْ في جنّة الفردوس في عيشٍ رغدْ

فقاتلوا جميعاً حتى فتح الله عز وجل للمسلمين ، وكانوا يعطون ألفين فيجيئون بها فيصُبونها في حُجرها فتقسم ذلك بينهم حفنةٌ حفنةٌ ، فما يغادر واحد من عطائه درهماً .

٩٢٧ ـ منفوسة بنت زيد الفوارس

الأصمعي قال : حدثني رجل من بني ثعل قال : كنت ببعض نواحي نجد فرُفعت لي فيه قُبّة من أدمٍ فقصدتُها فإذا أصوات نساء مُعْولات ، فدنوت منهنّ وسألتهن عن شأنهن؟ فقلن: منفوسة بنت زيد الفوارس أُصيبتْ بابنها ، وإذا هو في حجرها وهي تقول : والله لتقدُّمك أمامي أحبّ إليّ من تأخرك ورائي ، ولصبري عنك أجدى من جزعي عليك ، وما حظّ مصيبة تحلّ من التلف محلك ، وتورث من العطب مثل مضجعك ، ولئن كان فراقك حسرة إنّ توقُّع أجرك لخيرةَ .

ثم قالت : لله درّ عمرو بن معدي كرب حيث يقول :

وإنا لقومٌ لا تفيضُ دُموعُنا على هالكٍ منّا وإن قُصِمَ الظّهرا

٩٢٨ ـ عاتكة المخزومية

إبراهيم بن محمد المخزومي قال : بكتْ امرأةٌ من بني مخزوم يقال لها عاتِكَةٌ حتى ذهب بصرُها . فعُوتبت في ذلك وقيل لها ما بعد ذهاب البصر شيء ؟ فقالت : ما ينبغي للمخوف بالنار أن تجفَّ له دمعةٌ حتى يُعرف موقعُ الأمانِ من ذلك . فلم تزل على ذلك البكاء حتى ماتت عليه .

٩٢٩ ـ منيرة السدوسية

وبالإسناد حدثنا أبو بكر القرشي قال : حدثني محمد بن حسين قال : حدثني عبد الله ابن محمد بن حميد بن أبى الأسود قال : حدثني أبو سلمة ، رجل من بني سدوس، قال: كانت لنا عجوز في الحيّ لم ندركها نحن ، أدركها أشياخنا يقال لها : منيرة . فكانت تقول إذا جاء الليل : قد جاء الهول ، قد جاءت الظلمة ، قد جاء الخوف ما أشبه هذا بيوم القيامة . ثم تقوم فلا تزال تصلي حتى تصبح .

٩٣٠ ـ طلحة العدوية

وبالإسناد حدثنا القرشي قال : حدثنا عبد الله. بن عيسى الطّفاوي قال : أرسلني أبي إلي طلحة العدوية . فدخلنا عليها وبين يديها زَنْبيلان [١] ، أحدهما فيه زبيب ونَبْق وباقلّي، فقيل لي : إنها تُسبِّح به وتأكل منه أحياناً .

٩٣١ ـ أم سالم الراسبية

وبالإسناد حدثنا القرشي قال : قال محمد بن الحسين : حدثني أبو سمير ، رجل من الأزد ، قال : أتيت أم سالم الراسبيّة بين الظهر والعصر ، فاستأذنت عليها فأذنت لي ، فدخَلْتُ عليها وإذا هي تصلّي قائمة فلم تنفَتِلْ من صلاتها ولم تلتفت أليّ حَتى نودي بصلاة العصر فخرجت فصليتُ ثم دخلت عليها فقالت : إذا كانت لك حاجة فلا تأتني في هذا الوقت فإن الذي يدعُ الصلاة في هذا الوقت فإنما يضيّعُ حظ نفسه .

٩٣٢ ـ أم نهار العدوية

عن عُتبة بن صالح الهلالي قال : شهدت أعرابية بالجفر ، جَفر بني عديّ ، يقال لها أم نهار العدويّة واقفة على قبر رجلٍ ونحن ندفنه . فقالت : أيها النَاس إنكم من الله عز وجل في نعمة سترٍ ، ومن الناس بمحلّ تزكية ، فإياكم ومصاداة زخاريف الرخاء فإنها ليست من صفة الألبّاءِ فأجْلُوا شماذير الغفلة عن قلوبكم ، وتأمّلوا أهل هذه العرصات الخرس والربوع الصّموت وارجعوها صوراً بوهْمكم : تتنسّمون روح الحياة فنادوهم يسمعوا واسألوهم يخبروا ، فاحيوُا بموتهم وتيقظوا لغفلاتهم وخُذوا خوفكم من أمنهم ، وحذركم من غرورهم ، وانظروا بهم إلى أثر البلى في أجسامكم ، والخراب في مساكنكم، وكيف حكم فيهم التراب إذ وليَ الحُكم فيهم ، فأبدلهم بالنطق خرساً وبالسمع صَمَماً وبالحركات سكوناً . رحم الله امرءًا أبصر فتدبر ، واتعظ فاعتبر ، وعمل ليوم الحساب وخَشِيَ وقت العقاب . ثم قالت :

---

(١) الزنبيل : القفة .

الموت يُفْني ولا يُبقــي علــى أحدٍ   ما أحسَبُ الموتَ يبقى جدَّة الأبد
يا موت كم من كريم قد فجعت به   من أقربيه ومـــن أهلٍ ومن ولد

ثم قالت : تغمّدكم الله بالرحمة وبلغ بكم شرف الهمّة .

٩٣٣ ـ عاتكة الغنوية

وبالإسناد حدثنا القرشي قال : ذكر محمد بن الحسين قال : حدثني عبيد الله بن محمد التيمي قال : حدّثني جليس لنا كان يُقال له ضرار الطفاويّ ، قال : لقيتني امرأة من غنّي[١] عابدة يقال لها عاتكة . فقالت : يا ضرارِ توسّل إلي مولاك بجميع ما يمكنك من الوسائل ، فإنك تجد ذلك لك موفراً عند حلول الأمور الجلائل ، وانقطع إليه في حوائجك لديه يأت لك عليها على غير تعب منك ولا نصب . واعلم أنه لن ينال المطيعون في الدنيا لذة أحلى في صدورهم من الازدياد لله في طاعته بقربه ، والحلاوة ساعة من مُطيع ألذّ في قلوب المريدين من جميع ما أُخرج إلى الدنيا من زهرة ولذة ولن يجد المريد فَقْدَ شيء تركه رجاء ثواب الله . فجدّ أيْ أخي قبل أن لا يمكنك الجدّ ، وبادر قبل فوات المبادرة فإن الدنيا لا تطيب لعارفها وإنما تورّطها أهل الغرّة وعما قليل فسوف يعلمون . قال : أمسكت فقامَتْ .

٩٣٤ ـ عليلة بنت الكميت

أبو خالد القرشي قال : استأذنّا على عليلة بنت الكميت وكانت من العابدات قال : وذلك وقت الظهر . فقالوا : هي تُصلي فلم نَزَلْ ننتظرها إلى العصر فلما صلت العصر أذنت لنا ، فدخلنا عليها فقلنا : رحمك الله لم نزل قعوداً منذ الظهر ننتظرك . قالت : سبحان الله قُعوداً لم تُصلّوا بين الظهر والعصر ؟ قلنا لا . قالت : ما ظننت أن أحداً لا يصلي بين الظهر والعصر .

قال : وانقبضت عنا انقباضاً شديداً .

٩٣٥ ـ هنيدة

عامر بن أسلم الباهلي ، عن أبيه قال : كانت لنا جارية في الحيّ يقال لها هُنيدة فكانت تقوم إذا مضى من الليل ثلثه أو نصفه فتُوقظ ولدها وزوجها وخدمها فتقول لهم قوموا فتوضئوا وصلّوا فستغتبطون بكلامي هذا ، فكان هذا دأبها معهم حتى ماتت . فرأى زوجها في منامه : إن كنت تحب أن تزوّجها هناك فاخلُفْها في أهلها بمثل فعلها ، فلم يزل دأب الشيخ حتى مات ، فأتي أكبر ولده في منامه فقيل له : إن كنت تحبُّ أن

(١) اسم قبيلة .

تجاور أبويك في درجتهما من الجنة فاخلفهما في أهلهما بمثل عملهما . قال : فلم يزل ذلك دأبه حتى مات . فكانوا يُدْعون القوّامين .

ذكر المصطفيات من عابدات العرب وأهل البادية المجهولات الأسماء

٩٣٦ ـ عابدة من بني عبد القيس

عن أبي بكر الهُذلي قال : كانت عجوز من بني عبد القيس مُتعبدة . فكانت تقول : عامِلوا الله على قدر نعمه عليكم وإحسانه إليكم ، فإن لم تُطيقوا فعلى قدر ستره ، فإن لم تُطيقوا فعلى الحياء منه فإن لم تُطيقوا فعلى الرجاء لثوابه ، فإن لم تطيقوا فعلى خوف عقابه .

عن أبي بكر الهُذَلي قال : كانت عجوز في عبد القيس متعبّدة فكان إذا جاء الليل تحرمت ثم قامت إلى المِحْراب ، وكانت تقول المحب لا يسْأم من خدمة حبيبه ، فإذا جاء النهار خرجت إلى القبور . فبلغني أنها عُوتبت في كثرة إتيانها المقابر ، فقالت : إن القلب القاسي إذا جفا لم يُليّنه إلا رسوم البلى ، وإني لآتي القبور فكأني أنظر وقد خرجوا من بين أطباقها ، وكأني أنظر إلى تلك الوجوه المتعفّرة وإلى تلك الأجسام المتغيرة وإلى تلك الأكفان الدّسمة . فيا له من منظر كريه لو أشربه العبادُ قلوبهم ما أثكل مرارته للأنفس وأشدّ إتلافه للأبدان .

٩٣٧ ـ عابدة أخرى

الأصمعي قال : مات ابن لأعرابية فما زالت تبكي حتى خَدّ الدمعُ في خدّها . ثم استرجعت فقالت : اللهم إنك قد علْمت فرط حنّو الوالدين على ولدهما فلذلك لم تأمرهما ببره ، وقد علمت قدر عقوق الولد لوالديه من أجل ذلك حَضَضْتَه على طاعتهما، وألزمته بِرَّهما . وقد كان ولدي من البرّ بوالديه على ما يكون الوالدان بولدهما، فأجْرْه بذلك مني صلاةً ولقِّه سروراً ونَضْرَة . فقال لها أعرابي : نعم ما دعوت له ، لولا أنك شبْتِه من الجزع بما لا يُجدي عليه . فقالت : إذا وقعت الضرورات لم يجْرِ عليها حكم المكتسبات ، وجزَعي على ابني غير ممكن في الطاقة صَرفُه ، ولا في القدرة مَنْعه ، والله وَلِيَ عُذري بفضله فقد قال عز وجل : ﴿ فَمَنِ اضطُرّ غيرَ باغٍ ولا عادٍ فلا إثم عليه إنّ الله غفورٌ رحيم ﴾ (١) .

---

(١) سورة البقرة آية : ١٧٣ .

٩٣٨ ـ عابدة أخرى

أبو عبد الرحمن القُرشي ، عن رجل من بني ثعلب ، قال : شهدت امرأة من أهل البادية تُوصي إبناً لها وأراد سفراً فقالت : يا بنيّ أوصيك بتقوى الله ، فإن قليلها أجدى عليك من كثير عقلك وإيّاك والنمائم فإنها تزرع الضغائن وتفرّقُ بين المحبين ، ومثّلْ لنفسك ما تستحْسنه من غيرك مثالاً ثم اتخذه إماماً واعلم أنه من جمع بين الحياء والسخاء فقد استجادَ الحُلّة إزارُها ورداءها .

٩٣٩ ـ عابدة أخرى

الصّلت بن حكيم قال : حدّثني ابن السماك أن نفراً وردوا على عجوز في بعض البوادى يسألونها بيع شاةِ . فقالت : ما كنتُ لأبيع ابن السبيل شيئاً ، ولكن خُذوها على ما عند الله ، ثم بكى أبو العباس يعني ابن السماك ، وقال : رحمها الله فقهَت في بَدْوِها .

٩٤٠ ـ عابدة أخرى

أبو بكر الشيرازى قال : تهتُ في بادية العراق أياماً كثيرة فلم أجد شيئاً أرتفق به ، فلما كان بعد أيام رأيت في الفلا خباء شعرٍ مضروباً فقصدته فإذا بيت وعليه ستر مُسبَل، فسلمت فردّت عليّ عجوز من داخل الخباء وقالت : يا إنسانُ من أين أقبلت ؟ قلتُ : من مكة قالت : وأين تريد ؟ قلت : الشام . فقالت : أرى شبح إنسان بطال ألا لزمت زاوية تجلس فيها إلى أن يأتيك اليقين ؟ ثم تنظر هذه الكسرة من أين تأكلها ؟ ثم قالت: تقرأ القرآن ؟ قلت : نعم فقالت : اقرأ عليّ آخر سورة الفرقان فقرأتها فشهقت وأُغمي عليها فلما أفاقت بعد هُويّ قرأتْ هي الآيات فأخذت مني قراءتها أخذاً شديداً ، ثم قالت: يا إنسان اقرأها ثانية فقرأتها فلحقها مثلُ ما لحقها في الأول ، وصبرت أكثر من ذلك ولم تُفق ، فقلت : أستكشف حالها ماتت أم لا ؟ فتركت البيت على حاله ومشيت أقلّ من نصف ميلٍ فأشرفتُ على وادٍ فيه أعراب فأقبل إليّ غلامان معهما جارية، فقال أحد الغلامين : يا إنسان أتيت البيت في الفلاة ؟ قلت : نعم ، قال : وتقرأ القرآن؟ قلت : نعم . قال : قتلت العجوز ورب الكعبة . فمشيت مع الغلامين حتى أتينا البيت فدخلتُ الجارية فكشفت عنها فإذا هي ميتة . فأعجبني خاطرُ الغلام فقلتُ للجارية : من هذان الغلامان ؟ .

فقالت : هذان جعافرة وهذه أختهم منذ ثلاثين سنة ما تستأنس بكلام الناس ، إذا نزلنا تُواري بيتها في الفلاة تأكل في كل ثلاثة أيام أكلةً وشربة .

٩٤١ ـ عابدة أخرى

عن هشام ، يعني ابن حسان ، قال خرجنا حُجّاجاً فنزلنا منزلاً في بعض الطريق فقرأ رجلٌ كان معنا هذه الآية ﴿ لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزءٌ مقسومٌ ﴾ (١) فسمعت امرأة فقالت : أعدْ رحمك الله . فأعادها . فقالت : خلفتُ لي في البيت سبعة أعبُدٍ أشهدكم أنهم أحرار ، لكل باب واحد منهم .

٩٤٢ ـ عابدة أخرى

مسمع قال : قالت امرأة من العرب ذات عقل ودين : سبحانك إلهي ، إمهالُك المذنبين أطمعهم في حُسن عفوك عنهم ، سبحانك إلهي ، لم يزل قلبي يشهد برضاك لمن نال عفوك ، سبحانك إلهي تفضّلاً منك وامتناناً على خلقك .

٩٤٣ ـ عابدة أخرى

ابن عائشة قال : نظرت أعرابية إلي فتي حسن الوجه بضّة فقالت إني لأرى وجهاً ما غضّنه بَدْدُ وضوء السَّحَر .

٩٤٤ ـ عابدة أخرى

الأصمعي قال : قال أعرابي : خرجت في ليلة ظلماء فإذا أنا بجارية كأنها علم ، فأردْتها فقالت : ويلك أما لك زاجرٌ من عقل إذا لم يكن لك ناهٍ من دين ؟ فقلت : إيها والله ما يرانا إلا الكواكب . فقالت : وأين مُكوكبها ؟ .

٩٤٥ ـ عابدة أخرى

محمد بن سلاّم الجمحي قال : سمعت خارجة بن زياد رجلاً من بني سليم ، يذكر قال : هويتُ امرأة من الحيّ فكنت أتبعُها إذا خرجت إلي المسجد فعرفت ذلك منّي فقالت لي ذات ليلة : ألك حاجة ؟ قلت : نعم . قالت : وما هي ؟ قلت : مودَّتك قالت : دَعْ ذلك ليوم التّغابن قال : فأبكَتْني والله فما عدت إلى ذلك .

٩٤٦ ـ عابدة أخرى

بلغنا عن أبان بن تغلب أنه قال : رأيت أعرابية تمرِّضُ ابناً لها وهو لِما به فلما فاظ(٢) أغمضتْه ثم تنّحت عن مقعدها عند رأسه ورجعت إلى مجلسها تجاهه فقالت : يا فلان ما حقّ من أُلبس العافية وأُسبغت عليه النعمة وأُطيلت له النظرة أن يعجز عن التوثق لنفسه قبل حلّ عُقدته والحلول بعقوبته ، والحِيال بينه وبين نفسه قال : فأجابها أعرابي : إنا لم

(١) سورة الحجر آية : ٤٤ .

(٢) أى مات .

نزل نسمع أن الجزع إنما هو للنساء فلا يَجْزَعنّ رجل بمصيبة بعدك ولقد كرُمَ صبرك ، وما أشبهت النساء . فأقبلت عليه بوجهها ثم قالت : ما ميز رجل بين الصبر والجزع إلا أصاب بينهما منهجين بعيدي التفاوُت في حاليهما ، أما الصبر فحسنُ العلانية محمود العاقبة ، وأما الجزع فغير مُعوّض مع مأثمه ، ولو كانا رجلين في صورة ، كان أولاهما بالغلبة وحسن الصورة مع كرم الطبيعة في عاجله من الدين وآجله من الثواب ، وكفى ما وعد الله عز وجل فيه لمن ألهمه إياه .

انتهى ذكر أهل البوادِي .

ذكر المصطفين من العباد الذين لم يعرف لهم مستقر وإنما لقوا فى أماكن

ذكر المصطفين ممن لقى منهم فى طريق مكة

٩٤٧ ـ عابد

أبو يوسف ، عبيد الله بن أبي نوح ، وكان من العابدين ، قال : صحبتُ شيخاً في بعض طريق مكة فأعجبتني هيئته . فقلت : إني أحبّ أن أصحبك . قال : أنت وما أحببت . قال : فكان يمشي بالنهار فإذا أمسى أقام في منزلٍ كان أو غيره ، قال فيقوم الليل يصلّي ، وكان يصومُ في شدة ذلك الحر فإذا أمسى عمد إلى جريب معه فأخرج منه شيئاً فألقاه إلى فيه مرتين أو ثلاثا . وكان يدعوني فيقول هلمّ فأصِبْ من هذا فأقول في نفسي والله ما هذا بمُجزيك أنت ، فكيف أشركُك فيه ؟ فلم يزل على ذلك ودخلت له في قلبي هيبة عندما رأيتُ من اجتهاده وصبره . قال : فبينا نحن في بعض المنازل إذ نظر إلى رجل يسوق حمارا فقال لي : انطلق فاشتر ذلك الحمار ، فانطلقت وأنا أقول في نفسي : والله ما معي ثمنه ولا أعلم معه ثمنه فكيف أشتريه ؟ قال : فأتيت صاحب الحمار فساوَمْته به فأبى أن ينقصه من ثلاثين ديناراً ، قال : فجئت إليه وقلت : قد أبى أن ينقصه من ثلاثين ديناراً قال خذه . واستخر الله قلتُ : الثمن ؟ قال: سمّ الله ثم أدخل يدك في الجِراب فخُذْ الثمن فأعطه . قال: فأخذتُ الجراب ثم قلت: بسم الله وأدخلت يدي فيه فإذا صُرّةٌ فيها ثلاثون ديناراً لا تزيد ولا تنقصُ . قال: فدفعتها إلى الرجل وأخذتُ الحمار وجئت به فقال لي: اركب فقلت له: أنت أضعف مني فاركب أنت. قال فلم يرادّني الكلام، وركب فكنت أمشي مع حماره فحيث أدركه الليلُ أقام. فإنما هو راكع وساجد حتى أتينا عُسفْان، فلقيه شيخ فسلّم عليه ثم خلوا فجعلا يبكيان. فلما أرادا أن يتفرّقا قال صاحبي للشيخ: أوصني ، قال: نعم ، ألزم التقوى قلبك وانصب ذكر المعاد أمامك. قال: زِدْني. قال: استقبل

الآخرة بالحُسنى من عملك ، وباشر عوارض الدنيا بالزهد من قلبك ، واعلم أن الأكياس هم الذين عرفوا عَيْب الدنيا حين عَمِيَ على أهلها والسلام عليكم ورحمة الله . قال : ثم افترقا فقلت لصاحبي : من هذا الشيخ رحمك الله ، فما رأيت أحسن كلاماً منه ؟ فقال : عبدٌ من عبيد الله . قال فخرجنا من عُسْفان حتى أتينا مكة فلما انتهينا إلى الأبطح نزل عن حماره وقال لي : أثبت مكانك حتى أنظر إلى بيت الله نظرةً ثم أعود إليك إن شاء الله . قال : فانطلق وعرض لي رجل فقال : تبيع الحمار ؟ قلت : نعم . قال : بكم ؟ قلت : بثلاثين ديناراً . قال: قد أخذت منك. قلت: يا هذا والله ما هو لي وإنما هو لرفيق لي وقد ذهب إلى المسجد ولعله أن يجيء الآن قال : فإني لأكلّمه إذ طلع الشيخ فقمت إليه فقلت: إني قد بعت الحمار بثلاثين ديناراً . قال أما لو كنت استزدته لزادك إن شاء الله فأما إذ بعت فأوجر . فأخذت من الرجل ثلاثين ديناراً ودفعت الحمار إليه وجئت بالدنانير فقلت : ما أصنع بها ؟ قال : هي لك فأنفقها . قلت : لا حاجة لي بها ، قال: فألقها في الجراب. قال : فألقيتُها في الجراب . قال : فطلبنا منزلاً بالأبطح فنزلناه فقال أبغني دواةً وقرطاساً . فأتيتُه بدواة وقرطاس . قال : فكتب كتابين ثم شدهما إليّ وقال : انطلق به إلى عبَّاد بن عبّاد وهو نازل في موضع كذا وكذا فادفعه إليه وأقرئه مني السلام ومن المسلمين . ثم دفع الآخر إليّ وقال : ليكن هذا معك فإذا كان يوم النحر فاقرأه إن شاء الله . قال : فأخذت الكتاب فأتيت به عبّاد بن عبّاد وهو قاعد يحدّث وعنده خلق كثير ، فسلّمت ثم قلت : رحمك الله، كتابُ بعض إخوانك إليك ، فأخذ الكتاب فإذا فيه «بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد يا عبّاد فإني أحذّرك الفقر يوم يحتاج الناس إلى الذخر ، فإنّ فقر الآخرة لا يسده غنى وإنّ مصاب الآخرة لا تُجبر مصيبتُه أبداً ، وأنا رجل من إخوانك وأنا ميت الساعة إن شاء الله فاحضرني لتليني وتولَّ الصلاة عليَّ وإدخالي حُفْرَتي وأستودعُك الله وجميع المسلمين ، واقرأ السلام على رسول الله ﷺ وعليكم جميعاً السلام ورحمة الله » . قال فلما قرأ عبّاد الكتاب قال : يا هذا أين هذا الرجل ؟ قلت : بالأبطح . قال : فمريض هو ؟قلت : لا ، تركته الساعة صحيحاً قال: فقام وقام الناس معه حتى دخل عليه فإذا هو مستقبلٌ القبلة ميت مُسَجى، عليه عباءة . فقال لي عباد : وهذا صاحبك ؟ قلت: نعم . تركته الساعة صحيحاً ؟ قال: فجلس يبكي عند رأسه ثم أخذ في جهازه وصلى عليه ودفنه. قال : واحتشد الناس في جنازته، فلما كان يوم النحر قلت : والله لأقرأن الكتاب كما أمرني ففتحته فإذا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : وأنت يا أخي فنفعك الله بمعروفك يوم يحتاج الناس إلى صالح أعمالهم ، وجزاك عن صُحْبتنا خيراً فإن صاحب المعروف تجدُه لجنبه يوم القيامة مُضطجعاً وأنّ حاجتي إليك إذا قضى الله نُسكا أن تنطلق إلى بيت المقدس فتدفع ميراثى إلى وارثي والسلام عليك ورحمة الله » . قال : فقلت في

نفسي كلُّ أمرك رحمك الله عجبٌ وهذا من أعجب أمرك . كيف آتي بيت المقدس ولم تُسمّ لي أحداً ولم تصف لي موضعاً ، ولا أدري إلى من أدفعه ؟ قال : وخلف قدحاً وجرابه ذلك وعصاً كان يتوكأ عليها ، قال : وكفّنّاه في ثوبي إحرامه ولفَفْنا العباء فوق ذلك. قال : فلما انقضى الحجّ قلت : والله لأنطلقنّ إلى بيت المقدس فلعلي أن أقع على وارث هذا الرجل . قال : فانطلقت حتى أتيت بيت المقدس فدخلت المسجد ، وثم حَلقُ قوم فقراء مساكين . قال : فبينما أنا أدور لأتصفّح الناس ، لا أدري عمّن أسأل ، إذ ناداني رجل من بعض تلك الحلق باسمي : يا فلان . فالتفت إليه فإذا شيخ كأنه صاحبي قال : هات ميراث فلان . قال : فدفعت إليه العصا والقدح والجراب ثم ولّيت راجعاً ، قال : فوالله ما خرجت من المسجد حتى قلت لنفسي : تَضْرب من مكة إلى بيت المقدس وقد رأيت من الشيخ الأول ما رأيت ، ورأيت من هذا الشيخ الثاني ما رأيت ، ولا تسأل هؤلاء القوم أيّ شيء قصتهم وتسألهم عن أمرهم ومن هُم ؟ قال : فرجعت ومن رأيي أن لا أفارق هذا الشيخ الآخر حتى يموت أو أموت . قال : فجعلت أدور الحلق وأجهد على أن أعرفه أو أقع عليه فلم أقع عليه . قال : وجعلت أسأل عنه ، وأقمت أياماً ببيت المقدس أطلبه وأسأل عنه ، فلم أجد أحداً يدلّني عليه . فرجعت منصرفاً إلى العراق .

٩٤٨ ـ عابد آخر

محمد بن سهل بن عسكر البخاري قال : كنت أمشي في طريق مكة إذ رأيت رجلاً مغربياً على بغل ، وبين يديه مناد ينادي : من أصاب هَمَيَانًا له ألف دينار قال : وإذا إنسان أعرج عليه أطمارٌ رثّة خُلْقانٌ يقول للمغربيّ : أيّ شيء علامة الهميان ؟ قال : كذا وكذا . وفيه بضائع لقوم وأنا أعطي من مالي ألف دينار . فقال الفقير : من يقرأُ الكتابة؟ قال ابن عسكر : فقلت : أنا . فقال : إعدلوا بنا ناحية من الطريق . فعدلنا فأخرج الهميان فجعل المغربي يقول : حبّتان لفلانة ابنة فلان بخمسمائة دينار ، وحبّة لفلانة بمائة دينار وجعل يعدّد فإذا هو كما قال : فحلّ المغربي هميانه [١] وقال : خذ ألف الدينار التي وعدت على وجادة الهميان . فقال الأعرج : لو كانت قيمة الهميان الذي أعطيتك عندي بعرتين ما كنت تراه ، فكيف آخذ منك ألف دينار على ما هذا قيمته ؟ وقام ومضى ولم يأخذ منه شيئاً .

٩٤٩ ـ عابد آخر

أبو الحسن اللؤلؤي ، وكان خيّراً فاضلاً قال : كنت في البحر فانكسر المركب وغرق

(١) الهميان : كيس للنفقة يشد في الوسط .

كل ما فيه ، وكان في وطائي (١) لؤلؤ قيمته أربعة آلاف دينار . وقربت أيام الحج وخفتُ الفوات ، فلما سلّم الله عز وجل روحي ونجّاني مشيْت ، فقال لي جماعة كانوا في المركب: لو توقفت عسى يجيء من يُخرج شيئاً فيُخرجُ لك من رحلك شيئاً . فقلت : قد علم الله عز وجل ما مر مني ، وكان في وطائي شيء قيمته أربعة آلاف دينار وما كنت بالذي أُوثره على وقفة بعرفة فقالوا : وما الذي ورّثك هذه المنزلة ؟ فقلت : أنا رجل مُولع بالحجّ ، أطلب الرّبْح والثواب ، حججتُ في بعض السنين وعطشتُ عطشاً شديداً فأجلست عديلي في وسط المحمل ، ونزلت أطلب الماء والناس مُعطشون أيضاً . فلم أزل أسأل رجلاً رجلاً ومجمعاً مجمعاً : أمعكم ماءٌ ؟ والناس شرعٌ واحد ، حتى صرتُ في ساقة القافلة بميل أو ميلين فمررْت بمصنع مُصَهْرج (٢) وإذا رجل فقير جالس في أرض المصنع وقد غَرَزَ عصاه فى أرض المصنع ، والماء ينبع من موضع العصا وهو يشرب فنزلتُ إليه وشربت حتى رويت وجئت إلى القافلة والناس قد نزلوا ، فأخرجت قرْبةً ومضيت فملأتها ورجعت . فلما رآني الناس والقرْبةُ على كتفي مملوءة فكأنه نُودي فيهم أن الماء وراءكم فتبادروا إليه بالقرب . فلما روِيَ الناس عن آخرهم وسارت القافلة جئت لأنظر فإذا البركة ملأى تلتطم بأمواجها والناس يرمون الدّلاء ويرتجزون عليه . فموسم يحضره مثل هؤلاء ، يقولون : اللهم اغفر لمن حضر الموقف ولجماعة المسلمين أُوثر عليه أربعة آلاف دينار ؟ لا والله ولا الدنيا بأسرها وترك اللؤلؤ وجميع ما فيه ، قال الشيخ : فبلغني أن قيمة ما كان غرق له خمسون ألف دينار .

٩٥٠ ـ عابد آخر : لُقِيَ بين الثعلبيّه والخزيميّه

إبراهيم بن المهلب ، أبو الأشهب السائح ، قال . رأيت بين الثعلبية والخزيميّة غلاماً قائماً يصلي عند بعض الأميال . قد انقطع عن الناس . فانتظرته حتى قطع صلاته ثم قلت له : ما معك مؤنس ؟ قال : بلى . قلت : وأين هو ؟ قال : أمامي وخلفي ومعي وعن يميني وعن شمالي وفوقي . فعلمتُ أن عنده معرفة . قلت : أما معك زادٌ ؟ قال : بلى . قلت : وأين هو ؟ قال : الإخلاص لله عز وجل ، والتوحيد والإقرار بنبيه ﷺ وإيمان صادق ، وتوكل واثقٌ . قلت : هل لك في مرافقتي ؟ قال : الرفيق يشغل عن الله عز وجل ولا أحبّ أن أرافق أحداً فأشتغل به عنه طرفة عين فيقطعني عن بعض ما أنا عليه . قلت : أما تستوحش في هذه البريّة وحدك ؟ قال : إن الأنس بالله عز وجل قطع عني كل وحشة حتى لو كنت بين السباع ما خفتُها ولا استوحشتُ منها . قلت : فمن أين تأكل ؟ فقال: الذي غذاني في ظُلَم الأحشاء والأرحام صغيراً قد تكفّل برزقي كبيراً.

---

(١) أى فراشى .

(٢) المصنع : تقدم التعريف به وهو هنا مكان مجمع الماء .

قلت : ففي أيّ وقت تجيئك الأسباب ؟ قال : لي حدّ معلوم ووقت مفهوم إذا احتجت إلى الطعام أصبتُه في أيّ موضع كنت ، وقد علم ما يُصلحني وهو غير غافل عني . قلت : ألك حاجة ؟ قال : نعم قلت : وما هي ؟ قال : إن رأيتني فلا تكلمني ولا تُعلم أحداً أنك تعرفني . قلت : لك ذلك ، فهل حاجة غيرها ؟ قال : نعم . قلت : وما هي ؟ قال : إن استطعت أن لا تنساني في دعائك عند الشدائد إذا نزلت بك فافعل ، قلت : كيف يدعو مثلي لمثلك وأنت أفضل مني خوفاً وتوكلاً ؟ قال : لا تقل هذا إنك قد صليت لله عز وجل وصمت قبلي ولك حق الإسلام ومعرفة الإيمان . قلت : فإنّ لي أيضاً حاجة . قال : وما هي ؟ قلت : ادعُ الله لي . فقال : حجب الله طرفك عن كل معصية ، وألهم قلبك الفكر فيما يُرضيه حتى لا يكون لك همٌّ إلا هو . قلت : يا حبيبي متى ألقاك ؟ وأين أطلبك ؟ فقال : أمّا في الدنيا فلا تحدّث نفسك بلقائي فيها وأما الآخرة فإنها مجمع المتّقين فإياك أن تخالف الله فيما أمرك وندبك إليه ، وإن كنت تبتغي لقائي فاطلبني مع الناظرين إلى الله تبارك وتعالى في زُمرتهم . قلت : وكيف علمت ذاك ؟ قال : بغض طرفي له عن كل محرّم ، واجتنابي فيه كل منكر ومأثم ، وقد سألته أن يجعل جنتي النظر إليه . ثم صاح وأقبل يسعى حتى غاب عن بصري .

٩٥١ ـ عابد آخر

صالح بن عبد الكريم قال : رأيت غلاماً أسود في طريق مكة عند ميل يصلّي فقلت له : عبدٌ أنت ؟ قال : نعم . قلت : فعليك ضريبة ؟ قال : نعم . قلت : أفلا أُكلم مولاك أن يضع عنك ؟ قال : وما الدنيا كلها فأجزع من ذلّها ؟ قال : فاشتريتُه وأعتقته . فقعد يبكي وقال لي أعتقتني ؟ قلت : نعم . قال : أعتقك الله يوم القيامة . وقعد يبكي ويقول : اشتد عليّ الأمر . فناولته دنانير فأبى أن يأْخذها . قال : فحججتُ بعد ذلك بأربع سنين فسألت عنه فقالوا : غاب عنا فمذ غاب قَحطْنا وصار إلى جُدّة .

٩٥٢ ـ عابد آخر

جعفر الخلدي قال : حججت سنة من السنين فصحبني بعض الصوفية ، وكان ممن يُشار إليه بالعلم والمعرفة . فأضافنا الطريق إلى جبلٍ ، وكنا جماعة فاستسقيناه ماء ولم يكن في القرب ماء ، فأخذ ركوة وأومأ بها إلى الجبل فسمعت خرير الماء بأُذُني حتى امتلأت الركوة فسقى الجماعة . وكانت عيني إلى الموضع فلا أرى للماء أثراً ولا شقاً في الجبل . قال أبي : فسألت جعفراً عن هذا فقال : كرامة الله عز وجل لأوليائه .

٩٥٣ ـ عابد آخر

محمد بن المبارك الصوري قال : خرجنا حُجّاجاً فإذا نحن بشابّ ليس معه زاد ولا

راحلة. فقلت : حبيبي ، في مثل هذا الطريق بلا زاد ولا راحلة ؟ فقال لي : تُحسن تقرأ؟ قلت : نعم . فقرأت ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم . كهيعص** ﴾ (١) فشهق شهقة خرّ مغشياً عليه ، ثم أفاق فقال : ويحك تدري ما قرأت ؟ كاف من كاف ، وهاء من هاد ، وعين من عليم ، وصاد من صادق ، فإذا كان معي كافٍ وهادٍ وعليمٌ وصادق ما أصنع بزادٍ وراحلة ؟ ثم ولّى وهو يقول :

يا طالب العلـــم ها هُنـــا وَهُنا ... ومَعْدنُ العلـــــم بين جَنْبَيْكَا
إن كنتَ ترجُو الجِنَانَ تسكُنُهـا ... فمثِّل العَرْض نُصبَ عَيْنيكـــا
إن كنتَ ترجو الحِسان تَخْطُبها ... فأسْـبِل الدمــع فَوْقَ خدّيكـــا
وقُم إذا قـــام كـــلُّ مُجتَهِـد ... وادعُه كيـــما يقـــول لبَّيكـــا

٩٥٤ ـ عابد آخر

وبالإسناد قال عمر بن بحر : وسمعت أبا الفيض يقول : كنت في تيهِ بني إسرائيل أُريد الحج ، فرأيت غلاماً أمرد على المحجّة (٢) يؤمّ البيت العتيق بلا زاد ولا راحلة . فقلت لرفيقي : إن كان مع هذا الغلام يقين وإلا هلك . فلحقتُه فقلت : يا فتى . فقال: لبّيك . فقلت : في مثل هذا الموضع ، في هذا الوقت ، بلا زاد ولا راحلة ؟ قال : فنظر إليّ ثم قال : يا شيخ ارفع رأسك ، انظر هل ترى غيره ؟ فقلت : يا حبيبي اذهب إلى حيث شئت .

٩٥٥ ـ عابد آخر

قال ذو النون : حججت سنةً إلى بيت الله الحرام فضللتُ عن الطريق ولم يكن معي ماء ولا زاد فأشرفتُ على الهلكة ، فلاحت لي أشجار كثيرة ومحْراب ، فطرحت نفسي في ظل شجرة . فلما غربت الشمس إذا أنا بشاب متغيّر اللون نحيل يؤمّ المحراب ، فركل برجْله ربْوةً من الأرض فظهرت عينٌ تبضّ بماء عذب ، فشرب وتوضأ وقام في محرابه فقمتُ إلي العين فشربت ماء عذباً وتوضأت وقمت أُصلي بصلاته ، حتى برقَ عمود الصبح، فلما رأى الصبح وثب قائما على قدميه ونادى بأعلى صوته : ذهب الليل بما فيه ، وأقبل النهار بدواهيه ولم أقض من خدمتك وطراً ، آه ، خسرَ من أتعَبَ ، لغيرك بدنه ، وألجأ إلى سواك همَمه . فلما أراد أن يمضي ناديته : بالذي منحك لذيذ الرغب وأذهب عنك ملال التعب إلا خفضت لي جناح الرحمة فإني غريب أُريد البيت الحرام وقد ضللت. فقال : يا بَطال وهل قطع بوفده دون البلوغ إليه ؟ ثم قال : اتبعني

(١) سورة مريم آية : ١ .
(٢) أي : وسط الطريق .

فرأيت الأرض تُطوى من تحت أرجلنا حتى رأيت المحجّة وسمعت ضجّة فقال : ها قومُك . ثم أنشأ يقول :

مَنْ عامـــل الله بتقْـــواهُ وكان في الخلْوة يَرعاهُ
سَقَاه كأسا مِنْ صَفَا حُبّه يَسْلُـــبه لَذّة دنيـــاهُ
فأبعـــد الخلق وأقصاهُم وانفـــرد العبدُ بِمَوْلاهُ

ومن المصطفين الذين لقوا عند الإحرام

٩٥٦ ـ عابد

عبد الله بن الجلاّء قال : كنت بذي الحُليفة وأنا أُريد الحج والناس يُحرمون ، فرأيت شاباً قد صب عليه الماء يريد الإحرام وأنا أنظر إليه . فقال يا رب أريد أن أقول : لبيك اللهم لبيك ، وأخشى أن تُجيبني لا لبّيك ولا سعدَيْك .

وبقيَ يردد هذا القول مراراً كثيراً وأنا أتسمع عليه . فلما أكثر قلت له : ليس لك بُدّ من الإِحرام فقُل فقال : يا شيخ أخشى إن قلتُ لبّيك اللهم لبيك أجابني بلا لبّيك ولا سعديك . فقلت له : أحسن ظنّك وقل معي : لبّيك اللهم لبّيك . فقال : لبيّك اللهم. وطوّلها ، وخرجت نفسه مع قوله اللهم ، فسقط ميتاً .

ذكر المصطفين من العباد الذين لقوا بعرفة

٩٥٧ ـ عابدان

عن ثابت البناني قال : إنا لوقوفٌ بجبل عرفة فإذا شابان عليهما العباءُ القطَواني ّ (١) ، نادى أحدهما صاحبه : يا حبيب ، فأجابه الآخر : لبّيك أيها المحب . قال ترى الذي تحابَبْنا فيه وتواددنا فيه معذبنا غداً في القيامة ؟ قال : فسمعنا منادياً ، سمعته الآذان ولم تره الأعين ، يقول : لا ، ليس بفاعل .

٩٥٨ ـ عابد آخر

يحيى بن كامل القُرشي قال : أخبرني سفيان الثّوري قال : سمعت أعرابياً وهو متعلق بعرفة ، وهو يقول : إلهي من أولى بالزّلل والتقصير مني ، وقد خلقتني ضعيفاً؟ من أولى بالعفو عني منك وعلمك فيّ سابق ، وأمرك بي مُحيط ؟ أطعتك بإذنك والمنّة لك عليّ ، وعصيتك بعلمك والحجّة لك ، فأسألك بوجوب حُجّتك وانقطاع حُجّتي ، وبفقري إليك وغناك عني أن تغفر لي وترحمني ، إلهي لم أُحسن حتى أعطَيْتني ، ولم

---

(١) نسبة إلى « قطوان » موضع بالكوفة ، واسم قرية من قرى سمرقند .

أُسيء حتى قضيت عليّ . اللهم إنّا أطعناك في أحب الأشياء إليك . شهادة أن لا إله إلا الله ولم نعصك في أبغض الأشياء إليك ، الشرك بك ، فاغفر لي ما بينهما ، اللهم سرّي إليك مكشوف ، وأنا إليك ملهوف ، إذا أوحشتني الغربة آنسني ذكرك ، وإذا صببت عليّ الهموم لجأتُ إليك استجارةً بك ، علماً بأن أزِمّة الأمور بيدك وأن مصدرها عن قضائك .

٩٥٩ ـ عابد آخر

أحمد بن أبي الحواري قال : دخلت على أبي سليمان الدّاراني فقال لي : يا أحمد ، لي أيام ما بكيت . فقلت له : حدّثني محمود بن خلف أنه رأى رجلاً عشيّة عرفة على رأس جبل ، فلما دنا الانصراف سمعه يقول : الأمان الأمان قد دّنا الانصراف ، ليت شعري ما صنعت في حاجة المساكين ؟ .

قال : فبكى حتى جَعَلَتْ الدموع تثب من عينيه ولا تسيل على خدّه .

٩٦٠ ـ عابد آخر

أبو الأديان قال : ما رأيت خائفاً إلاّ رجلاً واحداً : كنت بالموقف فرأيت شاباً مطرقاً منذ وقف الناس إلى أن سقط القُرص فقلت : يا هذا ابسُط يديك بالدّعاء . فقال لي : ثمَّ وحشةٌ . قلت له : فهذا يوم العفو عن الذنوب . قال : فبسط يده ، ففي بَسْطِ يده وقع ميتاً .

٩٦١ ـ عابدة لقيت بعرفة

عبد الله بن داود الواسطي قال : بينما أنا واقف بعرفات إذ أنا بامرأة وهي تقول : من يهده الله فلا مُضِلّ له ، ومن يُضَلل اللهُ فما له من هاد . فقلت : امرأة ضالّة . فنزلت عن بعيري وقلت لها : يا هذه ما قصتك ؟ فقالت : **﴿ ولا تقفُ ما ليس لك به علمٌ إنّ السّمْعَ والبصرَ والفؤاد كلُّ أُولئك كان عنه مسئولاً ﴾** (١) فقلت في نفسي : حروريّة (*) لا ترى كلامنا : فقلت لها : من أين أنت ؟ فقرأتْ **﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ﴾** (٢) فأركبتها بعيري وقفلت بها أريد رحال المقدسيّين. فلما توسّطتُ قلت لها : يا هذه لمن أُصوّت ؟ فقرأت **﴿ يا داوُدُ إنّا جعلنْاك خليفةً فى الأرْض ﴾** (٣) ، **﴿ يا زكريا إنّا نُبَشّرك بغلامٍ اسمُهُ يحيى ﴾** (٤) . **﴿ يا يحيى خُذ الكتاب بقوّة ﴾** (٥) . فناديت : يا زكريا ، يا يحيى ، يا داود . فخرج إليّ ثلاثة

---

(١) سورة الإسراء آية : ٣٦ . (*) تقدم التعريف بالحرورية . (٢) سورة الإسراء آية : ١ .
(٣) سورة ص آية : ٢٦ . (٤) سورة مريم آية : ٧ . (٥) سورة مريم آية : ١٢ .

فتيان من بين الرجال فقالوا : أُمَّنا وربِّ الكعبة ضلّت منذ ثلاثٍ ، وأنزلوها وأكرموني . فقلت لهم : ما لها لا تتكلم ؟ قالوا : ما تكلمت منذ ثلاثين سنة مخافة أن تزلّ . **قلت**: هذه امرأة صالحة المقصد إلا إنها لقلّة علمها لم تدر أنّ هذا الفعل منهيٌّ عنه لأنها استعملت القرآن فيما لم يوضع له . قال ابن عقيل : لا يجوز أن يُجعل القرآن بدلاً من الكلامِ لأنه استعمال له في غير ما وضع له ، كما لو أراد استعمال المصحف في الوزن به أو توسّدِه . قال: ويكره الصمت إلى الليل لأن النبي ﷺ نهى عن صمت يومٍ إلى الليل.

ذكر المصطفين من عباد لقوا في الطواف

٩٦٢ ـ عابد

قاسم بن عثمان الجُوعي يقول : رأيت في الطّواف رجلاً لا يزيد على قوله : إلهي قضيت حوائج المحتاجين وحاجتي لم تُقض ، فقلت له : ما لك لا تزيد على هذا الكلام؟ فقال أحدثك ، كنا سبعة أنفس من بلدان شتّى ، ترافقنا وغزوْنا أرض العدو . فاستؤسِرنا كلنا . فاعتزل بنا بطريق إلى موضع ليضرب رقابنا ، فنظرتُ إلى السماء فإذا سبعة أبواب مفتوحة في السماء ، عليها سبع جوارٍ من الحُور العين ، على كل باب جاريةٌ . فقُدِّم رجل منا فضربت عنقه . فرأيت جاريةً في يدها منديل قد هبطت إلى الأرض حتى ضربت أعناقُ الستة وبقيت أنا وبقيَ باب واحد فلما قُدّمتُ لتُضرب رقبتي استوهَبْني بعض رجاله فوهبني له . فسمعتها وهي تقول . أي شيء فاتك يا محروم ؟ وأغلقت الباب . فأنا يا أخي متحسّر على ما فاتني . قال قاسم الجوعي : أراه أفضلهم لأنه رأى ما لم يروْا وتُرك يعمل على الشوق .

٩٦٣ ـ عابد آخر

عمّار بن عثمان قال : سمعت هدّاباً يقول : رأيت رجلاً يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول في بكائه :

تمنَّ على ذي العرشِ ما شئتَ إنّه غنيٌّ كريم لا يُخيّب سائِلا

قال : ثم شهق شهقةً حتى ظننت أن نفسه ستخرج . قال : فقلت له : ما شأنك رحمك الله ؟ قال أعظم الشأن شأني ، إني ندبت إلى أمر فقصّرت عنه . قال : ثم غُشِيَ عليه .

٩٦٤ ـ عابد آخر

عن محمد بن صالح قال : بينما أنا في الطواف إذ نظرت إلى أعرابي بدويّ متعلق بأستار الكعبة ، وقد شخص بصرُه نحو السماء ، وهو يقول : يا خير من وفد الأنامُ إليه، ذهبت

أيامي ، وضعُفت قوّتي ، وقد وردت إلى بيتك المعظَّم المكرّم بذنوب كثيرة لا تسعها الأرض ولا تغسلها البحار ، مُستجيرا بعفوك منها ، وحططت رحلي بفنائك ، وأنفقت مالي في رضاك ، فما الذي يكون من جزائك يا مولاي ؟ .

ثم أقبل على الناس بوجهه فقال : يا معشر الناس ادعوا لمن وكزته [1] الخطايا وغمرته البلايا . ارحموا أسير ضُرٍّ وغريب فاقة . سألتكم بالذي عمّتكم الرغبة إليه ، إلا سألتم الله تعالى أن يهب لي جُرمي ويغفر لي ذنوبي . ثم عاود فتعلق بأستار الكعبة وقال : إلهي وسيدي ، عظيم الذنب مكروب ، وعن صالح الأعمال مردودٌ ، وقد أصبحت ذا فاقة إلى رحمتك يا مولاى . قال محمد بن صالح : ثم رأيته بعرفات وقد وضع يساره على أم رأسه يصرخ ويبكي ويشهق ويقول : إلهي وسيدي ومولاي أضحكت الأرض بالزهر ، وأمطرت السماء بالرّحمة ، والذي أعطيت الموحِّدين إن نفسي لواثقةٌ لي ولهم منك بالرضا ، وكيف لا يكون كذلك ، وأنت حبيب من تحبّب إليك ، وقرّة عين من لاذ بك وانقطع إليك ؟ يا مولاي حقاً حقاً أقول ؛ لقد أمرت بمكارم الأخلاق فاجعل وُفودي إليك عتقَ رقَبتي من النار .

٩٦٥ ـ عابد آخر

إبراهيم الخوّاص قال : رأيت شاباً في الطواف متّزراً بعباءة ، متشحاً بأخرى كثير الطّواف والصلاة . فوقع في قلبي محبته ففُتح عليّ بأربعمائة درهم فجئت بها إليه وهو جالس خلف المقام فوضعتها على طرف عبائه وقلت له : يا أخي اصرف هذه القُطَيعات في بعض حوائجك . فقام وبدّدها في الحصا وقال يا إبراهيم اشتريتُ هذه الجلسة من الله تعالى بسبعين ألف دينار عين [2] ، تريد أن تخدعني عن الله عز وجل بهذا الوسخ قال إبراهيم . فما رأيت أعزّ منه وهو ينظر ، وأذلّ مني وأنا أجمعها من بين الحصى . ثم قام وذهب .

٩٦٦ ـ عابد آخر

أبو عبد الله بن طاهر قال : رأيت في الطواف شيخاً أعجمياً والناس يتضرّعون ويدعون وهو ساكت . فقلت له : ألا تدعو ؟ فمدّ يده ورفع بها شيبته قال : يا خُداهْ [3] شيخ ، ولم يزد على ذلك .

(١) أصل الوكزة : الضربة والدفعة .
(٢) العين : الذهب المضروب .
(٣) كلمة فارسية بمعنى : يا الله .

ومن عقلاء المجانين الذين لقوا في الطواف

٩٦٧ ـ ولهان المجنون

أبو عبد الله المغربي قال : كنت في الطواف فرأيت ولهان المجنون وهو يقول : حبّك قتلني ، وشوقك أيقظني ، والاتّصال بك أسقمني ، فعدمتُ قلباً يحب غيرك وثكلت خواطر أنسَتْ بسواك .

ذكر المصطفيات من عابدات رُئين في الطواف

٩٦٨ ـ عابدة

مالك بن دينار قال : بينا أنا أطوف بالبيت إذا أنا بجُوَيْرِيَة متعبّدة ، فإذا هي تقول : يا ربّ كم شهوة قد ذهبتْ لذّتها وبقيت تبعتُها ، يا رب ما كان لك عقوبة ولا أدب إلا النار . قال : فوالله ما زال ذلك مُقامها حتى طلع الفجر . قال مالك ، فوضعت يدي على رأسي ثم صرخت وجعلت أقول : ثكلت مالكاً أمه وعدمته ، جُويرية منذ الليلة قد بطّلته .

٩٦٩ ـ عابدة أخرى

عن محمد بن يزيد بن حبيش قال : قال وهيب بن الورد : بينما امرأة في الطواف ذات يوم وهي تقول : يا ربّ ذهبت اللذات وبقيت التّبعات ، يا رب سبحانك ، وعزّتك إنك لأرحم الراحمين : يا رب مالك عُقوبة إلا النار . فقالت صاحبة لها كانت معها : يا أخيّة دخلت بيت ربك اليوم ؟ قالت : والله ما أرى هاتين القدمين ، وأشارت إلى قدميها، أهلاً للطواف حول بيت ربي ، فكيف أراهما أهلاً أطأُ بهما بيت ربي ؟ وقد علمتُ حيث مشتا وإلى أين مشتا ؟ .

٩٧٠ ـ عابدة أخرى

عن الحسن قال : رأيت بدوية دخلت الطواف فقالت : يا حسن الصُحبة ، جئتك من بعيد ، أقبلت أسألك سترك الذي لا تُخرّقه الرماح ولا تُزيله الرياح .

٩٧١ ـ عابدة أخرى

عن عبد العزيز بن أبي روّاد قال : دخل قومٌ حُجّاج ومعهم امرأة تقول : أين بيت ربّي ؟ فيقولون : الساعة تَرَيْنه . فلما رأوه قالوا : هذا بيت ربك أما تَرينَه ؟ فخرجت تشتدّ وتقول: بيتُ ربي بيتُ ربي حتى وضعت جبهتها على البيت. فوالله ما رُفعت إلا ميّتة.

٩٧٢ ـ عابدة أخرى

إبراهيم بن مسلم المخزومي قال : وقفت امرأة متعبّدة في جوف الليل فتعلّقت بأستار

الكعبة : ثم بكت وقالت : يا كريم الصّحبة ، ويا حسن المعُونة ، أتيتك من شُقّة بعيدة متعرضة لمعروفك الذي وسعَ خلْقك ، فأنلني من معروفك معروفاً تُغنيني به عن معروف من سواك يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة . قال : ثم صرخت صرخة سقطت لوجهها فحُملت مغشياً عليها .

٩٧٣ ـ عابدة أخرى

عن سعيد الأزرق الباهلي أنه قال : دخلت الطواف ليلاً ، فبينا أنا أطوف وإذا بامرأة في الحجْر (١) ملتزمة للبيت قد علا نشيجها ، فدنوت منها وهي تقول : يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الأوهام والظنون ، ولا تغيّره الحوادث ولا يصفه الواصفون ، يا عالما بمثاقيل الجبال ومكاييل البحار وعدد قَطْر الأمطار ، وورق الأشجار ، وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار ، لا تُواري منه سماءٌ سماءً ، ولا أرضٌ أرضاً ، ولا جبلٌ ما في وعره، ولا بحرٌ ما في قعره ، أسألك أن تجعل خير عمري آخره ، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك ، وخير ساعاتي مفارقة الأحياء من دار الفناء إلى دار البقاء التي تُكرم فيها من أحببت من أوليائك ، وتهين فيها من أبغضت من أعدائك أسألك إلهي عافية جامعة لخير الدنيا والآخرة منّاً منك عليّ وتطولاً يا ذا الجلال والإكرام. ثم صرخت وغُشي عليها .

٩٧٤ ـ عابدة أخرى

محمد بن زيد قال : سمعت ذا النون يقول : خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام فبينما أنا فى الطواف إذ أنا بشخص متعلق بأستار الكعبة يبكي ويقول في بكائه : كتمت بلائي من غيرك ، وبُحتُ بسرّي إليك ، واشتغلت بك عمن سواك ، عجبت لمن عرفك كيف يسلو عنك ؟ ولمن ذاق حبك كيف يصبر عنك ؟ ثم أقبل على نفسه فقال : أمهلك فما ارعويت ، وستر عليك فما استحييت ، وسلبك حلاوة المناجاة فما باليت ، ثم قال : عزيزى ما لي إذا قمتُ بين يديك ألقيت عليّ النعاس ومنعتني حلاوة الخدمة ؟ لِمَ قُرّة عيني لِمَهْ ؟ ثم أنشأ يقول :

رَوَّعْتَ قلبي بالفراق فلم أجد ... شيئاً أمرَّ من الفراق وأوْجَعَا
حَسْبُ الفراقِ بأنْ يفرّق بيننا ... ولطالما قد كنتُ منــه مُفَزَّعَا

قال : فلم أتمالك أن أتيت الكعبة مُستخفياً فلما أحسّ بي تجلّل بخمار كان عليه ثم قال : يا ذا النون غُضّ بصرك فإني حرام . فعلمت أنها امرأة فقلت : والله قد شغلني

---

(١) حجر إسماعيل عليه السلام .

قولك عن كثير مما كنتُ فيه . فقالت : ولِم عافاك الله ؟ أما علمت أن لله عباداً لا يشغلهم سواه ولا يميلون إلى ذكر غيره .

٩٧٥ ـ عابدة أخرى

عن ذي النون المصري قال : كنت في الطواف فسمعت صوتاً حزيناً وإذا بجارية متعلقّة بأستار الكعبة وهي تقول :

أنت تَدْري يا حبيـــــبي مَن حبيبي أنت تـدري
ونُحولُ الجِسْــم والــدَّمْـ ـعُ يَبوحَانِ بِســـــرِّي
يا عزيزي قد كتمتُ الحـ ـبّ حتى ضَاق صَدْري

قال ذو النون : فشجاني ما سمعت حتى انتحبت وبكيت . ثم قالت : إلهي وسيدي ومولاي ، بحبك لي إلا ما غفرت لي . قال : فتعاظمني ذلك وقلت : يا جارية أما يكفيك أن تقولي : بحبّي لك ، حتى تقولي بحبّك لي ؟ فقالت : إليك عني يا ذا النون ، أما علمت أن لله عز وجل قوماً يحبهم قبل أن يحبّوه ؟ أما سمعت الله عز وجل يقول ﴿فسوفَ يأتي الله بقومٍ يُحِبُّهُمْ ويُحِبُّونَهُ﴾ (١) فسبقت محبّته لهم قبل محبتهم له ؟ فقلت : من أين علمت أني ذو النون ؟ فقالت : يا بطّال جالت القلوب في ميدان الأسرار فعرفتك . ثم قالت : انظرُ من خلفك. فأدرت وجهي ، فلا أدري السماءُ اقتلعتْها أم الأرض ابتلَعتْها .

٩٧٦ ـ عابدة أخرى

أبو عبد الملك قال : رأيت امرأة متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول : اللهم إني أستَعْديك على نفسي .

٩٧٧ ـ عابدة أخرى

أبو الأشهب السائح قال : بينما أنا في الطواف إذا بجويرية قد تعلقت بأستار الكعبة وهي تقول : يا وحشتي بعد الأنس ، ويا ذُلّي بعد العزّ ، ويا فقري بعد الغِنى . فقلت لها : ما لك ؟ أذهب لك مال أو أصبت بمصيبة ؟ قالت : لا ولكن كان لي قلب ففقدته، قلت : هذه مصيبتك ؟ قالت : وأيّ مصيبة أعظم من فقد القلوب وانقطاعها عن المحبوب ؟ فقلت لها : إن حُسن صوتك قد عطّل على من سمع الكلام الطواف . فقالت: يا شيخ ، البيت بيتك أم بيته ؟ قلت : بل بيتُه . قالت : فالحرم حرمُك أم

(١) سورة المائدة آية : ٥٤ .

حرمه ؟ فقلت : بل حرمه ، قالت : فدَعْنا نتدلّل عليه على قدر ما استزارنا إليه . ثم قالت : بحبّك لي إلا ردَدْت عليّ قلبي . قال : فقلت من أين تعلمين أنه يحبك ؟ فقالت: جيّش من أجلي الجيوش وأنفق الأموال وأخرجني من دار الشِّرك وأدخلني في التوحيد ، وعرّفني نفسه بعد جهلي إياه ، فهل هذا إلا لعناية ، قلت : كيف حبك له ؟ قالت : أعظم شيء وأجله ، قلت : وتعرفين الحب ؟ قالت : فإذا جهلتُ فأيّ شيء أعرف ؟ إنه الحلوُ المجتنى ما اقتصر ، فإذا أفرط عاد خبلاً قاتلاً ، أو فساداً معطّلاً ، وهو شجرة غرْسُها كرَيُه ومجناها لذيذ . ثم ولّت ، وأنشأت تقول :

وَذي قلقٍ لا يعــــرف الصَبْرَ والعزا   له مُقلةٌ عـــبرى أضرَّ بها البُكا
وجسمٌ نحيلٌ من شجى لاعج الهوى   فمن ذا يُداوي المسْتهامَ من الضَّنا
ولا سيّمـــا والحبُّ صعـــبٌ مرامهُ   إذا عطفــت منه العَواطفُ بالفَنا

٩٧٨ ـ عابدة أخرى

الجُنيد قال : حججت على الوحدة فجاورتُ بمكة ، فكنت إذا جنّ الليل دخلت الطواف. فإذا أنا بجارية تطوف وتقول :

أبى الحبّ أن يخفى وكم قد كَتَمْتُه   فأصبح عندي قد أناخ وطنّبا(١)
إذا اشــــتدّ شوقي هام قلبي بذكره   وإنْ رُمتُ قرباً من حبيبي تَقَرّباً
ويـــبدو فأفنـــى ثم أحـــيا به له   ويُسْعِدني حـــتى ألذّ وأطـــربا

قال : فقلت لها : يا جارية أما تتّقين الله تعالى في مثل هذا المكان تتكلمين بمثل هذا الكلام ؟ فالتفتت إلى وقالت : يا جُنيد :

لــولا التّقَى لـــم ترني   أهجرُ طيبَ الوســنِ
إنَ التُقَى شــــرَّدنـــي   كما ترى عن وَطني
أفِــرّ من وجـــدي به   فحبّـُه هيَّـــمني

ثم قالت : يا جنيد تطوف بالبيت أم برب البيت ؟ فقلت : أطوف بالبيت فرفعت رأسها إلى السماء وقالت : سبحانك ما أعظم مشيئتك في خلقك ، خَلْقٌ كالأحجار يطوفون بالأحجار . ثم أنشأت تقول :

يَطُوفون بالأحجـــار يَبْغُون قُــربةً   إليك وهم أقسى قلوباً من الصخرِ
وتاهوا فلم يدروا مـــن التّيـه منْ هُمُ   وحلُّوا محلَّ القُرب في باطن الفكر

---

(١) طنب بالمكان : أقام فيه .

فلو أخْلصوا في الوُدّ غابت صفاتهم   وقامت صِفــــات الــودّ للحق بالذِكْر

قال الجُنيد : فغُشي عليّ من قولها . فلما أفقتُ لم أرَها .

ومن المصطفين الذين لقوا عند المقام

٩٧٩ ـ عابد

أيوب بن محمد اليمامي قال : حدثني أبوعبد الرحمن العجلي أنه رأى رجلاً قائماً خلف المقام يصلّي . فافتتح القرآن فلم يزل يقرأ حتى أتى على آخر القرآن ونُودي النداء الأول فجلس فسلّم ثم قام فركع ركعة ، قال : حسبتُها وِتْرَهُ . ثم قال وهو يرى أنه لا يسمعه أحد : عند ورود المنهل يغبط الركْبُ الدُّلْجة . قال: ثم تنحّى من مكانه فاختلط بالناس .

ومن المصطفين الذين لقوا بين مكة والمدينة

٩٨٠ ـ عابد

الخلدي قال : حجّ عبد الله الأقطع على فردِ قدم . قال : فلما بلغتُ بين المسجدين وقع في سرّى أنه لم يحجّ مثلي فإذا أنا بمقعد يحبو فوقفت عليه أعجب منه . فقال لي : ما لك تتعجّب من قوىٍّ يحمل ضعيفاً .

ذكر المصطفين ممن لقى فى طريق الغزاة

٩٨١ ـ عابد

عبد الله بن قيس ، أبو أُمية الغفاري قال : كنا في غزاة لنا فحضر عدُوّهُم ، فصيح في الناس فهم يثوبون إلى مصافّهم ، إذا رجل أمامي رأسٌ فرسي عند عجُز فرسه ، وهو يخاطب نفسه ويقول : أيْ نفس ألم أشهد مشهد كذا وكذا ؟ فقلت لي : أهلك وعيالك، فاطعتُك ورجعتُ ؟ ألم أشهد مشهد كذا وكذا فقلت أهلك وعيالك فأطعتك ورجعت ؟ والله لأعرضنّك اليوم على الله ، أخذك أو تركك . فقلت : لأرمقنّه اليوم . فرمقته فحمل الناسُ على عدوهم فكان في أوائلهم ، ثم إن العدو حمل على الناس فانكشفوا فكان في حُماتهم ثم إن الناس حملوا فكان في أوائلهم ، ثم حمل العدو وانكشف الناس فكان في حُماتهم . قال : فوالله ما زال ذلك دأبه حتى رأيته صريعاً . فعدَدْتُ به وبدابته ستين أو أكثر من ستين طعنةً .

٩٨٢ ـ عابد آخر

عن شقيق قال : خرجنا في غَزاة لنا في ليلة مخُوفة ، فإذا رجل نائم فأيقظناه ، فقلنا: تنام في مثل هذا المكان ؟ فرفع رأسه فقال : إني لأستحيي من ذي العرش أن يعلم أني أخاف شيئاً دونه ، ثم ضرب برأسه فنام .

٩٨٣ ـ عابد آخر

أبو غالب قال : صحبنا شيخ في بعض المغازي ، فكانَ يُحيي الليل حيث كان على ظهر دابّته أو على الأرض وكان إذا نظر إلى الفجر قد لمع ضوؤه نادى : يا إخوتاه عند بلوغ الماء يفرح الوارِدون بتعجيل الرّواح ، هنالك تنقطع كلّ همّة .

٩٨٤ ـ عابد آخر اسمه سعيد

عباس بن يوسف قال : قال ميسرةُ الخادم : غزونا في بعض الغزوات فصادفنا العدو ، فإذا بفتًى إلى جانبي مقنّع في الحديد ، فحمل على الميمنة حتى ثناها ، وحمل على الميسرة حتى ثناها ، وحمل على القلب حتى ثناه . ثم أنشأ يقول :

أحســـنْ بموْلاك ســـعيدُ ظنّا هذا الذي كنتَ له تمنّى
تـــنحَّ يا حُـــور الجِنـــان عنّا ما لك قاتَلْنا ولا قُتلنـــا
لكـــن إلى ســـيّـدنا اشـــتقنا قد علم السرّ وما أعلَنّا

قال : فحمل فقاتل فقَتل منهم عدداً ، ثم رجع إلى مصافه فتكالب عليه العدو فإذا به قد حمل على الناس وأنشأ يقول :

قد كنت أرجو ، ورجائي لم يَخِبْ أن لا يضـــيعَ اليوم كدِّي والتَّعَبْ
يا مـــن مـــلا تلك القصور باللَّعب لولاك ما طابت ولا طاب الطَّرَبْ

فحمل فقتل منهم عدداً ثم رجع إلى مَصَافّه فتكالب عليه العدوّ فحمل الثالثة وأنشأ يقول :

يا لُعْـبةَ الخُلْدِ قفي ثم اسْمعي مـــا لكِ قـاتلـــنا فكُـــفِّي وارْبَعـــي
ثم ارجعي إلى الجِنان فأسْرِعي لا تطمَعِي ، لا تطمعي ، لا تطمَعي

قال : فحمل فقاتل حتى قُتل .

ذكر المصطفين من عباد لقوا في طريق سفر وطريق سياحة

٩٨٥ ـ عابد

عن ابن جابر أن أبا عبد رب كان أكثر أهل دمشق مالاً ، فخرج إلى أذربيجان في تجارة فأمسى إلى جانب مرعى ونهرٍ فنزل به ، قال أبو عبد ربّ : فسمعت صوتاً يُكثر حمد الله في ناحية فاتبعته فرأيت رجلاً في حفير من الأرض ملفوفاً في حصير فسلّمت عليه وقلت : من أنت يا عبد الله ؟ قال : رجل من المسلمين . قلت : وما حالك هذه ؟ قال : حال نعمةٍ يجب عليّ حمدُ الله عز وجل فيها ، قال : قُلت : وكيف وإنما أنت في حصير ؟

قال: وما لي لا أحمد الله أن خلقني فأحسن خَلْقي ، وجعل مولدي ومنشئي في الإسلام، وألبسني العافية في أركاني وستر عليّ ما أكرهُ نشْره ؟ فمن أعظم نعمةً ممن أمسى في مثل ما أنا فيه ؟ قلت : رحمك الله إن رأيت أن تقوم معي إلى المنزل فإنا نزول على النهر ها هنا، قال : ولِمَه ؟ قال : قلت : لتصيب من الطعام ، ونعفيك عن لبس الحصير ، قال : فأبى قال الوليد فحسبت أنه قال : إن لي في أكل العشب كفايةً .

قال أبو عبد ربّ : فأردته أن يتبعني فأبى وقال : ما لي به من حاجة فانصرفت وقد تقاصرت إلي نفسي . فذكر أنه رجع من تجارته وتصدق بماله .

٩٨٦ ـ عابد آخر

ذو النون قال : رأيت رجلاً في البرية يمشي حافياً وهو يقول : المحب مجروح الفؤاد لا راحة له . فسلمت عليه فقال : وعليك السلام يا ذا النون . فقلت : عرفتني قبل هذا؟ قال : لا . قلت ، فمن أين لك هذه الفِراسة ؟ فقال : ممن يملكها . ليست مني ، هو الذي نوّر قلبي بالفراسة حتى عرّفني إياك مِن غير معرفةٍ سبقت لي ، يا ذا النون قلبي عليلٍ وجسمي مشغول ، وأنا سائح في البريّة أسير فيها منذ عشرين سنة ما أعرف بيتاً ، ولا يُكنُّني سقف يسترني من الشمس إذا كظّت ، ويحفظني من الرياح إذا هبّت ، فصف لي بعض ما أنا فيه إن كنت وصّافاً . فقلت : القلب إذا كان عليلاً جالت الأحزان والأسقام فيه ، ليس للقلب مع ذلك دواء . فصرخ صرخة ثم قال : ما لي وللشكوي ؟ ثم قال : ما صحبت صاحبا منذ صحبته . أصحبك اليوم . فقلت : قم بنا . فقُمنا جميعاً نسير بلا زاد ، فلما أوغلنا في البرية وطوينا ثلاثاً قال لي : قد جُعت ؟ قلت : نعم ، قال : فأقسِمْ عليه حتى يطعمك . قلت : لا ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا سألته شيئاً ، إن شاء أطعم وإن شاء ترك . فتبسم وقال : امض الآن ، فلقد أُفيضَ علينا من أطايب الأطعمة ولذيذ الأشربة حتى دخلنا مكة سالمين . ثم فارقني وفارقته . فكان ذو النون كلما ذكره بكى وتأسّف على صحبته .

٩٨٧ ـ عابد آخر

ذو النون قال : بينما أنا سائر في بعض الطرق فإذا فتًى حسن الوجه ، أثر التهجُّد بين عينيه . فقلت : حبيبي من أين قدمت ؟ فقال : من عنده . فقلت : وإلى أين ؟ فقال : إلى عنده . قال : فعرضت عليه النفقة فنظر إليّ مغضباً ثم ولّى وأنشأ يقول :

وكافــــرٍ بالله أمـــــوالـــــه ... تزدادُ أضْعافــاً على كُفْـــره
ومـــؤمن ليــــس لـه دِرهمٌ ... يزداد إيماناً عــلى فَقْـــــرِه

لا خيرَ فيمن لم يكن عاقلاً يمد رجلـيه على قـــدْرِه

٩٨٨ ـ عابد آخر

عن طاهر المقدسي قال : خرجت من عسقلان أريد غزّة في طلب البُدَلاء ، فإذا أنا بفتّى عليه أطمارٌ رثّة مارا على ساحل البحر . قال : فكأني لم أعبأ به . فالتفتَ إليّ فقال :

لا تَنْبُ عنّي بأن ترى خَلَقِي[1] فإنمــا الدرُّ داخـــلَ الصَّــدَف

عِلمي جَـديد وملبَســي خَلَقٌ ومنتهى اللُّبْسِ مُنْتَهى الصَّلَفَ

٩٨٩ ـ عابد اخر

محمد بن الحسين الآجري قال : حدثني بعض أصحابنا عن أبي الفضل الشُكليّ قال: رأيت شاباً فى بعض الطريق وعليه خلق فكأنى لم أحفل به، فالتفت إلى ثم قال:

لا تنب عنى بأن ترى خلقى فإنمــا الـــدر داخــل الصدف

علـــمى جـديد وملبسى خلق ومنتهى اللبس منتهى الصلف

قال : فجعلت ألوذ به وأنست به .

٩٩٠ – عابد آخر

بلغنا عن محمد بن رافع قال : أقبلت من بعض بلاد الشام فبينا أنا فى بعض الطريق رأيت فَتى عليه جبّة من صوف ، وبيده رَكْوة ، فقلت : أين تريد ؟ فقال : لا أدري . قلت : فمن أين جئت ؟ قال : لا أدري ، فظننتُه مُوَسوساً فقلت : من خلقك؟ فاصفرّ حتى خلته صُبغ بالزعفران ، ثم قال : خلقني من لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، فقلت : رحمك الله أنا من إخوانك وممن يأنس إلى أمثالك فلا تنقبض مني. فقال : كيف لا ؟ إني والله أود لو جاز لي ترك الجماعات حتى انفرد في شاهق مُنيف صعب المرتقى أو في غار مُوحش لعلّي أجد قلبي ساعة يسلو عن الدنيا وأهلها . فقلت : وما جنَتْ عليك الدنيا حتى استحقّت هذا البغض منك ؟ فقال : جناياتُها العَمَى عن جناياتها . فقلت : هل من دواء أتعالج به من هذا العمى الذي قد حجبَ عني ما يراد بي؟ قال : ما أراك تقدر على العلاج فاستعمل من الدواء أيسره . قلت : صف لي دواءً لطيفاً. قال : فما داؤك ؟ قلت : حبّ الدنيا . فتبسم وقال : أيّ قرحة أعظم من هذه ؟ ولكن اشرب السموم الطريّة والمكاره الصعبة . قلت : ثم ماذا ؟ قال : مُرّ الصبر الذي لا جزع فيه والتعب الذي لا راحة فيه ، قلت : ثم ماذا ؟ قال الوحشة التي لا أنس فيها والفُرقة التي لا اجتماع معها ، قلت : ثم ماذا ؟ قال السلوّ عما تريد والصبر عما

---

(١) الخلق : الثوب البالى .

تحبّ ، فإن أردت فاستعمل هذا وإلا فتأخر واحذر الفتن كأنها قطع الليل المظلم . قلت : فدُلّني على عمل يقرّب إلى الله عز وجل . فقال : يا أخي قد نظرت في جميع العبادات فلم أر أنفع من الفِرار من الناس وترك مخالطتهم ، يا أخي رأيت القلوب عشرة أجزاء ، فتسعةٌ مع الناس وجزء مع الدنيا . فمن قوي على الانفراد حاز تسعة أجزاء من القلب . ثم غاب عني فلم أره .

ذكر المصطفيات من عابدات لقين فى طريق السياحة

٩٩١ ـ عابدة

ذو النون المصري قال : بينا أنا سائر في البادية إذ رأيت امرأة متعبدة ، فلما أن دنَت مني سلّمت عليّ فرددتُ عليها السلام ، فقالت : من أين أقبلت ؟ فقلت : من عند حكيمٍ لا يوجد مثله ، فصاحت وقالت : ويحك كيف فارقته وهو أنيس الغرباء ؟ فأوجع قلبي كلامُها فبكيت ، فقالت لي : مم بكاؤك ؟ قلت : وقع الدواء على الداء ، فأسرع في نجاحه ، قالت : فإن كنت صادقاً فلمَ بكيت ؟ قلت : والصادق لا يبكي ؟ قالت : لا ، لأن البكاء راحة القلب وهذا نقصٌ عند ذوي العقول يا بّطال ، قلت : علّميني شيئاً ينفعني الله به . قالت : ويحك ما أفادك الحكيم من الفوائد ما تستغني به عن طلب الزوائد ؟ فقلت : إن رأيت أن تعلّميني شيئاً فعلت ، فقالت : اخدم مولاك شوقاً إلى لقائه . فإن له يوماً يتجلى فيه لأوليائه وإنه تعالى سقاهم في الدنيا من محبته كأساً لا يظمَئُون بعدها أبداً ، ثم أقبلت تبكي وتقول : سيدي إلى كم تدعني في دارٍ لا أجد فيها من يساعدني على بلائي؟ ثم مضت وهي تقول :

إذا كان داء العبد حُبُّ مليكه   فمن دونه يرجو طبيباً مُداوياً ؟

قلت : وقد رُويت لنا هذه الحكاية بألفاظ أخر :

أنبأ عبد الرحمن بن محمد القزاز قال : أنبأ أحمد بن علي بن ثابت قال : أنبأ القاضي أبو القاسم عبد الواحد بن محمد البجلي قال: أنبأ جعفر بن محمد الخلدي قال: حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق قال : سمعت ذا النون المصري قال: بينا أنا في بعض مسيري لقيتني امرأة فقالت لي: من أين أقبلت ؟ قلت: رجل غريب. فقالت لي : ويحك وهل توجد مع الله أحزان الغربة وهو مؤنس الغرباء ومعين الضعفاء ؟ فبكيت، فقالت لي: ما يُبكيك ؟ قلت: وقع الدواء عليّ داء قد قرِحَ فأسرع في نجاحه، قالت: إن كنت صادقاً فلمَ بكيت ؟ قلت: والصادق لا يبكي ؟ قالت: لا ، قلت: ولِمَ قالت: إن البكاء راحة القلب وملجأ يلجأ إليه، وما كتم القلب شيئاً أحقّ من الشهيق والزفير، فإذا أسبلت الدمعة استراح

القلب، وهذا ضعفٌ عند الأولياء يا بّطال، فبقيت متعجّباً من كلامها، فقالت لي: ما لك؟ قلت: تعجباً من هذا الكلام. قالت: وقدأُنسيت القرحة التي سألت عنها ؟ قلت: لا، علمني شيئاً ينفعني الله به. قالت: وما أفاد الحكيم في مقامك هذا من الفوائد ما تستغني به عن طلب الزوائد ؟ قلت لا، ما أنا بمستغن عن طلب الزوائد. قالت: صدقت، أحبب ربك واشتق إليه فإنّ له يوماً يتجلى فيه على كرسيّ كرامته لأوليائه وأحبّائه فيذيقهم من محبته كأساً لا يظمَئُون بعدها أبدًا. قال: ثم أخذت في البكاء والزفير والشهيق وهي تقول: سيدي إلى كم تخلفني في دارٍ لا أجد فيها أحداً يُساعدني على البكاء أيام حياتي، ثم تركتني ومضت.

٩٩٢ ـ عابدة أخرى

ذو النون قال رأيت امرأة بنحو أرض البجّة (١)، قال: فناديتُها. فقالت: وما للرجال أن يكلّموا النساء ؟ لولا ضعف عقلك لرميتك بشيء، فقلت لها: بالله كيف تعرفين الزيادة ؟ قالت: بتفقّد الأحوال انصرِف. قال: فما ناطقتُها بعد ذلك.

٩٩٣ ـ عابدة أخرى

ذو النون بن إبراهيم قال: كنت في تيه بني إسرائيل ومعي صاحب لي، فرأيت امرأةً عليها مِدرعَة من شعر وخمار من صوف، وفي كفّها عكاز من حديد فقلت: السلام عليك ورحمةَ الله. فقالت: وعليك السلام، ما للرجال وخطاب النساء عافاك الله فقلت: أخوك ذو النون المصرى فقالت: مرحبًا حياك الله بالسلام. قلت: ما تصنعين ها هنا ؟ قالت: كلما أتيت إلي بلدة يُعصى فيها الحبيب ضاق علي ذلك البلد، فأنا أطلب بُقعة طاهرة أخِرَ عليها ساجدةً أناجيه بقلب ذابَ من شدة الشوق إلى لقائه. فقلت: ما سمعت أحداً يذكر الحبيب أحسن من ذكرك، فأيّ شيء المحبة ؟ قالت: سبحان الله أنت الحكيم الواعظ وتسألني ؟ أول المحبة يبعث على الكدّ الدائم، حتى إذا وصلت أرواحهم إلى أعلى الصفا جرّعهم من محبته لذيد الكئوس، ثم صرخت وخرتّ مغشياً عليها فأفاقت وهي تقول:

أحبـــك حبَّـــيْن حُبَّ الرضا — وحبا لأنك أهـــلٌ لـــذاكا
فـــأمّا الذي هـــو حبّ الرضا — فذِكرٌ شُغلتُ به عن ســواكا
وأما الـــذي أنت أهــــلٌ له — فكشْفُك للحُجْب حتى أراكا
فمـــا الحمدُ في ذا ولا ذاك لي — ولكنْ لك الحمدُ في ذا وذاكا

---

(١) مدينة بين فارس وأصبهان.

٩٩٤ ـ عابدة أخرى

ذو النون المصري قال : بينما أنا أسير في جبال أنطاكية فإذا أنا بجارية كأنها مجنونة وعليها جبّة من صوف ، فسلّمت عليها فردّت عليّ السلام ، ثم قالت : ألست ذا النون المصري ؟ قلت : عافاك الله كيف عرفتني فقالت : عرفتك بمعرفة حبِّ الحبيب ، ثم قالت: أسألك عن مسألة ، قلت : سَلِي ، فقالت : أيّ شيء السخاءُ ؟ قلت : البذل والعطاء . قالت : هذا سخاء في الدنيا فما السخاء في الدِّين ؟ قلت : المسارعة إلى طاعة الله تعالى . قالت : فإذا سارعت إلى طاعة الله فهو أن يطّلع على قلبك وأنت لا تريد منه شيئاً ، ويْحَك يا ذا النون إني أُريد أن أطلب منه شهوةً منذ عشرين سنة ، فأستْحيي منه مخافة أن أكون كأجير السوء ، إذا عمل طلبَ الأجر ، ولكن اعمل تعظيماً لهيبته وعز جلاله ومرّت وتركتني .

٩٩٥ ـ عابدة أخرى

ذو النون المصري قال : بينا أنا أسير في تيه بني إسرائيل إذا أنا بجارية سوداء قد استلبها الولَه من حبّ الرحمن ، شاخصة ببصرها نحو السماء . فقلت : السلام عليك يا أختاه فقالت : وعليك السلام يا ذا النون . فقلت لها : من أين عرفتني يا جارية ؟ فقالت : يا بطّال إن الله عز وجل خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام ثم أدارها حول العرش ، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ، فعَرَفت روحي روحك في ذلك الجولان . قلت: إني لأراك حكيمة ، علميني شيئاً مما علّمك الله عز وجل ، فقالت : يا أبا الفيض ضع على جوارحك ميزان القسط حتى يذوب كل ما كان لغير الله ، ويبقى القلب مصفى ليس فيه غير الربّ عز وجلّ ، فبعد ذلك يُقيمُك لي الباب ويُوَلّيك ولاية جديدة ويأمر الخُزّان لك بالطاعة . فقلت يا أُختاه زيديني ، فقالت : يا أبا الفيض خذ من نفسك لنفسك وأطع الله عز وجل إذا خلوت يُجِيبُك إذا دعوت .

ذكر المصطفين من عباد لم يعرفوا باسم ولا مكان

٩٩٦ ـ عابد

عن شقيق قال : كنت في زرع لي إذ أقبلت سحابة ترهْياً (١) ، قال : فسمعت فيها صوتاً: أمطري زرع فلان قال : فأتيت الرجل فسألته : ما تصنع بزرعك ؟ قال : أبذر ثُلثه، وآكل ثُلثه ، وأتصدق بثلثه .

---

(١) أي تتهيأ للمطر .

٩٩٧ ـ عابد آخر

مُضَر القاري قال : كان رجل من العبّاد قلّما ينام من الليل قال : فغلبته عينُه ذات ليلة فنام عن جُزئه ، فرأى فيما يرى النائم كأن جارية وقفت عليه ، كأن وجهها القمر المستَتِمّ قال ومعها رَقٌ فيه كتاب ، فقالت أتقرأ أيها الشيخ ؟ قلت : نعم . قالت : فاقرأ هذا الكتاب . قال فأخذته من يدها ففتحتُه فإذا فيه مكتوب:

ألهتك لذّة نومة عن خيْر عَيْش   مع الخيرات في غُرف الجَنان
تعــيش مخلّـــدا لا مــوت فيها   وتنعــم في الجِنان مع الحسان
تيقــظ مــن منامــك إنّ خــيراً   مــن النوم التهجُّــدُ بالقُرَان

قال : فوالله ما ذكرتها قط إلا ذهب عني النوم .

٩٩٨ ـ عابد آخر

عن البختري بن حارثة قال : دخلت على عابدٍ مرّةً فإذا بين يديه نارٌ قد أجّجها وهو يعاتب نفسه . فلم يزل يعاتبها حتى مات .

٩٩٩ ـ عابد آخر

عن رياح القيسي قال : كان عندنا رجل يصلي كل يوم وليلة ألف ركعة حتى أُقعِدَ من رجليه . وكان يصلي جالساً ألف ركعة فإذا صلى العصر احتبى ، واستقبل القبلة ويقول: عَجِبْت للخليقة كيف أنِسَت بسواك ، بل عجبت للخليقة كيف استنارَتْ قلوبُهم بذكر سواك .

١٠٠٠ ـ عابد آخر

عن ميمون بن سياه قال : كنت أنا وخالد الربعي ونفر من أصحابنا نذكر الله ، فوقف علينا رجل أسود فقال : هل ذكرتم الموت فيما كنتم فيه ؟ قلنا : إنا لنذكره كثيراً وما ذكرناه يومنا هذا . قال : فبكى وقال : لقد أغفلتم ما لا يُغفلكم ، ونسيتم ما تحصي عليكم الأنفاس لقدومه عليكم . قال : ثم مال ليسقط وسانده رجل من القوم فخرجت نفسه وإنّا لننظر إليه . قال : فنظرنا فلم نجد أحداً يعرفه . قال : فغسلناه وحنّطناه وكفّناه ودفناه .

١٠٠١ ـ عابد آخر

أسلم بن عبد الملك ، وكان شيئاً عجيباً ، قال : صحب رجلٌ رجلاً شهرين فلم يره نائماً بليل ولا نهار ، فقال له : ما لي لا أراك تنام ؟ قال : إن عجائب القرآن أطَرْنَ نومي ، ما أخرجُ من أعجوبةٍ إلاّ وقعت في غيرها .

١٠٠٢ ـ عابد آخر

عبد الله بن داود قال : حدثني رجل منذ خمسين سنة أو نحو خمسين سنة قال : كان مملوك لامرأة فكان يصلي الليل كلّه ، فقالت له : لست تَدَعُنا ننام الليل ؟ فقال لها : لك النهارُ ولي الليلُ ، إذا ذكرتُ النار طار نومي ، وإذا ذكرتُ الجنة طال حزني .

١٠٠٣ ـ عابد آخر

شعيب بن حرب قال : صحبني رجلان في سفينة فأخذ أحدهما حبّة من حنطة فألقاها في فيه ، فقال له صاحبه : مَهْ أيّ شيء صنعْت ؟ قال : سهوت . قال : لأن تأكلني السباع أحبّ إليّ من أن أصحب رجلاً يسهو عن الله عز وجل . قال : ثم قال : يا ملاّح قَرِّب . قال : فخرج : قال شعيب : فسمعنا زئير الأسد من الغيضة فما ندري ما حال الرجل . قال شعيب : فالتفت إليّ صاحبه فقال : إن هذا صاحبي منذ أربعين سنة أو نيّف وأربعين سنة ما رأى عليّ زلّةً قبلها .

١٠٠٤ ـ عابد آخر

عن أيوب الحمّال قال : كان فتى ينتحل التوكّل ، وكان عزيزاً عند الأخذ من الناس ، وكان إذا احتاج إلي قوته وجده موضوعاً . فقيل له : احذر لا يكون الشيطان يخدعك . فقال : أنا إلى الله تعالى ناظر ومنه آخذُ ما رزقني ، فإن كان عدوي قد سُخِّر لي فلا فرَّج الله عنه ، وأيّ شيء أحسن مني ؟ يخدمني عدوي وأنا أسكن إلى الله عز وجل لا إليه .

١٠٠٥ ـ عابد آخر

قال ممشاد الدِّيَنَوريّ : رأيت في بعض أسفاري شيخاً تَوَسّمت فيه الخير . فقلت له : يا سيدي كلمة تزودني بها . قال : همَّتُك فاحفظها فإنّ الهمّة مقدّمة الأشياء ، فمن صلحت له همّته وصدق فيها صلح له ما وراءها من الأعمال والأحوال .

١٠٠٦ ـ عابد آخر

حيدرة بن عُبيد قال : دخلنا على رجل من العبّاد نعوده فقلنا له : كيف نجدك ؟ فقال: ذنوب كثيرة ونفس ضعيفة وحسنات قليلة وسَفَـرْة طويلة وغاية مَهُولة ، قال : فقلنا : ما معك من الزّاد لما ذكــرت ؟ قال : معــي الأمل في السيد الكريم . ثم قال : اللهم لا تقطع بمؤمِّلك في تلك الغمرات ، وارحمه في تلك الحيرة والحسرات إذا انخلعت القلوب يوم النّدامات . وجعل يتشهد حتى مات .

١٠٠٧ ـ عابد آخر

عن أبي عبد الله الدّينوريّ أنه كان يوماً جالساً فدخل عليه فقير عليه آثارُ الضُّرّ ، قال: فطالبتْني نفسي أن أجيئه بشيء ، فهمَمْت أن أرهن نعلي فمنعتْني نفسي وقالت : كيف تتمّ لك طهارة مع الحَفا ؟ فقلت : أرهَنُ رَكْوَتي . فمنعتني أيضاً وقالت : بأي شيء تتوضأ ، فهممت أن أرهن منديلي فمنعتني وقالت : تبقى مكشوف الرأس . فقلت وما في ذلك ؟ وجعلتُ أُراجعها في ذلك ؟ فقام الفقير فشدّ وسطه وأخذ عصاه بيده ثم التفت إليّ وقال : يا خسيس احفظ منديلك فإني خارج ، فاعتقدت مع الله عز وجل (١) أني لا آكل الخبز حتى ألقاه . فقيل : إنه أقام ثلاثين سنة لم يأكل الخبز .

ذكر المصطفيات من العابدات اللواتى لم يعرفن باسم ولا مكان

١٠٠٨ ـ عابدة

عن الوليد بن مسلم قال : كانت امرأة من التابعيات تقول : اللهم أقبل بما أدبر من قلبي، وافتح ماأُقفِل منه حتى تجعله هشاً مرتاحاً لذكرك .

١٠٠٩ ـ عابدة أخرى

وبالإسناد : حدثنا أبو بكر القرشي قال : حدثنا الحارث بن محمد التميمي قال : حدثنا علي بن محمد القرشي ، عن جويرية ابن أسماء أن إخوة ثلاثة من بني قطيعة شهدوا يوم تُستر فاستُشهدوا . فخرجت أمهم يوماً إلى السوق لبعض شأنها فتلقّاها رجل قد حضر أمر تُستر فعرفته فسألته عن بنيها فقال : استشهدوا . فقالت : أمقبلين أم مدبرين ؟ فقال : مقبلين . فقالت : الحمد لله نالوا الفوز وحاطوا الذمار ، بنفسي هم وأبي وأمي .

١٠١٠ ـ عابدة أخرى

عن القاسم بن مَعْن أنه أتته امرأة فقالت : أنا امرأة فلان ما أتيك حتى خفت أن يضيق عليّ أن لا آتيك ، فقال القاسم لبعض أصحابه : بقي من ذلك المال شيء ؟ قال: مائتا درهم . قال : ادفعه إليها ، فأخذته وانصرفت ، وقال له : إذا جاءني شيء فأذكرنيها . قال : فجاءه مال ففرّقه فذكرها وقد بقي منه سبعمائة درهم . فقال : اذهب به إليها وسل عنها أهل المسجد الذي خلْف منزلها والمسجد الذي دونه ، ففعل فأُخبر بعفاف عنها وعن بنات لها . قال : فأتيتها فقلت : رسول القاسم بن مَعْن . فقالت مرحباً بالقاسم وبرسوله. حاجتك قلت : هذه السبعمائة درهم أرسل بها إليك القاسم. فقالت : أقرئه السلام وقل له : قد أخذنا تلك المائتين فنحن نغزل منها ونبيع وقد عشْنا بها واستغنينا فلا حاجة لنا في هذه : فأتيتُ القاسم فأخبرته فقال : وَيحك ألا سيّبتها

(١) أي عاهدت الله عهداً .

في باب الدار ؟ وقال بيده هكذا . ثم حوّل وجهه إلى القبلة وقال : اللهم إن بلوتني بخلف فاجعله هكذا .

١٠١١ ـ عابدة أخرى

أبو جعفر السائح قال : بلغنا عن امرأة متعبّدة كانت تصلي الضحى مائة ركعة كل يوم، وكانت تقرأ ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ بالنهار عشرة آلاف مرة . وكانت تصلي بالليل لا تستريح . وكانت تقول لزوجها : قُم ويحك إلى متى تنام ؟ قُم يا غافل قُم يا بّطال، إلى متى أنت في غفلتك ؟ أقسمت عليك أن لا تكسب معيشتك إلا من حلال ، أقسمت عليك أن لا تدخل النار من أجلي ، بِرّ أمّك ، صل رَحمَك ، لا تقطعهم فيقطع الله بك.

١٠١٢ ـ عابدة أخرى

الحسين بن جعفر قال : سمعت أبي قال : صلّيت العيد في الجبّان ثم تفرّدت ، فإذا أنا بعجوز رافعة يديها وهي تقول : انصرف الناس ولم أُشعر قلبي اليأس يا صاحب الصدقة ، ها أنذا منصرفة فليت شعري ما زوّدتني ، ربّ ارحم ضعفي وكِبَر سني ، خرجت أرجوك فلا تخيّب ظني بك . وهي تبكي فما انتفعتُ بنفسي يومي كلّه .

١٠١٣ ـ عابدة أخرى

أبو عياش القطان بلغنا أنه كان ملك كثير المال وكانت له ابنة لم يكن له ولد غيرها ، وكان يحبها حباً شديداً . وكان يُلهيها بصُنوف اللهو . فمكث كذلك زماناً ، وكان إلى جانب الملك عابد ، فبينما هو ذات ليلة يقرأ إذ رفع صوته وهو يقول : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قُوا أنفُسكُم وأهْليكُم ناراً وقودُها الناسُ والحجارة** ﴾ (١) فسمعت الجارية قراءته فقالت لجواريها : كُفّوا . فلم يكُفّوا وجعل العابد يردّد الآية والجارية تقول لهم : كُفّوا . فلم يكفوا . فوضعت يدها في جيبها فشقت ثيابها فانطلقوا إلى أبيها فأخبروه بالقصة . فأقبل إليها فقال : يا حبيبتي ما حالُك منذ الليلة ؟ ما يبكيك ؟ وضمّها إليه . فقالت : أسألك بالله يا أبة لله عز وجل فيها نارٌ وقودها الناس والحجارة ؟ قال : نعم . قالت: وما يمنعك يا أبت أن تخبرني ؟ والله لا أكلت طيّباً ولا نمت على ليّن حتى أعلم أين منزلي في الجنة أو النار ؟ .

١٠١٤ ـ عابدة أخرى

سعيدٌ أبو عثمان ، ثقة من أهل العلم ، قال : نظر رجل إلى امرأة فقال : ما رأيتُ مثل هذا الحسن وهذه النضارة ، وما ذاك إلا من قلّة الحزن . فقالت : يا عبد الله ، والله

---

(١) سورة التحريم آية : ٦ .

إني ليذبحني الحزن ما يشركني فيه أحد . قال : وكيف ؟ قالت : ذبح زوجي شاة مضحياً ، ولي صبيان يلعبان ، فقال أكبرهما للأصغر : أُريك كيف صنع أبي بالشاة ؟ فعلّقه فذبحه فما شعرنا به إلا متشحّطا [(١)] ، فلما استَعْلت الضحجة هرب الغلام ناحية الجبل فرهقه ذئب[(٢)] ، فأكله ، ونحن لا نعلم ، واتبعه أبوه يطلبه فمات عطشاً ، فأفردني الدهر ، قال : فكيف صبرك ؟ قالت : لو رأيت في الجزع مُدْركاً ما اخترت عليه .

١٠١٥ ـ عابدة أخرى

أبو بكر بن عبيد قال : حدثني عبيد الله بن محمد أنه سمع امرأة من المتعبّدات تقول وبكت : والله لقد سئمت من الحياة حتى لو وجدت الموت يُباع لاشتريتُه شوقاً إلى الله وحبا للقائه . قال : قلت لها : أَفَعَلَى ثقة أنتِ من عملك ؟ قالت : لا والله ، ولكن لحبي إياه وحسن ظني به ، أفتراه يعذبني وأناَ أحبهَ ؟ .

١٠١٦ ـ عابدة أخرى

عن الحسن بن جعفر أنه سمع أباه يقول : مررت بدار فإذا أنا بعجوز مكفوفة تبكي وتقول : يا حليم تقرّب الناس إليك بالأعمال يدعونك بهاَ ، فكيف أدعوك بالذنوب ولا عمل أرضاه ؟ يا رب هب لي من حلمك ما تكفيني به وتُنجيني من عذابك . قال : فوقفت عليها فوعظتها وقلت : هل لك ولد ؟ قالت : لا . قلت : من معك في دارك؟ قالت : سبحان الله . معي من أناجيه ، فهل عليّ وحشة معه وهو أنيسي ؟ قال : فأبكتني، فقلت لها : ما معاشُك ؟ قالت : دع عنك ما لا تحتاج إليه بلغت السن فما أحوجني إليك ولا إلى غيرك ، أَما تقرأ القرآن : ﴿ **والذي هُو يُطْعمُني ويسقين وإذا مرضت فهو يشْفين** ﴾ [(٣)] فقلت : إيذني لي في زيارتك . فقالت : أعزَمُ عليك إن فعلت أو ذكرت لي اسماً . ثم أجافت الباب .

١٠١٧ ـ عابدة أخرى

عن العباس بن سهم أن امرأة من الصالحات أتاها نعْيُ زوجها وهي تعجن ، فرفعت يدها من العجين وقالت : هذا طعامٌ قد صار لنا فيه شركاء .

١٠١٨ ـ عابدة أخرى

وبالإسناد عن ابن رَوْح عن بعض أهل العلم أن امرأة أتاها نَعْي زوجها والسّراج يَقِدُ فأطفأت السراج وقالت : هذا زيت قد صار لنا فيه شريك .

---

(١) أي مضرجاً بدمه .
(٢) أرهقه : حمله ما لا يطيق ورهقه بمعنى لحقه .
(٣) سورة الشعراء آية : ٧٩ ، ٨٠ .

١٠١٩ ـ عابدة أخرى

عبد الملك بن شبيب ، عن رجل من ولد عبد الرحمن بن أبي ليلى ، قال : دخلت عليَّ امرأة وأنا أقرأ سورة هود ، فقالت لي : يا عبد الرحمن هكذا تقرأ سورة هود ؟ والله إني فيها منذ ستة أشهر وما فرغتُ من قراءتها .

١٠٢٠ ـ عابدة أخرى

أبو الوليد القاضي قال : سمعت امرأة تقول : فقدتُك من قلب أصبحت قاسياً ولعظمة الله ناسياً كيف تقرُّ عيني وقد أخبرني أن قاسي القلب مني بعيد ؟ .

١٠٢١ ـ عابدة أخرى

سَرِيّ السقطي قال : بلغني أن امرأة كانت إذا قامت من الليل قالت : اللهم إنّ إبليس عبدٌ من عبيدك ، ناصيتُه بيدك ، يراني من حيث لا أراه ، وأنت تراه من حيث لا يراك ، اللهم إنك تقدر على أمره كله ، وهو لا يقدر من أمرك على شيء ، اللهم إن أرادني بشرٍّ فأردْه ، وإن كادني فكدْه ، أدرأُ بك في نحره ، وأعوذ بك من شره . ثم بكت حتى ذهبت إحدى عينيها ، فقيل لها : اتَّقِ الله لا تذهب الأخرى . فقالت : إن كانت عيني من عيون أهل الجنة فسيبدلنى بها ما هو أحسن منها ، وإن كانت من عيون أهل النار فأبعدهما الله تعالى .

١٠٢٢ ـ عابدة أخرى

عن بكر بن عبد الله المُزَني قال : كانت امرأة متعبّدة ، فكانت إذا أمست قالت : يا نفس، الليلة ليلتُك لا ليلة لك غيرها ، فاجتهدي . فإذا أصبحت قالت : يا نفس اليوم يومُك لا يوم لك غيره فاجتهدي .

ذكر المصطفيات من بنيات صغار تكلمن بكلام العابدات الكبار

١٠٢٣ ـ صبية

زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن جده أسلم ، قال : بينا أنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يَعُس المدينة إذ عَيِيَ فاتّكأ إلى جانب جدار في جوف الليل فإذا امرأة تقول لابنتها : يا ابنتاه قُومي إلى ذلك اللبن فامذُقيه بالماء (١) . فقالت لها : يا أماه أو ما علمت ما كان من عَزْمة أمير المؤمنين اليوم ؟ قالت : وما كان من عزمته يا بنيّة ؟ قالت: إنه أمر مناديه فنادى أن لا يُشاب (٢) اللبن بالماء . فقالت لها : يا بنّية قومي إلى ذلك

---

(١) أى اخلطيه .

(٢) شاب شوباً : أى خالطه .

اللبن فامذُقيه بالماء فإنك بموضع لا يراك عُمر ولا منادي عمر ، فقالت الصبية لأمها : يا أمتاه والله ما كنت لأُطيعه في الملأ وأعْصِيه في الخلاء .

١٠٢٤ ـ صبية أخرى

عفان بن مسلم قال : قال لي حمّاد بن سلمة : ألحّ علينا المطر سنةً من السنين وفي جوارى امرأة من المتعبّدات لها بنات أيتام ، فوكف السّقف عليهم ، فسمعتها تقول : يا رفيقُ ارفُق بي . فسكن المطر فأخذتُ صرّةً فيها دنانير وقرعتُ بابها . فقالت : اللهم اجعله حمّاد بن سلمة . قلت : أنا حمّاد بن سلمة ، وأخرجتُ الدنانير وقلت لها : انتفعي بهذه، فإذا صبية عليها مدرعة من صوف تستبين خروقها قد خرجت عليّ وقالت: ألا تسكت يا حماد ؟ تعترض بيننا وبين ربنا ؟ ثم قالت : يا أماه قد علمنا أنا لما شكونا مولانا أنه سيبعث إلينا بالدنيا ليطردنا عن بابه . ثم ألصقت خدها على التراب وقالت : أما أنا وعزتك لا زايلت بابك وإن طردتني ، ثم قالت : يا حماد رُدّ دنانيرك عافاك الله إلى الموضع الذي أخرجتها منه فإنا رفعنا حوائجنا إلى من يقبل الودائع ولا يبخسُ العاملين .

١٠٢٥ ـ صبية أخرى

بشر بن الحارث يقول : أتيت باب المعافي بن عمران فدققتُ الباب فقيل : من ذا ؟ فقلت : بشر الحافي ، فقالت لي بنيّة له من داخل : لو اشتريت نعلاً بدانقين ذهب عنك هذا الاسم .

١٠٢٦ ـ صبية أخرى

عبد الله بن محمد بن وهب قال : كان ليحيى بن معاذ ابنة صغيرة السنّ جداً ، فطلبت من أبيها شيئاً فقال لها : يا بنتي اطلبي ذاك من الله . فقالت : يا أبه أوما أستحيي من الله أن أتقدم إليه في شيء يؤكل ؟ .

١٠٢٧ ـ صبية أخرى

أبو العباس بن مسروق قال : كنت باليمن فرأيت صياداً يصطاد السمك على بعض السواحل ، وإلى جنبه ابنة له . فكلّما اصطاد سمكة فتركها في دَوْخلّة معه ردّت الصبية السمكة إلى الماء ، فالتفت الرجل فلم ير شيئاً ، فقال لابنته : أيّ شيء عملت بالسمك؟ فقالت : يا أبي أليس سمعتُك تروي عن النبي ﷺ أنه قال « لا تقع سمكة في شبكة إلا إذا غفلت عن ذكر الله عز وجل » ، فلم أحب أن نأكل شيئاً غفل عن ذكر الله تعالى . فبكى الرجل ورمى بالصنارة .

١٠٢٨ ـ صبية أخرى

بلغنا أن أمير بلدة حاتم الأصم اجتاز على باب حاتم فاستسقى ماءً فلما شرب رمى إليهم شيئاً من المال ، فوافقه أصحابه ، ففرح أهل الدار سوى بُنيّة صغيرة فإنها بكت . فقيل لها: ما يبكيك ؟ قالت : مخلوق نظر إلينا فاستغنينا فكيف لو نظر إلينا الخالق سبحانه وتعالى ؟ .

١٠٢٩ ـ بنيات جماعة

خزيمة أبو محمد قال : قال بناتُ رجلٍ لأبيهنّ : يا أبَهْ لا تُطعمنا إلا الحلال فإن الصبر على الجوع أيسر من الصبر على النار . فبلغ ذلك سفيان الثوريَّ فقال : ما لهنّ رحمهنّ الله ؟ .

١٠٣٠ ـ ذكر المصطفين من عباد الجن

سهل بن عبد الله قال : كنت ناحية ديار عاد إذ رأيت مدينة من حجر منقور ، في وسطها قصر من حجارة ، منقورة سقوفه وأبوابه تأويه الجن ، فدخلت معتبرا فإذا شيخ عظيم الخلق يصلي نحو الكعبة وعليه جُبّة صوف فيها طراوة ، فلم أتعجب من عظم خلقه كتعجبي من طراوة جبته ، فسلمت عليه فرد عليّ السلام وقال : يا سهل إن الأبدان لا تُخلق الثياب وإنما تُخلقها روائح الذنوب ومطاعم السحْت ، وإن هذه الجبة علي منذ سبعمائة سنة بها لقيت عيسى بن مريم ومحمداً ﷺ فآمنت به . فقلت له: من أنت ؟ قال: أنا الذي نزلت فيّ ﴿ قُلْ أُوحيَ إليّ أنه استَمَعَ نَفَرٌ من الجنِّ﴾ [1] .

سلمة بن شبيب قال : عزمت على النّقلة إلى مكة فبعتُ داري ، فلما فرّغتها وسلمتها وقفت على بابها فقلت : يا أهل الدار جاورناكم فأحسنتم جوارنا جزاكم الله خيراً ، وقد بعنا الدار ونحن على النقلة إلى مكة فعليكم السلام ورحمة الله . قال : فأجابني من الدار مجيب فقال : وأنتم جزاكم الله خيراً ما رأينا منكم إلا خيراً ، ونحن على النقلة أيضاً ، فإن الذي اشترى الدار رافضيٌّ يشتم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما .

سَريّ بن إسماعيل يذكر عن يزيد الرّقاشي أن صفوان بن مُحرز المازني كان إذا قام إلى تهجّده من الليل قام معه سكان داره من الجنّ ، فصلوا بصلاته واستمعوا لقراءته . قال السرّي فقلت ليزيد : وأنّى عَلِمَ ؟ قال : كان إذا قام سمع لهم ضجة فاستوحش لذلك فنودي : لا تُرَعْ أبا عبد الله فإنما نحن إخوانك نقوم للتهجّد كما تقوم فنصلي بصلاتك ، قال : فكأنه أنس بعد ذلك إلى حركتهم .

---

(١) سورة الجن آية : ١ .

يحيى بن عبد الرحمن العصري قال : حدثتني امرأة خُلَيْد عن خُليد قال : كنت قائماً أصلّي فقرأت هذه الآية ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذائقةُ المَوْت** ﴾ (١) فردّدتها مراراً ، فناداني مُناد من ناحية البيت : كم تُردد هذه الآية ؟ فَلقدَ قتلت بهَا أربعة نفر من الجن لم يرفعوا رءوسهم إلى السماء حتى ماتوا من تردادك هذه الآية . قالت : فوله (٢) خُلَيد بعد ذلك ولهاً شديداً وأنكرناه حتى كأنه ليس الذي كان .

مهدي بن ميمون قال : كان واصل مولى أبي عُيينة جاراً لي ، وكان يسكن في غرفة ، فكنت أسمع قراءته من الليل ، وكان لا ينام من الليل إلا يسيراً ، قال : فغاب غيبة إلى مكة وكنت أسمع القراءة من غرفته على نحو من صوته كأني لا أنكر من الصوت شيئاً . قال : وباب الغرفة مغلق ، فلم يلبث أن قدم من سفره فذكرت له ذلك . فقال : وما أنكرت من ذلك ؟ هؤلاء سكان الدار يصلون بصلاتنا ويسمعون لقراءتنا . قال : قلت : أفتراهم ؟ قال لا . ولكني أحِسّ بهم وأسمع تأمينهم عند الدعاء ، وربما غلب عليّ النوم فيوقظوني .

قال القُرَشي : وحدثني خلف قال : كان فتى من أهل الكوفة متعبداً يقال له عرفجة ، وكان يحيى الليل صلاة . قال : فاستزاره بعض إخوانه ذات ليلة فاستأذن أمه في زيارته فأذنَتْ له : قالت العجوز : فلما كان الليل إذا أنا في منامي برجال قد وقفوا عليّ فقالوا: يا أمّ عرفجة ! لِمَ أذنت لإمامنا الليلة ؟ .

أبو عمران التّمار قال : غدوت يوماً قبل الفجر إلى مسجد الحسن الحفري فإذا باب المسجد مغلق ، وإذا الحسن جالس يدعو ، وإذا ضجّة في المسجد وجماعة يؤمنّون على دعائه ، فجلست على باب المسجد حتى فرغ من دعائه ثم قام فأذّن وفتح باب المسجد فدخلت فلم أجد في المسجد أحداً ، فلما أصبح وتفرّق من عنده قلت له : يا أبا سعيد إني والله رأيت عجباً ، قال : وما رأيت ؟ فأخبرته بالذي رأيت وسمعت . فقال : أولئك جنٌّ من أهل نُصيبين يجيئون يشهدون معي ختْمَ القرآن كل ليلة جمعةٍ ثم ينصرفون .

محمد بن عبد العزيز بن سلمان العابد قال : كان أبي إذا قام من الليل يتهجّد سمعت في الدار جلبة شديدة واستسقاء للماء كثيرا . قال : فنرى أن الجن كانوا يتيقظون لتهجّده فيصلون معه .

سَرِيّ السقطي قال : بدوت يوماً من الأيام وأنا حدثٌ فطاب وقتي وجنّ عليّ الليل

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٨٥ ، سورة الأنبياء آية : ٣٥ ، سورة العنكبوت آية : ٥٧ .
(٢) الوله : ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد .

وأنا بفناء جبلٍ لا أنيس به فناداني مناد من جوف الجبل : لا تدور القلوب في الغيوب حتى تذوب النفوسُ من مخافة فوت المحبوب . قال : فتعجبت وقلت جِنيّ يناديني أم إنسي ؟ قال : بل جنيّ مؤمن بالله عز وجل ومعي إخواني ، قال : قلت فهل عندهم ما عندك ؟ قال : نعم وزيادة . قال : فناداني الثاني منهم : لا تذهب من البدن الفترة إلا بدوام الغُربة . قال : فقلت في نفسي : ما أبلغ كلامهم . فناداني الثالث منهم : من أنس به في الظلام لا يبقي له اهتمام . قال : فصعقت ، فما أفقت إلا برائحة الطيب فإذا أترُجّة على صدري فشممتها فأفقت فقلت : وصية يرحمكم الله جميعا ؟ فقالوا جميعا أبى الله أن تحيا به إلا قلوب المتقين ، فمن طمع في غير ذلك فقد طمع في غير مطمع ، ومن اتبع طبيباً مريضا دامت علته ، وودعوني ومضوا وقد أتى عليّ حين ولا أزال أرى بركة كلامهم موجودة في خاطري .

وبلغني عن أبي الفتح محمد بن محمد الخزيمي قال : قال أبو علي الدقاق : كنت بنيسابور مقيماً للوعظ فظهر بي رمدٌ فاشتقت إلى أولادى فرأيت ليلة من الليالي في المنام كأن شخصاً دخل عليّ فقال : أيها الشيخ ما يُمكنك الرجوع بهذه السرعة فإن جماعة من شباب الجن يحضرون مجلسك ويستمعون منك ، وهم بعد في بدو الإرادة فما لم ينتهو إلى إرادتهم لا يمكنك أن تفارقهم فلعل الله عز وجل أن يُحييهم فأصبحت وكأنه ما بعيني رَمَدٌ .

١٠٣١ ـ ومن متعبدات الجن

صالح بن عبد الكريم قال : كنت أحبّ أن ألقى شيئاً من الجن فأُكلمه ، فرأيت امرأة فتعلقت بها فقلت : عظيني . قالت : اكتب : تقول غزالة : اشتغل بأولى الأمور بك ولا تغفل عن ساعة إن فاتتك لم تُدركها .

آخر كتاب صفة الصفوة ، والحمد لله وحده ، وصلواته على خير خلقه محمد وآله وصحبه . كتبه لنفسه ، ثم لمن شاء الله بعده ، فقير رحمة ربه إبراهيم بن يحيى بن حسن ابن طرخان بن تميم العسقلاني الحنبلي ، عفا الله عنهم بكرمه فى مدة آخرها يوم الخميس بين الصلاتين بالقاهرة المحروسة بالورّاقين ، الثاني والعشرين من جمادى الآخرة من سنة سبع وسبعين وستمائة ، أحسن الله خاتمتها .

والحمد لله وحده ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

*****

فهرس القسم الثانى من
كتاب صفة الصفوة